المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

تمام الطالب بتعديل ما طلب منه
د. [illegible]

استجاب الطالب لمآخذ المناقشة وقام بالتعديل

تفسير القرآن بالقرآن

(جمعاً ودراسةً)

من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء

تمام الطالب بتعديل ما طلب منه
د/ محمد بكر عابد

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:

عمر جاكيتي بن بكري جاكيتي

إشراف:

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن بكر آل عابد

الأستاذ المشارك بقسم التفسير

– حفظه الله –

العام الجامعي: ١٤٣٠ – ١٤٣١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وفيها

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- المنهج المتبع في كتابة البحث.
- شكر وتقدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

وبعد: فإن القرآن الكريم هو مصدر التشريع للأمة الإسلامية، جعله الله آيــةً خالدة، ومعجزة باهرةً، وحجةً قائمةً، نوراً ونبراساً يهدي للتي هي أقوم، كتابــاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تتريل من حكيم.

وقد أمر الله تعالى بتدبر هذا الكتاب العزيز، والتفكر في معانيــه، والاهتــداء بآياته، لاشتماله على الحق المبين، وهدايته الصراط المستقيم، ولا يتحقق ذلــك إلاّ بمعرفة معانيه والعلم بتفسيره وبيانه.

وقد تكفل الله تعالى ببيان هذا القرآن الكريم، كما تكفل بحفظ ألفاظه، فقال جــلّ في علاه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٥).

ولهذا جعل الله بعض القرآن لبعضه بياناً وتفصيلاً، فما أجمله فيه في مكان بيّنه في مكان آخر، وما أبهمه في موضع، أوضحه في موضع آخر.

وإن أفضل الطرق لتفسير كتاب الله هو الرجوع إلى القرآن نفسه، فهو أهــم مصادر التفسير، لأنّ صاحب الكلام أدرى بمعانيه ومقاصده وأهدافه من غيره، كيف

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٤) سورة البقرة: ١٨٧ .

(٥) سورة القيامة: ١٩.

لا ! والمتكلم بالقرآن هو الله جل في علاه، الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وقد كان الرسول ﷺ – وهو أعلم البشر بكتاب الله – يفسر القرآن بالقرآن، ليُؤَصِّل لأمته وللعلماء بعده هذا المنهج السديد في بيان معاني القرآن، لذا سلك المفسرون من الصحابة ومن بعدهم من أئمة التفسير هذا المنهج، واعتنوا به غاية الاعتناء، حتى أفرده بعضهم بالتأليف والتصنيف.

إلا أنّ بيان القرآن بالقرآن ليس على درجة واحدة من الوضوح، فمنه ما يدرك بداهة، ومنه ما يحتاج إلى نظر وإعمال فكر، واجتهاد من المفسّر.

لذا كانت الحاجة – وما زالت – ماسة إلى الدراسات العلمية في تفسير القرآن بالقرآن، فيما جاء أنه من هذا الباب، بدراسة وجه البيان فيه، ومعتمد الارتباط بين الآيات.

فلأهمية تفسير القرآن بالقرآن، وقلة الدراسات العلمية فيه، أحببت أن أشارك –حسب قدرتي– في هذا الموضوع، وذلك بكتابة دراسة لما قيل فيها إنه من تفسير القرآن بالقرآن، ويكون ذلك العمل موضوع رسالتي لمرحلة "الماجستير"، وذلك بعنوان: (**تفسير القرآن بالقرآن من أول القرآن إلى آخر سورة النساء جمعاً ودراسة**) (1).

(1) وهذا الموضوع باكورة مشروع علمي في قسم التفسير، سجّل فيه بعدُ ثمانية من الزملاء في مرحلة الماجستير، على النحو التالي:

1- حامد راضي مصلح الروقي: من أول سورة المائدة إلى آخر سورة التوبة. بإشراف: أ.د. إبراهيم نيده.

2- يسري بن حمدان المحمدي: من أول سورة يونس إلى آخر سورة الرعد.

3- عبد الله بن سليمان العمير: من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة الحج.

4- يعقوب مصطفى سي: من أول سورة المؤمنون إلى آخر سورة العنكبوت.

5- إبراهيم بن محمد سلطان: من أول سورة الروم، إلى آخر سورة فاطر.

6- محمد بن إبراهيم أشقر: من أول سورة يس إلى آخر سورة غافر.

7- حامد بن عدنان الأنصاري: من أول سورة فصلت، إلى آخر سورة الدخان.

8- فهد علي القرني: من أول سورة الجاثية إلى آخر سورة الناس.

أسأل الله لي ولهم كل توفيق وسداد..

والمقصود دراسة ما قال العلماء فيها إنه من باب تفسير القرآن بالقرآن – سواء في القديم أو الحديث –، وبيان صحة تفسير الآيات بعضها ببعض، وبيان معتمد الربط بينها، مع بيان مناهجهم في ذلك وإبراز مدى استفادتهم من الآيات القرآنية في تفسير بعضها ببعض.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب منها:

١- أهمية تفسير القرآن بالقرآن وكونه أحسن طرق التفسير.

٢- قلة الدراسات العلمية في تفسير القرآن بالقرآن مع أهميته.

٣- كون هذا الموضوع مقترحاً من قبل عدد من المشايخ الكرام المتخصصين في قسم التفسير الموقر(١).

٤- الجدة والابتكار في الموضوع؛ إذ لم يكتب – حسب علمي – دراسة علمية بجمع الآيات التي يذكرها المفسرون المعتنون بتفسير القرآن بالقرآن، ودراستها.

٥- أنّ هذا الموضوع – بطبيعته الشمولية – يجعل الطالب يقرأ في عدد وافر من كتب التفاسير؛ بغية الحصول فيها على مراده ومقصوده.

(١) وأصل فكرة الموضوع: اقتراح من فضيلة الدكتور/ مساعد الطيار في مقالاته في علوم القرآن وأصول التفسير، وشرحه على مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية، والدكتور/ أحمد البريدي في بحثه المنشور في العدد الثاني من مجلة معهد الإمام الشاطبي، بجمع مرويات السلف في تفسير القرآن بالقرآن، وقد طرحت هذا الاقتراح على فضيلة شيخي الأستاذ الدكتور/ محمد بن بكر عابد – حفظه الله –؛ فاستحسن الموضوع وشجعني عليه، وساعدني – مأجوراً – على وضع خطة له، وقُدِّمت لقسم التفسير؛ فرأى أعضاؤه الموقرون أن يكون الموضوع بهذا العنوان، ويكون بذلك شاملاً لمرويات السلف في ذلك وغيرها.

خطة البحث:

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس:

فالمقدمة: تشتمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- خطة البحث.
- المنهج المتبع في كتابة البحث.
- شكر وتقدير.

التمهيد: وهو: دراسة تأصيلية لتفسير القرآن بالقرآن

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المراد بتفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن .

المبحث الثالث: طريقة الوصول إليه، وحجيته.

المبحث الرابع: مصادره وأهم الكتب المؤلفة فيه.

المبحث الخامس: أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

الفصل الأول: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة الفاتحة، وفيه دراسة خمس آيات.

الفصل الثاني: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة البقرة، وفيه دراسة تسعون آيات.

الفصل الثالث: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة آل عمران، وفيه دراسة عشرون آية.

الفصل الرابع: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة النساء، وفيه دراسة ستة وثلاثون آية.

والخاتمة:

وسجلت فيها أهم نتائج البحث مع الاقتراحات والتوصيات.

وأما الفهارس:

فاشتملت على فهارس متنوعة، تسهل على القارئ الوصول إلى المعلومة في البحث في أقرب وقت ممكن، وهي:

١- فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة لها على ترتيب المصحف.

٢- فهرس الآيات المستشهد بها.

٣- فهرس الأحاديث المرفوعة.

٤- فهرس الآثار.

٥- فهرس الألفاظ الغريبة.

٦- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة الفاتحة:

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة
١.	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	❖﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾. ❖﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
٢.	﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	❖﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾. ❖﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾.
٣.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.
٤.	﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾
٥.	﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ (٧)﴾	❖﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ❖﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾. ❖﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾

الفصل الثاني: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة البقرة:

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة
١.	﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾
٢.	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	❖ ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾، ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾، ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. ❖ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
٣.	﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	❖ ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾. ❖ ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾
٤.	﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾
٥.	﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

٦.	﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾،﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
٧.	﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾	﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾
٨.	﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾.
٩.	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	❖ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ، ❖ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾.
١٠.	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾.
١١.	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	❖ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ ❖ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾

١٢.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾
١٣.	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٤.	﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾	❖ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ❖ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

١٥.	﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾	﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾
١٦.	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾
١٧.	﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾	﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.
١٨.	﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾
١٩.	﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.
٢٠.	﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾	❖ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾، ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ❖ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ

		نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣) ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ ﴾
٢١.	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (٤٦) ﴾	﴿ وَبِالْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾، ﴿ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾
٢٢.	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ ﴾	﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾
٢٣.	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾	❖ ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ

		بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ ❖ ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ (٦٢) فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ (٦٣) وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ (٦٦) ﴾ ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾ ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴾
٢٤.	﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾	﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾
٢٥.	﴿ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ ﴾ ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾
٢٦.	﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا ﴾	﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾
٢٧.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	❖ ﴿ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ ❖ ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾
٢٨.	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٦٣) ﴾	❖ ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ (٨٣) وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمۡ

		هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾ ❖ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ❖ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
٢٩.	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾	﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾
٣٠.	﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨)﴾	﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾
٣١.	﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)﴾	﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
٣٢.	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)﴾	❖ ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ

		عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ❖ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
٣٣.	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾
٣٤.	﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) ﴾	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾، ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾، ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾
٣٥.	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) ﴾	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾
٣٦.	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) ﴾	﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾
٣٧.	﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ ﴾	﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

٣٨.	﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾	﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾
٣٩.	﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)﴾	﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾، ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾
٤٠.	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾
٤١.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾	﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾

٤٢.	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾	﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾، ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾
٤٣.	﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾
٤٤.	﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾	﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾
٤٥.	﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾	❖ ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾، ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾، ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ ❖ ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾. ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾
٤٦.	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾	﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾
٤٧.	﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾	﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

٤٨.	﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) ﴾	﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِ… مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾
٤٩.	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾	﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾
٥٠.	﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) ﴾
٥١.	﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) ﴾	﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾
٥٢.	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	❖ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ❖ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾
٥٣.	﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾	﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

٥٤.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
٥٥.	﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
٥٦.	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦)﴾	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
٥٧.	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)﴾	❖ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ ❖ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ ❖ ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٥٨.	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ	❖ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ❖ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

	﴿الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾	❖ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
٥٩.	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾
٦٠.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾
٦١.	﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾
٦٢.	﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾	﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾.
٦٣.	﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ﴾
٦٤.	﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾	❖ ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ﴾ ❖ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾. ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٦٥.	﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾	❖ ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ﴾ ❖ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ﴾
٦٦.	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾	﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾
٦٧.	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾
٦٨.	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾	﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾
٦٩.	﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾	﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾
٧٠.	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ﴾، ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ ❖ ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ

		لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ ❖ ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾، ﴿ وَجَا رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾
٧١.	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾	❖ ﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ ❖ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾
٧٢.	﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾
٧٣.	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	❖ ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾
٧٤.	﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾
٧٥.	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ﴾	❖ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾، ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾

		❖ ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾، ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ ❖ ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾
٧٦.	﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	❖ ﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ ❖ ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾
٧٧.	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾
٧٨.	﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) ﴾	﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾
٧٩.	﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) ﴾	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾
٨٠.	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) ﴾	﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾

٨١.	﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾	﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
٨٢.	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾	﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
٨٣.	﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾	﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ ﴾ ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ ﴾ ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾
٨٤.	﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾	❖ ❖ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾، ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ❖ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾، ﴿ قُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾. ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾،

		﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ . ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾
٨٥.	﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾
٨٦.	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾
٨٧.	﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾
٨٨.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾	❖ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ ❖ ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ❖ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾

.٨٩	﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾	❖ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ❖ ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾
.٩٠	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

الفصل الثالث: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة آل عمران:

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة
١.	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧)﴾	❖﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ❖﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾، ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ❖﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾
٢.	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (١٣)﴾	﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾
٣.	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ (١٤)﴾	❖﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ ❖﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ❖﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾
٤.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾	﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾
٥.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣)﴾	﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

٠٦	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾	❖ ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ❖ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
٠٧	﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) ﴾	﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾
٠٨	﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) ﴾	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾
٠٩	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) ﴾	﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾
١٠	﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾

		﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾
١١.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)﴾	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾
١٢.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾
١٣.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
١٤.	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	❖ ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ❖ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
١٥.	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾
١٦.	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)﴾	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

		﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾
١٧.	﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾	﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
١٨.	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)﴾	❖ ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ ❖ ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.
١٩.	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)﴾	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.
٢٠.	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾

الفصل الرابع : دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة النساء :

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة
١.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾	﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾
٢.	﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾	❖ ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ❖ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِى بُطُونِهِمۡ نَارًا ۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴾
٣.	﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمًا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾	﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ۚ ﴾ ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾ ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ۚ ﴾ ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ ﴿ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾
٤.	﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾	﴿ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ ۚ ﴾ ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِى بُطُونِهِمۡ نَارًا ۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡ ۚ ﴾، ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾، ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ ﴾

٥.	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧)﴾	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ... ...الآيات ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ...الآية
٦.	﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦)﴾	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٧.	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)﴾	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
٨.	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
٩.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾	❖﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ❖﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾
١٠.	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾	❖﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ ❖﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

١١.	﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾	﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾
١٢.	﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٣.	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾
١٤.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)﴾	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
١٥.	﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
١٦.	﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)﴾	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾

		﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ ❖ ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ
١٧.	﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) ﴾	﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾
١٨.	﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) ﴾	❖ ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾. ❖ ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾
١٩.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) ﴾	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
٢٠.	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) ﴾، ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ

		مضت سنت الأولين ﴾، ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾
٠٢١	﴿ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (٤٩) ﴾	﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾، ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾
٠٢٢	﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩) ﴾	﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ﴾ ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾
٠٢٣	﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا (٧٩) ﴾	﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾
٠٢٤	﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (٨٨) ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (٨٩) ﴾	﴿ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾

٢٥.	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)﴾	﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
٢٦.	﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾.
٢٧.	﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)﴾	﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ﴾ ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾
٢٨.	﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾
٢٩.	﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾	﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

٣٠.	﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٣١.	﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾	❖ ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ❖ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾، ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ❖ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾.
٣٢.	﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾	❖ ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾، ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ ❖ ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

		❖ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿قُلْ إِصْلَا لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾
٣٣.	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
٣٤.	﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)﴾	﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾
٣٥.	﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠)﴾	❖ ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ❖ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾
٣٦.	﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾	﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾. ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

منهج الكتابة في هذا البحث:

سلكت في كتابة هذا البحث المنهج التالي:

أولاً: ما يتعلق بالجمع:

١- تبيّن لي من خلال قراءة البحوث والكتابات الجادّة في تفسير القرآن بالقرآن، ومن خلال الاطلاع واستقراء الجزء المحدد لي في كتب التفسير التي اهتمت به، أنّ: مصطلح تفسير القرآن بالقرآن يمكن تقسيمه إلى قسمين[(١)]: مصطلح مطابق لمعنى التفسير الذي هو البيان، ومصطلح موسّع، يدخل فيه أمثلة كثيرة كجمع الآيات المتشابهة في المعنى والموضوع، وجمع موارد اللفظة القرآنية، وغيرها...

وقد رأيت أن يكون مجال الدراسة هنا: المصطلح المطابق الذي ضابطه بيان آية بآية، وأن لا أتطرق إلى ما عدا ذلك إلا ببيان عدم دخوله في مجال البحث؛ ليكون مثالاً على غيره، لا سيما إذا ذكره أحد المهتمين بتفسير القرآن بالقرآن، أو المفردون له بالتصنيف.

٢- لم ألتزم – كما هو طبيعة البحث – باستخراج تفسير القرآن بالقرآن من تفاسير محدّدة، وإنما قرأت الجزء المحدد لي من التفاسير التي في متناول يدي، فما ظهر لي أنه من تفسير القرآن بالقرآن – على حد البيان – أدخلته، وما لا أبعدته[(٢)].

---

(١) كما سيأتي تقرير ذلك في تعريف تفسير القرآن بالقرآن – إن شاء الله تعالى.

(٢) وهذا – كما سيأتي تقريره – ليس تطاولاً على علمائنا الأجلاء، بل أقول: إنّ كلّ ما قالوه يدخل في تفسير القرآن بالقرآن، ولكنّ بعضَها أقرب من بعض وأقوى، والفائدة تكمن في الغالب – بشكل أكيد وضروري- في تفسير آية بمثلها المفتقرة لذلك، ولأنّ البحث العلمي لا بدّ له من ضابط يضبط حدوده وأطرافه.

ثانياً: ما يتعلق بالدراسة:

أهتم في دراسة كلّ آية يفسرها أحد المفسرين بآية أخرى بالعناصر التالية:

أ- ذكر الآية المفسَّرة وإتباعها بالآية المفسِّرة.

ب- ذكر من فسّرها بها من المفسرين في القديم والحديث، وإيراد ما يدلُّ من كلامهم على ذلك، مع الاقتصار - إذا كثر القائلون به- على المصرحين بتفسير الآية بالأخرى، والإشارة إلى الباقين في المتن، أو في الحاشية؛ على ما يقتضيه الحال.

ج- بيان وجه تفسير الآية بالآية الثانية، ووجه الارتباط بينهما، راجعاً في ذلك إلى أقوال العلماء المفسرين في تفسير الآيتين.

د- دراسة هذا التفسير، من حيث صحّة هذا الوجه في بيان الآية بالآية الثانية، وعدم صحتها، وإيراد أقوال المفسرين المخالفة له، وإسنادها إلى قائليها.

هـ - **ترجيح** القول الراجح بالأدلة، راجعاً إلى كلام أهل العلم في ذلك كلّه.

و- **النتيجة**، وأذكر فيها ما توصلت إليه في الدراسة، من حيث صحّة تفسير الآية بالآية التي ذكرها المفسِّر، أو عدم صحتها، كملخص وجوهر الدراسة.

ثالثاً: ما يتعلق بالمنهج العام للبحث العلمي:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني تفادياً من ورود أخطاء في النص القرآني.

٢- توثيق المادّة العلميّة على النّحو الآتي:

١) عزو الآيات القرآنية في الحاشية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢) عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها الأصلية، مع بيان المتواتر منها والشاذ.

٣) تخريج الأحاديث النبوية، والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالتخريج منهما؛ إذ الغرض من التخريج هو التوصل إلى الحكم، وإن لم أجده في الصحيحين أو أحدهما خرجته من كتب التفاسير المسندة وكتب السنة المشهورة وكتب التخريج – حسب الإمكان – مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجتها صحةً وضعفاً.

٤) توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء.

٥) عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، وتوثيقها من مصادرها.

٦) شرح غريب الألفاظ والمصطلحات.

٧) الترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمةً موجزةً.

٨) التعريف بالفرق والمذاهب والأماكن والبلدان.

٩) الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

شكر وتقدير:

ختاماً أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأثني عليه الخير كله على ما أنعم به عليّ من نعمه الكثيرة التي لا أحصيها، وأعظمها أن هداني لدين الإسلام، وسلك بي سبيل طلب علم الدين، وأعانني على إتمام هذا البحث.

فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

وأثني بالشكر الجزيل - بعد شكر الله ﷻ - لوالدي الكريمين، اللذَيْن سهرا على تربيتي وتعليمي، وبذلا في سبيل ذلك الغاليَ والنفيسَ، وواظبا على الدعاء لي في السر والعلن، فلهما عظيم الشكر وأوفر التقدير، فجزاهم الله عنّي خير ما جزى والدين عن ولدهما، ومتعهما بالصحة والعافية، وأحسن عاقبتهما في الدنيا والآخرة، وأقر أعينهما بصلاح أبنائهما وبناتهما، ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

ثمّ أثلّث بالعرفان الجميل لمن لا أجد له كلمات أعبِّر بها عما يجول في خاطري من شكر وتقدير، ذلكم المربي الجليل، والشيخ الفاضل، فضيلة الأستاذ الدكتور/ **أبي بدر محمد بن بكر بن إبراهيم آل عابد**، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث منذ أن كان فكرة، حتى استوى على سوقه، وقد عجبت من حرصه على متابعته لي في جميع مراحل البحث، بالتوجيهات الكريمة، والتصويبات السديدة، كل ذلك بخلق حسن، وتواضع جم، وصدر رحب، فاستفدت من خلقه، وعلمه؛ فأسأل الله أن يكتب له الشفاء، ويمتعه بالصحة والعافية، وجزاه الله عنّي خير ما جزى شيخاً عن تلميذه، وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وأتقدم بالشكر الجزيل للعالمين الكبيرين والأستاذين الجليلين: فضيلة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن موسى نيده، وفضيلة الدكتور/ حسن بن أحمد العمري، على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها، فأسأل الله أن يبارك فيهما وذرياتهما، وأن ينفع بعلمهما وأن يجزيهما بذلك خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر الجامعة الإسلامية التي كانت ومازالت صرحاً للعلم الشرعي والراغبين فيه، على ما أتاحت لي ولغيري من فرصة مواصلة الدراسة الجامعية فيها، ويسرت لي جميع السبل لطلب العلم الشرعي والنهل منه من معينه الصافي؛ فأشكر القائمين عليها، وأخص بالشكر كلية القرآن الكريم، وعلى رأسها عميدها ووكيلها، كما أشكر قسم التفسير الموقر، رئيساً وأعضاء، وأشكر كل من ساهم وأعان على إتمام هذا العمل برأي أو فكر أو تشجيع أو إعارة كتاب، جزى الله الجميع خير الجزاء، وكفّر الله عنهم سيئاتهم، وأصلح بالهم، وأمدّ في أعمارهم على عمل صالح يُرضيه.

هذا والله أسأل أن يلهمنا رشدنا، وأن يوفقنا للصواب، ويجنبنا الخطأ والزلل، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به النفع العميم، وذخراً لي يوم الدين، كما أسأله سبحانه العلم النافع والعمل الصالح، والثبات على الدين، إنه قريب مجيب.

وأخيراً: فإنّ هذه الرسالة جهد مقلّ، فما كان فيها من صواب فمن فضل الله وتوفيقه، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي وتقصيري، وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،

التمهيد

دراسة تأصيلية لتفسير القرآن بالقرآن

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المراد بتفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الثالث: طريقة الوصول إليه، وحجيته.

المبحث الرابع: مصادره وأهم الكتب المؤلفة فيه.

المبحث الخامس: أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

المبحث الأوّل: المراد بتفسير القرآن بالقرآن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: تعريف كلمتي (تفسير، قرآن) لغة واصطلاحا:

قبل الدخول إلى تعريف مصطلح " **تفسير القرآن بالقرآن** " يحسن تعريف كلمتي: (التفسير، والقرآن) لغةً واصطلاحاً؛ حتى يكون ذلك مدخلاً يوضّح المراد بالمصطلح ويبيّنه.

فالتفسير: لغة: تفعيل من الفسر، وأصل مادّته يدلّ على الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل، قال ابن فارس[(١)]: « "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه »[(٢)]، وجاء في القاموس: « الفسر: الإبانة وكشف المغطّى كالتفسير »[(٣)]، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضّم فَسْراً وفَسَّرَهُ أبانه[(٤)].

والتفسير اصطلاحاً: تنوّعت عبارات العلماء – رحمهم الله – في تعريف التفسير اصطلاحاً، وأحسن هذه التعريفات وأقربها إلى الصواب ما كان منطلقاً من المعنى اللّغوي للتفسير، وذلك باستعمال عبارات: بيان، وشرح، وكشف؛ للتعبير عن

---

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: كان من أئمة اللغة والادب، وبصيراً بفقه مالك، ولد سنة ٣٢٩هـ، وتوفي سنة ٣٩٥ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٠٣-١٠٤) للامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة بيروت، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه :شعيب الارنؤوط، الأعلام (١/١٩٣)، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين بن محمود الزركلي/ ط١٥، ايو ٢٠٠٢ م.دار العلم للملايين.

(٢) مقاييس اللغة (فسر) (٤/٥٠٤)، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون – دار الجبيل - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) القاموس المحيط (فسر) (١/٤٨٣). لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ.

(٤) انظر: لسان العرب (فسر) (٥/٥٥). محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١ دار صادر – بيروت،.

معنى التفسير؛ لأن التفسير بيان وشرح للقرآن، فما كان داخلاً في بيان القرآن فهو من التفسير، وما كان خارجاً عن نطاق البيان فإنه غير داخل في مصطلح التفسير(١).

ومن هذه التعريفات(٢):

١- تعريف الكافيجي(٣): قال: « وأما التفسير في العرف، فهو كشف معاني القرآن، وبيان المراد »(٤).

٢- تعريف الشيخ منّاع القطان، حيث يقول: التفسير: هو بيان كلام الله المنزّل على محمّد ﷺ.(٥)

٣- تعريف الشيخ محمّد بن صالح العثيمين: بيان معاني القرآن الكريم(٦).

وعليه فيمكن تعريف التفسير اصطلاحاً بأنه: بيان القرآن الكريم.

فخرج بالبيان: ما كان خارجاً عن حدّ البيان؛ ككثير من المسائل الفقهية، والمسائل النحويّة، وغيرها ممّا يذكر في كتب التفسير، ممّا لا أثر له في التفسير.

---

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، (٢٧-٢٩) للدكتور: مساعد الطيار، ط١، ١٤٢٢ هـ، دار ابن الجوزي - الدمام. وتفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي العدد الثاني للدكتور: أحمد بن محمد البريدي ص ١٨.

(٢) أي: التعريفات التي انطلقت من المعنى اللّغوي للتفسير، باستعمال عبارات: بيان، وشرح، وكشف. وإلاّ فمن أشهر تعاريف التفسير: تعريف الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١٣/١)، وأبو حيان في البحر المحيط (١٢١/١)، وغيرها.

(٣) محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي، أبو عبد الله الكافيجي، رومي الأصل، اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي ١٤ سنة، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. ولد سنة ٧٨٨هـ، وتوفي سنة ٨٧٩ هـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (١١٧/١-١١٨)،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. الأعلام للزركلي (١٥٠/٦).

(٤) التيسير في قواعد علم التفسير لمحمد بن سليمان الكافيجي (صـ ١٢٤)، ت: ناصر محمد المطرودي، ط١، دار القلم، دمشق ، ١٤١٠هـ.

(٥) مذكرة علوم القرآن، كتبها لطلاب الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه في كلّية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٠-١٤١٩هـ. نقلاً من التفسير اللغويّ للقرآن الكريم للدكتور مساعد الطيار ص ٢٥.

(٦) أصول في التفسير (صـ ٢٧) للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن تيمية – القاهرة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

ويخرج بالقرآن: غيره من كلام الله الذي ليس بقرآن، ككلامه لملائكته، وكلامه لرسله وأنبيائه قبل محمّد ﷺ، والحديث القدسيّ، كما يخرج كلام غير الله سبحانه وتعالى(١).

والقرآن لغة:

اختلف العلماء – رحمهم الله تعالى – في لفظ القرآن من جهة الاشتقاق أو عدمه، ومن جهة كوته مهموزاً أو غير مهموز(٢).

فذهب أكثر العلماء إلى أنه مهموز، وأنه إذا تركت الهمزة فإنما للتخفيف، لكن اختلفوا في أصل اشتقاقه على رأيين:

١- أنه مصدر: قرأ بمعنى تلا، وهو مثل الرجحان والغفران، وسمّي به المقروء من باب تسمية اسم المفعول بالمصدر.

٢- أنه وصف على فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، يقال قرأت الماء في الحوض أي جمعته، وسمّي القرآن بذلك لجمعه السور والآيات فيه، أو القصص والأوامر والنواهي، أو لأنه جامع ثمرات الكتب السابقة.

وذهب آخرون إلى أنه غير مهموز، واختلفوا كذلك في أصل اشتقاقه على رأيين:

١- أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن لاقتران سوره وآياته وحروفه.

٢- أنه مشتقّ من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدّق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، فهي قرائن.

---

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (صـ ٣٢).

(٢) انظر: تفصيل هذه الأقوال، والقائلين بها في: البرهان في علوم القرآن (١/٢٧٨) لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، والإتقان (٢/٣٣٩-٣٤١) للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، ت: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد ١٤٢٦هـ، المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٧-١٨) للشيخ الدكتور محمد أبو شهبة، دار اللواء – الرياض، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ويقابل هذه الآراء الأربعة في الاشتقاق **رأي خامس**، وهو أن لفظ القرآن غير مشتق، وهو اسم علم غير منقول، وضع من أول الأمر علماً على الكلام المنزّل على نبيّنا محمد كالتوراة والإنجيل.

وأقوى هذه الآراء: هو الرأي الأوّل، لورود ما يعضده من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[١]، أي قراءته. ويليها الرأي الثاني، لأن القائلين بالهمز – مع كونه قراءة معظم القراء العشرة – خرجوا التخفيف تخريجاً علمياً صحيحاً[٢].

والقرآن اصطلاحاً:

هو كلام الله المنزّل على محمد المعجز بلفظه المتعبّد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر[٣].

(١) سورة القيامة: ١٧ – ١٨.

(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (صـ ١٨).

(٣) انظر: المستصفى في علم الأصول (صـ٨١) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٣هـ، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي. إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول (١/١٦٩) للإمام محمد بن علي الشوكاني، ت: أبي حفص سامي بن العربي الاثري، ط٣، دار الفضيلة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. المدخل المدخل لدراسة القرآن الكريم (صـ ١٩).

المطلب الثاني: تعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن:

بعد التعرّف على المفردات التي تكوَّنَ منها مصطلح **تفسير القرآن بالقرآن**، يمكن الآن تعريف هذا المصطلح، والجدير بالذكر أنّ هذا النّوع من أنواع التفسير – مع أهميته البالغة – لم يلق العناية التامّة من أهل العلم بتحرير حدّه وضبط مصطلحه؛ لبيان ما يدخل فيه وما لا يدخل، بل اكتفى الذين كتبوا فيه – سواء في كتب التفسير أو كتب علوم القرآن وأصول التفسير – ببيان صحته وأنه أحسن طرق التفسير، وذكر بعض أنواعه، والتمثيل لها[(١)]، إلاّ في الآونة الأخيرة؛ حيث تعرّض بعض الباحثين الفضلاء لتحرير هذا المصطلح، وبيان حدّه، ونقد الأمثلة عليه[(٢)].

ويرجع سبب عدم وضع العلماء حدّاً مانعاً لهذا المصطلح – كما يقول الدكتور البريدي – إلى أمرين:

الأوّل: الاكتفاء بالتمثيل عن التعريف، وبالمثال يتضح المقال.

الثاني: ارتباطه بمصطلح التفسير، وذلك: أن تفسير القرآن بالقرآن نوع من أنواع التفسير، وجزء منه، فاكتفوا بتعريف الكل عن تعريف الجزء، فمتى تبيّن مصطلح التفسير واتضح يتبيّن معنى تفسير القرآن بالقرآن، وذلك عن طريق تقييده بهذا النوع من التفسير؛ ليخرج بقيّة أنواع التفسير ومصادره، كتفسير القرآن بالسنة، وتفسيره بأقوال السلف، وتفسيره بما ورد في لغة العرب[(٣)].

وقد سبق تعريف التفسير بأنه: **البيان، فتعريف تفسير القرآن بالقرآن اصطلاحاً**: هو: **بيان القرآن بالقرآن**[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي العدد الثاني للدكتور: أحمد بن محمد البريدي ص ١٧، وانظر أيضاً: قواعد الترجيح عند المفسّرين (٢/٣٢٠) للدكتور/ حسين بن علي الحربي، تقديم الشيخ/ مناع بن خليل القطان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار القاسم – الرياض.

(٢) كالشيخ الدكتور: مساعد بن سليمان الطيار في كتابيه: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، وشرحه على مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية، والدكتور: أحمد البريدي في بحثه المنشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي.

(٣) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية ص ١٧، بتصرف واختصار.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ١٨.

إلاّ أنّ المتأمّل في طريقة الذين قصدوا تفسير القرآن بالقرآن وألفوا فيه، يدرك أهم لم يقتصروا على ما فيه البيان فقط للآية، بل ذهبوا إلى ما هو أوسع من البيان؛ فجعلوا ضمن تفسير القرآن بالقرآن كلّ استفادة من آيات القـــرآن، كالاستشـــهاد والاستدلال، وجمع أماكن ورود اللفظة القرآنية، وجمع الآيات المتشابهة في الموضوع الواحد وجمع ما يوهم الاختلاف[1].

ولهذا يمكن تقسيم مصطلح تفسير القرآن بالقرآن إلى قسمين[2]:

الأول: المصطلح المطابق لتعريف تفسير القرآن بالقرآن: وهو ما تحقّق فيـــه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أخرى، ويعبر عنه المفسرون غالباً بلفظي: (بيّن، فسر) ومشتقاهما، ومرادفاهما.

الثاني: المصطلح الموسّع: وهو ما لم يتحقّق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أخرى، وإنما فيه ربط آية بآية آخرى؛ لوجود رابط بينهما في المعنى أو في اللفظ أو في الأسلوب، أو للاستدلال بها على قول في تفسير الآية.

ويدخل في هذا جمع النظائر القرآنية، أو الآيات ذات الموضوع الواحد، أو الاستشهاد بالآيات لتقوية بعض الأقوال أو بيان ضعفها، أو جمع أماكن ورود اللفظ، وغير ذلك.

وهذا التقسيم مفهوم من عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند كلامه عن تفسير القرآن بالقرآن وأنه أصح طرق التفسير[3].

فقوله: « فما أجمل في مكان فقد فسِّر في موضع آخر »، يشير إلى القسم الأول.

---

(١) انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (١٢٨-١٣١)، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط١، ١٤٢٥هـ، دار المحدث، شرح مقدّمة في أصول التفسير لابن تيمية (٢٧٥-٢٧٨)، للدكتور/ مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٨هـ.

(٢) انظر: المصادر السابقة، وتفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية (صـ٣٩).

(٣) في مقدمة التفسير في مجموع الفتاوى (٣٦٣/١٣) لـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية . جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

كما يشير قوله: « وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر »، إلى القسم الثاني؛ إذ كثير من ذلك المختصر يرجع إلى القصص دون غيره، كما هو الحال في قصة آدم وموسى وعيسى وغيرهم ممن تكررت قصصهم في القرآن[1].

وقد سار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان – في أكثر الكتاب- على القسم الأول (المصطلح المطابق لتعريف تفسير القرآن بالقرآن)؛ لذا يعبر فيه غالباً بألفاظ: (لم يبيّن هنا ... وبينه[2]، لم يصرح هنا ... وبيّن[3]، في هذا إجمال ... ويبينه[4]، أبهم هنا.... وبين[5]، ونحو ذلك).

وقد يورد – أحياناً – ما لا يدخل في هذا المصطلح، ويعبر عنه بألفاظ: (وما دلت عليه هذه الآية ... جاء مذكوراً في آيات أخر[6]، أو جاء في آيات كثيرة[7]، أو أشارت إليه آيات أخر[8]، أو دلّت عليه آيات كثيرة[9]، وهذا المعنى مذكور في آيات أخر[10]...).

وممن ذهب من المعاصرين إلى هذا التقسيم في مصطلح تفسير القرآن بالقرآن فضيلة الدكتور: مساعد الطيار –حفظه الله – في كتابه: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، وشرحه على مقدمة أصول التفسير لابن تيمية.

والدكتور أحمد البريدي في بحثه المنشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي بعنوان: تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية.

---

(١) انظر: شرح مقدّمة شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٧٧-٢٧٨).

(٢) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (١/ ٤٧، ٤٩، ٥٦، ٦٧، ٨٨).

(٣) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (١/٦٦، ١٧٥).

(٤) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (١/١٧٦) (٢/١١٩).

(٥) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (٣/٣٥٢)، (٧/٣٣٩، ٤٢٢).

(٦) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (٧/١٤٠).

(٧) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (٤/٦٩١)، (٦/٢٦٧، ٣٣٢، ٤٣٥، ٥١٨، ٧٠١).

(٨) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (٤/٨٦٩)، (٦/٣٧٢).

(٩) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (٦/٥٣١-٥٣٢)، (٧/٢٤٦).

(١٠) انظر في الأضواء – على سبيل المثال – (٤/١٠٦).

وهذا التقسيم هو الذي ينبغي أن يصار إليه؛ وأنّ تفسير القرآن بالقرآن درجات وأنواع فهو يختلف قوةً وضعفاً، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً، ومطابقة ومقاربة، والكل يقدر بقدره، فمتى استفدنا بيان آية من آية أخرى من أي وجه؛ فهو داخل في هذا النوع من التفسير، ويدل عليه صنيع من استخدم هذا الطريق من السلف والمفسرين، فنسمي ذلك تفسير القرآن بالقرآن، ولا نخرجه منه(١).

ولما كان البحث العلمي مفتقراً لضابط يضبطه؛ لمعرفة حدوده وأطرافه؛ كان لا بدّ على من أراد جمع ما كُتب أو قيل في تفسير القرآن بالقرآن، أن يكون عنده ضابط يضبط ذلك؛ لإدخال ما يدخل في مجال البحث، وإخراج ما يخرج منه، وهذا الضابط هو بيان آية أو لفظ أو كلمة لمثلها المفتقرة لذلك، وليس هو بياناً مطلقاً أو أيَّ وجه استفادة من القرآن في التفسير، فهذا ليس فيه ضابط يضبطه بحيث يمكن أن يقال: هذا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن، وهذا لا يدخل فيه، بل يمكن اعتبار كتب (متشابه القرآن)، وكتب (الوجوه والنظائر) وغيرها من كتب تفسير القرآن بالقرآن بسبب التوسع في المصطلح(٢).

ولهذا سرت – في هذا البحث – على القسم الأول (المصطلح المطابق لمعنى البيان)، و لم أورد من أقوال المفسرين ما ليس فيه بيان آية لمثلها، إلاّ على سبيل التمثيل والإشارة إلى أشباهها ونظائرها، والله الموفق.

مع التنبيه على أنّ هذا التقسيم والاختيار بين أقوال أهل العلم في تفسير القرآن بالقرآن وإدخال بعضها في المصطلح المطابق وإبعاد الآخر، مما تفرضه طبيعة البحث – كما سبق –، وليس تطاولاً على هؤلاء العلماء الأعلام والأئمة الأجلاء، كما أنّ ذلك عرضة للأخذ والردّ، وبحاجة لتكرار النظر فيها، فقد يقتصر فهم الباحث عن فهمهم، ولا يدرك مقصدهم من إيرادهم للآية، وذلك كثير، فما لم يتبيّن له وجه بيان

---

(١) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية ص ١٨-١٩، ٣٩.

(٢) انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (صـ١٣٠).

في آية أوردوها في تفسير آية أخرى، توقف، وأسند علم ذلك إلى الله، فالسعيد من عرف قدر نفسه ووقف عندها. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وسيأتي – في المبحث الخامس عند الكلام على أوجه تفسير القرآن بالقرآن – بيان الأوجه والأمثلة التي تدخل في كلّ مصطلح من المصْطَلَحَيْن، والله أعلم.

المبحث الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن.

تنوعت عبارات العلماء في الثناء على تفسير القرآن بالقرآن، وبيان مترلته بين طرق التفسير، فمن قائل: هو أصح أو أحسن طرق التفسير(١)، أو أبلغ التفاسير(٢)، أو أولى التفاسير(٣)، أو أشرف أنواع التفسير(٤)، ومن قائل: خير ما يفسّر القرآن القرآن(٥).

وقد نقل بعض أهل العلم الإجماع على كون تفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير وأشرفها وأعلاها(٦).

كل ذلك لما لهذا النوع من التفسير من الأهمية البالغة، والمترلة العالية، يتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدّمة أصول التفسير: فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، مجموع الفتاوى (٣٦٣/١٣).

وقال ابن الوزير اليماني: « وأصح التفسير تفسير القرآن بالقرآن » إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٩٨٧هـ.

(٢) التبيان في أقسام القرآن (صـ/ ١١١)، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١٠٢٠/٣) -اختصار محمد بن الموصلي — ت: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي - مكتبة أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

ومثل هذا قول الحافظ ابن كثير: « وتفسير الآية بالآية أولى ». تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/٤).

(٤) انظر: أضواء البيان (٨/١)، تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ، طبع: مجمع الفقه الإسلامي، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

(٥) أضواء البيان (٧٩/٢)، (٨٠١/٥)، (١٩٢/٦)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ١٤١) تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ، طبع: مجمع الفقه الإسلامي، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

(٦) انظر: أضواء البيان (٨/١).

١- أنّ قائل الكلام هو أدرى بمعاني كلامه وأهدافه ومقاصده من غيره؛ لذا كان القرآن أول مصدر لبيان تفسيره؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه، فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره.

وقد تكفل الله تعالى ببيان القرآن الكريم وتفصيله، ودلّ على ذلك آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١)، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ (٢)، بل أخبر الله تعالى أنّ القرآن تبيان لكل شيء في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٣)، فإذا كان القرآن فيه بيان وتفصيل كلّ شيء فمن الأَوْلَى أن يكون مبيناً مفصلاً في نفسه إما بكونه جاء من عند الله مبيَّناً مفصَّلاً أصلاً، وإما أن الله جعل بعضه موضِّحاً ومفصِّلاً لبعض(٤).

٢- أنّ تفسير القرآن بالقرآن من أبرز ألوان التفسير التي كان النبي ﷺ يهتم به ويربي أصحابه عليه؛ فكان يفسر بعض الآيات ببعض، خاصة إذا سُئِل عن تفسير آية مشكلة، وما ذلك إلاّ إشارة منه عليه السلام إلى أهمية هذا النوع من التفسير، وسيأتي أمثلة على ذلك عند الكلام على مصادر تفسير القرآن بالقرآن.

٣- اهتمام الصحابة والتابعين وأتباعهم بهذه الطريقة، فقد نقل عنهم من ذلك الشيء الكثير، وفي ذلك كله دليل على أهمية هذا الطريق من طرق التفسير وأنه لا يجوز الانتقال من هذه المرحلة إلى غيرها إذا صح شيء من ذلك.

٤- اهتمام أهل العلم – رحمهم الله – من السلف والخلف بهذه الطريقة، حتّى وضعوا قاعدة في أصول التفسير على أنّ أولَ ما يَرْجِعُ إليه المفسِّرُ لتفسير القرآن هو القرآنُ نفسُه، وقد تنوعت وجوه عناية المفسرين بتفسير القرآن بالقرآن بين مفرد له

---

(١) سورة البقرة: من الآية: ١٨٧ .

(٢) سورة القيامة الآية:١٩.

(٣) سورة النحل: ٨٩.

(٤) انظر: منهج ابن كثير في التفسير (ص ١٨٤)، د . سليمان اللاحم، دار المسلم – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

أو لبعض مباحثه بالتصنيف، وبين مهتم به في ثنايا التفسير، حتى لا تكاد تجد أحداً من المفسرين إلاّ وله اهتمام به قلّ أو كثر.

٥- أنّ القرآن الكريم يتوقف فهم بعضه على بعض، حتى إن كثيرًا منه لا يُفهم معناه حقّ الفهم إلاّ بتفسير موضع آخر، أو سورة أُخرى[١]، فالناظر في القرآن يجد أنّ فيه الإيجاز والإطناب، وفيه الإطلاق والتقييد والعام والخاص، والمجمل والمبيّن؛ فكان لزاماً على من يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر فى القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه فى موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض؛ ليستعين بما جاء مسهباً على معرفة ما جاء موجزاً ويفهم ما جاء مبهماً بواسطة ما جاء مبيناً، وليحمل المُطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن[٢].

٦- أن تفسير القرآن بالقرآن أولى وجوه الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير وأقواها[٣]، فالقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك[٤].

٧- أنّ الاهتمام بتفسير آيات الله بعضها ببعض وحمل ما تشابه منها على ما أُحكم، وتقييد مطلقها على مقيّدها، وتخصيص عامها بخاصّها، بنظر ثاقب، وتجرد عن الأهواء والبدع، يعصم المفسّر - بإذن الله - من الزلل والخطأ في تفسير كتاب الله، ويكفيه الوقوف عند كثير من مشكل القرآن أو مواطن الخلاف بين العلماء في تفسير آياته؛ لورود ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي الغليل بالقرآن نفسه.

---

(١) انظر: الموافقات (٤/٢٧٥)، تصنيف: العلامة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

(٢) التفسير والمفسرون (١/٣١) تأليف الدكتور/ محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٧، ٢٠٠٠م.

(٣) لذا أورده ابن جزي الكلبي في أول وجوه الترجيح الاثني عشر التي ذكرها في مقدمة تفسيره (١/١٦)، وانظر: كتاب: ابن جزي ومنهجه في التفسير (١/٣٦٨)، للدكتور: علي محمد الزبيري، دار القلم، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٤) هذه قاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين، انظرها في قواعد الترجيح للحربي (١/٣١٢-٣١٩) مع أدلتها، وأقوال أهل العلم في اعتمادها.

المبحث الثالث: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن، وحجيّته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن:

ينقسم التفسير باعتبار طريق الوصول إليه إلى قسمين(١):

الأول: ما يكون طريق الوصول إليه الأثر، وهو التفسير بالمأثور.

الثاني: ما يكون طريق الوصول إليه الاجتهاد، وهو التفسير بالرأي.

وقد ذكر كثير من الذين كتبوا في علوم القرآن أو أصول التفسير أنّ تفسير القرآن بالقرآن من أنواع التفسير بالمأثور(٢)، وهذا الإطلاق يحتاج إلى نظر، وقد تصدّى لتحرير ذلك بعض الفضلاء من الذين كتبوا في تفسير القرآن بالقرآن(٣)، وتوصّلوا إلى أنّ لتفسير القرآن بالقرآن طريقين(٤):

الطريق الأول: الوحي وهو توقيفيٌّ لا اجتهاد فيه ولا نظر، ويشمل ما يلي:

١- ما جاء صريحاً وواضحاً في القرآن نفسه، بحيث لا يتنازع فيه اثنان، وقد يكون بعده مباشرة - كما يكون على طريقة السؤال والجواب، أو على طريقة ذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه - أو في موضع آخر.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١٧٢/٢)، فصول في أصول التفسير (صـ ٢٠) للدكتور: مساعد بن سليمان الطيار، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن الجوزي - الدمام، علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير (٢٢٧/٢) للدكتور/ محمد صفا شيخ إبراهيم حقي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

(٢) كالزرقاني في مناهل العرفان (١٢/٢)، والذهبي في التفسير والمفسّرون (١١٢/١) والقطّان في مباحث في علوم القرآن (صـ٣٥٨)، والرومي في كتابيه: دراسات في علوم القرآن (صـ١٥١)، وبحوث في أصول التفسير صـ٧٣)، وغيرهم.

(٣) كالدكتور مساعد الطيار في كتبه: المقالات، ومفهوم التفسير والتأويل، وشرحه على مقدمة ابن تيمية، والدكتور خالد السبت في قواعد التفسير، والدكتور علي الحربي في قواعد الترجيح عند المفسرين، والدكتور أحمد البريدي في بحثه المنشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي، وغيرهم.

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٢٠/٢-٣٢٢)، تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية ص ١٩.

فمثال ما جاء تفسيره بعده مباشرة على طريق السؤال والجواب:

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾[1]، وقوله في آخر السورة: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[2].

ومثال ما جاء تفسيره بعده مباشرة على طريقة ذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه:

تفسير أولياء الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[4].

وتفسير المطففين في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[5]، بما ذكر بعده من الأوصاف: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[6].

ومثال ما فسّر في موضع آخر: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾[7]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[8]

٢- ما جاء عن النبي ﷺ من تفسير آية بآية أخرى، وهذا من باب التفسير بالمأثور؛ لأن القائل به هو النبي ﷺ.

---

(١) سورة القارعة: ١ - ٤

(٢) سورة القارعة: ٩ - ١١

(٣) سورة يونس: ٦٢

(٤) سورة يونس: ٦٣

(٥) سورة المطففين: ١

(٦) سورة المطففين: ٢ - ٣

(٧) سورة النحل: ١١٨

(٨) سورة الأنعام: ١٤٦

ومن أمثلته: ما ورد عنه[1] ﷺ في تفسير قولــه تعــالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2] حيث فسّرها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[3].

الطريق الثاني: الرأي والاجتهاد: وهو أن يعمد المفسّر – اجتهاداً منه – إلى الربط بين آية وآية وجعل إحداهما مبيّنةً وشارحة للأخرى، مما يُغْمَضُ ولا يدركـه كلّ أحد، فهذا من قبيل الرأي والاجتهاد، يخضع للنظر والمناقشة.

ومن أقوى الأدلّة على دخول الاجتهاد والرأي في تفسير القرآن بالقرآن: ما يفعله أهل البدع والأهواء من المعتزلة ومن نحا نحوهم، من حمل بعض الآيات على بعض لتصحيح ما ذهبوا إليه من البدع، وتقرير معتقدهم الفاسد.

ومن أمثلة ذلك:

- اعتبار قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[4] تفسـيراً لقولـه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[5].

كما ذكر ذلك الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[6] ، فذهب إلى أنّ الآية الثانية من المتشابهات تردّ إلى الآية الأولى وتحمل عليها[7]؛ وذلك بناءً على مذهبه الفاسد في نفي رؤية المـؤمنين لربهم تعالى يوم القيامة.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر، (ك: التفسير، باب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾) (برقم:٤٣٥١).

(٢) سورة الأنعام: ٥٩.

(٣) سورة لقمان: ٣٤.

(٤) سورة الأنعام: ١٠٣.

(٥) سورة القيامة : ٢١ – ٢٢.

(٦) سورة آل عمران: ٧.

(٧) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (١/٣٦٥)، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي.

- تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾(1) بقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(2) فقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أنّ الله سبحانه وتعالى متره عن الإتيان والذهاب، وهو من المتشابهات، فيحمل إتيانه هنا على إتيان أمره وبأسه كما جاء ذلك مصرحاً به في الآيات الأخرى(3).

فلما سبق لا يصحّ إطلاق جعل تفسير القرآن بالقرآن من قبيل المأثور أو الرأي.

لكن يمكن الجمع بين قول من يجعل تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور، وقول من يجعله من قبيل التفسير بالرأي، بأنّ من جعله من قبيل المأثور مطلقاً فإنّما نظر إلى المفسَّر به، وهو القرآن الكريم وطريق وصوله إلينا وهو النقل والأثر.

ومن جعله من قبيل الرأي فإنما نظر إلى عمليّة التفسير المعتمدة على الفهم والاجتهاد بين الآيتين وجعل إحداهما مبيّنةً للأخرى، وطريقة وصول المفسّر إلى ذلك، برأيه واجتهاده، وبهذا التفصيل فكلا الرأيين متّجه، والله تعالى أعلم(4).

---

(1) سورة البقرة: ٢١٠ .

(2) سورة النحل: ١.

(3) انظر: الكشاف (١/ ١٨٤)، التفسير الكبير (٣/٢٣٠) (مفاتيح الغيب) لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م. البحر المحيط (٢/ ٣١٣) لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت - ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١ م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي، ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

(4) انظر: شرح مقدمة في أصول التفسير للدكتور: مساعد الطيار ص ٢٧٥، وتفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيليّة ص ٢٠.

المطلب الثاني: حجيّة تفسير القرآن بالقرآن:

يطلق كثير من العلماء – رحمهم الله تعالى – أن تفسير القرآن بالقرآن أصحّ وأحسن طرق التفسير، وهذا الإطلاق ربّما يفهم منه حجيّة تفسير القرآن بالقرآن وقبوله مطلقاً[1]، والواقع خلاف ذلك، إذ لا يقال بحجيّة تفسير القرآن بالقرآن مطلقاً ولا يردُّ مطلقاً، بل له ثلاث حالات ترجع إلى طريق وصوله – كما تقدّم بيان ذلك في المطلب السابق –:

الحالة الأولى: ما هو قطعي وحجّة مطلقاً ويشمل نوعين:

١- ما كان صريحاً وواضحاً في الدّلالة على التفسير بحيث لا يُختلف فيه – مثل ما يأتي بيانه بعده مباشرة أو على طريقة السؤال والجواب، أو على طريقة ذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه وغير ذلك – ، فذلك قطعيّ وحجّة يجب قبوله والأخذ به، ولا يجوز العدول عنه.

٢- ما يصحّ عن النبي ﷺ من تفسير القرآن بالقرآن فهو حجّة كذلك لا يعدل عنه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2]

الحالة الثانية: ما هو مردود مطلقاً: وهو ما كان من قبيل الرأي المذموم المستند على مجرّد الرأي والهوى، بحمل بعض الآيات على بعض وجعلها نظائر لتقرير بدعة أو معتقد فاسدٍ، فهذا حرام وهو مردود مطلقاً، ولا ينظر إلى كون صاحبه فسّر آية بآية، وقد تقدّم أمثلة من هذه الحالة.

الحالة الثالثة: ما كان من قبيل الرأي المحمود: وهو المعتمد على صحة النظر وقوّة الاستنباط، مجرّداً من كلّ هوىً وبدعة، فهذا يحتاج إلى نظر ومناقشة، فمنه المقبول والمردود:

---

(١) بل يوجد في كلام بعضهم التصريح بذلك المفهوم، كقول الذهبي في التفسير والمفسرون (١/١١٤): « أما تفسير القرآن بالقرآن، أو بما ثبت من السُّنّة الصحيحة، فذلك مما لا خلاف فى قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف، ولا يجد الشك إليه سبيلاً »، وأصرح منه قول بعض الباحثين: « وإن من نافلة القول أن نقرر أن تفسير القرآن بالقرآن حجة قطعاً لأن القرآن كله صحيح ». الاختلاف في التفسير حقيقته وأسبابه ص ٤.

(٢) سورة النجم: ٣ – ٤

فقد يكون حمل الآية على الآية الأخرى اجتهاداً مجرّداً خالياً من الهوى والبدعة، لكنه خلاف الراجح؛ لوجود معارض أقوى منه، أمّا إذا توفر فيه الشرط السابق[١] وسلم من المعارض الأقوى منه، فإنه يقبل ويكون مرجّحاً للقول الموافق له على ما خالفه من الأقوال[٢].

مع الإشارة إلى أن الاجتهاد في تفسير القرآن بالقرآن يختلف باختلاف المفسّر الذي ورد عنه، علوّاً ونزولاً، فإن كان المفسّر هو الصحابي جرى عليه ما يجري في حكم تفسير الصحابي، وكذا إن كان المفسّر هو التابعي فحكمه حكم تفسير التابعي؛ لأن تفسير القرآن بالقرآن نوع من التفسير وجزء منه[٣].

ويلخص ما سبق قول بعض أهل العلم: « أما تفسير القرآن بالقرآن فهو لا غبار عليه، ولا اعتراض، وإنما يأتي الغلط من المفسر، بأن يفسر الشيء بما ليس بتفسير له عند التحقيق »[٤].

---

(١) وهو الاعتماد على صحة النظر وقوّة الاستنباط، والتجرّد عن الهوى والبدعة.

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٣٢١-٣٢٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيليّة ص ٢١.

(٤) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير (ص ٨٤) تأليف الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة، مكتبة السنة – القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ.

المبحث الرابع: مصادر تفسير القرآن بالقرآن، وأهم الكتب المؤلفة فيه.

يظهر مما سبق من المباحث المتقدمة أنّ لتفسير القرآن بالقرآن خمسة مصادر:

المصدر الأول: القرآن الكريم:

ويُقْصد به ما جاء بيانه في القرآن نفسه مما هو توقيفيٌّ لا مجال للاجتهاد فيه، ولا يتنازع فيه اثنان، كما يكون على طريقة السؤال والجواب، أو على طريقة ذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه – وقد سبق التمثيل له – فهذا مصدره القرآن الكريم، وأوضح هذا النوع ما يسمى بالبيان المتصل أو ما اتصل به بيانه.

المصدر الثاني: التفسير النبوي:

وهو ما يصحّ عن النبي ﷺ من تفسير بعض الآيات ببعض، فهذا والذي قبله من أعلى مصادر تفسير القرآن بالقرآن، وحكمهما القبول والرجوع إليهما وجوباً – كما سبق -.

ومن أمثلة ما رُوي عنه عليه السلام في هذا الباب:

١- ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [(١)] شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [(٢)] »[(٣)].

٢- وقد سبق أنه عليه السلام فسّر قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [(٤)] [(٥)].

---

(١) سورة الأنعام:٨٢

(٢) سورة لقمان :١٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: ما جاء في المتأولين، برقم:(٦٥٣٨)، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، برقم: (١٢٤).

(٤) سورة لقمان :٣٤.

(٥) انظر: صحيفة (٥٧)، وقد خرجته هناك، وهو صحيح، لذا قال بعضهم: ومن الطرف أنّ النبي ﷺ فسر آيتين في الأنعام بآيتين في لقمان.

٣- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[(١)]، قال: الضرباء، كلّ رجل مع قوم كانوا يعملون بعمله، وذلك بأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[(٢)]، قال: هم الضرباء »[(٣)].

المصدر الثالث: تفسير الصحابة:

فقد اعتنى الصحابة – كما سبق – بتفسير القرآن بالقرآن، وأغلب ما يرد عنهم في ذلك من بيان المجمل، وتبيين الناسخ والمنسوخ (على المصطلح العام)، كما يرد عنهم أيضاً تشبيه الآيات بعضها ببعض وإن لم يكن بينها بيان وتفسير.

ومن أمثلة ما جاء عن الصحابة في ذلك:

١- ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[(٤)] قال: هم الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾[(٥)] قال: ضرباءهم »[(٦)].

٢- وما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[(٧)] فقال: « الشاهد: محمد، ثم قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[(٨)]، والمشهود: يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[(٩)] [(١٠)].

---

(١) سورة التكوير: ٧.

(٢) سورة الواقعة: ٧ - ١٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٤/٢٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٣٠، ٣٤٠٧)، عن سماك بن حرب عن النعمان مرفوعاً إلى النبي، وأورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٧/٥١٦) ، (٨/٣٣٢) معزواً إلى ابن أبي حاتم، وكذا السيوطي في الدر المنثور (١٤/١٧٩) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٤) سورة التكوير: ٧ .

(٥) سورة الصافات: ٢٢.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢٤/٢٤٤) بإسناده عن النعمان بن بشير عنه، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٠٦).

(٧) سورة البروج: ٣.

(٨) سورة النساء: ٤١.

(٩) سورة هود: ١٠٣.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٤/٣٣٥) عن شباك عنه، وعزاه السيوطي في الدر (١٥/٣٣١) إليه وإلى ابن مردويه.

٣-وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾[(١)] قال: « أما الأولى فحين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[(٢)] وأما الآخرة فحين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[(٣)][(٤)].

المصدر الرابع: تفسير التابعين وأتباعهم.

وقد ورد عنهم من ذلك شيء كثير، فمن أمثلة ما ورد عنهم في ذلك:

١- ما رُوي عن مجاهد[(٥)] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[(٦)].

قال: هو الميثاق الذي أخذ عليهم في سورة المائدة ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[(٧)] »[(٨)].

---

(١) سورة النازعات: ٢٥.

(٢) سورة القصص: ٣٨.

(٣) سورة النازعات: ٢٤.

(٤) أخرجه عنه ابن جرير الطبري (٢٠٣/٢٤) من طريق محمد بن سعد العوفي، وهذا الطريق طريق ضعيف عن ابن عباس انظر: كلام الشيخ: أحمد شاكر عليه في تعليقه على تفسير الطبري (٢٦٣/١).

(٥) هو الامام، المفسر ، المقرئ، مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب، روى عن ابن عباس، وأخذ عنه القرآن، والتفسير، والفقه، وروى عن غيره من الصحابة، توفي بمكة سنة (١٠١هـ)، - وقيل غير ذلك - وله ثلاث وثمانون سنة، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤-٤٥٧)، طبقات المفسرين (٣٠٥/٢-٣٠٨) للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مكتبة وهبة – القاهرة، ت: علي محمد عمر.

(٦) سورة البقرة: ٤٠.

(٧) سورة المائدة: ١٢.

(٨) أخرجه السيوطي في الدرّ المنثور (٣٣٨/١) وعزاه إلى ابن المنذر. وقد روي مثل هذا عن قتادة أيضاً كما أورده السيوطي في الدر (٣٣٨/١-٣٣٩). معزوا إلى عبد بن حميد، كما روي مثله عن ابن جريج كما عند الطبري في جامع البيان (٥٥٨/١).

٢- وعن الحسن البصري[1] رحمه الله: أنه كان إذا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[2] قال: « يُلقَى على كل مؤمن ومنافق نورٌ يمشونَ به، حتى إذا انتهوا إلى الصراط طَفِئ نورُ المنافقين، ومضى المؤمنون بنـــورهم، فينـــادونهم: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[3] قال الحسن: فذلك خديعة الله إياهم »[4].

٣- وعن قتادة[5] رحمه الله في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[6]، قال: هو قولـــه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[7][8].

---

(١) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر، كان من ســادات التابعين وكبرائهم، توفي في رجب سنة (١١٠هـ). انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٢/٦٩-٧٣) لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر – بيروت، ت: إحسان عباس. سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣-٥٨٧).

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

(٣) سورة الحديد: ١٣- ١٤.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٣٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٩٥) من طريق سفيان بن حسين، وقد روي مثل هذا عن السدي كما عند الطبري في جامع البيان (٩/٣٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٩٥) وعن ابن جريج، كما عند الطبري (٩/٣٢٩-٣٣٠)، كما سيأتي في صفحة (١٥٤).

(٥) هو الإمام قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، المفسر، ولد سنة ستين، وتوفي بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة ومائة، وله سبع وخمسون سنة، انظـر ترجمته في: طبقات الفقهاء (١/٨٩) لأبي إسحاق الشيرازي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط١، ١٩٧٠م. حققه وقدم له: د. إحسان عباس، تذكرة الحفاظ (١/٩٢-٩٣) للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، طبقات المفسرين للداودي (١/٤٣-٤٤).

(٦) سورة البقرة: ٣٧ .

(٧) سورة الأعراف: ٢٣ .

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/٥٤١) بسنده عن عبد الرزاق عن معمر عنه. وقد روي تفسير الآية بالآية المذكورة عن جمع من التابعين، كسعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٩١)، ومجاهد، وأبو العالية والحسن البصري، وابـــن زيد، روى ذلك عنهم الطبري في جامع البيان(١/٥٤٠-٥٤٥)، وسيأتي ذلك كله – إن شاء الله- عند تفسير الآية.

٤- وعن عبد الرحمن بن زيد[١] رحمه الله، في قول الله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[٢]، قال: زادهم رِجْسًا، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[٣] قال: شرًّا إلى شرِّهم، وضلالةً إلى ضلالتهم »[٤].

منهج الصحابة والتابعين في تفسير القرآن بالقرآن:

لقد كان للسلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم في استعمال هذا الطريق عدة أساليب منها[٥]:

١- النص على معتمد الربط بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة.

٢- الاكتفاء بذكر الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة، دون بيان معتمد الربط بينهما، وهو الأغلب في صنيعهم.

٣- النص على اسم السورة أحياناً، إن كان هناك أكثر من آية.

٤- الإشارة إلى الآية المفسِّرة دون ذكرها.

٥- قراءة الآية المفسِّرة بعد تفسير الآية المفسَّرة.

---

(١) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني العدوي مولاهم، من أتباع التابعين، مات سنة (١٨٢هـ)، انظر: تقريب التهذيب (صـ٣٤٠)، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الرشيد سوريا - حلب، ت: محمد عوامة. طبقات المفسرين (صـ١١) تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، ط١، ١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ت: سليمان بن صالح الخزي.

(٢) سورة البقرة: ١٠.

(٣) سورة التوبة: ١٢٥ .

(٤) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١/٢٨٢) من طريق عبد الله بن وهب.

(٥) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية (صـ٣٠).

المصدر الخامس: كتب التفسير التي اعتنت بتفسير القرآن بالقرآن:

فقد اعتنى أكثر من كتب في التفسير بتفسير القرآن بالقرآن بين مقل ومكثر، وسلكوا في ذلك مسلكين:

الأول: الاهتمام به ضمن كتب التفسير.

الثاني: إفراده بالتأليف والتصنيف، وهو قليل جدا كما سيأتي.

أما في المسلك الأول: فقد اهتم بإيراد تفسير القرآن بالقرآن أكثر المفسرين في ثنايا تفاسيرهم، وعلى رأسهم:

١- إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في كتابه: جامع البيان في تأويل آي القرآن، وهو أشهر من اعتمده من المتقدمين، وتفسير القرآن بالقرآن عنده على نوعين:

الأول: ما يرويه عن السلف من الصحابة والتابعين من ذلك.

الثاني: ما يقوم به هو بنفسه من تفسير القرآن بالقرآن.

٢- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٠هـ) في كتابه: تفسير القرآن العظيم.

ويعتبر هذا التفسير من أكثر كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد[1]، ويتبين ذلك للناظر في تفسيره من أول وهلة حتى قل أن تجد صفحة ليس فيها عبارة: وهو كقوله تعالى، كما قال تعالى.

ولذا قال الشيخ: أحمد شاكر رحمه الله - في منهج اختصاره لتفسير ابن كثير -: «حافظت كل المحافظة على الميزة الأولى لتفسير ابن كثير، الميزة التي انفرد بها عن جميع التفاسير التي رأيناها، وهي تفسير القرآن بالقرآن؛ فلم أحذف شيئاً مما قاله المؤلف الإمام في ذلك»[2].

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/٢٢٨)، مباحث في علوم القرآن (صـ ٣٩٥) للشيخ مناع القطان، مكتبة المعارف – الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (١/١٠) مختصر تفسير القرآن العظيم للعلامة المحقق أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، أعده أنور الباز.

وقد استفاد من منهجه في ذلك جمع من المفسرين الذين جاءوا بعده، كالقاسمي، والشنقيطي.

وقد سلك الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن بالقرآن مسالك عديدة منها[1]:

١- الإكثار - كما سبق - من إيراد الآيات والاستشهاد بها عند تفسير آية، حتى ولو كان بينها شيء قليل من التناسب، أو كان التشابه فيها من بعض الوجوه.

٢- ينقل ما يروى عن السلف في تفسير القرآن بالقرآن، ولا يكتفي بمجرد النقل بل يناقشها - أحياناً - ويردها.

٣- يذكر لكل قول في الآية ما يؤيده ويفسره؛ لقوة كل من القولين في نظره، وصحة أن يكون كلا منهما مراداً، أما إذا كان أحد القولين راجحاً على غيره في نظره، لا يستشهد له.

٤- أنه لا يكتفي - أحياناً - بذكر الآية المفسِّرة بل يفسرها أيضاً، وربما فسرها بآية ثالثة.

(١) انظرها والأمثلة عليها في: منهج ابن كثير في التفسير (صـ٢٠٦-٢٠٩).

المسلك الثاني: إفراده بالتأليف والتصنيف:

لم يفرد تفسير القرآن بالقرآن بالتأليف – حسبما وصلتُ – إلاّ في هذه العصور المتأخرة[1]، وقد وقفت على أسماء ثمانية مؤلفات في ذلك[2].

١- **مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن**، للأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني[3] (ت: ١١٨١هـ).

وهذا الكتاب نسبه الشوكاني[4] ومن تبعه لابْن المؤلف إبراهيم، وقد تصدّى للرد على ذلك محققوا الكتاب، وأنه وهم من الشوكاني[5].

وقد صدر جزء من هذا الكتاب عن مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية، بتحقيق هدى بنت محمد بن سعد المقاطي – رحمها الله –، وقدم لها العلامة المؤرخ المحقق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع.

وفيه دراسة عن الصنعاني، وتحقيق جزء من تفسيره، حيث بدأ بتفسير سورة الفاتحة والبقرة إلى الآية ٢٢٨منه، ثم فسر مقتطفات من مجموعة سور.

---

(١) ولا يبعد أن يكون ألف فيه مؤلفات خاصة قبل هذه العصور لكن لم تصلنا، قال ابن الوزير اليماني: « تفسير القرآن بالقرآن وذلك حيث يتكرر في كتاب الله تعالى ذكر الشيء ويكون بعض الآيات أكثر بياناً وتفصيلاً، **وقد جمع من هذا القبيل تفسير مفرد ذكره الشيخ تقي الدين في شرح العمدة** » إيثار الحق على الخلق (١/١٥٠).

(٢) وأعني بها: المؤلفات التي صدرت بهذا الاسم (تفسير، إيضاح، بيان القرآن بالقرآن) سواءٌ كانت اسماً على مسمى، أولا.

(٣) وهو محمد بن إسماعيل بن صلاح المعروف بالأمير الصنعاني، صاحب التصانيف الكثيرة، ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة (١٠٩٩هـ)، وتوفي في شعبان سنة (١١٨٢هـ). انظر ترجمته في: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١٢٧/٢)، لمحمد بن علي الشوكاني ، تحقيق : خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٥١٣/١). تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م. ت: المحقق : إحسان عباس.

(٤) في كتابه: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢٩٢/١)، وتبعه البغدادي في: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٥٢٠/٤)، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٤٠/١)

(٥) انظر: مفاتح الرضوان الجزء الذي حققه د. عبد الله الزهراني (صـ٣١-٣٧) وقد ذكر ثمانية أمور تؤيد صحة نسبة الكتاب للصنعاني، وينظر: الجزء الذي حققه الشيخ/ أمين المزيني (صـ٢٨) .

وأول من بدأ في تحقيق الكتاب الدكتور/ عبد الله بن سوقان الزهراني، في أطروحته للماجستير في الجامعة الإسلامية عام ١٤١٠هـ، وقد حقق سور: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم، كما حقق الشيخ/ أمين بن عائش المزيني في أطروحته للماجستير في الجامعة الإسلامية ١٤٢٨هـ من أول سورة لقمان إلى نهاية سورة الصافات، وحقق الشيخ/ حامد مرزوق المطيري من أول سورة ص إلى نهاية سورة الدخان، ويقوم الدكتور عبد الله الزهراني بتحقيق جزء من الكتاب من سورة الأحقاف إلى الآية الثالثة والعشرين من سورة الفتح، وهو نهاية الموجود من الكتاب(١).

وقد سلك ابن الأمير الصنعاني في تفسيره مسلكين:

الأول: حيث بدأ في تفسيره بتفسير سورة الفاتحة آية آية، ثم انتقل إلى سورة البقرة مفسراً منها الآيات المائة والسبع الآيات الأولى آية آية، وكذلك ما فسره في السور المشار إليها في تحقيق المشايخ الثالاث، كما هو نهج أكثر المفسرين.

الثاني: انتقاء آيات معينة وتفسيرها لما تشتمل عليه من موضوعات(٢)؛ حيث يجمع آيات القرآن الخاصة بالموضوع الواحد والتي تتفرق بين سور القرآن وربما توزعت في السورة الواحدة، وذلك أقرب إلى أسلوب التفسير الموضوعي(٣).

٢- **فتح الرحمن في تفسير القرآن بالقرآن**(٤)، لإبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني(٥) (ت ١٢١٣هـ).

---

(١) ذكر هذه المعلومة الشيخ/ حامد المطيري في تحقيقه للكتاب (ص ٤).

(٢) وهي: آية ٢٢٨ من البقرة، بعض آيات سورة النساء، آيات من الأعراف والأنبياء، والحج.

(٣) انظر: تفسير ابن الأمير الصنعاني بتحقيق هدى المقاطي- القسم الدراسي (١/٢٩٤-٢٩٥).

(٤) وقد سبق أنّ بعض المصنفين سموا تفسيره باسم تفسير والده، أو نسبوا تفسير والده له، لكن الصحيح أن هذا اسم تفسيره، وهو المكتوب على غلاف المخطوطة، انظر: كلام الدكتور/ عبد الله الزهراني حول هذا في تحقيقه لمفاتح الرضوان (ص٤١)، وممن نسب هذا الكتاب بهذا الاسم له الزركلي في الأعلام (١/٦٩).

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن اسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، ولد سنة (١١٤١هـ)، رحل إلى مكة واستوطن بها، وتوفي في شوال سنة (١٢١٣هـ)، انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/٢٩١-٢٩٢)، معجم المؤلفين (١/٨٦)، تراجم مصنفي الكتب العربية- عمر رضا كحالة-مكتبة المثنى- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

وهذا كتاب خاص بتفسير القرآن بالقرآن كما يفهم من مقدمة الكتاب وكما يفهم من اسمه، ولا يذكر الآثار – مثل والده- إلا استطراداً، ولم يؤلفه تكملة لتفسير والده، بل بدأ من أول القرآن، وفسر مائة وثلاثاً وعشرين آية في قرابة خمسمائة ورقة[1].

٣- **تفسير القرآن بكلام الرحمن**، لأبي الوفاء ثناء الله الهندي الأمرتسري[2].

وقد طبع هذا الكتاب في مجلد واحد (٧٧٨ صفحة) بدار السلام للنشر والتوزيع، بتقديم ومراجعة:صفي الرحمن المباركفوري، وخرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، وهذا التفسير من أوسع كتب التفاسير في الاستشهاد بالآيات[3]، فقد يستشهد بآية على كل مقطع أو جملة أو كلمة من الآية المفسَّرة، ولأدنى شبه بين الآيتين سواء في اللفظ أو المعنى أو الأسلوب، وربما كرر الآية المستشهد بها عند كل مقطع من الآية المفسَّرة، كما أنه لا يتعرض لوجه البيان والاستشهاد بالآية، وإنما يكفي لإيراد الآية بالتعليل بقوله: لقوله تعالى، وقد يخفى – أحياناً – وجه الاستشهاد في بعض ما يورده من الآيات على تفسير الآية[4]، وربما كان المعنى الذي يستشهد بالآيات عليها مخالفاً لأقوال المفسرين في الآية[5].

---

(١) نقلت هذه المعلومة من كلام الدكتور/ عبد الله الزهراني في تحقيقه لمفاتح الرضوان (صـ٤٢).

(٢) هو أبو الوفاء ثناء الله ابن الشيخ محمد خضر الهندي الأمرتسري ولد عام (١٢٨٥هـ)، له العديد من المؤلفات أكثرها في الرد على المبتدعة، انتقل بعد تقسيم الهند إلى (كوجرانواله) بباكستان، وتوفي عام (١٣٦٨هـ). انظر ترجمته في مقدمة تفسيره (ص ٩ – ١٦) بقلم الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري، وفي: نيل السائرين في طبقات المفسرين (صـ٤٤٥).

(٣) وأقصد بذلك الاستشهاد بالقرآن على كل مقطع أو جملة من الآية، وإلا فإيراد الآيات الكثيرة ومحاولة الاستقصاء في ذلك عند غيره، كالصنعاني وابن كثير.

(٤) كما استشهد على تفسير الصلاة الوسطى بأنه العصر بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ النبأ: ٩ – ١١ .

(٥) انظر تفسيره (صـ ٢٩)، فقد استشهد على تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بقوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ النساء: ٤٣، وقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة: ١٨٤.

٤- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للعلامة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)[(١)].

وهذا الكتاب أشهر من أن يُعَرَّف، فهو فريد في بابه، وأفضل ما وضع في مجاله، وهو كما يقول عنه بعض العلماء: ((مدرسة كاملة يتحدث عن نفسه))؛ وذلك لما لمؤلفه من مكانة علمية بارزة في شتى العلوم كالتفسير والفقه والأصول والعربية وغيرها.

وقد وضع مؤلفه مقدمة نافعة تناول فيها جملة كبيرة من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، و لم يؤلف هذا الكتاب على نهج المفسرين بتفسير القرآن كله آية آية، وإنما اقتصر على الآيات التي ورد إيضاحها في القرآن نفسه، مع تركه لتفسير بعض الآيات، وإحالته أحياناً على ما سبق تفسيره من الآيات.

ومن أبرز ما امتاز به هذا الكتاب عن كتب تفسير القرآن بالقرآن: ذكر وجه بيان الآية بالآية، ووجه إيراده لها، كذلك التعبير بالألفاظ الدالة على مراده من إيراد الآية، فإن كان البيان عبر عنه بذلك، وإن كان الجمع بين النظائر وتأكيد معنى الاية بها عبر بما يفهم منه ذلك، ولا يكتفي – كما يفعله أكثر المفسرين – بالقول: كقوله تعالى، كما قال تعالى...، ونحوها.

وقد وصل الشيخ في تأليف الكتاب إلى آخر سورة المجادلة ثم وافته المنية، فأتمه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم – رحمهما الله رحمة واسعة.

---

(١) وهو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد رحمه الله عام (١٣٢٥هـ) كانت له مكانةٌ علمية عالية في فنون مختلفة، حيث برع في التفسير والفقه والأصول والنحو والأدب وغيرها، توفي – بعد حياة مديدة حافلة بالتأليف والتدريس والإفتاء – ضحى يوم الخميس السابع عشر من شهر ذي الحجة عام (١٣٩٣هـ) بمكة المكرمة بعد انتهاء فريضة الحج، وصلى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – في الحرم المكي بعد صلاة الظهر، ودفن في مقبرة المعلاة بمكة المكرمة.

انظر ترجمته: بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم، وهي مطبوعة في آخر أضواء البيان، وترجمته للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة، الخبر المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف د. عبد العزيز صالح الطويان مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

وقد حظي هذا الكتاب بعناية الباحثين والدارسين، فجمعت ترجيحات الشيخ التفسيرية فيها في ثلاث رسائل علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما جمعت اختياراته الفقهية في رسالتين علميتين في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية.

كما دُرِس منهجُ الشيخ فيه في رسالة علمية بعنوان: العلاّمة الشنقيطي مفسراً، للدكتور/ عدنان بن محمد آل شلش، وطبع بدار النفائس بالأردن.

وقد اختصر الكتابَ الأستاذُ الدكتور: سيد محمد ساداتي الشنقيطي، فحذف منه ما يتعلق بمناقشة الأحكام الفقهية، واكتفى فيه ببيان معاني الآيات التي فسرها الشيخ وفق منهجه سواء كان التفسير بنصوص القرآن أو الأقوال اللغوية والشواهد الشعرية التي تجلي حقيقة معنى الآية مع إيضاح رأي الشيخ في المسائل التي تتعلق بالموضوعات ذات العلاقة في الآية والاقتصار على ذلك باعتباره أبرز ما يحتاج إليه عامة الناس، وقد طبع هذا المختصر في مجلد واحد ضخم في ١٤٩٦صفحة، باسم: **تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان**[(١)].

كما كتب الدكتور/ حسن بن علي العواجي – حول هذا الكتاب – كتاباً سماه: البيان لمواضع الآيات المفسّرة في أضواء البيان، وهو بمثابة فهرسة لتحديد مكان تفسير الآية أو جزئها منه، ولتحديد مواضع الإحالات التي أحال إليها الشيخ[(٢)].

٥- **تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار وبالأسلوب الحديث**، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن القاسم (ت ١٤٢٩/٧/٧هـ).

وهو كتاب مطبوع في ست مجلدات، وقدَّم له الشيخ العلامة صالح الفوزان، قائلاً عنه: « .. وهو اسم يطابق مسماه؛ فقد قرأت مواضع منه فأعجبني إلمامه بتلك النواحي فهو تفسير قيم يعتبر لبنة في بناء البيان لكتاب الله ﷻ»[(٣)].

---

(١) انظر: مقدمة تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان (صـ٦)، أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الفضيلة – الرياض، دار الهدي النبوي بمصر المنصورة.

(٢) انظر: مقدمة البيان لمواضع الآيات المفسرة في أضواء البيان (صـ٤) إعداد وترتيب: أبي أسامة حسن بن علي العواجي، دار الإيمان – اسكندرية.

(٣) تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار وبالأسلوب الحديث (صـ٥).

ومنهج المؤلف فيه أن يورد جملة من الآيات المراد تفسيرها، ثم يذكر جمعاً من الآيات المشابهة لها في المعنى والموضوع، وكذلك الأحاديث والآثار الواردة فيها، ثم يبدأ في تفسيرها.

وقد تميز الكتاب بسلاسة الأسلوب ووضوح المعنى والتنبيه على بعض الأمور المعاصرة التي شملتها بعض الآيات القرآنية .

٦- **التفسير القرآني للقرآن**، تأليف: عبد الكريم محمود الخطيب، وهو معاصر توفي قبل سنوات.

ويؤخذ على الكتاب اعتماد مؤلفه فيه على عقله فنحى منحى المدرسة العقلية، ومال للتأويل، ويردُّ بعض أخبار الآحاد التي تعارض القرآن حسب وجهة نظره كسحر النبي ﷺ، وبعض أخبار المعراج وبعض علامات الساعة الكبرى، فجاء تفسيره مغايراً للمعنى المعروف للتفسير، وبعيداً عن الأسلوب العلمي المعروف في تفسير القرآن بالقرآن[(١)].

٧- **الهداية والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن**، تأليف: أبي زيد محمد.

وهذا الكتاب – وإن اختار مؤلفه له هذا الاسم – إلاّ أنه وكتابه أبعد ما يكونان منه؛ إذ جمع فيه الكثير من إلحاده ووساوسه وأوهامه، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في مصر حين صدوره، ومنع من التداول واختفى عن أعين الناس، وقد ذكره الذهبي كنموذج للتفسير الإلحادي للقرآن الكريم، ولم يطلع عليه إلا بصعوبة بالغة[(٢)].

٨- ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم، للدكتور / ملفي بن ناعم الصاعدي، وهو بحث منشور له في مجلة الجامعة الإسلامية (العدد ١٣١، لعام ١٤٢٦هـ).

---

(١) وقد نقد هذا الكتاب في منهجه العقلي غير واحد من العلماء والباحثين؛ فقد وصفه فضيلة شيخنا الدكتور/ محمد بكر عابد بالجرأة والمخالفات الخطيرة، انظر: دراسات في التفسير وعلوم القرآن لفضيلته (ص١٥).

وقد تعرض – حفظه الله - لبعض هذه المخالفات، كما تعرض لبعضها وفنّدها الدكتور/ محمد بن عبد الله بن الصديق الشنقيطي – المفتي بدائرة القضاء الشرعي بأبو ظبي – في بحث له بعنوان: " غرائب المفسرين في القرن العشرين ".

(٢) انظر: التفسير والمفسرون (٩٢/٣)، وقد تكلم على هذا التفسير أيضاً الدكتور فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (١٣١٦/٣).

المبحث الخامس: أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

المقصود بأوجه تفسير القرآن بالقرآن: وجه العلاقة والارتباط بين الآيتين المفسَّرة والمفسِّرة، ويطلق عليها بعض العلماء والباحثين مصطلح: أنواع تفسير القرآن بالقرآن كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – في أضواء البيان.

وقد تكلّم على هذه الأوجه أكثر الذين كتبوا في تفسير القرآن بالقرآن بين مقلٍّ ومكثرٍ في إيرادها؛ وذلك نظراً إلى المصطلحين في تفسير القرآن بالقرآن الموسَّع والمطابق.

وممّن توسّع في ذكرها الشّيخ الشنقيطي في مقدّمة أضواء البيان؛ حيث ذكر قرابة خمسة وعشرين نوعاً ثم قال: « وقد تضمّن القرآن أنواعاً كثيرة جدّاً من بيان القرآن بالقرآن غير ما ذكرنا، تركنا ذكر غير هذا خوف إطالة الترجمة »[(١)]- وقد نقل أغلب هذه الأنواع واختصرها الشيخ خالد السبت في قواعد التفسير[(٢)] -، وممّن توسع أيضاً في ذكر أوجه تفسير القرآن بالقرآن: الدكتور محمد البريدي في بحثه المنشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي حيث تحصّل له تسعة عشر وجهاً[(٣)].

والمتأمّل في هذه الأوجه يدرك أنها تنقسم إلى قسمين، وهو ما تقدّمت الإشارة إليه من تقسيم مصطلح تفسير القرآن بالقرآن إلى مصطلح مطابق لمعنى التفسير، ومصطلح موسّع يدخل فيه جملة كثيرة من الأنواع – كما تقدّم.

مع التنبيه على أمور:

١- أنّ إدخال بعض هذه الوجوه في أحد المصطلحين، اجتهاد قد يخطئ فيه الباحث وقد يصيب.

---

(١) أضواء البيان (١/٣٨).

(٢) انظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة (١/١١٠- ١٢٩) للدكتور/ خالد بن عثمان السبت، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن عفان – القاهرة.

(٣) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية للدكتور: أحمد البريدي بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (العدد الثاني – ذو الحجة ١٤٢٧هـ

٢- أنّ ذلك ليس فيه أدنى تنقّص لقدر هؤلاء الأئمة الأجلاء، فكل ما في المصطلحين يعتبر من تفسير القرآن بالقرآن، وكل له الفائدة الكبيرة في تفسير كلام الله.

٣- أنّ التمثيل على الأوجه إنما هو لمجرد إعطاء تصور عنها، وتوضيحها، دون البحث والتحرير والتقرير.

والله تعالى أعلم.

أولاً: الأوجه الداخلة في المصطلح المطابق لتعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن:

الوجه الأول: حمل المجمل على المبيِّن:

المجمل في اللغة: من الجمل وهو الجمع، يقال: أجملت الشيء إجمالاً: جمعته من غير تفصيل[1] والمجمل من الكلام: الموجز[2].

وفي الاصطلاح: ما لم تتضح دلالته.[3] ، أو: هو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجح لواحد منهما أو منها على غيره[4].

والمبيِّن: لغة: اسم فاعل من: بيَّن، يبيِّن، بياناً، فهو مبيِّنٌ ومبيَّنٌ، أي أظهره ووضحه[5]، وفي الاصطلاح: هو ما يزيل الإشكال[6].

وبيان المجمل في القرآن الكريم على نوعين: البيان بالمتصل، والبيان بالمنفصل.

فالبيان بالمتّصل: هو الذي يأتي تفسيره بعده مباشرة سواء كان في الآية نفسها أو في آية مستقلة بعدها، وقلّما يتعرّض له المفسرون، حتّى الذين ألفوا في تفسير القرآن

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (جمل) (٢/١٩٣)، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ، بتصحيح مصطفى السقا، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، في سنة ١٣٦٩هـ.

(٢) المعجم الوسيط (جمل) (صـ٢٨٤) مجمع اللغة العربية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (صـ ٦٣٩)، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ، ت: د. محمد رضوان الداية، الإتقان في علوم القرآن (١٤٢٦/٤).

(٤) أضواء البيان (٣٩/١).

(٥) انظر: (مادة بين) في: مختار الصحاح(صـ ٧٣)، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. تحقيق: محمود خاطر، لسان العرب (١٣/ ٦٢).

(٦) أضواء البيان (٤١/١).

بالقرآن[1]، وقد كتب فيه الدكتور ملفي الصاعدي بحثاً ونشر في مجلة الجامعة الإسلامية، بعنوان: **ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم.**

ومن أمثلة هذا النوع: قوله جلّ شأنه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[2]، فقوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان لما أجمل قبله.

والبيان بالمنفصل: هو الذي يقع فيه الانفصال بين المبيِّن والمبيَّن[3].

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[4] فقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ مجمل، وبينه الله سبحانه بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾[5]

وينقسم الإجمال من جهة الاشتراك في اللفظ إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الاشتراك في الاسم:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[6]، فإن العتيق يطلق بالاشتراك على القديم، وعلى المعتق من الجبابرة، وعلى الكريم، وقد دلّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[7]، على أن العتيق في الآية بمعنى: القديم الأول[8].

---

(١) انظر: ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم للدكتور: ملفي الصاعدي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ١٣١، سنة ١٤٢٦هـ

(٢) سورة البقرة: ١٨٧

(٣) قواعد التفسير (١/١١١).

(٤) سورة المائدة: ١

(٥) سورة المائدة: ٢.

(٦) سورة الحج: ٢٩

(٧) سورة آل عمران: ٩٦

(٨) انظر: أضواء البيان (١/١٠).

النوع الثاني: الاشتراك في الفعل:

مثاله قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1]، فقوله: يعدلون: مشترك بين قولهم عدل به غيره إذا سواه به، وبين قولهم عدل بمعنى مال وصدّ، ويدلّ للأول قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] [3].

النوع الثالث: الاشتراك الحرف:

ومثاله قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4]، فإن الواو في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾، محتملة في الحرفين أن تكون عاطفة على ما قبلها، وأن تكون استئنافية، ولكنه بيّن في سورة الجاثية في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[5]، أن قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ﴾ معطوف على قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وأن قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو ﴿غِشَٰوَةٌ﴾؛ فيكون الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على خصوص الأبصار[6].

---

(١) سورة الأنعام: ١.

(٢) سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨ .

(٣) المصدر السابق (١/١١) بتصرف واختصار.

(٤) سورة البقرة: ٧.

(٥) سورة الجاثية: ٢٣

(٦) المصدر السابق (١/١١-١٢) بتصرف واختصار.

الوجه الثاني: حمل المبهم على الواضح:

المبهم: لغة: من أبهم الأمر: أي: خفي وأشكل، وأبهم الباب أغلقه، فمعناه يدور على الخفاء والاستغلاق، يقال: طريق مبهم، إذا كان خفيّاً لا يستبين(١).

واصطلاحاً: الألفاظ المذكورة في القرآن الكريم على وجه الإشارة، من غير تصريح بأسماء أعيانها(٢)، وهو أعمُّ من المجمل، فكلُّ مجمل مبهم، وليس كلّ مبهم مجملاً(٣).

والمبهمات في القرآن على نوعين:

الأول: مبهم لم يدلّ دليل على تعيينه - من قرآن أو سنة أو أقوال الصحابة الذين شاهدوا التتريل، وعرفوا التأويل، - فيجب إبقاؤه على إبهامه، لأن تعيينه لا يعود بكبير فائدة على المكلفين؛ لأنه لو تعلق به حكم شرعي لبينه الله(٤).

ومن أمثلة هذا النوع: إبهام نوع الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام، ولون كلب أصحاب الكهف، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام .

والثاني: مبهم بُيِّنَ في موضع آخر سواء في القرآن وهو المراد هنا، أو في السنة، أو في أقوال الصحابة الذين شاهدوا التتريل، فيحمل المبهم على الواضح ويعيَّن فيه(٥).

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٦)؛حيث أبهم المرجون لأمر الله ووضحتها الآية الأخرى بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ

---

(١) انظر: مختار الصحاح (صـ ٦٥)، لسان العرب (٥٦/١٢)، المعجم الوسيط (صـ ١٥٥).

(٢) الكليات للكفوي (صـ ٣٣) معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، علوم القرآن بين البرهان والاتقان دراسة موازنة (صـ ١٧٢) د. حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان — المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٣) انظر: أضواء البيان (٣٩/١).

(٤) انظر: قواعد التفسير (٧٢١/٢)، تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية ص ٤٦، تفسير التابعين (٨٩٩/٢) عرض ودراسة مقارنة، تأليف الدكتور/ محمد بن عبد الله بن علي الخضيري، دار الوطن.

(٥) انظر: المصادر السابقة.

(٦) سورة التوبة: ١٠٦

إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1]، فوضحت هذه الآية بأنهم الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك[2].

والإبهام في القرآن على ستة أنواع[3]:

النوع الأول: إبهام في اسم جنس[4] مجموع:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[5]، فقد أبهم الكلمات هنا وبيّنها في قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[6].

النوع الثاني: إبهام في اسم جنس مفرد:

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[7]، فقد بينها بقوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[8].

النوع الثالث: إبهام في اسم جنس جمع:

ومثاله: قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[9]، فقد أبهم القوم هنا، ولكنه بيّنه في موضع آخر بأنهم بنوا إسرائيل، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[10].

---

(١) سورة التوبة: ١١٨

(٢) تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية ص ٤٦.

(٣) انظر هذه الأنواع والأمثلة عليها في أضواء البيان (١/١٦-١٧).

(٤) اسم الجنس: ما وضع لأن يقع على شيء وشبهه كالرجل فإنه وضع لكل فرد خارجي على سبيل البدل من غير اعتبار تعينه. التعريفات (صـ٤١) علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري. التعاريف للمناوي (صـ ٦٣).

(٥) سورة البقرة: ٣٧

(٦) سورة الأعراف: ٢٣

(٧) سورة الزمر: ٧١

(٨) سورة السجدة: ١٣

(٩) سورة الأعراف: ١٣٧

(١٠) سورة الشعراء: ٥٩

الرابع: إبهام في صلة الموصول:

ومثاله: قول الله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾(١)، فقد أبهم هنا هؤلاء الـــذين أنعم عليهم، لكنه بيّن المراد هم بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾(٢).

الخامس: إبهام في معنى حرف:

ومثاله: قول الباري ﷻ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم ﴾(٣)، فلفظة "من" هنا للتبعيض، ولكن هذا البعض المأمور بإنفاقه مبهم هنا، وقد بيّنه الله في قولـــه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ﴾(٤).

السادس: الإبهام الواقع بسبب احتمال في مُفسر الضمير.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴾(٥)؛ فإن الضمير يحتمل أن يكـــون عائداً إلى الإنسان، وأن يكون عائداً إلى رب الإنسان المذكور في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾(٦)، ولكن النظم الكريم يدلّ على عوده إلى الإنسان، وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٧)؛ فإنه للإنسان بلا نزاع(٨).

---

(١) سورة الفاتحة: ٧

(٢) سورة النساء: ٦٩

(٣) سورة المنافقون: ١٠.

(٤) سورة البقرة: ٢١٩

(٥) سورة العاديات: ٧

(٦) سورة العاديات: ٦

(٧) سورة العاديات: ٨

(٨) أضواء البيان (١٦/١).

الوجه الثالث: حمل العام على الخاص:

العام في اللغة: اسم فاعل من العموم، وهو الشمول والإحاطة، يقال: عَمَّ الشيء يعُمُّ بالضم عُمُوماً أي شمل؛ فالعام: هو الشامل المحيط بأكثر من واحد[(١)].

وفي الاصطلاح: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له دفعة بوضع واحد من غير حصر[(٢)].

والخاص في اللغة: ضد العام[(٣)]، يقال: خصه بالشيء يخصُّه خصّاً أفرده به دون غيره، ويقال اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد[(٤)].

وفي الاصطلاح: هو اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر[(٥)].

والمرد بحمل العام على الخاص في هذا الموضع: أن تأتي آية عامة، وتخصِّصُها آية أو آيات أخرى[(٦)]، فتكون الآية أو الآيات المخصِّصَة مبينةً ومفسِّرةً للآية العامّة.

وهذا هو القسم الثالث من أقسام العام في القرآن، وهو العام المخصوص، وأمثلته في القرآن كثيرة جدّاً[(٧)].

---

(١) انظر: (مادة: عمم) في: القاموس المحيط (١/ ١٤٧٣)، مختار الصحاح (صـ ٤٦٧)، المعجم الوسيط (صـ ١٦٦)،

(٢) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (صـ ٣١٨) للشيخ/ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ، وانظر: قواعد التفسير (١/٥٤٧).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (مادة خصص) (١/ ٤٤٣٤) تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، طبعة حكومة الكويت ، ت: مجموعة من المحققين.

(٤) لسان العرب (مادة: خصص) (٧/ ٢٤).

(٥) مباحث في علوم القرآن للشيخ: مناع القطان (صـ٢٣٢)، دراسات في علوم القرآن الكريم (صـ٤١٨) للأستاذ الدكتور: فهد الرومي، ط١٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٦) انظر: تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه (صـ ٤١)، تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتبة التوبة – الرياض.

(٧) انظر: أقسام العام في: الإتقان في علوم القرآن (٤/١٤١٤-١٤١٧)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن (٥/٨٦-٩٠)، للإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية، مركز بحوث الكتاب والسنة – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

والمخصص نوعان: متصل ومنفصل.

النوع الأول: المتصل: وهو الذي لم يفصل فيه بين العام والمخصِّص له بفاصل[1]، وهو خمسة أنواع هي[2]:

١- الاستثناء: وهو: قول ذو صيغة متصل يدل على أن المذكور معه غير مراد بالقول الأول[3].

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[5].

٢- الصفة: والمراد بها هنا الصفة المعنوية، لا مجرد النعت المعروف عند النحاة[6]. فهو – إذاً – كلُّ ما أشعر بمعنى يتصف به أفراد العام، سواء كان الوصف نعتاً، أو عطف بيان، أو حالاً؛ وسواء كان مفرداً، أو جملةً، أو شبه جملة[7].

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[9].

---

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٢.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٤١٧١٤١٨/٤)، الزيادة والإحسان في علوم القرآن (٥/٩٥-٩٦)، مباحث في علوم القرآن (صـ ٢٣٢)، دراسات في علوم القرآن الكريم (صـ ٤٢٠).

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر (صـ ٢٥٢)، للإمام: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، ط٢، ١٣٩٩هـ، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.

(٤) سورة النساء: ٢٤

(٥) سورة القصص: ٨٨

(٦) انظر: إرشاد الفحول للإمام الشوكاني (صـ ١٥٣).

(٧) انظر: قواعد التفسير (٢/ ٦١٤)، دراسات في علوم القرآن الكريم (صـ ٤٢٠).

(٨) سورة النساء: ٢٣

(٩) سورة النساء: ٢٥

٣- **الشرط**: والمقصود به هنا الشرط اللغوي، وهو تعليق مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى[١].

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾[٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾[٣].

٤- **الغاية**: وهي: نهاية الشيء المقتضية لثبوت الحكم قبلها، وانتفائه بعدها[٤].

ولها لفظان هما: (حتى) و (إلى)[٥].

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[٦].

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[٧].

٥- بدل البعض من الكلّ:

ومن أمثلته: قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٨].

النوع الثاني: المنفصل: وهو أن يكون المخصِّصُ آيةً أخرى في محلّ آخر غير متصل باللفظ العام[٩].

ومن أمثلته: قول الباري جلّ ثناؤه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[١٠]، فهو عام في كل مطلقة، إلا أنه خصّ الآيسات والحوامل في قوله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ

---

(١) قواعد التفسير (٢/ ٦١٢).

(٢) سورة البقرة: ١٨٠

(٣) سورة النساء: ١٢

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني (صـ ٣٣١) ، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن بدران الدمشقي ١/ ٢٥٧، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ، ت: محمد أمين ضناوي.

(٥) المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة.

(٦) سورة البقرة: ١٩٦

(٧) سورة المائدة: ٦

(٨) سورة آل عمران: ٩٧

(٩) انظر: الاتقان في علوم القرآن (١٤١٨/٤)، دراسات في علوم القرآن الكريم (صـ ٤٢٢).

(١٠) سورة البقرة: ٢٢٨

مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ﴾[1]، كما خصّ غير المدخول بها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[3]، خُصَّ من الميتة السمك بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ﴾[4].

(١) سورة الطلاق: ٤

(٢) سورة الأحزاب: ٤٩

(٣) سورة المائدة: ٣

(٤) سورة المائدة: ٩٦

الوجه الرابع: حمل المطلق على المقيَّد:

المطلق: لغة: اسم مفعول من أطلق يطلق إطلاقاً، من فعل طلق: قال ابن فارس رحمه الله: « الطاء واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ مطّرد واحد، وهو يدلُّ على التَّخلية والإرسال ».[1] يقال أطلق الأسير أي خلاه، وأطلق الماشية أرسلها إلى المرعى أو غيره، وأطلق المرأة حررها من قيد الزواج، وأطلق له العنان أرسله وتركه، وأطلق الكلام لم يقيده بشرط[2].

واصطلاحاً: هو الدال على الماهية بلا قيد[3]، وقيل: هو اللفظ المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه[4].

والمقيد لغة: القاف والياء والدال كلمةٌ واحدة، وهي القَيْد، وهو معروفٌ، ثُمَّ يستعارُ في كل شيءٍ يَحْبِس[5].

واصطلاحاً: هو ما دلّ على الماهية بقيد[6]، وقيل: هو المتناول لمعين، أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه.

والمرد بحمل المطلق على المقيد في هذا الموضع: أن يرد اللفظ مطلقاً في آية ومقيّداً في آية أخرى، فيقيد المطلق به، ويكون مبيّناً به[7].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/٣٢٨).

(٢) انظر: مختار الصحاح (صـ ١٨٨)، المعجم الوسيط (٢/ ٢٧).

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه (٤/٢٨٣)، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ت : محمد محمد تامر. الإتقان في علوم القرآن (٤/١٤٨٦) التعاريف (صـ ٦٦٣).

(٤) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه (٦/٢٧١١) تأليف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح. شرح الكوكب المنير (٣/٣٩٢)، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، ط٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، مكتبة العبيكان، ت: محمد الزحيلي و نزيه حماد.

(٥) مقاييس اللغة (٥/٣٦).

(٦) انظر: إرشاد الفحول (٢/٧١٠).

(٧) انظر: تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية ص ٤٦.

وللمطلق والمقيد أربع حالات يحمل المطلق على المقيّد منها في حالة واحدة بالاتفاق، وفي حالة واحدة بخلاف، ولا يحمل عليه في حالتين باتفاق، وتفصيل هذه الحالات على النحو التالي:

الحالة الأولى: أن يتحد السبب والحكم:

مثاله: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[١]، فقد ورد تحريم الدم في هذه الآية مطلقاً، وورد تحريمه مقيّداً بكونه مسفوحاً في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[٢]، والحكم في الآيتين واحد وهو التحريم، والسبب واحد وهو الإيذاء والمضرّة، فاتحد الحكم والسبب؛ فيحمل المطلق على المقيد - والحالة هذه – باتفاق العلماء؛ لأن بالحمل يحصل الجمع بين الدليلين المطلق والمقيد، والإعمال لهما، وبذلك يخرج المكلف عن العهدة بيقين[٣].

الحالة الثانية: أن يختلف السبب والحكم:

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[٤]، فقد ورد لفظ الأيدي مطلقاً في هذه الآية، بينما ورد لفظ الأيدي مقيّداً بالمرافق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[٥].

واختلف السبب في المطلق والمقيد هنا، فالأولى في السرقة، والثانية في الوضوء، كما اختلف الحكم، فالأولى قطع والثانية غسل؛ لذا لا يحمل المطلق على المقيّد – والحالة هذه – باتفاق؛ إذ لا منافاة بين المطلق والمقيّد حتى يحمل أحدهما على الآخر[٦].

---

(١) سورة المائدة: ٣

(٢) سورة الأنعام: ١٤٥

(٣) انظر: الإحكام في أصول الاحكام (٧/٣) للإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، علق عليه العلامة/ عبد الرزاق عفيفي،ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م. دار الصميعي – الرياض.

(٤) سورة المائدة: ٣٨

(٥) سورة المائدة: ٦

(٦) انظر: روضة الناظر (٢/٢٢١).

الحالة الثالثة: أن يتحد السبب ويختلف الحكم:

مثاله: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾(١)، حيث قيدت الأيدي فيها إلى المرافق، بينما أطلقت في قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾(٢)، والسبب في الوضوء والتيمم واحد وهو الحدث، لكنّ الحكم مختلفٌ ففي الآية الأولى الحكم الغسل، وفي الثانية المسح.

قال بعض العلماء(٣): يحمل المطلق على المقيّد في هذه الحالة، وقيل لا يحمل عليه، وهو قول جمهور العلماء.

الحالة الرابعة: أن يتّحد الحكم ويختلف السبب:

ولها صورتان(٤):

الصورة الأولى: أن يكون التقييد واحداً:

ومثاله: عتق الرقبة في الكفارة، فقد ورد اشتراط الإيمان في الرقبة بتقييدها بالرقبة المؤمنة في كفارة القتل الخطأ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾(٥)، وأطلقت في كفارة الظهار في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾(٦)، كما أطلقت في

---

(١) سورة المائدة: ٦

(٢) سورة النساء: ٤٣

(٣) ذكر د. حمد الصاعدي في كتابه المطلق والمقيد (صـ٢٤٢) نَقْلَ القرافي القول بحمل المطلق على المقيد في هذه الحالة عن أكثر الشافعية، كما نقل حكاية الخلاف فيها عن غير واحد.

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن (صـ ٢٥٤-٢٥٦)، دراسات في علوم القرآن الكريم (صـ ٤٤٣-٤٤٤).

(٥) سورة النساء: ٩٢.

(٦) سورة المجادلة: ٣

كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[1].

ففي الآيات الثلاث اتحد الحكم وهو **الكفارة بعتق رقبة**، واختلف سبب الكفارة فيها؛ فالأولى في **القتل**، والثانية في **الظهار**، والثالثة في **اليمين**، وفي هذه الحالة اختلف العلماء في حمل المطلق على المقيّد على قولين[2]:

١- حمل المطلق على المقيّد: وإليه ذهب جمهور الشافعية وبعض المالكية والحنابلة.

٢- عدم حمل المطلق على المقيّد: وإليه ذهب جمهور الحنفية، وبعض المالكية وبعض الحنابلة.

والراجح - والله أعلم - حمل المطلق على المقيّد في هذه الحالة[3].

الصورة الثانية: أن يكون التقييد مختلفاً:

وهو ما إذا ورد مقيدان بقيدين مختلفين فلا يمكن حمل المطلق على كليهما؛ لتنافي قيديهما، ولكن ينظر فيهما، فإن كان أحدهما أقرب للمطلق من الآخر حُمِل المطلق على الأقرب له منهما عند جماعة من العلماء فيقيد بقيده، وإن لم يكن أحدهما أقرب له فلا يقيد بقيد واحد منهما، ويبقى على إطلاقه لاستحالة الترجيح بلا مرجح[4].

١- فمثال الأول: صوم كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾[5]، فإنه مطلق عن قيد التتابع والتفريق، مع أنّ صوم كفارة الظهار مقيد بالتتابع في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾[6]، وصوم التمتع

---

(١) سورة المائدة: ٨٩

(٢) انظرهما مع نسبتهما، وأدلة أصحاب كل قول، والردود في: المطلق والمقيد وأثرهما في اختلاف الفقهاء (صـ٢٤٩-٢٨٤)، تأليف: د.حمد بن حمدي الصاعدي، ط٢، ١٤٢٨هـ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
مع التنبيه على أنه حكى قولاً ثالثاً في المسألة هو: حمل المطلق على المقيد بطريق القياس الصحيح، وهو الذي رجحه.

(٣) وهو الذي رجحه الشيخ الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب (صـ٩٤).

(٤) دفع إيهام الاضطراب (صـ٩٥)، وانظر: دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور فهد الرومي(صـ ٤٤٤).

(٥) سورة المائدة: ٨٩

(٦) سورة المجادلة: ٤

بالحج ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[1]، مقيد بالتفريق؛ فيقيد صوم كفارة اليمين بالتتابع عند من يقول بذلك، ولا يقيد بالتفريق الذي في صوم التمتع؛ لأنّ اليمين أقرب إلى الظهار من التمتع؛ لأن كلاًّ منهما صوم كفارة، بخلاف صوم التمتع.

٢- ومثال الثاني: صوم قضاء رمضان في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[2] مطلق غير مقيّد بتتابع ولا تفريق، مع أنه قيد صوم الظهار بالتتابع وصوم التمتع بالتفريق؛ ، فلا يقيد صوم قضاء رمضان بقيد أحد من القيدين بل يبقى على الاختيار إن شاء تابعه وإن شاء فرقه[3].

(١) سورة البقرة: ١٩٦

(٢) سورة البقرة: ١٨٤.

(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب (صـ٩٥).

الوجه الخامس: بيان نسخ آية بآية أخرى:

يطلق النسخ في اللغة والقرآن على إحدى ثلاث إطلاقات[١]:

١- **الرفع والإزالة والإبطال**، من غير تعويض شيء عن المنسوخ، ومنه: (نسخت الريح الآثار)، إذا أزالتها فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الآثار.

وجاء النسخ بهذا المعنى في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٢].

٢- **التحويل والتبديل**، أي: يكون النسخ بمعنى الإزالة وحلول المزيل محل المزال، كقولهم (نسخت الشمس الظل) إذا أزالته وحلت محله، وهذا المعنى هو الذي جاء النسخ به في معناه الشرعيّ.

٣- **النقل أو ما يشبه النقل**[٣]، ومنه (نسخت الكتاب) أي نقلت ما فيه إلى كتاب آخر، وفي هذا المعنى لم يغير المنسوخ منه وإنما صار نظيراً له أي نسخة ثانية منه.

وجاء النسخ بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[٥].

وفي الاصطلاح: اختلف مفهوم النسخ عند السلف وفي اصطلاح المتأخرين.

فالنسخ في اصطلاح المتقدمين: البيان، فقد كان السلف يطلقون النسخ على كلّ تغيير في أحوال النص، فيشمل تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتبيين المجمل، والاستثناء، ورفع الحكم بجملته وهو ما يعرف - عند المتأخرين - بالنسخ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « المنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف العام كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق »[٦].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٢٤)، تاج العروس (١/١٨٥٦)، لسان العرب (٣/٦١)، (نسخ)، الإحكام في أصول القرآن (١/٢٨٠)، إرشاد الفحول (٢/٤٩)، مذكرة أصول الفقه ص (٩٧).

(٢) سورة الحج: ٥٢.

(٣) أكثر العلماء عبروا بالنقل، وعبر ابن قدامة بـ " ما يشبه النقل "، قال الشنقيطي: « لأنه ليس نقلاً حقيقياً لأن ما في الكتاب المنقول منه لم ينقل بالكلية وانما نقلت صورته منه في الكتاب الثاني ». مذكرة أصول الفقه (ص٩٧).

(٤) سورة الجاثية: ٢٩ .

(٥) سورة الأعراف: ١٥٤.

(٦) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٢).

قال ابن القيم رحمه الله: « قلت: مراده ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ: رفع الحكم بجملته تارة – وهو اصطلاح المتأخرين– ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، إما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد وتفسيره وتبيينه، حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخًا لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر وبيان المراد »(1).

أما النسخ عند المتأخرين فهو: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب آخر متراخ عنه(2).

وبيان الآية الناسخة للمنسوخة، وكون ذلك من أوجه تفسير القرآن بالقرآن من أمرين:

١- ما تقدّمت الإشارة إليه من إطلاق النسخ عند المتقدمين على ما يعم تخصيص العام، وتقييد المطلق، وغير ذلك، وهي من أوجه تفسير القرآن بالقرآن – كما سبق –.

٢- أن الآية الناسخة تبيّن رفع الحكم الثابت بالآية المنسوخة وإزالة العمل بها، وذلك تفسير وبيان لحكم المنسوخة(3).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٦٦/٢)، للإمام: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، قرأه وقدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد. ط١، دار ابن الجوزي، رجب ١٤٢٣هـ.

(٢) المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (صـ ١٣٦). تأليف: علي بن محمد بن علي البعلي أبو الحسن، جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة، تحقيق: د. محمد مظهربقا. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (٢٤٦/١) محمَّد بن حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي، ط٥، ١٤٢٧هـ.

(٣) انظر تقرير هذا في كلام الإمام ابن حزم رحمه الله في الإحكام في أصول الأحكام (٤٦٣/٤-٤٦٥)، وقد ردّ على الاعتراضات على كون النسخ من أنواع البيان.

وقد اتفق القائلون بالنسخ على جواز نسخ القرآن بالقرآن ووقوعه[1]، وهو على ثلاثة أنواع[2]:

١- نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:

ومثاله: نسخ آية الرجم لفظاً لا حكماً: كما ثبت ذلك في قول عمر رضي الله عنه: «لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإنّ الرجم حق على من زنى وقد أحصن، إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف »[3].

٢- نسخ التلاوة والحكم معاً:

ومثاله: نسخ آية الخمس رضعات لفظاً لا حكماً: كما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات وتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن »[4].

---

(١) انظر: الإحكام للآمدي (١٥٤/٣)، البرهان في علوم القرآن (٣٢/٢).

(٢) انظر: شرح مختصر الروضة (٢٧٣/٢)، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م مؤسسة الرسالة، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (٢٨٠/٣) تأليف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار الكتب العلمية –بيروت، ت: عبد الله محمود محمد عمر.

(٣) أخرجه البخاري في الحدود باب (الاعتراف بالزنا) حديث (٦٨٢٩)، ومسلم في الحدود باب (رجم الثيب في الزنا) حديث (١٦٩١).

وقد ورد في رواية غير الصحيحين ذكر لفظ الآية المنسوخة: « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة »، بطرق وألفاظ كثيرة، انظرها في: فتح الباري (١٤٣/١٢) لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تعليق: الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت – لبنان.

وقد صحح الحديث بتلك الزيادة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/٨) ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي – بيروت، وفي السلسلة الصحيحة (٩٧٢/٦) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ، ك: الرضاع ، باب: التحريم بخمس رضعات، ح(١٤٥٢) (١٠٧٥/٢).

=

وفيه إثبات نوعين من أنواع النسخ: نسخ التلاوة والحكم معاً كما في نسخ العشر رضعات، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم كما في نسخ الخمس رضعات.

٣- نسخ الحكم وبقاء التلاوة:

وفيه ألفت الكتب، وأكثر منها العلماء وذكروا فيه الآيات المتعددة، لكن - كما قال الإمام السيوطي-: قليل جداً[١]، وهذا النوع هو الذي يستفاد منها في بيان بعض الآيات ببعض؛ لوجود الآيتين معاً في المصحف، وهو المراد هنا في أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

ومن أمثلته: نسخ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[٢] بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٣].

=

وظاهر قولها: « وهن فيما يقرأ من القرآن » بقاء التلاوة؛ وليس كذلك، بل المراد به أنّه قارب الوفاة حين كانت تُتلى، ثم نُسخت قبل وفاته، أو: أنّ المراد به أنّ التلاوة نُسخت، ولم يبلغ ذلك كلّ الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتوفّي عليه السلام وبعض الناس يقرؤها. البرهان في علوم القرآن (١٧٠/٢)، الإتقان في علوم القرآن (١٤٤٠/٤).

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٤٤١/٤)، وقد وصلت عنده إلى عشرين آية منسوخة على خلاف في بعضها، ثم قال: ولا يصحّ دعوى النسخ في غيرها ».

(٢) سورة البقرة: ٢٤٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٤.

الوجه السادس: تفسير الألفاظ الغريبة:

وهو نوعان:

الأول: تفسير لفظة غريبة بلفظة أشهر منها و أوضح عند السامع.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1]؛ حيث فسر المسيطر بالجبار في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[3]، حيث فسر بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[4].

الثاني: بيان المراد من اللفظة بسياق آية أخرى.

ومثاله: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[5]؛ حيث فسرت قوله ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[6].

الوجه السابع: تفسير معنى آية بآية أخرى:

مثاله: تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[7]، بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾[8].

---

(١) سورة الغاشية: ٢٢

(٢) سورة ق: ٤٥

(٣) سورة البقرة: ٢٢

(٤) سورة الأنبياء: ٣٢

(٥) سورة الأنبياء: ٣٠

(٦) سورة الطارق: ١١ - ١٢

(٧) سورة النساء: ٤٢

(٨) سورة النبأ: ٤٠

الوجه الثامن: حمل القراءات بعضها على بعض.

القراءة: هي: اختلاف ألفاظ الوحي في كتابة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما[1].

والاختلاف في القراءات على ثلاثة أنواع[2]:

الأول: اختلاف اللفظ والمعنى واحد: مثل اختلاف القراء في قراءة: "الصراط"، فمنهم من قرأ بالصاد، ومنهم من قرأ بالسين، واختلافهم في قراءة "عليهم، وإليهم، ولديهم" فمنهم من قرأ بضم الهاء مع إسكان الميم، ومنهم من قرأ بكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها.

الثاني: اختلاف اللفظ والمعنى، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد لعدم تضاد اجتماعهما فيه: مثل اختلافهم في: { مالك يوم الدين } بألف و (ملك) بغير ألف؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعاً هو الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه فقد اجتمع له الوصفان جميعاً؛ فأخبر تعالى بذلك في القراءتين[3].

وهذا والذي قبله ليسا مقصودين هنا في بيان القرآت بعضها ببعض.

الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/٣١٨)، الكليات (صـ١١٤٦)، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر (صـ ٧) تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية - لبنان، ت: أنس مهرة.

(٢) انظر: الأحرف السبعة (١/٤٧) للإمام أبي عمرو الداني، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٧م. دار المنارة – جدة. ت : د. عبد المهيمن طحان، النشر في القراءات العشر (١/ ٦٦) لشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته فضيلة الشيخ: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية.

(٣) الأحرف السبعة (١/٤٧).

وهذا النوع هو المقصود هنا؛ إذ تكون كلّ قراءة من القراءتين بمنزل آية قائمة بنفسها[1]، يكون بينهما ما يكون بين الآيتين من جواز بيان أحدهما للآخر وتفسيره به من تقييد إطلاق، أو تخصيص عام أو غير ذلك من أوجه بيان القرآن بالقرآن.

وهذا معنى قول العلماء – رحمهم الله تعالى -: أن القراءات يبيّن بعضه بعضاً[2].

الوجه التاسع: أن يحيل في آية على شيء ذُكر في آية أخرى:

وهذا من أصرح الأوجه في تفسير القرآن بالقرآن، وأمثلته قليلة في القرآن، ويمكن إدخاله في نوع توضيح المبهم،

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[3]، والمراد بما نزل في الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4].

الوجه العاشر: أن يذكر شيء في موضع، ثم يقع عنه سؤال وجواب في موضع آخر.

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5] فسر رب العالمين، بسؤال فرعون عنه، وإجابة موسى عليه في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[6].

---

(١) قال الشنقيطي رحمه الله: « اعلم أوّلاً أن القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الآيتين، كما هو معروف عند العلماء ». أضواء البيان (١/٣٧١).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/٩٧)، التفسير والمفسرون (١/٣٢)، قواعد التفسير (١/٩٠).

(٣) سورة النساء: ١٤٠.

(٤) سورة الأنعام: ٦٨.

(٥) سورة الفاتحة: ٢.

(٦) سورة الشعراء: ٢٣ - ٢٤ .

الوجه الحادي عشر: أن يذكر لفظ عام في موضع، ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه.

مثاله: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، فقد فسّر شعائر الله بذكر بعض أفراده في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[3].

---

(١) سورة الحج: ٣٢.

(٢) سورة البقرة: ١٥٨.

(٣) سورة الحج: ٣٦.

ثانياً: الأوجه الداخلة في المصطلح الموسع:

الوجه الأول: بيان الموجز بالمفصَّل،

ويقصد به: الاستشهاد عند تفسير الآية الموجزة بما جاء من تفاصيل معناها أو موضوعها في آية أخرى، وهو على أنواع:

١- أن يُذْكَرَ في القرآن أمر ثم يُذْكَرَ في مكان آخر وقوعه أو كيفيته.

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾(١)، فقد صرح في موضع آخر بأنهم قالوا ذلك بالفعل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾(٢).

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾(٣)، بيّن كيفية إغراقهم في قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(٤).

٢- أن يُذْكَرَ وقوعُ شيء من غير تعرض إلى كونه وقع أولا بتخيير أو تعليق ثم يُذْكَرَ ذلك في موضع آخر:

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٥)، لم يبين هل ذلك الأمر بالسجود وقع أولاً بتنجيز أو تعليق، وقد بيّن في مواضع أخر أنه وقع أولاً معلقاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾(٦).

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٨.

(٢) سورة النحل: ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ٥٠.

(٤) سورة الشعراء: ٦٣.

(٥) سورة البقرة: ٣٤.

(٦) سورة الحجر: ٢٨ - ٢٩.

٣- أن يُذْكَرَ أمرٌ ما في القرآن ثم يُبيَّن في موضع آخر شيء يتعلق به.

ويشمل أربع صور:

الأول: أن يُذْكَرَ في موضع ويُذْكَرَ سببه في موضع آخر.

مثاله: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾(١) بيّن سبب اسودادها في آخر الآية بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾(٢).

الثاني: أن يُذْكَرَ في موضع ويذكر له مفعولاً في موضع آخر.

مثاله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٢٦﴾(٣) لم يذكر مفعول يخشى، وبيّنه بأنه عذاب الآخرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾(٤)، فإنه مذكور بعد قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾(٥).

الثالث: أن يُذْكَرَ في موضع ويذكر له ظرفا في موضع آخر.

مثاله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦) بيّن في موضع آخر أنّ الدنيا والآخرة من الظروف الزمانية لحمده ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾(٧).

الرابع: أن يُذْكَرَ في موضع ويذكر متعلقه في موضع آخر.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٨) لم يذكر متعلق التحريض، وذكره في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾(٩).

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٦.

(٢) سورة الزمر: ٦٠.

(٣) سورة النازعات: ٢٦.

(٤) سورة هود: ١٠٣.

(٥) سورة هود: ٩٧ - ٩٨.

(٦) سورة الفاتحة: ٢.

(٧) سورة القصص: ٧٠.

(٨) سورة النساء: ٨٤.

(٩) سورة الأنفال: ٦٥.

٤- أن يُذْكَرَ بعض حكم شيء من مخلوقاته في موضع، ويذكر له حكماً أخرى في مواضع أخر.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[(١)] ذكر فيها حكمة من حكم خلق النجوم، وذكر حكماً أخرى لها في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾[(٢)] وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[(٣)].

٥- أن يُذْكَرَ بعضُ أوصاف شيء، وله أوصاف مذكورة في مواضع أخر.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[(٤)]، فقد وصف الله فيها ظل الجنة بأنه ظليل، ووصفه بأنه دائم في قوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[(٥)]، وبأنه ممدود في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[(٦)].

٦- أن يُذْكَرَ أمر أو نهي أو شرط في موضع، ثم يبين في موضع آخر هل تم الامتثال في الأمر أو النهي أو لا؟، أو حصل الشرط أو لا؟.

مثال الأمر: قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[(٧)]، وقد بيّن أنهم امتثلوا هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٨)].

---

(١) سورة الأنعام: ٩٧.

(٢) سورة فصلت: ١٢.

(٣) سورة الملك: ٥.

(٤) سورة النساء: ٥٧.

(٥) سورة الرعد: ٣٥.

(٦) سورة الواقعة: ٣٠.

(٧) سورة البقرة: ١٣٦.

(٨) سورة البقرة: ٢٨٥.

مثال النهي: قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾(١)، بيّن أنهم لم يمتثلوا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾(٢).

مثال الشرط: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(٣)، فقد أخبر أنهم لم يستطيعوا ذلك في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾(٤).

٧- أن يُذْكَرَ طلب لأمر ثم يُذْكَرَ المقصود من ذلك المطلوب في موضع آخر:

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾(٥)، بيّن أنّ مرادهم بالملك المقترح إنزاله أن يكون نذيراً معه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾(٦).

٨- جمع تفاصيل القصة القرآنية:

أن تذكر القصص موجزة في موضع، ومفصلة في موضع أو مواضع أخر، فيورد المفسّر عند تفسير الموجز الموضع المفصّل، فهذا لا يكون فيه بيان إن لم يكن في الموضع الموجز إبهام أو إجمال أو غير ذلك من أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

مثاله: قصة موسى عليه السلام، وغيره من الأنبياء والمرسلين، أوجزه الله في بعض السور، وفصّلها في سور أخرى.

---

(١) سورة النساء: ١٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٦٥.

(٣) سورة البقرة: ٢١٧.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) سورة الأنعام: ٨.

(٦) سورة الفرقان: ٧.

الوجه الثاني: جمع موارد اللفظة أو الأساليب القرآنية:

وهو أن يعمد المفسِّر عند تفسير كلمة أو أسلوب إلى الآيات التي وردت فيها تلك الكلمة أو الأسلوب في القرآن الكريم.

ويسلك المفسّرون في هذا مسالك عديدة منها:

المسلك الأول: أن ترد اللفظة أو الأسلوب في الآية على معنىً أو طريقة مطردة أو أغلبية في القرآن، - وهو ما يسمّى بكليات القرآن[1] - فيورد المفسّر الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة ليستدلّ بها على أن المراد باللفظة أو الأسلوب هو المعنى المطّرد أو الغالب في القرآن.

ومن الأمثلة على هذا المسلك:

١- مثال ذكر موارد اللفظة: ذكر الآيات التي ورد فيها لفظ " الورود " عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[2]، استدلالاً بها على أنّ المراد به هنا الدخول، كقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾[3]. قال: فهذا ورود دخول، وكقوله: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[4]، فهو ورود دخول أيضاً، وكقوله: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[6]، وهو ورود دخول[7].

---

(١) انظر: كليات الألفاظ في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية (٢٩/١) بريك بن سعيد القرني، طبع: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم و علومه - الطبعة: الأولى - ١٤٢٦هـ.

(٢) سورة مريم: ٧١

(٣) سورة هود : ٩٨

(٤) سورة الأنبياء : ٩٩

(٥) سورة مريم : ٨٦

(٦) سورة الأنبياء : ٩٨

(٧) انظر: أضواء البيان (٤٣٦/٤).

٢- ذكر الآيات التي قرن القرآن فيها بين الترغيب والترهيب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[٥]، ذكرها الحافظ ابن كثير [٦] عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٧].

المسلك الثاني: أن تكون للفظٍ واحدٍ معان مختلفة في سياقات متعدّدة، فيورد المفسّر وجوه معاني هذه اللفظة القرآنية وإطلاقاتها المختلفة في آيات القرآن الكريم، مع ذكر الآيات القرآنية المتعلقة بكلّ إطلاق، وهو ما يسمى بالوجوه والنظائر[٨]

ومن الأمثلة على هذا: ذكر إطلاقات الضلال في القرآن، وإيراد الآيات التي وردت فيها عند تفسير إحداها[٩].

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٢) سورة الرعد: ٦

(٣) سورة الحجر: ٤٩-٥٠.

(٤) سورة غافر: ٣

(٥) سورة البروج : ١٢ -١٤

(٦) في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٥٧) لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: سامي سلامة.

(٧) سورة الأنعام: ١٤٧

(٨) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه (ص١٢٨)، للأستاذ الدكتور: فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط٨، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. كليات الألفاظ في التفسير (٩٤/١).

(٩) انظر ذلك في: أضواء البيان (٤١٥/٣).

الوجه الثالث: جمع الآيات المتماثلة:

وهو أن يورد المفسّر –عند تفسير آية – الآيات المتشابهة معها في اللفظ أو المعنى أو الموضوع.

فمثال التشابه في اللفظ: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[1] قال: « يتبعونه حق اتباعه، ثم قرأ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[2]، يقول: اتَّبعها »[3].

ومثال التشابه في المعنى: قول العلامة السعدي[4] – رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[5] – « وفي قوله عن المنافقين: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾[8]، فعقوبة المعصية المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[9]»[10].

---

(١) سورة البقرة: ١٢١.

(٢) سورة الشمس: ٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٨/١)، بسنده عنه من طريق عكرمة.

(٤) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ولد عام ١٣٠٧هـ، ونشأ يتيماً فحفظ القرآن وطلب العلم، كان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً، له مؤلفات كثيرة من أشهرها "تيسير الكريم الرحمن"، توفي سنة ١٣٧٦هـ.
انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٨هـ (٤٢٢/٢).

(٥) سورة البقرة: ١٠.

(٦) سورة الأنعام: ١١٠

(٧) سورة الصف: ٥

(٨) سورة التوبة: ١٢٥

(٩) سورة مريم: ٧٦

(١٠) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٢)، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

ومثال التشابه في الموضوع: الآيات الواردة في صفات نساء أهل الجنة.

قال العلاّمة الشّنقيطي رحمه الله -عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[1]-: «لم يبيّن هنا صفات تلك الأزواج، ولكنه بين صفاهن الجميلة في آيات أخر كقوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾[2]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[3]، وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[5]....إلى غير ذلك من الآيات المبينة لجميل صفاهن»[6].

الوجه الرابع: الجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف:

والمقصود بها: الآيات التي يظن الناظر فيها لأول وهلة أنها متضاربة أو متخالفة، كأن يرد نفيٌ في إحدى الآيات ويقع إثباته في آية أخرى، فيتوهم وقوع اضطراب في النصوص بسبب ذلك[7].

فيورد المفسرون عند تفسير آية ما بعض الآيات التي يوهم ظاهرها الاختلاف والتناقض معها للجواب على ذلك وتوجيهه، وإن لم يكن في الآيات المذكورة بيانٌ للآية وتفسير لها.

مثاله: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[8]، فقد أخبر الله فيها أنّهم لا يتساءلون يوم القيامة، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أنهم يتساءلون[9] كقوله تعالى ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[10].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) سورة الصافات: ٤٨.

(٣) سورة الرحمن: ٥٨.

(٤) سورة الواقعة: ٢٢ – ٢٣.

(٥) سورة النبأ: ٣٣ .

(٦) أضواء البيان (١/ ٦٧).

(٧) انظر: قواعد التفسير (٢/٦٩٦)، وقد ألف أهل العلم في هذا مصنفات عديدة، فمن المتقدمين: ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، ومن المتأخرين: الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

(٨) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٩) انظر هذا والأجوبة عليه في: دفع إيهام الاضطراب (ص٢٣٠-٢٣١).

(١٠) سورة الصافات: ٢٧.

الوجه الخامس: ما جاء على وجه الاستشهاد والاستدلال لقول من الأقوال:

وهو: أن يورد المفسِّر القرآن في بيان بعض الأقوال التفسيرية، أو تقوية بعض الأقوال التفسيرية، أو الاستشهاد به استطراداً للتفسير الذي يذكره.

ويكون ذلك بصور منها:

الأولى: أن يختار المفسِّر قولاً في الآية استناداً على آية أخرى.

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[1] فقد اختار جمهور أهل العلم أنه عام لجميع النساء وليست خاصة بأزواج النبي ﷺ، استناداً إلى قوله تعالى بعده ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾؛ فهو قرينة واضحة على قصد تعميم الحكم؛ إذ لم يقل أحد من المسلمين إن غير أزواج النبي لا حاجة إلى طهارة قلوب الرجال من الريبة منهن[2].

الثانية: أن يردّ قولاً في الآية استناداً على آية أخرى.

ومثاله: قول الحسن البصري رحمه الله إنّ المراد بابني آدم في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3] رجلان من بني إسرائيل، فقد ضعفه العلماء استناداً على قوله تعالى في القصة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[4]؛ فإنه دليل على أنّ ذلك وقع في مبدأ الأمر قبل أن يعلم الناس دفن الموتى، أما في زمن بني إسرائيل فلا يخفى دفن الموتى على أحد[5].

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٢) أضواء البيان (١/١٨).

(٣) سورة المائدة: ٢٧.

(٤) سورة المائدة: ٣١.

(٥) أضواء البيان (١/١٨).

الثالثة: أن يذكر فائدة في الآية ويستدلّ لها بآية من القرآن.

مثاله: قد يستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[1] أنّ في الآية تنبيهاً للمصلين الغافلين في صلاتهم الذين كان حظهم في الصلاة التولي إلى الكعبة فقط لا غير، لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[2].

الرابعة: أن يصرف اللفظ عن ظاهره بحسب الوضع اللغوي بدليل قرآني آخر.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3].

فإنّ ظاهرها - بحسب الوضع اللغوي - التخيير بين الكفر والإيمان، ولكن المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها التهديد والتخويف، والدليل على ذلك أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ، فهذا أصرح دليل على أنّ المراد بالآية التهديد والتخويف؛ إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم[4].

الخامس: الاستدلال بالآية لتأكيد معنىً في آية قد يفهم منه خلافه.

ومثاله: ما رُوي عن ابن زيد رحمه الله في قوله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[5] قال: الحساب اليسير: الذي يغفر ذنوبه، ويتقبّل حسناته، ويسير الحساب: الذي يعفى عنه، وقرأ: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[6]، وقرأ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾[7] »[8].

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة الماعون: ٤ - ٥. وذكر هذا الشيخ ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٤٣).

(٣) سورة الكهف: ٢٩.

(٤) انظر: أضواء البيان (٣/ ٣٣٥).

(٥) سورة الانشقاق: ٨.

(٦) سورة الرعد: ٢١.

(٧) سورة الأحقاف: ١٦.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣١٤/٢٤) من طريق ابن وهب عنه.

الوجه السابع: التفسير بالسياق:

وهو أن يلحظ المفسِّر سياق الآية، فيربطها بما قبلها، أو بما بعدها، سواء كان ذلك في الآية نفسها، أو في مجموعة من الآيات[1].

وللسياق دور كبير في تفسير آيات القرآن الكريم، وفي ذلك يقول الزركشي رحمه الله عند حديثه عن الأمور التي تعين على فهم المعنى عند الإشكال: «الرابع: دلالة السياق فإنها ترشد الى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته[2]».

إلا أن هذا الوجه ليس وجهاً مستقلاً في تفسير القرآن بالقرآن، وإنما كما ذكر الزركشي في كلامه المنقول سابقاً ترشد إلى تبيين المجمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتلك من الأوجه الصريحة في تفسير القرآن بالقرآن، وقد تقدمت الإشارة إليها في مواضعها.

هذه بعض أوجه بيان القرآن بالقرآن، وكلها – كما سبق – من تفسير القرآن بالقرآن، إلاّ أنّ بعضها أقرب وأظهر في تفسير الآيات من بعضها، فبعضها مبيّنة بدايةً، وبعضها زيادة في البيان، وكلها مفيدة، بل لا يُستغنى عن معرفتها في تفسير كلام الله، خاصة في الترجيح بين الأقوال المختلفة.

وجعل بعض هذه الأوجه في إحدى المصطلحين هو – كما سبق – اجتهاد ومحاولة، قد يصيب فيه الباحث وقد يُخطئ، والله الموفق،،، والحمد لله رب العالمين.

(١) تفسير التابعين (٢/٦١٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٠٠).

الفصل الأول

دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن

من

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

وفيه دراسة:

٥ آيات

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢

قال المفسّرون في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله خالصًا دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برأَ من خلقه، بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ[1]، والألف واللام للاستغراق، أي استغراق جميع المحامد لله وحده[2]، وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به فكأنه قال: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[3].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأوّل: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

فسّر بعض المفسّرين هذه الجملة بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[6].

قال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله مقرراً ذلك ومبيناً **وجه البيان فيه**: « قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، لم يذكر لحمده هنا ظرفاً مكانياً ولا زمانياً، وذكر في سورة الروم أنّ من ظروفه المكانية: السماوات والأرض في قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وذكر في سورة القصص أنّ من ظروفه الزمانية: الدنيا

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن (١/١٣٥) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م. مؤسسة الرسالة، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر.

(٢) أضواء البيان (١/٤٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١٩) د. محمد سيد طنطاوى، - ط - السعادة - القاهرة - ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/١٢٨)، أضواء البيان (١/٤٧).

(٤) سورة الروم: ١٨

(٥) القصص: ٧٠

(٦) سورة سبأ: ١

والآخرة في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾، وقال في أول سورة سبأ: ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ »(1).

وهذا مثال من أمثلة: **أن يذكر الله شيئاً في موضع، ويذكر له ظرفاً في موضع آخر**، وهي صورة – كما تقدّم – من صور: **حمل الموجز على المفصل**، وقد تقدّم أنه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسّع؛ لأنّ مجيء الظرف لحمد الله في مكان آخر هو زيادة بيان له، لأنّ معنى: الحمد لله معروف دونه.

وقد أورد الشيخ أحمد بن عبد الرحمن القاسم رحمه الله – عند تفسير هذه الآية – ثلاث آيات من الآيات التي فيها ذكر حمد الله تعالى، وهي: قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾(3)، وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾(4)(5)، ولم يذكر وجهاً لتفسير هذه الآية بتلك الآيات، لكنها بالنظر فيها يظهر أنها من باب ذكر الآيات المتشابهة في المعنى الواحد؛ فيستفاد منها في ذكر بعض نعم الله تعالى التي استحقّ عليها الحمد، ففي آية الكهف ذكر لنعمة إنزال الكتاب على نبيه محمد ﷺ، وفي آية الأنعام ذكر لنعمة خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، كما ذكر نعمة دخول الجنة على لسان أهلها في آية الزمر.

وبهذا يظهر جليّاً أنّ هذه والتي قبلها لا يظهر في الآيات بيان للآية، وإن كان في ذكرها هنا فائدة عظيمة في التفسير، فقد يستطيع باحث أو خطيب أن يجعل من هذه الآيات موضوعاً في نعم الله وأهمية شكره عليها، أو غير ذلك، فهو من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسَّع، والله تعالى أعلم.

---

(1) أضواء البيان (1/47).

(2) سورة الكهف: 1

(3) سورة الأنعام: 1

(4) سورة الزمر: 74

(5) انظر: تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار (1/49).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

العالَمون جمع عالَم، والعالَم: جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، كالأنام والرهط والجيش[١]، وهو في الأصل اسم لما يُعْلَمُ به كالطابع والخاتم لما يطبع به ويختم به[٢]، وهو مشتق من العلامة، لأن وجود العالَم علامة لا شك فيها على وجود خالقه متصفاً بصفات الكمال والجلال[٣]، وقيل من العلم، وهو الدليل، فهو مشتق من العلم عند من خصّ العالم بمن يعقل، أو من العلامة عند من جعله لجميع المخلوقات[٤].

وقد اختلف العلماء من المفسرين في معنى العالمين على أقوال، وحمل على ثلاث آيات في أقوال:

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[٥].

قال الإمام الثعلبي[٦] رحمه الله: - بعد ما حكى قول من فسر العالمين بجميع المخلوقات -: « واحتجوا بقوله: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾[٧].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/١٣٥)، معالم التنزيل (١/٧٤)، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١١٧) الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم دار القلم – دمشق- سوريا-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ط:٣، ت: صفوان عادل داوودي.

(٣) أضواء البيان (١/ ٤٧).

(٤) انظر: النكت والعيون (١/ ٥٥)، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، التبيان في إعراب القرآن (١/٤٦) أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، إحياء الكتب العربية، تحقيق : علي محمد البجاوى، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١/٥٢)، للإمام: محمود شكري الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٥) سورة الشعراء: ٢٣ - ٢٤

(٦) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، أبو إسحاق، إمام حافظ مفسر، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء (١٧/٤٣٥)، طبقات المفسرين للداودي (١/٦٦).

(٧) الكشف والبيان (١/١١٢) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان. ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. ت: أبي محمد بن عاشور.

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، لم يبين هنا ما العالمون، وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾[1] ».

وذكر مثل ذلك جمع من المفسرين[2].

وجه البيان: واضح من النص المنقول عن الشنقيطي؛ فالله تعالى لم يبين هنا معنى العالمون الذين هو ربهم، وقد أورد الله في آية الشعراء سؤالاً عن فرعون لموسى عن رب العالمين الذي ذكره موسى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]؛ فأجاب موسى بالآية المذكورة، فيحمل ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هنا على ذلك، ويكون المراد بالعالمين: **جميع ما خلق الله (السماوات والأرضون وما بينهن)**.

وتفسير العالمين بجميع الخلق مرويٌّ عن ابن عباس[4]، وهو قول قتادة ومجاهد، والحسن[5] والزجاج[6].

---

(١) أضواء البيان (١/ ٤٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل (٥٢/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م. ت: هشام سمير البخاري.

(٣) سورة الشعراء: ١٦.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري (١٤٤/١) من طريق الضحاك عنه.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٥/١) أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ.

والزجاج هو: الامام، نحوي زمانه، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، كان من أهل العلم بالأدب والدين، أخذ عن المبرد وثعلب، توفي سنة (٣١١هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٤٩/١)، سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤).

٢- قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[(١)].

قال مقاتل بن سليمان[(٢)]: رحمه الله - في تفسير الآية - « يعني الجن والإنس، مثل قوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ »[(٣)].

وقال الثعلبي: « هم الجن والإنس ؛ لقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[(٤)].

واستشهد بهذه الآية على هذا القول البغوي[(٥)] والقرطبي[(٦)].

وجه الاستدلال: أنّ الله تعالى أخبر في الآية الثانية أنه أنزل القرآن على نبيه محمد ليكون نذيراً للعالمين، ومن المعلوم أنّ النبي ليس نذيراً للبهائم ولا للملائكة، وهم كلّهم خَلْق الله، وإنما بُعث محمد ﷺ نذيراً للجنّ والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب، فيحمل العالمين هنا أيضاً على ذلك المعنى ويفسّر به.

---

(١) سورة الفرقان: ١

(٢) هو مقاتل بن سليمان الأزدي، كان له معرفة بتفسير القرآن و لم يكن في الحديث بذاك؛ لذا ضعفوه، توفي سنة (١٥٠هـ) انظر: تاريخ مدينة السلام (بغداد) وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (٢٠٧/١٥) للإمام: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي، ت: د. بشار عواد معروف، الضعفاء والمتروكين (١٣٦/٣)، للإمام اعبد الرحمن بن الجوزي، ت: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٣) تفسير مقاتل (٢٤/١) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ط١،١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت. تحقيق: أحمد فريد.

(٤) الكشف والبيان (١١١/١).

(٥) في معالم التتريل (٥٢/١)، **والبغوي هو:** الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يعرف بابن الفراء ويلقب بمحيي السنة وركن الدين، وكانت وفاته في شوال سنة (٥١٦هـ) وقد جاوز الثمانين. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣٧/٤)، طبقات المفسرين للسيوطي (صـ ٣٨)، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١،١٣٩٦هـ مكتبة وهبة – القاهرة .ت: علي محمد عمر طبقات المفسرين للأدنه وي (صـ ١٥٨-١٦٠).

(٦) في الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١)، **والقرطبي هو:** محمد بن أحمد بن أبي فرح الانصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه ووفور فضله، توفي بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة (٦٧١هـ)، انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (صـ ٧٩)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥٨٤/٧) تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار بن كثير – دمشق. ت: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.

وهذا القول مروي أيضاً عن ابن عباس[1]، وبه قال سعيد[2]، ومجاهد[3].

٣- قوله تعالى – على لسان نبيه لوط عليه السلام لقومه-: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[4].

قال الثعلبي: « وقال الحسين بن الفضل[5]: العالمون: الناس، واحتج بقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ »[6].

ونقل هذا القول والاستدلال بالآية غير واحد من المفسرين[7].

وجه الدلالة: أن الله ذكر نهي نبيه لوط قومه عن إتيان الذكران من العالمين، وكانوا يأتون الذكران من الناس دون غيرهم؛ فدل على إطلاق العالمين على الناس دون غيرهم.

وأظهر هذه الآيات لتفسير العالمين هي الآية الأولى؛ لأن الله أورد البيان في الآية المفسِّرة بصيغة السؤال والجواب، وذلك من أصرح أوجه بيان القرآن بالقرآن، وكلتا الآيتين في مقام شمولية ربوبية الله لجميع الخلق، فالمقام مناسب للعموم[8]، أما القولان الآخران اللذان حملت الآية فيه على آيتين، فإن المقام يقتضي عدم حملها عليهما؛ فبينما كانت الآية المفسَّرة في شمولية ربوبية الله للخلق، جاءت آية الفرقان في تقرير نذارة النبي ﷺ محمد للعالمين، والآية الثالثة في إنكار نبي الله لوط عليه السلام على قومه في إتيان الذكران من الناس.

---

(١) في رواية سعيد بن جبير، وعكرمة، عنه، انظر: جامع البيان (١/١٤٤)، معاني القرآن الكريم (١/ ٦١) للإمام أبي جعفر النحاس، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، تحقيق الشيخ: محمد علي الصابوني.

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري (١/١٤٢) من طريق عطاء ابن السائب.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (١/١٤٥) من طريق سفيان الثوري، والأثر ضعيف لأنّ سفيان لم يسمع من مجاهد، انظر: تعليق العلامة أحمد شاكر على جامع البيان (١/١٤٥) حاشية رقم (٢).

(٤) سورة الشعراء: ١٦٥

(٥) الحسين بن الفضل هو: ابن عمير، أبو علي البجلي الكوفي، المفسر الإمام اللغوي الأديب، إمام عصره في معاني القرآن، كان آية في معاني القرآن، صاحب فنون وتعبد، مات سنة (٢٨٢هـ) عن ١٠٤ سنة. انظر: العبر في خبر من غبر(١/٤٠٦)، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، طبقات المفسرين للسيوطي (صـ ٣٧).

(٦) الكشف والبيان (١/١١١).

(٧) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٣٨).

(٨) روح المعاني (١/ ٥٣).

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن السلف في تفسير العالمين غير هذه الأقوال الثلاثة، أقوال أهمها:

أنّ العالمين: أربع أمم: الإنس والجنّ والملائكة، والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم، وهذا الذي اختاره النحاس(١)؛ لأنّه جمع بالواو والنون، وذلك جمع لما يعقل(٢).

وقد ذكروا أقوالاً أخرى لا تخرج عن هذه الأقوال(٣).

الترجيح:

بالنظر إلى الأقوال المتقدمة يعرف أن القول الأوّل هو الراجح لأمور:

١- صحة تفسير القرآن بالقرآن فيه كما تقدم.

٢- أن الأصل هو القول بالعموم، والتخصيص من غير دليل يعتدّ به خلاف الظاهر(٤)، قال القرطبي: « وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين »(٥). وقال أبو السعود(٦) – بعد حكاية بعض الأقوال -: « والأول هو الأحق الأظهر، وإيثارُ صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الأجناس »(٧).

---

(١) هو: العلامة إمام العربية، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج، وسمع من ابن الأنباري ونفطويه والأخفش، توفي في ذي الحجة سنة (٣٣٨هـ) غرقاً في النيل. انظر: وفيات الأعيان (٩٩/١) سير أعلام النبلاء (٤٠٢/١٥).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥٠/٤) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ط: دار عالم الكتب ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، تحقيق د.زهير غازي زاهد.

(٣) انظر: النكت والعيون (٥٥/١)، زاد المسير في علم التفسير (١٢/١) تأليف الإمام: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

(٤) انظر: حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٩٦/١)، لمحمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، ت: محمد عبد القادر شاهين ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط١- ١٤١٩هـ. روح المعاني (١/ ٥٢).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٣٨/١).

(٦) هو: الإمام العلامة محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، عالم الروم، برع فى جميع الفنون، ولد بقرية بالقرب من القسطنطينية (٨٩٦هـ)، وأخذ عن أكابر علمائها ودرس بمدارسها وصار قاضيا بمدينة بروسا ثم صار قاضيا للعسكر ثم صار مفتيا بقسطنطينية، توفي أوائل جمادى الأولى سنة (٩٨٢هـ). انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (صـ ٣٩٨)، معجم المؤلفين (٣٠٢/١١).

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف الإمام: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ويمكن القول أن الاختلاف في هذا الموضع من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد، فكل واحد ذكر بعض مفردات العام؛ فالعالم – في أصل اللغة والاستعمال – كل موجود سوى الله تعالى، ويقال لجملته عالم، ولأجزائه من الإنس والجن وغير ذلك عالم، وأهل كل قَرْن من كل صنف منها عالم [١]؛ فعليه يحمل – إذا ورد – على ما يستقيم به المعنى.

ويشهد لهذا صنيع أصحاب كتب الوجوه والنظائر؛ حيث جعلوا لهذه الكلمة (العالمين) خمسة وجوه[٢]، أو ستة وجوه[٣] في القرآن الكريم، مما يدلّ على أن هذه اللفظة لها استعمالات عديدة في القرآن تحمل في كلٍّ منها على غير ما تحمل عليه في الأخرى.

ومن تأمل القرآن وجد ذلك جليّاً؛ فقد جاء (العالمين) في مواضع لا يمكن حمله إلا على بعض أصناف العالمين كقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾[٦]، وغيرها من الآيات.

النتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، وعدم صحة تفسيره بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ لاختلاف المقام – كما تقدّم – والله تعالى أعلم.

(١) انظر: جامع البيان (١/١٤٣).

(٢) كالدامغاني في إصلاح الوجوه والنظائر (صـ٣٣١) تأليف: الحسين بن محمد الدامغاني، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٥م، ت: عبد العزيز سيد الأهل.

(٣) كابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (صـ٤٤٥) تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط١، مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م.

(٤) سورة الأنعام: ٩٠

(٥) سورة يوسف: ١٠٤، سورة التكوير: ٢٧.

(٦) سورة القلم: ٥٢.

تفسير قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤

يصف الله تعالى نفسه في هذه الآية الكريمة بأنه المنفرد بالتصرف في شؤون يوم القيامة، بالحساب والثواب والعقاب، تصرف المالك فيما يملك، فهو مالك الأمر كله يومئذ، لا يدعى أحد هنالك شيئًا، بل لا يتكلم أحد إلا بإذنه[1]؛ كما أنه المنفرد يومئذ بالمُلك دون ملوك الدنيا، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية[2].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّر جمع من أهل التفسير قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ بآيات من القرآن الكريم، على النحو التالي:

* قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[3].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله – عند تفسير الآية -: « فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسره الله به في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ »[4].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « وقوله ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ لم يبينه هنا – وبينه في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ »[5].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٤)، وهذا على قراءة (مالك).

(٢) انظر: جامع البيان (١/١٤٨)، وهذا على قراءة (ملك).

(٣) سورة الانفطار: ١٧ – ١٩

(٤) تفسير الفاتحة (صـ٣١)، تأليف: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق: أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٥) أضواء البيان (١/ ٤٩).

وذكر تفسير الآية بهذه الآية جمع من المفسرين[1].

وجه البيان:

وجه بيان هذه الآية لآية الفاتحة ظاهر وجليّ؛ فإنّ الله تعالى ذكر في الآية المفسَّرة أنه مالك يوم الدين، ولم يبين ما يوم الدين، وفي الآية المفسِّرة أورد البيان عن يوم الدين بصيغة السؤال والجواب عنه، فيكون ذلك تفسيراً ليوم الدين في آية الفاتحة، وفي أي موضع آخر في القرآن، لأنّ الله تولّى بيانه، وهو من أصرح أوجه تفسير القرآن بالقرآن – كما تقدّم –.

كما أنّ قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قد يخفى فيه وجه هذه الملكية، فبيّنه تعالى في آية الانفطار بأنّ ذلك لانفراده بالأمر كله يومئذ، فلا أمر إلاّ إليه، فيكون ذلك الوصف هو وجه الملكية في الآية المفسَّرة أيضاً؛ لأن المراد بقوله: ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، و﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ واحد، والقرآن يفسر بعضه بعضاً[2].

* وقد أورد المفسرون عند تفسير الآية آيات أخرى:

كالذي أخرج الإمام الطبري[3] رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما مسنداً في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، يقول: لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معهُ حكمًا كمِلْكِهم في الدنيا، ثم قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾[4]، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾[5]، وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[6].

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢٤/١)، تفسير القرآن العظيم (١٣٤/١)، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٦٩/١)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص ٥)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص٥)، التفسير القرآني للقرآن (١٨/١-١٩) للدكتور/ عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) انظر: حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٦٩/١).

(٣) في جامع البيان (١٤٩/١) من طريق أبي روق عن الضحاك.

(٤) سورة النبأ: ٣٨

(٥) سورة طه: ١٠٨

(٦) سورة الأنبياء: ٢٨

وقال الحافظ ابن كثير[1]: « وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال: ... (وذكر آية النبأ، وطه المتقدمتين في أثر ابن عباس)، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[2].

وجه بيان الآية بهذه الآيات:

لم يتعرض المفسرون الذين أوردوا هذه الآيات لوجه تفسيرها وبيانها للآية، وبالنظر والتأمل يمكن القول أنه من وجه: ذكر اللفظ العام ثم التصريح في بعض المواضع ببعض أفراده، فقد ذكر الله أنه مالك يوم الدين، و بيّن في الآيات الأخر بعض ما اختص الله بملكه وانفرد به يومئذ دون خلقه، كالكلام، والشفاعة.

وقد أورد المفسرون – رحمهم الله تعالى – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ آيات عديدة، لكن بالتأمل فيها يظهر أنهم لم يوردوها مبينة للآية، وإنما للاستشهاد بها على توجيه القراءتين الواردتين في لفظ (مالك)[3].

فمن الآيات التي أوردوها لتوجيه قراءة: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وتأييدها قوله تعالى:[4]: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾[5]، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾[6].

---

(١) في تفسير القرآن العظيم (١/١٣٤).

(٢) سورة هود: ١٠٥

(٣) فقد قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف (مالك)، وقرأ الباقون بغير ألف، انظر: التيسير ف القراءات السبع (صـ١٥) للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، تحبير التيسير في القراءات العشر (صـ ١٨٦)، لشمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، دار الفرقان – الأردن / عمان – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ط١، ت: د.أحمد محمد مفلح القضاة.
ووجهت قراءة (مالك)، بأنه مشتق من المِلْك (بكسر الميم وسكون اللام)، مصدر ملكه يملكه، وأن قراءة (ملك)، مشتق من المُلْك (بضم الميم وسكون اللام)، وهو مصدر ملك اللازم. انظر: جامع البيان (١/١٤٨).

(٤) أوردهما الحافظ ابن كثير في تفسيره على قراءة مالك (١/ ١٣٣)، والظاهر أنّ قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ من أشباه قراءة: (مَلِكِ) لا قراءة (مَالِك)، والله أعلم.

(٥) سورة مريم: ٤٠

(٦) سورة الناس: ١ – ٢

أما قراءة (ملك يوم الدين) فقد استشهد له المفسرون[1] بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[3]، وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾[4]،وقوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾[5].

فهذه الآيات تشترك مع هذه القراءة في الدلالة على أنه تعالى هو المنفرد يوم القيامة بالمُلك دون ملوك الدنيا[6]، كما تشترك الأخرى مع معنى القراءة الثانية في الدلالة على أنّه تعالى المتصرف بشؤون يوم القيامة والوارث للأرض ومن عليها.

فإيراد هذه الآيات من قبيل إيراد الآيات المتشابهة في المعنى الواحد.

وكما استشهد المفسّرون بالآيات العديدة على القراءتين في لفظ مالك؛ استشهدوا بآيات عدّة في معنى لفظ (الدين)، فقد استشهدوا بآيات عديدة على أن المراد بالدين: الجزاء والحساب[7]؛ كقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾[9]، ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[11]، و قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[12].

---

(١) انظر: جامع البيان (١٤٨/١)، تفسير القرآن العظيم (١٣٤/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١١/١)، تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار وبالأسلوب الحديث (٥١/١) تأليف: أحمد بن عبد الرحمن القاسم، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٢) سورة غافر: ١٦

(٣) سورة الأنعام: ٧٣

(٤) سورة الحج: ٥٦

(٥) سورة الفرقان: ٢٦

(٦) انظر: جامع البيان (١٤٩/١)، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي (٦٩/١).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (٢٤/١)، جامع البيان (١/ ١٥٥)، المحرر الوجيز (١/ ٦٢) ط١، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، تفسير القرآن العظيم (١٣٤/١).

(٨) سورة الانفطار: ٩

(٩) سورة النور: ٢٥

(١٠) سورة الصافات: ٥٣

(١١) سورة غافر: ١٧

(١٢) سورة الجاثية: ٢٨

بل أكثر من هذا ما قام به الإمام ابن عطية[١]، وأبو حيان[٢] – عند تفسير قوله تعالى: – من تتبع موارد لفظة الدين في القرآن الكريم، وبيان وجوهه في جميع موارده، مع ذكر الشواهد عليه في لغة العرب[٣].

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

---

(١) هو: الإمام الكبير قدوة المفسرين، القاضي، عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية، أبو محمد الأندلسي الغرناطي المالكي. كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، بارعاً في الأدب ولد سنة (٤٨٠هـ) وتوفي سنة (٥٤٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥٨٨/١٩)، الوافي بالوفيات (٤٨/٦). طبقات المفسرين للسيوطي (صـ ٥٠).

(٢) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي اثير الدين أبو حيان الأندلسي، الإمام الكبير في العربية والتفسير، صاحب المصنفات السامية الباهرة، ولد أواخر شوال سنة (٦٥٤هـ)، ومات في ثامن صفر سنة (٧٤٥هـ) بالقاهرة. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (صـ٥٨)، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ط١، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – ١٤٠٧هـ، ت: محمد المصري. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (٧٢٣/٢) تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، ط١، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٦٢-٦٣)، البحر المحيط (١٣٩/١).

تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥

هذا هو العهد الذي يأخذه العبد بينه وبين ربه في صلاته، ويتضمن توحيده تعالى بالعبادة على الوجه الأكمل، والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه.

وهذا معنى جليل وعليه مدار العبودية والتوحيد، وإليهما تعود سعادة الدنيا والآخرة، فلا عجب إذا جمع معاني القرآن كلها في هاتين الكلمتين، وكانتا سر الفاتحة والقرآن[١]!!.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية الكريمة أورد المفسّرون آيات عديدة على سبيل **جمع الآيات المتشابهة في المعنى الواحد**، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، وإنما تذكر هنا - خصوصاً وقد ذكرها قطبا تفسير القرآن بالقرآن: الحافظ ابن كثير، والعلامة الشنقيطي - لبيان وجه عدم إدخالها، وللتمثيل بها على نظائرها الكثيرة التي أهملت في هذا البحث.

وقد أوردوا هذه الآيات في معنيين:

المعنى الأول: الجمع بين العبادة والاستعانة:

ففي قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جمع الله بين عبادته، والاستعانة به والتوكل عليه؛ « لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه »[٢].

قال ابن كثير رحمه الله - مبيّناً جلالة هذا المعنى وعظم شأنه -: « وهذا هو كمال الطاعة، والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٧٤، ٨٠) للإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، ت: محمد حامد الفقي..

(٢) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة) للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (١/١٤) طبع بإشراف مؤسسة الشيخ العثيمين الخيرية ، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض »[1].

ثم ذكر رحمه الله الآيات الواردة في هذا المعنى بقوله: « وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[3]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[4]، وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ».

وقال الشنقيطي رحمه الله في الأضواء ما نصه: « وإتيانه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة؛ لأن غيره ليس بيده الأمر، وهذا المعنى المشار إليه هنا جاء مبيناً واضحاً في آيات أخر كقوله: ...، وذكر الآيات التي تقدّم ذكرها آنفاً في قول ابن كثر، وزاد قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[5] [6].

وهذا مثال واضح في **جمع الآيات المتشابهة في المعنى الواحد**؛ حيث استطرد هؤلاء الأئمة الأعلام إلى الآيات الشبيهة لهذه الآية في هذا المعنى، وأوردوها في تفسيرها.

والمعنى الثاني: تحقيق معنى لا إله إلا الله (النفي والإثبات) المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

فإن تقديم المعمولات يقتضي الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه؛ فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له[7].

قال الشيخ الشنقيطي – بعد أن بيّن رحمه الله دلالة قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على هذا المعنى –: « وقد بين معناها المشار إليه هنا مفصلاً في آيات أخر كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٤).

(٢) سورة هود: ١٢٣

(٣) سورة الملك: ٢٩

(٤) سورة المزمل: ٩

(٥) سورة التوبة: ١٢٩

(٦) انظر: أضواء البيان (١/٤). وقد ذكر هذه الآيات وغيرها على هذا المعنى الإمام ابن القيم رحمه الله في: مدارج السالكين (١/٧٥).

(٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦٤) للإمام الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ت: عبد الرزاق المهدي، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٣٩).

خَلَقَكُمْ﴾[1]...الآية؛ فصرح بالإثبات منها بقوله: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، وصرح بالنفي منها في آخر الآية الكريمة بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[3]، فصرّح بالإثبات بقوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وبالنفي بقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وكقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[4]، فصرح بالنفي منها بقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ وبالإثبات بقوله: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ وكقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[5]، وكقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[6]، وقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[7]، إلى غير ذلك من الآيات»[8].

وبجانب إيراد المفسّرين الآيات المتشابهة في هذين المعنيين، أورد كثير من المفسّرين في تفسير الآية آيات أخر في أمرين هما: **جمع موارد ووجوه استعمال مادة (عبد) في القرآن**[9]، **والاستدلال بآيات على أسلوب الالتفات في قوله تعالى: (إياك)**[10]؛ فقد انتقل من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن من أول السورة إلى هاهنا خبراً عن الله تعالى وثناءً عليه، ولو جرى على نسق واحد لكان (إياه)[11].

وهذا كله من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة البقرة: ٢١

(٢) سورة البقرة: ٢٢

(٣) سورة النحل: ٣٦

(٤) سورة البقرة: ٢٥٦

(٥) سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧

(٦) سورة الأنبياء: ٢٥

(٧) سورة الزخرف: ٤٥

(٨) أضواء البيان (١/ ٥٠).

(٩) انظر: زاد المسير (١/ ١٤)، والبحر المحيط (١/ ١٤٠)، وروح المعاني (١/ ٦٣).

(١٠) انظر: الكشاف (١/ ٥٦)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٥).

(١١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٥)، البحر المحيط (١/ ١٤٠)، وقد ذكر المفسرون - رحمهم الله - مناسبة الالتفات وفوائدها، انظر - على سبيل المثال: الكشاف (١/ ٥٦)،)، البحر المحيط (١/١٤٠)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦

هذا ما جعله الله تعالى للعبد من الفاتحة، وهو يتضمن سؤال الله تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم والطريق القويم، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، وهذا أجل مطلوب، وأعظم مسئول، و لم يدع شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه؛ لذا يدعو المسلم ربه به في كل ركعة من صلاته لاحتياجه لذلك وافتقاره إلى الله تعالى أن يثبته على الهداية ويزيده منها(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فسّر الله ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ **بما جاء بعده مباشرة من قوله تعالى:** ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾(٢).

قال الإمام الطبري رحمه الله: « وقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ **إبانةٌ** عن الصراط المستقيم، أيُّ الصراط هو ؟؛ إذْ كان كلّ طريق من طرُق الحق صراطًا مستقيمًا »(٣).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ **مفسِّر** للصراط المستقيم »(٤).

وجه البيان: واضح وظاهر؛ إذ لما أمر الله المؤمنين أن يسألوه الهداية إلى الصراط المستقيم بيّن سبحانه أن هذا الصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم، **ففصّل بعد ما أجمل.**

وتفسير هذه الآية بما بعدها واضح لا يحتاج إلى برهان؛ فهو مما اتّصل به بيانه(٥)؛ إذ هو بدل من الأوّل بدل الكل(٦)، وقد تقدّم أن بدل الكلّ من الكلّ من أنواع البيان المتّصل.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/٢٥٥-٢٥٦) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج ، تفسير القرآن العظيم (١/١٣٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص٣٩).

(٢) سورة الفاتحة: ٧

(٣) جامع البيان (١/ ١٧٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٠).

(٥) انظر: ما اتصل بيانه في القرآن الكريم للدكتور ملفي الصاعدي ص ١٦.

(٦) انظر: البحر المحيط (١/ ١٤٥)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٠)، ويجوز أن يكون عطف بيان: انظر: المصدر السابق بنفس الصفحة.

وقد ذكر المفسرون فوائد كثيرة لهذا التفصيل بعد الإجمال[1]، **والفائدة الكبرى من ذلك:** قطع الخلاف في المراد بالصراط المستقيم؛ فهذه الآية تبيّن وتوضّح أن كلَّ ما يدخل في سنن المنعم عليهم مما يشمله وصف الصراط المستقيم، ويصدق عليه.

الأقوال الأخرى في تفسير الصراط المستقيم:

وقد اختلفت عبارات المفسّرين في تفسير الصراط المستقيم على أقوال عديدة أهمها:

١- أنه كتاب الله، وهذا مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه[3].

٢- أنه الإسلام، روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[4]، وعبد الرحمن بن زيد[5].

٣- أنه الحق، وهو قول مجاهد رحمه الله[6].

٤- أنه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده، وهذا قول أبي العالية[7].

الترجيح:

والذي يظهر من هذه الأقوال أنها اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وهو من تفسير العام ببعض أفراده، وهي متلازمة، وكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً[8].

لكن تفسيره بما ورد بعده أولى؛ لأنه من تفسير القرآن بالقرآن، ولكونه شاملاً لجميع الأقوال.

---

(١) انظرها في: الكشاف (١/ ٥٨)، البحر المحيط (١/ ١٤٧)، التحرير والتنوير (١٩٢/١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤م.

(٢) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠/١) من طريق الحارث الأعور.

(٣) فيما أخرجه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٧٥/١)، من طريق منصور بن وائل.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١٧٣/١)، من طريق ميمون بن مهران.

(٥) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١٧٥/١)، من طريق عبد الله بن وهب.

(٦) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠/١) من طريق عمر بن ذر.

(٧) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١٧٥/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠/١) من طريق عاصم الأحول.

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٣٩/١).

قال الإمام الطبري رحمه الله: - معلّلاً لاختياره ذلك - « ... لأن من وُفّق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيِّين والصديقين والشهداء، فقد وُفّق للإسلام، وتصديقِ الرسلِ، والتمسكِ بالكتاب، والعملِ بما أمر الله به، والانزجار عمّا زَجره عنه، واتّباع منهج النبيّ ﷺ، ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكلّ عبدٍ لله صالحٍ، وكل ذلك من الصراط المستقيم »[1].

وقد أورد المفسرون – على سبيل الاستشهاد والاستدلال – آيات عديدة في تفسير هذه الآية، في الكلام على الهدى وموارده ووجوهه في القرآن الكريم، ونوعيه، (الإرشاد والتوفيق)، وفي تعديته بنفسه أو بإلى أو اللام، وغير ذلك[2].

كما أورد الحافظ ابن كثير[3] آيات أخرى للاستشهاد بها على أن المراد بسؤال الهداية الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك.

وذلك كله - كما تقدّم – مما لا تدخل في مجال هذه الدراسة، لأنه من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسّع، والله أعلم.

النتيجة: صحة تفسير الآية بما بعدها بلا خلاف؛ فهو من صريح تفسير القرآن بالقرآن الذي لا يختلف فيه اثنان، والله أعلم.

❁❁❁◈◈◈

---

(١) جامع البيان (١/١٧١)، وانظر مثله في: المحرر الوجيز (١/ ٦٧).

(٢) انظر: على – سبيل المثال – جامع البيان (١/١٦٨)، الكشاف (١/٥٩)، المحرر الوجيز (١/ ٦٧) البحر المحيط (١/١٤٧).

(٣) في تفسيره (١/ ١٣٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ الفاتحة: ٧

هذه صفة الصراط المستقيم الذي يسأل المؤمنون ربهم في صلاتهم أن يهديهم لسلوكه والسير على نهجه، فهو صراط الذين منّ الله عليهم بنعمه، وليس صراط اليهود الذين غضب الله عليهم، ولا صراط النصارى الضالين.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تعيين المنعم عليهم:

ففي هذه الآية ورد إبهام في المشار إليهم بأن الله تعالى أنعم عليهم، وقد حمله جمهور المفسرين من السلف والخلف على آية في كتاب الله تفسّره وتزيل إبهامه وتبيّن المشار إليهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[(١)].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يقول: « طَريقَ من أنعمتَ عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبَدُوك »[(٢)].

وقال الإمام الطبري رحمه الله – عند تفسير الآية-: « وذلك نظير ما قال ربنا جلّ ثناؤه في تنزيله: ... »[(٣)] وذكر الآية.

---

(١) سورة النساء: ٦٩

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣١/١) مسنداً عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس، والأثر ضعيف؛ لضعف بشر بن عمارة الراوي عن أبي روق، وللانقطاع بين الضحاك وابن عباس، انظر: كلام الشيخ أحمد شاكر على الإسناد في تعليقه على الطبري (١١٣/١). ولم يصرح ابن عباس بالآية المفسِّرة، ولكن ما ذكره هو منطوق الآية.

(٣) جامع البيان (١/ ١٧٨).

وقال الإمام الثعلبي رحمه الله: « يعني : طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق والرعاية، والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ...»[1] وذكر الآية.

وقال الإمام ابن عطية رحمه الله: « قال ابن عباس وجمهور من المفسرين إنه أراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وانتزعوا ذلك من قوله تعالى: ... »[2].

وذكر تفسير الآية بالآية المذكورة، واقتصر عليه جمع من المفسرين[3].

ووجه البيان: واضح وجلي، وهو أن الله تعالى أبهم المنعم عليهم في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وعيّنهم بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾؛ فالذين أنعم الله عليهم وأمر النبي ﷺ وأمّته أن يسألوا ربَّهم الهداية لطريقهم، هم الذين وَصفهم الله في تنزيله، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[4].

ويشهد لهذا ذكر الصراط المستقيم قبل كلّ من الآيتين؛ حيث قال قبل آية الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[5]، وقال قبل آية النساء: ﴿وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾[6][7].

وفائدة إضافة الصراط إلى الموصول المبهم دون أن يقول صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: **الدلالة على أنّ الهداية إلى الدين نعمة عظيمة، وأن المنعم عليهم قد هدوا إلى صراط مستقيم**[8].

---

(١) الكشف والبيان (١/١٢١).

(٢) المحرر الوجيز (١/٦٧).

(٣) انظر: معالم التنزيل (١/٥٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/١٤٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٥٥)، تفسير القرآن العظيم (١/١٤٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٨)، فتح القدير (١/٣٨)، محاسن التأويل (١/٢٥٧)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص٦)، أضواء البيان (١/٥١)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٨)، تفسير القرآن الكريم (الفاتحة - البقرة) للعثيمين (١/١٧)، التفسير المنير للزحيلي (١/٥٧).

(٤) انظر: جامع البيان (١/ ١٧٨).

(٥) سورة الفاتحة: ٦

(٦) سورة النساء: ٦٨.

(٧) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٨).

(٨) انظر: التحرير والتنوير (١/١٩٤)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٤)، وانظر تفصيل هذه الفوائد في بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٢٥٥-٢٥٦).

أقوال أخرى في تعيين الذين أنعم الله عليهم:

وقد وردت أقوال أخرى عن السلف في تعيين المشار إليهم بأن الله أنعم عليهم في هذه الآية، ومن تلك الأقوال:

١- أنهم الأنبياء: وروي ذلك عن الربيع بن أنس[1]، وقتادة بن دعامة[2]، وذهب إليه مقاتل في تفسيره[3]، واستدلّ له بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾[4]... الآية.

٢- أنهم المؤمنون مطلقاً: وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً[5]. ومجاهد[6].

٣- أنهم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا ويبدلوا، وحكي ذلك عن ابن عباس أيضاً[7]، أو أصحابُ موسى قبل أن يبدلوا[8]، أو مؤمنو بني إسرائيل، بدليل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[9][10].

٤- أنهم النبي ﷺ وأصحابه: وهو مروي عن عبد الرحمن ابن زيد[11]، أو **الرسول ﷺ وأبوبكر وعمر** وهو محكي عن أبي العالية[12]، أو **أصحاب الرسول**

---

(١) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١/ ١٧٨) من طريق أبي جعفر الرازي.

والربيع بن أنس هو: ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي، البصري، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحي وأكثر عنه، والحسن البصري، توفي سنة (١٣٩هـ). سير أعلام النبلاء (١٦٩/٦)، تهذيب التهذيب (٥٨٩/١) تصنيف الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، باعتناء إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٦٧).

(٣) انظر تفسيره (٢٦/١).

(٤) سورة مريم: ٥٨

(٥) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١/ ١٧٨)، من طريق ابن جريج.

(٦) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١/١) من طريق ابن أبي نجيح.

(٧) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٥٤).

(٨) المحرر الوجيز (١/ ٦٧)

(٩) سورة البقرة: ٤٠

(١٠) المحرر الوجيز (١/ ٦٧)

(١١) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١٧٩/١) من طريق ابن وهب.

(١٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٦٧). **وأبو العالية هو**: رفيع بن مهران الرياحي البصري الفقيه المقرئ، مولى امرأة من بني رياح من تميم. أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر. توفي سنة (٩٣هـ)، انظر: معرفة الصحابة (١٠٦٩/٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الوطن للنشر - الرياض، ت: عادل بن يوسف العزازي. طبقات الفقهاء (صـ ٨٨).

ﷺ **وأهل بيته**، وهو مروي عن شهر بن حوشب[(١)]، أو **أصحاب النبي** ﷺ وهو قول الحسن البصري[(٢)].

الترجيح:

إنّ المتأمل في هذه الأقوال يدرك أنها لا تضاد بينها، بل هي من اختلاف التنوع في ذكر بعض مفردات العام، لأن كلّ من ذُكِرُوا هم من الذين أنعم الله عليهم، ويدلّ على هذا صنيع شيخ المفسّرين ابن جرير الطبري؛ حيث لم يورد خلافاً في ذكر هذه الأقوال بل أورد أكثر هذه الأقوال كأنها قول واحد.

إلاّ أن الأظهر في تعيين المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾، هو تعيينه بما ورد في آية النساء المذكورة القول الأول؛ لوجوه:

١- أنه من تفسير القرآن بالقرآن، ووجهه ظاهر وواضح كما تقدّم.

٢- أنه قول جمهور المفسرين من السلف والخلف.

٣- أنه عام وشامل لجميع الأقوال المذكورة؛ فكلها داخلة فيه، قال القرطبي رحمه الله: « وجميع ما قيل إلى هذا يرجع، فلا معنى لتعديد الأقوال »[(٣)]، وقال ابن كثير رحمه الله « والتفسير المتقدم، عن ابن عباس أعم، وأشمل »[(٤)].

النتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾، لأنهم أبهموا في الآية الأولى وعيّنوا في الآية الثانية، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

أما حملها على آية مريم المتقدمة، وآية البقرة، وإن لم يكن فيه مانع، إلا أن حمل الآية على عمومها أولى؛ ليشمل المذكورين في الآيات كلها، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٤١/١). **وشهر بن حوشب هو**: أبو سعيد، وقيل أبو عبد الرحمن، شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد، كان من كبار علماء التابعين، صدوق كثير الإرسال والأوهام، توفي عام (١٠٠هـ). انظر: التاريخ الكبير (٢٥٨/٤) الحافظ النقاد شيخ الاسلام جبل الحفظ وإمام الدنيا أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري المتوفي، ط: دار الكتب العلمية، ت: محمد - ازهر، وسير أعلام النبلاء (٣٧٢/٤).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٦٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٤٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٤٠/١).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

لقد فسّر جمهور المفسرين من السلف والخلف المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى، حتى قال ابن أبي حاتم[1]: « ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافًا »[2]، وقال الشوكاني[3]: « والمصير إلى هذا التفسير النبويّ مُتَعَيِّن، وهو الذي أطبق عليه أئمة التفسير من السلف »[4].

وقد أجمعوا - أو كادوا يجمعون على هذا التفسير - لأمرين:

١- ورود هذا التفسير من طرق كثيرة عن النبي ﷺ.

روي عن عديّ بن حاتم قال: قال لي رسول الله ﷺ: « إن المغضوب عليهم: اليهود، وإن الضالين النصارى »[5].

٢- حمله على آيات من القرآن الكريم:

فقد فسروا قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، بقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ

---

(١) هو: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت، ارتحل به والده فأدرك الأسانيد العالية، له الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل، والعلل وتفسير القرآن، مات سنة (٣٢٧هـ). انظر: لسان الميزان (٥/١٣٠) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، اعتنى به الشيخ: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار البشائر الإسلامية - بيروت. طبقات المفسرين، للداودي (١/٢٧٩).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/٣١)، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١٤٣).

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني، الحافظ، المفسر، الأصولي، تصدر للإفتاء في العشرين من عمره، وولي القضاء، وألف كثيراً من الكتب، توفي سنة (١٢٥٠هـ)، انظر: ترجمته لنفسه في البدر الطالع (٢/٢١٤) والأعلام (٦/٢٨٩).

(٤) فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير (١/ ٣٨)، للإمام محمد بن علي الشوكاني ت: سيّد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/٣٧٨ ، رقم ١٩٤٠٠)، وابن حبان في صحيحه (١٤/١٣٩،رقم: ٦٢٤٦) وابن جرير الطبري في جامع البيان (١/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١)، والترمذي في السنن(٥/٢٠٤) كتاب التفسير، باب سورة فاتحة الكتاب، برقم:٢٩٥٤، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير عماد بن حبيش وهو ثقة، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٢١٧)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٩/٤٣)، برقم: (٣٢٦٣).

غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾[3] على أن المراد بالمغضوب عليهم اليهود.

كما فسروا قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[4]، على أن المراد بالضالين النصارى.

قال الإمام الطبري رحمه الله:« فإن قال لنا قائل: فمنْ هؤلاء المغضوبُ عليهم، الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أن لا يجعلنا منهم ؟ قيل: هم الذين وصفهم الله جَلّ ثناؤه في تنزيله فقال﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[5].... فإن قال لنا قائل: ومَن هؤلاء الضَّالُّون الذين أمرنا اللهُ بالاستعاذة بالله أن يَسْلُكَ بنا سبيلهم، أو نَضِلَّ ضلالهم؟ قيل: هم الذين وصَفهم الله في تنزيله فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ »[6].

وقال ابن عطية رحمه الله: « والمغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى ... وذلك بيّن من كتاب الله تعالى؛ لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[7]، وكقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

(١) سورة البقرة: ٩٠.

(٢) سورة المائدة: ٦٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٢.

(٤) سورة المائدة: ٧٧

(٥) سورة المائدة: ٦٠

(٦) جامع البيان (١/ ١٨٥- ١٩٢).

(٧) سورة البقرة: ٦١، سورة آل عمران: ١١٢

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] ... والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد ﷺ، فلما ورد ضلوا، وأما غير محققيهم فضلالهم متقرر منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾»[2].

وقال الخازن رحمه الله: « وذلك لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وحكم على النصارى بالضلال فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ »[3].

وقال الشنقيطي رحمه الله: « وعلى هذا **فقد يبين** أنّ المغضوب عَلَيْهِم اليهود قولُه تعالى فيهم: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ الآية – وقوله فيهم أيضاً: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية – وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ الآية، **وقد يبين** أن الضالين النصارى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ »[4].

وذكر هذه الآيات أو بعضها على تفسير المغضوب عليهم والضالين جمع من المفسرين[5].

وجه الارتباط بين الآية وهذه الآيات: ما تكرّر في مواضع من القرآن الكريم من إطلاق الغضب على اليهود، والضلال على النصارى؛ حتى كان أخصّ صفة اليهود: الغضب عليهم، وأخصّ صفة النصارى الضلال.

وتفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى – كما سبق – من التفسير الصحيح عن النبي ﷺ، ومما أجمع عليه المفسِّرون.

---

(١) سورة المائدة: ٦٠

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٢).

(٣) تفسير الخازن (١/ ٣).

(٤) أضواء البيان (٦/١).

(٥) انظر: الكشاف (٥٩/١)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥٣)، (تفسير البيضاوي) تأليف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص-٧).

لكن المهمّ هنا: بيان صحّة تفسير الآيات المذكورة للآية؛ فقد حمل المفسرون الآية على الآيات السابقة، وخصصوا عموم المغضوب عليهم باليهود، وعموم الضالين بالنصارى.

فهل تصحّ هذا التخصيص بالآيات، لولا ورود ذلك عن النبيّ ﷺ ؟.

إن المتتبع للآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة: (غضب) ومشتقاها، ولفظة (ضلّ) ومشتقاها، يظهر له:

١- أن الله سبحانه قد أطلق الغضب على اليهود في مواضع كثيرة من كتابه، كالآيات السابقة، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (1)، وقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (2).

٢- ومع ذلك فقد جاءت آيات عديدة بإطلاق غضب الله في حقّ غير اليهود:

فمن ذلك قوله تعالى – في حقّ جميع الكفار: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (3).

وقوله في حقّ المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (4).

وقال في حقّ المولّي دبره يوم الزحف: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (5).

وقال في حقّ قاتل المؤمن عمداً: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (6).

---

(١) سورة المجادلة: ١٤

(٢) سورة طه: ٨١

(٣) سورة النحل: ١٠٦

(٤) سورة الفتح: ٦

(٥) سورة الأنفال: ١٦

(٦) سورة النساء: ٩٣

وقوله في المحاجين في الله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[1].

٣- أما لفظة الضلال ومشتقاتها فلم تطلق – مع كثرتها – على خصوص النصارى، إلا في آية واحدة هي الآية التي أوردها المفسّرون، وقد ورد في حقّ جميع الكفار والمشركين في آيات عديدة:

كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[2].

وقوله جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[4].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[5].

وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة في ذلك.

وبهذا يظهر **عدم صحة تفسير الآية بالآيات** التي ذكرها المفسرون على وجه الاستقلال؛ بحيث يخصص بها عموم المغضوب عليهم باليهود، وعموم الضالين بالنصارى؛ لورود آيات كثيرة – كما تقدّم – في إطلاق الغضب على غير اليهود، وأكثر الآيات في إطلاق الضلال على غير النصارى، أو على عموم الكفار والمشركين.

---

(١) سورة الشورى: ١٦

(٢) سورة النساء: ١١٦

(٣) سورة النساء: ١٦٧

(٤) سورة النساء: ١٣٦

(٥) سورة الأحزاب: ٣٦

قال العلامة الألوسي رحمه الله: « والأولى الاستدلال بالحديث؛ لأن الغضب والضلال وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم فقد قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[2]، ووردا لليهود والنصارى جميعاً على الخصوص كما ذكره المستدل »[3].

ويشهد لهذا صنيع المفسرين – رحمهم الله تعالى – في عدم حمل كلّ ما ورد من إطلاقات الغضب على خصوص اليهود؛ ما يدلّ دلالةً قاطعةً على عدم صحّة حمل إطلاق الغضب على اليهود في جميع موارده، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾[4]؛ فقد حمله أكثر المفسرين على العموم، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار، ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد »[5]، وقال الشوكاني رحمه الله – بعد ما أورد الأقوال في المراد بهم –: « والأوّل أولى؛ لأن جميع طوائف الكفر تتصف بأن الله سبحانه غضب عليها »[6]، وقال السعدي رحمه الله: «وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أصناف الكفار »[7].

فهذه الأقوال من هؤلاء الأئمة من المفسرين تدلّ على أن تكرار إلحاق الغضب على اليهود، ليس بحجّة كافية لتخصيص عموم كلّ ما ورد من إطلاق الغضب باليهود.

---

(١) سورة النحل: ١٠٦

(٢) سورة النساء: ١٦٧

(٣) روح المعاني (١/ ٩٦)، وانظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (١/٢٢٤) المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، ت: عبد الرزاق المهدي، وحاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير البيضاوي (١/٢٨٤) ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، وبيان المعاني (١/١١٨) تأليف: ملا حويش آل غازى عبد القادر – مطبعة الترقي بدمشق ١٣٨٢هـ.

(٤) سورة الممتحنة: ١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٠٣).

(٦) فتح القدير (٧/ ٢٠٩).

(٧) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٨٥٨).

الأقوال الأخرى في تفسير المغضوب عليهم والضالين:

وقد وردت أقوال أخرى في تفسير المغضوب عليهم والضالين تتفرع على مذهبين للمفسرين – رحمهم الله تعالى:

المذهب الأول: جعل التفسير النبويّ من قبيل التفسير بالمثال للمغضوب عليهم والضالين، وحمل الآية على العموم؛ ليدخل فيها كلّ مغضوب عليه وكلّ ضالّ، وهذا مذهب عدد من المفسرين:

قال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله: « ويشمل المغضوب عليهم والضالون فرق الكفر والفسوق والعصيان ... وما ورد في الأثر مما ظاهره تفسير المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى فهو إشارة إلى أن في الآية تعريضاً بهذين الفريقين اللذين حقّ عليهما هذان الوصفان لأن كلاً منهما صار علماً فيما أريد التعريض به فيه »(1).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: « وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فالمغضوب عليهم: هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود، والثاني صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأنّ النصارى ضالون، ظنّ الجاهل أنّ ذلك مخصوص بهم، وهو يقر أن ربه فارض عليه أن يدعو بهذا الدعاء، ويعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فيا سبحان الله كيف يعلمه الله ويختار له، ويفرض عليه أن يدعو به دائماً مع ظنه أنه لا حذر عليه منه، ولا يتصور أنه يفعله، هذا من ظن السوء بالله »(2).

---

(1) التحرير والتنوير (1/ 114).

(2) تفسير الفاتحة (صـ42-43).

وممن حمل الآية على العموم دون إهمال تفسيرها باليهود والنصارى العلامة السعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ41)، وتلميذه الشيخ العثيمين في تفسيره للفاتحة والبقرة (1/17).

وهذا المذهب صحيح؛ لأن التفسير النبوي بذكر بعض أفراد العام، لا يمنع حمل الآية على عمومها أو تفسيرها ببعض أفراد العام الأخرى، ومثل ذلك تفسير النبي القوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [(١)]، بالرمي [(٢)]؛ فقد ذهب أكثر المفسرين إلى العموم، وأن لا تقصر الآية عليه [(٣)]، فكذلك في هذا الموضع.

والمذهب الثاني: حكاية أقوال أخرى في تفسير الآية، وعدم ترجيح التفسير النبوي، بل وصل الأمر ببعضهم إلى ترجيح تلك الأقوال وتضعيف التفسير الصحيح [(٤)].

ولا شك في بطلان هذا المسلك؛ فالنبي ﷺ أعلم الناس بتفسير كلام الله، ولا قول لأحد بعد قوله ﷺ [(٥)].

النتيجة: الذي يتبيّن مما تقدّم أن تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ بالآيات المتقدمة، لا يصحّ على وجه الاستقلال به، أما ذكرها استئناساً [(٦)] بها على التفسير النبويّ للآية، فذلك واسع؛ لكونه من باب الاستدلال والاستشهاد، والله تعالى أعلم.

....

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠

(٢) أخرجه الإمام مسلم من حديث عقبة بن عامر في كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، حديث رقم (١٩١٧)، بلفظ: قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوّة الرمي ألا إن القوّة الرمي.

(٣) انظر: معالم التنزيل (٣/٣٧١)، المحرر الوجيز (٣/٢٠٢)، تفسير البيضاوي (٢/ ٤٠٣)، ، التحرير والتنوير (/١٨٣) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٣٢٤).

(٤) انظر: ذلك في التفسير الكبير للرازي (١/٢١٠)، واللباب اللباب في علوم الكتاب (١/٣٣) أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ -١٩٩٨م. ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

(٥) انظر ردّ الإمام الألوسي على الرازي في ذلك في روح المعاني (١/٧٧).

(٦) ولعل هذا ما جعل الشيخ الشنقيطي يقول – على غير عادته -: قد يبين – كما سبق في كلامه-؛ وعادته أن يقول بالجزم: بينه، يبينه. والله أعلم.

الفصل الثاني

دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن

من

سُورَةُ البَقَرَةِ

وفيه دراسة:

٩٠ آية

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة: ٣

هذه هي الصِّفة الثالثة التي وصف الله بها المتقين الذين اختصهم بهداية القرآن لهم في مطلع هذه السورة؛ فقد وصفهم الله تبارك وتعالى بالإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، ثم بالإنفاق مما رزقهم الله.

وهذا يشمل الإنفاق الواجب كالزكاة، وإنفاقَ التطوع كالصّدقات، والإنفاقِ في سبل الخير[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ (مِنْ) في قوله: (مِمَّا): تبعيضيّة[2]، أي: أنهم ينفقون بعض ما رزقناهم لا كلّه.

فعلى القول بأن المراد بالإنفاق هنا الزكاة المفروضة، فإن التبعيضيّة واضحة؛ لأن الزكاة إنما تكون ببعض المال، ولا تكون بجميعه[3]، أما على القول بالعموم – وهو مذهب جمهور المفسّرين كما تقدّم – فإن البعض الذي ينبغي إنفاقه غير مبيّن هنا؛ فحمله الشيخ الشنقيطي رحمه الله على قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[4].

قال رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: عبّر في هذه الآية الكريمة ب (من) التبعيضيّة الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كلّه، ولم يبيّن هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه، والذي ينبغي إمساكه، ولكنّه بيّن في مواضع أخر أن القدر الذي ينبغي

---

(١) وهذا هو مذهب جمهور المفسرين – رحمهم الله تعالى – من أنّ الآية عامّة تشمل الزكاة المفروضة، والصدقات، وسائر النفقات، انظر: جامع البيان (١/ ٢٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٧٩)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦٩)، فتح القدير (١/ ٢٦)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٠).

(٢) انظر: الكشاف (٢٣/١)، التفسير الكبير (٢٩/١)، البحر المحيط (١/ ١٦٥)، وما رأيت من حكى غيره، إلا السمين الحلبي في الدر المصون، وابن عادل في اللباب، فقد ذهبا إلى أنه لابتداء الغاية، ثم حكيا القول بالتبعيضية بلفظ: قيل، انظر: الدر المصون (١/ ٤٠)، تفسير اللباب (١/ ٦٧)، وذكر الشيخ العثيمين رحمه الله أنه يحتمل أن تكون للتبعيض، وأن تكون للبيان، انظر: تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٣٣).

(٣) انظر: حاشية ابن التمجيد على تفسير الإمام البيضاوي (٤٨٥/١)، روح المعاني (١١٠/١).

(٤) سورة البقرة: ٢١٩

إنفاقه هو الزائد على الحاجة وسدّ الخلّة التي لا بدّ منها، وذلك كقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[1]، والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بدّ منها على أصحّ التفسيرات، وهو مذهب الجمهور...»[2].

وجه بيان الآية بهذه الآية:

أنّ الإنفاق في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ محمول على عموم الإنفاق على الراجح، فيكون المراد ببعض ما ينفقون غير مبيّن، فبيّنت الآية الثانية أنّ ما ينفقون هو القدر الزائد على الحاجة.

ومما يؤيد ذلك أن السُّؤال في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ كان عن قدر الإنفاق[3]، والمعنى: ويسألونك عن القَدْر الذي ينفقونه من أموالهم تبرُّعًا وصدقةً، قل لهم: أنفقوا القَدْر الذي يزيد على حاجتكم[4]، فالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بدّ منها، على أرجح الأقوال[5].

وتفسير **الآية بهذه الآية صحيح**، وهو من قبيل بيان المجمل، **إذ حُمِل المجملُ في البعضية في الآية الأولى على القدر المبيّن في الآية الثانية**، فيكون المراد بالإنفاق المحمود في الآية الأولى: الفضل والزائد على الحاجات الضرورية.

وقد ذكر الشيخ الشنقيطي رحمه الله بعض الآيات التي جاءت في الأمر بالتّوسط في الإنفاق والنهي عن الإسراف والتقتير، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[6]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[7][8].

(١) سورة البقرة: ٢١٩

(٢) أضواء البيان (١/ ٥٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٦١).

(٤) التفسير الميسر (صـ ٢٣٣).

(٥) انظر: جامع البيان (٤/٣٤٠).

(٦) سورة الإسراء: ٢٩

(٧) سورة الفرقان: ٦٧

(٨) انظر: أضواء البيان (١/ ٥٦).

وهاتان الآيتان من الأدلّة التي تؤيّد المعنى المشار إليه في الآية، من أنّ المحمود في الإنفاق: التوسّط ولزوم القصد، فلا إفراط ولا تفريط، ولا بخل ولا إسراف.

ففي الأولى نهي عن البخل والإسراف، وفي الثانية وصف لعباد الرحمن أنهم متّصفون بالتوسّط في الإنفاق فلا يسرفون ولا يقترون.

وبالنظر فيهما يظهر أن فيهما بيانٌ لبعض ما ينبغي إنفاقه من المال في الصدقات والنفقات، وهو الوسط وليس كلّ المال، وبذلك يمكن حمل الآية عليهما وبيان المجمل فيها بهما، والله تعالى أعلم.

أمّا ما ذكره الشيخ في نهاية كلامه المنقول نصّه آنفاً، من أنّ الله تعالى بيّن في مواضع أخر من كتابه أنّ الإنفاق المحمود لا يكون كذلك، إلاّ إذا كان مصرفه الذي صرف فيه مما يرضي الله، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الآية[1]، وأنه صرّح بأن الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة على صاحبه في قوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ الآية[2]، فليس من المعنى الذي تحدّثت عنه الآية التي هي مجال الدراسة الآن؛ فإن المعنى التي تشير إليها مع الآيات المبيّنة لها أن الإنفاق المحمود الذي هو صفة من صفات عباد الرحمن المتقين هو الإنفاق مما زاد على الحاجات الضرورية – كما تقدّم – والتوسط بين الإسراف والبخل في ذلك.

أما الآيات الأخرى التي ذكرها الشيخ ففي مصرف الصّدقات، وأن تكون فيما يرضي الله ﷻ، فهو جمع لأطراف موضوع الإنفاق، وإيراد ما جاء فيه من الآيات القرآنية؛ لزيادة البيان والإيضاح؛ فهو من المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والعلم عند الله تعالى.

❁❁❁◈◈◈

(١) سورة البقرة: ٢١٥

(٢) سورة الأنفال: ٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٧

لَمَّا أخبر الله تعالى عن الذين كفروا – أي: اتّصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصار وصفاً لهم لازماً – أنّهم مستمرّون على كفرهم، ولا يؤمنون، سواء عليهم الإنذار وعدمه – بيّن في هذه الآية الموانع التي حالت بينهم وبين الاهتداء إلى الحقّ، وهي سدّ طرق العلم والخير عليهم، وإغلاق أبواب الإيمان عنهم بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندهم بعد ما تبيَّنَ لهم الحق؛وذلك بالطَّبع على قلوبهم فلا تعي خيراً ولا تفقهه، وعلى آذانهم فلا يسمعون الحقّ ولا ينتفعون به، وجعل الغشاوة على أعينهم فلا يرون الحقّ(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: بيان سبب الختم على قلوبهم بآيات أخر:

أسند الله تعالى إلى نفسه الطبع والختم على قلوب الكافرين فلا يهتدون سبيل الحق، ويشكل على ذلك استحقاقهم العقوبة مع ذلك، مع أنّ الله ليس بظلام للعبيد، فذهب جمهور أهل السنة إلى أنّ الله تعالى إنما ختم على قلوبهم بسبب كفرهم، وحملوا هذه الآية على الآيات التي بينت ذلك.

كقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(٢)، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(٣)،وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٤) وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٥)،

---

(١) انظر: معالم التنزيل (١/ ٦٥)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٨).

(٢) سورة النساء: ١٥٥.

(٣) سورة المنافقون: ٣ .

(٤) سورة الأنعام: ١١٠.

(٥) سورة الصف: ٥.

وقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[(٢)] إلى غير ذلك من الآيات.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: « ولأن الأمة مجمعة على أنّ الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ »[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله – في معرض ردّه على الزمخشري -: « ولو فهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وقوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقًا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح، فلو أحاط علمًا بهذا لما قال ما قال، والله أعلم »[(٤)].

وذكر مثل هذا العلامة الشنقيطي رحمه الله في جوابه على ما يتوهم فيه الاضطراب في هذا، وأورد الآيات المذكورة في ذلك[(٥)]، كما قرر هذا المعنى والاستشهاد عليه بالآيات المذكورة أو بعضها جمع غفير من أهل العلم[(٦)].

وهو مذهب جمهور العلماء وإن لم يشيروا إلى الآيات المذكورة[(٧)].

---

(١) سورة البقرة: ١٠.

(٢) سورة المطففين: ١٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٨٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/١٧٤).

(٥) في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ٣)، ولم يتعرض له في أضواء البيان.

(٦) انظر: بحر العلوم (١/٥١) للإمام: أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الفكر – بيروت، ت: د.محمود مطرجي، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١/٩١) تأليف الإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٤٦)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٣٧)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٨)، صفوة التفاسير (١/٣٣) تفسير للقرآن الكريم، تأليف: الشيخ محمد علي الصابوني، ط٩، دار الصابوني – القاهرة.

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/٨٧)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/٢٣)، تأليف الشيخ: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

وجه البيان: واضح وظاهر، إذ أطلق الله هنا أنه ختم على قلوب الكافرين وسمعهم وأبصارهم؛ فلا يهتدون سبيل الحق، و لم يقيّد ذلك بكونه سبباً لكفرهم وتماديهم في الطغيان، وقيّده بذلك في الآيات المذكورة، **فيحمل المطلق على المقيّد،** وتتفق آي القرآن على الحق المبين، الدالّ على عدل الملك الكبير المتعال الذي لا يظلم الناس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون[(١)].

وقد سلك المؤولة من المعتزلة وغيرهم مسلك التأويل في إسناد هذا الختم إلى الله؛ إذ مذهبهم أن الله تعالى لا يخلق الكفر ولا يمنع من قبول الحق والوصول إليه، إذ ذاك قبيح والله تعالى يتعالى عن فعل القبيح، وذكر الزمخشري في ذلك أنواعاً من التأويل عشرة، بطلانها واضح، فلا يتعرض لها[(٢)].

---

(١) مع العلم أنّ هذا ليس حكماً يعم جميع الكفار بل هذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة كما عاقب بعضهم بالمسخ قردة وخنازير وبعضهم بالطمس على أعينهم، شفاء العليل (١/٩١) (مختصراً).

(٢) فليرجع لها في الكشاف (١/٩٠)، ولخصها أبو حيان في البحر المحيط (١/١٧٥).

المطلب الثاني: بيان الإجمال في الواو في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾

في هذه الآية الكريمة ورد إجمال بسبب الاشتراك في حرف الواو في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾؛ حيث أنّ الواو فيه محتملةٌ لأن تكون عاطفةً على القلوب؛ فتكون الأسماع مختوماً عليها، أو تكون للاستئناف، فيكون قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ خبراً مقدّماً، لقوله ﴿غِشَاوَةٌ﴾، فيكون: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ معطوفاً عليه[1].

وقد حمله جمهور المفسرين على العطف؛ لآية في كتاب الله تبيّن إجماله؛ ليكون من تفسير القرآن بالقرآن، وهو قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، فقد روى الإمام الطبري بسنده عن ابن جريج[3] رحمه الله أنه قال: « الختم على القلب والسمع، والغشاوة على البصر، قال الله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[4]، وقال ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ »[5].

وقال الزمخشري رحمه الله: « فإن قلت: اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلةً في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيّهما يعوّل؟ قلت: على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ »[6].

---

(١) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/٧٥) للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم-دمشق، ت: د. أحمد محمد الخراط، اللباب في علوم الكتاب (١/٨٣)، التحرير والتنوير (١/ ٩٥)، أضواء البيان (١/٥٨).

(٢) سورة الجاثية: ٢٣

(٣) هو: الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد ويقال أبوخالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي الفقيه. أحد العلماء المشهورين، ويقال إنه أول من صنف الكتب في الإسلام، ولد سنة نيف وسبعين وأدرك صغار الصحابة لكن لم يحفظ عنهم، توفي سنة (١٥٠هـ)، وفيات الأعيان (٣/١٦٤)، تذكرة الحفاظ (١/١٢٧).

(٤) سورة الشورى: ٢٤، ولم أدرك وجه استشهاده بهذه الآية على هذا التفسير – سوى المعنى الجامع بينهما –؛ لأنه لا خلاف في أنّ الختم على القلوب كما هو ظاهر.

(٥) جامع البيان (١/٢٦٥)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٥)، والشوكاني في فتح القدير (١/٣٢).

(٦) الكشاف (١/ ٣٠).

وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله: « وقد وقع قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ بين شيئين: يمكن أن يكون السمع محكوماً عليه مع كل واحد منهما؛ إذ يحتمل أن يكون أشرك في الختم بينه وبين القلوب، ويحتمل أن يكون أشرك في الغشاوة بينه وبين الأبصار، لكن حمله على الأول أولى؛ **للتصريح بذلك في قوله:** ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ »(١).

وقال العلامة الألوسي رحمه الله: « وقد اتّفق القراء على الوقف على ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ وظاهره دليل على أنه لا تعلّق له بما بعده فهو معطوف على ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وهذا أولى من كونه هو وما عطف عليه خبراً مقدّماً لغشاوة، أو عاملان فيه على التنازع وإن احتملته الآية، **لتعيّن نظيره في قوله تعالى:** ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ **والقرآن يفسر بعضه بعضاً** »(٢).

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ لا يخفى أن الواو في قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ محتملة في الحرفين(٣) أن تكون عاطفة على ما قبلها، وأن تكون استئنافية، ولم يبين ذلك هنا، ولكن بين في موضع آخر أن قوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وأن قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ ... فتحصل أن الختم على القلوب والأسماع، وأن الغشاوة على الأبصار، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ »(٤).

---

(١) البحر المحيط (١/ ٤٦).

(٢) روح المعاني (١/ ١٣٦).

(٣) هذا الذي ذكره الشيخ الشنقيطي من احتمال الواو العطف والاستئناف في الموضعين، لم أجد من ذكره، وإنما ذكروا الاحتمال فيه في قوله تعالى: وعلى سمعهم، كما تقدّم في كلام الزمخشري وأبي حيان، وهو صريح كلام السمين وابن عادل وغيرهم، والذي ذكره الشيخ له وجه؛ ويدلّ له ما حكاه ابن عطية والقرطبي عن بعض المفسرين – كما سيأتي – من أن الختم على الجميع، وأن الغشاوة هي الختم؛ فيكون الواو في الموضعين للعطف على القلوب.

(٤) أضواء البيان (١/٥٧-٥٨).

وحمل الآية على هذه الآية هو مذهب جمع من المفسرين، فمنهم - غير من تقدّم النقل عنهم -، البيضاوي[1] وابن جزي[2]، والزركشي[3]، والنيسابوري[4].

ووجه بيان الآية بهذه الآية واضحة؛ لأن الأسماع لما جاءت في الآية الأولى محتملةً للدخول في حكم الختم أو الغشاوة، جاءت الآية الثانية موضِّحةً أنها داخلة في حكم الختم عليها، وأن الغشاوة للأبصار، فهو من قبيل **حمل المجمل على المبيّن**.

وهذا (أي جعل الختم للقلوب والأسماع، والغشاوة للأبصار) مذهب جمهور المفسرين، حتى الذين لم يحملوا الآية على آية الجاثية، وهو الذي رجّحه الإمام الطبري[5]، والحافظ ابن كثير[6]، والطاهر ابن عاشور[7]، وغيرهم.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٧). والبيضاوي هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاضي شيراز، كان إماماً مبرزاً نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً، توفي (٦٨٥ هـ)، انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/٢٤٢) الأعلام (٤/١١٠).

(٢) في: التسهيل لعلوم التنزيل (١/٦٠)، وابن جزي هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزى الكلبي الغرناطي يكنى أبا القاسم، كان عاكفاً على العلم، مشتغلاً بالتدوين، ففيهاً، مشاركاً في فنون: من عربية، وأصول، وقراءات، وحديث، وأدب حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال. توفي مقتولاً سنة (٧٤١ هـ)، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/٢٧٤)، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي ت: د. حمد الأحمدي أبو النور- دار التراث. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/٨٩) تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، مراقبة : محمد عبد المعيد ضان ، ط ٢. مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، الهند ، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٩٧).

(٤) في: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/١٥٣)، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -ت: الشيخ زكريا عميران. والنيسابوري هو: العالم الفاضل العلامة الشيخ نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، وكان يعرف بنظام الأعرج، أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. له كتب، توفي بعد (٨٥٠ هـ) انظر: طبقات المفسرين للأدنه وي (ص٤٢٠) الأعلام (٢/٢١٦).

(٥) انظر: جامع البيان (١/ ٢٦٢)

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٥).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٩٥).

الأقوال الأخرى في الآية:

وقد ذكر بعض المفسرين أقوالاً أخرى في الآية منها:

١- أن الغشاوة على الأسماع والأبصار، حكاه القرطبي عن بعض المفسرين[١]، وهذا الذي ذكر كثير من المفسّرين - كما تقدّم - احتمال اللفظ له.

٢- أن الختم في الجميع، والغشاوة هي الختم، حكاه ابن عطية والقرطبي عن بعض المفسرين[٢]، وهذا القول لا يمكن توجيهه إلا بالقراءة بنصب ﴿غِشَٰوَةٌ﴾، وهي قراءة شاذة كما سيأتي؛ أما على قراءة الرفع — وهي القراءة المتواترة — فإنّ ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ مرفوع للابتداء، وخبره مقدّم عليه يكون إما قوله ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ أو قوله ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾، كما تقدّم، والآية الأخرى تشهد للثاني.

ومما يردّ هذا القول ما ذكره الإمام الطبري من أنّ الختمَ لم توصف به العيونُ في شيء من كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله ﷺ، ولا موجودٍ في لغة أحد من العرب، وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ﴾، ثم قال ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾، فلم يدخل البصرَ في معنى الختم[٣].

الترجيح:

الراجح: هو القول الأول: وهو جعل الختم للأسماع عطفاً على القلوب، والغشاوة للأبصار وذلك لوجوه:

١- صحّة تفسير القرآن بالقرآن فيه، وهو أصحّ طرق التفسير.

٢- أنه قول جمهور المفسّرين من السلف والخلف، وما حُكِيَ من الأقوال الأخرى لا سند لها مذكور، بل ذكرها بعضهم على سبيل الاحتمال.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٩١)، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان (١/ ٢٦٢).

٣- اتّفاق القراء على الوقف على قوله ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾، وقد أشار إلى هذا جمع من المفسرين، وجعلوها من العلل في ترجيح هذا القول، قال الزمخشري رحمه الله -: « ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم »[١]، وقال البيضاوي رحمه الله: « و﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ معطوف على قلوبهم لقوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ وللوفاق على الوقف عليه»[٢]. وقال الألوسي رحمه الله: « وقد اتفق القراء على الوقف على ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ وظاهره دليل على أنه لا تعلّق له بما بعده فهو معطوف على ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ »[٣].

ومما ينبغي التنبّه له أن اختلاف القراءات في رفع قوله ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ أو نصبه، لا يؤثّر في تفسير الآية بآية الجاثية؛ وذلك لأمور:

أحدها: أن القراءة بالرفع هو مذهب جمهور القراء، وأما قراءة النصب فشاذّة[٤].

الثاني: أنه يمكن حمل القراءة الشاذّة على القراءة المتواترة بتقدير فعل: وجعل، أي وجعل على أبصارهم غشاوةً[٥]، حملاً على الآية الثانية؛ فتكون كلا القراءتين بمعنىً واحد، وهذا أولى؛ لأن القراءات تبيّن بعضها بعضاً.

الثالث: أن يكون نصبها على الإتباع على محلّ ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾؛ لأنه في محلّ نصب[٦]، قال الطبري رحمه الله: « وقد يحتمل نَصبُها على إتباعها موضعَ السمع، إذ كان موضعه نصبًا، وإن لم يكن حَسَنًا إعادةُ العامل فيه على "غشاوة"، ولكن على إتباع الكلام بعضِه بعضًا، كما قال تعالى ذكره: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ

(١) الكشاف (١/ ٣٠).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٧)، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٤٢).

(٣) روح المعاني (١/١٣٤).

(٤) من رواية المفضّل الضبيّ عن عاصم انظر: معاني القرآن (١/١٣) للإمام: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، الدارالمصرية للتأليف والترجمة، ت: أحمد يوسف نجاتي / محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى ، المحرر الوجيز (١/ ٢٣).

(٥) انظر: جامع البيان (١/ ٢٦٤)، المحرر الوجيز (١/٢٣)، البحر المحيط (١/ ٤٦)، الدر المصون (١/ ٧٦)، أضواء البيان (١/ ٥٨)

(٦) انظر: جامع البيان (١/ ٢٦٤)، تفسير القرآن العظيم (١/١٧٦).

﴿وَأَبَارِيقَ﴾[1]، ثم قال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾[2]؛ فخفضَ اللحمَ والحور[3] على العطف به على الفاكهة، إتباعًا لآخر الكلام أوّله، ومعلومٌ أن اللحمَ لا يطاف به ولا بالحور العين »[4].

وما ذكره بعض المفسرين من تقديرات أخرى غير هذين التقديرين لتوجيه قراءة النصب - مما يؤدّي إلى حمل القراءة المتواترة على القراءة الشاذة -، فغير مسلّم على الإطلاق، مع أن أكثر هذه التقديرات لم تسلم من تضعيف[5].

النتيجة:

صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ؛ فيكون الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على الأبصار، وقراءة النصب – أيضاً – يحمل على ذلك لما تقدّم، والله تعالى أعلم.

(١) سورة الواقعة: ١٧ - ١٨

(٢) سورة الواقعة: ٢٠ - ٢٢

(٣) هذا الذي ذكره الإمام الطبري من خفض الحور إنما ذلك على قراءة حمزة والكسائي وأبو جعفر، وباقي القراء العشر يقرءون بالرفع، انظر: التيسير فى القراءات السبع (صـ ١٣٢)، النشر في القراءات العشر (٢/٤٢٣)، إبراز المعاني من حرز الأماني (صـ٦٩٧) للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، ط، دار الكتب العلمية، ت: إبراهيم عطوه عوض.

(٤) جامع البيان (١/٢٦٤)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٦)، فتح القدير (١/ ٦٣).

(٥) انظر: هذه التقديرات في: البحر المحيط (١/ ٤٦)، الدر المصون (١/ ٧٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة: ٩

يخبر المولى جلّ وعلا عن المنافقين أنهم – بجهلهم – يعتقدون أنّهم يخادعون الله والذين آمنوا بإظهارهم الإيمان وإضمارهم الكفر، لكنّهم لا يخدعون إلاّ أنفسهم في غير شعور! فالله بخداعهم عليم؛ والمؤمنون في كنف الله فهو حافظهم من هذا الخداع اللئيم، ويدفع عنهم ضرره، وضرر الخداع لا يعود إلا على أنفسهم[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير خداع الله للمنافقين بآيات من القرآن:

فقد وصف الله المنافقين في الآية بأنّهم يخادعون الله والمؤمنين، والمخادعة مفاعلة، والأصل المعروف فيها أن تكون من فاعلين، يفعل كلّ أحد منهما بالآخر مثل ما يفعله به؛ فيقتضي على هذا أن يصدر من كلّ واحد من الله ومن المؤمنين ومن المنافقين فعل يتعلّق بالآخر، فهم يخادعون الله والذين آمنوا[(٢)]، والله ﷻ والذين آمنوا يخادعونهم[(٣)].

وقد صرح الله بخداعه للمنافقين في آية أخرى هي: **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/٤٣) بقلم سيد قطب، ط٣٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. دار الشروق – القاهرة. التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٦)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٤٠).

(٢) واختلف المفسّرون في المراد بخداع المنافقين لله تعالى، مع كونه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، وأحسنها ما ذهب إليه جمهور من المفسّرين من أنّ المراد بخداع المنافقين لله والمؤمنين هو: إظهارُهم بألسنتهم من الإيمان والتصديق، خلافَ الذي في قلوبهم من الشكّ والتكذيب، ليحرزوا بذلك دماءَهم وأموالَهم، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم أنهم يخدعون الله بذلك، وأن ذلك ينفعهم عنده. انظر: جامع البيان (١/٢٧٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧٢)، تفسير القرآن العظيم (١/١٧٧)، التحرير والتنوير (١/١١٢).

(٣) انظر: جامع البيان (١/ ٢٧٤).

(٤) النساء: ١٤٢، لذا استشهد بها ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وربط بينهما في تفسير آية النساء.

فحمل ذلك جماعةٌ من المفسّرين على آيات تبيّن الخداع الذي يصدر من الله جلّ جلاله تجاه المنافقين، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[(٢)].

فقد روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه من حديث طويل قال فيه: « ويقول المنافق للذين آمنوا ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ **وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين** حيث قال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ »[(٣)].

وعن الحسن البصري رحمه الله: أنه كان إذا قرأ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ قال: « يُلقَى على كل مؤمن ومنافق نورٌ يمشونَ به، حتى إذا انتهوا إلى الصراط طَفِئ نورُ المنافقين، ومضى المؤمنون بنورهم، فينادونهم: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال الحسن: فذلك خديعة الله إياهم »[(٤)].

وروي مثل هذا عن غير واحد من السلف[(٥)].

وقال الإمام الطبري رحمه الله - بعد ما حكى قول من ذهب إلى أنّ المفاعلة في قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ليست على بابها وإنما هو بمعنى يفعل-: «وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من "التفاعل" الذي لا يكون إلا من اثنين، كسائر ما يُعرف من معنى "يفاعل ومُفاعل" في كلّ كلام العرب؛ وذلك: أن المنافق يُخادع الله جلّ ثناؤه بكَذبه بلسانه - على ما قد تقدّم وصفه - والله تبارك اسمه خادِعُه، بخذلانه

---

(١) سورة الحديد: ١٣

(٢) سورة آل عمران: ١٧٨

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٢٨٣) والبيهقي في الأسماء والصّفات (٢/ ٤٣٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٦)، والدر المنثور (٩/ ٤١٥).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٣٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٩٥) من طريق سفيان بن حسين.

(٥) فقد أخرج الطبري مثله في جامع البيان (٩/٣٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٩٥) عن السدي من طريق أسباط عنه، كما أخرج الطبري مثله عن ابن جريج (٩/٣٢٩-٣٣٠) من طريق حجاج.

عن حسن البصيرة بما فيه نجاةُ نفسه في آجل مَعاده، كالذي أخبر في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾[1]، وبالمعنى الذي أخبرَ أنه فاعلٌ به في الآخرة بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، فذلك نظيرُ سائر ما يأتي من معاني الكلام بـ "يُفاعِل ومُفاعِل" »[2].

وقال مقاتل رحمه الله: « فخدعهم الله في الآخرة حين يقول في سورة الحديد: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[3]، فقال لهم استهزاءً بهم كما استهزؤوا في الدنيا بالمؤمنين حين قالوا: آمنا وليسوا بمؤمنين، وذلك قوله عز وجلّ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، أيضاً على الصراط حين يقال لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ »[4].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، - في سورة النساء -: « أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم، ويخذلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا وكذلك في يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[5] »[6].

فيرى هؤلاء الأئمة المفسّرون أن خداع الله سبحانه وتعالى للمنافقين مبيَّنة بهاتين الآيتين.

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٨

(٢) جامع البيان (١/ ٢٧٤).

(٣) سورة الحديد: ١٣

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٣٢)، وانظر: (١/ ٣٥٩).

(٥) سورة الحديد: ١٣ - ١٥

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٣٧)

وجه البيان:

وجه ذلك بيّن، وهو أن الله يخادع المنافقين في الدنيا باستدراجهم والإملاء لهم في الدنيا ليزدادوا في النفاق والطغيان، وهم يحسبون أنهم على شيء، كما يخادعهم يوم القيامة بإظهاره لهم بعض النور ثم سلبهم إيّاه.

وهذا القول هو أسلم الأقوال في تفسير خداع الله للمنافقين؛ لما فيها من إثبات ما أثبت الله لنفسه من الصّفات على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، وما فيه من حمل آيات القرآن بعضها على بعض، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

وهذه الآية من الآيات التي أطلق الله على نفسه فيها أفعالاً على سبيل الجزاء العدل والمقابلة، ومثلها وصف الله تعالى نفسه بالاستهزاء في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(١)، وبالمكر في قوله﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾(٢)، وبالسخرية في قوله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾(٣).

ومذهب أهل السنة والجماعة في هذه الصفات: أنها فيما سيقت فيه مدح وكمال؛ لأنها من الصّفات التي تكون محموداً في حال دون حال، فتكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدلّ على أنّ فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوّه بمثل فعله، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية.

لكن لا يجوز أن يشتقّ لله تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات، فلا يجوز أن يطلق على الله تعالى مخادع، ماكر، ناس، مستهزئ، ونحو ذلك، مما يتعالى الله عنه، ولا يقال الله: يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً(٤).

---

(١) البقرة: ١٥ ، وسيأتي الكلام على هذه الآية – إن شاء الله – في دراسة خاصّة، (صـ: ١٦٤-١٧٠).

(٢) سورة الأنفال: ٣٠

(٣) سورة التوبة: ٧٩

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (١/١١٨)، (بتصرف يسير) تأليف الشيخ: حافظ بن أحمد حكمي، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار ابن القيم – الدمام، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

أقوال أخرى في المراد بخداع الله للمنافقين:

وقد جاءت أقوال أخرى – غير هذا القول الصحيح – في تفسير هذه الآية منها:

أن المفاعلة لم ترد على معنى المشاركة، وإنما يراد به معنى ما ترد من الجانب الواحد، كقولك عافاك الله وعاقبت فلانا، وطارقت النعل، فعلى هذا لا يكون هناك خداع من الله لهم، حكى هذا القول جماعة من المفسّرين[1].

ويردّ هذا صريح آية النساء قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾.

الترجيح: القول الأوّل هو الراجح؛ وذلك لأمرين:

١- سلامته من التحريف والتأويل والتعطيل، بإثبات ما أثبت الله لنفسه من الصفات على ما يليق بجلاله وعظمته.

٢- حمل آيات القرآن بعضها على بعض، وأحسن ما يفسّر القرآنَ القرآنُ؛ لأنّ الله أدرى بكلامه من كلّ أحد.

فالنّتيجة: صحّة تفسير الآية بالآيتين، وتأويل خداع الله تعالى بهما فيخدعهم في الدنيا بما ورد في آية آل عمران، وفي الآخرة بما ورد في آية سورة الحديد، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (١/١٥٣)، معالم التنزيل (١/٦٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) (١/٣٣)، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م. دار الفكر – بيروت / لبنان.

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾:

يخبر الله تعالى عن المنافقين: أنهم لا يشعرون بأن الله خادِعُهم، بإملائه لهم واستدراجِهِ إياهم، وما يَغُرُّون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم[(١)].

وقد فسّر بعض العلماء هذه الآية بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[(٢)].

فروى الإمام الطبري رحمه الله بسنده عن ابن وهب[(٣)] قال: سألت ابن زيد عن قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾، قال: « ما يشعرون أنهم ضَرُّوا أنفسهم، بما أَسَرُّوا من الكفر والنّفاق، وقرأ قول الله تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾، قال: هم المنافقون حتى بلغ: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾، قد كان الإيمان ينفعهم عندكم »[(٤)].

واستشهد بها الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية[(٥)]، وقال الشّيخ حكمت بشير – حفظه الله – بعد ما أورد الأثر عن ابن زيد: « وهذا التفسير **من قبيل تفسير القرآن بالقرآن**، ولهذا أوردته هنا »[(٦)].

ووجه البيان:

أنّ الله سبحانه ذكر في الآية الأولى أنّ المنافقين لا يخادعون الله لعلمه بما يسرون، ولا يخادعون المؤمنين لأنّ الله يدفع عنهم ضرر خداعهم، وإنما يخدعون

---

(١) انظر: جامع البيان (١/ ٢٧٨).

(٢) سورة المجادلة: ١٨

(٣) ابن وهب: هو: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم المصري الفقيه، صاحب التصانيف، كان ثقة فقيهاً حافظاً عابداً، توفي سنة (١٩٧هـ). انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢/٥٢١-٥٢٣) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، تهذيب التهذيب (٦/٦٥-٦٧).

(٤) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١/ ٢٧٨) وأسنده إليه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٢)، والإسناد إلى ابن زيد صحيح انظر: التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/١٠٨)، للعلامة: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية.

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٧).

(٦) التفسير الصحيح (١/١٠٨).

أنفسهم؛ لأن ضرر المخادعة عائد عليهم[1]، ولكنهم لا يفطنون ولا يعلمون أن وبال خداعهم راجع عليهم، فيظنون أنهم قد نجوا بخداعهم وفازوا[2].

وفي الثانية: أخبر تعالى عن المنافقين – أيضاً – أنهم يحلفون لله في الآخرة بأنهم مسلمون كما كانوا يحلفون للمؤمنين فى الدّنيا على ذلك وأنهم منهم[3]، يحسبون بتلك الأيمان الفاجرة أنهم على شيء من جلبِ منفعةٍ أو دفعِ مضرةٍ كما كانُوا عليهِ في الدُّنيا حيثُ كانوا يدفعونَ بِهَا عنْ أرواحِهم وأموالِهم ، ويحصّلون بها فوائدَ دنيويةً[4].

وهذا من **تفسير معنى آية بآية أخرى**، فإنّ قوله تعالى في الآيــة الأولى: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، قد يخفى وجه عدم شعورهم، ومالذي لا يشعرون به؟؛ فبيّن الله في الآية الأخرى أنهم لا يشعرون أنهم كاذبون فيما هم عليه، وأنهم ضروا بذلك أنفسهم، ولا ينفعهم يوم القيامة أنهم كانوا مع المؤمنين. والله تعالى أعلم.

واستشهد الشّيخ ثناء الله الهندي[5] رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، بقوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾[6]، وذلك لاشتراك الآيتين في معنىً واحدٍ، وهو أن المكر السيئ لا يحيق إلّا بأهله، فهو من جمع الآيات المتماثلة في المعنى والموضوع، وهو من أوجه تفسير القرآن بــالقرآن علــى المصطلح الموسَّع، والعلم عند الله تعالى.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٢٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٩٧)، معالم التنزيل (١/ ٦٦).

(٣) الكشاف (٧ / ١٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٧٩).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦/٢٩٢).

(٥) في: تفسير القرآن بكلام الرحمن (صــ٩)

(٦) سورة فصلت: ٤٦، سورة الجاثية: ١٥.

تفسير قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ البقرة: ١٠

يخبر الله سبحانه وتعالى عن المنافقين أنّ في قلوبهم مرض من الشّكّ والحيرة، فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضِه، شكّاً وحيرةً[١]، وذلك بسبب ذنوبهم السَّابقة، كما يدلّ لذلك قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾؛ فإنّ عقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أنّ من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها[٢].

وقد ذهب جمهور المفسِّرين إلى أن المراد بالمرض الذي في قلوبهم، والذي زاده الله فيها، هو الشّك[٣].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أخرج الإمام الطبري[٤] بسنده عن ابن زيد رحمه الله، في قول الله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾، في قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، قال: هذا مرض في الدِّين، وليس مَرَضًا في الأجساد، قال: وهم المنافقون، والمرض: الشكّ الذي دخلهم في الإسلام ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾، قال: زادهم رِجْسًا، وقرأ قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[٥]، قال: شرًّا إلى شرِّهم، وضلالةً إلى ضلالتهم ».

وذكره الحافظ ابن كثير عنه أيضاً في تفسيره ثم قال: « وهذا الذي قاله عبد الرحمن رحمه الله حسن، وهو الجزاء من جنس العمل، وكذلك قاله الأوّلون، وهو نظير قوله تعالى أيضًا: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[٦]»[٧].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/٢٨٢).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٢).

(٣) كما أخرج ذلك الطبري في روايات متعدّدة عن ابن مسعود وابن عباس، وقتادة والربيع بن أنس رضي الله عنهم، انظر: جامع البيان (١/ ٢٨٠)، وقال ابن كثير – رحمه الله -: « وكذلك قال مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري، وأبو العالية، والربيع بن أنس وقتادة »، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٧٩).

(٤) في جامع البيان (١/٢٨٢) من طريق عبد الله بن وهب.

(٥) سورة التوبة: ١٢٥

(٦) سورة محمد: ١٧

(٧) تفسير القرآن العظيم (١/١٧٩).

وقال الشيخ حكمت بشير ياسين – بعد ما أورد الأثر عن الطبري -: «وإسناده صحيح إلى ابن زيد وهو عبد الرحمن، **وهذا التفسير من قبيل تفسير القرآن بالقرآن**، وذكره ابن كثير... »[1].

ويظهر وجه تفسير الآية بهذه الآية من وجهين:

الوجه الأول: احتمال كون المرض في الآية مرض الألم.

فإن المرض[2] في الآية يحتمل أن يراد به الألم الكائن في القلوب[3]، أو يراد به ما يحلّ القلب من الشك[4]، والآية الثانية بيّنت أن المراد به الثاني؛ فإنّ « الرجس » في الآية الثانية – وإن اختلف المفسّرون في تفسيره- إلاّ أنه لا يحتمل الاحتمال الأوّل، وكلّ ما ذكر العلماء من الأقوال في معناه راجع إلى الاحتمال الثاني، فسواء فسّر الرجس بالشّكّ[5]، أو الكفر[6]، فإنه من الاحتمال الأوّل، ومن فسّر الرجس بالإثم[7]، أو بالعذاب، فهو ما يعاقبهم الله على هذا الشّكّ والكفر.

(١) التفسير الصحيح (١/ ١٠٩).

(٢) قال الطبري رحمه الله: « وأصل المَرَض: السَّقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان. فأخبر الله جلّ ثناؤه أن في قلوب المنافقين مَرَضًا، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره عن مرض قلوبهم، الخبرَ عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد». جامع البيان (١/ ٢٧٨).

(٣) وذلك بسبب الغمّ والكمد الذي يجدونه في قلوبهم انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٧)، أو بسبب الخوف وغيره، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧٢).

(٤) الكشاف (١/ ٣٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/١)، البحر المحيط (٥٨/١)، ، روح المعاني (١/ ١٥٣).

(٥) كما هو قول ابن عباس والكلبي في معنى الرجس، انظر: النكت والعيون (١٥٣/٢)، زاد المسير (٢٤٥/٣)، البحر المحيط (٦/ ٢٥٠)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٩).

(٦) وهو قول الزجاج وقطرب، انظر: المصادر السابقة، بنفس الصفحات، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣٧٠/٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣/ ٢٢٥)، التحرير والتنوير (٦/ ٤٠٩).

(٧) وهو قول مقاتل، انظر: تفسيره (٢/ ٨٥)، وزاد المسير (٢٤٥/٣)، البحر المحيط (٦/ ٢٥٠).

وبهذا فالآية الثانية تفسِّر الآية الأولى ببيان أن المراد بالمرض هو مرض الشّك الذي هو الرّجس، كما هو مذهب الجمهور، وهذا الذي أشار إليه ابن زيد في قوله: « هذا مرض في الدِّين، وليس مَرَضًا في الأجساد »(١).

الوجه الثاني: احتمال قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ الخبريّة و الإنشائيّة:

فقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يحتمل أن يكون إخباراً من الله تعالى عن زيادة شكّهم وحيرتهم، كما يحتمل أن يكون دعاءً عليهم بزيادة الشّكّ والنّفاق في قلوبهم جزاءً على كفرهم(٢)، والآية الثانية صريحةٌ في الخبريّة، فتبيّن الاحتمال في الآية الأولى.

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى الاحتمال الثاني، أو حكاية الاحتمالين(٣)، والذي يترجّح – والعلم عند الله – هو الاحتمال الأوّل أي الخبريّة؛ وذلك لصحّة تفسير القرآن بالقرآن فيه؛ حيث جاءت آية سورة التوبة مبيّنة للاحتمال وموضِّحةً له، فوجب المصير إليه.

فالنتيجة: صحّة تفسير الآية بآية التّوبة من جهة بيان الثانية أنّ المراد بالمرض ما في قلوبهم من الاعتقاد الذي هو الشكّ والرجس، وليس المراد به الألم كما ذهب إليه من ذهب، ومن جهة التّصريح في الثانية بالخبريّة، دون الإنشائية والدعائية.

وقد سبق نقل تنظير ابن كثير رحمه الله بين الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، كما استشهد العلاّمة السعدي رحمه الله في تفسير الآية بآيات أخرى، حيث يقول: « وفي قوله عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

---

(١) تقدّم تخريج الأثر قبل قليل (صـ: ١٦٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/٢٧)، بحر العلوم (١/١٥)، الجامع لأحكام القرآن (١/١٩٧)، التسهيل لعلوم التتريل (١/٦١).

(٣) كما في: المحرر الوجيز (١/ ٢٧)، النكت والعيون (١/ ١٧)، فتح القدير (١/ ٣٥).

(٤) سورة الأنعام: ١١٠

(٥) سورة الصف: ٥

مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾[1]، فعقوبة المعصية المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾[2]»[3].

وهذا كلّه من أمثلة المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن؛ إذ هو من **جمع الآيات المتشابهة في المعنى الواحد**، فهذه الآيات كلّها تتّفق مع الآية في أنّ الجزاء من جنس العمل، فالهداية جزاؤها الهداية، والضلالة كذلك، وما ابتلى الله به من ابتلى إلاّ بسبب ذنبه ومعاصيه. والله تعالى أعلم.

(١) سورة التوبة: ١٢٥

(٢) سورة مريم: ٧٦

(٣) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة: ١٥

يخبر الله سبحانه وتعالى أنه يستهزئ بالمنافقين الذين يزعمون أنهم يستهزئون بالمؤمنين جزاءً لهم ومقابلة على صنيعهم.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

حمل جماعة من أهل العلم استهزاء الله هذا على آيات من كتاب الله تبيّنه وتوضحه؛ ليكون من تفسير القرآن بالقرآن.

ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾[(1)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[(2)].

قال مقاتل رحمه الله: « ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ في الآخرة إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب على الصراط؛ فيبقون في الظلمة حتى يقال لهم: ﴿ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴾ فهذا من الاستهزاء بهم »[(3)].

وقال الطبري رحمه الله: « اختُلف في صفة استهزاءِ الله جلّ جلاله، الذي ذَكر أنه فاعله بالمنافقين، الذين وَصَف صفتهم، فقال بعضهم: استهزاؤه بهم، كالذي أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعلٌ بهم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ الآية، وكالذي أخبرنا أنّه فَعَل بالكفار بقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾، فهذا وما أشبهه من

---

(١) سورة الحديد: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٨.

(٣) تفسير مقاتل (٣٤/١).

استهزاء الله جلّ وعزّ وسخريتِه ومكرِه وخديعتِه للمنافقين وأهل الشرك به - عند قائلي هذا القول، ومتأوّلي هذا التأويل »[1].

ونقل الحافظ ابنُ كثير هذا الكلام بنصه[2]، وفسّر الآية بآية الحديد غير واحد من المفسرين[3].

وجه بيان الآية بالآيتين ظاهر؛ إذ لما أُجْمِل استهزاءُ الله بالمنافقين في الآية الأولى، بيّنت الآيتان بعضاً من ذلك.

ففي الآية الأولى يستهزئ الله بالمنافقين - يوم القيامة - حينما يعطيهم مع المؤمنين نوراً ظاهراً، فإذا مشى المؤمنون بنورهم، طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظُّلمة بعد النُّور متحيِّرين[4].

وفي الآية الثانية استدراج الله سبحانه وتعالى للكافرين بإمهالهم ودرور النعم عليهم في الدنيا؛ فيظنّون أن ذلك خير لهم، وإنما هو استدراج، كما في الحديث: «إذا رأيتم الله عز وجل يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج »[5]، فيكون ذلك من استهزاء الله لهم؛ حيث أمهلهم وأنعم عليهم، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، ويدلّ لهذا قوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[6].

الأقوال الأخرى في المراد باستهزاء الله تعالى بالمنافقين:

وقد وردت أقوال كثيرة في المراد باستهزاء الله تعالى بالمنافقين في هذه الآية، ويمكن تصنيفها في مذهبين:

---

(١) جامع البيان (٣٠١/١).

(٢) في تفسير القرآن العظيم (١٨٣/١).

(٣) كالسمعاني في تفسيره (٥١/١)، والهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ١٠)، والشنقيطي في أضواء البيان (٥٩/١)، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ٤٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٥٩/١).

(٥) أخرجه أحمد (١٤٥/٤ ، رقم ١٧٣٤٩) ، والطبرانى فى المعجم الكبير (٣٣٠/١٧ ، رقم ٩١٣) ، وفى المعجم الأوسط (١١٠/٩ ، رقم ٩٢٧٢)، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٢٨/٤، رقم ٤٥٤٠)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١/ ٧٠٠).

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٩٧/١)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦١)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٣).

المذهب الأول: إثبات الاستهزاء لله حقيقة، كما يليق بجلاله وعظمته، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدخل في هذا المذهب قولان:

القول الأول: ما تقدّم من حمل الآية على آيات من القرآن، تصحّ أن تكون بياناً لاستهزاء الله تعالى[(١)].

القول الثاني: أن استهزاء الله بهم ما يظهر لهم من أحكامه في الدّنيا من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الذي لهم عنده في الآخرة، من العذاب والنكال[(٢)].

وهذا الذي نصره ابن جرير، وارتضاه ابن كثير؛ لأن المكر والخداع والسُّخرية على وجه اللعب والعبث منتفٍ عن الله ﷻ بالإجماع، وأمّا على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك[(٣)].

المذهب الثاني: حمل الاستهزاء من الله على المجاز، وإرادة غير الحقيقة. قالوا: لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى الله عنه[(٤)]. واختلفوا فيه على أقوال:

١- أنه إخبارٌ من الله أنّه **مجازيهم جزاء الاستهزاء**، فأخرج خبره عن جزائه إياهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الذي عليه استحقوا العقاب في اللفظ، وإن اختلف المعنيان[(٥)]، وهذا الذي عناه بعضهم بقوله: **فسمى العقوبة باسم الذنب**[(٦)]، وحكى هذا القول جماعة من المفسّرين[(٧)]، بل نسبه ابن عطية والقرطبي إلى

---

(١) وقد سبق النقل عن العلماء في ذلك.

(٢) جامع البيان (١/ ٣٠٣)، والتفسير الكبير (١/ ٧٣)، وتفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠٣/١)، تفسير القرآن العظيم (١٨٤/١).

(٤) مفردات القرآن (١/ ١٥١٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٢٩) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس — بيروت، ت: مروان محمد الشعار، ط١، ١٤١٦هـ.

(٥) جامع البيان (٣٠٢/١).

(٦) الكشف والبيان (١٥٧/١) المحرر الوجيز (٣٢/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٧/١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٦١/١).

(٧) كالطبري (١/ ٣٠٢) والثعلبي في الكشف والبيان (١/ ١٥٧)، والبغوي في تفسيره (١/ ٦٨)، وغيرهم.

الجمهور[١]، واقتصر عليه بعضهم[٢]، واستشهدوا على ذلك بآيات من القرآن، كقول الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾[٤]، قالوا: والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداءً، لأنه حق وجب، قالوا ومثلها: قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾[٥]، وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾[٦].

قالوا وليس منه سبحانه مكر ولا هزء ولا كيد، إنما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم وكيدهم[٧].

٢- أنّ هذا وأمثاله جاءت على سبيل الجواب، كقول الرّجل لمن يخدعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتك، ولم تكن منه خديعة، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه، قالوا: وكذلك قوله: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[٨]، و ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ على الجواب، ولا يكون منه المكر ولا الهزء، والمعنى: أن المكر والهُزْء حَاق بهم[٩].

٣- أن الاستهزاء من الله بهم: **توبيخه إياهم ولومه وتخطئته لهم على ما ركِبوا من معاصي الله والكفر به**[١٠]، فمعناه: الله يخطِّىء فعلهم، ويجهِّلهم في الإقامة على كفرهم[١١].

---

(١) المحرر الوجيز (١/ ٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٧).

(٢) انظر: تفسير الجلالين (صـ٢١)، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١. فتح القدير (١/ ٣٨).

(٣) سورة الشورى: ٤٠

(٤) سورة البقرة: ١٩٤.

(٥) سورة آل عمران: ٥٤

(٦) سورة الطارق: ١٥ - ١٦

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٧).

(٨) سورة آل عمران: ٥٤

(٩) جامع البيان (١/ ٣٠٢)، تفسير القرآن العظيم (١/١٨٣)، مفردات القرآن (١/ ١٥١٨).

(١٠) جامع البيان (١/ ٣٠١) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٣).

(١١) زاد المسير (١/) الكشف والبيان (١/ ٨٤) البحر المحيط (١/ ٧٥).

٤- أنّ المراد باستهزاء الله بهم: إيقاع ضرر استهزائهم بهم، وإرجاع وباله عليهم، فيكون كالمستهزئ بهم[١].

٥- أن استهزاءه بهم: **إنزال الحقارة والهوان بهم الذي هو لازم الاستهزاء**[٢]، فذكر الاستهزاء والمراد حصول الهوان لهم تعبيراً بالسَّبب عن المسبب[٣]، قال الآلوسي: فهو مجاز عمّا هو بمترلة الغاية له فيكون من إطلاق المسبب على السبب نظراً إلى التّصور وبالعكس نظراً إلى الوجود[٤].

٦- **أن الآية جارية على سبيل التمثيل والمراد: يعاملهم تعالى معاملة المستهزئ**[٥]، بأن يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل البشر هزو[٦]، قالوا: فأطلق على الشّيء ما أشبهه صورة لا معنى[٧].

٧- أن الاستهزاء بهم أن يقال لأحدهم في النار وهو في غاية الذل: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾[٨]، فإن هذا الكلام لصاحب الجحيم إنما يقال له استهزاءً بهِ وتهكماً، وتقريعاً له على ما كانَ يزعمُه، كما ذكره غير واحد من المفسّرين[٩]، ونسبه بعضهم إلى سعيد بن جبير، ومقاتل – رحمها الله تعالى[١٠].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١/٧٣)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٣٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٥٦).

(٢) أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٣٥) تفسير السراج المنير (١/٥٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٥٦).

(٣) التفسير الكبير (١/٧٣).

(٤) روح المعاني (١/ ١٦٨).

(٥) انظر: غرائب القرآن (١/ ١٠٦)، تفسير السراج المنير (١/٥٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٥٦).

(٦) المحرر الوجيز (١/ ٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٠٨).

(٧) البحر المحيط (١/ ٧٥).

(٨) سورة الدخان: ٤٩

(٩) انظر: الكشاف (٦/ ٢٧٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٥١)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (٥/ ١٧٧)، البحر المحيط (١٠/ ٣٠) ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦/ ١٢٠)، روح المعاني (١٨/ ٤٨١).

(١٠) انظر: النكت والعيون (٤/ ١٠٣)، زاد المسير (٥/ ٣٥١).

ووجه إدخال هذا القول في مذهب القائلين بحمل الآية على غير حقيقته: أنّ أكثر المفسّرين نصّوا على أنّ هذا القول لصاحب الجحيم إنّما يصدر من غير الله، والآية المفسَّرة في استهزاء الله.

قال الطبري رحمه الله عند تفسير آية الدخان -: يقول تعالى ذكره: «يقال لهذا الأثيم الشقيّ...»[(١)]

وقال ابن كثير رحمه الله : « وقوله: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ »[(٢)].

وقال القرطبي رحمه الله: ومنه قول خزنة جهنم لأبي جهل:« ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ »[(٣)].

فهذه النّصوص من هؤلاء الأئمة دالّة على أنّ هذا القول من غير الله تعالى؛ ولذلك لم يصحّ إدخال هذا القول في استهزاء الله تعالى بالمنافقين.

الترجيح:

القول الذي تعضده الأدلّة في تفسير هذه الآية هو المذهب الأول – مذهب أهل السُّنّة والجماعة – وهو: حمل الاستهزاء في الآية على حقيقته؛ قال العلاّمة ابن العثيمين رحمه الله: « والاستهزاء هنا في الآية على حقيقته لأن استهزاء الله بهؤلاء المستهزئين دالٌّ على كماله، وقوّته، وعدم عجزه عن مقابلتهم؛ فهو صفة كمال هنا في مقابل المستهزئين مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[(٤)]؛ فالاستهزاء من الله تعالى حقٌّ على حقيقته، ولا يجوز أن يُفسَّر بغير ظاهره؛ فتفسيره بغير ظاهره محرّم، ... بل نحن نؤمن بأن الله جلّ وعلا يستهزئ بالمنافقين استهزاءً حقيقياً؛ لكن ليس كاستهزائنا؛ بل أعظم من استهزائنا وأكبر، وليس كمثله شيء ... »[(٥)].

---

(١) جامع البيان (٢٢/ ٤٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٦٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٨٧).

(٤) سورة الطارق: ١٥ – ١٦

(٥) تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٧٥).

ومذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه الصفات التي هي صفات ذم في الغالب، - كالاستهزاء والمكر والكيد والخداع – كما سبق - إثباتها على الوجه اللائق بالله سبحانه؛ فإنّ كون هذه الصّفات صفاتٍ مذمومةً من البشر لا يقتضي هذا نفيها عن الله سبحانه لأمرين:

الأمر الأول: أنّ الله سبحانه وتعالى لا شبيه له في ذاته و لا في صفاته ولا في أفعاله، فقد يحسن منه ما لا يجوز للبشر الاتصاف به كالعظمة والكبرياء، وقد يحسن من خلقه ما يتره عنه سبحانه كالعبودية.

الأمر الثاني: أنّ كون الاتّصاف بهذه الصفات مذموماً ليس على الإطلاق، لأن هذه الصّفات ونحوها لها حالتان:

الحالة الأولى: يكون الاتّصاف بها مذموماً وهو إذا ما تضمّن ذلك للظلم والكذب والغش ونحوها.

الحالة الثانية: يكون الاتصاف بها محموداً وهو ما كان بحقٍ وعدلٍ ومجازاةٍ، فمن مكر بظلم فيحسن أن يمكر به بحقٍ و بعدلٍ[1].

النتيجة:

صحة تفسير استهزاء الله تعالى بالمنافقين بقوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾، على ما تقدم بيانه، وهو أسلم في تفسير الآية؛ لأنه خير ما يفسر القرآنَ القرآنُ، ولا يناقض ذلك صحة أقوال أئمة التفسير في تفسير استهزاء الله تعالى بغير ما ورد في الآيتين – إذا كان ذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه حقيقة –؛ لأنّ التفسير بالآيتين تمثيل لبعض استهزاء الله بالمنافقين، والله أعلم.

❖❖❖✱✱✱

(١) انظر: مختصر الصواعق (٢٩٠-٣٩٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ البقرة: ١٨

هذه أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين، وفيها وصف الله المنافقين بأنهم صم وبكم وعمي.

والصُّمُّ جمع أَصَمَّ، والصمم: فقدان حاسة السمع(١)، أو هو داء يحصل في الأذن يسد العروق فيمنع من السمع(٢).

والبُكْمُ: جمع أبكم، والبَكَمُ: داء أو آفة تحصل في اللسان تمنع من الكلام(٣).

والعُمْيُ: جمع أعمى، والعمى ذهاب البصر(٤)، أو هو: ظلمة في العين تمنع من إدراك المبصرات(٥).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ذهب جمهور المفسّرين من السلف والخلف إلى أنه ليس المراد بهذه الأوصاف نفي الإدراكات عن حواسّهم جملة، فإنّ حواسّهم كانت سليمةً(٦)، وإنّما المراد نفيها

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٥٩١).

(٢) البحر المحيط (١ / ٨٣)، وانظر: روح المعاني (١/ ١٨٤)

(٣) البحر المحيط (١/ ٨٣) روح المعاني (١/ ١٨٤).
وعلى هذا فالأبكم والأخرس واحد؛ فإنّ الأخرس من انعقد لسانه عن الكلام خلقةً أو عياً، انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٤٤٠)، مقاييس اللغة (١/ ٢٦٦)، المصباح المنير (١/ ٥٩)، لسان العرب (٦٢/٦).
وقيل: إن الأبكم هو الذي يولد أخرس، فكلّ أبكم أخرس، وليس كلّ أخرس أبكم، وهذا قول الراغب، مفردات ألفاظ القرآن (١١١/١)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢١٤/١) البحر المحيط (٨٣/١).
وقيل: إنّ الأبكم هو الذي للسانه نُطْقٌ ولا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام، وهذا قول الأزهري، تهذيب اللغة (٣٩٠/٣)، وهذا الذي قصده بعض المفسرين بقولهم: هو الذي لا يفهم شيئاً ولا يهتدي إلى الصواب، فيكون إذ ذاك داءً في الفؤاد لا في اللسان. انظر: زاد المسير (٢٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢١٤/١)، روح المعاني (١٨٤/١)

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢١٤)

(٥) البحر المحيط (١/ ٨٣) روح المعاني (١/ ١٨٤).

(٦) الكشاف (١/ ٤٦)، التسهيل لعلوم التتريل (١/ ٧٥)، بل قد جاءت آيات أخرى تدلّ على أنهم كانوا يسمعون ويتكلمون كقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾ البقرة: ٢٠، وكقوله: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ =

من جهة ما[١]، وهو عدم انتفاعهم بهذه الحواس؛ فهم لا يسمعون الحقّ بآذانهم، ولا يقولونه بألسنتهم، ولا يعقلونه ببصائرهم، ولا ينتفعون بما يشاهدونه من الآيات التي تظهر على أيدي الرسل، ومالا ينتفع به فهو كالمعدوم[٢].

وقد حمل بعض المفسرين الآية – بهذا المعنى – على آيات من القرآن الكريم.

فقد استشهد الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿عُمْيٌ﴾ بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٣]، على أنّ المراد بالعمى هنا عمى البصيرة[٤].

وأورد الشيخ ثناء الله الهندي – عند تفسير الآية[٥] – قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٦].

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية -: « ظاهر هذه الآية أنّ المنافقين متّصفون بالصمم، والبكم، والعمى، ولكنه تعالى بيّن في موضع آخر أنّ

=

المنافقون: ٤ الآية، أي لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم، وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ الأحزاب: ١٩، انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص ١٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢١٤)، أو أنّ المقصود نفي نوع من أنواع البكم والصمم والعمى، فإن البكم – كما يقول ابن القيّم رحمه الله نوعان: بكم القلب وبكم اللسان كما أن النطق نطقان نطق القلب ونطق اللسان وأشدهما بكم القلب كما أن عماه وصممه أشد من عمى العين وصمم الأذن، انظر: التفسير القيم لابن القيم (ص ١٦٥)، وهذا معنى قول الشيخ العثيمين رحمه الله أن المراد نفي السمع المعنوي، وهو السمع النافع لا الحسي. انظر: تفسيره (١/ ٦٣).

(٢) وهذا هو الذي ذكره جمهور المفسرين ونقله الطبري عن ابن عباس وقتادة انظر: جامع البيان (١/ ٣٣١)، معالم التتريل (١/٦٩)، الكشاف (١/٤٦)، زاد المسير (١/٢٦)، تفسير القرآن العظيم (١/١٨٧).

وقد جعل بعض المفسّرين هذا من المجاز كابن جزي في التسهيل (١/ ٧٥)، وأبو حيان في البحر (١/ ٩٢)، وقد تصدّى للردّ على ذلك الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كلام مفيد، انظره في: شفاء العليل (١/ ٩٢)، التفسير القيم (١/ ١٥٦).

(٣) سورة الحج: ٤٦

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨٧).

(٥) في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١١).

(٦) سورة الأعراف: ١٧٩.

معنى صممهم وبكمهم وعماهم، هو عدم انتفاعهم بأسماعهم وقلوبهم وأبصارهم، وذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]»[2].

وجه البيان بالآية المذكورة:

واضح من كلام الشيخ الشنقيطي؛ فإنّ إطلاق هذه الأوصاف يوهم أن المخبر عنهم متّصفون بها على الإطلاق، وبيّنت الآيات المذكورة أنّ الله جعل لهم هذه الحواس و لم ينتفعوا بها، فيكون ذلك هو المراد بنفيها عنهم في الآية الأولى، حملاً للمحتمل على الواضح المبيَّن.

والآية التي ذكرها الحافظ ابن كثير تفسير لمعنى العمى في الآية، وأنه ليس المراد به عمى العين، فهي مبينة له أيضاً، وإن كانت الآيتان الأخريين أشمل في البيان منها.

❖ أقوال أخرى في تفسير الآية:

وقد حكى بعض المفسّرين أقوالاً أخرى في معنى الآية، وهي:

١- أنّ المراد وصفهم بأنهم كانوا يتعاطون التصامم والتباكم والتعامي، فهم يتصاممون عن سماع الحقّ، ويتباكمون عن قوله، ويتعامون عن النظر إليه، من غير أن يكونوا متّصفين بشيء من ذلك، فنبّه على سوء اعتمادهم وفساد اعتقادهم[3].

٢- أن يكون أريد بذلك المبالغة في ذمّهم، وأنّهم في الجهل والبلادة أسوأ حالاً من البهائم، وأشبه حالاً من الجمادات التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تبصر[4].

٣- أنها خبر أريد به الدعاء، فهو دعاء من الله عليهم بالصّمم والبكم والعمى جزاءً لهم على تعاطيهم ذلك، حكاه أبو حيان في البحر عن بعض المفسّرين، وضعّفه؛ لأنه لا ضرورة تدعو إلى اعتقاد ذلك[5].

---

(١) الأحقاف: ٢٦

(٢) أضواء البيان ١/ ١٢.

(٣) انظر: الكشف والبيان (١/ ٨٨)، البحر المحيط (١/ ٩٢).

(٤) انظر: البحر المحيط (١/ ٩٢).

(٥) المصدر السابق بنفس الصفحة.

والراجح: هو القول الأوّل الذي تشهد له الآيات القرآنية وتبيّنه؛ لأنّ خير ما يحمل عليه كلام الله هو كلامه جلّ شأنه.

والنتيجة: صحّة تفسير الآية بآية الأعراف وآية الأحقاف في أنّ المراد بنفي هـــذه الأوصاف عن المنافقين: نفي الانتفاع بها، وصحّة تفسير قوله تعالى: ﴿عُمْيٌ﴾ بآية الحجّ في أنّ المراد بالعمى عمى القلب، وبذلك تجتمع الآيات القرآنية ولا توهم اضطراباً ولا تعارضاً والله تعالى أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ١٩

هذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين المترددين الذين يظهر لهم الحق تارة، ويشكون تارة أخرى[(١)]، فشبّه الله حالهم بحالِ جماعة يمشون في العراء، فينصب عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق، والصواعق المحرقة، التي تجعلهم من شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم؛ خوفًا من الهلاك[(٢)].

« فضَرَب الله الصيِّب لظاهر إيمان المنافق مَثلاً، وَمثَّلَ ما فيه من ظلمات لضلالته، وما فيه من ضياء برقٍ لنور إيمانه، واتقاءه من الصّواعق بتصيير أصابعه في أذنيه، لضَعف جَنانه ونَخْبِ فؤاده من حُلول عقوبة الله بساحته، وَمشيَه في ضوء البرق باستقامته على نور إيمانه، وقيامَه في الظلام، لحيرته في ضلالته وارتكاسه في عَمَهه »[(٣)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّر بعض المفسرين بعض أجزاء هذا المثل بآيات من القرآن الكريم على النّحو التالي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/١٨٩).

(٢) التفسير الميسر (صــ٣٣).

(٣) جامع البيان (١/ ٣٤٦)، وهذا قول الجمهور – وإن اختلفت ألفاظهم – في ترتيب أحوال المنافقين وموازنتها فيما ذكر في المثل. وهذا على أنّ التمثيل من التمثيلات المفرّقة، وهو أن يكون المثل مركّبا من أمور والممثّل به يكون أيضاً مركباً مــن أمور، ويكون كلّ واحد من المثل شبيهاً بكلّ واحد من واحد من الممثل. انظر: التفسير الكبير للرازي ٢/٨٠.

وذهب بعض المفسرين إلى أنّ التمثيل هنا وفيما قبله من التمثيلات المركبةوهو الذي تُشبَّه فيه إحدى الجملتين بالأخرى في أمر من الأمور، وإن لم يكن آحاد إحدى الجملتين شبيهةً بآحاد الجملة الأخرى؛ فيكون المقصود تشبيه حيرة المنافقين في الدين والدنيا بحيرة من انطفأت ناره بعد إيقادها، وبحيرة من أخذته السّماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق، وهذا الــذي اختــاره الزمخشري قائلاً: « والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يَتَخطّونَهُ: أنّ التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركّبة دون المفرّقة، لا يتكلّفُ الواحد واحد شيء يقدر شبهه به، وهو القول الفحل والمذهب الجزل ». الكشاف (١/٤٧)، وانظر: البحر المحيط (١/٩٦)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٢٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٤٢)، محاسن التأويل (١/٢٨٨) لجمال الدين القاسمي، ت: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٤هــ-٢٠٠٣م.

١- تفسير بعض ما ورد في المثل بآيات من القرآن الكريم وصف الله فيها المنافقين بالجبن والهلع.

كقوله تعالى في صفة المنافقين -: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[(١)] ، وقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[(٢)]..

قال الإمام الطبري رحمه الله: « وكان قتادةُ وابنُ جُريج يتأوّلان قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾، أن ذلك من الله جلّ ثناؤه صفةٌ للمنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهة الموت، ويتأوّلان في ذلك قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾»[(٣)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ورعد وهو ما يزعج القلوب من الخوف، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ »[(٤)].

---

(١) سورة المنافقون: ٤.

(٢) سورة التوبة: ٥٦، ٥٧.

(٣) جامع البيان (٣٥٥/١)، وقد أخرج الطبري الأثر عن كلّ منهما بسنده في موضع سابق، ولم يذكر فيه عنهما تأويل الآية بآية المنافقون.

فأخرج (٣٥٠/١)، بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، يقول: «أجبنُ قوم لا يسمعون شيئًا إلاّ إذا ظنُّوا أنهم هالكون فيه، حَذرًا من الموت...»، كما أخرج (٣٥١/١) بسنده عن ابن جريج قال: « ليس في الأرض شيء سمعه المنافق إلاّ ظنّ أنه يُراد به، وأنه الموت، كراهية له - والمنافق أكرهُ خلق الله للموت- كما إذا كانوا بالبَراز في المطر، فرُّوا من الصواعق ».

وأثر قتادة ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦٥/١) بلفظ: « هذا مثل ضربه الله للمنافق لجبنه، لا يسمع صوتاً إلاّ ظنّ أنه قد أُتي ولا يسمع صياحاً إلاّ ظنّ إنه ميّت أجبن قوم وأخذله للحق كما قال في آية أخرى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ».

وهذا اللفظ هو الذي أورده السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/١)، معزواً إلى ابن جرير وعبد ابن حميد.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٩٠/١) وانظر: معاني القرآن للفراء (١٣/١)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٧٠).

وجه البيان: أنّ الله ضرب مثل المنافقين بحالٍ من يصيبه المطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق والصواعق؛ فيجعل أصبعه في أذنه خوف الهلاك، ووصف المنافقين في الآيتين بالجزع والخوف حتى إذا سمعوا صيحة أو نداءً ظنوا - من جبنهم - أنهم يرادون بذلك؛ فيحمل ما ذكر في المثل على ذلك المعنى.

وتفسير ما ورد في المثل من الرعد أو الصواعق بدعائهم إلى الجهاد، وتشبيه فرارهم من ذلك بفرارهم من الجهاد مخافة الموت محكيّ عن غير واحد من السلف[(١)].

كما أنّ كثيراً من المفسِّرين فسروا قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بأنهم «يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم، لجبنهم وهلعهم وما في قلوبهم من الرعب، إذا نادى مناد في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعاً بهم»[(٢)].

فيصح تفسير ما ضربه الله للمنافقين مثلاً بما وصفهم به في الآيتين من خوف الموت والجزع عند الجهاد، والله تعالى أعلم.

٢- وقد ذكر العلامة الشنقيطي رحمه الله عند هذه الآية آيات عديدة، أوردها على سبيل التمثيل على بعض ما ذكر في المثل.

فقوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ﴾، ضرب الله فيه المثل لما يعتري الكفار والمنافقين من الشبه والشكوك في القرآن، فأورد الشيخ بعض المواضع التي هي كالظلمة عليهم، كنسخ القبلة وتحويل الناس عن بيت المقدس إلى الكعبة، وكذلك ما أخبر النبي ﷺ به مما رآه من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج، وكما أخبر من وجود شجرة في النار لأن الشجر لا ينبت في الأرض اليابسة فكيف ينبت في أصل النار وغبر ذلك..

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَعۡدٞ﴾ ضرب الله المثل بالرعد لما في القرآن من الزواجر التي تقرع الآذان وتزعج القلوب؛ فأورد بعض الآيات التي من ذلك كقوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ

(١) انظر: زاد المسير (١/٤٦).

(٢) الكشاف (٧/ ٦٤)، وانظر هذا المعنى أيضاً في: معالم التتريل (٨/ ١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٢٥)، تفسير القرآن العظيم (٨/ ١٢٦).

﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1]، وكقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾[2]، وكقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَبَرْقٌ﴾، قال: رحمه الله « ضرب تعالى المثل بالبرق لما في القرآن من نور الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وقد صرّح بأن القرآن نور يكشف الله به ظلمات الجهل والشك والشرك، كما تكشف بالنور الحسي ظلمات الدجى كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[5]، وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا۟ النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾[6]».

فالأولان من قبيل التمثيل على ما في القرآن مما هو كالظلمات على الكفار وكالرعد عليهم، والآخر من قبيل جمع الآيات المتشابهة في المعنى الواحد.

كما ذكر المفسّرون في المراد بإحاطة الله تعالى بالكافرين في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌۢ بِالْكَٰفِرِينَ﴾ أقوالاً ثلاثة، واستشهدوا عليها من القرآن الكريم، وهي[7]:

١- أن المراد بإحاطة الله بالكافرين: أنه عالم بهم، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[8].

٢- أنه محيط بهم بقدرته، فهم تحت مشيئته وإرادته، ذكره ابن كثير واستشهد عليه بقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن

(١) سورة فصلت: ١٣

(٢) سورة النساء: ٤٧

(٣) سورة سبأ: ٤٦

(٤) سورة النساء: ١٧٤

(٥) سورة الشورى: ٥٢

(٦) سورة الأعراف: ١٥٧

(٧) انظر: هذه الأقوال والاستشهاد عليها من القرآن في: الكشف والبيان (١/٩١)، زاد المسير (١/ ٢٨)، اللباب (١/١٣٣).

(٨) سورة الطلاق: ١٢.

وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾[1] [2]. وقال القرطبي: « فالله سبحانه محيط بجميع المخلوقات، أي هي في قبضته وتحت قهره، كما قال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[3] »[4].

٣- أن المراد أنه مهلكهم[5]، ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾[6]، ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[8].

وهذا من قبيل الاستشهاد على قول يختاره المفسر في تفسير الآية، أو من قبيل جمع موارد اللفظة القرآنية ووجوه استعمالها ونظائرها في القرآن، وكلاهما من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈✸✸✸

(١) سورة البروج: ١٧ - ٢٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٩٠). وانظر: اللباب في علوم الكتاب (١/١٣٣).

(٣) سورة الزمر: ٦٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/٢٢١).

(٥) وهذا الوجه هو الذي نقله الشيخ الشنقيطي في الأضواء واستشهد عليه بالآيات المذكورة. انظر: أضواء البيان (١/ ٦٢).

(٦) سورة يوسف: ٦٦

(٧) سورة الكهف: ٤٢

(٨) سورة يونس: ٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ البقرة: ٢٠

هذا تتمة المثل المائي الذي ضربه الله تعالى للمنافقين، فقال: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ أي: كلما لمع البرق مشوا في نوره، فالهاء في فيه تعودُ على البرق، هذا إذا جُعِل أضاء لازماً، وهو قول الجمهور، أما إذا جُعِل متعدياً – كما هو مذهب المبرّد – فالهاء تعود على المفعول المحذوف وهو الطريق، أي: كلّما أضاء لهم البرق الطريق[١].

وقد ضرب الله المثل في هذه الآية للمنافقين بأصحاب هذا المطر إذا أضاء لهم مشوا في ضوئه وإذا أظلم وقفوا[٢]، وجعل البرق لإيمانهم مثلاً[٣].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد اختلف المفسّرون في تطبيق هذا المثل على أحوال المنافقين على أقوال كثيرة، فسّر في قولين منها بآيتين من كتاب الله.

القول الأوّل: أن المعنى: كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه، وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر، ويفسّر الآية على هذا المعنى: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٤].

---

(١) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ١٣١)، اللباب في علوم الكتاب (١/ ١٣٦).

(٢) أضواء البيان (١/ ٦٤).

(٣) جامع البيان (١/ ٣٤٩)

(٤) سورة الحج: ١١

وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس بلفظه[1]، وعن ابن مسعود وقتادة بمعناه، دون ذكر الآية المفسِّرة[2]، وحكاه جمع من المفسّرين مستدلّين بالآية، كالثعلبي[3]، والبغوي[4]، والشنقيطي[5]، واقتصر عليه الطبري، حيث يقول رحمه الله: « وإنما أراد بذلك: أنهم كلّما أضاء لهم الإيمان، وإضاءتُه لهم: أن يروْا فيه ما يُعجبهم في عاجل دنياهم، من النُّصرة على الأعداء، وإصابةِ الغنائم في المغازي، وكثرة الفتوح، ومنافعها، والثّراء في الأموال، والسّلامةِ في الأبدان والأهل والأولاد - فذلك إضاءتُه لهم ... وهم كما وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ ... ومعنى إظلام ذلك: أنّ المنافقين كلما لم يَرَوْا في الإسلام ما يعجبهم في دنياهم - عند ابتلاء الله مؤمني عباده بالضـرّاء، وتمحيصه إياهم بالشّدائد والبلاء، من إخفاقهم في مَغزاهم، وإنالة عدوّهم منهم، أو إدبارٍ من دنياهم عنهم - أقاموا على نفاقهم، وَثبتوا على ضلالتهم »[6].

فتصلح الآية بهذا أن تكون مبيّنةً لهذا المثل، فيكون من تفسير القرآن بالقرآن، ومن وجه بيان المشكل بالواضح.

القول الثاني: أنّ المعنى: إذا كان القرآن موافقاً لهواهم ورغبتهم عملوا به، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم، والقسم لهم من غنائم المسلمين، وعصمتهم به

---

(١) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١/٣٤٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٥٨) بسنده من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) وهو ما أخرجه الطبري بسنده عن مرة عن ابن مسعود في حديث طويل، وعزاه السيوطي في الدر (١/٣٢) إلى ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة، ولم يذكر تفسيره بآية الحج، وما أخرجه الطبري بسنده عن سعيد عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر ١/٣٢ إلى عبد بن حميد وابن جرير، كما أخرج الطبري بسند آخر عن معمر عن قتادة بمعنى واحد. وقد حكى القول عن ابن مسعود وقتادة جمع من المفسرين كابن عطية في: المحرر الوجيز (١/٣٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (١/ ٩٣)، والقرطبي في تفسيره (١/ ٢٢٣).

(٣) في الكشف والبيان (١/ ١٦٦).

(٤) في معالم التنزيل (١/٧١).

(٥) انظر: أضواء البيان (١/ ٦٤).

(٦) جامع البيان (١ / ٣٥٨).

من القتل مع كفرهم في الباطن، وإذا كان غير موافق لهواهم، كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا[1].

وهذا القول حكاه جمع من المفسرين بمعناه عن ابن عباس والسدي[2].

وقد فسّر الشّنقيطي[3] الآية على هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾[4].

ووجه البيان: أنّ الله ذكر في هاتين الآيتين أنّ من صفات المنافقين أنهم إذا صار بينهم وبين أحد حكومة، ودُعُوا إلى حكم الله ورسوله، وكانت الحكومة لهم لا عليهم، جاءوا سامعين مطيعين، وإذا كانت الحكومة عليهم أعرضوا ودعوا إلى غير الحق، وأحبوا أن يتحاكموا إلى غير النبي ﷺ ليروجوا باطلهم[5].

فهذه الصفة مبيّنة للحالة التي ذكرها الله في هذا المثل، من مشي أصحاب الصيب إذا أضاء لهم البرق، ووقوفهم إذا أظلم، **فهو من تفسير القرآن بالقرآن.**

❖ الأقوال الأخرى في تأويل المثل:

وقد ذكر العلماء أقوالاً أخرى في تأويل المثل منها:

١- أنّ المعنى: يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين، وهذا القول مرويّ - أيضاً - بلفظه عن ابن عباس[6]، وعن أبي العالية، والربيع بن أنس بمعناه[7]، وهو معنى قول مقاتل[8].

---

(١) أضواء البيان (١/ ٦٤).

(٢) انظر: زاد المسير (١/ ٣٠).

(٣) أضواء البيان (١/ ٦٤).

(٤) سورة النور: ٤٨ - ٤٩ .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٧٤)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٧١).

(٦) فيما أخرجه عن الطبري في جامع البيان (١/ ٣٤٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٥٤، ٥٦، ٥٨)، مسنداً من طريق محمد بن إسحاق عن عكرمة، أو سعيد بن جبير عنه، وعزاه السيوطي في الدر (١/ ٤٠) إلى ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم، والأثر إسناده حسن، انظر: التفسير الصحيح (١/ ١١٦).

(٧) أثر أبي العالية أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٥٣)، وأثر الربيع أخرجه عنه الطبري (١/ ٣٤٦)، وسندهما جيّد، انظر: التفسير الصحيح (١/ ١١٧).

(٨) انظر: تفسيره (١/ ٣٦).

٢- أنّ المعنى: أنّ المنافقين كلّما سمعوا القرآن وظهرت لهم الحجج أنسوا ومشوا معه، فإذا نزل من القرآن ما يعمون فيه ويضلون به أو يُكَلَّفُونه " قاموا " أي ثبتوا على نفاقهم، حكاه جمع من المفسّرين عن ابن عباس[(١)].

٤- أن المعنى: كلما خفي عليكم نفاقهم وظهر لكم منهم الإيمان مشوا فيه، فإذا افتضحوا عندكم قاموا[(٢)].

٥- أن إضاءته لهم: تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان، ومشيهم فيه: إقامتهم على المسالمة بإظهار ما يظهرونه[(٣)].

٦- أن المراد أن: المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا وصارت لهم نوراً فإذا ماتوا عادوا إلى الخشية والظلمة[(٤)].

٧- أن المراد اليهود، لما نُصِرَ النَّبِيُّ ﷺ ببدر طمعوا وقالوا: هذا والله النَّبِيُّ الذي بشَّرَنَا به موسى لا تُرَدُّ له رايةٌ، فلما نكب بأحد ارتدوا وشكوا، حُكِي عن ابن عباس رضي الله عنهما[(٥)]، قال القرطبي: « وهذا ضعيف، والآية في المنافقين، وهذا أصحّ عن ابن عباس، والمعنى يتناول الجميع »[(٦)].

الترجيح: بالنظر إلى هذه الأقوال يُدْرَك أنّها ليست من اختلاف التضادّ، وإنّما هي من اختلاف التّنوع، فجميع ما ذكر في تأويل هذا المثل – عدا القولين الأخيرين – صالح ولا يتنافى مع الأقوال الأخرى، ويدلّ لهذا قول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري – بعدما أورد الروايات المختلفة في ذلك عن ابن عبّاس وغيره –: « وهذه الأقوال التي ذكرنا عمن رويناها عنه، فإنها – وإن اختلفت فيها ألفاظ قائليها – متقاربات المعاني »[(٧)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٣).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٣٨).

(٣) انظر: زاد المسير (١/ ٣٠).

(٤) الكشف والبيان (١/ ٩٣)، وانظر: معالم التنزيل (١/ ٧١).

(٥) انظر: الكشف والبيان (١/ ٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٣).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٣).

(٧) جامع البيان (١/ ٣٥٢).

كما يدلّ له صنيع ابن أبي حاتم وابن كثير بعدما أوردا الروايات المختلفة في تفسير الآية؛ قال ابن أبي حاتم الرازي: « وروي عن الحسن، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس نحو ذلك »[1].

وقال ابن كثير: « وهكذا قال أبو العالية، والحسن البصري، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي بسنده عن الصحابة، وهو أصح وأظهر، والله أعلم »[2].

فلم يتعرّضا لذكر خلاف بل حكيا الروايات على أنها قولٌ واحد، مع أنها كما تقدّمت مختلفة في المعاني والألفاظ.

ومع هذا فلا شكّ من قوّة ما تدلّ عليه الآيات القرآنية من هذه الأقوال مباشرة، وأولويتها بالعناية والاهتمام، **فخير ما يفسّر كلام الله تعالى كلام الله سبحانه**. والله أعلى وأعلم.

النتيجة: صحّة تفسير ما ورد في هذا المثل للمنافقين بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ بالآيتين، ولا يتعارضان بل هما وغيرهما من الأقوال - إلاّ ما تقدّم استثناؤه لضعفه - مما تصحّ في تأويل الآية، فهو ذكر لبعض مفردات العامّ. والعلم عند الله.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٥٩) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعي، للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ١٩١).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣

في هذه الآية الكريمة يتحدى الله تعالى المشركين المعاندين للرسول ﷺ الرادّين دعوته الزاعمين كذبه بأنهم إن كانوا في شك مما جاء به أنه من عند الله فليأتوا بسورة من مثل ما جاء به، وليستعينوا على ذلك بمن يعينهم وينصرهم؛ لأنه بشر مثلهم(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن ثلاث مطالب:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾

فقد اتّفق المفسِّرون قاطبةً على أن المراد بهذا العبد: النبيّ محمد ﷺ، ونصّ على ذلك منهم جمع غفير(٢).

وقد فسّر الشيخ الشنقيطي الآية على هذا بآية من كتاب الله، حيث يقول رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، لم يصرّح هنا باسم هذا العبد الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، وصرّح باسمه في موضع آخر وهو قوله: ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾(٣)، صلوات الله وسلامه عليه »(٤).

ووجه البيان: ما أشار إليه الشّيخ: من أنّ الله تعالى لم يصرّح في هذه الآية باسم العبد الكريم، وصرّح به في الآية الثانية، **فهو من قبيل تعيين المبهم بالواضح.**

وإن كان هذا العبد الكريم - الذي أنزل الله عليه، وكان المشركون والكفّار في ريب مما أنزل إليه، بل اتّهموه بالكذب والجنون والسحر - معروفاً.

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٥) (بتصرف).

(٢) كمقاتل في تفسيره (١/ ١٧)، والطبري في تفسيره (١/ ٣٧٣)، والبغوي في تفسيره (١/ ٧٢)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٢٥)، وابن كثير في تفسيره (١/ ١٩٨)، وغيرهم.

(٣) سورة محمد: ٢

(٤) أضواء البيان (١/ ٦٦).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾

فقد اختلف المفسّرون – رحمهم الله تعالى – فيمن يعود عليه الضّمير في قوله ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وفسره جمع من المفسرين بآيات من القرآن الكريم:

كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾[(٣)].

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله بعدما حكى القولين في الآية -: «والتأويل الأوّل، الذي قاله مجاهد وقتادة هو التّأويل الصّحيح؛ لأنّ الله جَلّ ثناؤه قال في سورة أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾، ومعلومٌ أنّ السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه، فيجوزُ أنْ يقال: فأتوا بسورة مثل محمّد»[(٤)].

وقال الزمخشري رحمه الله: « وردّ الضمير إلى المنزّل أوجه، لقوله تعالى:.... وذكر الآيات المتقدّمة آنفاً »[(٥)].

وقال الرازي رحمه الله بعدما رجّح هذا القول -: « ويدلّ على التّرجيح له وجوه: أحدها: أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التّحدي لا سيما ما ذكره في سورة يونس من قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ »[(٦)].

وقال ابن جزيّ الكلبي رحمه الله بعدما حكى القولين -: « والأوّل أرجح **لتعيينه** في يونس وهود »[(٧)].

---

(١) سورة يونس: ٣٨.

(٢) سورة هود: ١٣.

(٣) الإسراء: ٨٨ .

(٤) جامع البيان (١/ ٣٧٤)، وقوله – رحمه الله -: ومعلوم أنّ السورة ليست لمحمّد بنظير ولا شبيه...، ليس بكاف لردّ القول الثاني كما سيأتي؛ لأنّ القائلين به لم يجعلوا محمداً صفة لسورة، وإنما جعلوا من للابتداء فالسورة صفة لمبتدأ محذوف، أي سورة كائنة من مثل محمّد أي رجل مثله. والله أعلم.

(٥) الكشاف (١/ ٥٩)، وانظر: مدارك التزيل وحقائق التأويل (١/ ٢٨)

(٦) التفسير الكبير (١/ ١١٨)

(٧) التسهيل لعلوم التزيل (١/ ٨٠)

وذكر هذا جمع من المفسرين(١).

ووجه البيان: أن الهاء في الآية الأولى محتملة للعود على الْمُنَــزَّل أو علــى الْمُنَــزَّل عليه، أما في الآيات الثلاثة فلا تحتمل العود إلا على الْمُنَــزَّل؛ لأن المماثلة فيها صفة للمؤتى به، وهو الْمُنَــزَّل، بل لا ذكر للمُنَــزَّل عليه في سياقها، **فتحمل هذه الآية عليها وتزال احتمالها بها؛ ليكون من تفسير القرآن بالقرآن.**

والقول بعود الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ إلى القرآن المشار إليه بقوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلۡنَا﴾ هو قول جمهور المفسّرين من السّلف والخلــف(٢)، ورجّحــه جماعــة مــن المفسّرين.

القولان الآخران في عود الضمير: (٣).

وقد ورد عن المفسرين قولان آخران في عود الضمير في قوله:

١- أنه عائد إلى محمّد ﷺ، والمعنى: فأتوا بسورة كائنة أو منتزعة من رجــل مثل عبدنا أميّ لا يقرأ ولا يكتب(٤)، فـــ (من) على هذا القول لابتداء الغايــة(٥)، حكي هذا القول عن أبي عبيدة والزجاج(٦).

---

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ١٢٤)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩٩).

(٢) فقد أخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ٣٧٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٣) بإسناد صحيح عن مجاهد، وقتادة، وانظر: التفسير الصحيح المثبور (١٢٢/١)، وحكاه الرازي وغيره عن عمر وابن مسعود والحسن، انظر: التفسير الكبير (١/ ١١٨).

(٣) انظر: جامع البيان (١/ ٣٧٤)، زاد المسير (١/ ٣٣)، المحرر الوجيز (٤١/١)، معالم التنزيل (٧٢/١)، النكت والعيون (١/ ٢٥)، فتح القدير (١/ ٥١)، واقتصر أكثر المفسرين على القولين الأولين، و لم يحك الثالث إلا نــذر يسير منهم كابن عطية، والقرطبي.

(٤) انظر: زاد المسير (١/ ٣٣)، أسرار التكرار في القرآن (صـــ ٢٤) محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار الاعتصام – القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـــ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٢)، أنوار التنزيل وأســرار التأويل (٤٨/١)، تفسير اللباب (١٥٩/١)، التحرير والتنوير (١/ ١٩٧).

(٥) زاد المسير (٣٣/١)، روح المعاني (١/ ٢١٨)، التحرير والتنوير (١/ ١٩٧).

(٦) انظر: زاد المسير (٣٣/١).

٢- أنه يعود على التوراة والإنجيل، فالمعنى: فأتوا بسورة من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه، حكاه ابن عطية والقرطبي[١]، واقتصر عليه السّمرقندي في بحر العلوم[٢].

الترجيح:

الذي يظهر رجحانه من هذه الأقوال الثلاثة - والله أعلم - هو القول الأوّل، وذلك لما يأتي:

١- صحّة تفسير القرآن بالقرآن فيه - كما تقدّم -، وهو أصحّ الطرق، وأولاها بالعناية والاهتمام.

٢- أنه قول جماهير المفسّرين من السّلف والخلف.

٣- ما ذكره غير واحد من المفسّرين من المرجّحات الأخرى لهذا القول ومنها[٣]:

١- أنّ الكلام في المنزّل لا في المنزّل عليه فَحَقّه أن لا ينفكّ عنه بردّ الضّمير إلى غيره، لأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب.

٢- أن مخاطبة الجمّ الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدهم أبلغ في التّحدّي من أن يقال لهم: ليأت بنحو ما أوتي به هذا آخر مثله.

٣- أنّ هذا التفسير هو الملائم لقوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ ؛ فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم.

٤- أنه لو رجع الضّمير للعبد لأوهم أنّ إعجازه لكونه ممّن لم يدرس ولم يكتب لا أنّه في نفسه معجز مع أنّ الواقع هذا.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٤١)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٢).

(٢) انظر: بحر العلوم (١/ ٢٨)

(٣) انظر: تفصيل هذه المرجّحات في: الكشاف (١/ ٥٩)، التفسير الكبير (١/ ١١٨)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/ ٤٨)، البحر المحيط (١/ ١٢٤)، مدارك التتريل وحقائق التأويل (١/ ٢٨)، ، روح المعاني (١/٢٢٠).

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

فقد ذكر المفسرون – رحمهم الله تعالى – في المراد بشهدائهم ثلاث معاني[1]:

المعنى الأوّل: أنهم أعوانهم، أي: قومًا آخرين يساعدونكم على ذلك، وهذا مرويّ عن ابن عباس[2].

وقد اختار ابن جرير الطبري رحمه الله هذا القول استناداً إلى آية من كتاب الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

حيث يقول: « فإذا كانت"الشهداء" محتملةً أن تكون جمعَ "الشهيد" الذي هو منصرف للمعنيين اللذين وصفتُ، فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس، وهو أن يكون معناه: واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانَكم وشُهداءكم الذين يُشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله، ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ... ولكنْ ذلك كما قال جلّ ثناؤه: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، فأخبر جلّ ثناؤه في هذه الآية، أنّ مثل القرآن لا يأتي به الجنّ والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به ... »[4].

فوجه بيان الآية بآية الإسراء: ما ذكره الطبري من احتمال كلمة الشهداء في هذه الآية للمعنيين، وتصريح آية الإسراء بتحدّي الجن والإنس على الإتيان بمثل القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، يقوّي هذا الاحتمال لمعنى الشهداء، فيحمل عليه، **ويفسّر به، فيكون من تفسير القرآن بالقرآن، من قبيل تفسير المحتمل بالموضّح.**

---

(١) انظر هذه الأقوال في: المحرر الوجيز (١ / ٤١)، زاد المسير (١/ ٣٣)، النكت والعيون (١/ ٢٥).

(٢) كما أخرجه عنه الطبري (١/ ٣٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسير (١/ ٣٩٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٦)، عنهما وابن اسحاق.

(٣) سورة الإسراء: ٨٨

(٤) جامع البيان (١/ ٣٧٨).

المعنى الثاني: أنهم آلهتهم؛ فإنهم كانوا يعتقدون أنهم يشهدون لهم عند الله، وهذا محكيّ عن ابن عباس(١)، والسّدّي عن أبي مالك(٢)، وهو قول مقاتل(٣)، والفراء(٤)، ورجّحه الشّوكاني(٥)، وما إليه غير واحد(٦)، واقتصر عليه آخرون(٧).

المعنى الثالث: أن المراد: ناس يشهدون لكم - من حكام الفصحاء - أنكم عارضتم، وهذا مرويّ عن مجاهد(٨)، وابن جريج(٩)، وضعّفه الطبري، وابن عطيّة(١٠).

الترجيح: الذي يترجّح صحّته من هذه المعاني في تفسير المراد بشهدائهم في هذه الآية – والعلم عند الله – هو المعنى الذي يشهد له القرآن الكريم؛ أن المعنى واستعينوا على ذلك من ينصركم من أعوانكم ونصرائكم.

ولا يمنع ذلك أن تكون الآية شاملة لجميع الأقوال إذا كان لفظه يحتمل ذلك، والعلم عند الله تعالى.

النتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ ليكون المراد بشهدائهم أعوانهم ومن ينصرهم على ذلك، لقوله في الآية المفسِّرة: ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾.

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٣٣)، وأبو حيّان في البحر المحيط (١/ ١٢٦).

(٢) كما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٩٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩٩).

(٣) انظر: تفسيره (١ / ١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن له (١/ ١٥).

(٥) انظر: فتح القدير (١/ ٥١)

(٦) كلجصاص في أحكام القرآن (١/ ٦١)، والبغوي في معالم التنزيل (١/ ٧٢)، والخازن في تفسيره (١/ ١٩).

(٧) كالواحدي في الوجيز (١/ ٨)، والزركشي في البرهان (١/ ١٠٨) والجلال في تفسير الجلالين (ص ٢٩)،

(٨) تفسير مجاهد (١/ ٧١)، وأخرجه عنه الطبري (١/ ٣٧٧) وابن أبي حاتم (١/ ٦١)، بسند صحيح.

(٩) انظر: جامع البيان (١/ ٣٧٧).

(١٠) انظر: جامع البيان (١/ ٣٧٨)، المحرر الوجيز (١/ ٤١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤

في هذه الآية الكريمة وعيد شديد وتخويف من الله لعباده من النار، التي هيأها الله للكافرين، وجعل وقودها[١] الناس والحجارة.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فسّر جمعٌ من أهل العلم – رحمهم الله تعالى – الحجارة التي هي وقود جهنم بحجارة الأصنام والأنداد التي كانت تُعبد من دون الله، حملاً لها على آية من القرآن الكريم تكون مفسّرةً لها، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[٢].

وقد تنوّعت عبارات المفسرين في حمل الآية على هذه الآية:

فمن قائل: ويدلّ عليه[٣]، أو: دليله[٤]، أو: كما قال تعالى[٥]، أو: حسبما ورد في قوله تعالى[٦]، أو: يؤيّده[٧]، أو: لقوله تعالى[٨].

ومن مصرّح ببيان الآية للآية:

كقول الزمخشري رحمه الله – بعد ما استشهد بآية الأنبياء على هذا القول –: «**وهذه الآية مفسِّرةٌ لما نحن فيه** »[٩].

---

(١) الوقود: بفتح الواو، هو ما يلقى في النار لإضرامها كالحطب، انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/٥٢٧).

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥٠)، تفسير السراج المنير (١/ ٧٥)، فتح القدير (١/ ٥١).

(٤) الكشف والبيان (١/ ٩٧).

(٥) معالم التنزيل (١ / ٧٣)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٢).

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٨٥).

(٧) روح المعاني (١ / ٢٢٤)

(٨) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٢).

(٩) الكشاف (١/ ١٣٣)، ونقل هذه العبارة الرازي– عند تفسير الآية – في التفسير الكبير (١/١٢٢)، والقاسمي في محاسن التأويل (١/ ٢٩٩).

وقال أبو حيّان رحمه الله: « والحجارة الأصنام ... **ويوضّحه** قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[1].

وقال الثعالبي[2] رحمه الله بعد ما استشهد بالآية المفسِّرة -: « **فإحدى الآيتين مفسِّرة للأخرى** »[3].

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: « ومن الحجارة أصنامهم فإنها أحجار، **وقد جاء ذلك صريحاً** في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ »[4].

وقال الشنقيطي رحمه الله: « وقال بعضهم: إنها الأصنام التي كانوا يعبدونها، وهذا القول **يبينه ويشهد له** قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ »[5].

وجه البيان: أنّ الآية المفسَّرة أخبرت أنّ الحجارة وقود النار، ولم تبيّن ما هذه الحجارة، وأخبرت الآية الثانية أنّ المشركين وما يعبدون من الأصنام التي يصنعونها من الحجارة حطب يوقد بها النار، **فتحمل الحجارة المجملة في الأولى على هذه الحجارة وتفسّر بها.**

قال الزمخشري: « فقوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ **في معنى** ﴿ النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾، و ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ **في معنى** ﴿ وَقُودُهَا ﴾ »[6].

---

(١) البحر المحيط (١/ ١٢٩).

(٢) هو: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، مفسّر، من أعيان الجزائر، توفي سنة (٨٧٥هـ) انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للأدنه وي (صـ٣٤٢)، الأعلام للزركلي (٣/٣٣١).

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) (١/٣٩)، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٤) التحرير والتنوير (١ / ١٦٩).

(٥) أضواء البيان (١/ ٦٦-٦٧).

(٦) الكشاف (١/١٣٣)، ولم يشر كثير من المفسّرين إلى تفسير الآية لكلمة الناس.

❖ **الأقوال الأخرى في المراد بالحجارة:**

وقد حكى العلماء أقوالاً أخرى في المراد بالحجارة هنا أقواها:

ما روي عن ابن مسعود[1]، وابن عباس[2]، وابن جريج[3]، ونسبه الثّعلبي وغيره إلى أكثر المفسّرين[4] أنها: حجارة الكبريت السوداء، وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الاتقاد، نتن الرائحة، كثرة الدخان، شدة الالتصاق بالأبدان، قوة حرها إذا حميت[5].

وهذا القول ردّه بعض المفسّرين – مع صحّة الأثر فيه عن ابن مسعود وابن عباس – كالزمخشري الذي قال: « وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عمّا هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل »[6].

والفخر الرازي حيث قال: « وهو تخصيص بغير دليل، بل فيه ما يدلّ على فساده، وذلك لأنّ الغرض هاهنا تعظيم صفة هذه النار والإيقاد بحجارة الكبريت أمر معتاد فلا يدلّ الإيقاد بها على قوّة النار، أمّا لو حملناه على سائر الأحجار دلّ ذلك على عظم أمر النار؛ فإن سائر الأحجار تطفأ بها النيران فكأنه قال تلك النيران بلغت لقوّتها أن تتعلّق في أول أمرها بالحجارة التي هي مطفئة لنيران الدنيا »[7].

وفي مقابل ذلك أيّده جمع من المفسّرين؛ فاقتصر عليه الطبري، وأورد الآثار عن السلف المتقدّم ذكرهم عليه، كما رجّحه ابن كثير، وردّ فيه على قول الرازي،

---

(١) فيما أخرجه عنه الإمام الطبري في تفسيره (١/ ٣٨١)، بسنده من طرق عديدة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٦) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور والفريابي وهناد بن السري في كتاب الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والحاكم قال: وصححه والبيهقي في الشعب.

(٢) فيما أخرجه عنه الإمام الطبري في تفسيره (٣٨١/١)، بسنده من طريق أبي صالح.

(٣) أخرجه عنه الإمام الطبري في تفسيره (٣٨١/١) من طريق حجاج.

(٤) الكشف والبيان (١/ ٩٧)، وانظر: معالم التنزيل (١/ ٧٣)، السراج المنير (١/ ٧٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٥)، وانظر: البحر المحيط (١/ ١٢٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٨١/١).

(٦) الكشاف (١/ ١٣٣).

(٧) التفسير الكبير (١٢٢/١)

فقال: « وهذا الذي قاله ليس بقوي؛ وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسعيرها، ولا سيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك، ثم إن أخذ النار في هذه الحجارة – أيضاً- مشاهد، وهذا الجص يكون أحجارًا فتعمل فيه بالنار حتى يصير كذلك. وكذلك سائر الأحجار تفخرها النار وتحرقها. وإنما سيق هذا في حر هذه النار التي وعدوا بها، وشدة ضرامها وقوة لهبها كما قال: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[1]»[2].

كما دافع عنه الشربيني[3] في السراج المنير راداً على قول البيضاوي حيث قال بعدما حكى هذا القول: « وعليه أكثر المفسرين، وإن قال البيضاوي: إنه تخصيص بغير دليل لأنّ مثل هذا التفسير الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بأمر الآخرة له حكم المرفوع، وأيضاً حجارة الكبريت أشدّ حرّاً وأكثر التهاباً وتزيد على غيرها من الأحجار سرعة الإيقاد ونتن الريح وكثرة الدخان وشدّة الالتصاق بالأبدان »[4].

الترجيح: الذي يظهر رجحانه في تفسير هذه الآية – والله أعلم – أن المراد بالحجارة كلّ أنواع الحجارة، ويدخل في ذلك الأصنام التي كانوا يعبدونها، التي أشارت إليه آية الأنبياء، وحجارة الكبريت التي جاء بها الأثر، وذلك لوجوه:

١- صحّة كلا القولين فالأوّل من تفسير القرآن بالقرآن، والثاني صحيحٌ عن عدد من الصّحابة كابن مسعود وابن عباس، ومثله لا يكون إلاّ مرفوعاً.

---

(١) سورة الإسراء: ٩٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٠١/١)

(٣) هو: محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي، المعروف بالخطيب الشربيني،فقيه مفسر متكلم، توفي سنة (٩٩٧هـ)، انظر ترجمته: في شذرات الذهب (٣٨٤/٨)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٢٥٠/٢)، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف – استنبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥١م.

(٤) السراج المنير (٧٥/١).

٢- عدم التنافي بين القولين، فيحمل على العموم[١]، ويكون كلّ قول كذكر مثال لما يدخل في العام، وهو من أنواع اختلاف التنوع.

وقد حكى القول بالعموم جمع من المفسرين[٢].

النتيجة: صحّة تفسير الآية بآية الأنبياء، فالمراد بالناس العابدون للأصنام، والمراد بالحجارة الأصنام المعبودة، وحصب جهنّم تفسّر وقودها.

إلاّ أنّ ذلك مما يدخل في تفسير الآية، فلا يقتصر معنى الآية عليه، بل يدخل فيه ما روي بسندٍ صحيح عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم، فالآية عامّة لكلّ حجارة، والله تعالى أعلم.

---

(١) ومّما يدلّ على أنّ الآية لم تدلّ على الحصر ما ذكره القرطبي وغيره من أن قوله تعالى ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ليس فيها دليل على أن النار ليس فيها غير الناس والحجارة، بدليل ما ذكره في غير موضع من كون الجن والشياطين فيها. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣٥). التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٢)

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التتريل (١/ ٨١)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/١٤٧)، السراج المنير (١/ ٧٥)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٨٥)، التفسير الصحيح (١/١٢٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ البقرة: ٢٥

قال ابن كثير رحمه الله: « لما ذكر تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال، عَطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صَدَّقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة »(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وفي تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأوّل: تفسير الأنهار المشار إليها في هذه الآية بآية من القرآن:

فالأنهار جمع نهر، وهو: مجرى الماء الفائض(٢)، وهو دون البحر وفوق الجدول(٣).

وقد أخبر الله في هذه الآية وفي آيات كثيرة أنّ الأنهار تجري من تحت الجنات والمراد: أن ماء أنهار الجنّات تجري من تحت قصورها وأشجارها وغروسها وثمارها، لا أنّه جارٍ تحت أرضها وسطحها(٤).

وقد فسّر جمع من أهل التفسير هذه الأنهار بما ورد في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾(٥).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، لم يبين هنا أنواع هذه الأنهار، ولكنه بيّن

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٣)

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٤٥٦).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ١٣٥)، التبيان في تفسير غريب القرآن (صـ ٦٩) تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ط١، ١٩٩٢م، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ت: د.فتحي أنور الدابولي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٨٧)، فتح القدير (١/ ٥٤).

(٤) انظر: جامع البيان (١/٣٨٤)، معالم التنزيل (١/ ٧٣)، تفسير الجلالين (صـ ٣١).

(٥) سورة محمد: ١٥.

ذلك في قوله: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ »[1].

وقال الشَّيخ محمد بن العثيمين رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية -: « وقد بيّن الله تعالى أنها أربعة أنواع، كما قال تعــالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ »[2].

وذكر جمع من المفسّرين هذه الأنهار الأربعة – عند تفسير الآية- دون إشارة إلى الآية المفسِّرة[3].

وجه بيان الآية بالآية الثانية: من وجهين:

الأوّل: أن الله لم يبيّن نوعية أنهار الجنّة في آية البقرة، بل وفي كلّ الآيات التي ورد فيها ذكر أنهار الجنّة ما عدا آية سورة محمّد المتقدّمة، **فهو من توضيح المبهم.**

الثاني: احتمال الألف واللاّم في " الأنهار " لأن يكون للجـــنس، أو العهـــد؛ فبيّنت الآية الثانية أنّها للعهد، والمعهود الأنهار المذكورة في الآية المفسِّرة[4].

فهذا من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح المطابق لتعريفه، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) أضواء البيان (١/ ٦٧).

(٢) تفسير القرآن للعثيمين (١ / ٩١).

(٣) انظر – على سبيل المثال -: التسهيل لعلوم التتريل (١/٨١)، البحر المديد (١/٦٤)، تيسير الكريم الـرحمن (صـ٤٦)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٣٥).

(٤) حكى هذا جمع من المفسّرين، كالزمخشري في الكشاف (١/ ٦٦)، وأبو حيّان في البحر المحـيط(١/١٣٦)، والبيضاوي في تفسيره (١/ ٥٣)، والنسفي في تفسيره (١/ ٣٢)، وأبو السعود في تفسيره (١/٨٧)، وابن عادل في اللباب (١/ ١٦٨)، والآلوسي في روح المعاني (١/ ٢٣٠).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾

قال العلاّمة الشّنقيطي رحمه الله في الأضواء ما نصّه: «لم يبيّن هنا صفات تلك الأزواج، ولكنه بين صفاتهن الجميلة في آيات أخر كقوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾[1]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[2]، وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾[4]....إلى غير ذلك من الآيات المبينة لجميل صفاتهن »[5].

ولا يظهر لي في هذه الآيات المذكورة بيانٌ للآية، فهي – وإن ذكرت شيئاً من الأمور التي تتعلّق بها، وهي بعض صفات هذه الأزواج المشار إليهن في هذه الآية – إلاّ أنّ ذلك ليس تفسيراً لمجمل أو مبهم في الآية مفتقرة لبيانه.

فهو من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع؛ إذ هو من باب جمع الآيات المتشابهة في الموضوع الواحد، أو جمع أطراف الموضوع الواحد والآيات الواردة فيه، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✹✹✹

(١) سورة الصافات: ٤٨.

(٢) سورة الرحمن: ٥٨.

(٣) سورة الواقعة: ٢٢ – ٢٣.

(٤) سورة النبأ: ٣٣ .

(٥) أضواء البيان (١/ ٦٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ البقرة: ٢٦ .

يخبر الله في هذه الآية الكريمة أنه تعالى لا يمنعه الحياء من أن يضرب مثلاً ولو كان بالمخلوقات الصغيرة الحقيرة في نظر الناس، كالبعوض والذباب والعنكبوت، فإن فيها من دلائل القدرة، وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول، ويشهد بحكمة الخالق، وضرب الأمثال بها تشتمل على الحكمة وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحقّ.

وأخبر الله أن الناس حيال ما يضرب الله من أمثال بهذه المخلوقات الضعيفة — قسمان: مؤمنون يعلمون وجه التمثيل وأنه حقٌّ من الله، وكافرون: يتلقونه بالاستنكار ويقولون: ما الذى أراده الله بهذا المثل؟ وأن هذا المثل يكون سبباً لإضلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه، ويكون سبباً لهداية المؤمنين بالحق الذى يطلبونه، فلا يُضَلُّ به إلا المنحرفين المتمردين(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فَسَّر بعضُ السلف هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(٢).

أخرج الطبري(٣) بإسناده عن الربيع بن أنس، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ، قال: « هذا مثل ضربه الله للدنيا، إنّ البعوضة تحيا ما جاعتْ، فإذا سمنت ماتتْ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل في

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٧)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٩٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٦)، أيسر التفاسير (١/ ٣٧).

(٢) سورة الأنعام: ٤٤

(٣) في جامع البيان (١/ ٣٩٩)،من طريق أبي جعفر الرازي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٥٢) إلى ابن جرير وأبو الشيخ.

القرآن: إذا امتلأوا من الدّنيا ريًّا أخذَهم الله عند ذلك. قال: ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

وفي لفظ قال: « فإذا خلتْ آجالهم وانقطعت مُدّتهم، صاروا كالبعوضة تحيا ما جاعت، وتموت إذا رَويت، فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل، إذا امتلئوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله فأهلكهم، **فذلك قوله:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم بإسناده الجيّد[1] عن الربيع عن أبي العالية بنحو اللفظ السابق، إلا أنه لم يذكر فيه الاستشهاد بالآية.

وجه الارتباط بين الآيتين:

في هذه الآثار عن أبي العالية والربيع بن أنس إشارة إلى أنّ آية الأنعام المذكورة تبيّن المراد بهذه الآية التي ضُرِب فيها مثلاً - على رأيهما — حالُ الكفار الذين يستدرجهم الله تعالى؛ فينعم عليهم حتى إذا استغنوا وطغوا وبطروا، أخذهم أخذ عزيز مقتدر، بحال البعوضة التي تحيا إذا جاعت وإذا رويت وامتلأت ماتت.

وهذا القول لو صحّ معناه في تفسير الآية لكان من تفسير القرآن بالقرآن، لأنّ الآية تصير بذلك مفسِّرةً للمثل، ولكن لا يصحّ لعدم التناسق والتناسب بين الآيات وهذا المعنى، قال القاضي أبو محمّد ابن عطيّة رحمه الله - بعد ما حكى هذا القول -: «وهذا ضعيف يأباه رصف الكلام واتساق المعنى »[2]، ولمخالفته أقوال جمهور المفسرين في أن الآية نزلت بسبب[3].

(١) في تفسيره (١/ ٤٣٩)، وانظر: التفسير الصحيح المثبور (١/١٢٨).

(٢) المحرر الوجيز (١/٩٦).

(٣) لأنّ الآية على تفسير أبي العالية والربيع تكون قد نزلت بغير سبب، انظر: العجاب في بيان الأسباب (١/٢٤٧) للإمام: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، ط١، ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي — الدمام، ت: عبدالحكيم محمد الأنيس.

الأقوال الأخرى في تفسير الآية:

وقد ذكر المفسرون قولين في سبب نزول الآية هما أشبه بتفسيرها:

القول الأوّل: أنه لما ضرب الله تعالى المثلين المتقدمين في السورة قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله الآية.

وهذا القول مرويّ عن ابن مسعود، وابن عباس[(١)]، وحكي عن الحسن ومجاهد[(٢)].

القول الثاني: أنّ الله حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله الآية.

وهذا القول مرويّ عن ابن عباس أيضاً[(٣)]، وقتادة[(٤)]، والحسن[(٥)].

وقد رجّح كلٌّ قول من هذين القولين طائفةٌ من المفسّرين؛ فرجّح الإمام الطبري القول الأوّل ونصره، وتبعه ابن كثير؛ لمناسبتها لما قبلها من ذكر الأمثال ولدلالة الآيات التي بعدها عليه[(٦)]، ورجّحه كذالك السيوطي؛ لصحّة إسناده،

(١) فيما رواه عنهما الطبري (١/ ٣٩٩)، بسنده عن السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وأخرجه الواحدي في أسباب نزول القرآن (صـ ٢٣) عن ابن عباس من رواية أبي صالح عنه، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٤٤٢) بسنده عن السدي من قوله.

(٢) انظر: زاد المسير (١/٣٦)، والبحر المحيط (١/ ١٤٥).

(٣) فيما أخرجه عنه الواحدي في أسباب نزول القرآن (صـ ٢٣-٢٤)، بسنده عن عطاء عنه، وقد ضعفه السيوطي في: لباب النقول في أسباب النزول (صـ ١٣)، وانظر: العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٤٥).

(٤) فيما رواه عنه الطبري في جامع البيان (١/ ٣٩٩)، بسنده من طريق سعيد عنه، وأخرجه أيضاً عنه، وابن أبي حاتم من طريق معمر عنه، وهو الذي أورده الشيخ/ حكمت بشير – حفظه الله – في التفسير الصحيح ثم قال: «والإسناد إلى قتادة حسن» الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (١/١٢٨)، وقد اعترض الحافظ ابن كثير على قول قتادة في هذه الرواية: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران، فأنزل الله هذه الآية؛ لما فيها من الإشعار بأن الآية مكية، وليس كذلك، ثم قال: وعبارة رواية سعيد، عن قتادة أقرب والله أعلم. انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٠٦).

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٦)، وأبو حيّان في البحر المحيط (١/١٤٥).

(٦) انظر: كلام الطبري في ذلك في جامع البيان (١/٣٩٩)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٦).

ومناسبته لما تقدّم في أوّل السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية[١]، كما اقتصر عليه الشوكاني وأيّده[٢].

واقتصر على الثاني جمع من المفسّرين كالفرّاء[٣]، ومقاتل[٤]، والثّعلبي[٥]، والسّمرقندي[٦]، والشّيخ العثيمين[٧].

ولا مانع أن تكون الآية نزلت للسّببين معاً ردًّ على جميع تلك الفرق الضالة؛ إذ لا مانع من تعدد أسباب النزول للآية الواحدة أو للطائفة من الآيات مع أنّ مناسبة كلا القولين لما قبلها صحيح وظاهر[٨]، وهذا الذي ذهب إليه ابن عاشور[٩]، وسيد طنطاوي[١٠].

النتيجة: عدم صحّة تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية، بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ لما تقدّم، والله تعالى أعلم.

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول (صـ١٤) للإمام الحافظ: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان.

(٢) انظر: فتح القدير (١/ ٥٧)

(٣) انظر: معاني القرآن له (١/ ١٧)

(٤) انظر: تفسيره (١/ ٢٠).

(٥) انظر: الكشف والبيان (١/١٠١).

(٦) بحر العلوم (١/٣١).

(٧) انظر: تفسيره للفاتحة والبقرة (١/ ٩٦).

(٨) كما أشار لذلك أبو حيان في البحر (١/ ١٤٥)، والألوسي في روح المعاني (١/ ٢٣٥).

(٩) التحرير والتنوير (١/ ١٨٠).

(١٠) انظر: الوسيط له (١/ ٤٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة: ٢٨

ينكر الله تعالى – في هذه الآية – على الكفار والمشركين كفرَهم به وبوحدانيّته وقدرته، مع وجود الأدلّة السّاطعة والبراهين القاطعة عليها من أنفسهم؛ فاحتجّ عليهم بمراحل حياتهم وأطوار وجودهم، ما تكفي لحملهم على الإقلاع عمّا هم فيه من الشرك والكفر، وما تجعل كفرهم مع وضوح تلك الأدلة مما تثير العجب والدهشة[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ذهب جمهور المفسّرين من السّلف والخلف – في تفسير هذه الآية – إلى أنّ الموت الأول، أي المذكور في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ **العدم السابق قبل الخلق**، والإحياء الأول: أي في قوله: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ **الخلق**، والموت الثاني: أي في قوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: **الموت المعهود في دار الدنيا**، والحياة الثانية: أي في قوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: **البعث للقيامة**[(٢)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/ ٢٤)، تيسير التفسير (١/٦٥)، للشيخ إبراهيم القطان، ط١، عمان ١٤٠٢هـ.

(٢) وهذا قول جمهور المفسرين، وقد ورد قولان آخران عن السّلف، وهما وإن اختلفت فيهما عباراتهم عن هذا القول – فهما بمعناه ومضمونه:

١- كالذي روي عن قتادة من أنّ المراد: بالموت الأوّل: كونهم في أصلاب آبائهم، والإحياء الأول: الإخراج من بطون الأمهات، والموت الثاني: الموت المعهود، والإحياء الثاني: البعث. أخرجه الطبري عنه (١/ ٤١٨)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/٦٠)، وأسنده إلى عبد بن حميد وابن جرير.

وهذا القول هو الذي اقتصر عليه بهذه العبارة جمع من المفسرين، انظر: الكشف والبيان (١/ ١٠٣)، معالم التتريل (١/٧٧)، بحر العلوم (١/ ٣٣) مدارك التتريل وحقائق التأويل (١/ ٣٧)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/ ٢٤)، تفسير الجلالين (صـ ٣٤).

٢- القول الذي حكاه جمع من المفسّرين – بدون إسناد إلى قائل من أنّ المراد بالموت الأول: مفارقة نطفة الرجل إلى الرحم فهي ميتة قبل نفخ الروح فيحييها (الإحياء الأول) بالنفخ، والموت الثاني: المعهود، والإحياء الثاني: البعث.

قال الطبري بعد حكاية هذا القول: « وهذا قولٌ ووجه من التأويل، لو كان به قائلٌ من أهل القدوة الذين يُرْتضى للقرآن تأويلهم ». جامع البيان (١/ ٤١٨)، وانظر: المحرر الوجيز (١/ ١٠٠)، النكت والعيون (١ / ٢٩).

=

روي هذا القول عن ابن مسعود(١)، وابن عباس(٢)، ومجاهد(٣)، وأبي العالية(٤).

وقد فسّرت الآية - على هذا القول - بثلاث آيات من كتاب الله تعالى هي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾(٥).

أخرج الإمام الطّبري وابن أبي حاتم بسنديهما من طريق عطاء الخراساني(٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال - في تفسير الآية -: **هو قوله:** ﴿أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾(٧).

=
فهذه الأقوال الثّلاثة حكاها بعض المفسّرين كأقوال مختلفة، ولكنّها في الحقيقة قول واحد، فالمراد بالموت الأوّل: فقدان الحياة، قبل نفخ الروح في الإنسان، سواء في أصلاب آبائهم، أو في أرحام أمهاتهم، أو قبل ذلك.

ولذا قال ابن أبي حاتم رحمه الله - بعد أثر ابن عباس -: « وروي عن أبي العالية والحسن البصري، وأبي صالح، والسُّدي، وقتادة نحو ذلك، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٦). وذكر مثل ذلك ابن كثير رحمه الله - بعد ما حكى القول الأول، والشوكاني، انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢)، فتح القدير (١/٩٤).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « وفي الحياتين، والموتتين أقوال. أصحُّها: أن الموتة الأولى، كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم إلى الدنيا، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والفراء وثعلب، والزجاج، وابن قتيبة، وابن الأنباري ». زاد المسير (١/ ٣٩).

فقد جعل هؤلاء الأئمة ما روي عن هؤلاء قولاً واحداً مع أنّ المروي عنهم تختلف عباراتها كما تقدّم.

(١) فيما أخرجه الطبري (١/ ٤١٨) عن السُّدّي عن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، وذكره السيوطي أثر ابن مسعود مسنداً له إلى ابن جرير، انظر: الدر المنثور (١/ ٦٠).

(٢) فيما أخرجه الطبري (١/ ٤١٨) بسنده عن أبي صالح، عنه، وأسنده السيوطي في الدر (١/ ٦٠) إلى ابن حرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (١/ ٤١٨) من طريق ابن جريج، وأسنده إليه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٠).

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري (١/ ٤١٨)، من طربق الربيع بن أنس، وأسنده إليه السيوطي في الدرّ (١/ ٦٠).

(٥) سورة غافر: ١١.

(٦) هو: عطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني، المحدث، الواعظ، نزيل دمشق والقدس، لم يلق ابن عباس، وكان يرسل عنه، توفي سنة (١٣٥هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/١٤٠)، طبقات المفسرين للداودي (١/٣٧٩).

(٧) جامع البيان (١/ ٤١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢).

وجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ الله أخبر في آية البقرة هذه عن مراحل وجود الناس، فقد أحياهم من موت ثم يميتهم ثم يحيهم ليوم القيامة، كما حكى في آية غافر عن أصحاب الجحيم اعترافهم بإحياء الله لهم مرتين، وإماتته لهم مرتين.

وإيراد هذه الآية هنا – على ما يظهر لي- من باب جمع المتشابهات في المعنى الواحد؛ فليس في الآية الثانية توضيح أو بيانٌ للأولى، بل تصلح الآية الأولى أن تكون هي المفسِّرة للآية الثانية[1]؛ إذ أجمل الله فيها الحياتين والموتتين، وهذا الذي يفهم من كلام بعض السلف الذين قرنوا بين الآيتين في التفسير:

كالذي أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم بسندهما عن عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، قال: هي كالتي في البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[2].

وكذا ما أخرجاه بسندهما عن الضّحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قال فيه: فهو قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

وما أثر عن مجاهد في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، قال: لم تكونوا شيئًا حين خلقكم، ثم يميتكم الموْتةَ الحقّ، ثم يحييكم، وقوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ **مثلها**.

فيتّضح من هذه الآثار أنّ آية البقرة هي التي تصلح أن تكون مفسّرة لآية غافر، وَذِكْرُ المفسّرين – كالطبري وابن كثير – هذه الآثار في تفسير آية البقرة لا تدلّ على أنّ آية غافر تفسّرها بل هي من باب جمع المتشابهات في المعنى الواحد، والله تعالى أعلم.

---

(١) ولذا فسّر العلامة الشنقيطي آية غافر بآية البقرة عند تفسيره لسورة غافر، انظر: أضواء البيان (٧/٧٩).

(٢) جامع البيان (١/ ٤١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٥)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢).

(٣) جامع البيان (١/ ٤١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٥)، وانظر: تفسير القرآن العظيم(١/ ٢١٢).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾[1].

قال ابن جزيّ رحمه الله: « والراجح القول الأوّل لتعيينه في قوله: ...[2]» وذكر الآية.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله – بعد ما رجّح قول الجمهور – وهو كقوله تعالى:...»[4]وذكر الآية.

وجه بيان الآية بهاتين الآيتين:

لم يتبيّن لي وجه بيان لهاتين الآيتين للآية، والظاهر أنّ الآيات الثلاثة مشتركة في الدلالة على المعنى المذكور، وإن كان آية الجاثية هي أصرح الثلاثة على المعنى؛ إذ لم تذكر فيه الحياة الثانية التي قد يفهم منها الحياة في القبور بعد الموت.

❖ الأقوال الأخرى في تفسير الحياتين والموتتين:

وقد جاءت أقوال أخرى عن السلف في تفسير الحياتين والموتتين المذكورة في الآية أهمها:

١ – أن الموت الأول: المعهود في الدنيا، والإحياء الأول: هو في القبر للمسألة، والموت الثاني: في القبر بعد المسألة، والإحياء الثاني : البعث، حكي عن ابن عباس[5]، وأبي صالح[6]،وردّه الطبري؛ **إذ يلزم منه أن يكون قوله"وكنتم أمواتًا"، خطاباً لأهل القبور بعد إحيائهم في قبورهم، قال: وذلك معنى بعيد؛ لأن التّوبيخ هنالك إنما هو توبيخ**

---

(١) سورة الحج: ٦٦ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨٣).

(٣) سورة الجاثية: ٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٣).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٠٠)، والبحر المحيط (١/ ٢٧٢)

(٦) فيما أخرجه عنه الطبري بسنده عن السدي عنه، والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٠)، مسنداً له إلى وكيع وابن جرير. وانظر: النكت والعيون (١/ ٢٩)

على ما سلف وفرط من إجرامهم، لا استعتابٌ واسترجاعٌ، وقوله جلّ ذكره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾، توبيخ مُستعتِبٍ عبادَه، وتأنيبُ مسترجعٍ خلقَه من المعاصي إلى الطاعة، ومن الضلالة إلى الإنابة، **ولا إنابة في القبور بعد الممات، ولا توبة فيها بعد الوفاة**[١]، ووصف الألوسي هذا القول بأبعد الأقوال عنده[٢].

٢- أن الموت الأول: هو الذي اعتقب إخراجهم من صلب آدم نسماً كالذر، والإحياء الأول: إخراجهم من بطون أمهاتهم، والموت الثاني: المعهود، والإحياء: البعث ، وهذا مرويّ عن ابن زيد[٣].

وهذا القول ردّه الطبريّ قائلاً: « وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافًا لظاهر قول الله الذي زعم مفسِّره أن الذي وصفنا من قوله تفسيره؛ **وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه أخبر في كتابه -عن الذين أخبر عنهم من خلقه- أنهم قالوا:** ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾، وزعم ابن زيد في تفسيره أنّ الله أحياهم ثلاث إحياءات، وأماتهم ثلاث إماتات، والأمر عندنا - وإن كان فيما وَصَف من استخراج الله جلّ ذكره من صُلب آدم ذرّيته، وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف - **فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين- أعني قوله:** ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ **الآية، وقوله:** ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ **في شيء**[٤].

وكذلك استغربه والذي قبله الحافظ ابن كثير[٥].

٣- أن الموت الأول: كون آدم من طين، والإحياء الأول: نفخ الروح فيه فحييتم بحياته، والموت الثاني: المعهود ، والإحياء الثاني: البعث[٦].

---

(١) جامع البيان (١/ ٤٢٢).

(٢) انظر: روح المعاني (١/ ٢٤٦).

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (١/ ٤١٨)، (٢١ / ٣٦١)، بسنده عنه من أثر طويل، إلاّ أنّ أثره لم يرد في تفسير هذه الآية، وإنما ورد في تفسير آية غافر، فليتنبّه لذلك.

(٤) جامع البيان (١/ ٤٢٢)

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢)

(٦) المحرر الوجيز (١/ ١٠٠).

٤- أن الموت الأول هو الخمول، والإحياء الأول: الذكر والشرف بهذا الدين والنبي الذي جاءكم، والموت الثاني: المعهود، والإحياء الثاني: البعث، حكي عن ابن عباس أيضاً[١].

الترجيح: والراجح من هذه الأقوال هو القول الأوّل لوجوه عدّة:

١- موافقته لمعنى الآيات القرآنية – كما تقدّم –.

٢- ما ذكره القاضي أبو محمد ابن عطية - رحمه الله – ونقله عنه القرطبي وأبو حيّان وحسّنه: من كون هذا القول أولى الأقوال؛ لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار؛ لأنّهم إذا أذعنت نفوسهم لكونهم أمواتاً معدومين ثم للإحياء في الدنيا ثم للإماتة فيها قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر، وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها[٢].

٣- أن الفاء تكون – في هذا القول - على بابها من التعقيب، وثم على بابها من التراخي؛ فهو أحسن الأقول؛ إذ لا يحتاج إلى تأويل[٣].

ولا يلزم من عدم حمل الآية على القولين الآخرين: **نفي الحياة في القبر، أو نفي حياة الذر المستخرجة من صلب آدم عليه السلام**؛ إذ لا يلزم من عدم ذكرهما في هذه الآية أن لا تكون حاصلةً[٤]، وأيضاً فالحياة التي تكون في القبر - على القول الأول - في حكم حياة الدنيا، أو لم يعتدّ بها كما لم يعتدّ بموت من أماته في الدنيا ثمّ أحياه في الدّنيا[٥].

النتيجة: لا يظهر لي بيان من الآيات الثلاثة المذكورة للآية، وإيرادها من قبيل جمع الآيات جمع الآيات المتشابهة أما آية سورة غافر فهي المفسَّرة بهذه الآيات، والعلم عند الله.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٠٠)، والبحر المحيط (١/ ٢٧٢)

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٠٠)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٤٩)، البحر المحيط (١/ ٢٧٢).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (١/ ١٩١).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١/١٥١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٢٤٩) (بتصرف).

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ البقرة: ٢٧

هذه صفات الفاسقين في قوله:﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، وصفهم الله هنا بنقض ونكث العهود والمواثيق، وبقطع ما أمر الله به أن يكون موصولاً، وبفسادهم في أرض الله، وجزاؤهم: أنهم الخاسرون خسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: المراد بعهد الله الذي ينقضونه:

فقد اختلف المفسرون في المراد بالعهد الذي وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه، على أقوال عديدة وحملوا الآية فيها على آيات كثيرة من القرآن الكريم هي:

القول الأول: أنّ المراد بعهد الله ما عهد إلى بني آدم يوم أَخَذَ الميثاق عليهم، وفسّر – على هذا – بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[(١)].

وحكى هذا القول وحمله على الآية جمع من المفسرين[(٢)].

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) انظر: جامع البيان (١/٤١١)، الكشف والبيان (١/١٧٣)، الكشاف (١/١٤٩)، النكت والعيون (١/٨٩)، تفسير القرآن (١/٦٢) للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ط: دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ت: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم. بحر العلوم (١/٦٣) معالم التنزيل (١/٧٧)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/١٣٠) للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة – القاهرة، ت: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز. التفسير الكبير (٢/١٣٦)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٤٣)، البحر المحيط (١/٢٧٢)، تفسير القرآن العظيم (١/٢١١)، السراج المنير (١/٤١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٧٦)، البحر المديد (٣/٣٣٥) تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية – بيروت، التفسير القرآني للقرآن (١/٤٥).

القول الثاني: أنّ المراد بالعهد: العهد الذي أخذه الله على الأمم على ألسنة رسلهم بالإيمان بالرسول المبعوث بعدهم وتصديقه ونصرته في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1]، فهذا العهد وإن كان مأخوذاً على النبيين إلاّ أن المقصود من ذلك أخذه على أممهم[2].

وحكى هذا القول والاستشهاد بالآية غير واحد من المفسرين[3].

فالمراد بهم – على هذا –اليهود والمنافقون منهم، وهو اختيار الطبري؛ لموافقته لسياق الآيات[4].

القول الثالث: أنّ المراد بعهد الله الذي نقضه الخاسرون ما أخذه الله على أهل الكتاب من بيانه للناس وعدم كتمانه، ويفسر الآية – على هذا – قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[5]، كما استشهد به جمع من المفسرين[6].

القول الرابع: أنّ العهد في الآية، هو: الذي أخذه الله على بني آدم أن لا يعبدوا غيره، في قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[7].

القول الخامس: أنّ المراد بالعهد ما بينه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران: ٨١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٣٧٠/١).

(٣) انظر: جامع البيان (٤١٢/١)، معاني القرآن للزجاج (١٠٥/١)، تفسير السمعاني (٦٢/١)، معالم التنزيل (٧٧/١)، البحر المحيط (٢٧٢/١)، اللباب في علوم الكتاب (٤٧٨/١).

(٤) انظر: جامع البيان (٤١٢/١-٤١٣).

(٥) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٦) انظر: البحر المحيط (٢٧٢/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٧٦/١) التحرير والتنوير (٣٧٠/١).

(٧) سورة يس : ٦٠. حكى هذا القول وتفسيره بالآية ابن عاشور في التحرير والتنوير (٣٧٠/١)

(٨) سورة المائدة: ١٢. وذكر تفسير العهد بهذه الآية الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين في تفسيره (١٠١/١).

ووجه البيان بهذه الآيات: واحد، فإنّ لفظ العهد في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ **مجمل** لم يتقدم في الآيات ما يشعر به، ولم يأت فيما تلاها ما يبينه[1]، وما ذكرت في تلك الآيات عهود ومواثيق أخذها الله على عباده — إما على طريق العموم، أو الخصوص — فيحمل ما نقضه هؤلاء الفاسقون من العهود على ذلك، وتُفسَّر بها.

الأقوال الأخرى:

وقد وردت في المراد بهذا العهد — غير هذه — أقوال أخرى:

١- هو وصية الله إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه، وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به.

٢- هو ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقهم، قالوا: ونقضهم ذلك: تركهم الإقرار بما ثبتت لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم أن ما أتوا به حق.

الترجيح:

ولعلّ الراجح — والله أعلم — هو ما مال إليه جمع من المفسرين، من القول بالعموم، وأن تشمل الآية كلّ من نقض عهد الله من مسلم وكافر ومنافق أو مشرك أو كتابي؛ لأنّ لفظ العهد مفرد مضاف فيعم جميع العهود التي أخذها الله على عباده بالوفاء بها، وعدم نقضها[2].

وبذلك يصحّ حمل الآية على جميع الآيات المذكورة، وتفسير العهد الذي أخبر الله أنّ الفاسقين نقضوه بالعهود المذكورة فيها، لأنّ لفظ العهد عام يشمل تلك وغيرها، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار (١/٢٠٢) للشيخ/ محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) جامع البيان (١/١١٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/٢٨٧)، البحر المحيط (١/٢٧٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٧)، روح المعاني (١/٢١١)، فتح القدير (١/٩٢)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٤٧).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾

فقد اختلف المفسرون في الشيء الذي أمر الله بوصله ويقطعه هؤلاء الفاسقون، على أقوال، فسّر في قولين على آيات من القرآن العظيم:

القول الأول: أنّ المراد به: الرحم[1]؛ لأنّ الله أمر بوصله ونهى عن قطعه.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: « والذي رَغب اللهُ في وَصْله وذمّ على قطعه في هذه الآية: الرحم، **وقد بيَّنَ ذلك في كتابه**، فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[2] »[3].

وذكر هذا والتفسير بالآية غير واحد من المفسرين[4].

القول الثاني: أنّ المراد به: الإيمان بجميع الرسل والكتب[5]؛ لأنّ الإيمان ببعضهم، والكفر ببعضهم قطع لما أمر الله في ذلك بالإيمان بهم دون تفريق بينهم.

وفسّر – على هذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[6].

قال الإمام الثعلبي رحمه الله: « وقيل: هو الإيمان بجميع الرّسل والكتب، وهو نوع من الصّلة ؛ لأنهم قالوا: ﴿ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾[7]؛ فقطعوا، وقال المؤمنون: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾؛ فوصلوا »[8].

---

(١) وهذا القول مرويّ عن قتادة، فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٤١٦/١) عنه من طريق سعيد. كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢/١) عن السدي من طريق أسباط.

(٢) سورة محمد: ٢٢.

(٣) جامع البيان (٤١٥/١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢١١/١)، اللباب في علوم الكتاب (٤٧٩/١)، أضواء البيان (٦٧/١).

(٥) وهذا القول مرويّ عن مقاتل بن حيان كما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٢/١).

(٦) سورة النساء: ١٥٠.

(٧) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٨) الكشف والبيان (١٧٣/١).

وذكر مثل هذا البغوي[1]، كما ذكر تفسير الآية بهذه الآية العلامة الشنقيطي[2].

وجه البيان بالآيتين: واضح وظاهر؛ فإنّ ما أمر الله به أن يوصل ليس في سابق الآيات ولا في لاحقها ما يفسره ويبين المراد منه[3]، وما ذكر في الآيتين: مما أمر الله عباده بوصله، فمن قطعه صدق عليه أنّه يقطع ما أمر الله به أن يوصل، فيحمل الآية على ذلك.

الأقوال الأخرى[4]:

وقد ذكر المفسرون في المراد بهذا الذي أمر الله بوصله أقوالاً أخرى منها:

١- أنه وصل القول بالعمل؛ فإنّهم لم يعملوا بما قالوا؛ فقطعوا بينهما.

٢- أنّه إشارة إلى دين الله وعبادته في الأرض، وإقامة شرائعه، وحفظ حدوده، وعلى هذا فهي عامة في كل أمر الله تعالى بوصله وفعله.

وهذا - أي: القول بالعموم - هو الراجح، كما ذهب إليه غير واحد من المفسرين[5]؛ لأن فيه حمل اللفظ على مدلوله من العموم، ولا دليل واضح على الخصوص، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) في معالم التتريل (١/٧٧).

(٢) في أضواء البيان (١/٦٨).

(٣) تفسير المنار (١/٢٠٢).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (١/٦٢)، الجامع لأحكام القرآن (١/٢٨٧)، تفسير القرآن العظيم (١/٢١١)، اللباب في علوم الكتاب (١/٤٧٩).

(٥) انظر ذلك في: جامع البيان (١/٤١٦)، البحر المحيط (١/٢٧٣)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٢٦٣)، تفسير الجلالين (صـ٧)، فتح القدير (٣/١١٢)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٥٠)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١/١١٢)، د. وهبة الزحيلي، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م دار الفكر -.

تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩

هذه الآية العظيمة أصل من أصول الدين؛ لدلالته على أنّ الأصل في كلّ ما في الأرض الحل الإباحة؛ فقد أنعم الله على عباده؛ فخلق لهم ما في الأرض جميعاً وسخَّره لهم منةً منه وفضْلاً، ودليلاً لهم على وَحدانيته، ثم خلق الله السماوات بعد ذلك وسواهن سبع سماوات، والله العليم بكل شيء[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فسّرت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله - عند تفسير الآية -: « وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة وهو قوله: ... »[٣] وذكر الآيات.

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ ظاهره: أنّ ما في الأرض جميعاً خُلِق بالفعل قبل السَّماء، ولكنه بيّن في موضع آخر أنَّ المراد بخلقه قبل السماء: تقديره، ... وذلك في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ »[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/٤٣٧)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٨).

(٢) سورة فصلت: ٩-١٢

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٢١٣).

(٤) أضواء البيان (١/٦٨).

وجه البيان:

هاتان الآيتان واردتان في قصة خلق السماوات والأرض، ولاشكّ أنّ آية فصلت أكثر تفصيلاً في ذلك، فقد ذكرت تفاصيل القصة وأشارت إلى جوانب عديدة في ذلك لم تشر لها آية البقرة هذه، كعدد الأيام التي خَلَق الله فيها كلاًّ من السماوات والأرض، وكيفية خلق كلّ منهما، ولعلّ هذا هو الذي عمده الحافظ ابن كثير في قوله المنقول نصّه آنفاً.

أما الشيخ الشنقيطي فقد أشار إلى وجه بيان آية فصلت للآية، وهو وجه دقيق، وتفسير نفيس، لم أجده عند غيره[1]، وقد حلّ مشكلة في الجمع بين آيات القرآن — كما سيأتي —.

فقد دلّت هاتان الآيتان على أنّ الله تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولاً ثم خلق السماوات — كما هو ظاهر الآيتان وقول جمهور المفسرين —.

ويفهم من قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[2] أنّ السماوات خلقت قبل الأرض.

وقد أجاب جمهور المفسرين على ذلك بأنّ الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء[3].

(١) إلاّ السمرقندي في بحر العلوم (١/٦٥)، فقد فسّر معنى الخلق بالتقدير، فقال في تفسير الآية: « قال: يعني قدر خلقها لأن الأشياء كلها لم تخلق في ذلك الوقت لأن الدواب والثمار وغيرها التي في الأرض تخلق وقتا فوقتا ولكن معناه قدر خلق الأشياء التي في الأرض ». لكنه لم يشر إلى تفسير ذلك بالآية.

(٢) سورة النازعات: ٢٧-٣٠.

(٣) أجاب بهذا الجواب ابن عباس رضي الله عنهما عندما سئل عن هذا بعينه، كما في صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة حم السجدة. وأخرجه الطبري في جامع البيان (١/٤٣٧) عنه من طريق علي ابن أبي طلحة، قال ابن حجر في فتح الباري (٨/٥٥٨): « فهذا الذي جمع به بن عباس بين قوله تعالى في هذه الآية وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ هو المعتمد »، قال ابن كثير: « وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا ». وانظر هذا الجواب في: الكشاف (١/١٥٣)، البحر المحيط (١/٢٨٢)، البرهان في علوم القرآن (٢/٦٢).

لكنّ هذا الجواب يرد عليه إشكال هو: أنّ في قوله تعالى — في آية البقرة هذه -: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ التصريح بأنّ جميع ما في الأرض مخلوق قبل السماء[١].

لذا فسّر الشنقيطي الخلق في هذه الآية بالتقدير[٢] في آية فصلت، فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المراد به: تقدير ذلك، كما صرح بذلك قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾، وبذلك تتفق الآيات، ويسلم الجواب المذكور عن الاعتراض، بتفسير القرآن بالقرآن[٣]، فلله الحمد والمنة.

❖❖❖✸✸✸

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب (صـ١٨)، وقد ذكر هذا الإشكال: ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٤٩٠/١)، والشوكاني في فتح القدير (٩٥/١).

(٢) وقد ذكر جمع من أهل اللغة أنّ الخلق - في لغة العرب - على معنيين: أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (٢٥١/٢٥)، بل ذكر الكثيرون أنّ أصل الخلق التقدير، انظر: مقاييس اللغة (٢١٣/٢)، لسان العرب (٨٥/١٠) .

(٣) وتأمل في قول الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب (صـ١٨): « وقد مكثت زمناً طويلاً أفكر في حلّ هذا الإشكال، حتى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم »!!.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠

في هذه الآية الكريمة يُذَكِّرُ الله تعالى عباده ببعض نعمه الجليلة العميمة لكلهم، وهي: خلق أبيهم آدم وإكرامه، وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود له، واستخلافه في أرضه[١].

وقد أخبر الله الملائكة قبل خلق آدم بشأنه؛ فتساءل الملائكة متعجبين ومستعلمين: كيف تستخلف هذا الخليفة؟ وفي ذريته من يفسد في الأرض بالمعاصي ويريق الدماء بالبغي والعدوان، ونحن نترهك التتريه اللائق بحمدك وجلالك، ونمجِّدك بكل صفات الكمال والجلال، فكيف تجعل مكان أهل الطاعة أهل المعصية، وأنت الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير، ولا يريد إلا الخير؟ قال الله لهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكمة البالغة في خلقهم[٢].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فسرت هذه الآية بآيات من القرآن العظيم:

كقوله تعالى في الآية نفسها: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[٣] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤] ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[٦]، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾[٧].

---

(١) انظر: أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٢٧٧).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ٤٨)، التفسير المنير (١/١٢٥).

(٣) سورة الأنعام: ١٦٥.

(٤) سورة فاطر: ٣٩.

(٥) سورة النمل: ٦٢.

(٦) سورة الزخرف: ٦٠.

(٧) سورة مريم: ٥٩.

أورد هذه الآيات الحافظ ابن كثير، والعلامة الشنقيطي – رحمهما الله – وغيرهما[١] على تفسير الخليفة[٢]: بأنّ المراد به: قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، وليس المراد به آدم بعينه[٣].

ووجه بيان الآيات للآية – على هذا القول –:

أنّ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يحتمل أن يكون المراد بالخليفة آدم، كما يحتمل أن يراد به ذريته؛ ودلت الآيات المذكورة على الاحتمال الثاني:

أما قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، فقد أورداه استدلالاً على هذا القول؛ لأنه لو أراد بالخليفة آدم لما حسن هذا القول من الملائكة؛ إذ معلوم أنّ آدم عليه السلام ليس ممن يفسد فيها، ولا ممن يسفك الدماء، وإنما أرادوا أنّ من هذا الجنس من يفعل ذلك[٤].

أما الآيات الأخرى فإنّ الله أخبر فيها أنه جعل بني آدم خلفاء في الأرض، يخلف فيها بعضهم بعضاً، فيحمل الخليفة هنا على ذلك المعنى، ويفسر به، وعلى هذا فالخليفة مفرد أريد به الجمع، أي خلائف، وساغ ذلك لأنّ المفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مراداً به الجمع[٥].

---

(١) وقد استشهد بهذه الآيات أو بعدها: جمع من المفسرين، كالرازي في التفسير الكبير (١٥٢/٢)، والعيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٨٢/١٥)، والقاسمي في محاسن التأويل (٢٤٠/١)، والزحيلي في التفسير المنير (١٢٨/١).

(٢) الخليفة في اللغة: من يقوم مقام غيره ويسدُّ مسدّه، والهاء فيه للمبالغة، وجمعه خلفاء وخلائف. انظر: لسان العرب (٨٤/٩) الصحاح للجوهري (١٣٥٦/) (مادة خلفَ).

(٣) وهذا القول هو الذي رجحه الحافظ ابن كثير، ونسبه العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٨٢/١٥) لأكثر المفسرين، ونقل مثل كلام ابن كثير، وهذا فيه نظر؛ بل العكس هو الصحيح.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢١٦/١)، عمدة القاري (٢٨٢/١٥)، أضواء البيان (٦٩/١)، وقد ذكر الطبري مثل هذا في وجه الاستدلال بالآية ورده كما سيأتي.

(٥) انظر: أضواء البيان (٦٩/١)، وقد ساق جملة من الشواهد القرآنية والأبيات الشعرية على ذلك.
وقيل: يراد بالخليفة آدم وذريته، وإنما وحد استغناءً بذكر الأب عن بنيه، كما يستغنى بذكر أبي القبيلة نحو : مضر وربيعة. انظر: الكشاف (١٥٣/١)، الدر المصون (١١٥/١) .

وقد أجاب العلماء على الاستدلال بهذه الآيات بما يلي:

١- أنّ الملائكة لم تُضف الإفساد وسفك الدماء في جَوابها إلى الخليفة في الأرض، وإنما أعلمهم الله أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد وسفك الدماء، فقالوا ما قالوا[١].

٢- أنّ الخلافة نوعان: خلافة شرعية، وهو خلافة آدم في الأرض وهو المراد هنا، وخلافة أعم من ذلك وهو المراد بخلافة ذريته في الآيات المذكورة[٢].

القول الآخر:

وذهب جمع من المفسرين إلى الاحتمال الأول المشار إليه آنفا، وهو أنّ المراد بالخليفة آدم عليه السلام؛ لأنه خليفة الله[٣] في أرضه في تنفيذ أوامره، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط، أو لأنه صار خلفاً من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبله[٤].

وهذا المعنى هو الظاهر المتبادر من سياق الآية[٥]، وهو الذي اختاره جمع من أهل العلم[٦]، بل حكى غير واحد منهم عليه الإجماع[٧].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/٤٥٢-٤٥٣)، أضواء البيان (١/٦٩).

(٢) انظر: أضواء البيان (١/٦٩).

(٣) هذا اللفظ الذي ذكره جمع من المفسرين، كما في الحاشية التالية، ويرى بعض العلماء عدم جواز إطلاق أن الله يخلفه أحد، لأنّ الخلافة إنما تكون عن غائب وهو سبحانه شهيد حي قيوم. كشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من منهاج السنة النبوية (١/٣٥٥)، (٧/٢٥٢)، وقد حكى ابن القيم الخلاف في ذلك، ثم قال: «قلت إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفة عنه فالصواب قول الطائفة المانعة منها، وإن أريد بالإضافة أنّ الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لا يمتنع فيه الاضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفاً عن غيره». مفتاح دار السعادة (١/١٥٢)..

(٤) انظر: تفسير السمعاني (١/٦٤)، معالم التنزيل (١/٧٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٧٧).

(٥) انظر: أضواء البيان (١/٦٩).

(٦) انظر: الكشاف (١/١٥٣)، معالم التنزيل (١/٧٩)، أحكام القرآن لابن العربي (٧/٧٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٤٥)، السراج المنير (١/٤٤)، تفسير الجلالين (صـ ٧)، البرهان في علوم القرآن (١/١٥٦)، الإتقان في علوم القرآن (٢/٣٨٤)، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن (صـ ١١) للإمام جلال الدين السيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ت: د. مصطفى ديب البغا.

(٧) كالسمعاني في تفسيره (١/٦٣)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/٢٦٣).

ولعلّ هذا القول هو الراجح؛ لمناسبته لسياق الآيات الواردة في قصة خلق آدم وسجود الملائكة له، وإسكانه وزجه الجنة ...، ولا يمنع ذلك أن يكون ذرية آدم خلفاء في الأرض، على المعنى الشرعي، أو الأعم من ذلك[(١)]. والله تعالى أعلم.

وبهذا لا يصح حمل الخليفة هنا على الآيات المذكورة، بل كلّ منها مخبرة عن نوع من الخلافة، فالأولى عن خلافة آدم في الأرض، والأخرى عن خلافة ذريته فيها[(٢)].

(١) ولعلّ هذا هو مراد شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: « وقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعم آدم وبنيه؛ لكن الاسم متناول لآدم عيناً » الفتاوى الكبرى (٥/١٢١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، ت:محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، مجموع الفتاوى (٣٥/٤٢) .

(٢) مع التنبيه على أنّ بعض الآيات المذكورة لا تدل بوضوح على المعنى المذكور، كالآيتين الأخيرتين؛ لذا لم يوردهما الشنقيطي.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه علّم آدم – بعد أن خلقه وسوّاه – الأسماء كلّها، أي أسماء كلّ شيء، كما هو منطوق الآية، وكما روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فسّر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ بما جاء بعده من قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ يعني مسميات الأسماء لا الأسماء، كما يتوهم من ظاهر الآية، وقد أشار إلى أنها المسميات بقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الآية، كما هو ظاهر »[2].

وجه البيان: واضح من كلام الشنقيطي فقوله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ يتوهّم من ظاهره أنّ المعروضة هي الأسماء، فدلّ قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾؛ بوضوح على أنّ المعروضة عليهم هي المسمّيات[3]، ولأنّ العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء[4]، وهو قول جمهور المفسرين من السّلف والخلف[5].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/ ٤٨٢)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٧)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٢)

(٢) أضواء البيان (١/ ٨٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٢٨٣)، تفسير القرآن للعثيمين (١/١١٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٥٦).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٨٤)، تفسير السراج المنير (١/ ٩٩).

(٥) كما روي عن ابن مسعود وابن عباس في قوله: " ثم عرضهم" ثم عرض الخَلْق على الملائكة، وما روي عن الحسن وقتادة، حيث قالا فيه: وعرضت عليه أمة أمة، وعن مجاهد قال: عرض أصحاب الأسماء على الملائكة، =

وهو بهذا **من بيان القرآن بالقرآن**، حيث يفهم من الجملة الأولى من الآية أنّ المعروضة الأسماء، وبيّنت الجملة الثانية أنّها المسميّات.

❖ الأقوال الأخرى في تفسير الآية:

وقد روي عن بعض السّلف ما يوهم أن المعروضة على الملائكة الأسماء:

كما أخرج الطبري بسنده عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ثم عرض هذه الأسماء، يعني أسماء جميع الأشياء، التي علّمها آدم من أصناف جميع الخلق[1].

وما أخرجه بسنده عن مجاهد: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، يعني عرض الأسماء، الحمامةَ والغراب[2].

وما أخرج الطبري وابن أبي حاتم بسندهما عن قتادة: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، قال: علمه اسم كل شيء، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة[3].

ولذا نقل غير واحدٍ من المفسّرين الخلاف في ذلك، قال ابن عطية رحمه الله: «واختلف المتأولون هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء أو الأسماء دون الأشخاص؟ فقال ابن مسعود وغيره: عرض الأشخاص، وقال ابن عباس وغيره: عرض الأسماء »[4].

وقال الماوردي – عند تفسير الآية -: وفيما عرضه عليهم قولان:

أحدهما: أنه عرض عليهم الأسماء دون المسميات.

والثاني: أنه عرض عليهم المُسَمَّيْنَ بها[5].

=

انظر: جامع البيان (١/ ٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٤)، وقال مقاتل: ثم عرض أهل تلك الأسماء على الملائكة الذين هم في الأرض، تفسير مقاتل (١/ ٢٣).

(١) جامع البيان (١/ ٤٨٧).

(٢) جامع البيان (١/ ٤٨٧)

(٣) جامع البيان (١/ ٤٨٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٨٨)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٤).

(٤) المحرر الوجيز (١/ ٥٤)، وانظر: النكت والعيون (١/ ٣٣)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٨٣).

(٥) النكت والعيون (١/ ٣٣).

والصحيح: أنّ المرويَّ عن ابن عباس وإن كان ظاهره عرض الأسماء فالمراد عرض المسميّات؛ فأطلق الأسماء وأراد المسميات[١]، كما روي ذلك عنه في الرواية الأخرى[٢]، وهذا هو المفهوم من صنيع ابن كثير رحمه الله حيث قال: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يعني: المسميَّات؛ كما قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة قال: ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة[٣].

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، بقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، حيث يفهم من الجملة الأولى من الآية أنّ المعروضة الأسماء، وبيّنت الجملة الثانية أنّها المسميّات.

(١) اللباب في علوم الكتاب (١/ ٢١١).

(٢) المتقدمة في القول الأول.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢٤).

تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ البقرة: ٣٦

لما خلق الله آدم وكرّمه بإسجاد الملائكة له، وطرد عدوّه إبليس الذي أبى عن الخضوع له، وأتم نعمته عليه؛ فأسكنه وزوجه الجنة، وأباح لهما الأكل منها رغداً، ونهاهما عن الأكل من شجرة من أنواع شجر الجنة، أخبر الله - في هذه الآية - أنّ عدوّهما إبليس لم يزل يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نُهِيَا عنه، حتّى أوقعهما في الزلل والخطيئة؛ فتسبّب في إخراجهما من الجنة ونعيمها، وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضًا - أي آدم وحواء والشيطان- ولكم في الأرض استقرار وإقامة، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّر العلماء قوله تعالى في الآية ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ بآيتين من القرآن الكريم، وهما: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾(٢)، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾(٣).

أخرج الطبريُّ(٤)، وابنُ أبي حاتم(٥)، بالإسناد الجيد(٦)، عن أبي العالية قال في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾.

وأخرج الطبريُّ أيضاً بسنده عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾(٧).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٤٩)، التفسير الميسر (صـ ٥٠).

(٢) سورة البقرة: ٢٢

(٣) سورة غافر: ٦٤

(٤) في جامع البيان (١/٥٣٨) (١٢/ ٣٥٨).

(٥) في تفسيره (١/٩٠).

(٦) التفسير الصحيح (١/ ١٤٢).

(٧) جامع البيان(١/ ٥٣٨)، قال الشيخ: أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: الأثران : لم أجدهما في مكان.

ووجه الارتباط بين الآية والآيتين على النحو التالي:

أمَّا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾.

ففيها يمتنّ الله تبارك وتعالى على عباده بجعل الأرض لهم بساطاً ومهاداً ووطاءً مذلّلة؛ لتكون لهم سكناً مريحاً وملجأً واقياً كالفراش، ولكي يتهيّأ لهم الاستقرارُ عليها استقراراً كاملاً، والتَّقلُّبُ في مناكبها، والانتفاع بما أودع الله في باطنها من خيرات، ولم يجعلها حزنة أو صعبة غليظة، أو ناتئة، لا يمكن القرار عليها[1].

وهي – على هذا – تفسِّر المراد بالمستقرِّ الذي جعله الله في الأرض، وأخبر به في هذه الآية الكريمة، وأنّ ذلك في حال الحياة في الدنيا[2].

أماّ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾، فهو مثل هذه الآية في الإخبار بجعل الأرض استقراراً أو مكان قرار لهم، ولم يبيِّن في الآيتين موضع ذلك سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة[3]؛ فليست بذلك مفسّرةً للآية الأولى، ويكون إيرادها هنا من باب جمع الآيات المتشابهة في المعنى الواحد، والله تعالى أعلم.

❖الأقوال الأخرى في المراد بالمستقرّ:

المستقرّ: مُسْتَفْعَل من القَرار وهو اللُّبْثُ والإقامة[4]، ويجوز أن يكون مصدراً ميميّاً بمعنى الاستقرار، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾[5]، أو اسم مكان، أو اسم زمان[6].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/٣٦٥)، معالم التنزيل (١/ ٧٢)، مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١٨٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٩)، في ظلال القرآن (١/ ٦٠)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ١٣٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣ / ٢٤)

(٣) كما نصّ على ذلك القرطبي والشوكاني، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٢١)، فتح القدير (١/ ١٠٨).

(٤) البحر المحيط (١/ ٢٠١)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/٢١٧).

(٥) سورة القيامة: ١٢.

(٦) انظر: التفسير الكبير (٢/٤١)، البحر المحيط (١/٢٠١)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٢١٧)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن (صـ٣١)، لأبي البقاء العكبري، ط١، ١٤٢٣هـ، المكتبة العصرية-بيروت، التبيان في إعراب القرآن (١/٣١)، وروح المعاني (١/٢٨٠)، وحكى الألوسي احتمال كونه اسم مفعول واستبعده، ثمّ قال: وأبعد منه احتمال كونه اسم زمان.

ولذا اختلف أهل التفسير في المراد بالمستقرّ الذي جعله الله للناس في الأرض على مذهبين:

المذهب الأول: الذهاب إلى الاحتمال الأوّل؛ وهو: جعل المستقرّ مصدرا؛ فيكون المعنى: ولكم في الأرض استقرار، وحكاه جمع من المفسرين[(١)].

المذهب الثاني: مذهب جمهور المفسّرين، وهو جعل المستقرّ اسم مكان، واختلفوا فيه على ثلاثة أقوال[(٢)]:

القول الأوّل: أنّ المراد أنّ الله جعل ظهر الأرض موضع قرار وثبات لهم في حال حياتهم، يستقرون فيه ويستطيعون مزاولة شؤونهم في هدوء واطمئنان[(٣)]، وهذا الذي ذهب إليه أبو العالية وفسّر الآية عليها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ كما تقدّم آنفاً.

ورجّح بعضهم هذا القول؛ لأنّ لأنه تعالى قرن به المَتاع من الأكل والشرب وغيره، وذلك لا يليق إلا بحال الحياة، ولأنه تعالى خاطبهم بذلك عند الإهباط وذلك يقتضي حال الحياة[(٤)].

القول الثاني: أنّ المراد بالمستقر القبور، وهذا مرويّ عن ابن عباس[(٥)]، وقال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن مسعود، والسّدي، نحو ذلك[(٦)].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٤١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٩٧)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٣٩)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٩٢/١)، ويظهر من كلام الطبري رحمه الله أنّه لا يرى هذا القول؛ حيث يقول: والمستقرُّ في كلام العرب، هو موضع الاستقرار.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨٧)، روح البيان (١/ ٨٧)، لإسماعيل حقي البروسوي، ط٧، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٣/ ١١٦٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٤١)، واللباب (١/ ٢٥١)، التحرير والتنوير (٨ / ٦٩).

(٥) كما أخرج ذلك الطّبري في جامع البيان (٥٣٨/١)، (٣٥٨/١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢/١)، (٤٩٦/٥) من طريق السدي عنه.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ٤٩٦).

القول الثالث: الجمع بين الحالتين؛ فالمراد أنّ الله جعل لهم مستقرّاً فوق الأرض، ومستقرّاً تحت الأرض، وهذا مرويّ أيضاً عن ابن عباس(1)، وابن مسعود(2).

والراجح: — والله تعالى أعلم — القول الثالث؛ أي القول بعموم لفظ المستقرّ لزمن الحياة في الدنيا وزمن الإقامة في القبور؛ لأنّ المستقرَّ في كلام العرب، هو موضع الاستقرار، وقد عمَّ الله الخبرَ عن الأرض بأنّ للناس فيها مستقرًّا، و لم يخصِّصْ ذلك بحال حياتهم دون حال موتهم، فيبقى على عمومه، فلهم فيها مستقرّ في حياتهم على ظهرها، وبعد وفاتهم في بطنها، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾(3)(4).

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، على أنّ المراد بالمستقرّ كون الأرض فراشاً ووطاءً للناس يستقرون عليها في حال حياتهم، ولا ينفي ذلك كون الأرض لهم مستقراً بعد مماتهم ودفنهم في القبور إلى يوم النُّشور، لعموم اللفظ كما سلف آنفاً، والله تعالى أعلم.

---

(1) كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (1/ 102)، (5/ 496). من طريق كريب عنه.

(2) حكاه عنه السيوطي في الدرّ (1/294) معزواً إلى أبي الشيخ.

(3) سورة المرسلات: 25 - 26 .

(4) جامع البيان (12/ 359) (بتصرف)، وانظر: المحرر الوجيز (3/ 24).

تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ البقرة: ٣٧

يخبر تعالى في هذه الآية أن آدم عليه السلام قد بادر بطلب العفو والمغفرة من ربه – لَمَّا أكل من الشجرة التي نُهيَ عنها –، فلقَّى من ربه كلمات توبة، ألهمه الله إياها فقبلها وأخذها عنه تائبًا، فتاب الله عليه بقيله إياها[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

لم يبين الله تعالى في هذه الآية أعيان الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه بل تركها مبهمة؛ وقد فسّرها جماهير المفسّرين من السّلف والخلف بآية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[(٢)].

فممن روي عنه ذلك من السلف: سعيد بن جبير[(٣)]، ومجاهد[(٤)]، وأبو العالية[(٥)]، وقتادة[(٦)]، والحسن[(٧)]، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[(٨)].

---

(١) انظر: جامع البيان (١/٥٤١)، زاد المسير (١/ ٤٩)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٢٠).

(٢) سورة الأعراف: ٢٣

(٣) كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٩١) من طريق سفيان عن خصيف عنه وعن مجاهد.

(٤) فيما أخرجه الطبري (١/٥٤٥) مسنداً عنه من طرق.

(٥) أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (١/٥٤٣) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عنه.

(٦) أخرج ذلك الطبري (١/٥٤١) بسنده عن عبد الرزاق عن معمر عنه.

(٧) أخرج ذلك الطبري (١/٥٤٣) من طريق سعيد.

(٨) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١/ ٥٤١-٥٤٢)، بسنده من طريق ابن وهب.

قال ابن أبي حاتم: « وروى عن الحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي[1] وخالد بن معدان[2] وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو ذلك »[3].

واقتصر عليه - من الخلف - جمهور غفير من المفسرين كالزجاج، وابن جزيّ، وابن كثير، وابن عجيبة[4]، وثناء الله الهندي، والشنقيطي، والسّعدي، والعثيمين، والجزائري، والشيخ حكمت بشير، وسيّد طنطاوي[5].

ووجه بيان الآية بآية الأعراف: واضح جدّاً؛ فإنّ الله أبهم الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه للاسغفار والتوبة إلى الله، وعيّن تلك الكلمات في آية الأعراف، وأنّ آدم ومعه حواء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

فهو من تفسير المبهم بالمعيّن، وهو صحيح؛ لورودهما في قصة واحدة وفي معرض واحد، وهو معرض استغفار آدم ربّه.

الأقوال الأخرى في تعيين الكلمات:

وقد وردت أقوال أخرى عن السّلف في تعيين تلك الكلمات المبهمة التي تلقّاها آدم من ربّه منها:

---

(١) هو: أبو حمزة أو أبو عبد الله محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي جليل، كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، ومن أئمة التفسير توفي (١٠٨هـ) وقيل غير ذلك، انظر ترجمته: في: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/٢١٢) تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، تهذيب التهذيب(٩/٣٧٣).

(٢) هو: الإمام، شيخ أهل الشام، خالد بن معدان ابن أبي كرب، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي، تابعي ثقة توفي سنة (١٠٣هـ) انظر ترجمته في: طبقات خليفة (صـ٥٦٦)، أبي عمرو خليفة بن خياط، ت: سهيل زكار، دار الفكر، تهذيب الكمال (٨/١٦٧)، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج للمزي، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة –بيروت، ت: د. بشار عواد معروف.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/٩١).

(٤) هو: أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجينة، الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، من أهل المغرب، مفسر له كتب كثيرة، ولد سنة (١١٦٠هـ) وتوفي سنة (١٢٢٤هـ) انظر: الأعلام للزركلي (١/٢٤٥)، معجم المؤلفين (٢/١٦٣).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (١/١١٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨٧)، تفسير القرآن العظيم (١/٢٣٨)، البحر المديد (١/٣٧)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٦)، تفسير القرآن للعثيمين (١/١٣٤)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٦٣).

١- أنه قال: أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكنيّ جَنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تسبق رحمتُك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال: نعم، قال: فهو قوله:"فتلقى آدمُ من ربه كلمات". وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[(١)]، والسّدي[(٢)].

٢- أنه قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، فأنت خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم، وهذا مرويٌّ عن مجاهد[(٣)].

٣- أنه قال: يا رب، خطيئتي التي أخطأتها، أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعتُهُ من قبل نفسي؟ قال: بلى، شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته عليّ فاغفره لي. قال: فهو قول الله:"فتلقّى آدم من ربه كلمات" وهذا مرويٌّ من طرق عن عبيد بن عُمير[(٤)].

(١) كما أخرجه الطبري (٥٤٢/١) بسنده عن سعيد عنه، وذكره ابن كثير (٢٣٨/١) عن السدي عمّن حدّثه عن ابن عباس، ثمّ قال: وهكذا رواه العوفي، وسعيد بن جبير، وسعيد بن مَعْبَد، عن ابن عباس، بنحوه. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الطبري (٥٤٢/١) من طريق أسباط عنه. والسُّدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالي قريش. توفي سنة (١٢٧هـ)، انظر: طبقات المحدثين بأصبهان (٣٣٢/١) لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م. سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥).

(٣) أخرجه الطبري (٥٤٢/١)، بسنده عنه، وذكره ابن كثير في تفسير (٢٣٨/١).

(٤) انظرها: عند الطبري في تفسيره (٥٤٢/١)، تفسير ابن أبي حاتم (٩١/١)، تفسير القرآن العظيم (٢٣٨/١). **وعبيد بن عمير** هو: أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي من كبار التابعين، ولد في زمن النبي ﷺ، كان قاصّ أهل مكة، مجمع على ثقته، توفي سنة (٧٤هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٥٠/١)، شذرات الذهب (٣١٢/١).

٤- أنها شَأنُ الحج، أي: أن الله علم آدم وحواء أمر الحج فحجا وهي الكلمات التي تقال في الحج ، فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما بأني قبلت توبتكما، رُوي هذا أيضاً عن ابن عباس(١).

الترجيح:

القول الذي تطمئنُّ إليه النفس وتميل له الفؤاد في تعيين الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه هو القول الأول، وهو حمل الآية على آية الأعراف؛ لأنّ تفسير القرآن بالقرآن أولى، فما أجمل في موضع فقد بين في موضع آخر، وما أطلق في موضع قُيِّدَ في موضع آخر، لا سيما وقد وردت عن عدد من السلف – كما تقدم –.

قال الطبري رحمه الله:« والذي يدلُّ عليه كتابُ الله، أنّ الكلمات التي تلقاهنّ آدمُ من ربه، هنّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصِّلا بقيلها إلى ربه، معترفًا بذنبه، وهو قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التي حكيناها- بمدفوع قوله، ولكنه قولٌ لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربّه عند إنابته إليه من ذنبه »(٢).

النتيجة: صحّة تعيين الكلمات المبهمة في آية البقرة والتي تلقّاهنّ آدم من ربّه بآية الأعراف، والتي مدارها على الاعتراف بالذنب، والتضرع إلى الله، وكمال اللجوء والافتقار إليه في مغفرته ورحمته، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✸✸✸

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٩١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٣١٧) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) جامع البيان (١/ ٥٤٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ البقرة: ٤٠

يأمر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بالوفاء بعهدهم معه ليوفيَ بعهده معهم، ويدعوهم إلى تقواه وخشيته، وإلى الدّخول في الإسلام ومتابعة الرّسول محمد ﷺ والإيمان بما أنزله مصدقاً لما معهم، ممهِّداً لذلك بتذكيرهم بنعمته عليهم، ومُهيِّجًا لهم بذكر أبيهم إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وفي تفسير هذه الآية بآيات الكتاب مطلبان:

المطلب الأوّل: تعيين المراد بنعمة الله التي أنعم بها على بني إسرائيل:

لم يبيّن الله هذه النعم، ففسّرها بعض المفسّرين بآيات أخرى من القرآن ذُكرت فيها نعمَ الله على بني إسرائيل، وهم في ذلك بين مصرّح بذكر الآيات، وغير مصرّح بذكرها، بل مكتفياً بذكر النعم التي وردت في الآيات.

فمن المصرِّحين بذكر الآيات التي وردت فيها نعم الله على بني إسرائيل:

الإمام الرازي رحمه الله حيث يقول في التفسير الكبير[2] عند هذه الآية: « واعلم أن نعم الله تعالى على بني إسرائيل كثيرة: استنقذهم مما كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه، وأبدلهم من ذلك بتمكينهم في الأرض وتخليصهم من العبودية، كما قال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾[3] ، جعلهم أنبياء وملوكاً بعد أن كانوا عبيداً للقبط، فأهلك أعداءهم وأورثهم أرضهم وديارهم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٤١)، في ظلال القرآن (١/ ٦٤).

(٢) (٢/ ٥٨).

(٣) سورة القصص: ٥-٦.

وأموالهم كما قال: ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[1]، أنزل عليهم الكتب العظيمة التي ما أنزلها على أمة سواهم كما قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] »[3].

الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال – في تفسير الآية-: وهذا كقول موسى عليه السلام لهم: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

والعلاّمة الشنقيطي رحمه الله – حيث يقول عند تفسير الآية-: «لم يبيِّنْ هنا هذه النِّعمة التي أنعمها عليهم، ولكنه بينها في آيات أخر، كقوله: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[5]، وقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ ...الآية[6]، وقوله: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات »[7].

أما المفسرون الذين ذكروا هذه النعم الواردة في الآيات المبيّنة لهذه النعم المبهمة في آية البقرة – دون الإشارة إلى الآيات – فجمهور كثيرون:

كالذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قال: أي آلائي عندكم وعند آبائكم، لما كان نجّاهم به من فرعون وقومه[8].

---

(١) سورة الشعراء: ٥٩.

(٢) سورة المائدة: ٢٠

(٣) سورة الشعراء: ٥٩

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤١).

(٥) سورة البقرة: ٥٧

(٦) سورة البقرة: ٤٩

(٧) أضواء البيان (١/ ٨٨).

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ٥٥٥)، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير عنه، وعزاه السيوطي في الدر (١/ ١٥٤) إلى ابن اسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم.

وما روي عن أبي العالية رحمه الله قال: « نعمتُه أنْ جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب »(١).

وما روي عن مجاهد رحمه الله قال: « يعني نعمتَه التي أنعم على بني إسرائيل، فيما سمّى وفيما سوَى ذلك: فجَّر لهم الحجر، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، وأنجاهم من عبودية آل فرعون »(٢).

وذكر مثل هذا غير واحد من المفسّرين كالطبري، ومقاتل، والثعلبي، والزمخشري، والخازن(٣)، وابن جزي، وأبو حيّان، وابن القيم، والشوكاني(٤).

ووجه البيان واضح؛ إذ لمّا أبهم الله النّعمة التي أنعمها عليهم، وأمرهم بتذكيرها في هذه الآية، بيّنت الآيات الأخرى تلك النّعم، وأصرح هذه الآيات في بيان الآية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؛ لاشتراكهما في التذكير بالنّعمة وتصريح الثانية بذكر النّعم التي أنعمها عليهم وأمرهم بتذكيرها، **فيكون ذلك من وجه تعيين المبهم.**

قال الطّبري رحمه الله: « وتذكيرُ الله الذين ذكّرهم جلّ ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد ﷺ نظيرُ تذكير موسى صلوات الله عليه أسلافَهم على عهده، الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم، وذلك قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/ ٥٥٥)، من طريق الربيع بن أنس.

(٢) وانظر: تفسير مجاهد (١/ ٨٧).

(٣) الخازن هو: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي البغدادي، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، ولد ببغداد سنة (٦٧٨هـ)، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها. توفي بحلب سنة (٧٤١هـ)، انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/٤٢٢)، الأعلام (٥/ ٥).

(٤) انظر: جامع البيان (١/ ٥٥٥)، تفسير مقاتل (١/ ٣١)، الكشف والبيان (١/ ١٢١)، الكشاف (١/ ٨٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٣١)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨٨)، البحر المحيط (١/ ٢٢٠)، التفسير القيم لابن القيم (١/ ١١٨)، فتح القدير (١/ ١١٦).

(٥) جامع البيان (١/ ٥٥٥)

❖ أقوال أخرى في تعيين النعم:

وقد وردت أقوال أخرى عن المفسّرين في المراد بنعمة الله التي أنعمها على بني إسرائيل، وأمرهم بتذكيرها:

فذهب البعض إلى أنها: ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ[١]، أو إدراكهم مدة النبي ﷺ، أو علم التوراة، أو غير ذلك[٢].

والراجح: - والعلم عند الله - أن يكون المراد بنعم الله على بني إسرائيل: جميع النِّعم التي أنعم الله عزّ وجلّ بها على عباده[٣]؛ النعمة اسم جنس وقد أضيف إلى معرفة، فيعمُّ جميع النِّعم التي أنعم الله بها عليهم[٤]، وما ذكره المفسّرون تحمل على أنها أقوال على جهة المثال[٥].

الترجيح:

والراجح – والله تعالى أعلم – أنّ المراد بنعم الله تعالى على بني إسرائيل، والتي أمرهم بتذكيرها هي جميع نعمه التي أنعم بها عليهم مما اشترك فيه معهم غيرهم أو اختصهم بها، وما ذكر الله من نعمه عليهم في كتابه، تدخل – بلا شكّ – دخولاً أوّليّاً؛ لأنّ أولى ما فُسّر به كلام الله كلامه جلّ ثناؤه، والله تعالى أعلم.

التنيجة:

صحّة تفسير الآية بالآيات المذكورة في التصريح بنعم الله تعالى على بني إسرائيل؛ **فيكون حمل هذه الآية عليها من باب حمل المبهم على المعيَّن**، وهو من أوجه بيان القرآن بالقرآن الصريحة، والله أعلم.

---

(١) حكاه ابن الجوزي في الزاد (١/٥٢) عن ابن عباس، وانظر: المحرر الوجيز (١/ ٦٨)، البحر المحيط (١/٢٢٠).

(٢) انظر: المصادر السابق، ولباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٤)

(٣) انظر: انظر: زاد المسير (١/ ٥٢)، النكت والعيون (١/ ٤٠)، البحر المحيط (١/ ٢٢٠).

(٤) انظر: زاد المسير (١/ ٥٢)، الكشف والبيان (١/ ١٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٣١)، معالم التنزيل (١/ ٨٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨٨)، التحرير والتنوير (١/ ٢٥٧)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ١٤٣).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٦٨).

المطلب الثاني: المراد بالعهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾

فسّر المفسّرون هذا العهد من الله لهم وعهدهم له بآيات عديدة من كتاب الله تعالى وهي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[(١)].

وقد فسّر الآية بهذه الآية جماعة من المفسّرين من السّلف والخلف، فروي عن مجاهد[(٢)]، وقتادة[(٣)]، والحسن البصري[(٤)]، وابن جريج[(٥)]، وهو قول مقاتل[(٦)]، وذهب إليه البيضاوي، والآلوسي[(٧)]، وذكره العلاّمة الشوكاني، والشنقيطي[(٨)]، واقتصر عليه السّعدي، والعثيمين[(٩)].

ووجه التفسير به: واضح؛ فالله أخذ على بني إسرائيل عهداً مؤكّداً ووعدهم إن وفوا بها وعداً كريماً؛ فيحمل عهدهم له وعهده لهم على ذلك.

فعهدهم لله: - على هذا- إقامة الصّلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل، وتعزيرهم، وإقراض الله قرضاً حسناً. **وعهد الله لهم:** تكفير سيئاتهم، وإدخالهم الجنّة.

---

(١) سورة المائدة: ١٢

(٢) فيما أخرجه السيوطي في الدرّ المنثور (١/٣٣٨) وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) فيما أخرجه عنه السيوطي في الدرّ (١/٣٣٨-٣٣٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وقد حكى هذا القول عن قتادة غير واحد من المفسرين، انظر: الكشف والبيان (١/١٢١)، ومعالم التتريل (١/ ٨٧)، زاد المسير (١/٧٣).

(٤) كما حكاه عنه القرطبي (١/٣٣٢)، وابن كثير في تفسيره (١/٢٤٢).

(٥) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١/٥٥٨) من طريق حجاج.

(٦) في تفسيره (١/٤٤).

(٧) أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٣٠٩)، روح المعاني (١/٢٤٢).

(٨) انظر: فتح القدير (١/ ٨٤)، أضواء البيان (١/٨٨).

(٩) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٠)، تفسير القرآن للعثيمين (١/ ١٤٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1].

ذكر تفسير هذه الآية للآية الثعلبي، والقرطبي، والشّوكاني، والشنقيطي[2]، واقتصر عليه ابن عاشور[3].

ووجه البيان به: أنّ الله أخذ على بني إسرائيل فيها العهد بيان الكتاب الذي أوتوه للناس وعدم كتمانه، فيكون ذلك هو المراد **بعهدهم لله** الذي أمرهم بالوفاء به بقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾، وليس في الآية المفسِّرة هنا ذكر **لعهد الله لهم**.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]،حكا تفسيره للآية الثعلبي والبغوي والقرطبي عن الحسن[5].

وجه البيان به: أنّ الله أخذ عليهم العهد والميثاق لما رفع الجبل على رؤوسهم ليقروا بالتوراة وقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق[6]. **فيكون المراد بعهدهم لله:** هذا العهد الذي عاهدوا الله عليه من أخذ التوراة بجدٍّ واجتهاد، وذكر ما فيه، و لم تذكر في الآية مقابل ذلك عهدٌ لله لهم.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[7].

ذكرها الطّبري، وأخرج بسنده عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ **الذي أخذتُ في أعناقكم للنبيّ محمد إذا جاءكم**، ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٧

(٢) الكشف والبيان (١/١٢١)، الجامع لأحكام القرآن (١/٣٣٢)، فتح القدير (١/ ٨٤)، أضواء البيان (١/٨٨).

(٣) التحرير والتنوير (١ / ٢٥٨).

(٤) سورة البقرة: ٦٣.

(٥) الكشف والبيان (١/١٢١)، معالم التنزيل (١/٨٧)، الجامع لأحكام القرآن (١/٣٣٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١/٤٣٧) (بتصرف)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٧). التحرير والتنوير (١/ ٣١١).

(٧) سورة الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧

أنجزْ لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه، **بوضع ما كان عليكم من الإصْر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم**(١).

فيكون عهد الله تعالى لهم – على هذا القول – **أن يبيِّنوا للناس رسالة محمد** ﷺ، **كما يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة**، وأن يتبعوه ويؤمنوا به، وعهده لهم: **وضع ما كان عليهم من الإصْر والأغلال**(٢).

إلاّ أنّ آية الأعراف لم تذكر هذه الأمور على هيئة عهود بين الله وبني إسرائيل.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾(٣) وحكى تفسير الآية بهذه البغوي عن مقاتل(٤).

ووجه بيانه للآية: أنّ الله تعالى ذكر فيها بعض المواثيق التي أخذها على بني إسرائيل، كعبادة الله وحده، والإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وقول الحسن للناس وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

فتكون هي المرادة بما أمر الله بالوفاء به في الآية، ولم تذكر الآية عهد الله لهم أيضاً مقابل هذه المواثيق.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾(٥)، أخرج ذلك الطبري بسنده عن ابن زيد(٦).

ووجه ذلك: أنّ الله سبحانه أخبر أنه وعد المجاهدين في سبيله الجنة وعدًا عليه حقًّا أن يوفِّي لهم به، إذا هم وَفَوا بما عاهدوه عليه، فقاتلوا في سبيله ونصرةِ دينه أعداءَه(٧).

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٥٨)

(٢) جامع البيان (١/٥٥٨) (بتصرف)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٤٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣١٠).

(٣) سورة البقرة: ٨٣

(٤) انظر: معالم التنزيل (١/ ٨٧).

(٥) سورة التوبة: ١١١

(٦) جامع البيان (١/٥٥٩).

(٧) جامع البيان (١٤/ ٤٩٨) (بتصرف).

فعهدهم لله — على هذا — الجهاد في سبيله وقتال أعدائه، وعهده لهم: أن يدخلهم الجنّة.

ولا يصحّ تفسير الآية بهذه الآية إلا بالقول بأنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ أنّ كلّ أمّةٍ أمرت بالجهاد ووعدت عليه بالجنة[1]؛ فيكون بنو إسرائيل مأمورين بالجهاد في سبيل الله وموعدين بالجنّة عليه.

وقد وردت عن السلف في تفسير العهدين — غير ما سلفت - أقوال كثيرة، أوصلها أبو حيّان في البحر إلى أربع وعشرين قولاً[2].

الترجيح:

والراجح - والله تعالى أعلم - أن تكون عهدهم لله المبهم في الآية عامّاً يشمل جميع ما ورد من من المواثيق والعهود التي ذكرها الله تعالى عن بني إسرائيل[3]؛ لأنّ قوله: ﴿بِعَهْدِي﴾ مفرد مضاف إلى معرفة فيعمّ.

أمّا عهد الله تعالى لهم: فهو الجنّة؛ لعدم ورود غير ذلك في الآيات المتقدّمة.

وتكون آية المائدة — مع هذا — أولى ما تفسّر به الآية؛ لذكر عهد بني إسرائيل لله، وعهده لهم فيها، والله أعلم.

النتيجة: صحّة تعيين العهد الذي أخذه بنو إسرائيل لله بما ورد في الآيات من العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم، وتعيين عهد الله لهم بالجنّة الواردة في آية المائدة والتوبة.

(١) كما ذهب لذلك وحكاه جمع من المفسِّرين، ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٩٨)، المحرر الوجيز (٣/ ٣١٩)، زاد المسير (٣/٥٠٤)، التفسير الكبير (٨/ ١٥٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٨/٨)، البحر المحيط (٦/ ٢٣٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٤٦/٣) البحر المديد (٤٥٠/٢)، تفسير اللباب (٨/ ٣٧٩)، فتح القدير (٥٩١/٢)، التحرير والتنوير (٣٨/١١).

(٢) انظره في البحر المحيط (٢٢١/١- ٢٢٣)، وانظر بعضها في الكشف والبيان (١٢١/١)، زاد المسير (٥٢/١).

(٣) وإلى هذا مال جمع من العلماء، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٨٨)، البحر المحيط (٢٣٢/٦)، فتح القدير (١/ ٨٤)

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ البقرة: ٤٥ - ٤٦

لما كان الإنسان ضعيفاً لا حول له ولا قوةّ إلاّ بالله القوي المتين؛ وجّه القرآن اليهود الذين كان يخاطبهم أولاً، والناسَ كلَّهم ضمناً إلى الاستعانة على كل أمورهم بالصبر بجميع أنواعه، فبه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، وبالصلاة التي هي الصلة بين العبد وربه، وهي أقرب إلى حصول المأمول، ودفع المكروب[١]، ولكنها أشق على النفس الأمارة بالسوء، إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هاتين الآيتين بالقرآن من كلام الأئمة المفسّرين مطلبان:

المطلب الأول: تفسير الظنّ باليقين.

قال الشَّيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ المراد بالظن هنا: اليقين كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾[٤] »[٥].

ووجه ذلك: أنّ أصل الظنّ في كلام العرب: التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم[٦]، وهو الشك والحسبان[٧].

وقوله تعالى في هذه الآية في وصف عباده الخاشعين: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ معناه في قول جمهور المفسّرين: يوقنون؛ لأن من وصف بالخشوع لا يشكّ أنه ملاق ربه[٨].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/ ٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥١).

(٢) انظر: جامع البيان (١/ ١٦).

(٣) سورة البقرة: ٤

(٤) سورة المؤمنون: ٦٠.

(٥) أضواء البيان (١/ ٨٩-٩٠).

(٦) تاج العروس (١/ ٨١٠٢)، القاموس المحيط (١/ ١٥٦٦).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٧٢)، وروح المعاني (١/)

(٨) انظر: البحر المحيط (١/ ٢٣٦).

فيرى الشيخ الشنقيطي أنّ الآيتين المذكورتين تفسّران هذا الظنّ، بأنّ المراد به العلم واليقين، فقد وصف الله تعالى عباده المتقين في مطلع سورة البقرة بأوصاف منها أنهم يوقنون بالآخرة، وفي الآية الثانية وصف الله تعالى عباده الذين يسارعون في الخيرات بأوصاف منها أنهم: يوقنون أنهم صائرون وراجعون إلى الله عزّ وجلّ[1].

فالآيتان دالتان على أنّ عباد الله المتقين لا يشكّون في الرجوع إلى الله بل يوقنون بذلك.

وهذا قد يكون من وجه: **بيان اللفظة بأظهر منها وأشهر**، أو من **حمل المحتمل على الواضح**؛ إذ لما احتمل الظن – بحسب وضعه اللغوي – الشك واليقين؛ وأخبر الله في الآيتين المذكورتين أنّ عباده المتقين يوقنون بملاقاة الله، فُسِّر الظنّ باليقين، وإن كان سياق الآية واضحاً في أنّ المراد بالظنّ هنا اليقين، إضافةً إلى ذلك أنّ إطلاق الظنّ على اليقين في كلام العرب شائع ومعروف[2]، بل ذهب جمع من اللغويين إلى أنّ اليقين والشك أصلان لمادة " ظنّ "[3]، أو أنّ ظنّ من الأضداد يكون شكا ويقينا[4].

المطلب الثاني: تفسير يظنون بيعلمون لقراءته بذلك في الآية:

فسر بعض المفسّرين الآية بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قرأ قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ﴾ يعلمون[5].

قال الزمخشري: « وفي مصحف عبد الله: (يعلمون)، ومعناه: يعلمون أن لا بدّ من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك، ولذلك فُسِّرَ ﴿يَظُنُّونَ﴾ بيتيقنون[6] ».

وهذه القراءة الواردة عن ابن مسعود رضي الله عنه، قراءةٌ شاذّةٌ غير متواترة؛ **فلا يصحّ تفسير القرآن بها، وإن كانت تصلح للاستئناس بها.**

---

(١) انظر: معالم التنزيل (٥/ ٤٢١)، المحرر الوجيز (٥/ ٣٠)، بحر العلوم (٣/ ١٨٧)، زاد المسير (٥/ ٤٨٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٧٠)، روح المعاني (١٣/ ٢٣٨).

(٢) انظر: كلام الطبري في ذلك في تفسيره (١/ ١٩)، وقد نقله عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٤)

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/٥٤)، مقاييس اللغة (٣/٣٦١)، تهذيب اللغة (٥/٣٧) (ظن).

(٤) معالم التنزيل (١/ ٩٠)

(٥) حكى هذه القراءة عنه جمع من المفسرين كالزمخشري في الكشاف (١/ ٨٧)، وأبو حيّان في البحر (١/٢٣٦) والبيضاوي في تفسيره (١/ ٣١٧)، والألوسي في روح المعاني (١/ ٣٠١).

(٦) الكشاف (١/ ٨٧).

المطلب الثالث: ورد عن جمع من السّلف تشبيه هذه الآية بقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[2].

كما أخرج ابن جرير الطبري[3] بسنده عن ابن جريج قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ علموا أنهم ملاقو ربهم، هي كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ يقول: علمت.

وكما أخرج بسنده عن ابن زيد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ قال: لأنهم لم يعاينوا، فكان ظنهم يقينا، وليس ظنّاً في شكٍّ، وقرأ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾[4].

ووجه الارتباط بين الآيات: وورود ظنّ فيها بمعنى اليقين؛ فاستدلّ المفسّرون الذين أوردوا هذه الآيات عند تفسير الآية الأولى بها؛ لقوّة دلالتها في أنّ ظنّ بمعنى اليقين، وإن لم يكن فيها بيان للآية؛ **فهو من جمع موارد اللفظة القرآنية، لبيان وجوه استعمالها في كتاب الله**، والله تعالى أعلم.

النتيجة:

يصح تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾؛ لأنّ الظنّ وإن كان يطلق على اليقين، إلاّ أنّ التعبير باليقين أشهر منه وأظهر، أما إيراد الآيات التي وردت فيها الظن بمعنى اليقين هنا فمن باب جمع موارد اللفظة القرآنية، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) سورة الحاقة: ٢٠

(٢) سورة الكهف: ٥٣

(٣) في تفسيره (١/ ١٩)، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٥)، ثم قال: « وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ».

(٤) جامع البيان (١/ ١٩)، وتفسير الظنّ بمعنى اليقين هو مذهب جمهور المفسرين من السّلف والخلف، انظر: النكت والعيون (٤٣/١)، المحرر الوجيز (٧٢/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣٧٥/١)، البحر المحيط (٢٣٦/١)، فتح القدير (٩١/١).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٤٩

في هذه الآية الكريمة يمتنّ الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل بنعمه الكثيرة، التي منها إنجاؤهم من فرعون وقومه الذين كانوا يذيقونهم سوء العذاب وأشده.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فسّر جمع من المفسّرين هذا العذاب بما جاء بعده متّصلاً، وهو قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾؛ فيكون المراد بالعذاب الذي كان آل فرعون يذيقونه بني إسرائيل: ذبح أبنائهم، واستبقاء بناتهم للخدمة.

قال الإمام الطبري رحمه الله: « فإن قال لنا قائل: وما ذلك العذاب الذي كانوا يسومونهم الذي كان يسوؤهم؟ قيل: هو ما وصفه الله تعالى في كتابه فقال: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ »(١).

وقال مقاتل والسمرقندي(٢) – رحمهما الله تعالى – عند تفسير الآية -: « ثم بيّن العذاب فقال تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ »(٣).

---

(١) جامع البيان (٢/ ٤٠).

(٢) هو: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، أبو الليث، الإمام، المفسر، الفقيه، الزاهد، له تصانيف، توفي سنة (٣٩٣هـ). انظر ترجمته في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/٥٤٤) لأبي الوفاء عبد القادر القرشي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو. سير أعلام النبلاء (١٦/٣٢٢).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٤٦)، بحر العلوم (١/ ٥٣).

وهذا قول الزمخشري، والبيضاوي، والنسفي[١]، وابن جزيّ، والسمين الحلبي[٢]، وابن عادل[٣]، والخطيب الشربيني، وأبو السعود، قالوا في عبارات متقاربة: و﴿يُذَبِّحُونَ﴾: بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ ولذلك ترك العاطف[٤].

وقال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بينه بقوله بعده: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية[٥].

وحكاه غير واحد من المفسِّرين كقول من الأقوال[٦].

وهذا من باب ما اتّصل به بيانه؛ فقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، بدل الفعل من الفعل[٧]، وهو – كما تقدّم – من أوجه تفسير القرآن بالقرآن الصريحة التي لا تحتاج إلى برهان.

---

(١) هو: الإمام العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، كان إماما في العلوم ومصنفاته كثيرة في الفقه والأصول، توفي سنة (٧١٠هـ)، انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٧٢/٧) تأليف: يوسف بن تغرى بردى الأتباكي، جمال الدين أبو المحاسن، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م- ت: د. محمد محمد أمين. طبقات المفسرين للأدنه وي (صـ٢٦٣).

(٢) هو: أحمد بن يوسف بن محمد بن عبد الدائم، شهاب الدين، أبو العباس، المقرئ النحوي الشافعي، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير وعلم القراءات، يتكلّم في الأصول، خيّراً ديّناً. توفي سنة (٧٥٦ هـ). انظر: طبقات الشافعية (١٨/٣) تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، ط ١، ١٤٠٧هـ، دار عالم الكتب- بيروت، ت: الدكتور الحافظ عبد العليم،. بغية الوعاة (١/ ٤٠٢).

(٣) هو: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، توفي بعد (٨٨٠ هـ) انظر: الأعلام للزركلي (٥٨/٥)، معجم المؤلفين (٧/ ٣٠٠).

(٤) انظر: الكشاف (٨٩/١)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٢٠)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤٣/١)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٢٥٨)، اللباب لابن عادل (١/ ٢٩٧)، السراج المنير (١/ ١٢٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٠٠).

(٥) أضواء البيان (٤٩/٣).

(٦) انظر: معالم التنزيل (١/ ٩١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٣٩)، روح البيان (١/ ١٠٢).

(٧) المحرر الوجيز (١/ ٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٨٤)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٢٥٨/١)، اللباب لابن عادل (١/ ٢٩٧)، فتح القدير (١/ ١٣٠).

القول الآخر في تفسير سوء العذاب:

وقد ورد عن بعض السلف تفسير سوء العذاب الذي كان فرعون وقومه يسيمونه بني إسرائيل بأصناف أخر من العذاب:

كما روي عن السدي أنه: الأعمال القذرة(١).

وروي عن ابن وهب أنه: الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك(٢).

وحكي غير ذلك(٣).

وقد ذهب جمع من أهل العلم إلى تفسير الآية بما ذُكِر بعدها، ولكنه لا يدلّ على التخصيص، فما فُسِّر به سوء العذاب في هذه الآية وفي آية الأعراف، إنما لكونه أعظم العذاب وأشدّه، وإلاّ فإنّهم كانوا يعذّبونهم بأنواع شتّى من العذاب، بدلالة قوله تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٤)(٥)، فعطف قوله ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ بالواو على قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾؛ والعطف يقتضي المغايرة(٦)؛ فدلّ على أنهم كان يمسُّهم منهم أصنافٌ أخرى من العذاب غير التذبيح، وكأنّه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح(٧).

فما ورد عن السلف من ذكر بعض أصناف من العذاب كانت بنو إسرائيل يلقونها من فرعون وقومه إن صحّت فهي مما تدلّ عليه آية إبراهيم.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (١/ ١٢٧)، معالم التتريل (١/ ٩١)، البحر المحيط (١/ ٢٤٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: البحر المحيط (١/٣٥١).

(٤) سورة إبراهيم: ٦.

(٥) ما اتّصل به بيانه من القرآن الكريم (بتصرف).

(٦) تفسير القرآن للعثيمين (١/ ١٧٥)، وانظر: التسهيل لعلوم التتريل (١/ ٩٢).

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء (٣ / ١٤).

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى احتمال كون الواو في آية إبراهيم زائدة بدليل عدم ورودها في آية البقرة، وعلى عكس ذلك ذهب بعضهم إلى احتمال أن تكون آية البقرة مما حذف منه حرف العطف لثبوته في آية سورة إبراهيم(١).

والقول المتقدّم أولى؛ إذ الجمع أولى من الترجيح، والأصل عدم التقدير، فيكون قوله يذبحون وما عطف بعده بياناً لسوء العذاب في آية البقرة، ولا يدلّ على التخصيص، ودلّت آية إبراهيم على وجود أصناف أخرى من العذاب، وأهمها ما ذكر(٢).

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بما جاء بعده متصلاً من قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، لكن لا يدلّ على تخصيص العذاب الذي كانوا يلاقونه من فرعون وقومه بما ذكر، لدلالة آية سورة إبراهيم على ذلك كما تقدّم، والعلم عند الله.

◈◈◈✸✸✸

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣٥١/١).

(٢) وقد ذكر بعض المفسِّرين جملاً من الفوائد أو الأسارر في ذكر ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بلا واو في هذه الآية، وفي سورة إبراهيم مع الواو. انظر: التفسير الكبير (٦٤/١)، تفسير القرآن العظيم (٢٥٨/١)، اللباب (١/ ٢٩٨)، التفسير الوسيط (٨٢/١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: ٥٠

في تفسير هذه الآية بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾

فسّرت بقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾[2].

قال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ لم يبين هنا كيفية فرق البحر بهم، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله: ...» وذكر الآيتين[3].

ووجه الارتباط بين الآية وهاتين الآيتين: هو ما أشار إليه الشّنقيطي في كلامه: أنّ الله تعالى لم يبيّن في هذه الآية كيفية فرق البحر ببني إسرائيل، وبيّن ذلك في الآيتين، وأنه كان بضرب موسى البحر بعصاه، بأمر من الله تعالى.

وقد سبق في الفصل التمهيدي لهذا البحث أنّ هذا الوجه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسّع، وهو من أنواع بسط الموجز كما سبق، ؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ ، معناه واضح من حيث مضمونه، ولا إشكال فيه ولا غموض، وأما الآيتان المذكورتان ففيهما زيادة بيان لبسط القصة، وذكر أحداثها الأخرى.

---

(١) سورة الشعراء: ٦٣

(٢) سورة طه: ٧٧

(٣) أضواء البيان (١/ ٥٠).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾

فسّرت بالآيات التاليـــة: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1]، وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[3].

قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ لم يبين هنـــا كيفية إغراقهم ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله ... وذكر الآيات المتقدّمة[4].

ووجه الشبه والارتباط بين الآية وهذه الآيات هو مثل ما سبق في المطلب الأوّل، وذكره الشيخ في كلامه: أنّ الله لم يبين هنا كيفية إغراقهم، وبيّنها في تلك الآيات.

أمّا التعليق فمثل ما سبق في الأوّل، فما ذكر في الآيات الأخرى إنما هو زيادة لم يذكرها الله في هذه الآية، وبجمع الآيات الواردة في الموضوع الواحد، وفي القصّة الواحدة تتكامل أرجاء ذلك الموضوع، وتتضح أحداث تلك القصّة.

وهذا كصنيع أبي حيّان رحمه الله في إيراد بعض الآيات الدّالّة على غرق فرعون مع قومه وجنوده – عند تفسير هذه الآية – حيث يقول: « وقد ذكر تعـــالى غـــرق فرعون في آيات أخـــر، منـــها: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾[5]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾[6]، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[7].

---

(١) سورة الشعراء: ٦٠ – ٦٦

(٢) سورة طه: ٧٨

(٣) سورة الدخان: ٢٤

(٤) انظر: الأضواء (١/ ٩١)

(٥) سورة القصص: ٤٠

(٦) سورة يونس: ٩٠

(٧) البحر المحيط (١/ ٢٥٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٥١

يتابع الله جلّ ثناؤه تذكير بني إسرائيل بأنعمه وأفضاله عليهم وعلى آبائهم؛ حيث ذكرهم بوعده لموسى أربعين ليلة ليترل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح العميمة، وعفوه عنهم لما عبدوا العجل من بعد ذهاب موسى لميقات ربه[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فسّرت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[٢].

قال ابن أبي زمنّين[٣] رحمه الله: « قوله: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ **تفسيره مذكور في سورة الأعراف** »[٤].

وقال أبو حيان رحمه الله – عند تفسير آية الأعراف -: « وأجمل ذكر الأربعين في البقرة وفَصَّلَ هنا »[٥].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية -: « يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم، لَمَّا عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه، عند انقضاء أمَد المواعدة، وكانت أربعين يومًا، **وهي المذكورة في الأعراف، في قوله تعالى:** ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ »[٦].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٢)، أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٥٨).

(٢) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٣) هو: الامام القدوة الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، المري الاندلسي الالبيري، شيخ قرطبة، ولد في أول سنة (٣٢٤هـ) كان عارفا بمذهب مالك بصيرا به ومن الراسخين في العلم متفننا في الأدب والشعر، وتوفي في ربيع الآخر سنة (٣٩٩هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧)، طبقات المفسرين للسيوطي (صـ ٨٩).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٢)

(٥) البحر المحيط (٥/ ٤٣٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٦١).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيّنا **وجه بيان آية الأعراف لهذه الآية:** « قوله تعـالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لم يبين هنا هل واعده إياها مجتمعة أو متفرقة ؟ ولكنه بيّن في سورة الأعراف أنها متفرقة، وأنه واعده أولاً ثلاثين، ثم أتمّها بعشر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ »[(١)].

فوجه البيان – إذاً -: أنّ آية البقرة تفيد بظاهرها أنّ مواعدة الله لموسى كانت من أوّل الأمر على أربعين يوماً؛ ففسّرت الآية الأخرى ذلك بأنّ المواعدة كانت في أوّل الأمر على ثلاثين يوماً ثمّ أتمها الله بعشر، فأخبر في آية البقرة بما استقر[(٢)].

فهو من تفسير معنى آية بآية أخرى، والله أعلم.

وقد حكى الإمام الرازي وغيره عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجابته عن كيفية التوفيق بين الآيتين؛ بقوله: «ليس المراد أنّ وعده كان ثلاثين ليلة ثم بعد ذلك وعده بعشر لكنه وعده أربعين ليلة جميعاً، وهو كقوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[(٣)]»[(٤)].

ولعل القول الأول أولى؛ فهو ظاهر آية الأعراف، كما هو واضح، والله أعلم.

❖❖❖✸✸✸

(١) أضواء البيان (٣/ ٥١)، وانظر مثله في تفسير العثيمين (١/ ١٨١).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٤٥).

(٣) سورة البقرة: ١٩٦.

(٤) التفسير الكبير (٢/١٠٢) وانظر: اللباب لابن عادل (١/ ٣٠٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٥٣

لا يزال السِّياق في تذكير بني إسرائيل بأنعم الله وأفضاله عليهم، فهذه هي النعمة الخامسة التي ذكّرهم الله بها، وهي ثمرة الوعد السابق، وهو إتيان موسى الكتاب الذي يفرّق بين الحق والباطل، لكي يسترشدوا بنوره، ويهتدوا من الضلال باتباع ما جاء فيه(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فسّرت هذه الآية بآيات من الذكر الحكيم، على النحو التالي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

فقد أورد بعض المفسرين(٣) هذه الآية هنا على أنّ المراد بالفرقان في قوله: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ هو التوراة الذي أوتيه موسى، فالمعنى: أنه آتاه التوراة ولها صفتان كونها كتاباً وكونها فرقاناً تفرّق بين الحقّ والباطل.

فوجه بيان الآية بهذه الآية إذاً: أنّ الله تعالى أخبر في آية الأنبياء أنه آتى موسى الفرقان بدون ذكر الكتاب، وهو التوراة، وصفه بأنه فرقان بين الحق والباطل، فيحمل الفرقان هنا أيضاً على ذلك، ويكون المؤتى لموسى هو التوراة جمع الله هنا بين وصفه بالكتاب ووصفه بالفرقان(٤).

ويكون هذا من باب عطف الصفات بعضها على بعض، وإنّما عطف على نفسه تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات؛ لأن الكتاب" نعت للتوراة أقيم مقامها، استغناء به عن ذكر التوراة، ثم عطف عليه ب"الفرقان"، الذي هو صفة – أيضاً – للتوراة(٥).

---

(١) انظر: البحر المحيط (١/ ٢٥٩)، تيسير التفسير للقطان (١/ ٨٣).

(٢) سورة الأنبياء: ٤٨.

(٣) انظر: الكشاف (١/٩٢)، التفسير الكبير (٢/ ١٠٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٢٣)، روح المعاني (١/٣١٦). روح البيان (١/١٠٦)، أضواء البيان (١/٥١).

(٤) انظر: الكشف والبيان (١/ ١٣٤)، الكشاف (١/ ٩٢)، التفسير الكبير (٢/ ١٠٦).

(٥) انظر: جامع البيان (٢/٧١)، روح المعاني (١/ ٣١٦). أضواء البيان (٣/ ٥١).

قال ابن عطية: « كرر المعنى لاختلاف اللفظ، ولأنه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظة " كتاب " لا تعطي ذلك »[(١)].

وهذا قول مجاهد[(٢)]، و الفراء[(٣)]،واختاره الطبري وغيره[(٤)].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[(٥)].

واستشهد بهذه الآية بعض المفسرين[(٦)] على أنّ الفرقان: نعت للكتاب، والواو صلة والمعنى: آتينا موسى الكتاب الفرقان[(٧)]، أي الفارق بين الحرام والحلال والكفر والإيمان والوعد والوعيد وغير ذلك[(٨)].

ووجه الارتباط بين الآيتين: أنّ الله تعالى وصف الكتاب الذي آتاه لموسى في هذه الآية بكونه ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، وهو معنى الفرقان؛ فيحمل الفرقان هنا على ذلك، وأنّه نعت للكتاب المنّزل على موسى عليه السلام.

وهذا القول محكيٌّ عن ابن عباس[(٩)]، وأبي العالية[(١٠)].

---

(١) المحرر الوجيز (١/ ٧٩)

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٧٠) بسنده عن ابن أبي نجيح عنه، وبسنده عن ابن جريج عنه، وانظر: الكشف والبيان (١/ ١٣٤)، معالم التتريل (١/ ٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن له (١/ ٣١).

(٤) انظر: جامع البيان (٧١/٢).

(٥) سورة الأنعام: ١٥٤ .

(٦) انظر: الكشف والبيان (١/ ١٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/)، فتح القدير (١/ ١٣٥)

(٧) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٧٩)، البحر المحيط (١/ ٢٥٧)، النكت والعيون (١ / ٤٧).

(٨) أو يكون العطف من باب عطف الصّفة على الموصوف؛ فـ{ الكتاب } نفس التوراة؛ و{ الفرقان } صفته تفسير القرآن للعثيمين (١/ ١٨٣).

(٩) انظر: النكت والعيون (١ / ٤٧).

(١٠) فيما أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٣٦)، بسنده عنه وقد حكى هذا القول عن أبي العالية الماوردي في النكت والعيون (١ / ٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨١/١).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾[1].

فقد روى الإمام الطّبري بسنده عن ابن وهب، قال: سألت ابن زيد- عن قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ فقال: « أما"الفرقان" الذي قال الله جل وعز: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ فذلك يوم بدر، يوم فرّقَ الله بين الحق والباطل، والقضاء الذي فرّق به بين الحق والباطل، قال: فكذلك أعطى الله موسى الفرقان، فرّق الله بينهم، وسلمه وأنجاه، فرق بينهم بالنّصر، فكما جعل الله ذلك بين محمد ﷺ والمشركين، فكذلك جعله بين موسى وفرعون[2].

وقال مقاتل ؒ :« ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾، يعني النصر حين فرق بين الحق والباطل، ونصر موسى وأهلك فرعون، نظيرها في الأنفال قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يعني يوم النصر، ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، فنصر الله عزَّ وجلَّ المؤمنين وهزم المشركين[3].

وذكر الآية – عند حكاية هذا القول - جمع من المفسرين[4].

فوجه الارتباط بين الآيتين: ما فصّله ابن زيد ؒ في أثره، وهو أنّ المراد بالفرقان هنا النصر الذي جعله الله لموسى عليه السلام بإنجائه من فرعون وإهلاك فرعون وقومه، فذلك فرقان، كما جعل الله يوم بدر نصراً للنّبيّ ﷺ على المشركين وسمّاه يوم الفرقان.

---

(١) سورة الأنفال: ٤١.

(٢) جامع البيان (١/ ٧١).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٤٢).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٧٩/١)، الكشاف (٩٢/١)، التفسير الكبير (١٠٦/٢)، النكت والعيون (١/ ٤٧)، بحر العلوم (٥٥/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣٩٩/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٢٣/١)، فتح القدير (١٣٥/١).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1].

واستشهد بهذه الآية جمع من المفسرين[2] على القول بأنّ المراد بالفرقان الذي أوتيه موسى هو: انفراق البحر لموسى حتى صار فرقاً[3].

وهذ القول حكاه جمع من المفسّرين عن ابن زيد[4]، وحكاه الرازي عن قطرب[5] ونصره[6].

ووجه الارتباط بين الآيتين: أنّ الله تعالى ذكر في قوله: أنه فرق البحر لبني إسرائيل حتى جاوزا وأغرق فرعون وقومه، فيكون فرقان البحر هو هو الفرقان الذي أخبر الله هنا أنه آتاه لموسى عليه السلام؛ فبين تعالى أنه آتاهم الكتاب نعمة في الدين والفرقان الذي حصل به خلاصهم من الخصم نعمة عاجلة[7].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[8]

واستشهد بهذه الآية جمع من المفسرين[9] على حكاية قول بأنّ المراد بالفرقان: الفرج من الكرب؛ لأنهم كانوا مستعبدين للقبط.

---

(١) سورة البقرة : ٥٠.

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٩٢)، النكت والعيون (١/٤٧)، المحرر الوجيز (١/ ٧٩)، بحر العلوم (١/ ٥٥)، فتح القدير (١/ ١٣٥)

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣١)، زاد المسير (١/ ٨١).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٧٩) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٩٩)، فتح القدير (١/ ١٣٥)، وحكاه الفراء عن بعض المفسرين. انظر: معاني القرآن (١/ ٣١).

(٥) هو: أبو علي، محمد بن المستنير، النحوي. لازم سيبويه، وكان يدلج إليه فإذا خرج رآه على بابه فقال: ما أنت إلا قطرب ليل؛ فلقب به. توفي سنة (٢٠٦هـ). انظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، (صـ٨٢) للقاضي أبي المحاسن التنوخي المعرّي، ط ١، إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو . بغية الوعاة، للسيوطي (١/٢٤٢).

(٦) انظر: التفسير الكبير (٢/ ١٠٦).

(٧) انظر: المصدر السابق.

(٨) سورة الانفال: ٢٩.

(٩) البحر المحيط (١/ ٢٥٧)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٩٩)، فتح القدير (١/ ١٣٥)

وكما هو ظاهر؛ فإنّ إيراد هذه الآيات هنا – غير الآية الأولى – ليس من بيان القرآن بالقرآن، وإنما هو من باب الاستشهاد والاستئناس بها؛ لأنّ أكثر هذه الآيات لم ترد في قصة موسى عليه السلام.

أما تفسير الآية بالآية الأولى ظاهر وواضح، كما سبق بيانه.

❖ الأقوال في معنى الفرقان هنا غير ما تقدّم:

وقد ورد عن المفسّرين في المراد بالفرقان الذي أخبر الله أنّه آتاه لموسى – غير ما تقدّم في تفسير القرآن بالقرآن - أقوال كثيرة، أوصلها أبو حيّان في البحر إلى اثني عشرة قولاً، وترجع هذه الأقوال والتي قبلها- كما يرى الإمام الرازي - إلى ثلاث احتمالات:

الاحتمال الأوّل: أن يكون الفرقان هو التوراة، وهذا ما تقدّم في القول الأوّل.

الاحتمال الثاني: أن يكون شيئاً داخلاً في التّوراة؛ فيكون المراد من الفرقان ما في التوراة من بيان أصول الدين وفروعه[1]، ويدخل في هذا الاحتمال من أقوال المفسرين ما يلي:

١ - أنّ الفرقانَ: الحَلالُ والحرامُ الذِي فى التَّوراة[2].

٢ - أنّه: الشرع الفارق بين الحلال والحرام[3].

٣ - أنّه: المخرج من الشبهات[4].

٤ - أنه: الفرق بين الحق والباطل[5].

٥ - أنّه: البرهان الفارق بين الكفر والإيمان[6].

---

(١) التفسير الكبير (٢/ ١٠٦).

(٢) معانى القرآن (١/ ٣١).

(٣) الكشاف (١/٩٢)، بحر العلوم (١/ ٥٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٢٣)، البحر المحيط(١/٢٥٧).

(٤) بحر العلوم (١/ ٥٥).

(٥) البحر المحيط (١/ ٢٥٧).

(٦) البحر المحيط (١/ ٢٥٧).

الاحتمال الثالث: أن يكون شيئاً خارجاً عن التوراة[1].

ويدخل في هذا الاحتمال أقوال كثيرة منها:

١- أنّ المراد بالفرقان النصر الذي فرّق الله به بين موسى وفرعون بالنجاة والغرق، وقد تقدّم.

٢- أنّ المراد بالفرقان: سائر الآيات والمعجزات التي أوتي موسى عليه السلام، كاليد والعصا وغيره؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل[2]، وهذا القول هو الذي رجّحه العلاّمة الشوكاني، حيث قال: « وهذا أولى وأرجح ويكون العطف على بابه كأنه قال: آتينا موسى التوراة والآيات التي أرسلناه بها معجزة له »[3].

٣- أنّ المراد بالفرقان: القرآن، وهذا القول له معنيان:

الأوّل: أنّ المعنى: ولقد آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان. قاله الفراء[4]، وقطرب[5]، وقد ردّ جمع من أهل التّفسير هذا القول؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾، ولعدم الدليل على الحذف مع عدم الحاجة إليه[6].

الثاني: أنّ المعنى: أن الله آتى موسى ذكر نزول القرآن على محمد ﷺ حتى آمن به، وحكي عن ابن الأنباري[7]، قال الألوسي: « وهو بعيد »[8].

(١) التفسير الكبير (٢/ ١٠٦)

(٢) المحرر الوجيز (١ / ٧٩)، الكشاف (١/ ٩٢)، التفسير الكبير (٢/ ١٠٦)، البحر المحيط (١/ ٢٥٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٢٣)، روح المعاني (١/ ٣١٦).

(٣) فتح القدير (١/ ١٣٥)

(٤) انظر: معاني القرآن له (١/ ٣١)، قال: كأنّه خاطبهم فقال: قد آتيْناكم علمَ موسى ومحمد عليهما السلام.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي وابن عطية، انظر: الكشف والبيان (١/ ١٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٩٩)

(٦) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٧٩)، التفسير الكبير (٢/ ١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (١ / ٣٩٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٣)، فتح القدير (١/ ١٣٥).

(٧) البحر المحيط (١/ ٢٥٨)، روح المعاني (١/ ٣١٦).

(٨) انظر: روح المعاني (١/ ٣١٦).

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه – والعلم عند الله تعالى – هو القول الأول، أن يكون المراد بالفرقان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ التوراة، وهي صفة لها، وجمع بينهما تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذات – كما سبق –، وتؤيده ذلك آية سورة الأنبياء التي أخبر الله فيها أنه آتى موسى وهارون الفرقان.

فالنتيجة:

صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إذ بيّنت الثانية أنّ الفرقان المذكور في الأولى هو نفس الكتاب الذي أوتيه موسى؛ لأنه اقتصر عليه، وإنما عطف عليه لما ذكر سابقاً، والعلم عند الله تعالى.

أما الآيات الأخرى المذكورة في تفسير الفرقان، فإنما أوردها أصحابها للاستئناس والاستشها بها على تلك الأقوال، وليست مفسرة للآية؛ لأنّ أكثرها واردة في غير ما وردت فيه الآية المفسَّرة، والله تعالى أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ البقرة: ٦١

يذكّر الله بني إسرائيل ببعض أفعال أسلافهم، وهو بطرهم بنعم الله عليهم وضجرهم منها، حين منّ الله عليهم بالمنّ والسلوى، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو ربّه ليخرج لهم مما تنبت الأرض من الخضر والبقول والحبوب؛ فتعجّب موسى عليه السلام من ذلك وأنكره عليهم، قائلاً: أتفضّلون وتستبدلون هذه الأصناف التي هي أخس وأردأ، بالذي هو خير منه وأفضل[1].

قال بعض المفسّرون: فدعا لهم موسى ربه أن يعطيهم ما سألوه، فاستجاب الله له دعاءه، فأعطاهم ما طلبوا، وقال الله لهم: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[2].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الإمام الطبري[3] رحمه الله بسنده عن عبد الرحمن بن زيد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾، قال: مصراً من الأمصار، فقيل: أي مصر؟ قال: **الأرض المقدّسة التي كتب الله لهم**، وقرأ قول الله جلّ ثناؤه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[4].

ووجه بيان الآية بهذه الآية: أنّ الله تعالى أبهم في قوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾، المصر الذي أُمر بنو إسرائيل بالهبوط فيه، لما سألوه نبيّهم ما سألوا، وبيّنَ في الآية الثانية أنّ الله أمر بني إسرائيل – على لسان موسى عليه السلام – بدخول أرض الشّام التي جعلها مساكن لهم بعد خروجهم من مصر، وكتبها لهم، وكان الله حرّمهم دخولها وابتلاهم بالتيه بامتناعهم على

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ١٣٢)، تيسير التفسير (١/ ٨٨)، أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٦٨).

(٢) جامع البيان (٢/ ١٣٢)، المحرر الوجيز (١/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٢٩).

(٣) في جامع البيان (٢/ ١٣٣).

(٤) سورة المائدة: ٢١.

موسى في حرب الجبابرة، حتى هلكوا، ثمّ أهبط ذريتهم الشام، فأسكنهم الأرض المقدسة، وجعل هلاك الجبابرة على أيديهم مع يوشع بن نون - بعد وفاة موسى عليه السلام، فدلّ ذلك على أنّ الأرض المقدّسة هي التي أهبطوا إليها، و لم يخبرنا الله عنهم أنه ردهم إلى مصر بعد إخراجه إياهم منها، كما لم يخبرنا أنهم سكنوا بلداً آخر غير الأرض المقدسة[1].

وهذا على أنّ المراد بقوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾؛ الأمر بالهبوط في أي مصر؛ إذ أجيبوا إلى طلبهم، وهبطوا الأرض المقدسة.

وهذا خلاف الظاهر؛ فإنّ الأمر في قوله: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ ظاهره أنه **من باب التوبيخ والتجهيل لهم**[2]، فموسى عليه السلام أنكر عليهم هذا، **ولم يسأل ربه إجابة طلبهم**، و لم يجابوا إليه، لَمَّا كان من باب الأشر والبطر ولا ضرورة إليه[3].

وهذا الذي ذهب إليه جمع من المفسرين: كالقرطبي، والحافظ ابن كثير، وابن عاشور، والعثيمين، وغيرهم.

وسواء في هذا ما إذا كان المراد بالمصر أيّ مصر من الأمصار، أو مصر البلد المعروف الذي أخرجوا منها.

فعلى الأول: يكون موسى عليه السلام بيّن لهم أنّ طلبهم ليس بصعب يحتاج إلى دعاء الله؛ لأنّ الله تعالى أوجده في كلّ مصر، ولا يليق به أن يسأل الله سبحانه وتعالى لهم ما هو أدنى وموجود في كلّ مصر[4].

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: « وأما قول من قال من المفسِّرين: "إنه دعا، وقيل له: قل لهم: يهبطون مصراً فإن لهم ما سألوا" فهذا ليس بصحيح؛ لأنه كيف ينكر عليهم أن

---

(١) جامع البيان (٢/ ١٣٣) (بتصرف).

(٢) أو يكون للتعجير كقوله تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا﴾ سورة الاسراء: ٥٠ ، لأنهم كانوا في التيه وهذا عقوبة لهم، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٢٩)، فتح القدير (١/ ١٤٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٢)، وانظر: التحرير والتنوير (١/ ٥٢٤).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٢)، التحرير والتنوير (١/ ٥٢٤)، تفسير العثيمين (١/ ٢١٢).

يطلبوا ذلك منه، ثم هو يذهب، ويدعو الله به! فالصواب أنّ موسى وبّخهم على ما سألوا، وأنكر عليهم، وقال لهم: إن هذا الأمر الذي طلبتم موجود في كل مصر »[1].

وعلى الثاني: يكون المعنى: ارجعوا إلى مصر التي خرجتم منها، والأمر لمجرد التوبيخ إذ لا يمكنهم الرجوع إلى مصر، ويكون موسى قصد من ذلك التهديد على تذكُّرهم أيام ذلهم وعنائهم[2].

وعلى هذا فلا يصحّ تعيين المصر الذي أمر بنو إسرائيل بالهبوط فيه بالأرض المقدّسة التي كتبها الله لهم، وتفسيره بها؛ لأنّ الأمر بالهبوط كان من باب التوبيخ والإنكار، و لم يجابوا له.

❖ أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾.

ورد عن المفسّرين في المراد بقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ قولان:

١- أنه أراد به أيَّ مِصْرٍ من الأمصار، لا مصراً بعينه؛ لأنَّ ما سألوا من البقل والقثّاء والفوم، لا يكون إلا في الأمصار، وهذا قول ابن مسعود[3]، وابن عباس[4]، قتادة[5]، والسدي[6]، وابن جريج[7]، ومقاتل[8]، وأبو عبيدة[9]، ورجحه جماعة من المفسرين[10]، واقتصر عليه كثيرون[11].

---

(١) تفسير العثيمين (٢١٢/١)

(٢) التحرير والتنوير (٥٢٤/١) (بتصرف يسير).

(٣) نسبه إليه ابن الجوزي في الزاد (١/ ٨٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم، (١/) من طريق أبي سعيد البقال سعيد بن المرزبان، عن عكرمة، عنه، وعزاه السيوطي في الدر (١/ ١٧٨) إليهما وإلى سفيان بن عيينة.

(٥) فيما رواه عنه الطبري (٢/ ١٣٣) بإسناده الحسن من طريق يزيد بن زريع عن سعيد عنه، وبسنده من طريق أبي جعفر عنه، انظر: التفسير الصحيح المتبور (١/ ١٦٨)، وقد عزاه السيوطي في الدر (١/ ١٧٨) إلى عبد بن حميد.

(٦) فيما رواه عنه الطبري (٢/ ١٣٣) بسنده عن أسباط عنه.

(٧) فيما رواه عنه الطبري (٢/ ١٣٣) بسنده عنه من طريق الحسين عن حجاج.

(٨) تفسير مقاتل (١/ ٤٥).

(٩) مجاز القرآن (١/ ٤٢) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي – القاهرة. وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمي مولاهم، البصري اللغوي الحافظ، كا من أعلم الناس، له تصانيف كثيرة في اللغة والأدب. مات سنة (٢١٠هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣١٧/٢٨)، تذكرة الحفاظ (٢٧٢/١).

(١٠) كالخازن في تفسيره (١/ ٤٨)، والحافظ ابن كثير، والشيخ العثيمين في تفسيره (٢١٢/١).

(١١) انظر: تفسير الجلالين (صـ ١٢)، محاسن التأويل (١/ ٣٤٧).

٣- أنه أراد مصر التي كان فيها فرعون، وخرجوا منه، وهذا معنى قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب والحسن وغيرهم - كما سيأتي -، وهو قول أبي العالية[١]، والربيع[٢]، والضحاك[٣]، والأعمش[٤]، والإمام مالك[٥]، واختاره الفراء[٦]، وابن جزي[٧]، والراغب[٨].

واستدلّ أصحاب كل قول بآيات من القرآن[٩]:

فاستدلّ أصحاب القول الأول بما اقتضاه ظاهر القرآن من أمرهم دخول القرية في قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[١٠] فهو إيجاب لدخول تلك الأرض، وذلك يقتضي المنع من دخول أرض أخرى، وبما تظاهرت به الروايات أنهم سكنوا الشام بعد التيه.

كما استدلّ أصحاب القول الثاني بما في القرآن من أن الله أورث بني إسرائيل ديار آل فرعون وآثارهم، كقوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ

---

(١) فيما رواه الطبري (١٣٣/٢) من طريق أبي جعفر عن الربيع عنه، وعزاه السيوطي في الدر (١٧٨/١) إلى ابن جرير.

(٢) فيما رواه الطبري (٢/ ١٣٣) من طريق عمار بن الحسن ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه عنه.

(٣) انظر: الكشف والبيان (١/ ١٤٥)زاد المسير (١/ ٨٩).

والضحاك هو أبو محمد، الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وله باع في التفسير والقصص، توفي سنة (١٠٢هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤-٦٠٠)، تقريب التهذيب (صـ٢٨٠).

(٤) انظر: الكشف والبيان (١/ ١٤٥) زاد المسير (١/ ٨٩)، الدر المنثور (١/ ١٧٨)، وفتح القدير (١/ ١٤٣).

والأعمش هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبومحمد الكوفي، الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع ولد سنة (٦١هـ) وتوفي سنة (١٤٧هـ)، انظر: التاريخ الكبير (٣٧/٤)، غاية النهاية في طبقات القراء (٨٣/١)، لشمس الدين أبي الخير محمد ابن الجزري، ت: ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٢٩)، البحر المحيط (١/ ٣٠١).

(٦) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧).

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٤).

(٨) المفردات في غريب القرآن (١/ ٤٦٩).

(٩) انظر هذه الحجج وردود بعضهم على البعض في: جامع البيان (١٣٤/٢-١٣٥)، المحرر الوجيز (١٣٤/١) الجامع لأحكام القرآن (٤٦٠/١).

(١٠) سورة المائدة: ٢١.

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2]، ففي ذلك دلالة على أهم رجعوا إلى مصر؛ إذ لم يكونوا يرثوها ثم لا ينتفعون بها، ولا يكونون منتفعين بها إلا بمصير بعضهم إليها[3].

كما استدلّوا، بقراءة بعض السلف من الصحابة والتابعين[4] { مصر} بغير تنوين، قالوا: ففي ذلك الدلالة البينة أنها "مصر" بعينها.

ولا دلالة على الصواب من هذين القولين – كما يرى الإمام الطبري – من الكتاب أو السنة، فجائز أن يراد بالمصر الشام، أو مصر، أو غيرهما[5]، ولا يصح الاستدلال بالقراءة بغير التنوين لأنها شاذة غير متواترة، كما لا يصح الاستدلال بالقراءة بالتنوين؛ لاحتمال كون التنوين من باب الاتباع لكتابة المصحف كما في قوله:[6]، أو يراد به العلم وإنما صرف لخفته وسكون وسطه[7].

ويسهل الأمر في ذلك كله إذا كان المراد من قوله موسى لهم ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾: التوبيخ والتجهيل لهم، ولم يسأل ربه إجابة طلبهم لأنهم كانوا متعنتين بطرين، كما هو قول جماعة من المفسرين.

فالنتيجة: عدم صحّة تفسير قوله تعالى:﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ بقوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾؛ ليعيّن المصر المبهم بالأرض المقدّسة لما تقدّم آنفاً، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الشعراء: ٥٧ – ٥٩

(٢) سورة الدخان: ٢٥ – ٢٨

(٣) جامع البيان (١/ ١٣٥)، المحرر الوجيز (١/ ٨٨)، التفسير الكبير (١٣١/١)، البحر المحيط (١/ ٣٠١).

(٤) رويت هذه القراءة عن أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وأنّ ذلك في مصحفهما، بل وفي بعض المصاحف العثمانية، كما حكي عن الحسن البصري، وأبان بن تغلب، وطلحة بن مصرف، انظر: المحرر الوجيز (١/ ٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٢٩)، التفسير الكبير (١٣١/٢)، البحر المحيط (١/ ٣٠١).

(٥) جامع البيان (١٣٥/٢).

(٦) كما ذكر ذلك الطبري في جامع البيان (١٣٣/٢).

(٧) كما قال بذلك جماعة من العلماء، انظر: معاني القرآن للأخفش (٧٦/١)، الكشاف (٩٦/١)، المحرر الوجيز (١٣٢/١).

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٦٢

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « لما بيّن الله تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره، وتعدى في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم، وما أحلّ بهم من النكال، نبه تعالى على أن مَنْ أحسن من الأمم السالفة وأطاع، فإنّ له جزاء الحسنى، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة؛ كُلّ من اتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هُمْ يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه »(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بقوله تعالى بعده: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

ووجه البيان: أنّ قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بدل من الموصول في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وما عطف عليه، أو جملة ابتدائية خبره: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ والجملة (من المبتدأ والخبر) خبر الموصول وما عطف عليه(٢).

وعلى التقديرين فقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بيان بأنّ الموعود بالثواب في الجملة الأولى إنما هم من حقق الإيمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات(٣).

ويشكل على هذا ذكر الذين آمنوا في عداد المذكورين ثم إجراء قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ عليهم مع أنهم مؤمنون فذكرهم تحصيل للحاصل(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٤).

(٢) والتقدير على هذا: من آمن منهم بالله، وحكى جمع من المفسرين الوجهين المذكورين انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٣٧)، الجامع لأحكام القرآن (١/٤٧١)، فتح القدير (١/١٤٧).

(٣) انظر: ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم (صـ ٢٢).

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٥٣٩) (بتصرف)، وانظر: التفسير الكبير (٢/ ١٣٥).

والجواب على ذلك أنّ المفسرين اختلفوا في ذلك على أقوال عديدة أهمها:

١- أنّ المراد بالذين آمنوا في أول الآية: **المؤمنون حقاً بمحمّد** ﷺ، وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، بدل من الجميع، ومعنى إيمان المؤمن في هذا الموضع، **ثباته على إيمانه وتركه تبديله**، وأما إيمان اليهود والنّصارى والصّابئين، فالتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به، وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري[1].

٢- أنّ المراد بالمؤمنين في أول الآية المنافقون في أمّة محمّدٍ ﷺ، بدلالة جعلهم مقترنين بمن بعدهم، وكأنه قال: إن الذين آمنوا في ظاهر أمرهم، وقرنهم باليهود والنصارى والصابئين، ثم بيّن حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم، فمعنى قوله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في ملة الإسلام دخولاً أصيلاً[2]، فالإيمان في المؤمنين المذكورين: من حقق وأخلص، وفي سائر الفرق المذكورة: من دخل في الإيمان[3].

٣- أنّ المراد بالذين آمنوا في بداية الآية: المؤمنون من هذه الأمّة، والمراد بقوله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أهل الكتاب الذين أدركوا رسول الله ﷺ، فآمنوا به وصدقوه، فهو بدل عائد لخصوص الذين هادوا والنّصارى والصّابئين دون المؤمنين بقرينة المقام[4]، فتأويل الآية على هذا: إن الذين آمنوا من هذه الأمّة، والذين هادوا، والنصارى، والصّابئين – من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر، وهذا معنى قول مجاهد[5]، والسّدي[6].

ولعلّ الأقرب هو: القول الأول – الذي رجحه الإمام الطبري؛ لأنّ الله يخصص – بالأجر على العمل الصالح مع الإيمان – بعض خلقه دون بعض منهم، إذ الخبر بقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، عن جميع ما ذكر في أول الآية[7].

---

(١) جامع البيان (٢/ ١٤٨).

(٢) الكشاف (١/١٧٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٣٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٠٨).

(٣) المحرر الوجيز (١/٩٠)، وانظر: زاد المسير (١/٩١)، البحر المحيط (١/ ٣١٠)، فتح القدير (١/١٤٧).

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٥٣٩).

(٥) فيما أخرج الطبري (٢/ ١٥٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٦٥) بسندهما عنه من طريق ابن أبي نجيح.

(٦) فيما أخرج الطبري (٢/ ١٥٠) وابن أبي حاتم (١/ ١٦٦).

(٧) جامع البيان (٢/١٥٦).

المطلب الثاني: نسخ الآية بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1]

أخرج الطبري وابن أبي حاتم[2] بسندهما عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ إلى قوله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فأنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

وحكى نسخ الآية بهذه الآية جمع من المصنفين في الناسخ والمنسوخ[3].

ووجه بيان الآية بهذه الآية: أن ابن عباس رضي الله عنهما يرى أنّ هذه الآية نزلت في أوّل الإسلام، وقرّر الله بها أنّ من آمن بمحمَّد ﷺ، ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره، ثم نَسَخَ ما قرَّرَ من ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾، وردت الشرائع كلها إلى شريعة محمد ﷺ[4].

وقد ردّ جمع من أهل العلم هذا القول بالنسخ لأنّ الآية خبر من الله بما يفعل بعباده الذين كانوا على أديانهم قبل مبعث النبي ﷺ وهذا لا ينسخ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً من الأولين والآخرين[5].

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) جامع البيان (٢/ ١٤٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٣٩٣) إليهما وإلى أبي داود في الناسخ والمنسوخ، وأخرجه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (١/٢٥٨) وعزاه إلى الطبري.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل لهبة الله بن سلامة المقري (صـ٣٢) ط١، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي ــ بيروت، ت: زهير الشاويش ومحمد كنعان، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (صـ١٩) لابن حزم، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الباز - مكة المكرمة ت: د. عبدالغفار البنداري الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (صـ ١٠٧) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: د/ أحمد حسن فرحات، ط١، دار المنارة، جدة ، ١٤٠٦هـ، نواسخ القرآن (١/١١٥) لابن الجوزي، ت: د. محمد أشرف علي الملباري، ط / الجامعة الإسلامية - الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م . قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (ص٥٢)، تأليف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، دار القرآن الكريم - الكويت، ١٤٠٠هـ، ت: سامي عطا حسن.

(٤) المحرر الوجيز (١/٩٠)، وانظر: جامع البيان (٢/ ١٤٨)، البحر المحيط (١/ ٣١٠)،

(٥) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (صـ ١٠٧) (بتصرف)، وانظر: نواسخ القرآن (١/١١٥).

إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ النّسخ هنا ليس على المصطلح المشهور[1]، وإنّما يراد به التخصيص[2]، فإنّ هذه الآية بأنّ من آمن بالله من الأمم السابقة واتبع الرسول في زمانه فهو على هدىً وسبيل نجاة، وأخبرت آية آل عمران أنه لا يقبل لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه الله بما بعثه به[3].

والتخصيص من أوجه بيان القرآن بالقرآن؛ إذ توضح آية آل عمران هذه أنّ عموم قوله تعالى: من آمن من اليهود والنصارى والصابئين فلهم الأجر والأمن مخصَّصٌ بكون ذلك قبل بعثة النبيّ ﷺ، فأما بعد بعثته عليه السلام فقد نسخت شريعته الشرائع ونسخ دينه الأديان، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام.

وبهذا لا ينافي قول ابن عباس القول الراجح في الآية، كما أشار لذلك ابن كثير[4].

فالنتيجة:

صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بقوله تعالى بعده: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ لكونه بدل عنه وبيان بأنّ الموعودين بالثواب المذكور هم من حقَّقَ الإيمان بالله وعمل الصالحات.

كما يصحّ تخصيص الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ لكون الثانية مخصِّصةً لعموم الأولى؛ فيكون المراد بوعد من آمن باليهود والنصارى والصابئين بالأجر والأمن قبل مبعث النبي ﷺ، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) بل يمكن القول أنه لم يرد إلا التخصيص، ففي الأثر - كما هو اضح - لم يصرح بالنسخ، بل فهم ذلك الطبري وغيره ممن نقلوا الأثر، ولذا كان ابن الجوزي أدق حين قال في نواسخ القرآن (١/١١٥) في التعقيب على هذا الأثر: « كأنه أشار بهذا إلى النسخ » ثم ردّ القول بالنسخ. انظر: كلام محقق العجاب (١/٢٥٨).

(٢) ممن ذكر أنّ النسخ هنا للتخصيص العز بن عبد السلام في تفسيره اختصار النكت للماوردي (١/١٣١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٢٨٥)، ولعلّ ابن حجر قصد هذا الذي ذكره ابن كثير بقوله: « وقال غيره (أي الطبري) معنى النسخ إنما هو في حق من أدرك محمداً لا من كان قبل، وهو متجه، وبالله التوفيق » في العجاب (١/٢٥٨).

(٤) قال ابن كثير بعد حكاية الأقوال: « وهذا لا ينافي ما روى عَليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس ».

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ البقرة: ٦٣

يُذَكِّرُ المولى جلَّ ثناؤه بني إسرائيل بنعمة أخرى من أمثال النِّعم الواردة في الآيات السَّابقة؛ لأن أخذ الميثاق عليهم ليعملوا بما في التوراة من الأمور العائد عليهم نفعها[١]، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل على رؤوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه، ويأخذوه بقوة وحزم وهمة وامتثال[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بآيات الكتاب العزيز ثلاث مطالب:

المطلب الأول: المراد بالميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾

فقد فسّر بعض المفسّرين الميثاق المبهم الذي أخذه الله على بني إسرائيل، والمشار إليه في هذه الآية بآيات من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[٣].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١١٢) (بتصرف يسير)، وانظر: البحر المحيط (١ / ٣١٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٧)

(٣) سورة البقرة: ٨٣ - ٨٥

قال الإمام الطبري رحمه الله: « ويعني بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ ﴾ الميثاق الذي أخبر جلّ ثناؤه أنه أخذ منهم في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ والآيات الذي ذكر معها »[1].

ثمّ أخرج بسنده عن ابن زيد رحمه الله وفيه: « قال (أي موسى): خذوا كتاب الله، قالوا: لا، فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور، قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم، قال: فأخذوه بالميثاق، **وقرأ قول الله:** ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ **حتى بلغ:** ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾، قال: ولو كانوا أخذوه أول مرة، لأخذوه بغير ميثاق »[2].

وقال الشيخ محمد أبو زهرة[3]: « ولقد ذكر سبحانه وتعالى مضمون الميثاق إجمالاً، ... ولقد ذكر بعض ما فى هذا الميثاق بالتفصيل فقال تعالى: ... وذكر الآيات المتقدمة، ثم قال: « هذا هو بعض التفصيل لهذا الميثاق المحكم الذى واثقه الله عليهم مؤكداً .. . »[4].

ووجه تفسير الآية بهذه الآيات: واضح، وهو أنّ الله لَمَّا أبهم الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل في هذه الآية، وأجمل مضمونه، أوضحها – على هذا القول – في تلك الآيات، فتكون المواثيق المأخوذة عليهم هي:

عبادة الله وحده لا شريك له، الإحسان بالوالدين، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، وقول الحسن للناس، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، النهي عن قتل بعضهم بعضاً، وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم.

وصحّة تفسير الميثاق بهذه المواثيق مرتبط بمعرفة الوقت والظرف الذي وقع فيه أخذ هذه المواثيق عليهم؛ فإنّ الميثاق الذي أُخِذَ عليهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ

(١) جامع البيان (٢/ ١٥٦).

(٢) المصدر السابق بنفس الصفحة.

(٣) هو: محمد بن أحمد أبو زهرة عالم مصري، من أكبر علماء الشريعة في عصره، له مؤلفات عديدة، توفي سنة (١٣٩٤هـ). مترجم له في الأعلام (٦/ ٢٥).

(٤) زهرة التفاسير (١/ ٢٥٨) الإمام الجليل / محمد أبو زهرة، -دار الفكر العربي.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ ظاهره أنه كان عند امتناعهم عن أخذ ما آتاهم الله، وهو التوراة، والعمل بما فيه من التكاليف الشاقّة، فرفع الله عليهم الطور حتّى قبلوا، وأخذوه بالميثاق[١].

فإذا ثبت بدليل صحيح أنّ المواثيق التي أخذ عليهم، وأشير إليها في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ والآيات بعدها، أخذت عليهم في ذلك الوقت والظرف، كانت مفصّلةً لما أُجْملَ في الآية الأولى.

وقد ورد في تفسير الميثاق في الآية المفسَّرة عن أهل التفسير أقوال أخرى غير ما تقدّم من أهما ما يلي:

١- أنه: ما أودع الله في العقول من الدلائل على وجوده وقدرته وحكمته وصدق أنبيائه ورسله[٢].

٢- أنّه ما أخذ عليهم من العهد والميثاق للعمل بما في التوراة، فلما جاء بها موسى قرأوا ما فيها من التثقيل امتنعوا من أخذها فرفع الطور عليهم[٣]، وعلى هذا القول اقتصر جمع من المفسّرين[٤].

٣- أنه الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم، وهذا محكيّ والذي بعده عن ابن عباس[٥].

٤- أنه ما ألزم الله الناس به من متابعة الأنبياء[٦]، وضعّف الرازي هذا القول والذي قبله[٧].

(١) وهذا هو المرويّ عن عن ابن زيد، وهو الذي ذكره جمهور المفسّرين في سبب رفع الطور عليهم.

(٢) التفسير الكبير (٢ / ١٣٨)، البحر المحيط (١/ ٣١٣).

(٣) زاد المسير (١/٩٣)، البحر المحيط (١/ ٣١٣).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٣٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٠٩)، تفسير الجلالين (صـ١٣)، التحرير والتنوير (١/٣١١).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢/١٣٨)، البحر المحيط (١/٣١٣)، بحر العلوم (١/٦٤).

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) انظر: التفسير الكبير (٢/١٣٨)، اللباب لابن عادل (١/ ٣٥٤).

٥- أنّه ما أخذه الله تعالى على الرّسل وتابعيهم من الإيمان بمحمد ﷺ[١].

٦- القول بعموم الميثاق، وهذا ما أشار إليه العلاّمة الشّوكاني رحمه الله بقوله: «والمراد أنه أخذ سبحانه عليهم الميثاق بأن يعملوا بما شرعه لهم في التوراة وبما هو أعم من ذلك أو أخص»[٢].

الترجيح:

والذي يظهر – والله تعالى أعلم بالصواب – أن يكون الميثاق الذي أخذ عليهم هو أخذ التوراة والعمل به، لموافقة ذلك لما ذكر في سبب رفع الطور عليهم، ويشمل ذلك جميع الأقوال المذكورة؛ لأنّ ما ذكر فيها مما أمر به التوراة وجاء فيها.

النتيجة:

وبذلك يصحّ تفسير الميثاق الذي أخذ عليهم في قوله﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾بما ذكر من العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم في الآيات المذكورة، فهي – وإن لم يذكر الظرف والوقت التي أخذت عليهم فيه – إلاّ أنها مما جاءت بها التوراة وحثّ عليها بني إسرائيل، والعلم عند الله تعالى.

(١) انظر: زاد المسير (١/ ٩٣)، البحر المحيط (١/ ٣١٣).

(٢) فتح القدير (١/ ١٤٩).

المطلب الثاني: تفسير الطور في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ البقرة: ٦٣

فقد فسّر بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: « **الطور هو الجبل، كما فسّره بآية الأعراف**، ونصّ على ذلك ابن عباس، ومجاهد، وعطاء وعكرمة والحسن والضّحاك والربيع بن أنس، وغير واحد، وهذا ظاهر »[(٢)].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾، أوضحه بقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ »[(٣)].

ووجه بيان هذه الآية للآية: ظاهر – كما قال ابن كثير –، فهذا من بيان المفردات بعضها لبعض؛ فإنّ لفظة الطّور من الألفاظ الغريبة، ولما جاءت لفظة الجبل في آية الأعراف، وهما في قصّة واحدة، فسّرت الأولى بالثانية، وحملت عليها.

وهذا على القول بأنّ الطّور في كلام العرب الجبل مطلقاً.

وذلك قول جماعة من العلماء من أهل التفسير واللغة.

فممن ذهب لذلك من المفسرين: مجاهد[(٤)]، وعكرمة[(٥)]، وقتادة[(٦)]، ومقاتل[(٧)] ومال إليه الطبري[(٨)].

---

(١) سورة الأعراف: ١٧١

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٧).

(٣) أضواء البيان (٣/ ٥٢)، واستشهد بالآية هنا أيضاً ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص ٢١).

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ١٥٧) من طريق ابن أبي نجيح، وعزاه السيوطي في الدر (١/١٨٤) إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. إلاّ أنّ مجاهداً يرى أنه لغة سريانية.

(٥) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ١٥٧) بإسناده عن وكيع عن أبيه عن النضر عن عكرمة.

(٦) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ١٥٧) من طريق سعيد، وبإسناد آخر من طريق معمر، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٨٤) إليه وعبد بن حميد.

(٧) في تفسيره (١/ ٥٤).

(٨) جامع البيان (٢/ ١٥٧).

ومن أهل اللغة: الأزهري(١)، والجوهري(٢)،وابن منظور(٣)، والزبيدي(٤).

القول الآخر في معنى الطور:

وقد ذهب جماعة من أهل التفسير ومن أهل اللغة إلى أنّ الطور علم موضوع على جبل معروف، هو جبل سيناء، وعلى هذا فإنّ آية البقرة هي التي تصلح لأن تكون مفسِّرةً لآية الأعراف؛ إذ تكون مخصّصة لعموم لفظة الجبل فيها، وأنّ المراد بالجبل جبلٌ مخصوص هو جبل سيناء.

ولعلّ هذا ما يشير إليه القرطبي بقوله عند تفسير آية البقرة: « هذه الآية تفسِّر معنى قوله تعالى:﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ »(٥).

وممن ذهب إلى أنّ الطور علم على الجبل، الذي كلّم الله عليه موسى، وأنزلت عليه التوراة دون غيره، ابن عباس(٦)، وسعيد بن جبير(٧)، قال الرازي: « وهو

(١) في: تهذيب اللغة (٤ / ٤١٨). **والأزهري** هو: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، أبو منصور، أديب لغوي، له تصانيف كثيرة، كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة، ثبتاً، ديناً توفي سنة (٣٧٠هـ)، انظر: معجم الأدباء (٢٣٢٣/٥) لياقوت الحموي الرومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، تحقيق: د. إحسان عباس. بغية الوعاة للسيوطي (١٩/١).

(٢) في كتابه: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (١/ ٤٣٢)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩٩هـ.

والجوهري هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام في علم لغة العرب ، وخطُّه، ثم هو من فرسان الكلام وممن آتاه الله قوة وبصيرة وحسن سريرة وسيرة . حاول (الطيران) ومات في سبيله سنة (٣٩٨هـ). انظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (٤٦٨/٤) تأليف: أبي منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي، ط ١. سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ت: الدكتور مفيد محمد قمحية، الأعلام (٣١٣/١).

(٣) في: لسان العرب (٤/ ٥٠٧). وابن منظور هو: الإمام، اللغوي، الحجة: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي، المصري، توفي سنة (٧١١هـ). انظر: الدرر الكامنة (١٥/٦)،الأعلام (١٠٨/٧).

(٤) في: تاج العروس (١/ ٣١١٣). والزبيدي هو: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى، أبو الفيض، لغوي نحوي محدث أصولي أديب مؤرخ ، مشارك في عدة علوم، أصله من العراق، ومولده في الهند، ومنشأه في زبيد باليمن، وتوفي بمصر سنة (١٢٠٥هـ)، انظر: فهرس الفهارس والأثبات (٥٢٦/١) معجم المؤلفين (٦٨١/٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٣٦).

(٦) كما أخرجه عنه الطبري (١٥٧/٢) من طريق ابن جريج، وانظر: النكت والعيون (٥٦/١)، والدر المنثور (١٨٤/١).

(٧) كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩/١)، ثم قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، وأبي صخر نحوُ ذلك.

الأقرب؛ لأنّ لام التعريف فيه تقتضي حمله على جبل معهود عرف كونه مسمًّى بهذا الاسم»[١]، ومال إليه إبن عاشور[٢]، وعليه اقتصر الشيخ العثيمين[٣].

وذهب إليه من أهل اللغة الصَّاحب بن عباد[٤]، والراغب الأصفهاني[٥].

الترجيح:

ولعل الراجح – والعلم عند الله – أن تكون (الطور) بمعنى الجبل[٦] في كلام العرب، ولا ينافي ذلك أن يكون علماً على جبل طور سيناء في الشام[٧].

فالنتيجة:

صحة تفسير الطور في قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾، بالجبل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ تفسيراً للفظة الغريبة بأشهر وأكثر منها استعمالاً؛ لورود الآيتين في قصة واحد.

---

(١) التفسير الكبير (٢/ ١٣٨).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٣١١).

(٣) انظر: تفسير القرآن له (٣/ ١٦٠).

(٤) في المحيط في اللغة (٢/ ٣٢٧)، تأليف: الصاحب إسماعيل بن عباد، ت: محمد حسن آل ياسين، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار عالم الكتب.

والصاحب بن عباد هو: إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس أبو القاسم الطالقاني، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة. أخذ عن ابن فارس وابن العميد، توفي سنة (٣٨٥هـ)، انظر: معجم الأدباء (٦/١٦٨)، بغية الوعاة (١/٤٤٩).

(٥) في مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٣٩).

(٦) وذهب بعض السلف إلى أنّ الطور كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت ليس بطور، وهذا قول ابن عباس في رواية الضّحاك، كما في جامع البيان (٢/١٥٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/١٦٩)، والدر المنثور (١/ ١٨٤).

كما ذهب البعض إلى أنّ الطور سريانية، وهو اسم لكلّ جبل، وهو قول مجاهد – كما تقدم- وابن زيد كما في جامع البيان (٢/١٥٧).

(٧) لذا حكى ابن فارس الاحتمالين في مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٦) (طور) دون ترجيح، وانظر: معجم البلدان (٤/٤٧)، تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر – بيروت. الروض المعطار في خبر الأقطار (صـ٣٩٧). محمد عبد المنعم الحميري، ط٢، ١٩٨٠م، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ت: إحسان عباس.

المطلب الثالث: تعيين المؤتى المبهم في قوله تعالى:﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾

قوله تعالى:﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ مقول لقول محذوف، دلّ عليه المعنى، تقديره: قلنا أو قائلين:﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾، أي: تمسكوا به، واعملوا بما فيه بجدٍّ ونشاط، دون تردد[1].

وفُسِّرَ هذا المقطع من الآية بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ لم يبين هنا هذا الذي أتاهم ما هو، ولكنه بين في موضع آخر أنه الكتاب الفارق بين الحق والباطل، وذلك في قوله: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ »[3].

ووجه تفسير الآية بهذه الآية - كما أوضحه العلاّمة الشنقيطي – ظاهر؛ إذ لما أبهم الذي آتاهم هنا وأمروا أن يتمسكوا به بجدّ واجتهاد، بيّن في الآية الثانية أنّه آتاهم الكتاب الفارق بين الحقّ والباطل[4]؛ فيفسّر الأولى بالثانية.

وممّا يدلّ على صحّة هذا التفسير أمور:

١- ما صرّح به غير واحد من المفسّرين من أنّ المراد بالذي آتاهم، التوراة، كما أخرج ذلك الإمام ابن أبي حاتم الرازي بسنده عن الحسن من طريق عباد بن

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١١٢) (بتصرف)، وانظر: روح المعاني (١/٣٥٠)، التحرير والتنوير (١/٥٤٢).

(٢) سورة البقرة: ٥٣

(٣) أضواء البيان (١/٩٣).

(٤) كما هو الراجح من أقوال أهل العلم بالتفسير، وقد سبق، انظر: (صـ: ٢٥٧).

منصور[1]، قال في قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ يعني التوراة"[2]، وذكر ذلك غير واحد من المفسّرين[3].

٢- ما ذكره غير واحد من المفسّرين من أنّ سبب أخذ هذا الميثاق عليهم، هو أنّه كان لامتناعهم عن أخذ التّوراة والعمل بما فيها من التكاليف الشاقّة، فرفع عليهم الطور حتّى قبلوا، وأخذوه بالميثاق، وهذا هو المرويّ عن عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[4]، والحسن البصري[5]، فإذا ثبت ذلك كان ظاهراً أنّ المراد بقوله: خذوا ما آتيناكم بقوّة: التوراة.

فالنتيجة: صحة تعيين ما آتاه الله بني إسرائيل وأمرهم بأخذه بقوة في قولـه: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ بأنه التوراة للتصريح بذلك في قوله تعـالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ . والله أعلم.

❖❖❖

(١) هو: عباد بن منصور الناجي، أبو سلمة البصري القاضي بها، صدوق رمي بالقدر، مات سنة (١٥٢هـ) انظر: ميزان الاعتدال (٣٧٦/٢)، تقريب التهذيب (صـ٢٣٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٧٠).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٩٨)، المحرر الوجيز (٩٢/١)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (٣٣٥/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٩/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١١٢).

(٤) كما أخرج ذلك الطبري (٢/ ٨٨)، (٢/ ١٥٦)، عنه من طريق ابن وهب، وذكره ابن كثير في تفسيره (٢٦٦/١)، وابن القيم في إغاثة اللهفان (٣١١/٢)، وانظر: الرازي (١٣٨/٢)، وقد حكى هذا القول - دون عزو إلى قائل - جمع من المفسّرين، انظر: المحرر الوجيز (١٢٠/٣)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (٣٣٥/١)، تفسير السراج المنير (١٤٥/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٠٩/١)، روح البيان (٢/ ٢٥٢).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ البقرة: ٦٥

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله – في تفسير هذه الآية -: « يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ يا معشر اليهود، ما حلّ من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله، وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت، والقيام بأمره، إذ كان مشروعًا لهم، فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت، بما وضعوا لها من الشصوص[١] والحبائل والبرك[٢] قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السَّبت على عادتها في الكثرة نشبت[٣] بتلك الحبائل والحيل، فلم تخلّص منها يومها ذلك، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله إلى صورة القردة »[٤].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

هذه القصّة مجملةٌ هنا، وفُصّلت في سورة الأعراف؛ لذا فسّرها بها جمعٌ من أهل التَّفسير، وحملوها عليها.

فقد أخرج الإمام الطبري[٥] بسنده من طريق أسباط[٦]، عن السّدي: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: فهم أهل "أيلة"، **وهي القرية**

---

(١) الشصوص جمع الشَّص بالكسر والفتح: حديدةٌ معقوفة يُصاد بها السمَك، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٧٢/٢) للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، ت: محمود محمد الظناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. المعجم الوسيط (صـ٤٨٢).

(٢) البرك: ج: بركة، وهو مستنقع الماء، أو شبه حوض يحفر في الأرض، انظر: المحيط في اللغة (٤٩/٢)، المحكم والمحيط الأعظم (٢٦/٧) تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، ت: عبد الحميد هنداوي.

(٣) نَشِبَ الشيء في الشيء نَشَباً، كما يَنشَبُ الصيد في الحبالة، عَلِقَ فيه. انظر: مادة (نشب) في: تهذيب اللغة (١١٠/٤)، لسان العرب (٧٥٥/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٨) .

(٥) في جامع البيان (١٧١/٢).

(٦) هو: أسباط بن نصر الهمداني الكوفي، أبو يوسف: مفسر، من رجال الحديث. خرج له بعض الأئمة وتوقف فيه آخرون، توفي سنة (١٧٠ هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢١١/١)، الأعلام للزركلي (٢٩٢/١).

التي كانت حاضرة البحر، فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت - وقد حرم الله على اليهود أن يعملوا في السّبت شيئا - لم يبق في البحر حوت إلا خرج، حتى يخرجن خراطيمهنّ[1] من الماء، فإذا كان يوم الأحد لزمن سُفل البحر فلم ير منهن شيء حتى يكون يوم السبت، فذلك قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[2].

وقال ابن كثير رحمه الله - عند تفسير الآية -:« وهذه القصة مبسوطةٌ في سورة الأعراف، حيث يقول تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ القصة بكمالها »[3].

وقال - عند تفسير آية الأعراف -:« هذا السياق هو بسط لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾[4].

وقال الشنقيطي رحمه الله:« ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا ﴾ أجمل قصّتهم هنا، وفصّلها في سورة "الأعراف"، في قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ الآيات ...»[5]».

ووجه البيان ظاهر وواضح؛ إذ لما أجمل القصّة هنا، فصّلها هناك.

فَمِمَّا أجملها هنا، وفصّلها هناك:

- الذين اعتدوا من بني إسرائيل في السّبت، أجملهم هنا، وفصّلهم هناك بقوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾، فهم أهل قرية " أيلة "[6].

---

(١) الخراطيم: ج: الخرطوم بضم الخاء: اسم للأنف وما والاه، وقيل: اسم للشفة والأنف من السباع وذوات الخف وغيرهما، انظر: إسفار الفصيح للهروي (٢/٩٣٤) أبي سهل محمد بن علي الهروي، ت: د. أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ. المعجم الوسيط (١/٢٢٨)، وقيل هو خاص للفيل، انظر: تهذيب اللغة (٣/٤٣)، تاج العروس (٣٢/٧٦).

(٢) سورة الأعراف: ١٦٣

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٩٣).

(٥) أضواء البيان (١/ ٩٣)، واستشهد بالآية هنا أيضاً ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٢١).

(٦) أيلة: مدينة على بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز،انظر: معجم البلدان (١/٢٩٢)
=

- اعتدائهم في السّبت، فهو مجملٌ هنا، ومبيّنة في الموضع الآخر، بأنه تمرّدهم وتجاوزهم حدود الله بالصّيد يوم السَّبت الذي نهوا عن الاصطياد فيه[1]، ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾.

فاعتداؤهم كان حين تأتيهم حيتانهم يوم السَّبت شُرَّعاً أي: ظاهرة على وجه الماء[2]، وفي غير يوم السَّبت تذهب في البحر فلا يرون منها شيئاً، ابتلاءً من الله لهم بسبب فسقهم عن طاعة ربّهم؛ فاحتالوا لصيدها وحفروا الحفائر وشقوا الجداول؛ فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت، فيصيدونها يوم الأحد[3].

وهناك أمورٌ أخرى ذكرتها الآية الثانية، ولم تتطرّق إليها الأولى، وذلك ليس من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح المطابق؛ إذ ليست ذلك نصّاً مبهماً أو مجملاً في الأولى بينتها الثانية، ولكنّها تفصيل للقصّة وذكر لبعض أحداثها الأخرى، وذلك كإشارة الآية الثّانية إلى أنّ أهل القرية كانوا ثلاث فرق[4]، وما آل إليه أمر كلّ فريق[5].

النتيجة:

صحّة تفسير آية البقرة المجملة في قصّة أصحاب السبت بآية الأعراف المفصّلة في القصّة نفسها، وذلك للوجوه السَّابقة من البيان، والله تعالى أعلم.

=

وتعرف اليوم باسم « العقبة » ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، انظر: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (صـ٣٠) لعائق بن غيث بلادي، ط١، ١٤٠٢هـ، دارمكة.

وتفسير القرية بأيلة هو قول جمهور المفسرين، انظر: التفسير الكبير (٢٨٠/٧)، البحر المحيط (٤٧٤/٥)، تفسير القرآن العظيم (٤٩٣/٣)، التحرير والتنوير (١٦٦٠/١).

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٢٤)، فتح القدير (٢/ ٣٧٣).

(٢) الكشاف (٣٠٣/٢)، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٢٤)، التبيان في تفسير غريب القرآن (٢١١/١) للإمام: عبد الرحمن بن علي الجوزي، ط: ١، ١٤٠٧هـ تحقيق: د/ علي حسين البواب، مكتبة المعارف — الرياض.

(٣) فتح القدير (٢/ ٣٧٣).

(٤) كما هو ظاهر القرآن، وهم: فرقة المعتدين فى السبت، المتجاوزين حدود الله بالصيد، فرقة الناصحين لهم بالانتهاء عن تعديهم وفسوقهم، فرقة اللائمين للناصحين ليأسهم من صلاح العادين فى السبت. التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٧١/١)، وانظر: المحرر الوجيز (١١٤/٣)، زاد المسير (٢٧٧/٣)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٣٠٦).

(٥) فقد هلك المعتدون، ونجى الناهون عن السوء، وسكت عن الفرقة الثالثة.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٧٨

لما بين الله تعالى أمر الفرقة الضالة من أهل الكتاب والتي حرّفت كتاب الله، وهم قد عقلوه وعلموا بسوء مرتكبهم، وبين أمر الفرقة الثانية، المنافقين، وأمر الفرقة الثالثة: المجادلة، أخذ يبيّنُ — في هذه الآية – أمر الفرقة الرابعة منهم، وهي: العامّة التي طريقها التقليد، وقبول ما يقال لهم[١]، فهم جهلة لا يعلمون التوراة، ولكنهم يتمنوّن أماني اختلقوها من عند أنفسهم كذباً وزوراً، ويقتصرون على تلاوتها دون التفقه فيها.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فسّرت الآية بآيات من كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[٣]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾[٥].

فقد استشهد بالآيات الثلاث — عند تفسير الأماني – الشيخ ثناء الله الهندي رحمه الله[٦].

وأورد الشّنقيطي رحمه الله (آية البقرة وآية النساء)، عند ذكر القولين [٧] في المراد بالأماني – قائلاً: « الثاني: أنّ الاستثناء منقطع، والمعنى لا يعلمون الكتاب، لكن يتمنون أماني باطلة، **ويدلُّ لهذا القول**: قوله تعالى: ... وذكر الآيتين[٨].

---

(١) البحر المحيط (١/ ٣٥٧)، (بتصرف)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٦).

(٢) سورة البقرة: ١١١

(٣) سورة البقرة: ٨٠

(٤) سورة المائدة: ١٨

(٥) سورة النساء: ١٢٣

(٦) التفسير الكبير (٢/ ١٧٠).

(٧) اقتصر الشيخ على معنيين (القراءة والتمنّي)، وسيأتي أن المفسرين ذكروا ثلاث معان.

(٨) أضواء البيان (١/ ٩٥)

ووجه بيان هذه الآيات المذكورة للآية: أنّ الأماني: جمع أمنية، وهي في الأصل: ما يقدّره الإنسان في نفسه، من منى: إذا قدّر[1].

قال ابن فارس رحمه الله: « (مني) الميم والنون والحرف المعتلّ أصلٌ واحد صحيح، يدلُّ على تقديرِ شيءٍ ونفاذِ القضاءِ به »[2].

وتشترك في هذا الأصل ثلاث معانٍ، وهي: التمنّي، والكذب، والتلاوة، وكلّها داخلة في معنى التقدير الذي هو أصل الكلمة؛ فالمتمني يقدّر في نفسه ويحزر ما يتمناه، وكذلك المختلق والقارىء يقدر أن كلمة كذا بعد كذا[3].

ولمّا حكى الله في الآيات الأخرى أنّ أهل الكتاب تمنّوا أمانيّ، كقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، وقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، وغير ذلك مما تمنوه[4]؛ جاز أن يحمل الأماني هنا على هذا المعنى، ويبيّن به.

ويكون المعنى: أنّ هؤلاء لا علم لهم بالكتاب الذي هو التوراة، إلاّ ما هم عليه من أمانيهم في أنّ الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وأنّ النّار لن تمسَّهم إلا أياماً معدودات، وأن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً[5].

وذهب إلى هذا المعنى قتادة، والحسن وأبو العالية، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[6]، ومال إليه ابن عاشور[7].

الأقوال الأخرى في معنى: الأماني.

وقد فسّر جمع من المفسّرين (الأماني) في الآية بالمعنيين الأخريين للكلمة، وهما: الكذب، والتلاوة.

---

(١) البحر المحيط (١/ ٣٥٨)، وانظر: الكشاف (١/ ١٠٥).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٢٧٦).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ١٠٥)، البحر المحيط (١/ ٣٥٠).

(٤) معالم التنزيل (١/ ١١٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٦٠).

(٥) انظر: الكشاف (١/١٠٥)، البحر المحيط (١/ ٣٥٨)، روح المعاني (١/٣٧٨).

(٦) معالم التنزيل (١/١١٤)، زاد المسير (١/١٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٦)، تفسير القرآن العظيم (١/٣١١).

(٧) في التحرير والتنوير (١/٥٥٧).

الأول: الكذب؛ ومعنى الآية: أنهم لا يعلمون التوراة وما فيها، ولكنهم يتخرّصون الكذب ويتقوّلون الأباطيل كذباً وزوراً(١).

وهذا قول ابن عباس،(٢) ومجاهد(٣)، واختاره الفراء(٤)، والطبري(٥).

الثاني: التلاوة والقراءة؛ فمعنى الآية: لايعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٦)، أي: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته.

الترجيح:

الراجح في تفسير الأماني – والعلم عند الله – أن تحمل الآية على المعاني الثلاثة، لأنها داخلة في أصل الكلمة، وتنطبق كلّها على اليهود، وكلها حصلت منهم؛ فلا معنى للاشتغال بترجيح بعضها على بعض(٧).

ولا شك – مع ذلك – في أولويّة المعنى الذي تشهد له آيات القرآن؛ إذ القرآن يشهد بعضه لبعض، ويوضح بعضه بعضاً، والله تعالى أعلم.

النتيجة: صحّة تفسير الآية بالآيات التي أخبرت عن أماني اليهود، وتبقى الآية – مع ذلك – على عمومها في الدلالة على المعاني الثلاثة الداخلة في معنى الأماني؛ لعدم التعارض والمنافاة في ذلك، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٢٦٢).

(٢) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٢/٢٦١) من طريق الضحاك.

(٣) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٢/٢٦١) من طريق ابن أبي نجيح، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣١١).

(٤) في معاني القرآن له (١/٥٠).

(٥) في جامع البيان (٢/ ٢٦٠).

(٦) سورة الحج: ٥٢ .

(٧) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١٣٠).

تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ البقرة: ٨١

لما ذكر الله أفعال اليهود القبيحة، وأنهم – مع ذلك – يزكّون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، بدعوى أنّهم لن تمسَّهُم النّار إلا أياما معدودة، أبطل في هذه الآية تلك الدعوى بحكم عام شامل لهم ولغيرهم، وهو: أنّ كلّ من كسب سيئة، واستولت عليه خطاياه وأحاطت به، لشركه وكفره، ومات قبل الإنابة والتوبة، فهو من الخالدين في النار أبداً(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

حملت هذه الآية على آية من القرآن الكريم وهو قول الحقّ جلّ شأنه: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

فقد أخرج الإمام الطبريّ(٣) بسنده عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ﴿ وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾(٤)، قال: الشّرك، ثم تلا: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ ».

وقال مكي بن أبي طالب(٥) رحمه الله: – بعد ما حكى تفسير السيئة عن بعض السلف بالشرك–: « وقد قال الله: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾، وهي الشرك بلا اختلاف في ذلك »(٦).

---

(١) انظر: روح المعاني (١/ ٣٨٥)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٧).

(٢) سورة النمل: ٩٠

(٣) تفسيره (٢/ ٢٨٦)

(٤) هكذا ورد في الأثر، والظاهر أنّ مراده قوله: ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ لموافقة ذلك للآية المستشهد بها، وهو الذي ذكره عنه القرطبي في الجامع (١٢/٢) قال: « قال ابن جريج قلت لعطاء: ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ قال: الشرك، ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾، وكذلك أخرج الطبري الأثر في موضع آخر: عن ابن جريج قال، قلت لعطاء: ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾، قال: الشرك. بدون الاستشهاد بالآية.

(٥) هو: العلامة المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم القرطبي، صاحب التصانيف، كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢٧٥/٥)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٣٧).

(٦) الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه (٣٢٩/١)، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني القرطبي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – =

وقال ابن عطية رحمه الله: « وقالت طائفة: السيئة: الشِّرك، كقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ »[1].

ووجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت أو صغيرة[2]، لكنها فسّرت في الآيتين بالشرك خاصة لما جاء فيهما من الوعيد الشديد الذي لا يكون إلاّ على الشرك، فاستشهاد عطاء وغيره بآية النمل هنا من قبيل الاستشهاد على تفسير السيئة بالشرك، أو من قبيل جمع موارد اللفظة القرآنية، ونظيراتها في الاستعمال، وليس في الآيتين بيان لأحدهما للآخر.

وتفسير السيئة هنا بالشرك بالله هو قول جمهور المفسرين[3]؛ لما يأتي:

١- قوله تعالى بعدها ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ لأنّ ذلك لا يكون إلا الشرك، فإنّ من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته[4].

٢- قوله تعالى بعدها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؛ فإن الخلود في النار للكفار والمشركين[5].

=

جامعة الشارقة، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(١) المحرر الوجيز (١/ ١٠٨).

(٢) قال الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٢١) والسيئة: الفعلة القبيحة، وهي ضد الحسنة.

(٣) فقد أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، وأخرجه ابن جرير عن أبي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع.

(٤) تيسير الكريم الرحمن (صـ٥٧) (بتصرف يسير)، وانظر: التفسير الكبير (٢/١٧٦)، التحرير والتنوير (١/٣٣٣)

(٥) انظر: جامع البيان (٢/٢٨٢)، التسهيل لعلوم التتريل (١/ ٩٨)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/ ٦١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧

في هذه الآية الكريمة يمتنُّ الله تعالى على بني إسرائيل أن أرسل لهم كليمه موسى عليه السلام، وآتاه التوراة، ثمّ تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم عليه السلام وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، وأيّده بروح القدس جبريل عليه السلام، ومع هذا فإنهم لم يستقيموا بل كانوا يقتلون الأنبياء ويكذبونهم(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأوّل: المراد بالبيّنات في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾

فقد فسّر جمع من أهل التفسير قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾، بآيات من كتاب الله تعالى وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٨) (بتصرف يسير)، وانظر: أيسر التفاسير (١/ ٣٩).

(٢) سورة آل عمران: ٤٩

(٣) سورة المائدة: ١١٠

والمفسِّرون في حمل البيّنات المجملة في هذه الآية على هذه الآيات بين مصرّح بذكر الآيات وغير مصرّح.

فمِمَّنْ صرّح بتفسر الآيات للآية الإمام الثعلبي والبغوي والقرطبي والشوكاني وغيرهم – رحمهم الله تعالى – حيث قالوا في تفسير الآية: « وهي التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في سورة آل عمران والمائدة »[1].

وقال الشيخ ثناء الله الهندي رحمه الله في تفسير البينات: « أي الدلائل الواضحةالمذكورة في قوله تعالى: ... وذكر آية المائدة »[2].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، لم يبين هنا ما هذه البينات ولكنه بيّنها في مواضع أخر كقوله: ...[وذكر آية آل عمران] ثم قال: إلى غير ذلك من الآيات»[3].

ومن غير المصرّحين بذكر الآيات: ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه عنه الإمام الطبري وابن أبي حاتم بسندهما عن سعيد بن جبير، أو عكرمة قال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أي الآيات التي وضع على يديه: من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله، وإبراء الأسقام، والخبر بكثير من الغيوب مما يدخرون في بيوتهم، وما رد عليهم من التوراة، مع الإنجيل الذي أحدث الله إليه »[4].

وقال مقاتل رحمه الله – في تفسير الآية -: « يقول: وأعطينا عيسى ابن مريم العجائب التي كان يصنعها من خلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله »[5].

ووجه بيان الآية بالآيتين: ظاهر؛ إذ لما أبهم الله تعالى البيّنات التي آتاه لعيسى عليه السلام هنا بيّنها مفصَّلاً في الآيتين.

---

(١) الكشف والبيان (١/٢٣٢)، معالم التنزيل (١/١١٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤) فتح القدير (١/١٧٢).

(٢) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٢٤-٢٥).

(٣) أضواء البيان (٣/ ٩٥-٩٦).

(٤) جامع البيان (٢/ ٣١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٢)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢١)، الدر المنثور (١/٢١٣).

(٥) تفسير مقاتل (١/ ٦٢)، وانظر: أيضاً: البحر المديد (١/ ٦٧)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٥٧)

❖ **الأقوال الأخرى في المراد بالبيّنات:**

وقد حكى المفسّرون في ذلك أقوالاً أخرى منها[1]:

١- أنّها الإنجيل.

٢- أنّها الحجج التي أعطاها الله لعسى وأقامها على اليهود.

٣- أنّها شاملة لكلّ معجزة أوتيها عيسى عليه السلام، رجّحه ابن عطيّة، وأبو حيّان، وغيرهما[2]، قال الرازي: « وهو الأقوى أنّ الكلّ يدخل فيه؛ لأنّ المعجز يُبيِّن صحة نبوته، كما أنّ الإنجيل يُبيِّن كيفية شريعته، فلا يكون للتخصيص معنى »[3].

والراجح: هو القول بالعموم، ولا ينفي ذلك صحّة تفسير الآية بآيتي آل عمران والمائدة كما تقدّم، بل يكون من باب ذكر بعض مفردات العام، والله أعلم.

النتيجة: صحّة تعيين البينات المؤتى لعيسى عليه السلام بالآيات والمعجزات المذكورة في آيات آل عمران والمائدة، مع صحّة حمل الآية على عموم ما أوتي من الآيات البينات، والعلم عند الله.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/١١٤)، النكت والعيون (١/٧٠)، التفسير الكبير (٢/٢١١)، البحر المحيط (١/٣٨٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١١٤)، البحر المحيط (١/ ٣٨٧)، تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ٢٨١).

(٣) التفسير الكبير (٢/ ٢١١).

المطلب الثاني: تفسير روح القدس بآيات من القرآن:

قال أهل اللّغة: القدس اسم ومصدر، معناه: الطُّهر، والتقديس: التطهير، وتقدّس، أي تطهر، والأرض المقدّسة: المطهرة[1].

وأشار الراغب إلى أنه يطلق على التطهير المعنويّ دون التطهير الحسيّ[2].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد اختلف أهل التفسير في المراد بروح القدس الذي أيّد الله به عيسى عليه السلام على أقوال عدّة، وفسّر بآية من كتاب الله تعالى: وهو قوله تعالى: - ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

كما ذكر ذلك جمع من المفسرين[4].

وجه البيان: أنّ الله أطلق في الآية الثانية اسم روح القدس على من نزّل القرآن على النبيّ ﷺ، وهو بالاتفاق جبريل عليه السلام؛ فدلّ على أنّه الذي أيّد الله به عيسى عليه السلام في هذه الآية.

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن؛ فإنّ الله تعالى لمّا أطلق على جبريل عليه السلام الذي نزل القرآن على نبينا محمد ﷺ هذا الاسم، كان تفسيره به في آية البقرة أولى وأظهر من غيره، والله أعلم.

وتفسير روح القدس هنا بجبريل عليه السلام هو قول جمهور المفسّرين من السّلف والخلف، فقد روي عن ابن مسعود[5]، وابن عباس[6]، وقتادة[7]، والضّحاك[8]، والربيع[9]، ورجّحه غير واحد من المفسّرين بأدلّة كثيرة ستأتي ذكر بعضها في الترجيح.

---

(١) انظر: الصحاح في اللغة (٢/٦٥)، مقاييس اللغة (٥/٥٢)، لسان العرب (٦/١٦٨).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٢٢٦)

(٣) سورة النحل: ١٠٢.

(٤) انظر: الكشف والبيان (١/ ٢٣٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٩) تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٢٨٢).

(٥) كما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٣٣) من طريق أبي الزعراء.

(٦) من رواية أبي مالك وأبي صالح عنه كما حكى القرطبي في تفسيره (٢/ ٢٤).

(٧) كما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٣٢٠) من طريق معمر.

(٨) كما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٣٢٠) من طريق جويبر

(٩) كما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٣٢٠) من طريق أبي جعفر، عن أبيه

قال ابن أبي حاتم – بعد ما أورد الأثر عن ابن مسعود في ذلك –: « روي عن محمد بن كعب القرظي، وقتادة، وعطية العوفي[1]، والسدي، والربيع بن أنس، وإسماعيل بن أبي خالد[2] نحو ذلك »[3].

وقد استدلّ ابن كثير رحمه الله على هذا القول بقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[4]، كما استدلّ الشنقيطي أيضاً بها وبقوله: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[5]؛ لأنّ الله تعالى سمّى جبريل في الآيتين وفي غيرهما بالروح.

وهذا من باب الاستدلال والاستشهاد، وهو باب واسع، لأنّ إطلاقات الروح في القرآن عديدة[6]؛ لذا اختلف المفسّرون في المراد بها في أكثر موارده[7]؛ فلا يصحّ عليه حمل روح القدس هنا على بعض المعاني دون بعض إلاّ بدليل، ومثل هذا يقال أيضاً في الاستدلال بالآيات على الأقوال الأخرى الآتية.

---

(١) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي أبو الحسن، أخذ القرآن ومعانيه عن ابن عباس وأبي هريرة، توفي سنة (١١١هـ)، انظر: تهذيب الكمال (٢٠/١٤٥)، شذرات الذهب (١/١٤٤).

(٢) لعله: إسماعيل بن أبي خالد الإمام الحافظ أبو عبد الله البجلي الأحمسي مولاهم الكوفي أحد الأعلام، وكان حجة متقنا مكثرا عالما، كان محدث الكوفة في زمانه مع الأعمش توفي سنة (١٤٦هـ)، سير أعلام النبلاء (٦/١٧٦)، تذكرة الحفاظ (١/١١٥).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٣)، وانظر: الكشف والبيان (١/ ٢٣٢)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢١).

(٤) الشعراء: ١٩٣

(٥) مريم: ١٧، انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢١)، أضواء البيان (٣/ ٥٦).

(٦) فقد أطلق على جبريل، وعلى الوحي، وعلى الروح الذي ينفخ في الإنسان، لأنه كما تحيا الأجساد بالروح، فكذلك تحيا القلوب الميتة بالكتب التي أوحاها الله على رسله، وبجبريل الذي نزل بها، انظر: جامع البيان (٢/٣٢٢)، التفسير الكبير (٢/ ٢١١) البحر المحيط (١/ ٣٨٨).

(٧) انظر: اختلاف المفسّرين في تفسير الروح في قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ غافر: ١٥ في: زاد المسير (٧/٢١٠)، البحر المحيط (٩/٤٠٥)، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى: ٥٢ في: معالم التنزيل (٧/٢٠١)، روح المعاني (١٨/٣٠٨)، وفي قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة: ٢٢، في: المحرر الوجيز (٦/ ٣٢٧)، التفسير الكبير (١٥/ ٢٨٨)، النكت والعيون (٤/٢٥٠).

الأقوال الأخرى في المراد بروح القدس في هذه الآية:

١- أنّ المراد بروح القدس روح عيسى عليه السلام الذي نفخ فيه، فيكون المعنى: أيدناه بروح طيبة طاهرة تريد الخير، ولا تريد الشر[١]، أو يكون القدس - كما سبق - هو الله، فنَسَب روح عيسى عليه السلام إلى نفسه تعظيماً له وتشريفاً، كما يقال: بيت الله وناقة الله، وهذا القول محكي عن الربيع وعكرمة[٢]، واستدلّ على هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٣]، وبقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[٤]؛ لأنّ الله سمّى فيها عيسى روحاً.

٢- أنّ المراد بروح القدس، الإنجيل، واستدلّ من قال بهذا بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٥]؛ لأنّ الإنجيل وحي، والوحي يسمّى روحاً، كما سمّى القرآن في هذه الآية روحاً.

وهذا مروي عن ابن زيد قال: أيد الله عيسى بالإنجيل روحاً، كما جعل القرآن روحا كلاهما روح الله »[٦].

٣- أنه الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى، روي ذلك عن ابن عباس[٧]، وسعيد بن جبير[٨].

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٢٨١)

(٢) الكشف والبيان (١/٢٣٢)

(٣) سورة النساء: ١٧١.

(٤) سورة الأنبياء: ٩١ ، الكشف والبيان (١/ ٢٣٢)

(٥) سورة الشورى: ٥٢ الكشف والبيان (١/٢٣٢) الكشاف (١/١٠٩)، التفسير الكبير (٢/٢١١).

(٦) جامع البيان (٢/ ٣٢٠).

(٧) كما أخرجه عنه الطبري (٢/٣٢٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٣٣) من طريق أبي روق، عن الضحاك.

(٨) حكاه عنه ابن أبي حاتم: حيث قال بعد أثر ابن عباس « وروي عن سعيد بن جبير مثل ذلك »، وانظر: معالم التنزيل (١/ ١٢٠)، المحرر الوجيز (١/ ١١٤)، التفسير الكبير (٢/ ٢١١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٤).

الترجيح:

والراجح من هذه الأقوال في المراد بروح القدس الذي أيّد الله به عيسى عليه السلام هو القول الأول؛ لوجوه عِدَّة منها:

١- صحّة تفسير القرآن بالقرآن فيه، فإنّ الله لم يطلق هذا الاسم على غيره في القرآن، فيكون هو المراد به.

٢- أنّ إطلاق هذا الاسم على جبريل شائع حتى في غير القرآن[1]، كقوله ﷺ لحسان: « اللّهم أيده بروح القدس »[2]، وفي بعض الروايات: أنّه عليه السلام قال له: «أهجهم - أو: هاجهم- وجبريل معك »[3].

وقول حسّان: وجبريل رسول الله ينادي ... وروح القدس ليس به خفاء[4].

٣- ما ذكره الإمام الطبري ونقله عنه الحافظ ابن كثير – رحمهما الله- من أنّ الله تعالى قد جمع بين تأييده بروح القدس، وإعطائه الإنجيل في قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[5]؛ فلو كان الروح الذي أيده الله به هو الإنجيل، لكان قوله:﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ﴾، و﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، تكرير كلام واحد، من غير زيادة معنى في أحدهما على الآخر، والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة[6].

---

(١) انظر الترجيح بهذا الوجه: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٩)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: الشعر في المسجد رقم ٤٥٣، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة باب: فضائل حسان رقم ٢٤٨٥. من حديث أبي هريرة.

(٣) وهذا من حديث البراء بن عازب أخرجه البخاري برقم: (٣٢١٣) كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم برقم: (٢٤٨٦) في الكتاب والباب السابقين.

(٤) البيت في ديوانه ()،

(٥) سورة المائدة: ١١٠

(٦) جامع البيان (٢/ ٣٢٠) (بتصرف واختصار).

وقد ذكر وجوه أخرى للترجيح غير هذه، بعضها قريبة وبعضها بعيدة[1]، وفيما ذُكِرَ هنا كفاية وغنى عن غيرها.

النتيجة: صحّة حمل روح القدس الذي أيّد الله به عيسى عليه السلام، وأخبر به في آية البقرة وغيرها على روح القدس الذي نزّل القرآن على نبيّنا محمّد، وهو أمين الوحي جبريل عليه السلام، فيكون هو الذي أُيّد به عيسى ابن مريم.

(١) انظرها عند الرازي في تفسيره (٢/ ٢١١)، وأبي حيان في البحر المحيط (١/ ٣٨٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ البقرة: ٨٨

يحكي الحق جلّ جلاله عن اليهود دعواهم الباطلة التي كانوا يدّعونها في العصر النبوي قائلين للنبي ﷺ - تيئيساً له، أو تعليلاً لعدم استجابتهم لدعوته -: إن قلوبنا مغلفة ومغطاة لا تنفذ إليها دعوتك، ولا نكاد نفقه شيئاً مما تقول، وقد رد الله تعالى على كذبهم هذا، ب أن قلوبهم ليست غلفاً بحيث لا تصل إليها دعوة الحق، بل هي متمكنة بأصل فطرتها من قبول الحق، ولكن الله طردهم وأبعدهم من رحمته بسبب كفرهم بالأنبياء واستحبابهم العمى على الهدى[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّر جمع من أهل التفسير من السّلف والخلف قوله تعالى: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ بآية من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾[(٢)].

فقد أخرج الإمام الطبري[(٣)] بسنده عن مَعْمَر، عن قتادة: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ هو كقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾.

كما أخرج بسنده[(٤)] عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضي الله عنهما، في قوله: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ قال: يقول: قلبي في غلاف فلا يخلص إليه مما تقول شيء، وقرأ: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾.

كما أخرج بسنده[(٥)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ أي: في أكنة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/٦٢)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١٤٣) المنتخب (صـ٢٠).

(٢) سورة فصلت: ٥.

(٣) في تفسيره (٢/ ٣٢٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢٤)

(٤) في تفسيره (٢/ ٣٢٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢٤)

(٥) في جامع البيان من من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير (٢/ ٣٢٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٢٤)

ووجه بيان الآية بهذه الآية: أنّ الله حكى عن اليهود في هذه الآية قولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، والغلف يحتمل أن يكون جمع أغلف، وهو الذي عليه غلاف، ك «أحْمَر وحُمْر» و« أصفر وصُفْر »، فيكون المعنى: أنها خلقت وجعلت مغشّاة لا يصل إليها الحَقّ، فلا تفهمه.

أو يراد به جمع غلاف، ويكون أصل اللاّم الضم، فخُفّفَت، مثل: « حمار وحمر»، و« كتاب وكتب »، فيكون المعنى أنها أوعية للعلم لا تسمع علماً إلا وعته ولا تعي ما تقول، أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره[1].

وقد حكى الله في الآية الثانية عن كفّار مكة قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾، وهو موافق للاحتمال الأوّل في معنى غلف، فتحمل الآية الأولى على الثانية، ويكون ما حكى عن اليهود نظير ما حكى عن أشياعهم من الكفار.

قال الشنقيطي رحمه الله: « فقول اليهود في هذه الآية: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ كقول كفار مكة: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾؛ لأن الغلف، جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف، والأكنة جمع كنان، والغلاف والكنان كلاهما بمعنى الغطاء الساتر »[2].

الأقوال الأخرى في المراد بقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾.

القول الثاني في المراد بقول اليهود للنبي ﷺ قلوبنا غلف، هو ما سبقت الإشارة إليه عند ذكر الاحتمال، أنهم يريدون من هذا الكلام أنّ قلوبهم ممتلئة علماً لا تحتاج إلى علم محمد ﷺ ولا غيره[3]، أو أنّ قلوبهم أوعية للعلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً لَوَعَتْهُ[4].

---

(١) وقد حكى الاحتمالين جمع من أهل التفسير، انظر: المحرر الوجيز (١/ ١١٥)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (٣٥٨/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٢٧)، اللباب في علوم الكتاب (١/ ٤٤٨)، فتح القدير (١/ ١٧٣).

(٢) أضواء البيان (٧/ ١١٨).

(٣) وهذا تفسير ابن عباس، انظر: جامع البيان (٢/ ٣٢٧).

(٤) وهذا تفسير الكلبي، انظر: معالم التتريل (١٢٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٥).

وهذا القول محكي عن ابن عباس[1]، وعطية العوفي[2].

وقد سلك المفسّرون في حكاية هذا القول مسلكين:

١- حكايته كاحتمال وارد في معنى الغلف، وقد سبق تفصيل ذلك والإحالة عليه من مصادره.

٢- حكايته كمعنى قراءة قرأ بها بعض السلف، الذين قرءوا {غلف} بضمّ اللام[3]، وهو جمع « غلاف »، قولاً واحدا، ولا يجوز أن يكون جمع أَغْلَف؛ لأن تثقيل « فعل » الصحيح العين ، لا يجوز إلاّ في شعر[4].

ولو صحّت هذه القراءة وتواترت لصحّ حمل القراءة الأولى عليها، وتعيين الاحتمال بها – لأن القراءات تفسر بعضها بعضاً – ولكنها قراءة شاذة، ولا يجوز حمل القراءة المتواترة عليها.

قال الطبري رحمه الله: « والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، هي قراءة من قرأ(غلف) بتسكين اللام – بمعنى أنها في أغشية وأغطية، لاجتماع الحجة من الْقَرَأَة وأهل التأويل على صحتها، وشذوذ من شذّ عنهم بما خالفه، من قراءة ذلك بضم اللاّم »[5].

وقد ذكر الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله ستة أوجه في تفسير قوله ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، كلها راجعة إلى القولين[6].

---

(١) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/٣٧٢) و ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٥) من طريق أبي روق، عن الضحاك.

(٢) فيما أخرجه الطبري (٢ / ٣٢٤)) و ابن أبي حاتم (١/ ٢٣٥) من طرق عن فضيل بن مرزوق، عنه.

(٣) حُكِي هذه القراءة عن ابن عبَّاس والأعرج، وابن هرمز، والحسن وابن محيصن، وأبي عمرو، انظر: جامع البيان (٢/ ٣٢٤)، المحرر الوجيز (١/١١٥)، الكشف والبيان (١/ ١٨١)، معالم التنزيل (١/١٢٠) ، زاد المسير (١/١١٣)، البحر المحيط (١/ ٣٩٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٥) مفردات ألفاظ القرآن (٢/١٦٠).

(٤) المحرر الوجيز (١/ ١١٥)، البحر المحيط (١/ ٣٩٠)، اللباب في علوم الكتاب (١/٤٤٨).

(٥) جامع البيان (٢/ ٣٢٤).

(٦) انظرها في تفسيره (١/ ٢٣٥).

الترجيح:

الراجح – في المراد بقول اليهود: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أنها في أغطية وأكنة؛ لما سبق من صحة تفسير الآية على هذا المعنى بآية من القرآن الكريم، وعدم صحّة القــراءة الأخرى في الآية حتى تحمل عليها، والله تعالى أعلى وأعلم.

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى حكاية عن اليهود: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ بقولــه تعــالى حكاية عن المشركين: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾، وتعيين الاحتمال الوارد في كلمــة (غلف) بأنه جمع (أغلف)؛ لمطابقة ذلك لمعنى الآية الثانية (المفسِّرة)، والعلم عند الله.

◈◈◈✸✸✸

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ البقرة: ٩٢

هذا خطاب لليهود، وخاطبهم الله هنا باعتبار الجنس لا باعتبار الشخص؛ إذ إنّ موسى لم يأت هؤلاء الذين كانوا في عهد الرسول ﷺ، لكنه أتى بني إسرائيل الذين هؤلاء منهم[(١)].

والمعنى: لقد كفرتم - أيها اليهود - كفراً صريحاً، ورجعتم إلى الشرك في عهد موسى نفسه، فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه ، لكنكم حين تغيب موسى لمناجاة ربه، عبدتم العجل، وأنتم ظالمون.مبطلون[(٢)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ولم يبيّن الله في هذه الآية البيّنات التي جاء بها موسى عليه السلام؛ فحملها بعض المفسّرين على آي من القرآن الكريم، وسلكوا في ذلك مسلكين:

الأوّل: حملها على آيات معيّنة وردت فيها الإشارة إلى بينات خاصة لموسى عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[(٤)].

قال القرطبي رحمه الله « والبينات قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ وهي العصا، والسنون، واليد، والدم، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع، وفلق البحر »[(٥)].

وممّن نصّ على تعيين البيّنات هنا بالآيات التّسع: مقاتل، والنسفي، والبيضاوي، وأبو السعود[(٦)].

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (١ /٢٩٩) (بتصرف واختصار).

(٢) المنتخب (صـ ٢١)..

(٣) سورة الإسراء: ١٠١

(٤) سورة النمل: ١٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٠).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٦٤/١)، البحر المحيط (٣٩٩/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٦٢/١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٥٨/١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٣٠/١).

ووجه بيان الآية بالآيات: أنّ الله تعالى لم يعيّن البينات التي جاء بها موسى في هذه الآية، وبيّنها في آيات أخرى، وأنها تسع آيات بيّنات.

وقد ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ هذه الآيات التسع هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الثمرات[(١)].

وقد جاء تفصيل هذه الآيات التسع في آيات أخرى من القرآن الكريم:

أما العصا واليد فقد ذكرتا في غير آية من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[(٢)]، وفي السنين ونقص الثمرات، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[(٣)]، وفي المعجزات الخمس الباقية يقول الحق سبحانه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[(٤)].

الثاني: حملها على عموم الآيات المذكورة لموسى عليه السلام في القرآن الكريم، وهذا هو المفهوم من كلام جمع من المفسّرين، بين مصرح بذكر الآيات وغير مصرح، ومن ذلك:

قول الإمام الطبري رحمه الله – في تفسير الآية -: « أي جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وصحة نبوته، كالعصا التي تحولت ثعباناً مبيناً، ويده التي أخرجها بيضاء للناظرين، وفلق البحر ومصير أرضه له طريقاً يبساً، والجراد والقمل والضفادع، وسائر الآيات التي بينت صدقه وصحة نبوته »[(٥)].

---

(١) روي هذا عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة والشعبي، وقتادة، قال ابن كثير: « وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي »، تفسير القرآن العظيم (٥/١٢٤)، وأسنده الشوكاني إلى أكثر المفسرين، انظر: فتح القدير (٣/٣٧٥)

(٢) سورة الأعراف: ١٠٧ - ١٠٨

(٣) سورة الأعراف: ١٣٠

(٤) سورة الأعراف: ١٣٣.

(٥) جامع البيان (٢/ ٣٥٤).

وقول ابن عطية رحمه الله: « البينات التوراة والعصا وفرق البحر وغير ذلك من آيات موسى عليه السلام »(١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله – في تفسير الآية -: « أي بالآيات الواضحات والدلائل القاطعة على أنه رسول الله، وأنه لا إله إلا الله، والبينات هي: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، وفَلْق البحر، وتظليلهم بالغمام، والمنّ والسلوى، والحجر، وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها »(٢).

وقال الشنقيطي رحمه الله:« قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، لم يبين هنا ما هذه البينات وبينها في مواضع أخر كقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾، وقوله: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ وقوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٣)، **إلى غير ذلك من الآيات** »(٤).

فهذه النقولات من هؤلاء الأئمة تدلّ على أنهم يرون حمل البينات المبهمة هنا على جميع المعجزات التي جاء بها موسى بني إسرائيل، وأخبر الله عنها في القرآن.

وهذا هو الصحيح، ولا يصحّ تخصيصها بالآيات التسع التي أوتيها، وأشير إليها في آية الإسراء، وآية النمل؛ لما يلي:

١- عدم المطابقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة على هذا التفسير، فالآية المفسَّرة واردة في البينات التي جاء بها موسى بني إسرائيل، والثانية المفسِّرة في الآيات التي جاء بها وشاهدها فرعون وقومه، فلا يصحّ حمل الأولى على الثانية والحالة هذه.

قال ابن كثير – عند تفسير آية الإسراء -: « وقد أوتي موسى عليه السلام، آيات أخرَ كثيرة، منها ضربُه الحجر بالعصا، وخروج الأنهار منه، ومنها تظليلهم بالغمام،

(١) المحرر الوجيز (١/ ١١٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٢٩).

(٣) سورة الشعراء: ٦٣

(٤) أضواء البيان (٣/٥٦).

وإنزال المنّ والسلوى، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر، ولكن ذكر هاهنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر، وكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرًا وجحودًا »[١].

٢- عدم الإجماع من المفسّرين على تعيين الآيات التسع، وإن كان القول الراجح في ذلك ما تقدّم، إلا أنّ حمل البينات المبهمة هنا عليها مع الخلاف فيها مما يضعف تفسير القرآن بالقرآن فيها.

وعلى كلا المسلكين فالمراد بالبيّنات: ما أجراه الله على يدي موسى عليه السلام، من الأمور التي لا يقدر عليها أحد من خلق الله، وإنما سماها الله "بينات" لتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بها بشر، إلا بتسخير الله ذلك له[٢].

الأقوال الأخرى في المراد بالبيّنات التي جاء بها موسى:

وقد حكى المفسّرون قولين آخرين في ذلك:

١- أنّ المراد بالبيّنات: التّوراة، وما فيها من الدّلالات، والحلال والحرام، حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس[٣].

٢- أن يراد بها عموم البيّنات، قال الآلوسي رحمه الله: « وعندي الحمل على العموم؛ بحيث يشمل ذلك أيضاً أولى وأظهر »[٤]، وقال الشوكاني رحمه الله: « ويجوز أن يراد الجميع »[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٢٥/٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٥٥/٢).

(٣) انظر: زاد المسير (١١٥/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠/٢)، بحر العلوم (٨٣/١)، تفسير اللباب (٤٦٤/١)، فتح القدير (١٧٧/١).

(٤) روح المعاني (٤١٤/١).

(٥) فتح القدير (١٧٧/١).

الترجيح:

الراجح - والله أعلم - أن تكون البينات عامّةً لجميع الآيات البينات التي جاء بها موسى قومه، كالتوراة التي فيها تفصيل الحلال والحرام، والمعجزات التي تدلّ على صدقه ونبوّته؛ لأنّ البيّنات صفة لموصوف محذوف؛ والتقدير: بالآيات البينات، فكلّ آية بيّنة دالّة على صدقه ورسالته فهي داخلة فيها.

ولا ريب أنّ ما جاءت منصوصاً عليها في القرآن الكريم أنها آيات بيّنات أوتيها موسى عليه السلام، داخلةٌ دخولاً أوّليّاً في البيّنات، وهي أولى ما حملت البيّنات المبهمة عليها، والعلم عند الله تعالى.

النتيجة:

صحة تعيين البينات التي جاء بها موسى قومه وأبهمت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات التي ذكرها الله لموسى في القرآن الكريم - كما تقدم في كلام المفسرين- ومن ذلك الآيات التسع التي أوتيها، ولا يصحّ تخصيصها بتلك الآيات التّسع فقط لما تقدم، كما لا ينافي ذلك حمل الآية على عمومها لتشمل كلّ آية بينة جعلها لموسى معجزةً ودليلاً على نبوّته؛ فيكون ما ذكر في القرآن من ذلك من قبيل التمثيل لا الحصر، والله أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ البقرة: ٩٤

يأمر الله تعالى - في هذه الآية - نبيّه محمّداً ﷺ أن يقول لليهود: إن كان نعيم الدار الآخرة ولذّاها لكم يا معشر اليهود عند الله خاصّة، لا ينالها غيركم؛ فتمنوا الموت: أي اطلبوا حصوله؛ لأنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاق إليها، وتمنّى سرعة الوصول إلى النعيم، والتّخلص من الدار ذات الشوائب[١].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

اختلف أهل التأويل في السّبب الذي من أجله أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو اليهود أن يتمنوا الموت، وعلى أي وجه أمروا أن يتمنوه.

فحمله جمهور المفسّرين على آيات تبيّن السبب في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[٤].

فقد أخرج الإمام الطبري[٥] بسنده عن سعيد عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾، وذلك أهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فقيل لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

كما أخرج وابن أبي حاتم بسندهما[٦] عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: «قالت اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٣٦٥)، والسراج المنير (١/ ١٧٢)، اللباب في علوم الكتاب (١/٤٦٧).

(٢) سورة البقرة: ١١١

(٣) سورة المائدة: ١٨.

(٤) سورة البقرة: ٨٠

(٥) في تفسيره (٢/ ٣٦٤).

(٦) جامع البيان (٢/ ٣٦٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٦).

وَأَحِبَّتُؤُهُۥ ﴾ فقال الله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، فلم يفعلوا ».

وقال الطّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وإنما أُمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم: (تمنوا الموت إن كنتم صادقين)، لأنهم – فيما ذكر لنا– قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾. فقال الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم إن كنتم صادقين فيما تزعمون، فتمنوا الموت، فأبان الله كذبهم بامتناعهم من تمني ذلك، وأفلج حجة رسول الله ﷺ »[1].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ ، ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾، فكذبهم الله عزّ وجلّ وألزمهم الحجة »[2].

ونصّ بمثل هذا هنا جمع من المفسّرين[3]، وهم في ذلك بين مقتصر على آية واحدة أو اثنتين من الثلاث، وبين مورد لجميعها.

ووجه بيان الآية بالآيات الثلاث: ما سبقت الإشارة إليه من أنّ الله لم يذكر هنا السبب الذي من أجله أمر النبيّ ﷺ بدعوة اليهود لتمنّي الموت، وقد حكى عن اليهود في كتابه في الآيات الثلاث مزاعم تصلح أن تكون سبباً لورود هذه الآية، وكون هذه الآيات سبباً للآية يساعد في فهمها، وأنّ هذه الدعوة لتمنّي الموت ليست من قبيل المباهلة كما مال إليه آخرون كما سيأتي.

---

(١) جامع البيان (٢/ ٣٦٥).

(٢) معالم التنزيل (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ٦٨)، الكشف والبيان (١/١٨٦)، المحرر الوجيز (١/١٢٠)، التفسير الكبير (٢/٢٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٦٩)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٦٣)، السراج المنير (١/١٧٢)، اللباب في علوم الكتاب (١/٤٦٧)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ٢٦)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٩).

الأقوال الأخرى في السبب الذي من أجله امر الله بدعوة اليهود لتمنّي الموت:

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أن المراد بهذا الدعوة: تمني الموت على وجه الدعاء على الفريق الكاذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة، لا أنّ علته أقوالهم المحكية عنهم في الآيات السابقة.

وذهب إلى هذا ابن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم[1] عنه قال: قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب.

وهذا الذي رجّحه ابن كثير رحمه الله ونصره، وضعّف القول الأول؛ إذ لا تظهر الحجّة عليهم على ذلك التأويل؛ إذ يقال: إنه لا يلزم من كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنوا الموت؛ فإنه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمنى الموت، بل يودُّ أن يعمَّرَ ليزداد خيرًا وترتفع درجته في الجنة، ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا: فها أنتم تعتقدون - أيها المسلمون-أنكم أصحاب الجنة، وأنتم لا تتمنون في حال الصحة الموت؛ فكيف تلزمونا بما لا نُلزمكم[2].

وقد أجاب الشيخ العثيمين رحمه الله على هذه الشُّبهة قائلاً: « والجواب عن ذلك أنا لم ندع أن الدّار الآخرة خالصة لنا من دون الناس؛ بل نؤمن بأن الدار الآخرة لكل من آمن وعمل صالحاً سواء كان من هذه الأمة أم من غيرها »، ثم قال: «وهذا المعنى الذي نحا إليه ابن كثير رحمه الله مخالف لظاهر السياق؛ فلا يعوَّل عليه؛ وقد عرفت الانفكاك منه »[3].

---

(١) جامع البيان (٢/ ٣٦٤). تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٤٧)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٣٢) (بتصرف واختصار).

(٣) تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٣٠٨)

الترجيح:

فالراجح في الآية – والله أعلم – قول جمهور المفسرين، وأنّ الله تعالى إنّما دعا اليهود إلى تمنّي الموت بسبب مزاعمهم المتكررة وتزكيتهم لأنفسهم وأن الجنّة لهم خاصة، فدعاهم الله على لسان نبيه ﷺ لتمني الموت إن كانوا صادقين في دعاويهم.

ولم يكن ذلك عن طريق المباهلة؛ لمخالفة القول بذلك السّياق وظاهر اللفظ، وليس في الآية إشارة إلى طلب المباهلة كما جاء في آية آل عمران(١).

النتيجة:

صحّة كون الآيات سبباً في دعوة اليهود لتمنّي الموت، كما ذهب لذلك جمهور المفسّرين، **وذلك مما يساعد على** فهم الآية، وأنّ الدعوة لتمنّي الموت ليست من قبيل المباهلة كما مال إليه آخرون كما سبق، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٣٠٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١٥٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ البقرة: ٩٧

في هذه الآية يذكر الله نوعاً من أنواع قبائح اليهود ومنكرات أقوالهم وأفعالهم، وهو زعمهم أنّ جبريل عدو لهم، وأنّ ذلك هو الذي منعهم من الإيمان بالنبي ﷺ؛ فأمر الله ﷻ نبيّه بأن يقول لهم: إنّ جبريل هو الذي يُنزِّل القرآنَ عليّ من عند الله، مصدقاً لما تقدمه من الكتب، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة بالخير الدنيوي والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملائكته، فإن عداوقم لجبريل، لا لذاته بل لما يترل به من عند الله من الحق على رسل الله[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

قال الشيخ ثناء الله الهندي رحمه الله في تفسير قولــه: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ :« أي أقرأك، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ »[2].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: - في تفسير الآية -« ظاهر هذه الآية أنّ جبريــلَ ألقــى القرآن في قلب النبي ﷺ من غير سماع قراءة ونظيرها في ذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[3] الآية، ولكنه بيّنَ في مواضع أخر أنّ معنى ذلك أنّ الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه وذلك هو معنى تتريله على قلبه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[5] »[6].

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/٣٨٦-٣٨٧)، التفسير الكبير (٣/١٧٧)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٦٠).

(٢) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٢٦).

(٣) سورة الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) سورة القيامة: ١٥ - ١٩.

(٥) سورة طه: ١١٤.

(٦) أضواء البيان (١/٩٨).

وجه البيان:

هذا من تفسير معنى آية بآية أخرى؛ فقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ظاهره – كما قال الشيخ الأمين – أنّ جبريل عليه السلام ألقى القرآن[1] على قلب النبي ﷺ من غير سماع، فلما أخبر الله في الآيات المذكورة أنّ جبريل عليه السلام كان إذا جاء بالوحي، وشرع في تلاوته على النبي ﷺ، بادره النبي من الحرص قبل أن يفرغ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه، فأمره الله ﷻ بالاستماع له، وتكفل له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لقراءته على الوجه الذي ألقاه إليه[2]، قال الراوي: « فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه »[3].

فعُلم من هذا أنّ المراد بتنْزيل جبريل القرآنَ، أو نزوله به على قلب النبي ﷺ: قراءته له، فتصل معانيه إلى قلبه، فيثبته الله به.

ولا أعلم في تفسير الآية بهذا المعنى خلافاً بين المفسرين.

ولعلّ تخصيص القلب بالذكر: أنّ من أسباب نزول القرآن على النبي ﷺ تثبيت قلبه به، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[4]؛ لذ قال ابن

---

(١) لأنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ عائد على جبريل، وفي قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ على القرآن، أي فإنّ جبريل نزل القرآن على قلبك بإذن الله، وأعاد الضمير إلى القرآن وإن لم يسبق ذكره، فخامة لشانه، فجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته. الكشاف (١/١٩٥).

وقيل: الضمير في ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ عائد على الله، وفي ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ عائد على جبريل، والتقدير: فإن الله نزل جبريل بالقرآن على قلبك. حكى الوجهين جمع من المفسرين دون ترجيح، انظر: المحرر الوجيز (١/١٨٣)، التفسير الكبير (٣/١٧٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٦).

والأول هو الصحيح والراجح؛ لدلالة المعنى عليه في الآية، ولموافقته لنظير الآية قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾. انظر: البحر المحيط (١/٤٨٩)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/٢٥٩-٢٦٠)، ولذا اقتصر عليه الطبري و لم يحك غيره، انظر: جامع البيان (٢/٣٩٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٣١٩)، (٨/٢٧٨)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٥١٤، ٨٩٩).

(٣) من حديث سبب نزول آيات سورة القيامة عن ابن عباس، في صحيح البخاري كتاب الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث رقم (٥)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة) حديث رقم (٤٤٨).

(٤) سورة الفرقان: ٣٢.

عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: « فإنّ جبريل نزل القرآن بأمر الله يَشُدُّ به فؤادك ويربط به على قلبك »[1]، وقال بعض المفسرين: خص القلب بالذكر؛ لأنّه محل الحفظ والعقل والعلم وتلقي المعارف[2]، والعلم عند الله تعالى.

❁❁❁◈◈◈

(١) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (٢/٣٨٧)، من طريق أبي روق عن الضحاك، و أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/٢٦٩٠) نحوه من نفس الطريق، لكن في تفسير آية الفرقان؛ لذا عزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٤٨١).
وقال مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٦٦): « تلاه عليك ليثبت به فؤادك ».
(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/١٨٣)، البحر المحيط (١/٤٨٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٨٥)، الجواهر الحسان (١/٩١)، اللباب في علوم الكتاب (٢/٣١٢-٣١٣)، روح البيان (١/١٤٩)، التحرير والتنوير (١/٦٢٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ البقرة: ١٠٠ - ١٠١

يذكر الحق تعالى في هاتين الآيتين نوعاً من قبائح اليهود، ويكشف سمةً من سماتهم، وهو نقضهم العهود والمواثيق، فهم لا يثبتون على عهد، ولا يحفظون ميثاقاً، فما من عهد يقطعونه على أنفسهم حتى تَنِدَّ منهم فرقة فتنقض ما أبرموا، حتّى صار ذلك عادةً لهم وسجيّةً، وقد أخلفوا ميثاقهم مع الله، ونبذوا عهودهم مع أنبيائهم من بعد.

ومن ذلك ما نقضوه من الميثاق الذي أخذه الله عليهم من الإيمان بمحمد ﷺ وتصديقه واتباعه[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

ورد لفظ (فريق) في موضعين من هاتين الآيتين: في قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾، وقوله في الآية الثانية: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾.

قال أهل اللغة والتفسير: الفريق: الطائفة والجماعة من الشّيء[2]، قالوا: وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، ويقع على اليسير والكثير من الجمع[3].

ولما كان اسم الفريق ينطلق على القليل والكثير، احتمل أن يكون النابذون قليلاً أو كثيراً، فبيّن في آيات من القرآن الكريم أنهم كثيرون.

فحمل جمع من المفسِّرين ذلك في الآية الأولى على ما خُتِمَت به الآية نفسُها من قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٢٣٨)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٥)، في ظلال القرآن (١/ ٦٧).

(٢) المحيط في اللغة (١/٤٧٢)، مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١٨٨) لسان العرب (١٠/ ٢٩٩).

(٣) المحرر الوجيز (١/ ١٢٤)، البحر المحيط (١/ ٤٢٢)، وانظر: جامع البيان (٢/ ٤٠٢).

قال ابن عطيّة رحمه الله: « ولذلك فسّرت كثرة النابذين بقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ لما احتمل الفريق أن يكون الأقل »[1].

وقال الرازي رحمه الله: « ثم لما كان يجوز أن يظن أن ذلك الفريق هم الأقلون بيّنَ أنهم الأكثرون فقال: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ »[2].

وقال أبو حيان رحمه الله: « ولما كان الفريق ينطلق على القليل والكثير، وأسند النبذ إليه، كان فيما يتبادر إليه الذهن أنه يحتمل أن يكون النابذون قليلاً، فبين أن النابذين هم الأكثر، وصار ذكر الأكثر دليلاً على أن الفريق هنا لا يراد به اليسير منهم، فكان هذا إضراباً عما يحتمله لفظ الفريق من دلالته على القليل »[3].

وذكر مثل هذا كلّ من البيضاوي، والخطيب الشربيني، وأبو السُّعود، وابن عجيبة، والآلوسي، وابن عاشور[4].

وحمل آخرون ما ورد في الآية الثانية على قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[5].

قال الشنقيطي رحمه الله - عند تفسير الآية الثانية -: « ذكر في هذه الآية الكريمة أنّ كثيراً من اليهود نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولم يؤمنوا به، وبيّن في موضع آخر أن هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالكتاب هم الأكثر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ »[6].

---

(١) المحرر الوجيز (١/١٢٤)

(٢) التفسير الكبير (٢/ ٢٣٨)، وانظر: اللباب (١/ ٤٨٩).

(٣) البحر المحيط (١/ ٤٢٢).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٦٩)، السراج المنير (١/١٧٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٣٥)، البحر المديد (١/٧٩) روح المعاني (١/٤٣٤) التحرير والتنوير (١/ ٣٥٩).

(٥) سورة آل عمران: ١١٠

(٦) أضواء البيان (٣/ ٩٩).

ووجه البيان: ما تقدّمت الإشارة إليه من أنّ لفظ الفريق في الموضعين يحتمل أن يكون النابذون قليلاً، أو كثيراً، فبينت الآيات المذكورة أن النابذين هم الأكثر؛ لأنّ الله نصّ في ختام الآية الأولى على أنّ أكثر هؤلاء لا يؤمنون، كما نصّت الآية الثاني (آية المائدة) على أنّ أهل الكتاب فرقتان منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، فدلّ ذلك على أنّ الناقضين هم الأكثر؛ لأنّ الأكثر من اليهود الذين لا يؤمنون والذين هم فاسقون.

وبذلك يصح بيان الاحتمال الواقع في لفظة (فريق)، على أنّ النابذون هم الأكثر لا الأقلّ. بما ورد في ختام الآية الأولى، وبآية المائدة، **حملاً للمحتمل على الواضح**، والله تعالى أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ البقرة: ١٠٦

يردُّ الله تعالى في هذه الآية على الطّاعنين في تشريعاته الحكيمة، الذين كانوا يطعنون في النّسخ ويقولون: ما بال هذا النبي يأمر قومه بأمر ثم يبدّله بعد ذلك، فردّ الله عليهم بأنه ما ينسخ من حُكْمٍ في آية أو ينسها العباد؛ فيزيلها من قلوبهم، إلاّ جاء بما هو خير منه، وذلك لمصلحة الناس وللتّسهيل عليهم، فهو تعالى يتصرف فينسخ ويبقي ويأتي بخير مما نسخ أو بمثله بحسب حاجة الأمة، فسبحانه من إله قدير حكيم: ينسي ما يشاء وينسخ ما يريد(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

استشهد بعض المفسرين عند تفسير هذه الآية بآيات من القرآن الكريم:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٣).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ثم قال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾(٤)، وقال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾(٥).

ووجه الارتباط بين الآية وهاتين الآيتين:

بعد التأمل وطول النظر ظهر لي في وجه الاستشهاد بهاتين الآيتين وربط ابن عباس بينها وجهان:

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٦١)، تيسير التفسير (١/ ١١٠)، أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٤٦).

(٢) سورة النحل: ١٠١

(٣) سورة الرعد: ٣٩

(٤) سورة النحل: ١٠١

(٥) أخرجه عنه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٥٦) معزوا إلى أبي داود في ناسخه.

الوجه الأول: أنّ النسخ يأتي في اللغة والقرآن بثلاث إطلاقات[1]:

١- الرفع والإزالة والإبطال، من غير تعويض شيء عن المنسوخ، ومنه: (نسخت الريح الآثار)، إذا أزالتها فلم يبق منها عوض ولا حلت الريح محل الآثار.

وجاء النسخ بهذا المعنى في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[2].

٢- التحويل والتبديل، أي: يكون النسخ بمعنى الإزالة وحلول المزيل محل المزال، كقولهم (نسخت الشمس الظل) إذا أزالته وحلت محله، وهذا المعنى هو الذي جاء النسخ به في معناه الشرعيّ.

٣- النقل أو ما يشبه النقل[3]، ومنه (نسخت الكتاب) أي نقلت ما فيه إلى كتاب آخر، وفي هذا المعنى لم يغير المنسوخ منه وإنما صار نظيراً له أي نسخة ثانية منه.

وجاء النسخ بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ وارد في المعنى الثاني، والآيتان اللتان أوردهما ابن عباس تؤيدان ذلك وأنه هو المراد؛ إذ عبر في آية النحل بـ: **تبديل آية بآية أخرى،** وعبّرت آية الرعد بـ: **محو الأولى وإثبات الثانية.**

الوجه الثاني: دلالة الآيات على إثبات النسخ:

فقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ لا تدل على حصول النسخ، بل على أنه متى حصل النسخ وجب أن يأتي بما هو خير مما نسخ أو

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٢٤)، لسان العرب (٣/٦١)، الإحكام في أصول القرآن (١/٢٨٠)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/٤٩)، مذكرة أصول الفقه ص (٩٧)، مجلة البحوث الإسلامية (العدد ٢٩/ صـ ٢١٠-٢١٢).

(٢) سورة الحج: ٥٢.

(٣) أكثر العلماء عبروا بالنقل، وعبر ابن قدامة بـ " ما يشبه النقل "، قال الشنقيطي: « لأنه ليس نقلاً حقيقياً لأن ما في الكتاب المنقول منه لم ينقل بالكلية وانما نقلت صورته منه في الكتاب الثاني ». مذكرة أصول الفقه (صـ٩٧).

(٤) سورة الجاثية: ٢٩ .

(٥) سورة الأعراف: ١٥٤.

بمثله؛ لأنّ " ما " فيها تفيد الشرط والجزاء كقولك من جاءك فأكرمه؛ فإنه لا يدل على حصول المجيء بل على أنه متى حصل المجيء وجب الإكرام[1].

فتكون الآيتان اللتان أوردهما ابن عباس في تفسير الآية أقوى في إثبات النسخ.

وعل أية حال فليست الآيتان مفسِّرةً لآية البقرة هذه، وإنما هما مشتركتان معها في المعنى والموضوع، فقد يكون من تفسير القرآن بالقرآن على مصطلحه الواسع، والعلم عند الله تعالى.

(١) التفسير الكبير (٢٠٧/٣) (بتصرف).

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾البقرة: ١٠٨

ينكر الله تعالى في هذه الآية على من كانوا يكثرون السؤال على النبي ﷺ على وجه التعنت والاقتراح، كما كان بنو إسرائيل تورد الأسئلة على رسولهم موسى عليه السلام، وأخبر أنّ من فعل ذلك قد يصاب بزيغ القلب فيكفر، ويضلّ ضلالاً مبيناً[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

قوله تعالى في الآية ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ﴾، قال جمهور المعربين: الكاف في ﴿كَمَا﴾ في موضع نصب، صفة لمصدر محذوف، تقديره أي سؤالاً كما، وما مصدريّة، فالتقدير: كسؤال، وأجاز بعضهم: أن تكون ما موصولة بمعنى الذي، التقدير: الذي سُئِلَه موسى[(٢)]، فالمعنى: هل أو بل تريدون أن تسألوا رسولكم سؤالاً كسؤال قوم موسى له، أو كالذي سُئله موسى.

وقد أبهم الله هنا السؤال الذي سُئِله موسى عليه السلام، ونهى أتباع محمّد ﷺ عن مثله؛ فحمله جمهور المفسِّرين من السّلف والخلف على آي من الذكر الحكيم، جاءت فيها أسئلة لقوم موسى عليه السلام له، وهي: قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٤٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١٨٢).

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن (١٠٨/١) للإمام: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: د. حاتم صالح الضامن، التبيان في إعراب القرآن (٥٧/١)، لأبي البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء العكبري، دار إحياء الكتب العربية، ت: علي محمد البجاوى، البحر المحيط (٤٥٣/١)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٤٧٢/١).

(٣) سورة النساء: ١٥٣

(٤) سورة الأعراف: ١٣٨.

إلاّ أنّ أكثر المفسّرين اكتفوا بحمله على الآية الأولى، وذكر قلّة منهم الآية الثانية.

فممّن حمله على الآية الأولى قتادة رحمه الله فيما أخرجه عنه الطبري[1] في قولـــه: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾، وكان موسى يُسْأَلُ، فقيـــل له: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾.

ومجاهد رحمه الله فيما أخرجه عنه الطبري[2]، في قولــه: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾، أن يريهم الله جهرة.

كما أخرج مثل ذلك وابن أبي حاتم عن السُّديّ من طريق أسباط[3].

وقال مقاتل رحمه الله – في تفسير الآية -: « يعنى كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ »[4].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « والذي سئل موسى من قبل قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ »[5].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله عند تفسير الآية -: «لم يبيِّن هنا هذا الذي سئل موسى من قبل ما هو؟ ولكنه في موضع آخر، وذلك في قوله: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ »[6].

ومن الذين حملوها على الآيتين: الإمام أبو حيّان رحمه الله حيث يقول: « وسؤال قوم موسى عليه السلام هو قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾،﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾ »[7]، وأبو السُّـــعود

(١) في جامع البيان (٢/٤٩٠) مسنداً من طريق سعيد.

(٢) في جامع البيان (٢/ ٤٩٠) مسنداً عنه بسنده من طريق ابن أبي نجيح.

(٣) انظر: جامع البيان (٢/ ٤٩٠)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٩٥)

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٧٧).

(٥) زاد المسير (١/ ١٣٠)، وانظر أيضاً: الكشف والبيان (١/٢١٣)، المحرر الوجيز (١/١٣٦)، بحر العلوم (١/٩٧)، الجـــامع لأحكام القرآن (٢/٧٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٠٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٨٢)، السراج المنير (١/ ١٨٩)، البحر المديد (١/ ٨٩).

(٦) أضواء البيان (٣/ ٦١).

(٧) البحر المحيط (١/ ٤٥٣)، وانظر: الكشاف (١/ ١١٨).

حيث قال: - في تفسير الآية -: « أي سؤال مشبها بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ ،و﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، وغير ذلك »[(١)].

والعلاّمة العثيمين رحمه الله حيث قال: « قوله تعالى: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي كما سأل بنو إسرائيل موسى من قبل، كقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[(٢)]، وقولهم: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، وغير ذلك »[(٣)].

وحمله على الآية الثانية فقط الإمام النَّسفيُّ رحمه الله، حيث قال: « فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ »[(٤)]، وكذلك الشيخ ثناء الله الهندي رحمه الله[(٥)].

ووجه البيان: ما سبقت الإشارة إليه، من أن الله أبهم السؤال الذي سُئِله موسى رحمه الله، وأنكر على أتباع محمد ﷺ أن يسألوه مثله، وذكر في الآيتين المفسِّرتين أسئلةً سُئِلها موسى عليه السلام من قومه، فيحمل المبهم على المعيّن، وتفسَّر بها.

ولعلّ السرّ في اقتصار بعضهم على حملها على الآية الأولى: الشّبه بين السّياقين في الآيتين، في ذكر سؤال النّبيّ ﷺ وسؤال موسى عليه السلام.

و لم أطلع على أقوال أخرى عن المفسّرين في تعيين السؤال الذي سئله موسى غير ما تقدّم.

ولذلك يصح تعيين السُّؤال المبهم الذي سُئله موسى في الآية المفسَّرة بما جاء التصريح عنها من أسئلة سُئل عنها في الآيتين، والعلم عند الله.

❖❖❖✵✵✵

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٤٤).

(٢) سورة البقرة: ٥٥

(٣) تفسير القرآن للعثيمين (١/ ٣٥٤)، وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ١٨٢).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٦٤).

(٥) في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٢٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ البقرة: ١٠٩

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله - في تفسير هذه الآية -: « يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح »(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّر جماعة من المفسّرين قوله تعالى: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾، بآيات من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾(٤).

وحمل المفسّرون الآية على هذه الآيات على أحد وجهين:

الوجه الأوّل: البيان بالنسخ:

فقد ذهب جماعة من المفسّرين من السّلف والخلف إلى أنّ الأمر بالعفو والصّفح عنهم منسوخ بالأمر بقتالهم وإذلالهم.

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٢).

(٢) سورة التوبة: ٢٩.

(٣) سورة التوبة: ٥.

(٤) سورة الحشر: ٢ – ٣.

أخرج الطبري[1] بسنده عن ابن عبّاس في قوله: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾، ونسخ ذلك قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

وروي مثل ذلك عن قتادة[2].

وأخرج بسنده عن قتادة: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، فأتى الله بأمره فقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، حتى بلغ: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، أي: صغارا ونقمة لهم، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[3].

وروي مثل ذلك عن السدي[4].

وممّن قال بنسخ الآية بهاتين الآتين أو إحداهما: النحاس[5]، وابن سلامة[6]، وابن حزم[7]، وابن كثير[8].

---

(١) في جامع البيان (٥٠٣/٢) من طريق علي بن أبي طلحة، وقد ذكره ابن كثير في تفسيره، إلا أنه ذكر نسخ الآية بكلتا الآيتين، ثم قال: «وكذا قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي: إنها منسوخة بآية السيف، ويرشد إلى ذلك أيضًا قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾».

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٥٠٣/٢)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١٢٣/١) من طريق معمر.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٠٣/٢)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١٢٣/١)، من طريق سعيد وانظر: الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي (صـ٣٣)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ت: د. حاتم صالح الضامن.

(٤) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٠٣/٢) عنه من طريق أسباط، وأسنده السيوطي في الدر المنثور (٢٦٢/١) إلى ابن جرير والنحاس.

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ واختلاف العلماء في ذلك (١٠٦/١) لأبي جعفر النحاس، دراسة وتحقيق: د. سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة ــ بيروت (ط: ١) ١٤١٢هـ.

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقري (صـ٣٣)

وابن سلامة: هو: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، أبو القاسم، الضرير، المقرئ النحوي المفسر، من أهل بغداد. وبها وفاته. كانت له حلقة في جامع المنصور، توفي عام (٤١٠ هـ)، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٣٥١/٢)، بغية الوعاة (٣٢٣/٢).

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم (صـ٢١) لابن حزم

وابن حزم هو: الإمام العلامة الحافظ الفقيه المجتهد، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الظاهري، صاحب التصانيف، ولد بقرطبة (٣٨٤هـ)، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، توفي ليومين بقيا من شعبان سنة (٤٥٦هـ) انظر: وفيات الأعيان (٣٢٥/٣)، تذكرة الحفاظ (٢٢٧/٣).

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٨٣/١).

القول الآخر:

وقد ذهب جماعة من المفسّرين إلى أن الآية محكمة غير منسوخة(١).

قال ابن الجوزي رحمه الله: « واعلم أن تحقيق الكلام دون التحريف فيه أن يقال: إن هذه الآية ليست بمنسوخة؛ لأنه لم يأمر بالعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية وبين الغاية بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفاً لما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر، بل يكون الأوّل قد انقضت مدته بغايته والآخر محتاجاً إلى حكم آخر، وقد ذهب إلى ما قلته جماعة من فقهاء المفسرين وهو الصّحيح ... »(٢).

الوجه الثاني: تفسير الأمر المبهم هنا بالأمر المصرّح به في آيات أخرى، وهذا على قولين(٣):

١- أن يعيّن بالأمر بقتالهم، وإذلالهم بأخذ الجزية عنهم: فيكون الأمر واحد الأوامر، أي: الأمر الذي هو ضد النهي؛ ويكون هو المصرّح به في قوله: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾.

قال النّسفي: « حتى يأتي الله بأمره بالقتال »(٤).

٢- أن يعيّن بما ورد التصريح به في الآيات الدّالة على ما أوقع باليهود من القتل والتّشريد، فيكون الأمر واحد الأمور، كقوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾.

---

(١) انظر: نواسخ القرآن (٤٩/٢) أضواء البيان (١٠٠/١).

(٢) نواسخ القرآن (١/ ١٢٣)، وانظر: زاد المسير (١/ ١٣٢)، تفسير السراج المنير (١٩٠/١)، روح المعاني (٤٦٦/١)، قلائد المرجان في بيان الناسخ والنسوخ في القرآن (صـ٥٤).

(٣) انظر: روح المعاني (١/ ٤٦٥)، التحرير والتنوير (١/ ٣٨٦) أضواء البيان (٩٩/١-١٠٠) .

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٤/١)، وانظر مثل هذا الكلام في بحر العلوم للسمرقندي (٩٨/١)، تفسير الجلالين (صـ٢١).

وهذا الذي أشار إليه جمع من المفسِّرين، وإن لم يستدلّوا بالآية، قال مقاتل في تفسيره: « ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فأتى الله ﷻ بأمره فى أهل قريظة القتل والسبى، وفى أهل النضير الجلاء والنفى من منازلهم وجناتهم التى بالمدينة إلى أذرعات[1] وأريحا[2] من أرض الشام »[3].

وقال البغوي: «﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بعذابه: القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء والنفي لبني النضير »[4].

وقال الزمخشري: «﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم »[5].

ونصّ على مثل هذا ابن الجوزي، والقرطبي، والماوردي، والبيضاوي، والخازن[6].

---

(١) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، معجم البلدان (١/١٣٠)، وهو قرية من عمل حوران، داخل حدود الجمهورية السورية، قرب مدينة « درعة » شمالاً ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (صـ٢٢).

(٢) أريحا: مدينة قرب بيت المقدس، من أعمال الأردن بالغور، بينها وبين بيت المقدس خمسة فراسخ، معجم البلدان (٣/١١١).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٧٧)

(٤) معالم التنزيل (١/ ١٣٦)

(٥) الكشاف (١/ ١١٨)

(٦) زاد المسير (١/ ١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٧٣)، النكت والعيون (١/ ٨٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٨٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٨٣).

❖ أقوال أخرى في تعيين أمر الله الذي جعل إتيانه الغاية للعفو والصفح عن أهل الكتاب:

وقد وردت عن المفسّرين أقوال أخرى في تعيين أمر الله الذي جعل إتيانه الغاية للعفو والصفح عن أهل الكتاب[1]:

١- فقيل: آجال بني آدم.

٢- وقيل: القيامة، أو المجازاة يوم القيامة.

٣- وقيل: قوة الرسالة وكثرة الأمة.

وهذه الأقوال كلّها واردة في الاحتمال الثاني، وهو أن يكون الأمر واحد الأمور.

الترجيح:

والراجح من هذه الأوجه والأقوال في تفسير الآية هو الوجه الثاني، أي: تفسير الأمر المبهم في الآية بالأمر المصرّح به في الآيات الأخرى، سواء بالأمر بقتالهم، وإذلالهم بأخذ الجزية عنهم، أو بما وقع بهم من القتل والتّشريد.

النتيجة:

صحّة تفسير الآية وتعيين الأمر المبهم فيها بالأمر المصرّح به في الآيات الأخرى من الأمر بقتالهم – كما في آيتي التوبة –، أو بالأمر الذي وقع بهم من العذاب والنكال – كما في آية الحشر –، ولا يصحّ القول بنسخها بالآيات الأخرى لما تقدّم، ولأنّه إنّما يعدل إلى النسخ عند عدم إمكان الجمع، فالجمع أولى من الترجيح.

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٢٨٤) تفسير البحر المحيط (١/ ٤٥٦)

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ البقرة: ١١٤

في هذه الآية إنذار كبير، وتحذير مخيف، لكلّ من يمنع أحداً من عبادة الله، أو يصدُّ الناس عن دخول المساجد لأداء عباداتهم، أو من يسعى في خرابها حسّاً أو معنىً[(١)]؛ فأخبر الله أنه قد حرّم عليهم دخول هذه المساجد، إلاّ على خوف ووجلٍ من العقوبة، وأوعدهم في الدنيا بالذلة والهوان، وفي الآخرة بعذاب جهنم، وهو العذاب العظيم[(٢)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أبهم الله في الآية المَعْنِيِّينَ بالوعيد والمسجد الذي منعوا ذكر الله فيه؛ فاختلف أهل التأويل في تعيين ذلك على قولين، حملت الآية في كل منهما على آيات من القرآن الكريم[(٣)].

القول الأول: أنهم مشركو قريش؛ إذ منعوا رسول الله ﷺ من المسجد الحرام، وفسرت الآية – على هذا القول – بقوله تعالى[(٤)]: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[(٧)].

---

(١) تيسير التفسير (صـ ١١٤) (بتصرف يسير)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٦٣).

(٢) جامع البيان (٢/ ٥٢٣- ٥٢٥) (بتصرف)

(٣) ذكر الشيخ الشنقيطي آية سورة الفتح عند القول الأول بقوله: « وهذا يبينه ويشهد له ...»، وذكر مثل ذلك عند إيراده آية الإسراء عند القول الثاني. انظر ذلك في أضواء البيان (١/ ١٠٠).

(٤) استشهد بالآيتين الأولين على هذا القول الرازي في تفسيره (٢/ ٢٩٣)، واستشهد بالآيات الثلاث كلها الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٨٨).

(٥) سورة الفتح: ٢٥

(٦) سورة الأنفال: ٣٤.

(٧) سورة التوبة: ١٧ – ١٨.

ووجه البيان: أنّ الله تعالى أخبر في الآيتين[(١)] عن كفّار قريش أنهم صدّوا المؤمنين من المسجد الحرام، فيكونوا هم المعنيين بالوعيد الذي ذكره الله في هذه الآية في حقّ الصّادّين عن مساجد الله، وعلى هذا يكون الخراب معنويّاً، وهو خراب المساجد بمنع العبادة فيها؛ لأنّ المشركين لم يسعوا في خراب وهدم المسجد الحرام[(٢)].

وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[(٣)]، وعبد الرحمن بن زيد[(٤)]، ورجّحه ابن كثير[(٥)]، وابن عاشور[(٦)].

القول الثاني: أنهم النصارى[(٧)]؛ لأنهم سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بختنصر على ذلك، ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد منصرف بختنصر عنهم إلى بلاده[(٨)]، وحملت الآية - على هذا القول - على قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[(٩)].

ووجه البيان: أنّ المولى ﷻ أخبر عن ما يحدث لبني إسرائيل في المرّة الآخرة من مرّتي إفسادهم في الأرض، من الإهانة والقهر، ودخول العدو مسجد بيت المقدس، وتدميره وخرابه[(١٠)]، فيحمل الوعيد في آية البقرة عليهم، والخراب على هذا القول خرابٌ حسيّ[(١١)].

---

(١) أي آية سورة الفتح وآية الأنفال، ووجه دلالتهما على صد المشركين عن المسجد الحرام ظاهر.
أما الآية الثالثة فقد بيّن الحافظ ابن كثير وجه الاستشهاد به بقول: « فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ، فإذا كان من هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها، فأي خراب لها أعظم من ذلك؟ وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها، ورفعها عن الدنس والشرك ». تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٨).

(٢) انظر: أضواء البيان (١/ ١٠٠).

(٣) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢/٥٢٠) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٣٨٧)، لباب النزول (١/ ١٦).

(٤) كما أخرج ذلك الطبري (٢/٥٢٠) عنه من طريق ابن وهب، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٧).

(٥) ورجحه لأربعة أوجه، وهي في الإجابة على حجج الطبري، انظر: في تفسير القرآن العظيم له (١/٣٨٨).

(٦) في التحرير والتنوير (١/٣٩١).

(٧) وسمّاهم بعضهم بطيطوس الرومي وأصحابه من أهل الروم، انظر: معالم التنزيل (١/ ١٣٨).

(٨) جامع البيان (١٧/ ٣٨٨).

(٩) سورة الإسراء: ٧

(١٠) انظر: جامع البيان (١٧/ ٣٨٨)، أيسر التفاسير (٢/ ٣٣٤).

(١١) انظر: أضواء البيان (١/ ١٠٠).

وهذا القول مرويّ عن ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، عن قتادة[٣]، والسدّي[٤]، وهو قول مقاتل[٥]، والواحدي[٦]، والخازن[٧]، ومال إليه الزمخشريّ[٨]، ورجحه الطبري[٩].

وحمل الآية على هذه الآيات ليست من باب تخصيص الآية بها، وإنما هو من قبيل التمثيل بمن منع الناس مساجد الله أو سعى في تخريبها؛ « فإنّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾، خطابٌ لا يرمي إلى تعيين الأشخاص أو الأمكنة أو الأزمنة، وإنما يتناول وعيداً شديداً لكل من تحدثه نفسه بتخريب المعابد في أي زمان أو مكان[١٠]؛ فيبقى اللفظ على عمومه ليشمل كلّ مخرب لمسجد أو مانع من العبادة فيه – كما سيأتي في الترجيح –.

---

(١) كما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٥٢٠) بسنده من طريق العوفي، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٨٧).

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٥٢٠) بسنده من طريق ابن أبي نجيح

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٥٢٠) بسنده من طريق معمر، ومن طريق سعيد.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٥٢٠) من طريق أسباط.

(٥) انظر: تفسيره (١/ ٨٠).

(٦) انظر: الوجيز له (١/ ١٢٦). والواحدي هو: علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، إمام مفسر علامة، كان واحد عصره في التفسير فقيهاً إماماً في النحو واللغة، له مؤلفات عديدة في تفسير القرآن، توفي سنة (٤٦٨هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٣/٣٠٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٥/٢٤٠) تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، ط ٢، ١٤١٣هـ، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٧) انظر: تفسيره (١/ ٨٥).

(٨) انظر: الكشاف (١/ ١٢٠).

(٩) رجحه لوجهين: كون مشركي قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام، وسياق الآيات السابقة للآية، والتالية لها، والتي كانت جميعها خبراً عن اليهود والنصارى وذم أفعالهم.
٢- سياق الآيات ، والخبر عن افترائهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر، ولا للمسجد الحرام قبلها، حتّى يوجّه الخبر في هذه الآية إليهم وإلى المسجد الحرام.
وهذا الوجه الأخير هو الذي شبث به العلاّمة أحمد شاكر، ودافع به عن الطبري ضدّ ابن كثير انظر تعليقه على ترجيح الطبري للآية.

(١٠) انظر: مباحث في علوم القرآن (صـ١٣٩-١٤٠)، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين – بيروت، ط٨، ١٩٧٤م.

الأقوال الأخرى في تعيين الذين عنوا بهذه الآية[1]:

وقد ورد عن المفسرين غير هذين القولين:

١- كالذي ذكره الرازي وغيره: أنه لما حولت القبلة إلى الكعبة شقّ ذلك على اليهود فكانوا يمنعون الناس عن الصلاة عند توجههم إلى الكعبة، ولعلهم سعوا أيضاً في تخريب الكعبة بأن حملوا بعض الكفار على تخريبها، وسعوا أيضاً في تخريب مسجد الرسول ﷺ لئلا يصلوا فيه متوجهين إلى القبلة، فعابهم الله بذلك وبين سوء طريقتهم فيه، ونصر الرازي هذا القول[2].

٢- القول بالعموم، بأن تكون الآية عامة لكلّ مخرب لمسجد حسياً أو معنوياً ولكل مانع من العبادة فيه، قال ابن العربي[3] رحمه الله: « الرابع: أنه كل مسجد؛ وهو الصحيح؛ لأن اللّفظ عام ورد بصيغة الجمع؛ فتخصيصه ببعض المساجد أو بعض الأزمنة محال[4].

---

(١) انظر هذه الأقوال والقولين السابقين في: النكت والعيون (١/ ٨٣)، المحرر الوجيز (١/١٤١)، التفسير الكبير (٢/٢٩٣)، زاد المسير (١/١٣٤)، البحر المحيط (١/٤٦٥).

(٢) لأنّه – على رأيه – أقرب إلى رعاية النظم، فإنّ الله تعالى لم يذكر في الآيات السابقة على هذه الآية إلا قبائح أفعال اليهود والنصارى، وذكر أيضاً بعدها قبائح أفعالهم فكيف يليق بهذه الآية الواحدة أن يكون المراد منها قبائح أفعال المشركين في صدهم الرسول عن المسجد الحرام.

(٣) هو: الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، برع في فنون العلم، وكان فقيهاً عالماً، زاهداً عابداً، فصيحاً بليغاً خطيباً، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٥٤٣هـ) انظر: البداية والنهاية (١٦/٣٦١) للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ. طبقات المفسرين للسيوطي (صـ ١٠٥).

(٤) أحكام القرآن له (١/ ٥٦)، وذكر مثله القرطبي، في: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٧٧).

الترجيح:

والراجح – والله أعلم – هو القول الأخير، أي: عموم الآية لكلّ من يمنع ذكر الله في المساجد، أو يسعى في خرابها، كما هو مذهب جماعة من أهل التفسير، وإن ذهبوا إلى أنّ الآية نزلت لسبب خاص، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[1].

النتيجة:

يصحّ حمل الآية على الآيات المذكورة في تعيين الذين منعوا ذكر الله في مساجده من باب التمثيل، لا من باب التخصيص؛ لما تقدّم من أنّ الآية تهديد ووعيد لكلّ من يصدّ عن ذكر الله أو يسعى في تخريب المساجد حسّاً أو معنًى، فيبقى اللفظ على عمومه ليشمل كلّ مخرب لمسجد أو مانع من العبادة فيه، دون تخصيصه بزمن أو مكان، ولا شك أنّ من ذكر القرآن صدّهم عن مساجد الله، وسعيهم في تخريبها حسّاً أو معنًى – كالنصارى والمشركين – يدخلون في حكم ذلك دخولاً أوليّاً[2]، والله أعلم.

❖❖❖

---

(١) وقد أشار إلى ذلك الطبري، وابن عطية، وأبو حيان، وابن عجيبة، والبيضاوي، والشربيني، وأبو السعود، والآلوسي، وسيد طنطاوي، انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٤١)، البحر المحيط (١/ ٤٦٥)، البحر المديد (١/ ٩٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٨٥)، السراج المنير (١/ ١٩٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٤٩)، روح المعاني (١/ ٤٧٥)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١٩١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٣٩٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ البقرة: ١١٥

قال الطبريّ رحمه الله: « معنى الآية: ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب يتعبدهم بما شاء، ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته، فولوا وجوهكم - أيها المؤمنون - نحو وجهي، فإنكم أينما تولوا وجوهكم فهنالك وجهي »[(١)].

❖تفسير القرآن بالقرآن:

حمل جمع من أهل التفسير قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ على قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[(٣)]، على أنّها ناسخة لها.

رُوِيَ ذلك عن ابن عباس[(٤)]، وقتادة[(٥)]، قال أبو محمد بن أبي حاتم: « وروي عن أبي العالية، والحسن، وعطاء الخراساني، وعكرمة، وقتادة، والسدي، وزيد بن أسلم نحو ذلك »[(٦)].

وقال بالنسخ هنا: هبة الله ابن سلامة[(٧)]، والحافظ ابن كثير[(٨)]، ومرعي الكرمي[(٩)].

---

(١) جامع البيان (٢/ ٥٣٣).

(٢) سورة البقرة: ١٤٤.

(٣) سورة البقرة: ١٤٩، ١٥٠.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢/٥٢٧) من طريق علي ابن أبي طلحة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٨/١) وأبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب الناسخ والمنسوخ، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ١٣٤)، من طريق عطاء، وحكاه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ١٣٣)، عن عكرمة عن ابن عباس.

(٥) فيما أخرجه الطبري (٢/ ٥٢٩) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ١٣٥) مسنداً عنه من طرق عديدة.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٠٨).

(٧) في الناسخ والمنسوخ له (صـ ٣٣).

(٨) في: تفسير القرآن العظيم (١/٣٩٠).

(٩) في: قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن (صـ ٥٥).

ومرعي الكرمي: هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء، له نحو من سبعين كتاباً، انظر: هدية العارفين (٢/٤٢٦)، الأعلام (٧/٢٠٣).

وجه النسخ: أنّ الآية الأولى دالة على جواز التوجه في الصلاة إلى أية جهة، ودلّت الآيات الأخرى على وجوب التوجه إلى جهة المسجد الحرام، فهي ناسخة لها رافعة لحكمها.

القول الآخر:

وقد ذهب جمع من المحققين إلى القول بعدم نسخ الآية؛ وذلك لوجوه:

الأوّل: أنّ قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، ليس فيه ما يدلّ على أنّ المراد به التوجه في حال الصلاة، حتّى يقال: إنها اقتضت جواز التوجه إلى أية جهة في حال الصّلاة[1].

الثاني: الاحتمال الواقع في الآية؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، محتمل: أن يراد به في حال السير في السفر في صلاة التطوع، وفي حال قتال العدو، كما يحتمل أن يراد به العموم أي: فأينما تولوا - من أرض الله فتكونوا بها - فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها، لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها[2].

فإذا كان كذلك ولم تقم حجة على أنّ المراد به التوجه في حال الصلاة - كما تقدّم -، لم يصحّ القول بالنسخ مع وجود الاحتمال والاختلاف[3].

الثالث: أنّ الظاهر من قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، الإخبار أن الإنسان أين تولىّ بوجهه فثم وجه الله، فلا يسوغ القول بالنسخ إلاّ بالقول بإضمار محذوف تقديره: (فولوا وجوهكم) في الصلاة أين شئتم ثم نسخ ذلك المقدر، وفي ذلك بعد[4].

وعلى القول بإحكام الآية فقد اختلف المفسّرون في تفسيرها وفي السبب الذي نزلت فيه على أقوال كثيرة أهمها[5]:

١- أنها في الضرورة، فيمن خفي عليه القبلة واشتبه ولم يعرف جهتها، ويدلّ على هذا ما روي عن عامر بن ربيعة في سبب نزول الآية[6].

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٥٣٤)، نواسخ القرآن (١/ ١٤٠).

(٢) جامع البيان (٢/ ٥٣٣)

(٣) انظر: جامع البيان (٢/ ٥٣٤)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٧٩).

(٤) انظر: نواسخ القرآن (١/ ١٤٠)

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٠٨)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٧٦/١)، النكت والعيون (٨٥/١)، نواسخ القرآن (١٢٨/١)، الجامع في أحكام القرآن (٢/ ٧٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٨٦/١)، البحر المحيط (٤٧٠/١).

(٦) قال: « كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة ، فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلي فيه، فلما أصبحنا، إذا نحن قد صلينا على غير القبلة؛ فقلنا: يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة . فأنزل الله ﷻ الآية. =

قال أبو حيان: « ولو صحّ ذلك، لم يعدل إلى سواه من هذه الأقوال المختلفة المضطربة »[1].

٢- أنها في صلاة التطوع للسائر حيث توجّه، وللخائف حيث تمكن من مشرق أو مغرب، ويدلّ على هذا عن ابن عمر[2].

ووصف النحاس هذا القول بأجلّ الأقوال، وأنّ عليه فقهاء الأمصار[3].

٣- أنها في استقبال الكعبة، والمعنى: حيثما كنتم من المشرق والمغرب، فأنتم قادرون على التوجه إلى الكعبة، حكي عن الحسن والضحاك[4]، وعلى هذا هي ناسخة لبيت المقدس[5].

٤- أنها نزلت في النجاشي لما مات وكان يصلّي إلى بيت المقدس، و لم يبلغه الناسخ إلى الكعبة[6]، فقالوا: لم يكن يصلي إلى قبلتنا، فالمعنى: إن النجاشي كان يقصد وجه الله وإن لم يبلغه التوجه إلى القبلة[7]، وروي ذلك عن قتادة[8]. واستغربه ابن كثير[9].

=

أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/٥٣١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢١١)، والترمذي في سننه (٥/٢٠٥)؛ والبيهقي في السنن الكبرى (٢/١٠)؛ وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٥٦٥) إلى هؤلاء وغيرهم. والحديث ضعفه الترمذي والحافظ ابن كثير في تفسيره (١/٣٩٣)، والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان.

(١) البحر المحيط (١/٥٣٠).

(٢) فيما رواه عنه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت) قال: كان رسول الله ﷺ يصلى وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته، حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٧٦).

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٧٦)، البحر المحيط (١/ ٥٣٠).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ١٤٢)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٧٦)، البحر المحيط (١/ ٥٣٠).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٢)،

(٧) المحرر الوجيز (١/١٤٢)

(٨) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/٥٣٢) من طريق هشام هشام بن معاذ عن أبيه عن قتادة.

(٩) في تفسير القرآن العظيم (١/٣٩٤).

٥- أنّ سبب نزولها أن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[(١)]، قالوا إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾، وروي عن ابن جبير، والمعنى ادعوا كيف شئتم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها فأينما تولوا فثم وجه الله يستجب لكم[(٢)].

٦- أنّ الآية عامة، وليس المراد بالصلاة وحدها، وإنما معنى الآية من أي وجه قصدتم الله، وعلى أي حال عبدتموه علم ذلك وأثابكم عليه[(٣)]، وحكي عن إبراهيم النخعي[(٤)].

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه – والعلم عند الله تعالى – ما روي عن ابن عمر في ذلك؛ لصحة الرواية بذلك، ولا ينافي ذلك ما يصح من الأقوال الأخرى في ذلك لأمور:

١- أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢- أنّ قول ابن عمر في الحديث: « وفيه أنزلت ...» ليس صريحاً في السببية، بل يمكن أن تكون الآية نزلت في معنى أعم، وإنما ذكرها شاهداً ودليلاً[(٥)].

ويؤيد ذلك ما تقدمت الإشارة إليه في كلام الطبري وغيره من احتمال لفظ الآية لجميع ما ذكر.

٣- أنّه لا مانع من تعدد الأسباب والنازل واحد، كما ذهب لذلك جمهور العلماء.

النتيجة: لم يصحّ القول بنسخ قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾، بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾؛ لما تقدّم من الأوجه، **فعليه لا يصحّ فيه القول بتفسير القرآن بالقرآن**، والله تعالى أعلم.

(١) سورة غافر: ٦٠

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٧٦).

(٣) نواسخ القرآن (١/ ١٢٨)

(٤) المحرر الوجيز (١/ ١٤٢)، البحر المحيط (١/ ٤٧٠).

(٥) انظر: كلام العلامة أحمد شاكر في تعليقه على حديث ابن عمر في جامع البيان (٢/ ٥٣٠).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ البقرة: ١١٦

في هذه الآية ينكر الله تعالى على من نسب إليه الولد، فكذّب قولهم، ونفى فريتهم، لأنّ له ما في السماوات والأرض، وجميع ما في الكون مسخر لأمره، ومن كان هذا شأنه فهو أرفع من أن يحتاج الى نسل أو يتخذ ولداً(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد حمل جمع غفير من المفسّرين الآية على آيات من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٢)، وقوله – حكاية عن المشركين -: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾(٣).

وقد نصّ على الآيات العلاّمة الشنقيطي(٤)، واقتصر على إيراد معناها دون لفظها الجمع الغفير من المفسّرين.

قال الزمخشري رحمه الله في تفسير الآية -:« يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله »(٥).

وقال السّمرقندي رحمه الله: « وذلك أن اليهود قالوا: عزير ابن الله ، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال بعض المشركين : الملائكة بنات الله »(٦).

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٥٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٨٥)، البحر المديد (١/٩٥).

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

(٣) سورة النحل: ٥٧.

(٤) في: أضواء البيان (١/ ١٠٠-١٠١).

(٥) الكشاف (١/ ١٢٣).

(٦) بحر العلوم (١/ ١٠٤).

وذكر مثل ذلك جمع من المفسرين(١).

ووجه البيان: أنّ الله حكى عن الفرق الثلاث زعمهم لله الولد، كما يدلّ عليه السياق(٢)، لكنّ الآية لم تفصّل الولد المزعوم من زاعميهم، وجاء ذلك مفصّلاً في الآيات الأخرى(٣).

ولا داعي لحكاية خلاف بين أهل التفسير في الزاعمين الولد لله(٤)؛ إذ الآية عامّة لجميع من حكي ذلك عنهم؛ لدلالة سياق الآيات على ذلك - كما سبق -، وتأييد ذلك بالآيات الأخرى التي حكت عن كلٍّ منهم هذا القول.

وقد استشهد الرازي، وابن كثير - عند تفسير الآية - بآيات كثيرة يجمعها مع هذه الآية الشبه في المعنى(٥)، وهو أنّ الله أنكر على من زعم الولد له، واحتج عليهم بهذه الحجة، وهو: أنّ كلّ ما في الكون عبد له مسخّر، فكيف يكون له ولد منهم، والولد إنما يكون متولدًا من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد.

وهذا - كما هو واضح - من جمع الآيات المتماثلة والشبيهة في معناها ومدلولها، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (١/ ٢٢٢)، معالم التنزيل (١/١٤١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٨٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٨٨)، السراج المنير (١/١٩٤)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٥٠)، التفسير الوسيط (١/١٩٤)، تسير التفسير (١/٦١)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٥٠).

(٢) لأنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ لما سبق ذكره من اليهود والنصارى والمشركين، عطفاً له على ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، وهذا رأي: الألوسي وابن عاشور، انظر: روح المعاني (١/٤٨٠)، التحرير والتنوير (١/٣٩٤).

أو عطفاً على قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ فقد سبق أنه عامّ لكلّ من منع مساجد الله وسعى في خرابها، وقد فعل ذلك كلّ من اليهود والنصارى والمشركين. وهذا رأي الطبري والرازي، انظر: جامع البيان (٢/٥٣٨)، التفسير الكبير (٢/٣٠٩).

(٣) انظر: أضواء البيان (٣/ ١٠٠).

(٤) انظر حكاية الخلاف في النكت والعيون (١/ ٨٦)، المحرر الوجيز (١/١٤٤)، زاد المسير (١/١٣٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٨٥)، البحر المحيط (١/٤٧٣) فتح القدير (١/ ٢٠٧).

(٥) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٣١٠)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ البقرة: ١٢١

هذا خبر عنْ أهلِ الكتاب الذين منّ الله عليهم بإيتاء الكتاب، فقرءوه واتبعوا ما فيه، وصدّقوا النبيّ محمداً ﷺ وآمنوا به لّما جاءهم، وآمنوا بما جاء به من عند الله، فأولئك هم السعداء من أهل الكتاب، ومن يكفر به فأولئك الذين خسروا في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

شبّه بعض المفسّرين من السّلف والخلف هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾(٢).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: « يتبعونه حق اتباعه، ثم قرأ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، يقول: اتّبعها »(٣).

وعن قيس بن سعد(٤): ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، قال: «يتبعونه حق اتباعه، ألم تر إلى قوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، يعني الشمس إذا تَبعها القمر»(٥).

وعن عكرمة في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، قال: يتبعونه حق اتباعه، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾، قال: إذا تبعها »(٦).

كما استشهد بها عليه الرازي، والشوكاني(٧).

---

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ٥٦٥)، تيسير الكريم الرحمن (صـــ٦٥).

(٢) سورة الشمس: ٢

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٨/١)، بسنده عنه من طريق عكرمة، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٤٠٣/١).

(٤) هو: قيس بن سعد المكى الحبشي مولى أم علقمة كنيته أبو عبد الله يروى عن عطاء ومجاهد وغيرهما، وكان يخلف عطاء بن أبي رباح في مجلسه وكان يتفقه بقوله ويفتي به، توفي سنة (١١٧هـــ)، انظر: الثقات لابن حبان (٣٢٨/٧)، تهذيب التهذيب (٩٣/٢٧).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٥٦٨/٢) مسنداً عنه.

(٦) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٥٦٩/٢).

(٧) انظر: التفسير الكبير (٢/ ٣٢٠)، فتح القدير (١/ ٢١٢).

ووجه الارتباط بين الآيتين:

أصل مادة (تلو) – كما يقول ابن فارس –: الاتباع[1]، إلاّ أنّ قوله تعالى في الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ يحتمل أن يراد به القراءة، فحملها هؤلاء الأئمة على قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ على أنّ المراد بـ (تلا) في الأولى الاتباع؛ استشهاداً بورود اللفظة بهذا المعنى في الآية الثانية من غير احتمال.

فمعنى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ يتبعونه حق اتباعه بامتثال الأمر والنهي[2].

فوجه الارتباط بين الآيتين: ورود مادة: (تلا) فيهما مراداً به الاتباع، الذي هو الأصل في استعماله.

وهذا من أمثلة ما تقدّم مراراً من إيراد الآيات التي وردت فيها اللفظة القرآنية، استشهاداً بها على معنىً من المعاني، وهو – كما تقدّم – من أمثلة تفسير القرآن بالقرآن على مصطلحه الواسع، الذي يشمل زيادة البيان والإيضاح؛ فالآية الثانية ليس فيها بيان للأولى، بل غاية ما في الأمر ورود لفظة (تلا) فيهما مراداً بها الاتباع.

وتفسير التلاوة بمعنى الاتباع في هذه الآية هو قول جمهور المفسّرين: فقد روي عن ابن عمر مرفوعاً[3]، وابن مسعود[4]، وابن عباس[5]، ومجاهد[6]، وغيرهم، ورجّحه الطبري؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك[7].

---

(١) قال في مقاييس اللغة (١/٣٥١) « التاء واللام والواو أصلٌ واحد، وهو الاتّباع، يقال: تَلَوْتُه إذا تَبِعْتَه، ومنه تلاوةُ القُرآن، لأنّه يُتْبِع آيةً بعد آية ».

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٤٨)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٧٦) للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ت: عبد الرزاق المهدي.

(٣) ذكره القرطبيُّ عن نصر بن عيسى عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ ثمّ قال: « في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذكر الخطيب أبو بكر أحمد، إلا أن معناه صحيح »، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٤٠٤).

(٤) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/٥٦٩) عنه من طرق، بألفاظ متقاربة.

(٥) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/٥٦٩) بسنده عن داود، عن عكرمة، ومن طريق السدي، عن أبي مالك، قال: يحلّون حلاله ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه.

(٦) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/٥٦٩) عنه من طرق، بألفاظ متقاربة.

(٧) انظر: جامع البيان (٢/٥٦٩).

القول الآخر في معنى الآية:

وذهب آخرون إلى تفسيرها بالقراءة، والمعنى: يقرؤونه حقّ قراءته، إلاّ أنها — كما يصفها الآلوسي - « قراءة تأخذ بمجامع القلب فيراعى فيها ضبط اللّفظ والتأمّل في المعنى وحقّ الأمر والنهي »[١]، وهي بهذه الأوصاف قد تضمّن القول الأوّل؛ قال ابن عطيّة: - عن هذا المعنى -: « وهذا أيضاً يتضمن الاتباع والامتثال»[٢]، وكان القرطبي استبعد هذا المعنى « إلاّ أن يكون المعنى يرتّلون ألفاظه، ويفهمون معانيه، فإنّ بفهم المعاني يكون الاتباع لمن وُفِّقَ »[٣].

وعلى هذا فالأولى الجمع بين المعاني وحمل الآية عليها، قال العلاّمة العثيمين — رحمه الله -: « التلاوة: تطلق على تلاوة اللفظ وهي القراءة، وعلى تلاوة المعنى وهي التفسير، وعلى تلاوة الحكم وهي الاتّباع، هذه المعاني الثلاثة للتلاوة داخلة في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ »[٤].

النتيجة:

ما ورد من تشبيه قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ هو من قبيل الاستشهاد على معنىً من معاني المفردة القرآنية وإطلاقاتها المختلفة الواردة في آيات أخر، وهو من أوجه المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✸✸✸

(١) روح المعاني (١/ ٤٩٠)، وهذا المعنى هو الذي ذكره البيضاوي وأبو السُّعود وغيرهما من المفسّرين، انظر: أنوار التتزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٩٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٥٣).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٤٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٩٥).

(٤) تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٣٤)، وانظر: التفسير الكبير (٢/ ٣٢٠).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ البقرة: ١٢٤

يخبر تعالى عن عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، المتفق على إمامته وجلالته، أنّ الله ابتلاه وامتحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواهي، كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء والامتحان من الصادق الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره، ويزكو عمله، فأتمّ إبراهيمُ ما ابتلاه الله به، وأكمله ووفّاه، فشكر الله له ذلك، وجعله إماماً يقتدى به في الهدى، ويتأسّى به من أراد السّعادة الأبديّة[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تعيين الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم:

فقد أبهم الله تعالى الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم عليه السلام؛ فحملها بعض المفسّرين على الآيات التي جاءت بعدها لتكون من تفسير القرآن بالقرآن المتّصل.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: «فمنهن: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ومنهن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[٢]، ومنهن الآيات في شأن النسك، والمقام الذي جعل لإبراهيم، والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد ﷺ في ذريتهما عليهما السلام»[٣].

وعن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال، ابتلي بالآيات التي بعدها: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٦٥) (بتصرف واختصار).

(٢) سورة البقرة: ١٢٧

(٣) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (١١/٢)، بسنده من طريق العوفي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٨٠/١) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١١/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢١/١) من طريق ابن أبي نجيح، وفي بعض الألفاظ تفصيل لذلك.

وعن الربيع بن أنس رحمه الله في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فالكلمات: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ الآية[1]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية. قال: « فذلك كلّه من الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم »[2].

وعن السُّدي رحمه الله قال: « الكلمات التي ابتلى بهن إبراهيم ربُّه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3]، ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾[4] »[5].

ووجه البيان: أنّ الله أخبر في الآية أنه ابتلى إبراهيم عليه السلام بكلمات على الإجمال، وأخبر عنه أنه أتمّها، ثم عقّب ذلك بشرحها وتفصيلها، فما ذكره الله تعالى من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بإبعاث محمد صلى الله عليه وسلم، تكاليف شاقة وشديدة، يمكن أن تكون المراد بالكلمات التي ابْتُلِي بها إبراهيم عليه السلام[6].

إلاّ أنّ الخلاف في ظاهر اللفظ والسّياق هل يدلّ على تفسير الكلمات بما جاء ذكرها بعدها، أم لا؟

فافترق المفسِّرون في ذلك إلى فريقين:

– فريق يرى مناسبة السياق لذلك، كالطبريّ رحمه الله؛ حيث يقول: « ولو قال قائل في ذلك: إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والربيع بن أنس، أولى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم، كان مذهباً؛ لأن قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾، وسائر الآيات التي هي نظير ذلك، **كالبيان** عن الكلمات التي ذكر الله أنه ابتلي بهن إبراهيم »[7].

(١) سورة البقرة: ١٢٥

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١٢/٢) من طريق أبي جعفر الرازي عن أبيه.

(٣) سورة البقرة: ١٢٧

(٤) سورة البقرة: ١٢٩

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/ ١٤)، عنه من طريق أسباط.

(٦) التفسير الكبير (٢/ ٣٢٤) (بتصرف واختصار).

(٧)جامع البيان (١٧/٢).

والرازي رحمه الله حيث يقول: « فثبت أن الأمور المذكورة عقيب هذه الآية تكاليف شاقة شديدة، فأمكن أن يكون المراد من ابتلاء الله تعالى إياه بالكلمات هو ذلك، ثم الذي يدلُّ على أنَّ المراد ذلك أنه عَقَبه بذكره من غير فصل بحرف من حروف العطف، وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، بل قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ فدلّ هذا على أن ذلك الابتلاء ليس إلا التكليف بهذه الأمور المذكورة »[1].

والشوكاني رحمه الله حيث يقول: « وظاهر النظم القرآني أن الكلمات هي قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وما بعده **ويكون ذلك بياناً للكلمات** »[2].

وذهب إلى ذلك أيضاً البيضاوي[3]، وأجازه الزمخشري[4].

- **وذهب فريق من المفسّرين إلى عدم مناسبة السّياق لذلك**؛ قالوا لأنّ الله تعالى لو قال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ... ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، كان جائزاً أن تكون بياناً لها، إلاّ أنه ليس كذلك، بل ذكر قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ بعد قوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾، وهذا يدلّ على أنه تعالى امتحنه بالكلمات وأتمها إبراهيم، ثم أنه تعالى قال له بعد ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[5].

وهذا ما أشار إليه الحافظ ابن كثير بقوله: « **لأن السّياق يعطي غير ما قالوه** »[6].

وقال أبو السُّعود – بعد حكاية القول –: « ورد بأنه يأباه الفاء في فأتمّهن ثم الاستئناف »[7].

ويدلّ لهذا المعنى قول ابن القيّم: « وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ **فلما أتمّ ما أمر به من الكلمات جعله الله إماماً للخلائق يأتمون به** »[8].

---

(١) التفسير الكبير (٢/ ٣٢٤).

(٢) فتح القدير (١/ ٢١٥).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٩٤)

(٤) انظر: الكشاف (١/ ١٢٩).

(٥) نقله الرازي في تفسيره (٣٢٤/٢) عن القاضي، وأجاب عنه بما لا يغني.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤١٠/١).

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ١٥٥).

(٨) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (صـ ٢٧٤) تأليف الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزي، دار العروبة – الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، ت: شعيب الأرناؤوط – عبد =

الأقوال الأخرى في المراد بالكلمات التي ابتلى بها إبراهيم ربُّه:

لم يصحَّ في تعيين الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا جاء ذلك من طريق تقوم بها الحجة[1]، فتنوّعت أقوال أهل التّفسير من السّلف والخلف في تعيينها، ومن أهمها[2]:

١- أنها العشرة التي من الفطرة: المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، والفرق، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وحلق العانة، والاستطابة، والختان، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[3]، وهو قول قتادة[4].

٢- أنها عشر: وهي: حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقصُّ الشَّارب، وغسل يوم الجمعة، والطواف بالبيت، والسَّعي، ورمي الجمار، والإفاضة، وروي عن ابن عباس أيضاً[5].

٣- أنها ثلاثون سهماً من خصال الإسلام، لم يتم ذلك أحد إلا إبراهيم، وهي عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ الآية[6]، وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية[7]، وعشر في { قد أفلح } وفي المعارج، روي ذلك عن ابن عباس أيضاً[8].

=

القادر الأرناؤوط، التفسير القيم (٢/ ١٤٠)، ويفهم مثل هذا من كلام السمرقندي والجزائري، انظر: بحر العلوم (١/ ١٠٩)، أيسر التفاسير (١/ ٥٣).

(١) انظر: جامع البيان (٢/ ١٧)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٠٥)، البحر المحيط (١/ ٤٩٠)فتح القدير (١/ ٢١٥).

(٢) انظر: جامع البيان (٢/ ١٧)، التفسير الكبير (٢/ ٣٢٤)، زاد المسير (١/ ١٣٩)، البحر المحيط (١/ ٤٩٠)، السراج المنير (١/ ١٩٩)، فتح القدير (١/ ٢١٤).

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٧) بسنده عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه.

(٤) كما أخرج الطبريّ عنه ذلك (٢/ ٧) بسنده من طريق أبي هلال.

(٥) كما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٧) بسنده عن ابن هبيرة، عن حنش.

(٦) سورة التوبة: ١١٢

(٧) سورة الأحزاب: ٣٥

(٨) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/ ٧) بسنده من طرق عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة.

٤- أنها الخصال السِّتّ التي امْتُحِنَ بها: الكوكب، والقمر، والشمس، والنار، والهجرة، والختان، وقيل: بدل الهجرة الذبح لولده، رُوِي ذلك عن الحسن[(١)].

٥- أمره بمناسك الحج، كالطواف والسعي والرمي والإحرام، روي عن ابن عباس أيضاً[(٢)].

٦- أنها كلّ مسألة سألها إبراهيم في القرآن مثل: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[(٣)]، قاله مقاتل، ومثل بآيات من القرآن.[(٤)].

٧- هو أن الله أوحى إليه أن تطهر فتمضمض، ثم أن تطهر فاستنشق، ثم أن تطهر فاستاك، ثم أن تطهر فأخذ من شاربة، ثم أن تطهر ففرق شعره، ثم أن تطهر فاستنجى، ثم أن تطهر فحلق عانته، ثم أن تطهر فنتف إبطه، ثم أن تطهر فقلم أظفاره، ثم أن تطهر فأقبل على جسده ينظر ماذا يصنع، فاختتن بعد عشرين ومائة سنة، قال القاضي ابن عطية: « وهذا أقوى الأقوال في تفسير هذه الآية »[(٥)].

وذُكِرَ غيرُ هذه من الأقوال.

الترجيح:

الذي يظهر – والله أعلم – في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم فأتمهنّ: أن تكون شاملة لكلّ ما أمره به شرعاً أو قضاه عليه قدراً، فتبقى الآية على عمومه، ويكون كلّ قائل من أصحاب الأقوال المختلفة قد ذكر فرداً من أفراد العامّ المندرجة تحته، وهذا مذهب أكثر المفسّرين المحققين، وهو الذي اختاره الطبري[(٦)]، وارتضاه ابن كثير[(٧)].

---

(١) كما أخرج ذلك الطبريّ (٢/ ٧) عنه من طرق مختلفة.

(٢) في رواية قتادة عنه كما أخرج ذلك الطبري في تفسيره (٢/١٢-١٣) من طرق عديدة.

(٣) سورة البقرة: ١٢٦

(٤) تفسير مقاتل (١/ ٨٥)

(٥) المحرر الوجيز (١/ ١٩٢)

(٦) في جامع البيان (٢/١٦-١٧).

(٧) في تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٠)

قال أبو إسحاق الزّجاج رحمه الله: « وجميع هذه الخلال قد ابتلي به إبراهيم عليه السلام وقد وفى بما أمر به، وأتى بما يأتي به المؤمن بل البر المصطفى المختار »(١).

وقال أبو حيّان: رحمه الله « وهذه الأقوال ينبغي أن تحمل على أنّ كلّ قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله به إبراهيم، إذ كلها ابتلاه بها، ولا يحمل ذلك على الحصر في العدد، ولا على التعيين، لئلا يؤدّي ذلك إلى التناقض »(٢).

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: « اختلف المفسرون في هذه الكلمات؛ وأصحّ الأقوال فيها أنّ كلّ ما أمره به شرعاً، أو قضاه عليه قدراً، فهو كلمات... وكلُّ ما قدّره الله عليه مما يحتاج إلى صبر، ومصابرة، أو أمره به فهو داخل في قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾»(٣).

النتيجة:

لو صحّ احتمال السياق لكون الآيات التي جاءت بعد قوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ بياناً للكلمات، لصحّ تفسير القرآن بالقرآن فيه، وتعيين الكلمات المبهمة، بما ذكر في الآيات بعدها، ولكن لم يتبيّن لي شيء في الترجيح بين مذهب الفريقين في احتمال السياق لذلك أو عدم احتماله له، فأتوقّف، مع ترجيح ما تقدّم من شموليّة الآية لكلّ ما أمر الله به إبراهيم شرعاً، أو قضاه عليه قدراً، فيندرج في ذلك ما يصلح أن يندرج مما ذكر في الآيات بعدها، وما ذكر في الآثار، والله أعلم.

(١) معاني القرآن (١/ ٢٠٥)، وقد نقله عنه القرطبي وغيره بغير هذا اللفظ، انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٩٨)، فتح القدير (١/ ٢١٤).

(٢) البحر المحيط (١/ ٥٤٧)

(٣) تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٤١).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

هذا جواب من الله جلّ في علاه لسؤال إبراهيم عليه السلام أن يجعل من ذريته أئمّة مثله، فأخبر الله أنه فاعل ذلك إلا بمن كان من أهل الظلم منهم فإنهم لا ينالون تكرمته بالإمامة؛ لأنّ الإمامة إنما هي لأوليائه دون أعدائه[(١)].

وقد حمل بعض أهل التفسير هذا المقطع من الآية على آيتين من كتاب الله، وهما قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[(٣)].

فعن الربيع بن أنس رحمه الله قال: « قال الله لإبراهيم ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فقال فعهد الله الذي عهد إلى عباده دينه، يقول لا ينال دينه الظالمين ألا ترى أنه قال: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ يقول ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق »[(٤)].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يفهم من هذه الآية أن الله علم أن من ذرية إبراهيم ظالمين، وقد صرح تعالى في مواضع أخر بأن منهم ظالماً وغير ظالم، كقوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ وقوله: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ »[(٥)].

ووجه البيان والارتباط بين الآية وهاتين الآيتين:

١- في أثر الربيع بن أنس: أن الله تعالى لمّا أبهم في الآية عهده الذي لا ينال الظالمين ولم يبيّنه، واحتمل معانٍ عديدة، وقسّم الله ذريّة إبراهيم في آية الصافات إلى محسن وظالم، وذلك في الدين؛ فيحمل العهد المبهم هنا على أنه الدين؛ فينال المحسنين، ولا ينال الظالمين.

---

(١) جامع البيان (١/ ٥٣٠) بتصرف واختصار.

(٢) سورة الصافات: ١١٣

(٣) سورة الزخرف: ٢٨.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/ ٢٣) مسنداً عنه من طريق أبي جعفر الرازي، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٢٣) نحوه عن الربيع عن أبي العالية – من غير استشهاد بالآية – ثم قال: « وروى عن الربيع بن انس مثل ذلك ».

(٥) أضواء البيان (١/ ١٠١).

وتفسير العهد هنا بالدين حملاً للآية على الآية المذكورة فيه نظرٌ؛ لأمرين:

الأوّل: عدم مناسبة السياق له؛ فسياق الكلام في الآية في سؤال إبراهيم عليه السلام ربّه أن يجعل من ذريته أئمة، فاستجاب الله دعوته في ذريته إلاّ من ظلم منهم؛ فيكون المراد على ذلك بالعهد الذي لا ينال الظالمين الإمامة، - كما سيأتي -.

الثاني: عدم التناسب بين الآيتين؛ فالآية الأولى في دعوة إبراهيم عليه السلام للإمامة لذريّته، واستجابة الله له إلاّ لمن ظلم منهم، والآية الثاني في الإخبار أنّ ذرية إبراهيم على صنفين: محسن وظالم، فوجه الشبه بين الآيتين هو ما يأتي في قول الشنقيطي، ولا يظهر لي في الآية الثانية تفسير وتعيين للمراد بالعهد المبهم، والله أعلم.

الأقوال الأخرى في المراد بالعهد:

وقد وردت عن السلف أقوال عديدة في تعيين العهد الذي ذكر أنّه لا ينال الظالمين من ذريّة إبراهيم عليه السلام، ومن أهمها ما يأتي:

١- أنه عهد الإمامة، أي لا أجعل من كان من ذريتك ظالماً إماماً لعبادي يقتدي به، وهذا مرويّ عن مجاهد(١).

٢- أنه النبوة، أي لا ينال النبوة أهل الظلم والشرك، وروي ذلك عن السُّدي(٢).

٣- أنّ المعنى: لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه(٣)، وهذا مرويّ عن ابن عباس(٤).

٤- أنه الأمان، والمعنى: لا ينال أماني أعدائي وأهل الظلم لعبادي أي لا أؤمنهم من عذابي في الآخرة، وهذا مرويّ عن قتادة(٥).

٥- أنه الثواب، حكي عن قتادة أيضاً(٦).

---

(١) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢/٢٠-٢١) بأسانيده من طرق عديدة.

(٢) أخرجه عنه الطبري بسنده من طريق أسباط.

(٣) وجاء في رواية مجاهد عنه: ليس للظالمين عهد وإن عاهدته فانقضه.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري (٢/٢٢) بسنده من طرق.

(٥) كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢/٢٣) بسنده عنه من طريقي سعيد، ومعمر.

(٦) البحر المحيط (٢/ ٣).

الترجيح:

والراجح من الأقوال الواردة في المراد بالعهد – والعلم عند الله - أن يكون بمعنى الإمامة، ويدخل فيه النبوّة لأنّه من أعظم الإمامة.

قال أبو حيّان: « والظاهر من هذه الأقوال: أن العهد هي الإمامة، لأنها هي المصدر بها، فأعلم إبراهيم أن الإمامة لا تنال الظالمين »[1].

وهذا الذي مال إليه الطبري.

٢- أمّا رأي الشيخ الأمين الشنقيطي في وجه الارتباط بين الآية والآيتين:

فقد أوضحه بأنّ الآية المفسَّرة يفهم منه أن يكون من ذرية إبراهيم ظالمين[2]، وصرّح بذلك في الآيتين.

وبهذا لا يظهر في الآيتين بيانٌ للأولى، أو تفسير لها، غاية ما في الأمر أنّ الآيات الثلاث جاءت لتأكيد معنًى واحد، وبعض الآيات أصرح للموضوع من بعضها، وتعبير الشيخ الشنقيطي يدلّ على ذلك.

النتيجة: عدم صحّة تفسير العهد المبهم في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، بقوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾، وكون الآيتين في معنًى واحد وإيراد بعضها عند تفسير الأخرى من قبيل جمع الآيات المتشابهة في المعنى والموضوع، وهو من أوجه المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والله تعالى أعلم.

◈◈◈✸✸✸

(١) البحر المحيط (٢/ ٣).

(٢) وهذا المعنى في الآية ذكره الطبريّ أيضاً في تفسير الآية بقوله: « وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر خبر عن أنه لا ينال من ولد إبراهيم صلوات الله عليه عهد الله الذي هو النبوة والإمامة ... من كان منهم ظالما متعديا جائرا عن قصد سبيل الحق، فهو إعلام من الله تعالى ذكره لإبراهيم أن من ولده من يشرك به ويجور عن قصد السبيل ويظلم نفسه وعباده ». جامع البيان (١/ ٢٤) باختصار.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ البقرة: ١٢٦

يأمر الله تعالى – في هذه الآية الكريمة – نبيّه ﷺ أن يذكر دعوة إبراهيم عليه السلام، إذ دعا ربّه أن يجعل مكّة بلداً آمناً يأمن فيه أهله ومن دخله على نفسه وماله وعرضه، وأن يرزقهم من أنواع الثمرات، فدعا لهم بالأمن ورغد العيش(١).

وقيّد إبراهيم عليه السلام الدعاء بالرزق للمؤمنين، فأخبر الله أنه يرزقهم كلّهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر فيتمتع فيها قليلاً، ثم يلجئه الله إلى عذاب النار الغليظ(٢).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فسّر جمهور المفسّرين قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بما جاء بعده متصلاً به من قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: « وأما ﴿مَنْ﴾ من قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فإنه نصبٌ على الترجمة والبيان عن "الأهل" »(٣).

ووجه البيان: واضح وظاهر؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بدل البعض من الكلّ(٤)، وهو مخصّص لما دلّ عليه

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/١١٧)، أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٥٤)

(٢) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٦٦) (بتصرف واختصار).

(٣) جامع البيان (٢/ ٥٢)

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (سعيد بن مسعدة المجاشعي) (١/١١٤)، جمع وتحقيق: د. عبد الأمير محمد الورد ط ١. دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م. الكشاف (١/١٣١)، المحرر الوجيز (١/١٥٣)، التفسير الكبير (٢/٣٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١١٩)، وأجاز أبو حيّان أن يكون: بدل اشتمال، انظر: البحر المحيط (٢/ ٣).

المبدل منه، فخصّص ﷺ عموم أهل البلد الذي دعا بالرزق لهم بالمؤمنين منهم(1)، لكنّ الله تعالى برحمته وفضله أخبر أنه يرزق المؤمن والكافر؛ لأنّ الدنيا لا يعدل عنده جناح بعوضة، وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان(2).

وهذا تفسير صحيح، إذ هو من تخصيص العام، وهو ممّا اتّصل به بيانه وتفسيره(3)، ومثله لا يخفى.

وقد استشهد ابن عباس(4) رضي الله عنهما على المعنى الذي دلّت عليه الآية، بقوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾(5)؛ وذلك للمعنى الجامع بينهما؛ وهو تفضل الله بالرزق والعطاء – في الدار الدنيا – للمؤمنين والكفار على السواء.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله – بعد ما أورد هذا الأثر عن ابن عباس -:« وهذا كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾(6)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾(7)، وقوله: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ

---

(1) أشار كثير من المفسّرين إلى وجه تخصيص إبراهيم دعوته بالرزق للمؤمنين: بأنه ﷺ قاس الرزق على الإمامة؛ إذ لمّا أعلمه الله في الآية أنّ من ذريّته قوماً كفاراً في الآية السّابقة، خصّص المؤمنين بهذا الدعاء دون الكافرين تأدّباً مع الله، انظر: جامع البيان (٢/ ٥٢)، الكشاف (١/١٣١)، التفسير الكبير (٢/ ٣٤٤)، بحر العلوم (١/١١١)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٩٨)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٦٦).

(2) انظر: انظر: جامع البيان (٢/٥٢)، البحر المحيط (٢/ ٣)،روح المعاني (٢/ ٤)، التحرير والتنوير (١/ ٤١٠)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٢٠٦).

(3) لذا ذكره الدكتور: ملفي الصاعدي في بحثه الموسوم: ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم. صـ(٢٤).

(4) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم (١/ ٣٣٧)، بسنده عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٠٣) إلى الطبراني وابن مردويه.

(5) سورة الإسراء: ٢٠، وأوردها أيضاً الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٣٣).

(6) سورة يونس: ٦٩ - ٧٠

(7) سورة لقمان: ٢٣ - ٢٤

بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]»[2].

كما استشهد بقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[3]، على معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، للمعنى الجامع بينهما: وهو أنّ الله يمهل الظالم ولا يهمله، بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

وهذا كلّه من جمع الآيات الواردة في المعنى الواحد، وهو من المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والله تعالى أعلم.

❖❖❖

(١) سورة الزخرف: ٣٣ - ٣٥

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٦).

(٣) سورة الحج: ٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ البقرة: ١٢٨ - ١٢٩

هذه دعوة من الأدعية التي توجّه بها إبراهيم وإسماعيل إلى ربّهما وهما يرفعان القواعد من البيت، فسألاه أن يجعلهما مستسلمَيْن لأمره، خاضعيْن لطاعته، غير مشركيْن به أحداً، كما سألاه أن يجعل من ذريتهما أمّةً مسلمةً له، مؤمنةً به، موحدةً له، ومنقادة لأمره ونهيه، وأن يعلّمهما مناسك حج بيته العتيق، ويتوب عليهما(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عنيا بذريتهما في دعوهما: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾: **العرب، وبالرسول المبعوث فيهم في قولهما** ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ **محمد** ﷺ(٢).

وحملوا الآية في ذلك على الآية التي جاءت بعده مباشرة من قوله تعالى — في دعوهما — ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « والسِّياق إنما هو في العرب؛ ولهذا قال بعده: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ الآية، والمراد بذلك محمَّد ﷺ، وقد بعث فيهم، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

(١) انظر: جامع البيان (٣/ ٧٣)، أيسر التفاسير (١/ ٥٥)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٢٠٩)

(٢) كما أخرج ذلك الإمام الطبري (٣/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (١/ ٣٤٧) بسنديهما من طريق أسباط عن السدي، قال: « يعنيان العرب ».

(٣) سورة الجمعة: ٢

مِّنْهُمْ ﴾، ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1]، وغير ذلك من الأدلة القاطعة »[2].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾، لم يبين هنا من هذه الأمة التي أجاب الله بها دعاء نبيه إبراهيم وإسماعيل، و لم يبين هنا أيضاً هذا الرسول المسؤول بعثه فيهم من هو؟ **ولكنه يبين في سورة الجمعة أن تلك الأمة العرب، والرسول هو سيد الرسل محمد** ﷺ، وذلك في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ...»[3].

وقد استدل بالآية على هذا القول، جمع من المفسّرين[4].

وجه البيان: أنّ الله لما حكى في الآية الأولى دعوة خليله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له، و لم يبيّن فيها هذه الذريّة التي دعوا الله أن يجعل منها أمة مسلمةً، **ويحتمل أن يعنيا بذلك ذرية كلّ منهما؛ فيدخل فيه ذرّية إبراهيم من بني إسحاق[5]، أو ذريتهما كليهما[6]، فأزالت الآية الثانية وآية سورة الجمعة هذا الاحتمال، ودلّتا على أنّ المراد بالذرية هنا ذريتهما معاً، وهم العرب من بني إسماعيل؛**

---

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٤١).

(٣) أضواء البيان (١/).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٢/٣٥٢)، البحر المحيط (٢/ ٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٩٩)، اللباب في علوم الكتاب (٢/١٠٧)

(٥) وهذا الذي رجّحه الطبريّ، وقال إنه هو الظاهر، وسيأتي.

(٦) أي من هو من بني إسماعيل فقط، ويصدق عليه أنه من ذريتهما، وهذا الذي ذهب إليه ابن كثير وغيره؛ لدلالة السّياق- كما سيأتي -.

لأنّ المُعْنيَّ بالرسول – في دعوتهما – بالنص[١] والإجماع النبي محمد ﷺ، وأخبر الله في آية سورة الجمعة أنّه بعث في الأميين رسولاً منهم بصفات الرسول الواردة في آية البقرة، والمراد بالأميين فيها العرب إجماعاً، ولم يبعث رسول فيهم إلا نبينا محمد ﷺ.

فبيّنت الآيتان أنّ العرب هي المعنية بالأمة المسلمة، والرسول المبعوث فيها هو النبيّ محمّد ﷺ[٢].

وهذا ما أشار إليه مقاتل رحمه الله بقوله: « فاستجاب الله له فى سورة الجمعة، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ إلى آخر الآية »[٣].

القول الآخر في المعنيّ بذريتهما التي دعوا الله لهما:

وذهب جمع آخر من المفسّرين – على رأسهم إمام المفسّرين، ابن جرير الطبريّ – إلى حملها على عموم ذريّة إبراهيم، وعدم تخصيصها بالعرب؛ لأنّ من ذريّته العرب وغير العرب.

قال الطبريّ رحمه الله في معرض ردّه على أثر السّدي -: « وهذا قول يدلُّ ظاهر الكتاب على خلافه؛ لأنّ ظاهره يدلّ على أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته، والمستجيبين لأمره، وقد كان في ولد إبراهيم العرب وغير العرب، والمستجيب لأمر الله والخاضع له بالطاعة من الفريقين، فلا وجه لقول من قال: عنى إبراهيم بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم، إلا التحكم الذي لا يعجز عنه أحد »[٤].

---

(١) وهو ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ من طرق كثيرة أنّه قال: « أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ». أخرجه أحمد في المسند (٤/١٢٨، رقم ١٧٢٠٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٥٦، رقم ٤١٧٥) وقال: صحيح الإسناد، كما صححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٢٣) في بعض طرقه.

(٢) انظر: أضواء البيان (١/١٠١-١٠٢).

(٣) تفسير مقاتل (١/ ٨٨)، ونقله عنه السمرقندي في بحر العلوم (١/ ١١٣)، وذكر مثله الشيخ ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٣٣).

(٤) جامع البيان (٣/ ٧٤). ونصر ما ذهب إليه الطبري العلاّمة أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان، ودافع عنه رادًّا اعتراض ابن كثير على الطبري فيما ذهب إليه.

كما ردّه العلاّمة الآلوسي بقوله: « والمراد من الأمة الجماعة أو الجيل، وخصّها بعضهم بأمة محمد ﷺ وحمل التنكير على التنويع، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ﴾ الخ، ولا يخفى أنه صرف للفظ عن ظاهره واستدلال بما لا يدلّ»[1].

وضعّفه ابن عطيّة معلّلاً بأنّ دعوته ظهرت في العرب، وفيمن آمن من غيرهم[2].

الترجيح:

والراجح من القولين — والله أعلم — أنّ إبراهيم وإسماعيل عنيا بقولهما في دعوتهما ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: ذريتهما كلاهما، أي: من يصدق عليه أنه ذرية إبراهيم وإسماعيل، وهم العرب؛ لصحة تفسير القرآن بالقرآن فيه، بدلالة الآية التي بعدها في الدعاء في بعث رسول منهم، وهو الرسول محمّد ﷺ بنصّ الحديث الصحيح.

ولا ينفي ذلك كونه عليه الصلاة والسلام مرسلاً إلى كافة الخلق، جمعاً بين هذا وبين الأدلة الواردة في بعثه للناس أجمعين، كما أشار لذلك الحافظ ابن كثير في كلامه المنقول نصّه، والله تعالى أعلم.

النتيجة:

صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ بما جاء بعده من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، لإزالته الاحتمال الواقع في الذريّة بأن يراد به ذريّة كلّ منهما، أو ذريتهما معاً. والعلم عند الله تعالى.

وقد استشهد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمه الله في تفسير الحكمة في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾، بآيات من القرآن الكريم.

(١) روح المعاني (٢/ ٩).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١٥٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٢٦)، فتح القدير (١/ ٢٢١).

كما أخرج الطبري بسنده عنه من طريق ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: « "الحكمة": الدين الذي لا يعرفونه إلا به ﷺ، يعلمهم إياها، قال: و"الحكمة"، العقل في الدين وقرأ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، وقال لعيسى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[2]، قال: وقرأ ابن زيد: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[3]، قال: لم ينتفع بالآيات، حيث لم تكن معها حكمة. قال:"والحكمة" شيء يجعله الله في القلب، ينور له به ».

ولا يظهر لي في هذه الآيات ما يفسّر ويبيّن المراد بالحكمة في الآية، غاية ما في الأمر ورود لفظ الحكمة في الآيتين، وقد اختلف المفسّرون في تأويل الحكمة في جميع تلك الموارد، مما لا يمكن معه حمل اللفظ في مورد منها على مورد[4].

وكذلك الأمر في الآية الثالثة؛ فالظاهر أنّ ابن زيد أوردها هنا للاستشهاد، وليس لأنها تفسر الآية وتبيّنه، والعلم عند الله.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢) سورة آل عمران: ٤٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٥.

(٤) انظر اختلاف المفسّرين في تفسير الحكمة في: جامع البيان (٥/ ٥٧٦)، النكت والعيون (١/٩٥)، المحرر الوجيز (١/ ١٥٥)، (١/٣٣٥)، معالم التنزيل (١/١٥٢)، زاد المسير (١/١٢٥)، البحر المحيط (٣/ ٢٤٩) روح المعاني (٣/٤٦)، فتح القدير (١/ ١٨٤).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠

هذا استفهام إنكاري[١] على من يرغب عن ملة إبراهيم ودينه ومنهجه، والمعنى: لا أحد يكره ملة إبراهيم وينصرف عنها إلا من امتهن نفسه، واستخف بها وظلمها بترك سبيل عزها وإسعادها، إلى طريق هواها وشقائها[٢].

ثمّ بيّن تعالى العلّة والسبب في سفه من رغب عن ملّة إبراهيم بأنه عليه السلام كان من صفوته وخيرته في الدنيا بالرسالة والنبوة، وأنه في الآخرة من الصالحين الفائزين، فمن يرغب عن ملة من هذا شأنه لا يماثله أحد في سفهه وسوء رأيه[٣].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فسّر بعض المفسّرين " ملة إبراهيم " في الآية بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥].

قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ الآية، لم يبين هنا ما ملة إبراهيم وبينها بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، فصرح في هذه الآية بأنها دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ، وكذا في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ »[٦].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ١٥)، الدر المصون (١/ ٣٢١)، البحر المديد (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٤٤٥)، أيسر التفاسير (١/ ٥٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٢١١).

(٣) الكشاف (١/ ١٣٤)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/١٦٧)، روح المعاني (٢/١٣)، التفسير الوسيط (١/٢١١).

(٤) سورة الأنعام: ١٦١.

(٥) سورة النحل: ١٢٣.

(٦) أضواء البيان (١/ ١٠٢).

ووجه بيان الآية بالآيتين: ما ذكره الشيخ الشنقيطي في كلامه من أنّ الله لم يبيّن في هذه الآية ما ملة إبراهيم، أما الآية الأولى (آية الأنعام) فقد بيّنت أنّ ملته عليه السلام هو الصراط المستقيم الدين القيم، الذي هُدِيَ إليه النبيّ ﷺ، وهو الإسلام، كما هو واضح.

أمّا في الآية الأخرى (آية النحل)، فلم يتبيّن لي وجه بيانها لملة إبراهيم، وكنت أظنّ أنه بجعل (حنيفاً) حالاً من (ملّة)[1]، فتبيّن الملّة بأنه الحنيفية السمحة.

إلا أنّ هذا الوجه مستبعد لأمرين:

أحدهما: أنّ جمهور المفسّرين ومنهم الشنقيطي ذهبوا إلى أنّ حنيفاً حال من إبراهيم[2]، وعلى ذلك لا يكون في آية النحل زيادة على آية البقرة هذه تصلح أن تكون بياناً وتفسيراً لملّة إبراهيم المجملة هنا.

والثاني: أن الشيخ رحمه الله فسّر آية النحل هذه بآية الأنعام المتقدّمة وآيات أخرى لنفس الوجه[3]، مما يدلّ على أنّ إيرادها هنا ليس على أنها تبيّن آية البقرة كآية الأنعام، وإنما هو من قبيل جمع الآيات المتشابهة في المعنى الواحد، والله أعلم.

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ إذ تبيّن الأولى أنّ ملة إبراهيم هو الصراط المستقيم الدين القيم.

---

(١) وقد ذهب إلى ذلك جمع من المفسّرين كأبي حيان، والسمين، وابن عادل، انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٠) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٣٣٢) اللباب في علوم الكتاب (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: الكشاف (١/١٣٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/٤٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢١١)، روح المعاني (٨/٧٠)، أضواء البيان (٢/٤٦٥).

(٣) انظر: أضواء البيان (٢/ ٤٦٤).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ البقرة: ١٣٢

لما أخبر الله تعالى عن إبراهيم أنه كان على ملة الإسلام الخالص الصريح، ذكر في هذه الآية أنه عليه السلام لم يكتف في ذلك بنفسه، وإنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته، وحاكاه في ذلك حفيده يعقوب عليه السلام، فأوصى هو الآخر بنيه باتباع هذا الدين الحنيف، ولقد ذكّر كلٌّ من إبراهيم ويعقوب بنيه بنعمة الله عليهم في اختياره واصطفائه هذا الدين لهم؛ فيجب عليهم شكره على هذه النعمة بالحرص عليه وملازمته حتى يدركهم الموت عليه(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّر بعض المفسّرين قوله تعالى – حكاية عن إبراهيم ويعقوب –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ بآيات من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾(٢)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(٣).

أما عن الآية الأولى فقال البيضاوي رحمه الله: « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ »(٤).

وقال ابن عاشور رحمه الله: « وأراد به دين الحنيفية المسمى بالإسلام فلذلك قال: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ »(٥).

وقال الشنقيطي عن الآيات الثلاث: « قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾، أشار إلى أنه دين الإسلام هنا بقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وصرح بذلك في

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٩٠) (بتصرف)، وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٢١١).

(٢) سورة آل عمران: ١٩.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٦٩).

(٥) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٩).

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ »[١].

ووجه البيان: أنّ الله تعالى حكى عن إبراهيم ويعقوب في وصيتهما لأبنائهما قولهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ و لم يبيّن ما هذا الدين؛ فيبيّنه قوله في آخر الآية ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أنّه دين الإسلام، كما بيّنت الآيتان أنّ الإسلام هو الدين المعتبر عند الله، وهو الذي لا يقبل الله ديناً غيره، فيحمل الدين هنا على ما هنالك، كما هو واضح[٢].

ولا شكّ في بيان هذا الوجه ووضوحه، وإن كان سياق الآية يدلّ على أنّ المراد بالدين الإسلام.

فإنّ الألف واللام في الدين – كما قال جمع من المفسّرين – للعهد؛ حيث قد كانوا عرفوه أنه الإسلام[٣].

قال الطبريّ رحمه الله : « وإنما أدخل"الألف واللام" في"الدين"، لأن الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك، كانوا قد عرفوه بوصيتهما إياهم به، وعهدهما إليهم فيه، ثم قالا لهم - بعد أن عرفاهموه-: إن الله اصطفى لكم هذا الدين الذي قد عهد إليكم فيه، فاتقوا الله أن تموتوا إلا وأنتم عليه »[٤].

---

(١) أضواء البيان (١/ ١٠٢).

(٢) وقد أشار جمع من أهل العلم إلى هذا المعنى، واستدلّوا بهذه الآيات وآيات أخرى في أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٣١/٢) لابن تيمية الحراني، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ت: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د.حمدان محمد، مجموع الفتاوى (٦٢٣/٧)، التفسير القيم لابن القيم (صـ ٣١٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١٥٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٦/٢)، البحر المحيط (٢٣/٢)، اللباب في علوم الكتاب (١٢٠/٢).

(٤) جامع البيان (٣/ ٩٦).

وهذا واضح من سياق الآيات؛ فإنّ الضمير في (بها) في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾، يرجع إما إلى قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، على تأويل الكلمة والجملة، المعنى: وصّى بهذه الكلمة أو الجملة[2]، أو يرجع إلى الملة في قوله: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾[3][4].

ولا فرق بين المعنيين؛ فالمعنى واحد؛ لأن ملة إبراهيم هي الإسلام الذي صرّح به في قوله:﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، ولأنّ هذا الكلام هو شعار جامع لمعاني ما في الملة[6].

وعلى هذا فالدين معروف من السّياق، ولعلّ هذا ما جعل العلاّمة الشنقيطي لم يذكر – كعادته – أنّ الآية المفسَّرة مبهم أو غير مبيَّن، وإنما اكتفى بأنّ الآيات المفسِّرة تبيِّن المراد بالدين أنه الإسلام.

فالنتيجة: صحة تفسير الدين هنا بالإسلام للآيتين المذكورتين الدالتين على أنّ الدين المعتبر عند الله هو الإسلام، وإن كانت لفظة الدين في الآية معروفة بالسياق وختام الآية أنه دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة: ١٣١

(٢) انظر: جامع البيان (٣/ ٩٣)، التفسير الكبير (٢/ ٣٦٣)، وهذا قول جمع من المفسِّرين، اقتصر عليه الطبري في تفسيره (٣/ ٩٣)، والزمخشري في الكشاف (١/١٣٥)، ورجّحه ابن عطية في المحرر الوجيز (١/١٥٦)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ١٣٦)؛ لكونه أقرب مذكور.

(٣) سورة البقرة: ١٣٠.

(٤) كما هو مذهب جمع آخر من المفسّرين؛ حيث اقتصر عليه السمرقندي في بحر العلوم (١/١١٥)، والماوردي في النكت والعيون (١/٩٦)، والجلال في تفسير الجلالين (صـ ١٤٠)، وسيد طنطاوي في التفسير الوسيط (١/٢١١)، ومال إليه الرازي في تفسيره (٢/٣٦٢)، وأبو حيان، ورجحه الشوكاني، انظر: فتح القدير (١/١٨٤).
وحكى القولين جماعة من المفسّرين دون ترجيح أحدهما على الآخر، انظر: مدارك التتريل وحقائق التأويل (١/٧٧)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/ ١٦٩)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢٠٨)، روح المعاني (٢/ ١٥).

(٥) تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٧٤).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٧٠٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦

لما حكى الله تعالى عن اليهود والنصارى دعوة كلّ منهما إلى دينه، وأنّ فيه الهداية والرشاد، أرشد الله المؤمنين إلى جواب جامع وكلمة سواء تفيد نبذ التعصب جانباً، وتدعو إلى الإيمان والتصديق بجميع كتب الله التي أنزلها على رسله، دون تفرقة بين أحد منهم، - كما تفعل اليهود والنصارى - مع الإسلام لرب العالمين[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ أبهم الله تعالى في اسم الموصول ما أنزله إلى إبراهيم، وما آتاه موسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام -؛ فحمله بعض المفسرين على آيات من القرآن صرّحت بما أنزل إلى إبراهيم، وما أوتيه موسى وعيسى.

قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ لم يبين هنا هذا الذي أنزل إلى إبراهيم، ولكنه بيَّنَ في سورة "الأعلى" أنه صحف وأنّ من جملة ما في تلك الصُّحف: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[٢]، وذلك في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ لم يُبيِّن هنا ما أوتيه موسى وعيسى، ولكنه بيَّنه في مواضع أخر، فذكر أنَّ ما أوتيه موسى هو التوراة المعبر عنها بالصحف في قوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، وذلك كقوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[٤] وهو التوراة بالإجماع، وذكر أنَّ ما أوتيه عيسى هو الإنجيل كما في قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾[٥] »[٦].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٨٣).

(٢) سورة الأعلى: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الأعلى: ١٨ - ١٩.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٤.

(٥) سورة الحديد: ٢٧.

(٦) أضواء البيان (١/١٠٢-١٠٣).

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: « والذي أنزل إليه هي الصحف التي ذكرها الله تعالى في موضعين من القرآن: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾، ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾[1] »[2].

وأورد أبو حيان آية سورة الأعلى عند تفسير قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾[3].

ووجه البيان: واضح وجليٌّ، ولا يحتاج إلى تقرير، وهو من **حمل المبهم على المعيَّن**، فأمر الله المؤمنين بالإيمان بما أنزل إلى إبراهيم، وما أوتي موسى وعيسى، ولم يعيّن ما أنزل على الأول وما أوتي الإثنان، وصرّح في الآيات المذكورة بذلك.

فما أنزل على إبراهيم: هو الصّحف، ومما ورد في شأنها: أنها نزلت في أول رمضان[4]، وأنها عشر صحائف[5].

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٨٧/٢).

(٢) سورة النجم: ٣٦- ٣٧.

(٣) في البحر المحيط (٥٧٩/١).

(٤) وذلك ما ورد في حديث واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان... ». أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٧/٤ رقم: ١٧٠٢٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٥/٢٢ رقم: ١٨٥)، وفي الأوسط (١١١/٤ رقم: ٣٧٤٠) والطبري في جامع البيان (٤٤٦/٣)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٨٨/٩ رقم: ١٨٤٢٩).

قال الهيثمي: « رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه عمران بن داؤد، ضعفه يحيى، و وثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات » مجمع الزوائد (١٩٧/١) وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣١٣/١ رقم: ١٤٩٧)، وفي السلسلة الصحيحة (١٠٤/٤).

(٥) كما في حديث أبي ذر الطويل في عدد الأنبياء والمرسلين، وعدد الكتب المترلة وغير ذلك، وهو حديث مشهور أخرجه الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٣١٢/١) وابن حبان في صحيحه (٧٦/٢ ، رقم ٣٦١) وفي الثقات (١٢٠/٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٦٧/١)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٧١/٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥ / ٣٧٨) إلى عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر.

قال ابن كثير: « قد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي في كتابه: "الأنواع والتقاسيم" وقد وَسَمَه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه "الموضوعات"، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث فالله أعلم ».

وقد نص على أنها عشر صحائف جمع من المفسرين، انظر: الكشف والبيان (٢٨٣/١)، لباب التأويل في معاني التتريل (١١٥/١)، السراج المنير (٨٦/١)، تفسير الجلالين (صـ٢٦).

وما أنزل على موسى: هو التوراة، التي يعبّر عنها القرآن بالكتاب(١).

وما أوتي عيسى: هو الإنجيل(٢).

وقد أورد بعض المفسرين - رحمهم الله - عند تفسير الآية آيات أخرى(٣)، لما بينها من وحدة المعنى والموضوع.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾﴾(٤).

- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(٥).

- قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(٦).

فأمر الله المؤمنين بالإيمان بجميع الرسل وأن لا يفرقوا بين أحد منهم - وأخبر في الآية الأخرى أنّهم امتثلوا كذلك، وذمّ أهل الكتاب الذين فرقوا بين أنبياء الله، فآمنوا ببعض دون بعض، وأعدّ لهم العذاب المهين، في حين مدح المؤمنين الذين يؤمنون برسله جميعا، ووعدهم مغفرة ورحمة.

فهي كلها في موضوع واحد، وجمعها في مكان واحد لا شك أنّ فيه فائدة كبيرة في التفسير، والله أعلم.

---

(١) فقد جاء في القرآن الإخبار بإيتاء موسى الكتاب في عشرة مواضع، ولم يرد التعبير بإيتائه التوراة، مع ورود التوراة في القرآن في ثمانية عشر موضعاً.

(٢) وجاء الإخبار بإيتاء عيسى الإنجيل في موضعين، الموضع الذي ذكره الشيخ، والثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ المائدة: ٤٦. وقد ورد لفظ الإنجيل في القرآن في اثني عشر موضعاً.

(٣) أورد الآية الأولى الحافظ ابن كثير، وأورد الأولى والثانية عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن (١/١٤٧-١٤٨)، وأورد الثانية والثالثة العلامة الشنقيطي في أضواء البيان (١/١٠٣).

(٤) سورة النساء: ١٥٠ - ١٥١..

(٥) سورة النساء: ١٥٢.

(٦) سورة البقرة: ٢٨٥.

تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ البقرة: ١٤٢

هذه الآية الكريمة تمهيد لتحويل القبلة، وفيها يتصدي القرآن لاعتراض اليهود ومن شاركهم على ذلك؛ فلقن الله نبيه فيها بالحجة البالغة والحكمة فيه، ليوطن نفسه عليه، ويستعد للإجابة التي خلاصتها: أنّ الجهات كلها لله، فلا مزية لجهة على أخرى، ولله أن يأمر بالاتجاه إلى ما يشاء من أي جهة، وعلى العبد امتثال أمر ربه[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لم يبين هنا الصراط المستقيم، ولكنه بينه بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٢]»[٣].

وهذا تفسير صحيح، وقد تقدّم مثله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٤]، ونقل كلام أهل العلم المؤيّدة له، والأقوال الأخرى في تفسير الصراط المستقيم[٥]، فلا حاجة لإعادة ذلك هنا، والله الموفّق.

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي (٢/٧).

(٢) سورة الفاتحة: ٦

(٣) أضواء البيان (١/ ٤٥)

(٤) سورة الفاتحة: ٧

(٥) انظر: صـ (١٢٦-١٢٨)، من هذا البحث.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٤٣

يخاطب الحق تبارك وتعالى في هذه الآية الأمة الإسلامية بأن الله تعالى كما هداهم إلى أفضل قبلة كذلك جعلهم أمة خير وعدل، وسط بين الغلو والتقصير؛ ليؤهلهم بذلك للشهادة على الأمم يوم القيامة إذا أنكروا أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم، ثم ذكر تعالى العلة في تحويل القبلة بأنه كان للابتلاء؛ يظهر من يتبع النبي ويطيعه ويتجه حيثما اتجه ، دون تشكك ولا ارتياب، ممن يرتد عن دينه، كما أخبر تعالى أن هذا التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة شاقة عل النفس إلا على الذين هداهم الله إلى معرفته ومعرفة محابه ومكارهه، وأخيراً طمأنهم تعالى على أجور صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس، بأنه لا يُضيعها لهم بل يجزيهم بها كاملة سواء من مات منهم وهو يصلي إلى بيت المقدس أو من حَيِيَ حتَّى صلى إلى الكعبة[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وفي تفسير هذه الآية بآيات الذكر الحكيم مطلبان:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

فسّر هذا المقطع من الآية بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[(٢)].

قال الإمام الرازي رحمه الله – عند ترجيحه لتفسير الوسط بالخيار-« الثاني: أنه **مطابق لقوله تعالى:** ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ »[(٣)].

(١) أيسر التفاسير (١/ ٦٠) (بتصرف).

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) التفسير الكبير (٤/٨٩).

وقال جمال الدين القاسمي رحمه الله: « والمعنى: جعلناكم أمة خياراً لتكونوا شهداء على الناس ... فتكون الآية نظير آية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، **وربما آثر هذا المعنى من قال: خير ما فسِّر القرآن بالقرآن، لتماثل الآيتين بادئ بدء؛ فإن الوسط بمعنى الخيار، وقد صرح به في قوله: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾** »[١].

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله: « فالوسط في هذه الآية فسر بالخيار لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ »[٢].

وذكر تفسير الوسط بالخيار للآية المذكورة غير واحد من المفسرين[٣].

وجه البيان:

أنّ كلمة الوسط يحتمل أن يراد بها معانٍ عديدة[٤] – كما يأتي – لكن يفسّر بالخيار؛ لتصريح الآية الثانية بأنّ هذه الأمة خير الأمم، فيحمل الوسطية في الأولى على الخيرية في الثانية.

الأقوال الأخرى في معنى الوسط:

وقد جاءت عن أهل التفسير أقوال أخرى في معنى الوسط هنا منها[٥]:

١– أن الوسط هو العدل، وروي هذا التفسير عن النبي ﷺ[٦].

---

(١) محاسن التأويل (١/ ٤٥٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/٢).

(٣) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢١/١)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٣٦)، أضواء البيان (١٠٣/١).

(٤) تدور كلام اللغويين عن كلمة (الوسط) على معنيين، وهما ما ذكرهما ابن فارس بقوله: « (وسط) الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف » مقاييس اللغة (٦/ ٨٢).

فعن المعنى الأول يقول الجوهري وغيره: « الوَسَطُ من كلِّ شيء: أعدَلُهُ »، الصحاح في اللغة (٢/ ٢٧٨)، وانظر: المصباح المنير (٢/ ٦٥٨)، تاج العروس (١/ ٥٠٣١)..

وعن الثاني يقول الراغب وغيره: « وسط الشيء: ما له طرفان متساويا القدر »، مفردات ألفاظ القرآن (٥١٢/٢)، وانظر: لسان العرب (٧/ ٤٢٦).

(٥) انظر: النكت والعيون (١٠١/١)، التفسير الكبير (٣٨٩/٢) زاد المسير (١/ ١٣٤)، البحر المحيط (٢/ ٦١)،

(٦) فيما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ من حديث طويل: قال فيه: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدلاً. صحيح البخاري، كتاب: باب قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ برقم: (٧٣٤٩).

قال أبو حيان: « وإذا صحّ ذلك عن رسول الله ﷺ، وجب المصير في تفسير الوسط إليه »[1]، وقال الشوكاني: « وقد ثبت عن النبي ﷺ تفسير الوسط هنا بالعدل كما سيأتي، فوجب الرجوع إلى ذلك »[2].

٢- أنه من التوسط في الفعل، والمعنى: أنهم متوسطون في الدين بين المفْرِطِ والمفَرّط والغالي والمقصر في الأشياء؛ لأنّ هذه الأمة لم تغل كما غلت النصارى فجعلوا ابناً وإلهاً ولا قصروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك مما قصروا فيه[3].

وهذا الذي رجحه أبو جعفر الطبري رحمه الله: « وأنا أرى أن"الوسط" في هذا الموضع، هو"الوسط" الذي بمعنى: الجزءُ الذي هو بين الطرفين ... وأرى أنّ الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم"وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها »[4].

الترجيح:

والراجح – والعلم عند الله – أنّ هذه الأقوال وإن حكاها بعض المفسّرين[5] كأقوال مختلفة في تفسير الوسط، إلاّ أنها بمعنىً واحد؛ فالقول الأول المذكور في تفسير القرآن بالقرآن (الخيار)، والقول بأن الوسط العدل لا يتنافيان، بل هما في الحقيقة قول واحدٌ، فاللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأنّ العدل خير، والخير عدل[6]، ولأن الخيارَ من الناس عُدولهم[7].

---

(١) البحر المحيط (٢ / ٦١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٩٤).

(٣) انظر: جامع البيان (١٤٢/٣)، التفسير الكبير (٢/ ٣٨٩) زاد المسير (١/ ١٣٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٠٨).

(٤) جامع البيان (١٤٢/٣).

(٥) كالماوردي في النكت والعيون (١/ ١٠١)، وأبي حيان في البحر المحيط (٢/ ٥١)، وغيرهما.

(٦) تاج العروس (١/ ٥٠٣١)

(٧) جامع البيان (٣/ ١٤٢)

لذلك ذهب كثير من المفسّرين إلى القول بالجمع لعدم المنافاة[(١)]، بل لم يحك جمع غفير منهم خلافاً بين اللفظين بل ذكروهما كمترادفين[(٢)].

والعدل الخيار يتضمن الدلالة على كونهم بين الإفراط والتفريط، فالمعاني متداخلة، ولا تمانع بينها.

النتيجة: صحّة تفسير الوسط في الآية بالخيرية في الآية الأخرى، ولا ينافي ذلك الأقوالَ الأخرى المذكورة كما سبق — والله تعالى أعلم.

---

(١) كالرازي، حيث يقول: « واعلم أن هذه الأقوال متقاربة غير متنافية والله أعلم » وابن عاشور، القائل: «والجمع في التفسيرين هو الوجه كما قدمناه في المقدمة التاسعة ». التحرير والتنوير (٢/ ١٨).

(٢) انظر ذلك في: تفسير السمعاني (١/١٤٨)، معالم التنزيل (١/١٥٨)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/١٠٧)، أضواء البيان (١/ ١٠٣).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾

فسّر بعض المفسّرين شهادة الرسول ﷺ على أمته بما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (١).

قال الشوكاني رحمه الله: « ويكون الرسول شهيداً على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمر بتبليغه إليهم، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ » (٢).

وقال الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ ، لم يبين هنا هل هو شهيد عليهم في الدنيا أو الآخرة ؟ ولكنه بين في موضع آخر: أنه شهيد عليهم في الآخرة وذلك في قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ » (٣).

وجه البيان: واضح من كلام الشنقيطي؛ إذ أنّ الله تعالى لم يذكر في الآية هنا أين تكون شهادة الرسول ﷺ على أمته، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا أو في الآخرة، وبيّنت الثانية أنّها تكون عليهم في الآخرة، بدليل قوله هناك: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ .

وقد أورد العلامة الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤).

وذلك لأنّ ظاهر الآية الأولى قد يتوهم منه أنه تعالى يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً، وبيّنت الآية الثانية أنه لا يستفيد بالاختبار علماً

---

(١) سورة النساء: ٤١.

(٢) فتح القدير (١/ ١٩٢).

(٣) أضواء البيان (١٠٤).

(٤) سورة آل عمران: ١٥٤.

لم يكن يعلمه؛ فقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، بعد قوله: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ﴾، دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئا لم يكن عالماً به[1].

وهذا - كما هو ظاهر - من باب دفع التعارض والجمع بين ما يتوهم فيه التناقض، وهو أوسع من بيان آية لمثلها[2].

❖❖❖✹✹✹

(١) أضواء البيان (١/١٠٤) (مختصراً).

(٢) وقد أورد المفسرون أقوالاً عديدة في المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أكثرها متقاربة ومتداخلة، انظر: النكت والعيون (١/٩٠١)، المحرر الوجيز (١/١٦٥) زاد المسير (١/ ١٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢/١٥٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٤٤

كان النبي ﷺ يتطلع إلى أن يؤمر بأن تكون قبلته الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى لاستمالة العرب إلى الدخول في الإسلام، كما فيه مخالفة اليهود الذين كانوا ينكرون عليه تولّي قبلتهم، فكان لذلك يديم النظر الى السماء، راجيا أن يمنّ الله عليه بالوحي الذي يأمره بذلك، فأوحى الله تعالى إليه هذه الآية، وأمره بالتوجه نحو الكعبة المشرّفة في صلاته، كما أمر المؤمنين أيضاً بتوليه[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقوله تعالى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾، لم تبيّن القبلة فيها بل جاءت منكّرة[2]، وجاء بيانها بعدها متصلاً في قوله: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾.

قال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله عن ذلك: « قوله تعالى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾، بينه قوله بعده: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ »[3].

وهذا من جليّ تفسير القرآن بالقرآن، وما لا يحتاج إلى كلفة أو مشقة؛ ولذا لم يتطرق له أكثر المفسّرين.

أما عن فائدة إتيان الجملة المفسَّرة قبل الجملة المفسِّرة فيرى الإمام الآلوسي — رحمه الله — أنّها « لفرح النفس بالإجابة ثم بانجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين »[4].

كما يرى ابن عاشور أنها: « إظهار الاهتمام برغبة رسول الله ﷺ، وأنها بحيث يعتني بها ... »[5].

---

(١) انظر: تيسير التفسير للقطان (١/ ١٣١).

(٢) قال أبو حيان: « لأنه لم يجر قبلها ما يقتضي أن تكون معهودة، فتعرف بالألف واللام ». البحر المحيط (٢/٦١).

(٣) أضواء البيان (١/ ١٠٥).

(٤) روح المعاني (٢/ ٤٦).

(٥) التحرير والتنوير (٢/ ٢٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ البقرة: ١٥٩

« هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسلُ من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله »[١]، وقد أوعد الله هؤلاء بأنه يبعدهم منه ومن رحمته، وأنّ اللاعنين من خلقه يسألون ربهم أن يطردهم من رحمته[٢].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

لم يبيّن الله في الآية ما اللاعنون الذين أخبر أنهم يلعنون هؤلاء الكاتمين؛ فاختلف في ذلك أقوال المفسِّرين، وفسّرت في ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٣].

قال الإمام الطبريّ رحمه الله: « ... لأنّ الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾، فكذلك اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالة بالفريق الآخر: الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس، هي لعنة الله، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار، وهم ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾؛ **لأن الفريقين جميعاً أهل كفر** »[٤].

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٧٢/١).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٥٤/٣).

(٣) البقرة: ١٦١، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة آل عمران: ٨٧.: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾.

(٤) جامع البيان (٢٥٤/٣).

وقال الإمام البقاعي[1] رحمه الله في تفسير الآية المفسِّرة -: « ثم بين اللاعنين في التي قبلها فقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾...»[2].

وقال العلاّمة القاسمي[3] رحمه الله: « والمراد بقوله: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ كلّ من يصح منه لعن، **وقد بيّنه بعدُ قوله تعالى:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ »[4].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ لم يبين هنا ما اللاعنون، ولكنه أشار إلى ذلك في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ »[5].

ووجه البيان بالآية: واضح من النصوص المنقولة آنفاً؛ فإنّ الله لم يبيّن في الآية الأولى اللاعنين الذي يلعنون الكاتمين ما أنزل الله، وبيّنت الآية الثانية أن اللعنة التي تحل بالكافرين إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين؛ فيكون الملائكة والناس هم اللاعنون في الآية الأولى؛ لأنّ الفريقين في الآيتين كفّار.

❖ الأقوال الأخرى في المراد باللاعنين:

وقد ورد عن السلف أقوالٌ عديدة في المراد باللاعنين في الآية، وأهمّها هي التالي[6]:

١- أنّ اللاعنين هم الملائكة والمؤمنون، وهو قول جماعة من المفسّرين، فهو قول أبي العالية[7]، قتادة[8]، والربيع[9]، ورجحه الطبريّ[10]، وقال ابن عطية: «وهذا

---

(١) هو: أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط الخرباوي البقاعي الشافعي، محدث ومفسر، توفي سنة (٨٨٥هـ) .انظر: البدر الطالع (١٩/١)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٦٥/١) لجماعة من الباحثين - من إصدارات مجلة الحكمة - الأولى ١٤٢٤هـ..

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١/ ٢٢٥).

(٣) هو: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي الشامي الحسني، إمام أهل الشام في وقته علماً وأدباً، توفي في دمشق سنة (١٣٣٢هـ)، انظر ترجمته في: الأعلام (١٣٥/٢).

(٤) محاسن التأويل (١١/٢).

(٥) أضواء البيان (١/ ١٠٥).

(٦) انظر: الكشف والبيان (١/ ١٥٧)، تفسير السمعاني (١/ ١٦٠)، التفسير الكبير (٢/ ٤٦٣)، النكت والعيون (١/ ١١٣)، زاد المسير (١٤٩/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٨٦).

(٧) أخرجه عنه ابن أبي حاتم (٢٦٩/١) بسنده من طريق أبي جعفر عن الربيع.

(٨) كما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٢٥٧) بسنده من طريق يزيد بن زريع عن سعيد، ومن طريق عبد الرزاق عن معمر.

(٩) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٢٥٧) بسنده من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع.

(١٠) في جامع البيان (٣/ ٢٥٧) .

واضح جار على مقتضى الكلام »[١]، وقال أبو حيان إنه الأظهر[٢]، واقتصر عليه الزمخشري، والنسفي، والبيضاوي، وغيرهم[٣].

٢- أن اللاعنين هم دواب الأرض وهوامها، فإنها تقول: منعنا القطر بمعاصي بني آدم، روي ذلك عن مجاهد[٤]، وعكرمة[٥].

٣- أنهم كل دابة والجن والإنس، وهو قول عطاء بن أبي رباح[٦].

٤- أنهم كل شيء في الأرض من حيوان وجماد سوى الثقلين، وهذا مرويّ عن البراء بن عازب[٧]، وابن عباس، والضّحاك[٨]، وهو قول مقاتل[٩].

٥- أنّ اللاعنين: الاثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة مستحقها منهما، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت اللعنة على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله سبحانه وتعالى، وهذا قول ابن مسعود[١٠].

---

(١) المحرر الوجيز (١/٢١٧).

(٢) البحر المحيط (٢/ ١٠٢).

(٣) انظر: الكشاف (١/١٤٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٨٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٩٥)

(٤) فيما أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٧٨) عنه الطبري (٣/ ٢٥٥) وابن أبي حاتم (١/٢٦٩) بأسانيد مختلفة، وأسنده السيوطي في الدر (١/ ٣٢٣) إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد، كما أسنده من رواية أخرى إلى سعيد بن منصور وابن جرير.

(٥) كما أخرجه ذلك الطبري (٣/ ٢٥٥) عن سفيان، عن خصيف عنه، وأسنده السيوطي في الدر (١/٣٢٣) إليه وإلى عبد بن حميد.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره ومن طريق عبد الملك بن أبي بكر عن عطاء، وأسنده السيوطي في الدر (١/٣٢٣) إلى عبد بن حميد.

(٧) في الحديث الذي أخرجه الطبري بسنده من طريق أسباط، عن السدي عنه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٦٩) بسنده عن زاذان أبي عُمَر، وابن ماجه بسنده عن محمد بن الصباح عن عمار بن محمد، عن البراء مرفوعاً: « إنّ الكافر يضرب ضربة بين عينيه، فيسمع كل دابة غير الثقلين، فتلعنه كل دابة سمعت صوته، فذلك قول الله تعالى: { أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ } يعني: دواب الأرض »، وأسنده السيوطي في الدر (١/٣٢٣) إليهما وإلى ابن المنذر، وانظر: فتح القدير للشوكاني (١/٢٠٩).

(٨) كما أخرجه الطبري بسنده عن جويبر عنه. وانظر: الدر المنثور (١/ ٣٢٤).

(٩) انظر: تفسيره (١/ ٩٩).

(١٠) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق محمد بن مروان أخبرني الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود. وانظر: الدر المنثور (١/ ٣٢٤).

٦- أنه عامّ لجميع الخلق، قال ابن كثير: « وهم كلّ فصيح وأعجمي إما بلسان المقال، أو الحال، أو لو كان له عقل، أو يوم القيامة »[١]، وذهب إلى هذا السّعدي[٢].

الترجيح:

الراجح من هذه الأقوال في المراد باللاعنين هو القول الذي تشهد له آية القرآن؛ أنّ اللاعنين هم الملائكة والناس أجمعون المؤمن منهم والكافر، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، ولا يمنع ذلك دخول ما يتناوله لفظة اللاعنين إذا صحّ في لعنهم خبر من طريق مقطوع به.

ولا فرق بين تعيين اللاعنين بالآية المذكورة، وبين القول بأنهم الملائكة والمؤمنون – الذي رجحه الطبري وغيره -؛ لأنّ المؤمنين من الناس، وهم ذكروا بعض أفراد العام.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٧٣/١).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٧٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥

لما أخبر الله سبحانه وتعالى في الآية قبل ما دل على وحدانيته وقدرته وعظم سلطانه، أخبر أن مع هذه الآيات القاهرة لذوي العقول من يتخذ معه أنداداً، أي: أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، ثم تَوَعَّدَ تعالى المشركين به، الظالمين لأنفسهم بذلك، حين يعاينون عذاب الله الشديد يوم القيامة، ويعلمون أنّ القوة كلها لله دون الأنداد والآلهة التي لا تغني عنهم شيئاً(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾

الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إما بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه، ويطلق على مجاوزة الحقّ، في الكثير والقليل؛ لذا يستعمل في الذنب الكبير، وفي الذنب الصغير(٢).

إلاّ أنّ الظلم هنا فسر بالشرك، لسياق الآية، وآيات أخرى من القرآن الكريم:

- أما تفسيره بالسياق فمن وجهين:

١- قوله تعالى في بداية الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾، فهو صريح في الشرك، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ إشارة إلى متخذي الأنداد هؤلاء أي: لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٨٦/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٣/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٧٦/١).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٥١/٢)، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١٠٧٢/١) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية.

(٣) الكشاف (٢٣٨/١)، وذكر مثل هذا جمع غفير من المفسرين، انظر - على سبيل التمثيل -: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٠٠/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤٤٠/١)، السراج المنير (٩٧/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٨٦/١)، روح البيان (٢١٨/١)، التفسير القرآني للقرآن (١٨٥/١)، التفسير الواضح (٩٤/١).

ووضع الظاهر موضع المضمر[1] للدلالة على أنّ ذلك الاتخاذ ظلم عظيم، وللإشعار بأنّ سبب رؤيتهم العذاب الشديد هو ذلك الظلم العظيم[2].

وجعل اتخاذهم الأنداد ظلماً لأنه اعتداء على عدة حقوق فقد اعتدوا على حق الله تعالى من وجوب توحيده، واعتدوا على من جعلوهم أنداداً لله على العقلاء منهم، وظلموا أنفسهم في ذلك بتعريضها للسخرية في الدنيا وللعذاب في الآخرة[3].

٢- قوله تعالى: في آخر الآيات: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[4]، لأنّ الخلود في النار في حق المشركين، أما من في قلبه حبة خردل من إيمان فإنه لا يخلد في النار، كما صحّت بذلك الآثار.

- **أمّا الآيات الأخرى**: فهي الآيات التي وردت فيها لفظ الظلم مراداً به الشرك فقط. كقوله تعالى عن لقمان - مقرراً له -: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[5]، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7].

أورد هذه الآيات هنا العلامة الشنقيطي رحمه الله[8]، وأورد الآية الأولى العلامة ابن عاشور رحمه الله بقوله: « ولك أن تجعل ﴿ظَلَمُوٓا۟﴾ بمعنى أشركوا كما هو الشائع في القرآن ... »[9] ثم ذكر الآية.

(١) إذ كان الظاهر بمقتضى تقدم ذكرهم أن يقال : ولو يرون إذ يرون. التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣٣٨/١).

(٢) انظر: روح المعاني (٣٥/٢)، التحرير والتنوير (٩٣/٢-٩٤)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣٣٨/١).

(٣) التحرير والتنوير (٩٤/٢) (باختصار).

(٤) سورة البقرة: ١٦٧.

(٥) سورة لقمان: ١٣.

(٦) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٧) سورة يونس: ١٠٦.

(٨) في أضواء البيان (١٠٦/١).

(٩) التحرير والتنوير (٩٤/٢).

ووجه بيان هذه الآيات للآية: واضح وظاهر؛ إذ هو من قبيل حمل اللفظ العام على الخاص، فالآية ورد فيها لفظ الظلم عاماً غير مخصص بشرك أو غيره؛ فيحمل على هذه الآيات التي وردت فيها لفظ الظلم مراداً بها الشرك والكفر، لمناسبة سياق الآيات لذلك.

ومثل هذا ما سبق التمثيل به، من حمل النبي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] على آية لقمان المفسِّرة هنا أيضاً.

◈◈◈✹✹✹

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ البقرة: ١٦٦

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن بعض ما يُشاهَد في عرصات القيامة من الفظع والهول حين يتبرأ المتبوعون من التابعين، فينقطع بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب التي كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، وينشغل كلٌّ بنفسه تابعاً كان أم متبوعاً[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أجمل الله الأسباب التي تتقطع عنهم؛ ففسّرها بعض المفسّرين بآيات من القرآن الكريم أخبر الله فيها عن أسباب يُتَسَبَّبُ بها في الدنيا إلى مطالب، يقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به.

وفيما يلي ذكر هذه الأسباب مع الآيات التي وردت فيها والمفسرون الذين فسروها بها:

١ - **الخلّة والمودّة:** كما في قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٢]، فأخرج الإمام الطبري[٣] بسنده عن قتادة: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾، أسبابُ الندامة يوم القيامة، وأسباب المواصلة التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها، ويتحابُّون بها، فصارت عليهم عداوةً يوم القيامة، ويتبرأ بعضكم من بعض، وقال الله تعالى ذكره: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، فصارت كل خُلَّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين».

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٧٩)، في ظلال القرآن (١/ ١٢٥).

(٢) سورة الزخرف: ٦٧

(٣) في جامع البيان (٣/ ٢٩٠).

وهذا ما أراده الطبري – في معرض كلامه عما أخبر الله به من الأسباب المنقطعة عن الكافرين – بقوله: « وأخبر تعالى ذكره أنّ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين »[1].

وقال السّمرقندي رحمه الله: « وقال بعضهم ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾، أي الخلة والمواصلة، كما قال في آية أخرى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾»[2].

وتفسير الأسباب بالمودّة مرويٌّ عن ابن عباس[3]، ومجاهد[4]، وقتادة[5].

٢- الأنساب والأرحام، قال البغوي: « كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[6]»[7].

وهذا ما أراده الطبري رحمه الله بقوله: « وأنّ الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه، وإن كان نسيبه لله وليًّا، فقال تعالى ذكره في ذلك: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[8] »[9].

والقول بأنّها الأرحام رواية عن ابن عباس[10]، وقال به مقاتل[11].

---

(١) جامع البيان (٣/ ٢٩٠).

(٢) بحر العلوم (١/ ١٤٠)، كذلك أورد الشيخ ثناء الله الهندي هذه الآية هنا، انظر: تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ٤٠).

(٣) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٢٩١) عنه بسنده عن عطاء، وعزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) كما أخرجه الطبري (٣/ ٢٩٠) بأسانيده من طريق ابن أبي نجيح، عنه.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في الزاد (١/ ١٥٧)

(٦) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٧) معالم التنزيل (١/ ١٧٩).

(٨) سورة التوبة: ١١٤.

(٩) جامع البيان (٣/ ٢٩٠).

(١٠) وهي التي أخرجها الطبري (٣/ ٢٩٠) بسنده عنه من طريق ابن جريج، وعزاه السيوطي في الدر إليه وابن المنذر.

(١١) في تفسيره (١/ ١٠١).

٣- التناصر، قال الطبري ﵀: « وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضًا، فقال تعالى ذكره: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾[1] »[2].

٤- الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا، قال الثعلبي ﵀- بعد ما حكى هذا القول-: « بيانه قوله: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[3]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[4] »[5]، واستشهد بالأولى البغوي[6].

وهذا ما أراده الطبري بقوله: « وأخبر تعالى ذكره أنّ أعمالهم تَصيرُ عليهم حسرات »[7]، وكأنه يشير لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾[8].

وتفسير الأسباب بالأعمال هو قول السدي[9]، وابن زيد[10].

٥- عبادة الأنداد، وطاعة الشيطان، قال الطبري مشيراً إلى هذين السببين وانقطاعهما: « وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بَعضهم يلعنُ بعضًا[11]، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾[12] ».

---

(١) سورة الصافات: ٢٤ — ٢٥.

(٢) جامع البيان (٣/ ٢٩٠).

(٣) سورة الفرقان: ٢٣ .

(٤) سورة محمد: ١.

(٥) تفسير الثعلبي (١/ ١٦٢).

(٦) معالم التنزيل (١/ ١٧٩).

(٧) جامع البيان (٣/ ٢٩٢).

(٨) البقرة: ١٦٧.

(٩) أخرجه عنه الطبري بسنده من طريق أسباط.

(١٠) أخرجه عنه الطبري بسنده من طريق ابن وهب.

(١١) يريد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾العنكبوت: ٢٥

(١٢) إبراهيم: ٢٢.

٦- ما كان المتبوعون يغرونهم به من الآمال ...كحمل خطاياهم في قوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾[١]، وهديهم إلى سبيل الرشاد كقول فرعون لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[٢] أشار إلى هذا الشيخ العثيمين[٣].

ووجه بيان الآية بالآيات المذكورة: - ما تقدّمت الإشارة إليه - أنّ الله أجمل في الآية الأسباب التي تتقطع بالكافرين يوم القيامة، وذكرت الآيات الأخرى أسباباً يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب، قطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به، فتحمل الأسباب المجملة هنا على تلك.

فالخلّة، والنسب، والتناصر، والأعمال الصالحة، وعبادة الأنداد، وطاعة الشيطان، كلها أسباب للكافرين لا تنفعهم عند ربهم بل تتقطع عنهم يوم القيامة.

وقد جمع الرازي —عند تفسير الآية —أكثر هذه الأسباب بإيراد الآيات الدالة عليها[٤].

كما أورد الحافظ ابن كثير آيات كثيرة سبق بعضها، وأكثرها في تبرء المتبوعين من الأتباع يوم القيامة، وتنصلهم من عبادتهم لهم[٥]، وذلك كلُّه أسبابٌ منقطعة عن الكفار يوم القيامة يمكن حمل الأسباب المجملة عليها.

❖ الأقوال الأخرى في تفسير الأسباب:

وقد حكى السّلف أقوالاً أخرى في تفسير الأسباب التي أخبر الله تعالى أنها تتقطع بالكافرين يوم القيامة غير ما تقدّم:

١- أنها المنازل التي كانت لهم من أهل الدنيا، وهو رواية عن ابن عباس[٦]، وروي عن الربيع[٧].

---

(١) العنكبوت: ١٢.

(٢) غافر: ٢٩

(٣) انظر: تفسير القرآن للعثيمين (٢/٢٢٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٣/ ١٠).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧٧).

(٦) كما أخرجه الطبري (٣/ ٢٩١) من طريق العوفي عنه، وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٧) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٢٩١) بسنده عن أبي جعفر الرازي عنه، وعزاه السيوطي إليه، وإلى عبد بن حميد.

٢- العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون عليها، حكي عن عباس[١]، ومجاهد[٢].

الراجح:

والراجح في تفسير الأسباب – والعلم عند الله – أن تكون عامة لكلّ ما يتوصل به إلى مقصود في الدنيا.

قال الطبري: «ومن ادعى أن المعنيَّ بذلك خاص من الأسباب، سُئل عن البيان على دعواه من أصلٍ لا منازع فيه، وعورض بقول مخالفه فيه. فلن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله».

وقال الرازي: « والأظهر دخول الكل فيه؛ لأن ذلك كالنفي فيعم الكل فكأنه قال: وزال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به وأنهم لا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من مترلة وسبب ونسب وخلف وعقد وعهد، وذلك نهاية ما يكون من اليأس فحصل فيه التوكيد العظيم في الزجر »[٣].

وقال أبو حيان: « وهو عام في كل ما يمكن أن يتعلق به... والظاهر دخول الجميع في الأسباب، لأنه لفظ عام »[٤].

والنتيجة: صحّة بيان الأسباب المجملة في قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، بما أخبر الله بها من الأسباب التي يتوصّل بها الكفار في الدنيا وتتقطّع عنهم يوم القيامة، ولا يمنع ذلك حمل الآية على عمومها – كما سبق –.

وقد أورد العلامة الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٣/ ١١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ١٨٢).

(٣) التفسير الكبير (٤/١٩٠).

(٤) البحر المحيط (٢/ ١٢١).

ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾(١).

وقد بين وجه الارتباط بينها بأنّهما واردتان في تخاصم أهل النار، وقد بيّن الله في الآيات المذكورة غير ما ذكر هنا(٢).

وهذا – كما هو ظاهر – من قبيل بسط الموجز بذكر بعض المواقف أو الأحداث التي لم تذكرها الآية الأولى، ولا يظهر لي في الآيات المذكورة تفسير وبيان لمبهم أو مجمل في الآية، وإن كان في إيرادها هنا فائدة كبيرة في التفسير، فهو من تفسير القرآن بالقرآن على مصطلحه الموسع الذي يدخل فيه زيادة البيان والتوضيح، والعلم عند الله تعالى.

(١) سورة سبأ: ٣١ - ٣٣

(٢) انظر: أضواء البيان (١/ ١٠٦-١٠٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)﴾

لما امتن الله على عباده بما رزقهم، وأرشدهم إلى الأكل من طيبه، ذكر في هذه الآية أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا أنواعاً يسيرة، وهي الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله[١]، ثم وضع تعالى قاعدة جليلة في إباحة هذه الممنوعات عند الضرورة، فالضرورات تبيح المحظورات، ومن أُلجيء الى أكل شيء مما حرم الله بأن لم يجد غيره وخاف على نفسه الهلاك جوعاً، و لم يكن راغباً فيه لذاته، و لم يتجاوز قدر الحاجة فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير هذه الآية بآيات الذكر الحكيم ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تخصيص عموم الميتة بآية أخرى:

فظاهر لفظ الميتة يتناول تحريم عموم الميتة، وقد خصّ بعض المفسّرين هذا العموم بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾[٣].

قال الإمام الجصاص[٤] رحمه الله: « من الناس من استدل على تخصيص عموم آية تحريم الميتة بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ »[٥].

وقال الإمام أبو حيان رحمه الله: « ... قال قوم: خصّ هذا العموم بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾... »[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨١). (بتصرف).

(٢) تيسير التفسير للقطان (١/ ١٤٥).

(٣) سورة المائدة: ٩٦.

(٤) هو: أحمد بن علي الرازي الجصّاص، أبو بكر، الفقيه، إمام أصحاب الرأي في وقته، وإليه انتهت الرياسة في الفقه الحنفي، له تصانيف مشهورة، توفي سنة (٣٧٠هـ)، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٤/٣١٤). الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/٢٢٠) تأليف: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ت: د. عبد الفتاح محمد الحلو.

(٥) أحكام القرآن (١/ ١٣٢) أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

(٦) البحر المحيط (٢/ ١٣٨).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقد خصّص الجمهور من ذلك ميتة البحر لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ »(١).

وذكر تخصيص الآية بالآية المذكورة غير واحد من المفسرين(٢).

ووجه البيان فيه: ظاهر وواضح؛ إذ لمّا عمّمت الآية الأولى تحريم الميتة خصّصتها الثانية، وأحلّت ميتة البحر الذي هو طعامه الذي يقتله ثم يرمي به إلى ساحله.

وتفسير القرآن بالقرآن هنا صحيح؛ لأنّه من تخصيص العام، فطعام البحر – على القول الراجح(٣) – ميتته الملفوظ على ساحله، أو الذي حَسَر عنه.

وهذا قول جمهور الصحابة والتابعين، كأبي أيوب(٤)، وابن عباس في الرواية المشهورة عنه(٥)، ورجحه ابن جرير، وابن عطية، والرازي، وغيرهم(٦).

ويؤيّد تخصيص عموم الآية في تحريم الميتة بإباحة ميتة البحر أحاديث صحيحة من السنة.

كالذي أخرجه الشيخان من حديث جابر في أكلهم من ميتة البحر حين بعثهم النبي ﷺ في سرية عليها أبو عبيدة بن الجراح(٧).

وحديث: « أُحلَتْ لنا مَيْتَتَانِ ودَمَانِ فأما الميتتان فالحوتُ والجرادُ وأما الدمان فالكبدُ والطِّحال »(٨).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٧)، فتح القدير (١/٢١٩)، التحرير والتنوير (٢/١١٦)، أضواء البيان (١/١٠٨).

(٣) فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين أقوال أخرى في المراد بطعام البحر، انظرها في: جامع البيان (١١/٦٥-٦٩)، زاد المسير (٢/ ٢٦٦)، فتح القدير (٢/ ٣٦١).

(٤) فيما أخرجه الطبري (١١/٦٥) بسنده عن شهر، عن أبي أيوب.

(٥) كما قال ابن كثير، وقد أخرج ذلك الطبري عنه من طرق كثيرة انظر: جامع البيان (١١/ ٦٢).

(٦) انظر: جامع البيان (١١/ ٦٩)، المحرر الوجيز (٢/ ٣٤٨)، التفسير الكبير (٦/١٦٤).

(٧) انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب: ، باب: الشركة في الطعام، برقم: (٢٤٨٣) وفي صحيح مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة ميتات البحر، برقم: (١٩٣٥).

(٨) أخرجه أحمد (٢/٩٧، رقم ٥٧٢٣)، وابن ماجه (٢/١١٠٢ ، رقم ٣٣١٤) كتاب الأطعمة: باب الكبد والطحال، الحديث "٣٣١٤"، وغيرهم مرفوعاً، وضعف لأن فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، انظر: المجروحين لابن حبان (٢/٥٨)، وقد روي عن ابن عمر موقوفاً كما في العلل (٢/١٧) لابن أبي حاتم، رقم ١٥٢٤) وهو صحيح.

=

وقوله عليه السلام عن البحر: « هُوَ الطَّهورُ ماؤهُ الحلُ ميتته »[1].

المطلب الثاني: تقييد مطلق الدم بآية أخرى:

فقد أطلق الله في هذه الآية تحريم الدم، دون تقييد له بالمسفوح، فيتناول الدم المسفوح الجاري، وغير المسفوح الباقي في خلل اللحم وفي العروق بعد الذبح.

وقد حمل جمهور العلماء هذا المطلق بما جاء مقيّداً في آية أخرى من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا﴾[2].

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: « اتفق العلماء على أن الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به، وقد عينه الله تعالى هاهنا مطلقا، وعينه في سورة الأنعام مقيدا بالمسفوح، وحمل العلماء هاهنا المطلق على المقيد إجماعاً »[3].

وقال الجصاص: « قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ وقال: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[4]، فلو لم يرد في تحريمه غير هاتين الآيتين لاقتضى ذلك تحريم سائر الدماء قليلها وكثيرها فلما قال في آية أخرى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا

=

قال ابن حجر فى التلخيص الحبير (١/٢٦): « الرواية الموقوفة التى صححها أبو حاتم وغيره هى فى حكم المرفوع؛ لأن قول الصحابى أحل لنا وحرم علينا كذا مثل قوله أمرنا بكذا ونهينا عن كذا فيحصل الاستدلال بهذه الرواية لأنها فى معنى المرفوع والله أعلم ».

ولهذا أيضاً صحح الألباني الحديث في صحيح الجامع الصغير (١/ ٢١)، والسلسلة الصحيحة (٣/ ١١١) وقال في منزلة السنة في الإسلام (صـ ٩): « وهو في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي ».

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/٢٢) كتاب الطهارة، باب الطهور للوضوء، الحديث "١٢"، وأحمد في مسنده (٢/٣٦١)، وأبو داود في السنن (١/٦٤) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، الحديث "٨٣"، والترمذي في سننه أيضاً (١/١٠٠- ١٠١) كتاب الطهارة: باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، الحديث "٦٩"، والنسائي (١/١٧٦) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، وابن ماجة (١/١٣٦) كتاب الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، الحديث "٣٨٦".قال الترمذي: « هذا حديث حسن صحيح، قال: « وسألت البخاري عنه، فقال: هو حديث صحيح، وكذا صححه البغوي في شرح السنة (٢/ ٥٦)، والألباني في إرواء الغليل (١/ ٤٢)، والسلسلة الصحيحة (١/ ٨٦٤). وانظر: البدر المنير (١/ ٣٥٠)، التلخيص الحبير (١/ ١١٨).

(٢) سورة الأنعام: ١٤٥.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٩٥).

(٤) سورة المائدة: ٣.

عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ دل ذلك على أن المحرم من الدم هو المسفوح دون غيره... »[١].

وقال القرطبي: « ذكر الله ﷻ الدم ههنا مطلقا، وقيده في الأنعام بقوله: ﴿مَّسْفُوحًا ﴾ وحمل العلماء ههنا المطلق على المقيد إجماعا، فالدم هنا يراد به المسفوح، لأن ما خالط اللحم فغير محرم بإجماع »[٢].

وممن نصّ على تقييد الآية بآية الأنعام: الثعلبي، والبغوي، وابن الجوزي، والنسفي، وابن جزي، والسمرقندي، وأبو حيان، والشربيني، والألوسي، والشوكاني، وثناء الله الهندي، والسعدي، والشنقيطي، والعثيمين[٣]، وغيرهم.

ووجه البيان فيها: وواضح؛ إذ لما أطلق الله الدم في الآية الأولى قيّده بالمسفوح في الآية الثانية، فحمل المطلق على المقيّد، وفسّر به، فالمحرم من الدم هو المسفوح، وما لم يكن منه مسفوحًا، فحلال غير نجس[٤].

الأقوال الأخرى في الآية:

وقد سبق من كلام الإمامين: ابن العربي، والقرطبي أنّ حمل المطلق على المقيّد هنا إجماع من العلماء، كما سبق في الدراسة التمهيدية أنّ حمل المطلق على المقيد في هذه الحالة (حالة اتحاد السبب والحكم) قول الجمهور خلافاً لأبي حنيفة.

إلا أنّ بعض المفسّرين نقلوا عن الإمام الشافعي رحمه الله تحريم الدم سواء سواء كان مسفوحاً أو غير مسفوح لإطلاق الآية، قال النيسابوري: « أما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحاً أو غير مسفوح؛ **لإطلاق الآية** ... »[٥].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (١/ ١٥١- ١٥٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٢٢).

(٣) انظر: الكشف والبيان (١/١٦٧)، معالم التنزيل (١/ ١٨٣)، زاد المسير (١/ ١٦٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٨٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨٤)، بحر العلوم (١/١٤٥)، البحر المحيط (٢/١٣٩)، السراج المنير (١/٢٥٠)، روح المعاني (٢/٩٩)، فتح القدير (١/٢١٩)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٤١)، أضواء البيان (١/١٠٨) تيسير الكريم الرحمن (صـ٨١)، تفسير القرآن للعثيمين (٢/٢٥٠).

(٤) انظر: جامع البيان (١٢/ ١٩٣).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٤٧٠)، ونقل مثله الخازن في تفسيره (١/ ١٣٤).

وذكر ابن رشد رحمه الله خلافاً للفقهاء في ذلك فقال: « وأما اختلافهم في كثير الدم وقليله فسببه اختلافهم في القضاء بالمقيد على المطلق أو بالمطلق على المقيد؛ وذلك أنه ورد تحريم الدم مطلقا في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ وورد مقيدا في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ فمن قضى بالمقيد على المطلق وهم الجمهور قال المسفوح هو النجس المحرم فقط، ومن قضى بالمطلق على المقيد لأن فيه زيادة قال: المسفوح وهو الكثير وغير المسفوح وهو القليل كل ذلك حرام وأيد هذا بأن كل ما هو نجس لعينه فلا يتبعض »[1].

وقال في موضع آخر: « وأما الدم فاتفقوا على تحريم المسفوح منه من الحيوان المذكى واختلفوا في غير المسفوح منه »[2].

و لم يفصّل مذاهب الفقهاء في ذلك وإسناد كلّ قول إلى صاحبه، فإن كان مراده ما ذكر عن أبي حنيفة – فذلك مشهور عنه كما تقدّم –، وإن كان غير ذلك فهو – كما قال الشيخ صالح الفوزان – فيه نظر؛ إذ أنه مخالف لما أثر عن السلف من عملهم بمفهوم الآية[3].

والراجح قول الجمهور في حمل المطلق هنا على المقيّد، فيكون المحرّم من الدّم المسفوح فقط دون غيره؛ إذ في ذلك العمل بالآيتين، وذلك يخرج المكلّف من العهدة بيقين[4].

وعليه يصح تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾، وبقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ تخصيصاً لعموم الميتة بالأولى، وتقيداً لمطلق الدم بالمقيد في الثانية، والحمد لله على تيسيره.

---

(١) بداية المجتهد (١/ ٨٠)

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٦٧)

(٣) انظر: كتاب الأطعمة والصيد والذبائح للشيخ صالح الفوزان (صـ٢٢٤).

(٤) انظر: إرشاد الفحول (٦/٢)، من تعليق المحقق.

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾

فسّر هذا المقطع من الآية بآيتين من القرآن الكريم: .

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾[(١)].

أخرج الطبري بسنده[(٢)] عن الربيع قال: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾، يقـول: من غير أن يبتغي حرامًا ويتعداه، ألا ترى أنه يقـول: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾[(٣)].

ووجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ الربيع ﷺ يرى أنّ المراد بقوله: ﴿بَاغٖ﴾: من يطلب الحـرامَ في أكلـه، ويأكل فوق حاجته، وبقوله: ﴿عَادٖ﴾ المتعدّي بأكلها وهو يجد غيرها[(٤)].

ولما كان هذا التفسير لمعنى اللفظين (البغي، والعدوان)، مطابقاً لمعناهما في آية المؤمنون والمعارج، استشهد بها؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ معناه: فمن طلب والتمس لفرجه مَنكَحًا سوى زوجته، وملك يمينه، فهم العـادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حَرّم عليهم[(٥)].

وهذا من باب جمع موارد اللفظة القرآنية، والاستشهاد ببعضها على تفسـير الأخرى، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرىن على المصطلح الموسع، والله تعـالى أعلم.

---

(١) سورة المؤمنون: ٧، سورة المعارج: ٣١.

(٢) في جامع البيان (٣/٣٢٤) من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

(٣) سورة المؤمنون: ٧، سورة المعارج: ٣١.

(٤) وهذا القول هو قول جماعة من المفسّرين كقتادة، وعكرمة، والحسن، وابن زيد، ورجحه الطـبري، انظـر: تفسيره (٣/٣٢٢- ٣٢٤)، وزاد المسير (١/ ١٦٢).

(٥) جامع البيان (١٩/١١).

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، لم يبين هنا سبب اضطراره، ولم يبين المراد بالباغي والعادي، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن سبب الاضطرار المذكور المخمصة، وهي الجوع وهو قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾، وأشار إلى أن المراد بالباغي والعادي المتجانف للإثم، وذلك في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ والمتجانف: المائل »[2].

وأورد الآية هنا أيضاً الشيخ ثناء الله الهندي رحمه الله[3].

وجه بيان الآية بهذه الآية: من وجهين – كما هو ظاهر من كلام الشنقيطي.

الأول: أنّ الله أباح للمضطر – غير الباغي والعادي – الأكل من المحرمات المذكورة في أول الآية، ولم يبين سبب الاضطرار، وبماذا اضطُرَّ، وقد يحتمل ذلك الاضطرار بأسباب أخرى، فصرّحت الآية الثانية بأنّ الاضطرار الذي أباح الله به الأكل من تلك المحرمات هو بسبب المخمصة وهو الجوع، فمن اضطره الجوع إلى الأكل من المحرمات – غير باغ ولا عاد – فلا إثم عليه، فيحمل الاضطرار في الآية الأولى على ذلك، وإن كان سياق الآية يدلّ عليه؛ إذ هي نازلة في حكم الأكل مما حرّمه الله.

الثاني: أنّ قوله تعالى في الآية المفسَّرة ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قد يخفى فيه معنى البغي والعدوان، وقدر ذلك، فلما قال في الآية الثانية: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ فهم منه أنّ البغي والعدون تفسيرهما الميل للإثم، فمتى مال المضطر إلى الإثم في أكله المحرمات حرم عليه ذلك ولم يجز له.

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) أضواء البيان (١/ ١٢٥).

(٣) في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٤٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ البقرة: ١٧٧

هذه أجمع الآيات في تحديد معنى البر وبيان كنهه وحقيقته، قال عنها الحافظ ابن كثير: « اشتملت على جمَل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة »[(١)].

وقد علمنا الله سبحانه وتعالى فيها – لما أكثر الناسُ الكلامَ فى أمر القبلة كأنها هى وحدها الخير – أنّ استقبال جهة معينة فى المشرق أو المغرب ليس هو قوام الدين وجماع الخير، ولكنّ ملاك الخير ووجوه البر أنواع ثلاثة جامعة لكل خير: برٌّ في العقيدة، وبرٌّ في العمل، وبرّ في الخُلق[(٢)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير هذه الآية بآيات الذكر ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعيين مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

فقد اختلف المفسرون في عود الهاء في قوله ﴿حُبِّهِۦ﴾ على أربعة أقوال[(٣)].

وحمل في بعضها على آيات من كتاب الله تعالى، على النحو التالي:

القول الأول: أنه يعودُ على المالِ، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، والتقدير: وآتى المال على حب المال.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٨٥/١)، وحكى عن الثوري قوله: « هذه أنواع البر كلها » ثم قال: «وصدق رحمه الله؛ فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله ».

(٢) تيسير التفسير للقطان (١٤٨/١-١٤٩) (بتصرف)، وانظر هناك كلامه الجميل في تفصيل الآية على الأنواع الثلاثة المذكورة .

(٣) انظر: الكشف والبيان (١٧٣/١)، الكشاف (١٥٨/١)، المحرر الوجيز (١٩٠/١)، معالم التنزيل (١٨٦/١)، التفسير الكبير (٥٢/٣)، البحر المحيط (١٥٨/٢).

وحمله بعض من قال بهذا القول على آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3].

فقد استشهد بالأولى الجصاص رحمه الله حيث يقول: « وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ يعني أنّ البارَّ من آتى المال ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل فيه أنه يعني حب المال كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ »[4].

وبالآية الثانية القرطبي رحمه الله فقال: « وقيل: يعود على المال، فيكون المصدر مضافا إلى المفعول ... ونظيره قول الحق: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ... أي على حب الطعام »[5].

وبالأخرى ابن جزي رحمه الله حيث يقول: « ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الضمير عائد على المال لقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ »[6].

ووجه بيان الآية بالآيات الثلاث: أنها تؤيّد القول بإضافة الحبّ إلى المال وعود الضمير إليه، وتزيل الاحتمال الواقع فيه.

فأما قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ففيه يصف الله الأنصار الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين بأنهم يعطون المهاجرين أموالهم إيثارًا لهم بها على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفاقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم[7].

---

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

(٢) سورة الإنسان: ٨

(٣) سورة الحشر: ٩.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (١/١٦١)، واستشهد بهذه الآية الشوكاني أيضاً في فتح القدير (١/٢٢٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤٢).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨٦)، واستشهد بها أيضاً الشيخ الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٤٣).

(٧) جامع البيان (٢٣/ ٢٨٤) (بتصرف واختصار).

وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ففيه يخبر تعالى عباده المؤمنين الراغبين في بره وإفضاله بأنهم لن يظفروا بمطلوبهم من برّ ربهم حتى ينفقوا من أطيب أموالهم وأنفسها عندهم وأحبّها إليهم[1].

وأصرح هذه الآيات في الدلالة على المقصود قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾؛ إذ الأظهر في الضمير في قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ – كما يقول الحافظ ابن كثير – أنه عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قال: « قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، وكقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ »[2].

فالضمير هناك – وإن ذكر بعض المفسّرين احتمالات أخرى في عوده – لا يمكن القول بعوده إلى مُطْعِم الطّعام؛ إذ لو كان كذلك لقال: ويطعمون الطعام على حبهم، فيكون الضمير في هذه الآية أيضاً عائداً إلى المال، حملاً لها على هذا المعنى.

القول الثاني: أنّ الضمير يعود على المُؤْتِي للمال، فيكون المصدرُ على هذا مضافاً للفاعِلِ.

وحمل الشيخ الشنقيطي الآية على هذا القول على قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ حيث يقول: « قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الآية، لم يبين هنا هل هذا المصدر مضاف إلى فاعله فيكون الضّمير عائداً إلى من آتى المال، والمفعول محذوفاً، أو مضاف إلى مفعوله فيكون الضمير عائداً إلى المال ولكنه ذكر في موضع آخر ما يدل على أن المصدر مضاف إلى فاعله، وأن المعنى ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، أي حب مؤتي المال لذلك المال وهو قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. ولا يخفى أن بين القولين تلازماً في المعنى »[3].

---

(١) أيسر التفاسير (١/١٨٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٨٨)، وذكر مثل هذا مع الاستشهاد بالآيات الزمخشري في الكشاف (٧/١٩٨)، والرازي في تفسيره (١٦/ ٢٢٣)، وابن جزي في التسهيل (١/ ٢٥٢٣).

(٣) أضواء البيان (١/ ١٤٢).

ووجه بيان الآية بالآية – على هذا القول –: أنّ الله أسند الحبّ في قوله (تحبون) إلى المنفقين، وهم الفاعلون، فتحمل الآية هنا عليها، ويكون الحبّ مضافاً إلى الفاعل (مؤتي المال)، والضمير عائداً إليه.

والظاهر أنّ استدلال الشّنقيطي بهذه الآية إنما هو من حيث الحقيقة، واستدلال الجصاص والشوكاني بها على القول الأول من حيث الظاهر؛ فإنّ من سنن العرب إضافةُ الفعل إلى من يقع به ذلك الفعل، فقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ **الحب في الظاهر مضاف إلى الطعام والمال، وهو في الحقيقة لصاحب المال وصاحب الطعام**(1).

ولذا فالقولان متلازمان من حيث المعنى كما قال الشنقيطي، فسواء كان التقدير: وآتى المال على حب المال، أو كان: وآتى المال على حبه للمال، فالمعنى واحد ولا فرق بينهما، وإنما الفرق يَرِدُ بينهما وبين القولين الآخرين في عود الضمير.

القولان الآخران في عود الضمير:

١ – أنه يعودُ على الإيتاء المفهومِ من قوله: ﴿وَءَاتَى﴾، أي: على حُبِّ الإيتاء، كأنه قيل: يعطي ويحب الإعطاء رغبة في ثواب الله.

٢ – أنه يعودُ إلى اسم الله تعالى من قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، أي: يعطون المال محبة في الله تعالى وطاعاته.

وقد استشهد الشوكاني ﵀ على هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، قال: « والمعنى على الثالث: أنه أعطى من تضمنته الآية في حبّ الله عزّ وجلّ؛ لا لغرض آخر، وهو مثل قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، ولايرد هذا الاستدلال إلا على القول بعود الضمير في هذه الآية أيضاً على اسم الله، أي ويطعمون الطعام لوجه الله وابتغاء مرضاته، وهو – وإن حكاه بعض المفسّرين – مرجوح؛ إذ في قوله تعالى – حكاية عنهم –: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾(2) – غنية عن ذلك(3).

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة (١/٦٤) (بتصرف يسير).

(٢) سورة الإنسان: ٩.

(٣) انظر: روح المعاني (٢٢/ ٧)

الترجيح:

والراجح من هذه الأوجه المذكورة في عود الضمير هو القول الأول، وهو عوده على المال؛ وذلك لأمور:

١- تأييد المعنى على ذلك بآيات من القرآن - كما تقدّم - بل وتصريح بعضها في ذلك.

٢- أنه يشهد له ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هُرَيرة مرفوعًا: "أفضل الصدقة أن تَصَدَّقَ وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر"[(١)].

فقوله شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر يدل على المعنى الذي ذكرتْه الآية كما نصّ على ذلك جمع من المفسّرين[(٢)].

٣- أن المال أقرب مذكور؛ والقاعدة أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلاّ بدليلٍ[(٣)].

٣- أنه قول جمهور المفسّرين؛ قال ابن كثير: « نصّ على ذلك ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف »[(٤)]، لذا اقتصر عليه الطبري، والزمخشري[(٥)]، وابن كثير، والسعدي[(٦)]، ورجحه أبو حيان، وابن جزي، وغيرهم، بل قال ابن عاشور: « والضمير للمال لا محالة »[(٧)].

ولا فرق بين هذا وما ذهب إليه الشنقيطي إلا من حيث اللفظ والإعراب أما في المعنى فالقولان متلازمان - كما ذكر الشنقيطي وسبق تقريره - والله أعلم.

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ بالآيات المذكورة في تعيين عود الضمير إلى المال، وأصرحها في ذلك آية الإنسان كما تقدّم، والعلم عند الله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، وصدقة الشحيح الصحيح، رقم: (١٤١٩) ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح برقم: (١٠٣٢).

(٢) كالطبري، وابن كثير، وأصرح من اطلعت على كلامه في ذلك الجصاص في أحكام القرآن (١٦٢/١)، حيث قال: « وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك ما يدل على أنه أراد حب المال ...».

(٣) انظر: التسهيل (١/ ٢٥٢٣)، البحر المحيط (٢/ ١٦٨)، الجواهر الحسان (١/ ٩٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٨٦/١).

(٥) في الكشاف (١٥٨/١).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (صـ٨٣).

(٧) التحرير والتنوير (٢/ ١٢٩).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنّ البأساء هو الفقر وأن الضــراء المــرض في الجسد، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك[1]، وروي ذلك عن ابن مسعود[2]، وقتادة[3]، والربيع[4]، والضحاك[5]، وابن جريج[6].

وقد أخرج الإمام الطبري[7] بسنده عن قتادة قال: كنا نُحدَّث أنّ البأساء البؤس والفقر، وأن الضّراء السُّقم، وقد قال النبي أيوب ﷺ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[8].

ووجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ قتادة رحمه الله فسّر الضراء هنا بالمرض – كما هو قول الجمهور –، واستشهد بآية الأنبياء التي أخبر الله فيها عن أيوب عليه السلام ما مسّه من ضرّ، وهو المرض وغيره، على المعنى الذي ذهب إليه من تفسير الضراء هنا بالمرض.

ولذا فهو من قبيل الاستشهاد على المفردة القرآنية بمواردها، فهو من تفســير القرآن بالقرآن، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/١٩١)، زاد المسير (١/١٦٦)، البحر المحيط (٢/١٦١)، تفسير القرآن العظيم (١/٤٨٨).

(٢) كما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٣٤٩) بسنده من طريق أسباط، ومن طريق شريك عن السدي، عن مرة الهمداني عنه.

(٣) كما يأتي قريباً.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٣٥٠) بسنده ابن أبي جعفر، عن أبيه.

(٥) كما أخرج الطبري ذلك عنه (٣/ ٣٥٠) من طريق عبيد بن الطفيل.

(٦) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٣٥٠) من طريق حجاج عنه.

(٧) في جامع البيان (٣/٣٥٠)، من طريق معمر.

(٨) سورة الأنبياء: ٨٣.

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

فقد اتفق المفسّرون قاطبةً على تفسير قوله ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ بأنه في حال القتال[(١)].

وقد فسَّر بعض المفسرين الآية – على هذا المعنى بآيتين، هما:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(٣)].

فأورد الأولى الشيخ ثناء الله الهندي[(٤)]، وذكر الثانية الشيخ الشنقيطي[(٥)].

ووجه البيان: أنّ البأس له وجوه متعددة في استعماله في القرآن الكريم[(٦)]، ولم يأت في سياق الآية ما يعيّن أحد الوجوه والاحتمالات، أمّا في الآيتين المذكورتين فظاهر سياقهما أنّ المراد بالبأس القتال[(٧)]؛ فيفسّر الآية بذلك.

وهذا من قبيل الاستشهاد على تفسير المفردة القرآنية ببعض مواردها؛ إذ لا توجد هناك قرينة بين الآيات، سواء في القصة أو الموضوع، تسيغ حمل البأس في إحداها عليه في الأخرى. فهو من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والله تعالى أعلم.

❁❁❁◈◈◈

---

(١) البحر المحيط (٢/ ١٦١)، وانظر: جامع البيان (٣/ ٣٥٥)تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٨٨).

(٢) سورة النمل: ٣٣.

(٣) سورة الأحزاب: ١٨.

(٤) في تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص٤٣).

(٥) في أضواء البيان (١/١٤٢).

(٦) فقد ورد بوجهين:

١- شدة العذاب، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾، سورة الأنبياء: ١٢، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾، سورة غافر: ٨٤.

٢- الشدة في القتال: كما ورد في الآية هنا، وفي قوله تعالى : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، سورة النساء: ٨٤. وفي قوله: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، سورة الأنعام: ٦٥.

انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (١/ ١٨٤-١٨٥)، وذكرهما كثير من أهل المعاجم، انظر: الصحاح في اللغة (١/ ٢٩)، تاج العروس (١/٣٨٤٩)، لسان العرب (٦/ ٢٠) (مادة بأس).

(٧) كما يشير لذلك كلام الشيخ الشنقيطي عند إيراده للآية المفسَّرة.

تفسير قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾

فرض الله في هذه الآية على المؤمنين إذا حضرت أحدَهم أماراتُ الموت وأسبابُ المهالك، وكان عنده مال أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير إسراف ولا تقتير(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد حمل جمع من أهل التفسير هذه الآية على آية المواريث في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ ﴾ الآيات (٢).

واختلفوا في حملها عليها على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: نسخ وجوب الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث، قالوا: كانت الوصية فرضاً قبل الميراث ثم نسختها آية الميراث وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين وذهب إلى هذا جمعٌ من أهل العلم، فروي عن جمع من الصحابة والتابعين، كابن عمر(٣)، وابن عباس(٤)، وقتادة(٥)، ومجاهد(٦)، وعكرمة والحسن البصري(٧).

قال ابن أبي حاتم: « وروي عن ابن عمر، وأبي موسى، وسعيد بن المسيّب(٨)، والحسن، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جُبَير، ومحمد بن سيرين(٩)، وعكرمة، وزيد

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٥)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٨٥).

(٢) سورة النساء:١١.

(٣) فيما أخرجه الطبري (٣/٣٩١) بسنده من طريق جهضم، عن عبد الله بن بدر.

(٤) فيما أخرجه الطبري (٣/٣٩١) من رواية محمد بن سعد عن أبيه عن عمه عن جده، ومن طريق يونس عن ابن سيرين، وما أخرجه ابن أبي حاتم والنحاس بسندهما من طريق ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عنه. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٩٩)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٨٨-٨٩)، تفسير القرآن العظيم (١/٤٩٣).

(٥) فيما أخرجه الطبري (٣/٣٩١) من طريق المعتمر عن أبيه.

(٦) فيما أخرجه الطبري (٣/٣٩١- ٣٩٢) عنه من طريق أبي نجيح.

(٧) كما أخرج ذلك الطبري (٣/٣٩١) عنهما من طريق يزيد النحوي.

(٨) هو: الإمام العلم أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، ولد في خلافة عمر لأربع مضين منها، كان عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، توفي سنة (٩٤هـ)، انظر: الطبقات الكبرى (٥/١١٩)، سير أعلام النبلاء (٤/٢١٧).

(٩) هو: محمد بن سيرين الأنصاري البصري، إمام وقته، كان فقيهاً عالماً ورعاً أديباً، كثير الحديث، صدوقاً، شهد له =

بن أسلم، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، ومقاتل بن حَيَّان[١]، وطاوس[٢]، وإبراهيم النَّخَعي[٣]، وشُرَيح[٤]، والضحاك، والزهري[٥]: أن هذه الآية منسوخة نسختها آية الميراث»[٦].

وهو الذي ذكره أكثر المؤلفين في الناسخ والمنسوخ[٧]، ورجحه جمع من العلماء[٨].

الوجه الثاني: تخصيص الآية بآية المواريث؛ لأن هذه الآية توجب الوصية للأقربين، ثم آية الميراث تخرج الوالدين والأقارب الوارثين، ويبقى غير الوارثين

=

أهل العلم والفضل بذلك، توفي سنة (١١٠هـ). انظر: حلية الأولياء (٢/٢٦٣)، شذرات الذهب (١/٢٤٦).

(١) هو: الإمام، العالم، المحدّث، الثقة، مقاتل بن حيّان النبطي البلخي، أبو بسطام، كان من العلماء العاملين، ذا نسك وفضل، توفي سنة (١٥٠هـ). انظر: تقريب التهذيب (صـ٤٧٦)، طبقات المفسرين للداودي (١/٣٢٩).

(٢) هو: الحافظ الفقيه أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان اليماني الحميري مولاهم، الفارسي، يقال: اسمه ذكوان، وطاوس لقب له، كان عالم أهل اليمن ومن عُبَّادها، ومن سادات التابعين، أدرك خمسين صحابياً، توفي بمكة سنة (١٠٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٣٨)، طبقات المفسرين للأدنه وي (صـ١٢).

(٣) هو: أبو عمران بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي، فقيه العراق، دخل على عائشة وهو صبي، توفي سنة (٩٥هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (١/٥٩)، طبقات علماء الحديث (١/١٤٥) للإمام أبي عبد الله محمد بن عبدالهادي الدمشقي، ط١، ١٤٠٩هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق.

(٤) هو: شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية قاضي الكوفة، أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم يلقه على الصحيح، وانتقل من اليمن زمن الصديق، توفي قبل سنة (٧٨هـ)، انظر: تهذيب الكمال (٣/٣٧٧)، البداية والنهاية (٩/٢٩).

(٥) هو: الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي، الزهري، الفقيه الحافظ، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، متفق على جلالته وإتقانه توفي سنة (١٢٥هـ)، انظر: التاريخ الكبير (١/٢٢٠)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/٢١٩) للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ط١، ١٤١٣هـ تقديم وتعليق: محمد عوَّامة، تخريج: أحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٩٩).

(٧) انظر: المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (صـ ١٨)، الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (صـ٤٠)، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (صـ ٢٤)، الناسخ والمنسوخ للكرمي (صـ ٥٩).

(٨) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/١٣١)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨٨)، الفوز الكبير في أصول التفسير (صـ٥٤) للإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، نقله من الأصل الفارسي إلى العربية: سلمان الحسيني الندوي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ ٤٥)، مناهل العرفان (٢/٢٥٧).

بسبب أو بصفة[1]، وهذا ما عبّر عنه بعض القائلين به بقولهم: هي منسوخة فيمن يرث، ثابتة فيمن لا يرث، ولهذا قال ابن كثير: « ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخاً في اصطلاحنا المتأخر؛ لأن آية الميراث إنما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه عموم آية الوصاية، لأن "الأقربين" أعم ممن يرث ومن لا يرث، فرفع حكم من يرث بما عين له، وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الأولى »[2].

وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[3]، وقتادة[4]، وطاووس[5]، والربيع[6]، والحسن[7]، وغيرهم، وهو الذي رجحه الدكتور مصطفى زيد[8]، و الشيخ العثيمين؛ فقال رحمه الله - مبيناً وجه التخصيص - «ولكن القول الراجح أنه ليس بمنسوخ؛ لإمكان التخصيص؛ فيقال: إن قوله تعالى: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ مخصوص بما إذا كانوا وارثين؛ بمعنى أنهم إذا كانوا وارثين فلا وصية لهم اكتفاءً لما فرضه الله لهم من المواريث؛ وتبقى الآية على عمومها فيمن سوى الوارث »[9].

لكنّ يتأتى هذا – كما قال الحافظ ابن كثير -: على القول بأنّ الوصية في الآية إنما كانت ندباً، فتبقى ندباً لغير الوارثين، أما على القول بأنها كانت واجبة وهو الظاهر من سياق الآية –[10] فيتعين القول بنسخ الوصية عموماً ويبقى ندبه واستحبابه للأقارب الذين لا ميراث لهم، استئناسًا بالآية، وبالأحاديث الواردة في ذلك[11].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٧٥)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤٢١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٤٩٣).

(٣) كما في رواية عكرمة وابن أبي طلحة عنه، انظر: جامع البيان (٣/ ٣٩٠).

(٤) كما اخرج ذلك الطبري من طريقي معمر، وسعيد.

(٥) من رواية سفيان عن ابن طاووس عنه، كما في جامع البيان. (٣/٣٨٩)

(٦) كما أخرجه الطبري (٣/ ٣٩٠) عنه من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه.

(٧) كما في سند الطبري من طريق ابن المبارك، عن إسماعيل المكي عنه.

(٨) في كتابه النسخ في القرآن (٢/٥٩٦).

(٩) تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)

(١٠) قال الجصاص: « ودلالة الآية ظاهرة في إيجابها وتأكيد فرضها لأن قوله كتب عليكم معناه فرض عليكم على ما بينا فيما سلف ثم أكده بقوله بالمعروف حقا على المتقين ولا شيء في ألفاظ الوجوب آكد من قول القائل هذا حق عليك ... مع اتفاق أهل التفسير من السلف أنها كانت واجبة بهذه الآية » أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢٠٣).

وقال ابن عاشور: « وهذه الآية صريحة في إيجاب الوصية ، لأن قوله : (كتب عليكم (صريح في ذلك وجمهور العلماء على أنها ثبت بها حكم وجوب الإيصاء للوالدين والأقربين ». التحرير والتنوير (٢/ ١٤٩).

(١١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٤٩٤).

الوجه الثالث: تفسير مجمل الوصية بما جاء مفصّلاً في آية المواريث، فيكون معنى الآية: كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين: في قوله في آية المواريث: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡ ﴾، أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم، وحكى هذا القول الزمخشريُّ الرازي، وغيرهما[١].

أو أن الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لأنصبائهم فلما نزلت آية المواريث بياناً للأنصباء بلفظ الإيصاء، فُهِم منها بتنبيه النبي ﷺ أنّ المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كأنه قيل: إن الله تعالى أوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها إليكم فقام الميراث مقام الوصية، وحكى هذا أبو السعود والآلوسي[٢]، ورجح السعدي نحوه في تفسير الآية[٣].

فعلى هذه الآراء تكون الآية محكمة لكنها وصية بالميراث المقدر.

الأقوال الأخرى في الآية:

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنّ الآية محكمة غير منسوخة، والمقصود بها من أول الأمر الوصية لغير الوارث من الوالدين والأقربين مثل الأبوين الكافرين والعبْدين والأقارِب الذين لا ميراث لهم، قالوا الآية ظاهرُها العموم، والمرادُ بها في الحكم الخصوص[٤].

وهذا مرويّ عن جمع من أهل التفسير كالحسن[٥]، وطاووس[٦]، واختاره الطبري والنحاس.

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٣/٧٥)، الكشاف (١/١٦١)، البحر المحيط (٢/ ١٧٥). غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٤٢٠).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٢٤٨)، وروح المعاني (٢/ ١١٧-١١٨).

(٣) انظر كلامه في تيسير الكريم الرحمن (صـ ٨٥) .

(٤) انظر: جامع البيان (٣/٣٨٥)، المحرر الوجيز (١/ ١٩٦)، التحرير والتنوير (٢/١٥٠).

(٥) فيما أخرجه عنه الطبري بسنده من طريق هشيم عن حميد.

(٦) أخرجه الطبري من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه.

قال الطبري رحمه الله: « وإذا كان في نسخ ذلك تنازع بين أهل العلم، لم يكن لنا القضاءُ عليه بأنه منسوخٌ إلا بحجة يجب التسليم لها، إذ كان غير مستحيل اجتماعُ حكمِ هذه الآية وحكمُ آية المواريث في حال واحدةٍ على صحة، بغير مدافعةِ حكم إحداهما حُكمَ الأخرى - وكان الناسخ والمنسوخ هما المعنيان اللذان لا يجوز اجتماع حكمهما على صحة في حالة واحدة، لنفي أحدهما صَاحبه »[(١)].

وقال أبوجعفر النحاس: « فالواجب أن لا يقال إنها منسوخة لأن حكمها ليس بناف حكم ما فرضه الله ﷻ من الفرائض فوجب أن يكون كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية كقوله كتب عليكم الصيام »[(٢)].

وحكى آخرون الجمع بين الآيتين، قالوا لا منافاة بين ثبوت الميراث للأقرباء مع ثبوت الوصية بالميراث، فالوارث جمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين[(٣)].

قال الجصاص: « فأما إيجاب الله تعالى الميراث للورثة فغير موجب نسخ الوصية لجواز اجتماع الميراث والوصية معا ألا ترى أنه ﷺ قد أجازها للوارث إذا أجازتها الورثة فلم يكن يستحيل اجتماع الميراث والوصية لواحد لو لم يكن إلا آية الميراث على أن الله إنما جعل الميراث بعد الوصية فما الذي كان يمنع أن يعطي قسطه من الوصية ثم يعطي الميراث بعدها »[(٤)].

الترجيح:

الراجح الذي يؤيده السياق هو القول الأول، وهو أنها منسوخة بآيات المواريث، فيثبت للوارث ما قدّر له الميراث، ويبقى الوصية لغير الورثة وهي بين

---

(١) جامع البيان (٣/ ٣٨٥).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٩٠).

(٣) انظر: الكشاف (١/١٦١)، التفسير الكبير (٣/٧٥)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٤٢٠)، البحر المحيط (٢/١٧٥).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (١/٢٠٥-٢٠٦). وذكر مثله القرطبي، لكنّه يرى أن الآية منسوخة بالحديث والإجماع، الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٦٣)

الوجوب والاستحباب، والاستحباب أقرب؛ إذ لا دليل من عمل النبي ﷺ والصحابة على وجوب الوصية لغير الورثة.

قال شيخ الإسلام: "والوصية للوالدين و الأقربين منسوخة بآية المواريث كما اتفق على ذلك السلف"[١].

وبذلك يصح هنا تفسير الآية الأولى بالثانية؛ لأنّ نسخ الآية بغيرها من تفسير القرآن بالقرآن على المصلح المطابق، والله أعلم.

وأما ما أخرجه الطبري[٢] عن مجاهد في قوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، كان يقول: الخير في القرآن كله: المال، ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٣]، الخير: المال، ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾[٤] المال، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[٥]، المال، و ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، المالُ.

ومثله عن الضحاك في قوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ قال، المال، ألا ترى أنه يقول: قال شعيب لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾[٦]، يعني الغني.

فهو من تتبع موارد اللفظة القرآنية، ووجوه استعمالها، والاستشهاد بها على تفسير يختاره المفسر في معنى الآية، فيكون من تفسير القرآن بالقرآن على مصطلحه الموسع، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٩٨).

(٢) في تفسيره (٣/ ٣٩٣).

(٣) سورة العاديات: ٨.

(٤) سورة ص: ٣٢

(٥) سورة النور: ٣٣ .

(٦) سورة هود: ٨٤.

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة؛ لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام، وهو التقوى؛ فالصّيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالأيام المعدودات في قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾.

لا خلاف بين أهل التفسير أنّ قوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ بيانٌ للصيام الذي فرضه على المؤمنين في الآية التي قبله(٢)، فهو من قبيل البيان المتصل.

إلا أنّ الخلاف في المراد بالأيام المعدودات، فحملها المفسّرون على قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾(٣).

وهم في حملها على هذه الآية على قولين متناقضين:

الأول: تفسير الأيام المعدودات بشهر رمضان:

فقد ذهب جمع من المفسّرين إلى أن المراد بصيام الأيام المعدودات: صيام شهر رمضان، كما في الآية الثانية.

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾: **تفسير لقوله تعالى:** ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ »(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٨٦) (باختصار)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٧).

(٢) وإن اختلفوا في وجه انتصاب { أياماً }؛ فسواءٌ كان نصبه على الظرفية، أي: كتب عليكم الصيام في أيام، أو كان مفعولاً ثانٍ لكُتب، أو مفعولاً لقوله: {الصيام}، أو على إضمار فعل، أي: صوموا أياماً معدودات، فلا فرق. انظر: الكشاف (١/١٦٢)، المحرر الوجيز (١/١٩٨)، التفسير الكبير (٣/٨٥)، البحر المحيط (٢/١٩٢).

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٥١)

وقال العلامة القاسمي رحمه الله: « ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾... أي: كتب عليكم الصيام في أيام معدودات، وهي أيام شهر رمضان، **كما بينها تعالى فيما بعد بقوله:** ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ »[(١)].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله — عند ذكر القولين في المراد بالأيام المعدودات: « وقال بعض العلماء هي رمضان، وعلى هذا القول **فقد بينها تعالى بقوله:** ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ الآية»[(٢)].

وذكر هذا جمع من المفسّرين، وبيّن بعضهم **وجه ذلك** بقولهم: إنّ الله تعالى أجمل أولاً ذكر الصيام في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ ؛ إذ هو محتمل ليوم ويومين وأيام، ثم بيّنه بعض البيان بقوله: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾، ثم كمل البيان بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾، فعلى هذا الترتيب يمكن جعل الأيام المعدودات بعينها شهر رمضان[(٣)].

الثاني: القول بنسخ صيام هذه الأيام المعدودات بفرض صوم رمضان في قوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

فقد ذكر جمع من المفسّرين أنّ المراد بالأيام المعدودات التي كتب الله صيامها على المؤمنين: صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر، قالوا: وكان هذا في ابتداء الإسلام يصومون من كل شهر ثلاثة أيام، ثم نسخ ذلك بصوم شهر رمضان[(٤)].

وهذا مرويٌّ عن معاذ بن جبل[(٥)]، وابن مسعود، وابن عباس[(٦)]، وعطاء[(٧)]، وقتادة[(٨)]، والضحاك[(٩)] ومال إليه ابن كثير[(١٠)].

---

(١) محاسن التأويل (٢/ ٥٧).

(٢) أضواء البيان (١/٤٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٣/ ٤١٧)، التفسير الكبير (٣/ ٨٥)، نواسخ القرآن (١٦٨/١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٩٤/١)، البحر المحيط (١٩١/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١٤٨/١) روح المعاني (٢/ ١٢٣).

(٤) انظر: الكشف والبيان (١٨١/١)، معالم التنزيل (١٩٦/١)، التفسير الكبير (٨٥/٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١٤٨/١)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٧).

(٥) كما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤١٤) بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٦) كما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤١٤) وابن أبي حاتم (٣٠٤/١) من طريق العوفي.

(٧) كما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤١٤) بسنده من طريق شبل عن ابن أبي نجيح.

(٨) كما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤١٥) بسنده من طريق معمر.

(٩) كما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٤/١) من طريق نصر بن شارس.

(١٠) في تفسيره (٤٩٧/١).

واحتج القائلون بهذا القول بوجوه، منها[1]:

١- ما روي عن النبي ﷺ أنّ صوم رمضان نسخ كل صوم[2]، فدل هذا على أن قبل وجوب رمضان كان صوماً آخر واجباً.

٢- أنه تعالى ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الآية، ثم ذكر حكمهما أيضاً في الآية الدالة على صوم رمضان، فلو كان هذا الصوم هو صوم رمضان، لكان ذلك تكريراً محضاً من غير فائدة.

٣- أن قوله تعالى في هـــذا الموضـــع: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾ يدل على أن الصوم واجب على التخيير، يعني: إن شاء صام، وإن شاء أعطى الفدية، وأما صوم رمضان فإنه واجب على التعيين، فوجب أن يكون صوم هذه الأيام غـــير صوم رمضان.

وقد أجيب على هذه الاحتجاجات بما يلي[3]:

أما الخبر فيمكن أن يحمل على نسخ كل صوم وجب في الشرائع المتقدمة، أو يكون ناسخاً لصيام وجب لهذه الأمة بغير هذه الآية.

وأما ما ذكر من التكرار فيحتمل أن يكون لبيان إفطار المسافر والمـــريض في رمضان في الحكم، فإنّ صوم رمضان كان واجباً مخيراً، فحين نسخ التخيير وصـــار واجباً على التعيين كان مظنة أن يتوهم أن هذا الحكم يعم الكل حتى يكون المريض والمسافر فيه كالمقيم والصحيح فأعيد حكمهما تنبيهاً على أنّ رخصتهما باقية بحالها لم تتغير كما تغير حكم المقيم والصحيح.

---

(١) رواه الدار قطني في سننه (٢٧٩/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٦١/٩)، وضعفاه، كذلك ضعفه غـــير واحد من العلماء، انظر: ذخيرة الحفاظ (٢٤٨٠/٥)، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشـــاف للزيلعي (١٠٦/١) السلسلة الضعيفة (٣٠٤/٢).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٨٥)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٩٤/١)، البحر المحيط (١٩١/٢).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٦٢/٥)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٩٥/١)، تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السايس (٧١/١) المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

أما قولهم: إن قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يدل على التخيير إلى آخره، فالجواب أن صوم رمضان كان واجباً مخيراً، ثم صار معيناً.

الترجيح:

والراجح هو القول الأوّل: تفسير الأيام المعدودات بشهر رمضان، لما يلي:

١- دلالة سياق الآيات على ذلك، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لا يدل على عدد ولا صفة ولا وقت، وإنما يشير إلى نفس الصيام، ثم عقبه الله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وتلك يقع على يسير الأيام وكثيرها، فلما قال تعالى: في نسق التلاوة ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾، بين عدد الأيام المعدودات ووقتها وأمر بصومها[(١)]، فلا وجه - إذا أمكن هذا - لحمل الآية على النسخ.

٢- ما ذكره الطبريّ وغيره: أنه لم يأت خبرٌ تَقوم به حُجة بأنّ صومًا فُرض على أهل الإسلام غيرَ صوم شهر رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان، فمن ادعى ذلك سئل البرهانَ على ذلك من خبر تقوم به حُجة، إذ كان لا يعلم ذلك إلا بخبر يقطع العذر[(٢)].

وقال ابن العربي: « ومن قال: إنه صوم ثلاثة أيام في كل شهر فقد أبعد؛ لأنه حديث لا أصل له في الصحة »[(٣)].

وبترجيح هذا القول يصح تفسير الأيام المعدودات في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ بشهر رمضان في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ ، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: نواسخ القرآن (١/ ١٦٨).

(٢) جامع البيان (٣/٤١٧) (مختصراً)، وانظر: التحرير والتنوير (٢/١٦٠).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/١٤٣).

المطلب الثاني: نسخ الآية بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1].

لا خلاف بين من يعتبر قوله من أهل العلم أنّ الحكم السّابق لهذا الحلّ (أي عدم جواز الجماع ليلة الصيام) كان ثابتاً ثم رفع بهذا الحلّ؛ لدلالة الآية على ذلك، وما أفاده سبب نزولها كما سيأتي[2].

لكن الخلاف في الدليل الذي ثبت به الحكم الأول، على قولين:

١- أنه ثبت بالقرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ثم نسخ بهذه الآية.

وذكر هذا جمع من المؤلفين في الناسخ والمنسوخ[3].

وهو الذي مال إليه الشنقيطي في مذكرته على الروضة[4]، وفي شرحه لنظم السّيوطي لآيات النسخ: فقال - في شرح قول السيوطي: (وحرمة الأكل بعد النوم مع رفث) -: « يشير إلى أن آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ المتضمنة حرمة الأكل والجماع بعد النوم كما في صوم من قبلنا؛ منسوخة بآية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[5].

وجه نسخ الآية بالآية: وقد بيّن القائلون **بنسخ قوله تعالى:** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، بأنّ الله ﷻ كتب على من قبل هذه الأمة إذا نام بعد المغرب لم يأكل و لم يقرب النساء، ثم كتب ذلك على هذه الأمة كما هو مقتضى التشبيه في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٠٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣١٤)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٤٤)، وقد ذكر الرازي مع هذا خمس حجج دالة على صحة القول بالنسخ. انظر: التفسير الكبير (٣/ ١١٧).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٩٣)، ولابن حزم (صـ ٢٥-٢٦)، ولهبة الله بن سلامة المقري (صـ٤٣)، وللكرمي (صـ ٦٠)، نواسخ القرآن (١/١٦٢).

(٤) مذكرة أصول الفقه (صـ ١٢٥).

(٥) شرح الشنقيطي لأبيات السيوطي في الآيات المنسوخة مطبوع مع محاضراته في سلسلة آثاره صـ١٧٦.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ ثم نسخه بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾، فالآية ناسخة لما دلّ عليه التشبيه لنا بمن قبلنا (١).

فالقول بالنسخ مبنيّ على أنّ وجه التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ هو: في حرمة الطعام والشراب والجماع بعد النوم كما كان ذلك حراماً على سائر الأمم.

قالوا إنّ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ يفيد نسخ هذا الحكم، وهذا الحكم لا بد فيه من دليل يدل عليه، ولا دليل عليه إلا هذا التشبيه وهو قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ فوجب أن يكون هذا التشبيه دليلاً على ثبوت هذا المعنى (٢).

وإذا ثبت هذا القول كان من تفسير القرآن بالقرآن؛ لما فيه من نسخ آية بآية، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن كما تقدّم تقريره.

وما حكاه جمهور المفسِّرين هو: أنّ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾ رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورَفْع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، من تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم أو صلاة العشاء من غير إشارة إلى دلالة الآية الأولى على ذلك، ونسخها بالثانية (٣).

القولان الآخران في الآية:

وقد ورد عن العلماء في هذا الموضوع قولان آخران، مثبتٌ للنسخ، ونافٍ له.

فالأوّل: أنّ الحكم السّابق للحلّ كان ثابتاً بالسُّنة ثم نسخ بالآية، وهذا الذي حكاه جمعٌ من أهل الأصول، ومثّلوا به على نسخ السُّنّة بالقرآن(٤).

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٩٢)، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (صـ٢٥-٢٦)، مذكرة أصول الفقه (صـ ١٢٥-١٢٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٨٣- ٨٤).

(٣) وقد روي ذلك عن جمع من الصحابة والتابعين، في سبب نزول الآية، كما في صحيح البخاري، وغيره.

(٤) انظر: الإحكام للآمديْ (٣/١٦٢)، التحبير شرح التحرير (٦/ ٣٠٤٧)، التقرير والتحبير (٣/٨٤)، شرح الكوكب المنير (٣/٥٦٠)، إرشاد الفحول (٢/٧٢)، روضة الناظر (١/٢٦١).

والثاني: أنّ الآية ليست من قبيل النسخ وإنما هي إخبار عن الإباحة المتقـررة في أصل توقيت الصيام بالنهار، وإرشاد إلى ما شرعه الله لعباده خلال شهر الصوم مـن إباحة غشيان أزواجهن ليلاً، ومن جواز الأكل والشرب، حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، قالوا: وكأنّ الصحابة ﷺ كانوا يتحرجون عن ذلك ظناً منهم أنه من تتمة الصّوم، ولعل ذلك قد سرى إليهم من أهل الكتاب، ولعلهم التزموا ذلك ولم يسألوا عنه رسول الله ﷺ، ولعلّ ذلك لم يتجاوز بعض شهر رمضان مـن السنة التي شرع لها صيام رمضان، فبين الله لهم أن ذلك حلال لا حرج فيه .

فالمقصود من الآية الكريمة - عند هؤلاء - رفع ما توهمه بعض الصحابة من أن الأكل أو الشرب أو الجماع لا يجوز ما دامو قد ناموا بعد فطرهم؛ لأن الله - تعالى - رءوف رحيم بهم، ولم يشرع لهم ما فيه حرج أو مشقة عليهم.

واحتجّوا بأنه ليس من شأن الدين الذي شرع الصّوم أول مرة يوماً في السـنة ثم درجه فشرع الصوم شهرا على التخيير بينه وبين الإطعام تخفيفاً على المسلمين أن يفرضه بعد ذلك ليلاً ونهاراً فلا يبيح الفطر إلا ساعات قليلة من الليل[1].

وحكي هذا القول عن أبي مسلم الأصفهاني، ومال إليه ابن عاشور.

وهذا القول يردّه ظاهر القرآن في قوله:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾؛ إذ يدل — كما سبق — على أنّ هذا الحكم كان ثابتاً، فلا يلتفت إليه.

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه — والعلم عند الله تعالى — أنّ قوله تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ غير منسوخة بقولـه تعـالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ ؛ إذ لا تعارض بينهما حتى يلزم القول بالنسخ.

والتشبيه في قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لا يقتضي موافقة أهل الكتاب فيما كانوا عليه في صومهم؛ لأنّ التشبيه راجع إلى أصل إيجاب

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢/ ١٧٨-١٧٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٣١١).

الصوم وفرضيته[1]، أي أنّ عبادة الصوم كانت مفروضة ومكتوبة على الأمم السابقة، ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله، إذ لم يرد نص صحيح عن رسول الله ﷺ يبين لنا فيه كيف كان صيام الأمم السابقة[2].

والصحيح أنّ ما نسخه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إنما كان ثابتاً بالسنة، كما ذكره جمهور الأصوليين، والله أعلم.

وإذ لم يصح القول بالنسخ، لا يصح تفسير القرآن بالقرآن فيه، كما هو واضح، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈✸✸✸

(١) قال ابن العربي: « وجه التشبيه فيه محتمل لثلاثة أوجه: الزمان، والقدر، والوصف، ومحتمل لجميعها، ومحتمل لاثنين منها؛ ... والمقطوع به أنه التشبيه في الفرضية خاصة؛ وسائره محتمل، والله أعلم ».

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/١٤٠)، نواسخ القرآن (١/١٦٨)، الفوز الكبير (صـ٥٥)، مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/٢٥٩)، النسخ في القرآن (٢/٦٣٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٢٩٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:١٨٤.

هذا بيان لحكم آخر من أحكام الشريعة فيما يتعلق بصوم رمضان يتجلّى فيه تيسير الله على عباده؛ إذ خيّر الله به المؤمنين الذين يطيقون الصوم بين الصوم - وهو الأفضل- وبين الفدية بطعام مسكين عن كل يوم.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: نسخ التخيير بين الصيام والفدية بآية من القرآن:

ذهب جمهور المفسّرين من السّلف والخلف إلى أنّ هذا الحكم كان في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتماً فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم بأسهل طريق، وخيَّر المطيق للصوم بين أن يصوم - وهو أفضل لقوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ - أو يفطر ويطعم، ثم نسخ ذلك وأوجب الصوم على كلّ من شهد رمضان صحيحاً مقيماً بقوله ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[(١)].

وهذا القول مرويّ عن جمع من الصحابة والتابعين[(٢)].

وأكتفي في ذلك بما أخرجه البخاري، ومسلم، وآخرون، عن سلمة بن الأكوع[(٣)] رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها[(٤)].

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢)وهو قول معاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، والحسن البصري، والشعبي، وعكرمة، وابن شهاب الزهري، والضحاك، وابن أبي ليلى، انظر: جامع البيان (٣/٤١٩-٤٢٢)، تفسير القرآن العظيم (١/٤٩٩).

(٣) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله الأسلمي، يكنى أبا إياس، كان من أهل بيعة الرضوان، وكان شجاعاً رامياً محسناً سخياً فاضلاً، سكن المدينة، ثم انتقل إلى الربذة حتى قبيل وفاته بليال، ثم عاد إلى المدينة، وتوفي بها سنة (٧٤هـ) وهو ابن ثمانين سنة. انظر: معرفة الصحابة (٣/١٣٣٩) لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الوطن للنشر – الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ت: عادل بن يوسف العزازي. الإستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٣٠٥) للإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ت: عادل مرشد.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ برقم: (٤٥٠٧)، ومسلم في كتاب الصيام، باب: بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ برقم: (١١٤٥).

وأورده معظم المؤلفين في الناسخ والمنسوخ[١]، ورجّحه جمع غفير من أهل العلم[٢]، واقتصر عليه بعضهم[٣].

وقد روي عن بعض السلف نسخ الآية بالجزء الأخير من الآية نفسها وهو قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤].

وفي ذلك نظرٌ؛ لأنّ الظاهر في قوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أن معناه أن الصوم خير من الفطر والفدية، فهو ترغيب في الصوم وتحبيب فيه[٥]، فهو من جملة المنسوخ، فالوجه على القول بالنسخ أن الناسخ هو قوله تعالى : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ كما تقدم في رواية الجمهور[٦]، والله تعالى أعلم[٧].

وقد ذهب جماعة من السلف إلى أنّ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كان حُكمًا خاصًّا للشيخ الكبير والعجوز اللذين يُطيقان الصوم، كان مرخصًا لهما أن يَفديا صومهما بإطعام مسكين ويفطرا، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَن

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للمقري (صـ٤٤)، نواسخ القرآن (١/ ١٧٨)، الناسخ والمنسوخ لابن حزم (صـ٢٦)، الناسخ والمنسوخ للكرمي (صـ٦٢).

(٢) كالطبري في تفسيره (٣/ ٤٣٤)، وابن العربي في أحكام القرآن (١/ ١٤٨)، والنحاس في ناسخه ومنسوخه (١/ ٩٤،٩٥)، والجصاص في أحكام القرآن (١/ ٢١٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٢/ ١٩٩)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٣/ ٤٢٩)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٢/ ١٦٧)، والشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب (صـ ٥٢) ، والزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٥٩)

(٣) كالواحدي في الوجيز (١/ ٤٨)، والجزائري في أيسر التفاسير (١/ ٨٠).

(٤) كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه (٢/٦٨٨) ح١٨٤٧ عن ابن أبي ليلى عمن حدثه من الصحابة، وأخرج الطبري في جامع البيان (٣/ ٤٢٤) نحوه عن الأعمش عن إبراهيم النخعي، وهو قول الفراء في معاني القرآن (١/١٠١)، وحكاه جمع من المفسرين كالعز بن عبد السلام في اختصاره للنكت (١/١٨٨)، والقرطبي في تفسيره (٢/ ٢٨٧-٢٨٨)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٢/١٦٥).

(٥) انظر: جامع البيان (٣/ ٤٤٣)، بحر العلوم (١/ ١٥٤)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٣٠٤).

(٦) بل أكثر الروايات عن ابن أبي ليلى موافقة لقول الجمهور، كرواية الطبري (٣/ ٤١٩) بسند من طريق عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى موصولاً عن معاذ بن جبل، وبسند آخر عنه موقوفاً، وهو الذي أخرجه أبو داود في السنن (١/١٩٣)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٧/٩٥)، وابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (٥/ ٢٧١).

(٧) حاشية السندى (محمد بن عبد الهادي السندي المدني) على صحيح البخارى (١/٢٦٠) (بتصرف يسير) دار الفكر.

شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾، فلزمهما من الصوم مثل الذي لزم الشاب إلا أن يعجزا عن الصوم، فيكون ذلك الحكم الذي كان لهما قبلَ النسخ ثابتًا لهما حينئذ بحاله[1].

وهذا مروي عن ابن عباس[2]، وعكرمة[3]، وقتادة[4]، والربيع[5].

وظاهر الآية يردّ هذا القول.

الأقول الأخرى في الآية:

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ الآية محكمة غير منسوخة، واختلفوا في تفسير الآية على ثلاثة أقوال:

١- أنّ المراد بالآية: الشيخ الكبير والمرأة العجوز اللذان قد كبرا عن الصوم، فهما يكلفان الصوم ولا يطيقانه إلا بجهد وتكلف شديد، فلهما أن يفطرا ويطعما مكانَ كلّ يوم أفطراه مسكينًا[6]. وهذا مرويّ أيضاً عن ابن عباس في الصحيح[7].

قالوا لأنّ الطاقة اسم لمن كان قادراً على الشيء مع الشدة والمشقة فقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي وعلى الذين يقدرون على الصوم مع الشدة والمشقة[8].

كما استدلّوا بقراءة يطوقونه، أي يتجشمونه، ويتكلفونه بمشقة وتعب، وهي قراءة مروية عن جمع من السلف[9].

---

(١) جامع البيان (٣/٤٢٤ ٤٢٥).

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤٢٥) بأسانيده من طرق.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤٢٦) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه، عن قتادة.

(٤) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٤٢٦) من طريق همام بن يحيى عنه.

(٥) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٤٢٦-٤٢٧) من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع.

(٦) انظر: جامع البيان (٣/٤٢٩)، المحرر الوجيز (١/٢٠٠).

(٧) أخرجه عنه البخاري في صحيحه (٤/١٦٣٨).

(٨) انظر: التفسير الكبير (٥/ ٦٨).

(٩) كابن عباس، وعائشة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومجاهد. انظر: جامع البيان (٣/٤٣٠-٤٣١).

٢- أنّ المعنى: وعلى الذين يطيقونه - في حال قدرتهم على الصيام - إذا عجزوا عن الصوم بكبر أو مرض أو حمل، فدية طعام مسكين، لا أنَّ القوم كان رُخِّص لهم في الإفطار - وهم على الصوم قادرون - إذا افتدوا.

وهذا مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً[١]، وهو قول سعيد بن المسيّب[٢]، والسُّدي[٣].

٣- أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ راجع إلى المسافر والمريض؛ لأن المسافر والمريض قد يكون منهما من لا يطيق الصوم ومنهما من يطيق الصوم.

فذكر الله حكم من لا يطيق في قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٤].

وأما من يطيق الصوم، فإليهما الإشارة بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فكأنه تعالى أثبت للمريض وللمسافر حالتين في إحداهما يلزمه أن يفطر وعليه القضاء وهي حال الجهد الشديد لو صام والثانية: أن يكون مطيقاً للصوم لا يثقل عليه فحينئذ يكون مخيراً بين أن يصوم وبين أن يفطر مع الفدية[٥].

٤- أن في الآية حذفاً؛ والتقدير: وعلى الذين لا يطيقونه فدية، وهذا القول ضعيف؛ إذ ليس في الآية ما يدل عليه ولا يجوز في مثله تقدير ما لا يدل عليه من اللفظ دليل، وإلا لم يثق أحد بنص مثبت لاحتمال أن تكون (لا) مقدرة فيه[٦].

---

(١) في رواية عطية العوفي، كما في جامع البيان (٣/ ٤٢٩).

(٢)فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤٢٩) .

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٤٢٧) من طريق أسباط.

(٤) سورة البقرة: ١٨٤ .

(٥) التفسير الكبير (٣/ ٩٢ - ٩٣)، وانظر: البحر المحيط (٢/ ١٩٩).

(٦) انظر: تفسير الإمام ابن أبي العز جمعا ودراسة، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (العدد ١٢٠/ ص) سنة ١٤٢٣هـ، للدكتور: شايع بن عبده الأسمري، .)

الترجيح:

والراجح هو القول بالنسخ على قول الجمهور، لما يأتي:

١- أنّ سياق الآية يدل على النسخ، قال الجصاص: « وفي مضمون الخطاب من أوضح الدلالة على ذلك ما لو لم يكن معنا رواية عن السلف في معناه لكان كافياً في الإبانة عن مراده »[١]، فقوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يدل على التخيير، وغير جائز أن يعود هذا الكلام إلى المرضى والمسافرين، ولا إلى الشيخ الكبير، ولا إلى الحامل والمرضع إذا خافتا على الولد؛ لأنّ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصّوم من جهة أنهم قد نُهوا أن يعرضوا أنفسهم للتلف، وإنما عاد الكلام إلى الأصحاء المقيمين خُيِّرُوا بين الصوم والإطعام[٢].

ولتكرار قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ؛ لأنه لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم[٣]، ولولا تجديد الفرض فيه ما كان لتكرار ذلك فائدة مقصودة[٤].

٢- أنّ من لم يجعلها منسوخة جعل فيها حذفاً وتقديراً؛ فقال: المعنى: يطيقونه على جهد، أو قال كانوا يطيقونه، أو قال: لا يطيقونه، والأصل عدم الحذف[٥].

٣- أنه قول جمهور المفسرين، والأحاديث الصحيحة تسانده، وهو أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية في التدرج في تشريع التكاليف التي فيها مشقة على الناس[٦].

النتيجة:

وبصحة نسخ الآية بما ذكر يصحّ تفسير القرآن بالقرآن فيه؛ إذ هو من أوجهه المطابقة – كما سبق – والله تعالى أعلم.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٢١٩).

(٢) انظر: نواسخ القرآن (١/ ١٧٨).

(٣) مدارك التزيل وحقائق التأويل (١/ ٩٤) .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٤٨).

(٥) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٦) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٣٠٤).

المطلب الثاني: تفسير الفدية بطعام مسكين:

فقد بيّن المراد بالفدية قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾[1] على كلتا القراءتين في الآية[2]؛ إذ في هذه الجملة قراءتان متواترتان[3]:

الأولى: تنوين (فدية)، ورفع (طعام)[4].

فعلى هذه القراءة تكون ﴿ فِدْيَةٌ ﴾ مبتدأ خبره في المجرور قبله، و ﴿ طَعَامُ ﴾ بدلٌ من ﴿ فِدْيَةٌ ﴾، قال أبو حيان: « **وفي ذلك تبيين للفدية ما هي** »[5]، وقال السَّمين: « **بَيَّن بهذا البدل المرادَ بالفدية** »[6].

وأجازَ بعضهم أن يكونَ ﴿ طَعَامُ ﴾ خبرَ مبتدأٍ محذوف، تقديره: هي طعام[7].

الثانية: (فدية) بغير تنوين و (طعام) بالخفض على الإضافة[8].

وعلى هذه القراءة أيضاً يكون ﴿ طَعَامُ ﴾ مبيّنا للفدية، قال أبو حيان: « ومن لم ينوّن فأضاف كان في ذلك **تبيين أيضاً** وتخصيص بالإضافة، وهي إضافة الشَّيء إلى جنسه »[9]، وقال السَّمين: « وأما إضافة الفِدْية للطعامِ فمنْ باب إضافة الشيء إلى جنسه، والمقصودُ به **البيانُ** كقولِك: خاتَمُ حديدٍ، وثوبُ خزٍّ وبابُ ساجٍ، لأنَّ الفِدْيَةَ تكونُ طعاماً وغيرَه »[10].

وفي الجلالين: « وفي قراءة بإضافة فدية وهي **للبيان** »[11].

فـ ﴿ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ مبيّنة للفدية على كلتا القراءتين، وذلك من تفسير القرآن بالقرآن المتصل، والله تعالى أعلم.

---

(١) ما تتصل به بيانه من القرآن الكريم (صـ ٣٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢/ ١٦٥).

(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني (صـ ٣٥٦)، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر (صـ ٢٨٢)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (صـ ٥٦).

(٤) وهي قراءة: ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وهشام ويعقوب وخلف.

(٥) البحر المحيط (٢/ ٢١٠).

(٦) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٦٧٨)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٣٤١).

(٧) المصدرين السابقين.

(٨) وهي قراءة: نافع وابن ذكوان وأبو جعفر انظر: إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر (١/١٩٩).

(٩) البحر المحيط (٢/٢١٠)، وقد أجاز الرازي وغيره أن تكون من إضافة الموصوف إلى الصفة، لكنّ هذا ردّه جمع من أهل اللغة؛ لأن طعاماً ليس بصفة. انظر: البحر المحيط (٢/ ٢١٠)، الدر المصون (١/ ٦٧٨)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٣٤١).

(١٠) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٦٧٨)، وذكر مثله ابن عادل في اللباب (٢/ ٣٤١).

(١١) تفسير الجلالين (صـ ١٩٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ البقرة:١٨٧.

هذه الآية – كما سبق – هي الناسخة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، من تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم أو صلاة العشاء؛ فأباح الله تعالى بها الأكل والشرب والجماع في أيِّ الليل شاء الصائمُ، وجعل الغاية في ذلك تبين ضياءُ الصباح من سواد الليل.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ بين الله تعالى المراد بالخيطين بأنهما بياض النهار وسواد الليل بقوله في الآية نفسها ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾

فقد أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أنزلت ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ و لم يُنزلْ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وكان رجال إذا أرادوا الصوم، رَبَطَ أحدُهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني: الليل والنهار[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: « أباح تعالى الأكل والشرب، مع ما تقدم من إباحة الجماع في أيِّ الليل شاء الصائمُ إلى أن يتبين ضياءُ الصباح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود، **ورفع اللبس بقوله:** ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ »[(٢)].

وقال الشنقيطي رحمه الله قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾، بينه قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، في كتاب التفسير، باب ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، برقم ٤٥١١، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر. صحيح مسلم برقم: (١٠٩١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٢).

(٣) أضواء البيان (١/ ٧٤).

ووجه البيان فيه: أنّ ظاهر قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ أنه الخيط المعهود، وهو ما فهمه جمع من الصحابة حتى نزل قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما عنى بذلك من الليل والنهار.

وقد ذكر جمع من أهل التفسير أنّ قوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيانٌ للخيط الأبيض لا للأسود؛ لأنّ الفجر ليس له سواد، و لم يُبيِّن الخيطَ الأسود فيقول: { مِـنَ الليـلِ} اكتفاءً بذلك؛ لأنّ بيان أحدهما بيان للثاني[1]، وخصّ الخيط الأبيض بالبيان لأنه المقصود والمنوط به الأحكام المذكورة من المباشرة والأكل والشرب[2].

وهل كانت الآية مجملة مفتقرة إلى بيان أم لا؟

فقد جاء في حديث سهل المتقدم ما يفيد أنّ نزول قوله تعالى ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ جاء متأخراً عن الآية، حتى فعل بعض الصحابة ما فعلوا، فهل ذلك من تأخير البيان عن وقت الحاجة مع أن ذلك لا يجوز بحال على قول جماهير العلماء[3].

وقد اختلف المفسرون في توجيه ذلك على أقوال متنوعة، وأحسنها وأقواها أنّ هذا ليس من تأخير البيان؛ لأنّ من مستعملات العرب إطلاق الخيط الأبيض على ضوء

---

(١) انظر هذا في: الكشاف (١/ ١٦٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (٩١/١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٩٦/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٢١/١)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٤٣٤/١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٥٥/١)، روح المعاني (١٣٤/٢)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٣١٤)، تفسير القرآن للعثيمين (٣٤٨/٢).

وقيل: هو بيان لهما بناءاً على أن الفجر عبارة عن مجموعهما. روح المعاني (١٣٤/٢).

(٢) انظر: الدر المصون (٤٣٤/١)، روح المعاني (٢/ ١٣٤).

(٣) انظر تقرير ذلك في: الإحكام للآمدي (٣/ ٣٦)، الفصول في الأصول (٢/ ٤٥)، الإحكام في أصول الأحكام (٨١/١) ، تأليف الإمام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ. إرشاد الفحول (٢٦/٢)، بل حكى بعضهم الإجماع على امتناعه، انظر: روضة الناظر (١٨٥/١)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٤٠٧/١)، تأليف الإمام: أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، ت: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، البحر المحيط في أصول الفقه (٣/ ٧٨).

الصبح، والخيط الأسود على ظلام الليل المختلط به[1]، فالتعبير به من قبيل الظاهر لا من قبيل المجمل، وعدمُ فهم بعضهم المرادَ منه لا يقدح في ظهور الظاهر، فالذين اشتبه عليهم معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود ، فهموا أشهر معاني الخيط، فصنعوا ما صنعوا، ثم نزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لإزالة اللبس وتصحيح ما فُهِم من الآية على غير المراد[2].

وقد ذكروا أقوالاً أخرى ليس هنا مورد ذكرها[3]، وأضعفها ما أورده بعض المفسّرين من التشكيك في صحّة الأخبار الواردة بذلك[4].

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ بقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾؛ لأنه نزل لإزالة اللبس والاحتمال عن الآية، وإن كانت الأولى واضحاً بيّناً عند العرب، والله أعلم.

◈◈◈✹✹✹

(١) انظر بعض الشواهد اللغوية على ذلك في: جامع البيان (٣/٥٢٩)، الكشاف (١/٢٣١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٢٠)، تفسير الخازن (١/١١٧)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/٢٨١).

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٤٤٥)، البحر المديد (١/١٥٠)، روح المعاني (٢/١٣٤)، التحرير والتنوير (٢/٢٣٣)، أضواء البيان (١/٧٤).

(٣) انظر بعضها في: أحكام القرآن للجصاص (١/٢٨٤)، البحر المحيط (٢/٢٢٤)، أحكام القرآن للكيا الهراسى، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ت: عدد من العلماء. (١/ ٥٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٢٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢٥٥)، روح المعاني (٢/ ١٣٤).

(٤) كالزمخشري في الكشاف (١/١٦٦)، والرازي في تفسيره (١/ ٧٨٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨

هذا خطاب موجّه إلى المؤمنين كافّة في كل زمان ومكان، ينهاهم الله تعالى فيه عن أن يأكل بعضهم مال بعض بالباطل، أي بالوجه الذي لم يبحه الله و لم يشرعه، ويدخل في ذلك كل أخذ للمال بغير وجه حق.

كما ينهاهم عن أن يلقوا بأموالهم رشوة إلى الحكام ليحصلوا على أحكام لمصلحتهم، وهم يعلمون يقينا أنهم لا حق لهم ، وأنهم آثمون آكلوا حرام(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الإمام الطبري بسنده عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ يقول: يكون أجدل منه وأعرَف بالحجة، فيخاصمه في ماله بالباطل ليأكل ماله بالباطل، وقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(٢) قال: هذا القِمار الذي كان يَعمل به أهل الجاهلية(٣).

وجه الارتباط والشبه بين الآيتين:

لم يتبيّن لي وجه بيان ولا ارتباط بين هاتين الآيتين سوى المشابهة بينهما في المعنى؛ حيث ورد فيهما النهي عن أكل الأموال بالباطل.

ولو كان الاستثناء متّصلاً في الآية الثانية، لصحّ تفسير الآية الأولى بها؛ فيقيّد إطلاق الأولى بتقييد الثانية، إلاّ أنّ الاستثناء فيها غير متصل على قول جمهور

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٩٧)، روح المعاني (٢/ ١٤٠)، فتح القدير (١/ ٢٤٨)، التحرير والتنوير (٢/ ١٨٦).

(٢) سورة النساء: ٢٩.

(٣) جامع البيان (٣/ ٥٥٢)، وقول جمهور المفسّرين هو القول بعموم الآية، وأن يدخل فيه جميع أنواع الأكل بالباطل، دون تخصيصه بالقمار كما في قول ابن زيد، انظر ذلك في: المحرر الوجيز (١/ ٢٠٨)، معالم التنزيل (١/ ٢١٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٣٨)، الجواهر الحسان (١/ ١٠٨)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٨٨).

المفسّرين من السّلف والخلف؛ لأنّ التّجارة ليست من أكل الأموال بالباطل[١]، قال أبو حيان: ومن ذهب إلى أنه استثناء متصل فغير مصيب لما ذكرناه[٢].

فلا وجه لبيان الآية الأولى بالثانية، ولا ارتباط بينهما سوى ما تقدّم؛ فإيراد الثانية هنا من باب جمع النظائر والأشباه في التفسير، وذلك من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع.

ومثل هذا قول الرازي في تفسير الآية: واعلم أنه سبحانه كرر هذا النهي في مواضع من كتابه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾... وذكر آيات أخرى[٣].

وكذلك تنظير الطبري وغيره للآية بآيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[٥]، إنما ذلك في الأسلوب، فجعل الله المؤمنين إخوة، فقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولامزُه كلامز نفسه، وآكلَ مال أخيه بالباطل، كالآكل مالَ نَفسه بالباطل[٦]، وليس في الآيات تفسير أو بيان للآية الأولى كما هو واضح وجليّ.

◈◈◈✸✸✸

---

(١) معاني القرآن للأخفش (/١٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٥١)، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٦٨)، التحرير والتنوير (٤/١٠٠).

(٢) البحر المحيط (٤/١١٨)

(٣) انظرها في تفسيره (٣/ ١٣١-١٣٢).

(٤) سورة الحجرات: ١١.

(٥) سورة النساء: ٢٩.

(٦) جامع البيان (٣/ ٥٤٨) (بتصرف).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ البقرة: ١٩٠

في هذه الآية الكريمة يأمر الله المؤمنين بقتال المشركين في سبيله لنصرة دينه، وإعلاء كلمته الذين يقاتلونكم، وينهاهم عن الاعتداء في ذلك بالمُثْلة، والغُلول، وقَتْلِ من لا يحل قتله من النساء والصبيان والشيوخ، ومن في حكمهم.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ظاهر هذه الآية يدلّ على أنهم كانوا مأمورين بقتال الكفار الذين يقاتلوهم فحسب دون غيرهم؛ لذا اختلف المفسّرون في تأويلها على أقوال، وحملت في بعضها على آيات من كتاب الله، في وجهين:

الوجه الأوّل: تفسيره بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾(١)، على أنّ المراد بالآية ما يعم سائر الكفار، وعبّر بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ تهييجاً للمسلمين، وتحريضاً لهم على قتال الكفار، لا أنهم مأمورين بقتال من قاتلهم فقط، فالقيد للإغراء فلا مفهوم له، وكأنه يقول لهم: هؤلاء الذين أمرتكم بقتالهم هم خصومكم وأعداؤكم الذين يقاتلونكم(٢).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله - في معرض ردّه على القول بنسخ الآية - « وفي هذا نظر؛ لأن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ إنما هو تَهْييج وإغراء بالأعداء الذين همّتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم، كما قال: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾...»(٣)

---

(١) سورة التوبة: ٣٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٣)، تفسير القرآن للعثيمين (٢/٣٧٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٣- ٥٢٤)، وذكر مثل هذا القاسمي في محاسن التأويل (٢/ ٩٦).

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله- بعدما حكى هذا الوجه في دفع إيهام الاضطراب-: « ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، **وخير ما يفسر به القرآن القرآن** »(١).

وقال عنه في الأضواء: « وعلى القول الثالث فالمعنى **يبينه ويشهد له قوله تعالى:** ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ »(٢).

وهذا القول هو الذي رجحه ابن كثير – كما سبق، ووصفه الشنقيطي بأنه من أحسن الأقوال وأقربها(٣).

ووجه البيان على هذا: أنّ قوله تعالى في هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون المراد بهم الذين من شأنهم أن يقاتلوهم من المشركين كرجالهم وشبانهم، دون غيرهم من العجزة والنساء منهم، كما يحتمل أن يكون المراد بهم المشركين كافة، وإنما ذكر الذين يقاتلونهم للتهييج والإغراء، فلما جاء الأمر في الآية الثانية بقتال عموم المشركين حملت الأولى على ذلك وفسِّرت بها.

الوجه الثاني: القول بنسخ الآية بآيات أخرى:

فقد ذهب جمعٌ من أهل العلم إلى أنّ المراد بالآية قتال من قاتلهم من المشركين والكف عمن كفّ عنهم، وهي منسوخة بالآيات الدالة على وجوب قتال الكفار مطلقاً قاتلوا أم لا، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٥).

---

(١) دفع إيهام الاضطراب (صـ٤٣).

(٢) أضواء البيان (١/ ١٤٥).

(٣) دفع إيهام الاضطراب (صـ٤٣).

(٤) سورة التوبة: ٥.

(٥) سورة البقرة: ١٩٣.

قالوا: إنّ من حكمة الله البالغة في التشريع أنه إذا أراد تشريع أمر عظيم على النفوس ربما يشرعه تدريجيّاً لتخف صعوبته بالتدريج، والقتال لما كان شاقّاً على النفوس أذن فيه أولاً من غير إيجاب بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]، ثم أوجب عليهم قتال من قاتلهم بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، ثم لما استأنست نفوسهم بالقتال أوجبه عليهم إيجاباً عامّاً بقوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾[2].

وهذا القول مرويّ عن الربيع[3]، وابن زيد[4]، وذكره غير واحد من المصنفين في الناسخ والمنسوخ[5]، ورجحه ابن جزيّ[6]، ومال إليه البيضاوي وغيره[7].

القول الآخر في الآية:

وقد ذهب جمع آخر من أهل العلم إلى الاحتمال الثاني الذي سبقت حكايته وهو: أنّ الآية محكمة غير منسوخة، والمراد منها: قتال مَنْ مِنْ شأنهم أن يقاتلوا، أما الكافر الذي ليس من شأنه القتال كالنساء والذراري والشيوخ الفانية والرهبان وأصحاب الصوامع ومن ألقى إليهم السلم، فنُهوا أن يعتدوا بقتالهم؛ لأنهم لا يقاتلونهم، وذلك ثابت إلى هذا اليوم[8].

---

(١) سورة الحج: ٣٩.

(٢) دفع إيهام الاضطراب (صـ٤٣) (بتصرف واختصار).

(٣) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٥٦١- ٥٦٢) بسنده من طريق أبي جعفر، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٣).

(٤) فيما أخرجه الطبري (٣/ ٥٦٢) بسنده من طريق ابن وهب. وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٣).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة المقري (صـ٤٤)، الناسخ والمنسوخ للكرمي (صـ٦٤).

(٦) في التسهيل لعلوم التتريل (١/ ٩٤).

(٧) انظر: أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/ ٢٢٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٢٥٨).

(٨) انظر: جامع البيان (٣/ ٥٦٢)، المحرر الوجيز (١/ ٢٠٩)، دفع إيهام الاضطراب (صـ ٤٤).

وهذا قول ابن عباس[(١)]، وعمر بن عبد العزيز[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، وهو اختيار ابن جرير[(٤)]، ورجّحه النحاس، وابن العربي، وابن الجوزي، ومال إليه الشنقيطي[(٥)].

وعلى هذا القول يكون قوله هنا ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ مخصصة لعموم الآيات المتقدمة الآمرة بقتال كافة المشركين، ومخرجة لمن لم يتوقع منهم القتال[(٦)].

الترجيح:

الراجح من هذه الأقوال – والعلم عند الله -: هو القول الأخير لوجوه[(٧)]:

١- ما ورد من الأحاديث المصرحة، ووصايا الخلفاء الراشدين لقواد جيوشهم بالنهي عن قتال الصبي، وأصحاب الصوامع، والمرأة، والشيخ الهرم إذا لم يستعن برأيه[(٨)]، فيكون هؤلاء هم المرادون بمفهوم قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾.

٢- أن المفاعلة غالباً لا تكون إلاّ من اثنين، كالمقاتلة والمشاتمة والمخاصمة، والقتال لا يكون من النساء ولا من الصبيان ومن أشبههم، كالرهبان والمرضى والشيوخ فلا يقتلون.

فالنتيجة: عدم صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةً﴾ والآيات الأخرى الدالة على

---

(١) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٥٦٣) بسنده من طريق معاوية، عن علي.

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري (٣/ ٥٦٣) بسنده من طريق يحيى بن يحيى الغساني، ومن طريق سعيد بن عبد العزيز.

(٣)فيما أخرجه عنه الطبري (٥٦٢/٣) بأسانيده من طريق ابن أبي نجيح.

(٤) جامع البيان (٣/ ٥٦٢- ٥٦٣).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٠٧-١٠٨)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٠٠)، نواسخ القرآن (١٨١/١). دفع إيهام الاضطراب (صـ ٤٣).

(٦) انظر: روح المعاني (٧٤/٢).

(٧) انظرها في: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١٠٧/١-١٠٨)، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/٢)، البحر المحيط (٢٢٤/٢)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ٤٥).

(٨) كما في حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب قتل الصبيان في الحرب، (٢٨٥١) ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب (١٧٤٤).

الأمر بقتال سائر الكفار، لا عن طريق البيان وأن المراد بالذين يقاتلونهم الكفار كافة، ولا عن طريق نسخها بها، بل هي المفسّرة لتلك الآيات؛ إذ تخصص عمومها وتخرج منها الكفار الذين لا يقاتلون، والعلم عند الله.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ البقرة: ١٩١.

هذا أمر بقتال الكفار أينما وجدوا في كل وقت وفي كل زمان، ثم استثنى تعالى من هذا العموم قتالهم عند المسجد الحرم؛ فلا يجوز ذلك – مراعاةً لحرمته – إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتَلون جزاءً لهم على اعتدائهم.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تخصيص عموم قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ بما جاء بعده مستثنياً في قوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾

فقد ذهب جمع من أهل العلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ مخصّصٌ لعموم صدر الآية قوله﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ والآيات المشابهة لها[1] في الأمر بقتال المشركين في كلّ الأمكنة، فلا يجوز قتالهم في الحرم إلا إذا بدءوا به.

قال الإمام النسفي رحمه الله: « وإن كان ظاهر قوله ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ يبيح القتل فى الأمكنة كلها لكن قوله ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ **خصَّ** الحرم إلا عند البداءة منهم »[2].

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله: « ... **فخص** المكان الذي عند المسجد الحرام من عموم الأمكنة التي شملها قوله: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي إن ثقفتموهم عند المسجد الحرام غير مشتبكين في قتال معكم فلا تقتلوهم »[3].

(١) وهي الآيات التي ستأتي، والتي ذكر كثير من المفسّرين أنها ناسخة للنهي عن القتال في الحرم.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٩٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢/١٩٩).

ونصّ على تخصيص النهي عن القتال عموم الآيات الآمرة بالقتال في كلّ مكان جمع من المفسّرين(١).

ووجه البيان: واضح؛ فإنّ قوله تعالى في صدر الآية ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ والآيات المشابهة لها عامة في الأمر بقتال المشركين في كل مكان وفي كلّ الأحوال، فخصص قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ ذلك العموم، ونهى عن القتال في الحرم، إلاّ عند مبادءة الكفار بذلك.

وذهب إلى القول بعدم نسخ النهي عن القتال في الحرم جمع من المفسّرين فقد روي عن مجاهد(٢)، ورجّحه الجصاص، وابن العربي، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني، وغيرهم(٣).

---

(١) التفسير الكبير (٥/١١١) البحر المحيط (٢/٩٨)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤٦٠).

(٢) كما أخرج ذلك الطبري عنه بسنده من طريق ابن أبي نجيح.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٣٢١)، وأحكام القرآن لابن العربي (١/٢٠٣)، زاد المسير (١/١٨١)، ونواسخ القرآن (١/١٨٢)، والتفسير الكبير (٣/١٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٥١)، تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٥)، فتح القدير (١/٢٥١)، زهرة التفاسير (١/٥٨١- ٥٨٣).

المطلب الثاني: البيان بالنسخ:

فقد ذهب جمع من أهل العلم – عكس القول الأول – إلى أنّ النهي عن قتال المشركين في الحرم منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾[2].

وروي هذا عن قتادة[3]، والربيع[4]، وابن زيد[5]، وهو قول مقاتل[6]، ونسبه بعضهم إلى الجمهور[7]، ومال إليه الطبري، ورجحه النحاس، وابن عطية، وابن جزي[8].

واحتج بعض من قال بهذا القول بتأخر نزول قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ عن النهي عن القتال في الحرم، قالوا: والعام المتأخر عن العمل ينسخ الخاص، وبما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه المغفر فقيل إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه[9].

---

(١) سورة البقرة: ١٩٣.

(٢) سورة التوبة: ٥. بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك؛ فقال بنسخ ذلك بما جاء في الآية من قوله: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ كابن حزم في الناسخ والمنسوخ (١/ ٢٧)، أو أنه منسوخ بآية السيف، كما في الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (صـ ٤٥)، والناسخ والمنسوخ للكرمي (صـ ٦٦).

(٣) أخرج الطبري (٣/ ٥٦٧) عنه نسخ الآية بالآية الأولى بسنده من طريق سعيد، كما أخرج عنه نسخها بالآية الثانية من طريقي معمر وهمام.

(٤) أخرج الطبري (٣/ ٥٦٧) نسخها عنه بالآية الأولى.

(٥) كما اخرج ذلك الطبري (٣/ ٥٦٨) عنه من طريق ابن وهب.

(٦) ذهب إلى نسخها بقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾، انظر: تفسيره (١/١١٤)، ونواسخ القرآن (١/١٨٣).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢١٠)، البحر المحيط (٢/ ٢٣٦).

(٨) انظر: جامع البيان (٣/ ٥٦٨- ٥٦٩)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/١١١)، المحرر الوجيز (١/٢١٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٤).

(٩) انظر: التحرير والتنوير (٢/٢٠١)، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام، برقم (١٨٤٦). ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب النهي عن حمل السلاح بمكة، برقم (١٣٥٧).

ووجه ذلك: أن الله تعالى نهى في هذه الآية عن البدء بقتال المشركين في الحرم، وأمر – في الآيتين – بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال، فهي ناسخة للأولى رافعةٌ لحكمها.

الترجيح:

الراجح من القولين – والعلم عند الله – هو القول بعدم النسخ؛ لما يلي:

١- أنّ الجمع بين الآيات ممكن ببناء العام على الخاص، فيقتل المشرك حيث وجد إلا بالحرم، والجمع أولى من الترجيح والقول بالنسخ خلاف الأصل(١).

أما قولهم بأنّ العام المتأخر عن العمل ينسخ الخاص، فإنه مذهب أبي حنيفة وأصحابه، والذي عليه الجمهور هو أنّ العام يبنى على الخاص، ولو تأخر عنه؛ لأن ما تناوله الخاص متيقن، وما تناوله العام ظاهر مظنون، والمتيقن أولى(٢).

٢- الحديث الذي احتج به جمع من أهل العلم(٣)، والذي أخرجه الأئمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ، أنه خطب يوم فتح مكة، فقال: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي و لم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة »(٤).

ويحمل ما روي من أمر النبي ﷺ بقتل ابن أخطل وهو متعلق بأستار الكعبة بأنه وقع في تلك الساعة التي أحلّ الله لرسوله ﷺ (٥).

---

(١) انظر: نواسخ القرآن (١/ ١٨٥)، فتح القدير (١/٢٥١).

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (٢/٥٣٧)، المعتمد (١/٢٥٨)، قواطع الأدلة فى الأصول (١/١٧٠).

(٣) كابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ١٨٢)، والثعالبي في الجواهر الحسان (١/ ١٠٩)، والشوكاني في فتح القدير (١/ ٢٥١-٢٥٢).

(٤) أخرجه البخاري، في مواضع عديدة في صحيحه، في كتاب: باب لا ينفر صيد الحرم، برقم: (١٨٣٣)، وفي باب: لا يحل القتال بمكة، برقم: (١٨٣٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها ...، حديث رقم: (١٣٥٣). وقد أخرجا نحوه من حديث أبي هريرة، فالبخاري في باب: من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، حديث رقم: (٦٨٨٠)، ومسلم برقم: (١٣٥٥).

(٥) انظر: نواسخ القرآن (١/ ١٨٢)، فتح الباري (٦/ ٥٥)، فتح القدير (١/ ٢٥١).

النتيجة: صحة تفسير صدر الآية بما جاء بعدها؛ حيث أمر الله بقتال الكفار في كلّ مكان ثم استثنى وخصص من ذلك المسجد الحرام، فلا يجوز البدء بالقتال فيه.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، مفسِّرة لقوله ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، كما هي مفسرة ومخصصة لعموم الآيتين الأخريين، قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

ولا يصح - على الراجح - القول بنسخ النهي عن القتال عند المسجد الحرام بالآيات العامة لما سبق تقريره، والله تعالى أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ ﴾ البقرة: ١٩٨

كانت العرب في الجاهلية يتجرون في مواسم الحج، وكانت لهم فيها أسواق، فلما جاء الإسلام تأثموا في ذلك ووجدوا حرجاً في مزاولة التجارة وابتغاء الرزق في موسم الحج؛ فأنزل الله هذه الآية مبيحاً بها التكسب بطرقه المشروعة وابتغاء فضل الله ونعمته في مواسم الحج إذا لم يشغل عما يجب، لذا أمر بذكره تعالى عند المشعر الحرام بالمزدلفة بعد الوقوف بعرفة والدفع منها(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن

وقد فسّر جمهور المفسّرين من السلف والخلف ابتغاء الفضل في الآية بالتجارة لأمرين:

الأول: ما جاء في روايات كثيرة أن الآية نزلت لما تأثموا في الاتجار في المواسم، فأباح الله لهم التماس فضله بالبيع والشراء(٢).

الثاني: حمل الآية على آيات من القرآن الكريم:

فقد فسّر جمع من أهل التفسير ابتغاء الفضل هنا بالتجارة لآيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٤)، ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٥).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٩٢).

(٢) كما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ ﴾ في مواسم الحج، قرأها ابن عباس. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: ما جاء في قول الله تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (برقم: ٢٠٥٠).

(٣) سورة الجمعة: ١٠.

(٤) سورة المزمل: ٢٠.

(٥) سورة القصص: ٧٣.

قال الإمام الرازي رحمه الله - عند ذكر الوجه الأول في تفسير الفضل في الآية -: « أن المراد هو التجارة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ »(١).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: « وابتغاء الفضل ورد في القرآن بمعنى التجارة، قال الله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ »(٢).

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لم يبين هنا ما هذا الفضل الذي لا جناح في ابتغائه أثناء الحج، وأشار في آيات أخر إلى أنه ربح التجارة كقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، ... وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، أي: بالبيع والتجارة، بدليل قوله قبله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾، أي: فإذا انقضت صلاة الجمعة فاطلبوا الربح الذي كان محرما عليكم عند النداء لها.

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب أن غلبة إرادة المعنى المعين في القرآن تدل على أنه المراد؛ لأن الحمل على الغالب أولى، ولا خلاف بين العلماء في أن المراد بالفضل المذكور في الآية ربح التجارة، كما ذكرنا »(٣).

وأورد الآيات المذكورة أو إحداها عند تفسير الآية جمع من المفسرين(٤).

وجه الارتباط بين الآية والآيات المذكورة:

ما بيّنه الشنقيطي من أنّ ابتغاء الفضل ورد في تلك الآيات مراداً به التجارة، فيكون هو المراد به في هذه الآية أيضاً، لأنه المعنى الغالب في القرآن من هذا الاستعمال.

وهذا من باب الاستشهاد بالمعنى الغالب للفظ أو الأسلوب على تفسير الآية به، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، ومن قواعد الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير(٥).

---

(١) التفسير الكبير (٣/ ١٨٧)، وانظر مثله في: اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٤٣٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١٣).

(٣) أضواء البيان (١/١٦٥-١٦٦).

(٤) انظر: محاسن التأويل (١١٣/٢)، تفسير القرآن لكلام الرحمن (صـ٩٤)، التحرير والتنوير (٢/ ٢٣٣)، تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٤٢١).

(٥) لذا ذكره الحربي في قواعد الترجيح عند المفسرين (١٧٢/١)، وأورد كلام العلماء في اعتمادها والأمثلة التطبيقية عليها.

وتفسير ابتغاء الفضل هنا بالتجارة هو الذي ذكره جمهور المفسرون[1]، ولم أطلع في ذلك على خلاف عنهم؛ لما تقدّم في سبب نزولها، إلا ما حكاه الرازي وغيره عن بعضهم من أن المراد بابتغاء الفضل هنا: أن يبتغي الإنسان حال كونه حاجاً أعمالاً أخرى تكون موجبة لاستحقاق فضل الله ورحمته مثل إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع[2].

وهذا القول وإن دافع عنه الرازي وغيره، وردوا على الاعتراض عليه[3]، إلا أنه غير مستقيم؛ لعدم مناسبته سبب نزول الآية، وسبب النزول الصحيح معين على فهم الآية كما قرره جمع من المحققين[4].

النتيجة: لا خلاف – كما سبق – بين المفسّرين في تفسير ابتغاء الفضل هنا بالتجارة؛ لما تقدّم، وحمل الآية على الآيات المذكورة من باب الاستشهاد بالمعنى الغالب على تفسير آية في القرآن الكريم، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١/ ١١٩)، معالم التنزيل (١/ ٢٢٨)، الكشاف (١/ ١٧٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٣٢)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٠٢)،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٦٤/١)، روح المعاني (٢/ ١٦٦)

(٢) التفسير الكبير (١٦٤/٢) البحر المحيط (٢٦٤/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٤٣٨).

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٦٤/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٢/ ٤٣٨).

(٤) قال الواحدي: لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، أسباب النزول (صـ ٤).

وقال ابن دقيق العيد: « بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن »، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢٥٨/١).

وقال ابن تيمية: « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب». مجموع الفتاوى (٢٢٥/ ١٣)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٠٨). لباب النقول (صـ ١٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٩٩

جاء في سبب نزول هذه الآية[١] أنّ قريشاً كانوا لا يقفون مع الناس يوم عرفة في عرفات، بل كانوا يقفون في المزدلفة؛ وذلك ترفعاً أن يساووا غيرهم وهم أهل بيت الله وقُطّان حرمه، وزعماً منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذي لا يريدون الخروج منه إلى عرفات، فأمر الله النبي ﷺ والمسلمين، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، وهو عرفات، لا من المزدلفة كفعل قريش.

◆ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ لم يبيّن الله فيه المكان المأمور بالإفاضة منه؛ فاختلف المفسّرون فيه، وحمله الشيخ الشنقيطي على قوله تعالى في الآية التي قبلها: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾[٢].

قال الشيخ رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾، لم يبين هنا المكان المأمور بالإفاضة منه المعبر عنه بلفظة ﴿حَيْثُ﴾، التي هي كلمة تدل على المكان، كما تدل حين على الزمان، ولكنه يبين ذلك بقوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾ »[٣].

ووجه بيان الآية بالتي قبلها: واضح من كلام الشنقيطي؛ فالله لم يبيّن في قوله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ المكان المأمور بالإفاضة منه المعبر عنه بلفظة ﴿حَيْثُ﴾، وكان ذكر قبله الإفاضة من عرفات، فيكون المكان المبهم هنا راجعاً إلى ذلك المبيّن؛ لأنّ الآيتين في سياق واحد.

---

(١) كما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، فالبخاري في كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة برقم: (١٦٦٥)، وفي كتاب التفسير، باب ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ برقم: (٤٥٢٠)، ومسلم في كتاب: الحج، باب في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ برقم (١٢١٩).

(٢) سورة البقرة: ١٩٨.

(٣) أضواء البيان (١/ ١٦٦).

وتفسير الإفاضة هنا بالإفاضة من عرفات إلى المزدلفة هو مذهب جماهير العلماء، فهو مروي عن عائشة وابن عباس ومجاهد، وعطاء، وقتادة، والسدي، وغيرهم[1]، ورجحه الطبري والجصاص وحكيا عليه الإجماع[2]، ورجّحه كذلك القرطبي والخازن[3].

لكن يشكل على هذا القول ذكر ﴿ ثُمَّ ﴾ بعد ذكر الإفاضة من عرفات والأمر بالذكر عند المشعر الحرام، بعد ذكر الإفاضة من عرفات؛ فظاهر سياق الآية أن الإفاضة الثانية هي الإفاضة من مزدلفة.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة عديدة أهمها[4]:

١- أن ثم بمعنى الواو، فليست للترتيب وإنما هي لعطف جملة كلام على جملة هي منها منقطعة[5]، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[6]، وقوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[7].

قال الجصاص: « فإذا كان ذلك سائغاً في اللغة ثم روي عن السلف ما ذكرنا لم يجز العدول عنه إلى غيره »[8].

٢- أن معناه: ثم ذكرنا لكم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فيرجع التعقيب إلى ذكر وجود الشيء لا إلى نفس وجوده، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[9]، المعنى: ثم أخبرناكم آتينا موسى الكتاب؛ فيكون التعقيب في الإخبار لا في الإيتاء، وفائدة

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٥٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٤/١٩٠)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٨٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٢٨)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/١٨٥).

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٦٥-٢٦٦)، أحكام القرآن للجصاص (١/٣٨٧- ٣٨٨). معالم التنزيل (١/ ٢٣٠) البحر المحيط (٢/ ٢٧٠). لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٨٥).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٢٧)، البحر المحيط (٢/ ٢٧٠)

(٦) سورة البلد: ١٧.

(٧) سورة يونس: ٤٦.

(٨) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٨٧).

(٩) سورة الأنعام: ١٥٤.

كلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا تأخر أحد الخبرين عن الآخر، لا تأخر هذا المخبر عنه عن ذلك المخبر عنه[1]، فالترتيب ذكري لا ترتيب حكمي[2].

القول الآخر في الآية:

والقول الآخر في المراد بالمكان المأمور بالإفاضة منه هو ما سبق التنويه إليه، وأنّ ظاهر الآية يقتضيه: أنّ المراد الإفاضة من المزدلفة إلى منى لرمي الجمار، وهذا القول مرويٌّ عن الضحاك[3]، وقال ابن جرير عن هذا القول: « ولولا إجماع الحجة على خلافه لكان هو الأرجح »[4]، وأيده ونصره حتى وهم بعضهم فنسبوا إليه ترجيح هذا القول[5]، وهو الذي رجحه الثعلبي[6]، واقتصر عليه السعدي[7].

الترجيح:

والراجح هو القول الأول؛ لصحة تفسير القرآن بالقرآن فيه، ولأنه قول جمهور المفسّرين من السلف والخلف، ولصحّة الأدلّة وأسباب النزول فيها، ومعرفة السبب معينة على فهم الآية فهماً صحيحاً، ولإمكانية الإجابة على الإشكال الوارد عليه.

النتيجة:

صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ بالتي قبلها قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ فيكون المراد بالمكان المبهم المأمور بالإفاضة منه في الأولى (عرفات) المصرح به في الثانية، ولا يشكل على ذلك ورود (ثم) بعد ذكر الإفاضة من عرفات والوقوف عند المشعر الحرام لما تقدّم من الإجابات، والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير الكبير (٣/ ١٩٩).

(٢) تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٤٢٨).

(٣) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٤/١٨٩) من طريق أبي بسطام.

(٤) جامع البيان (٤/١٩٠)، وذكر مثله ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢/ ٢٣٩)، قال: « ولولا ما جاء من الحديث لكان هذا التفسير أظهر لتكون الآية ذكرت الإفاضتين بالصراحة وليناسب قوله بعد: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ » سورة البقرة: ٢٠٠.

(٥) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٢٧- ٤٢٨)، البحر المحيط (٢/ ٢٧٠)، فتح القدير (١/٢٧٢).

(٦) في الكشف والبيان (١/ ٢٢١).

(٧) تيسير الكريم الرحمن (صـ ٩٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ البقرة: ٢٠٤

هذا إخبار من الله تبارك وتعالى للمنافقين الذين يتعجب المرء من قولهم، لرونقه وفصاحته، وعندما يُحدِّثُ يشهد الله على صدق سرائرهم، وما تخفي قلوبهم، ويحلفون على ذلك، وهم شديد الخصومة والعداوة للمسلمين.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الطبري بسنده عن ابن زيد قال في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ إلى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾(1)، كان رجل يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: أي رسول الله أشهد أنك جئت بالحق والصدق من عند الله ! قال: حتى يعجب النبي ﷺ بقوله، ثم يقول: أما والله يا رسول الله، إن الله ليعلم ما في قلبي مثل ما نطق به لساني! فذلك قوله: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾، قال: هؤلاء المنافقون، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾(2) حتى بلغ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾بما يشهدون أنك رسول الله(3).

وقال العلاّمة العثيمين رحمه الله بعد ما ذكر المعنى الثاني للآية: « أن يُقسم ويحلف بالله أنه مؤمن مصدق، وأن الذي في قلبه هو هذا؛ فيشهد الله على ما في قلبه من محبة الإيمان، والتمسك به وهو كاذب في ذلك؛ ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾، أي لكاذبون في دعواهم أنهم يشهدون بذلك »(4).

واستشهد بالآية أيضاً الشيخ ثناء الله الهندي(5).

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٥

(٢) سورة المنافقون: ١.

(٣) جامع البيان (٤/ ٢٣٣).

(٤) تفسير القرآن للعثيمين (٢/ ٤٤٣).

(٥) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٥١).

ووجه الارتباط والشبه بين الآيتين:

أن الله تعالى نعت المنافق في الآيتين أنه يستشهد الله تعالى على ما في قلبه وأنه مؤمن بالله ورسوله وهو في ذلك كاذب"[1].

وفي الآية قراءة أخرى[2] هي أشبه بآية المنافقون من هذه القراءة، وهي بفتح الياء والهاء في " يَشهد " ورفع اسم الجلالة على أنه فاعل، بمعنى: والله يشهد على الذي في قلبه من النفاق، ويعلم أنه مضمر في قلبه غير الذي يبديه بلسانه، ويوافقه ما روي من قراءة ابن عباس " والله يشهد على ما في قلبه "[3].

قال القرطبي – بعد ما حكى هذه القراءة –: « دليله قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ »[4].

وقال ابن كثير: « وأما قوله: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ فقرأه ابن محيصن: ﴿وَيَشْهَدُ اللهُ﴾ بفتح الياء، وضم الجلالة... ومعناها: أن هذا وإن أظهر لكم الحيل، لكن الله يعلم من قلبه القبيح، كقوله تعالى: ... وذكر آية المنافقون »[5].

وقال الشوكاني – بعد ما حكاها –: ومثله قوله تعالى: ... وذكر الآية[6].

فتشترك الآيتان – في هذه القراءة – على معنى أنّ الله مطلع على ما في قلب المنافق ويعلم أنّ ما أضمره فيه خلاف ما أظهره وأبداه بلسانه.

وعلى كلتا القراءتين فلا يظهر لي في الآية الثانية بيان للأولى، بل هما مشتركتان في المعنى وفي نعت المنافقين بأنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كذباً وزوراً، وأن الله مطلع على ذلك، وهو العليم بذات الصدور. والله تعالى أعلم.

◈◈◈✸✸✸

(١) انظر: المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة.

(٢) وهي قراءة شاذة حكاها جمع من المفسرين عن ابن محيصن، وأبي حيوة، انظر: المصادر المذكورة في الحاشية التالية.

(٣) انظر: جامع البيان (٤/ ٢٣٤)، معاني القرآن للنحاس (١/ ١٤٩)،المحرر الوجيز (١/٢٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٣).

(٦) فتح القدير (١/ ٢٧٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ البقرة: ٢٠٥

هذه صفة أخرى للمنافق يخبر الله فيها أن المنافق إذا قام وانصرف مشى في الأرض وعمل فيها بالفساد ويهلك الزرع والدواب، وعمله هذا مبغوض لله تعالى فلا يحبه ولا يحب فاعله.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

حمل بعض المفسرين هذه الآية على آيات من القرآن الكريم على النحو التالي:

١- قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2].

فعن مجاهد رحمه الله - في تفسير الآية - قال: « إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطرَ، فيُهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحب الفساد، ثم قرأ مجاهد: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ »[3].

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ أي يكون سبباً لإهلاكهما؛ لأن المعاصي سبب لذلك؛ لقوله تعالى... وذكر الآيتين »[4].

وجه الارتباط بين الآية وهاتين الآيتين:

أنّ قوله تعالى – إخباراً عن المنافق-: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ يحتمل أن يراد به قيامه المباشر بذلك، كما يحتمل أنه يفعل ذلك بسبب منه؛ فلما أخبر الله في الآيتين أنّ بعض ما يصيب الناس من الفساد في الأرض وانقطاع بركات السماء وخيرات الأرض هو بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، حمل ما ورد في هذه الآية على ذلك؛ فيكون المراد بإهلاك هذا المنافق الحرث والنسل وفساده في الأرض إنما ذلك بسبب معاصيه.

---

(١) سورة الروم: ٤١.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤/٢٤٠) من طريق النضر بن عربي عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٦٧) دون الاستشهاد بالآية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٨١) إليهما.

(٤) تفسير القرآن للعثيمين (٢/٤٤٥).

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾(٢)

فقد ذهب بعضهم إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ إهلاك ذلك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك، فيشتغل بإدخال الشبه في قلوب المسلمين، وباستخراج الحيل في تقوية الكفر، واختار هذا المعنى الرازي واستشهد عليه بالآيتين المذكورتين، قال: « وإنما سمي هذا المعنى فساداً في الأرض لأنه يوقع الاختلاف بين الناس ويفرق كلمتهم ويؤدي إلى أن يتبرأ بعضهم من بعض، فتنقطع الأرحام وينسفك الدماء، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾(٣)(٤).

ووجه الارتباط بين الآية وهذه الآيات:

أنّ فرعون – لعنه الله – وملأه سمّوا ما يقوم به موسى من دعوة قومه إلى الدين فساداً للناس؛ لأنه يوقع – على رأيهم – الاختلاف بينهم، ويفرق كلمتهم؛ فيحمل ما ذكر من إفساد هذا المنافق على مثل ذلك؛ لأنه يفرق - بنفاقه وكفره – كلمة المسلمين، ويشتت شملهم.

وهذا وما قبله من باب الاستشهاد على معنًى يراه المفسّر في الآية، تشتركان فيه، فهو من جمع الآيات المتشابهة التي تكون في المعنى الواحد.

مع أن قول جمهور المفسّرين مخالف لما تقدّم، وهو أن المراد به إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والإفساد، كما فعل الأخنس فأحرق زرع وقتل الدواب، وهو الذي رجّحه الطبري لكونه أشبه بظاهر التتريل(٥)، واقتصر عليه جماعة(٦).

---

(١) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٢) سورة غافر: ٢٦.

(٣) سورة محمد: ٢٢.

(٤) التفسير الكبير (٥/١٧٠)، وذكر هذا المعنى القاسمي في محاسن التأويل (٢/١٢٢)، واستشهد بآية الأعراف.

(٥) جامع البيان (٤/ ٢٣٩- ٢٤٠). ولا يمنع – مع ذلك – أن تكون الآية شاملة في كل من سلك سبيله في قتل الحيوان الذي لا يحل قتله، لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (نفس المصدر).

(٦) انظر: الوجيز للواحدي (١/ ٥٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٢٦٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ البقرة: ٢١٠

الاستفهام هنا في معنى النفي[١]، والمعنى: لا ينتظر التاركون الدخول في السلم كافة، والمتبعون خُطوات الشيطان، إلا أن يأتيهم الله على الوجه اللائق به سبحانه في ظُلَل من السحاب يوم القيامة، وتأتيهم الملائكة، فيقضي الله في أمرهم ما هو قاضٍ، وإلى الله يؤول القضاء بين خلقه يوم القيامة، والحكم بينهم في أمورهم التي جرت في الدنيا[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد حمل بعض المفسرين هذه الآية بآيات عديدة من القرآن المجيد على النحو التالي:

١ - قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[٤]

فقد فسّر جمع من المفسرين إتيان الله ومجيئه في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ وأشباهها[٥]، بإتيان أمره وبأسه لهاتين الآيتين.

وذهب إلى هذا جمع من المفسّرين وهم في ذلك بين مصرِّح ببيان الآية بها، وغير مصرح.

---

(١)انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٠٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٤٣)، روح المعاني (٢/١٨٦).

(٢) جامع البيان (٤/ ٢٦٦- ٢٦٩).

(٣) سورة النحل: ٣٣.

(٤) سورة الأعراف: ٤ - ٥

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ سورة الأنعام: ١٥٨، وقوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ سورة الفجر: ٢٢.

فممن صرّح ببيان الآيتين أو أحدهما للآية:

- ما حكاه ابن الجوزي في الزاد وغيره عن القاضي أبو يعلى[1] عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال - في تفسير الآية -: المراد به: قدرته وأمره، قال: **وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾**[2].

قال الرازي: - بعد ما حكا هذا التفسير - « ثم الذي يؤكد القول بصحة هذا التأويل وجهان الأول: أن قوله هاهنا: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3] إخبار عن حال القيامة، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها في سورة النحل فقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ **فصار هذا الحكم مفسراً لذلك المتشابه، لأنّ كلّ هذه الآيات لما وردت في واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على البعض**»[4].

---

(١) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الحنبلي بن الفراء، القاضي أبو يعلى، من أئمة الحنابلة، أفتى ودرس، له تصانيف عديدة، توفي سنة (٤٥٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٢/٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٨/٨٩).

(٢) في زاد المسير (١/٢٠٠)، وفي كتابه: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه (صـ١٤١)، ت: حسن السقاف، دار الإمام النووي – عمان. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٤)، وذكر مثله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية البداية والنهاية (١٠/٣٢٧)، رواية عن الحافظ البيهقي.

وقد أجاب أصحاب الإمام أحمد عن هذه الرواية بأجوبة ثلاث ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٦/٤٠٤-٤٠٦)، والاستقامة (١/ ٧٥)، وابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٨ وزاد المعاد (٥/٣٩٢)، وملخصها:

١- أن هذا غلط من حنبل انفرد به دون أصحاب أحمد؛ فهو شاذ مخالف لما ثبت عنه بالنقول الصحيحة من إثبات المجيء لله تعالى.

٢- أن الإمام قال هذا على وجه الإلزام لخصومه، على مذهبه؛ فإنهم يتأولون مجيء الرب بمجيء أمره، فلما احتجوا عليه بقوله " تأتي البقرة وآل عمران " على خلق القرآن قال: فكذلك قولوا: يجيء كلامه مجيء ثوابه!.

٣- أن ذلك وقع من أحمد ثم رجع عنه؛ لأن أكثر النقول عن أحمد رحمه الله مصرحة بعدم التأويل في جميع الصفات، فالصحيح المشهور عنه رد التأويل.

(٣) سورة الفجر: ٢٢.

(٤) التفسير الكبير (٣/ ٢٣٢).

وقال ابن جماعة[1]: بعد ما حكى هذا القول وأيده -: « فيدل على ما أولناه قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ **فتكون هذه الآية مفسرة للآية الأخرى** »[2].

وقال الخازن: « وقيل معناه إلاّ أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل **أن الله تعالى فسّره في آية أخرى فقال:** ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ، **فصار هذا الحكم مفسراً لهذا المجمل في هذه الآية** »[3].

وقال أبو حيان: « قال الزجاج وغيره: والأولى أن يكون المعنى: أمر الله؛ **إذ قد صرح به في قوله:**﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ وتكون عبارة عن بأسه وعذابه »[4].

ومنهم من لم يصرح بذكر البيان والتفسير واكتفى بتشبيه الأولى بالثانية، قال الزمخشري: « إتيان الله إتيان أمره وبأسه كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾، ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ »[5].

وذكر مثله البيضاوي، والنسفي، وغيرهما[6].

وقال النيسابوري: وقيل: المراد إتيان أمره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع آخر ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ »[7].

ووجه بيان الآية بهذه الآيات المذكورة – على هذا القول –: أنّ القائلين به يرون أنّ الله سبحانه وتعالى منزه عن الإتيان والذهاب، وهو من المتشابهات، فيحمل

---

(١) هو: بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الكناني الحموي الشافعي، أبو عبد الله، الإمام العالم، ولي القضاء بمصر، واجتمع له من الوجاهة، وطول العمر، ودوام العز ما لم يتفق لغيره، وصنف كثيراً في عدة فنون، توفي في جمادي الآخر سنة (٧٣٣هـ). انظر: الدرر الكامنة (٣/٣٦٧)، طبقات المفسرين، للداودي (٢/٥٣).

(٢) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (صـ ١١٧- ١١٨) لابن جماعة. ط١، ١٤١٠هـ، دار السلام، ت: وهبي سليمان غاوجي الألباني.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ١٩٨).

(٤) البحر المحيط (٢/ ٣١٣).

(٥) الكشاف (١/ ١٨٤).

(٦) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٤٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/١٠٥) تفسير الجلالين (صـ٢١٩).

(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٠)، وانظر مثله في: التحرير والتنوير (٢/٢٦٩).

إتيانه هنا على إتيان أمره وبأسه كما جاء ذلك مصرحاً به في الآيات الأخرى، **فهو من حمل المتشابه على المحكم**[(١)]**، أو حمل المطلق على المقيد**[(٢)].

واستدلّ القائلون بهذا القول بأدلة أخرى[(٣)]:

١- أنّ هذا مشهور في كلام العرب في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[(٤)]، ويقال: ضرب الأمير فلاناً، وصلبه، وأعطاه، والمراد أنه أمر بذلك، لا أنه تولى ذلك العمل بنفسه.

٢- بقوله تعالى في الآية: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، لأنّ اللام تدل على معهود سابق، وليس هناك أمر معهود إلا الأمر المضمر.

٣- بقوله تعالى – قبل الآية -: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(٥)]؛ فإن العزة والحكمة تدل على الانتقام بحق، وهو البأس والعذاب، وذكر الملائكة لأنهم الواسطة في إتيان أمره أو الآتون على الحقيقة، ويكون ذكر الله تعالى حينئذ تمهيدا لذكرهم[(٦)].

وتفسير الآية بهاتين الآيتين غير صحيح لما يلي:

١- أنّ هذا القول فيه تأويل صفات الله تعالى، وهو مذهب مخالف لما كان عليه السلف الصالح والفرقة الناجية في أسماء الله وصفاته، من إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبت له رسولهﷺ من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

٢- أنّ الآية وما شابهها صريحة في بابها وليست مشكلة ولا متشابهة؛ وصحة تراكيبها واستقامة ألفاظها لا تتوقف على تقدير محذوف، بل الكلام مستقيم وواضح، قائم

---

(١) كما يراه الرازي انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٣٠).

(٢) انظر: كتاب: دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد (صـ ٥)، تأليف: أبي بكر الحصني الدمشقي، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

(٣) انظر: الكشف والبيان (١/ ٢٣٤-٢٣٥)، التفسير الكبير (٣/ ٢٣٢)، البحر المحيط (٢/ ٣١٣).

(٤) سورة يوسف: ٨٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٠٩.

(٦) روح المعاني (٢/ ١٨٦).

المعنى بدون إضمار، فمجيئه تعالى حقيقة ومجيء أمره حقيقة ومجيء ملائكته حقيقة، و قد فصل تعالى ذلك و قسمه و نوعه تنويعا يمتنع معه الحمل على المجاز، فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه و مجيء الملائكة وكذا في آية الفجر وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره و ذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التي هي من أمره[1].

٣- أنّه إضمار ما لا يدل اللفظ عليه، وهو قول على الله بغير علم، وإخبار عنه بإرادة ما لم يقم به دليل على إرادته، وادعاء ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب ويطرق كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصحح باطله[2].

٢- قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾[4].

فقد ذهب بعض المفسرين إلى تفسير إتيان الله في الآية بإتيان جزائه من عذابه وثوابه، وحملوا الآية – على ذلك المعنى – على هذه الآيات[5]؛ فيكون معنى الآية: هل ينظرون إلا أن يأتيهم جزاؤه.

قال الزجاج: « قال أهل اللغة: معناه: يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب، كما قال: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ﴾ أي أتاهم بخذلانه إياهم »[6].

ووجه البيان: - على هذا القول - أنّ الله سمى تعذيبه وتخويفه للكفار - في الآيتين – إتياناً له، فيحمل إتيانه في هذه الآية - أيضاً - على إتيان جزائه وعذابه.

---

(١) انظر: معارج القبول (١/ ٣٦٠)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (صـ ٥٧-٥٩).

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/٣٣٩)، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله. وانظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (٤/١٦٨٠) تأليف د. محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

(٣) سورة النحل: ٢٦.

(٤) سورة الحشر: ٢.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٥-٢٦)، البحر المحيط (٢/ ٣١٣)، اللباب في علوم الكتاب (٣/٤٨٦)، فتح القدير (١/ ٢٨٠).

(٦) معاني القرآن (١/٢٨٠)، وحكاه عنه النحاس في معاني القرآن (١/١٥٥).

﴿حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ حيث قيد المجيء فيها لقوم مخصوصين قد أوقع بهم بأسه، وعلم أن جنوده من الملائكة والمسلمين أتوهم، على أنه لا يمتنع في الآيتين أن يكون الإتيان على حقيقته، ويكون ذلك دنواً ممن يريد إهلاكهم بغضبه وانتقامه كما يدنو عشية عرفة من الحجاج برحمته ومغفرته، ولا يلزم من هذا من هذا الدنو والإتيان الملاصقة والمخالطة، بل يأتي هؤلاء برحمته وفضله، وهؤلاء بانتقامه وعقوبته وهو فوق عرشه[(١)].

٣- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[(٤)].

فقد استشهد بها جمع من المفسّرين – عند تفسير هذه الآية -؛ لوجهين:

تأييد قراءة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ بالرفع بهما، وجامع الشبه بينها.

أما الأول: فإنّ الآيات تشهد لقراءة الرفع التي هي قراءة الجمهور، ليكون عطفاً على اسم الله، فقد اختلف القراء في قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾؛ فقرأه أبو جعفر بالخفض عطفاً على ظلل، أو الغمام، والباقون بالرفع عطفا على اسم الله تعالى[(١)].

وهذا هو المروي عن أبي العالية[(٢)] قال: في قراءة أبي بن كعب ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قال: يأتي الملائكة في ظلل من الغمام، وهو كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

وقال الطبري: وأما الذي هو أولى القراءتين في: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، فالصواب بالرفع، عطفًا بها على اسم الله تبارك وتعالى، على معنى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٤٢٧-٤٢٨) (بتصرف واختصار).

(٢) سورة الفرقان: ٢٥.

(٣) سورة الفجر: ٢٢.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٨.

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (صـ ٢٨٥)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (صـ٥٩).

(٢) فيما أخرجه عنه الطبريّ في جامع البيان (٤/٢٦١) بسنده من طريق الربيع بن أنس.

وقال الطبري: وأما الذي هو أولى القراءتين في: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، فالصواب بالرفع، عطفًا بها على اسم الله تبارك وتعالى، على معنى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وإلا أن تأتيهم الملائكة، على ما روي عن أبيّ بن كعب، لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في غير موضع من كتابه أن الملائكة تأتيهم، فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1].

فوجه الارتباط بين الآية والآيات المذكورة – على هذا – اشتراك الآيات في الإخبار بأن الملائكة يأتون يوم القيامة مع الله تعالى، وتأييد ذلك لقراءة الرفع.

وأما الثاني: فقد استشهد ابن كثير وغيره أيضاً بالآيتين (آية الأنعام، وآية الفجر)، للشبه بين الآيات في المعنى، حيث ورد فيها جميعاً الإخبار عن إتيان الله تعالى يوم القيامة للفصل بين الخلق[2].

النتيجة: لا يصح تفسير إتيان الله في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ والآيات الواردة في معناه بإتيان أمره وبأسه في الآيات المذكورة، ولا بإتيان عذابه أو عقابه، كما في آيات أخرى؛ لأن ذلك مخالف لظاهر اللفظ، ولما عليه إجماع السلف الصالح، وإتيان الله المذكور في الآية وفي غيرها ليس من قبيل المجمل ولا المشكل ولا المطلق، بل هي صريحة في معناها لا تحتاج إلى بيان.

---

(١) جامع البيان (٤/٢٦٢)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٣٧٠)، الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٥)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٧-٥٦٨)،

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾ البقرة: ٢١٩

سأل رسولَ الله ﷺ أصحابُه عن حكم الخمر والميسر، فأنزل الله تعالى هذه الآية مخبراً أنّ في الخمر والميسر إثماً كبيراً وذنباً عظيماً، لما يترتب عليهما من المفاسد العظيمة في العقل والدين، مع ما فيهما من بعض المصالح والمنافع الدنيوية، لكن هذه المنافع لا توازي تلك المضار لتعلق الأولى بالدنيا فقط وتعلق الثانية بالعقل والدين والمجتمع(١).

كما سُئل عليه السلام عن ماذا ينفقون؟ فأجابهم الله تعالى قائلاً: (العفو) أي ما يسهل على الإنسان إنفاقه مما يفيض عن حاجته، وحاجة عياله وذوي قرباه(٢).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّرت هذه الآية بآيات من كتاب الله في ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ﴾، بالجواب الذي جاء بعده.

فقد فسر قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ﴾ بالجواب الذي جاء متصلاً به في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾.

وجه البيان، واضح وظاهر؛ فهو مما وقع السّؤال عنه والجواب عليه، وهو –كما تقدّم– من أوجه بيان القرآن بالقرآن الواضح الصّريح، مع كون الجواب وقع بعد إيراد السؤال مباشرة فهو مما اتصل به بيانه(٣).

وهذا الجواب مبيّن لماهية السؤال؛ فإنّ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ﴾ ليس فيه بيان عن أي شيء سألوا، ويحتمل أنهم سألوا عن حقيقتهما وماهيتهما، ويحتمل أنهم سألوا عن حكمهما؛ فلما أجاب الله بقوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾ دلّ على أنّ ذلك السؤال كان واقعاً عن الحكم فيهما(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٥٧٩).

(٢) انظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٢٢٦).

(٣) انظر: ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم (صـ ٣٧).

(٤) انظر: التفسير الكبير (٦/ ٣٥)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٣٣).

المطلب الثاني: تفسير الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[1].

فقد حمل جمع من المفسرين الآية على هذه الآية في وجهين:

الوجه الأول: تفصيل الإثم المجمل في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، لم يبين فيه ما الإثم الكبير الذي في الخمر والميسر؛ فحمله جمع من المفسرين على ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: « ... وأما في "الميسر"، فما فيه من الشغل به عن ذكر الله وعن الصلاة، ووقوع العداوة والبغضاء بين المتياسرين بسببه، كما وصف ذلك به ربنا جل ثناؤه بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[2].

وقال البغوي رحمه الله: « فالإثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة ...ثم ذكر الآية[3]

وقال الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، لم يبين هنا ما هذا الإثم الكبير، ولكنه بين في آية أخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهي قوله: ... وذكر الآية[4].

وذكر هذا جمع من المفسّرين، وإن لم يشر بعضهم إلى آية المائدة[5].

---

(١) سورة المائدة: ٩١.

(٢) جامع البيان (٤/٣٢٦)، هكذا قال عن إثم الميسر، وقال في إثم الخمر: ما قاله السدي: زوال عقل شارب الخمر إذا سكر من شربه إياها حتى يعزب عنه معرفة ربه، وذلك أعظمُ الآثام، قال وذلك معنى قول ابن عباس إن شاء الله.
ولا أعرف وجهاً لتفريقه بين إثم الخمر والميسر في حمل الآية عليهما، كما هو ظاهر آية المائدة، فما ذكر فيها مرتب على الخمر والميسر، لا على الميسر فقط.

(٣) معالم التنزيل (١/ ٢٥٣).

(٤) أضواء البيان (١/ ١٦٨).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١/١٣٢)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٣٥)، البحر المديد (١/ ١٧٧)، فتح القدير (١/٢٩٤)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٥٤)، التحرير والتنوير (٢/ ٣٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٩٨).

ووجه البيان: واضح؛ إذ أجمل الله في الآية الإثم الكبير والكثير الذي يترتب على تعاطي الخمر والميسر، وفصّل في آية المائدة ما يريده الشيطان من المؤمنين في الخمر والميسر من الذنوب العظيمة والمفاسد الجسيمة، فيحمل الإثم المجمل هنا عليها.

❖ الأقوال الأخرى في تفسير الإثم الكبير:

وقد ورد عن المفسّرين أقوالٌ أخرى في تفسير الإثم الذي يترتب على تعاطي الخمر والميسر، فمن ذلك:

١- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، « يعني ما ينقُص من الدين عند من يشربها »[١].

٢- وما روي عن السدي رحمه الله أنه قال: « أما قوله: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فإثم الخمر أنّ الرجل يشرَب فيسكر فيؤذي الناس، وإثم الميسر أن يُقامر الرجلُ فيمنعَ الحق ويظلم »[٢].

٣- وقال أبو حيان: « وقالت طائفة: الإثم الذي في الخمر: ذهاب العقل، والسباب، والافتراء، والتعدي الذي يكون من شاربها »[٣].

وذكر مثل هذا ابن عادل وزاد: « أن من خواص الخمر أن الإنسان إذا اشتغل بها وواظب عليها، كان ميله ونفسه عليها أقوى ، بخلاف سائر المعاصي »[٤].

وبالنظر والتأمل يتبيّن أن لا تناقض بين هذه الأقوال والقول بتفسير القرآن بالقرآن؛ فهي إما داخلة في الآية المفسَّرة، أو أن لفظ الإثم عامّ يدخل فيه كلّ ما يسببه الخمر والميسر ويترتب عليه من الذنب والعقاب.

لذا قال ابن الجوزي – بعد ما حكى الأقوال المتقدمة –: « وجائز أن يراد جميع ذلك »[٥].

فالنتيجة: صحة تفسير الإثم الذي في الخمر والميسر بما ذكره الله تعالى في آية المائدة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤/ ٣٢٥) بسنده من طريق علي بن أبي طلحة.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤/ ٣٢٥) بسنده عن السدي من طريق أسباط .

(٣) البحر المحيط (٢/ ٣٤٩).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٣/ ٤٥-٤٦).

(٥) زاد المسير (١/ ٢١٢).

الوجه الثاني: أنّ الآية منسوخة بآية المائدة:

فقد ذهب قوم من أهل العلم إلى أنّ هذه الآية منسوخة بآية المائدة المتقدمة النازلة في تحريم الخمر والميسر.

وذكر ذلك جمع من المصنفين في الناسخ والمنسوخ، وحكاه جمع من المفسرين[1].

ووجه النسخ: أنّ في قوله تعالى في هذه الآية ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ شيء من الإباحة والإشارة إلى الترخيص، أو أن فيه دلالة على الكراهة دون التحريم؛ فنسخت الثانية ذلك وحرمتها تحريماً بتاتاً[2].

والصحيح: كما تقدّم – أنّ نزول هذه الآيات تَدَرُّجٌ في تحريم الخمر، إذ لم تحرم دفعة واحدة...وليس في ذلك نسخ للآيات بعضها ببعض، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✸✸✸

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لقتادة (صـ ٣٥-٣٦)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٤٦-١٤٩)، المحرر الوجيز (١/ ٢٤٣)، المصفى من علم الناسخ والمنسوخ (١/ ٢٠)، البحر المحيط (٢/ ٣٤٨).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٤٣)، التحرير والتنوير (٢/ ٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ البقرة: ٢٢١

في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى المؤمنين أن يتزوجوا المشركات إلا أن يؤمن بالله ورسوله، كما نهاهم من أن يزوجوا بناتهم من المشركين ما داموا مقيمين على شركهم، وعلل لذلك بأن المشركين والمشركات يدعون إلى النار فمخالطتهم مضرة ومفسدة لا سيما بالتزوج منهم، والله ﷻ يدعو إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح، وإلى المغفرة بالتوبة الصادقة فاستجيبوا له وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

حرّم الله تعالى بهذه الآية على المؤمنين نكاح المشركات، وقد أحلّ تبارك وتعالى لهم نكاح المحصنات من أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾(٢).

وقد ذهب جمهور المفسّرين إلى حمل الآية الأولى على الثانية وتفسيرها بها، إلاّ أنهم اختلفوا في ذلك على وجهين:

الوجه الأول: تخصيص عموم المشركات بالمشركات من أهل الكتاب:

فإن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، عام يدخل فيه كل مشركة من كتابية ووثنية، فخصّ الله من ذلك نساء أهل الكتاب بآية المائدة(٣).

---

(١) أيسر التفاسير (١/ ١٠٦) (بتصرف واختصار)، وانظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٢٢٨).

(٢) سورة المائدة: ٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٨٢) (بتصرف).

قال ابن الجوزي رحمه الله: « ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ هذا اللفظ عام خص منه أهل الكتاب والتخصيص ليس بنسخ وقد غلط من سماه نسخاً »[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوّجوا المشركات من عبدة الأوثان، ثم إن كان عمومُها مرادًا، وأنّه يدخل فيها كل مشركة من كتابية ووثنية، فقد خَص من ذلك نساء أهل الكتاب بقوله: ... وذكر الآية[(٢)].

ونصّ على تخصيص الآية بالآية الثانية جمع من العلماء المفسرين والأصوليين وغيرهم[(٣)].

الوجه الثاني: أنّ الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية:

فذهب طائفة من العلماء أنّ الآية نزلت مرادًا بها تحريم نكاح كل مشركة على كلّ مسلم، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب بالآية الثانية، فالمنسوخ من الآية بعضها.

وهذا مروي عن ابن عباس[(٤)]، والربيع بن أنس[(٥)]، وعكرمة والحسن[(٦)]، ومجاهد[(٧)]، والزهري[(٨)]، وذكره جمع من المؤلفين في الناسخ والمنسوخ[(٩)].

---

(١) المصفى من علم الناسخ والمنسوخ (صـ ٢٠)، وذكر مثله في نواسخ القرآن (١/ ٢١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٨٢).

(٣) انظر على سبيل المثال: شرح الكوكب المنير (٣/٣٦٠)، قواطع الأدلة في الأصول (١/ ١٥٧)، فتح الباري لابن حجر (١٥/ ١١٧)، تفسير الجلالين (١/٢٣٠)، الناسخ والمنسوخ للكرمي (صـ٧١)، فتح القدير (٢٩٩/١)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٩٩)، دفع إيهام الاضطراب (صـ٥١)، أضواء البيان (١/ ١٦٨).

(٤) فيما أخرجه الطبري (٣٦٢/٤) بسنده من طريق علي بن أبي طلحة، عنه في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ استثنى الله من ذلك نساء أهل الكتاب، وانظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٨٢)، وهذا كما هو ظاهر لا يدل على القول بالنسخ، إلا ما أخرجه عنه أبو داود في ناسخه، والبيهقي في سننه، ففيهما التصريح بلفظ النسخ، انظر: الدر المنثور (٢/ ١٦)، ولعل ذلك ما جعل الطبري يذكر قول ابن عباس في القائلين بالنسخ.

(٥) فيما أخرجه الطبري (٣٦٢/٤) بسنده من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، وهو مثل تعبير ابن عباس.

(٦) فيما أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٢-٣٦٣) بسنده من طريق يزيد النحوي عنهما، قالا: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ ، فنُسخ من ذلك نساء أهل الكتاب، أحلّهن للمسلمين.

(٧) أخرج ذلك الطبري (٤/ ٣٦٣) عنه من طريق ابن أبي نجيح، ومن طريق ابن جريج مثله، وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٦) إلى آدم وعبد بن حميد والبيهقي.

(٨) كما أخرج ذلك ابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢١٠) بسنده عنه من طريق ابن مبارك عن يونس.

(٩) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم (صـ٢٩)، الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (صـ ٧).

والظاهر أنّ المراد بالنسخ فيما روي عن هؤلاء السلف: النسخُ في معناه العام الذي يدخل فيه التخصيص، وهذا الذي يفهم من صنيع ابن كثير، فقد حكى القول بالتخصيص عن من تقدم، أما النسخ على المصطلح المشهور فلا يصحّ؛ إذ لا حجة عليه، وهو دعوى لا برهان عليها(1)، مع إمكانية الجمع بين الآيتين بالقول بالتخصيص.

الأقوال الأخر:

١- وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ الآية نزلت مراداً بحكمها المشركات من عبدة الأوثان، و لم يُردْ أهل الكتاب بالكلية، فالآية عام ظاهرها خاص تأويلها، وليس فيها نسخٌ ولا تخصيص.

وهذا القول مروي عن قتادة(2)، وسعيد بن جبير(3)، وهو الذي رجحه الطبري، والجصاص، وابن جزي، والقاسمي، وغيرهم(4).

واستدلّ بعض من قال بهذا القول بآيات من القرآن صريحةٍ في التفرقة بين المشركين وأهل الكتاب، وعطفِ أحدها على الآخر في مثل: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(5)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾(6)، والعطف يقتضي المغايرة(7).

وهذا القول قريب – كما يقول الحافظ ابن كثير – من القول الأول(8)؛ فمؤداهما واحد.

---

(1) جامع البيان (٤/٣٦٥-٣٦٦).

(2) فيما أخرجه الطبري (٤/ ٣٦٣-٣٦٤) عنه بأسانيده من طرق، وانظر: نواسخ القرآن (١/ ٢٠٩).

(3) كما أخرجه عنه الطبري (٤/ ٣٦٤) من طريق حماد، وانظر: نواسخ القرآن (١/ ٢٠٩).

(4) جامع البيان (٤/ ٣٦٥)، أحكام القرآن للجصاص (٢/١٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/١١١)، محاسن التأويل (٢/١٥٧)، التحرير والتنوير (٢/ ٣٤٢).

(5) سورة البقرة: ١٠٥

(6) سورة البينة: ٦.

(7) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/١٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/١١١)، محاسن التأويل (٥/١٥٧).

(8) تفسير القرآن العظيم (٢/٥٨٤)

إلا أن الأظهر هو القول الأول؛ لأنّ لفظة المشركات تعم كل مشركة، والكتابيات مشركات بنص القرآن الكريم على شرك اليهود والنصارى في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1][2].

وقولهم بأن القرآن قد غاير بين المشركين وأهل الكتاب، فالجواب أنّ ذلك ليس من باب عطف الشيء على غيره، بل هو من عطف الخاص على العام، كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[3]؛ فأفردهما بالذكر تعظيماً لشأنهما مع كونهما من جملة الملائكة.

ويمكن القول بأنّ هناك فرقاً بين دلالة لفظ (المشركين) مفرداً ومقروناً بأهل الكتاب، فإذا أفردوا دخل فيهم أهل الكتاب، وإذا قرنوا بأهل الكتاب لم يدخلوا فيهم[4].

٢- أن الآية نزلت مرادًا بها كل مشركة من أيّ أصناف الشرك كانت، غير مخصوصة ولا منسوخة، وهذا قول ابن عمر[5]، ونُسب إلى الشافعي وجماعة من أهل العلم[6]، وعلى هذا القول تكون هذه الآية هي الناسخة لآية المائدة[7].

---

(١) سورة التوبة: ٣١.

(٢) انظر: الكشاف (١/١٩٥)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/١٩٨)، نواسخ القرآن (١/٨٥)، التفسير الكبير (٣/٢٨٩)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢١٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٥٣)، أضواء البيان (١/ ١٦٨).

(٣) سورة البقرة: ٩٨ .

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/ ٩٣) (بتصرف).

(٥) فقد روي عنه قوله «حرّم الله تعالى المشركات على المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله » كما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، برقم: (٥٢٨٥).

(٦) انظر: فتح القدير (١/ ٢٩٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٣٨٩).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٤٧)، روح المعاني (٢ / ٢١٦).

الترجيح:

والراجح هو القول بجواز نكاح نساء أهل الكتاب؛ فهو مذهب جماهير السلف والخلف من الأئمة الأربعة وغيرهم(١)، بل حكى جمع من العلماء عليه الإجماع(٢)، وأيضا فيمتنع أن تكون هذه الآية من سورة " البقرة " ناسخة للآية التي في سورة " المائدة "؛ لان " البقرة " من أول ما نزل بالمدينة، و " المائدة " من آخر ما نزل(٣).

وسواء كان ذلك على سبيل التخصيص أو النسخ أو القول بعدم دخولهن في لفظ المشركات مطلقاً، فقد أبيح فيها نكاح حرائر أهل الكتاب(٤).

والأظهر – كما سبق – في الجمع بين الآيتين: أنّ آية المائدة مخصِّصةٌ لعموم آية البقرة؛ لما سبق بيانه.

فيصحّ – على ذلك – **تفسير القرآن بالقرآن في الآيتين**؛ إذ خصصت إحداهما عموم الأخرى، وتخصيص العام من أوجه بيان القرآن بالقرآن على المصطلح الذي يراد به البيان والتوضيح، والله أعلم.

هذا وقد شبه الرازي وابن كثير (٥)– الآية بقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(٦) ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾(٧)، وهو من باب جمع الآيات المتشابهة؛ لجامع النهي فيها عن زواج المشركات، والعلم عند الله.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٢/ ١٧٨)، تفسير آيات الأحكام (١/١٢٥).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ١٩٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٦٨).

(٤) انظر: أحكام القرآن للشافعي (ص٢٠٠١-٢٠٠٢) جمع: الإمام: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تقديم وتحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩١م. المحصول في علم الأصول (٣/ ١١٨)، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ، تحقيق: طه جابر فياض العلواني.

(٥) التفسير الكبير (٣/ ٢٨٨)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٨٤).

(٦) سورة الممتحنة: ١٠

(٧) سورة الممتحنة: ١٠.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢

معنى الآية: يسألونك - يا محمد - عن إتيان النساء في حالة الحيض أيحلّ أم يحرم؟ قل لهم: إن دم الحيض دم مستقذر، ومعاشرتهن في هذه الحالة فيه أذى لكم ولهن، فاجتنبوا معاشرة النساء ونكاحهن في حالة الحيض، ولا تقربوهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويَطْهُرن، فإذا تطهّرْن بالماء فاغتسلن، فأتوهن في المكان الذي أمركم الله بالإتيان فيه، إن الله يحب عبده التائب المتره عن الفواحش والأقذار(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير هذه الآية بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾

قال ابن كثير: « فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾ **تفسير لقوله:** ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾ ونهي عن قرباهن بالجماع ما دام الحيض موجودًا، ومفهومه حله إذا انقطع »(٢).

وقال البيضاوي: « ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴾ تأكيد للحكم **وبيان لغايته** وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع »(٣).

وذكر مثل كلام البيضاوي أبو السعود، والآلوسي، والقاسمي، وابن عاشور(٤).

---

(١) تفسير آيات الأحكام (١/١٢٧) (بتصرف يسير)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٠٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (

(٣) أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٥٠٩).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٢٢٢)، روح المعاني (٢/ ١٢٢)، محاسن التأويل (٢/١٦٠)، التحرير والتنوير (٢/ ٣٤٨).

وجه البيان: وقد أشار هؤلاء المفسرون إلى وجه بيان الآية بما بعدها في وجهين:

الأول: أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بيان لغاية الاعتزال المأمور به في قوله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، فبيّنت الجملة الثانية أنّ انقطاع الحيض والتطهر بالاغتسال هما الغاية في اعتزال النساء والنهي عن مجامعتهن[١].

وإن كان تقييد الاعتزال بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ وترتبه على كونه أذى يفيد تخصيص الحرمة بذلك الوقت ويفهم منه عقلا انقطاعها بعده، إلاّ أنّ اللفظ لا يدل عليه صريحاً بخلاف حتى يطهرن[٢].

الثاني: أن قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ مبين للمراد من الاعتزال، وأنه ليس التباعد عن الأزواج بالأبدان، كما كان عند اليهود، فالنهي عن قربانهن[٣]، لا القرب منهن[٤].

---

(١) وهذا هو قول جمهور العلماء؛ لأنّ الله ﷻ علّق الحكم فيها على شرطين، هما: انقطاع الدم وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، والاغتسال بالماء ، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، فصار المجموع هو الغاية، كم يدل لذلك القراءة المتواترة الأخرى في قوله ﴿يَطْهُرْنَ﴾ ؛ حيث قرأ حمزة والكسائي وشعبة {يطَّهَّرْن} بالتثقيل، فبالجمع بين القراءتين يكون بالتخفيف عبارة عن انقطاع الدم وبالتثقيل عبارة عن التطهر بالماء. فدل باللفظين على عدم جواز وطئهن إلا بعد الطهارة والتطهير.

وقد روي عن أبي حنيفة القول بأن الغاية هو انقطاع الدم فقط –على تفصيل في ذلك–، مستدلاً بالآية، ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، على أنّ المراد بالطهر في الموضعين انقطاع دم الحيض، فاستعمل المشدّد بمعنى المخفّف، جمعاً بين اللغتين في الآية. والأول أصحّ؛ لما في الثاني من التكرار بدون فائدة. انظر ما تقدّم والمزيد في: أحكام القرآن لابن العربي (٣٢٢/١)، التفسير الكبير (٦/ ٥٩)، الجامع لأحكام القرآن (٨٩/٣)، تفسير البحر المحيط (٢/ ١١٨)، تاج العروس (٤٤٤/١٢)، اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٧٥)، فتح القدير (١/ ٣٤٤)، تفسير آيات الأحكام (١/١٣١-١٣٢).

(٢) روح المعاني (١٢٢/٢) (بتصرف).

(٣) أي عدم جماعهن، لأنّ معنى { ولا تقربوهن }، ولا تجامعوهن، انظر: الكشف والبيان (٢/ ١٥٨)، معالم التنزيل (١/ ٢٥٧)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٤/٢)، بحر العلوم (١/ ١٧٣).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٢٢/١)، محاسن التأويل (١٥٩/٢)، التحرير والتنوير (٣٤٨/٢).

المطلب الثاني: تعيين المكان المبهم المأمور بالإتيان منه في قوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾

إذ لم يبيّن الله تعالى فيه المكان المأمور بالإتيان منه المعبر عنه بلفظة حيث؛ ففسّره جمع من المفسّرين بآيتين من الكتاب العزيز، وهما:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[(١)].

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: « فإن قلت ما موقع قوله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ مما قبله؟، قلت: **موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله:** ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ يعني أن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث **ترجمة له وتفسيراً** »[(٢)].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: « وموضع الحرث هو المراد من قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾»[(٣)].

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله –عند تفسير قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾- :« وهذه الجملة مبينة لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾؛ لما فيه من الإجمال من حيث المتعلق »[(٤)].

وذكر مثل ذلك البيضاوي، وأبو السُّعود، والشوكاني، والهندي، والشنقيطي، والعثيمين[(٥)].

ووجه البيان: ما أوضحه الشيخ الأمين بقوله: « لأن قوله: ﴿فَأْتُوا﴾ أمر بالإتيان بمعنى الجماع وقوله: ﴿حَرْثَكُمْ﴾، يبين أن الإتيان المأمور به إنما هو في محل الحرث يعني بذر الولد بالنطفة، وذلك هو القبل دون الدبر كما لا يخفى؛ لأن الدبر ليس محل بذر للأولاد، كما هو ضروري »[(٦)].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٣.

(٢) الكشاف (١/ ٢٩٤).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/٢٦١).

(٤) روح المعاني (٢/ ٢٢٥).

(٥) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٤٥)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥٥)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢٨٢)، فتح القدير (١/٣٠٢)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (٥٥-٥٦)، تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ٨٢).

(٦) أضواء البيان (١/ ١٦٩).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (١)، و لم أجد من فسّر الآية بهذه الآية غير الشنقيطي.

وقد أوضح رحمه الله **وجه البيان فيه** بقوله: « لأن المراد بما كتب الله لكم: الولد، على قول الجمهور ... ومعلوم أن ابتغاء الولد إنما هو بالجماع في القبل؛ فالقبل إذن هو المأمور بالمباشرة فيه، بمعنى الجماع فيكون معنى الآية فالآن باشروهن ولتكن تلك المباشرة في محل ابتغاء الولد، الذي هو القبل دون غيره، بدليل قوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، يعني الولد(٢).

وعلى هذا القول يكون المكان المأمور بإتيان النساء منه إذا انقطعت عنهنّ الحيض واغتسلن: الفرجُ الذي أمر الله بترك جماعهن فيه في حال الحيض.

وهو قول جمهور المفسّرين من السّلف والخلف، فممن روي عنهم ذلك من السلف: ابن عباس(٣)، ومجاهد(٤)، وقتادة(٥)، والربيع(٦)، وعكرمة(٧).

وذهب إليه من المفسّرين – غيرُ من تقدّم النقل عنهم في حكاية تفسير القرآن بالقرآن– جمع غفير(٨).

◆ الأقوال الأخرى في تفسير قوله ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾

وقد حكى العلماء في ذلك أقوالاً أخرى منها(٩):

---

(١) سورة البقرة: ١٨٧.

(٢) أضواء البيان (١/ ١٦٩).

(٣) كما أخرج ذلك الطبري عنه (٤/ ٣٨٨-٣٨٩) بأسانيد مختلفة من طرق: أبان بن صالح، عن مجاهد، وعلي بن أبي طلحة، عنه، وأبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير عنه.

(٤) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٤/ ٣٨٩) بأسانيد من طرق.

(٥) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٤/ ٣٨٩-٣٩٠) من طريق سعيد.

(٦) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٤/ ٣٩٠) من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه عنه.

(٧) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٤/ ٣٨٩) من طريق خالد الحذاء.

(٨) انظر: بحر العلوم (١/١٨٦)، تفسير الجلالين (١/٢٣١)، الجواهر الحسان (١/ ١٢٩)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٠٠).

(٩) انظر: الكشف والبيان (١/٢٥٩)، النكت والعيون (١/١٥٩)، المحرر الوجيز (١/٢٥٠) معالم التنزيل (١/٢٥٩)، زاد المسير (١/٢١٨-٢١٩)، التفسير الكبير (٣/ ٣٠٢-٣٠٣)، البحر المحيط (٢/ ٣٦٥).

١- أنّ معناه: فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله فيه أن تأتوهن منه، وذلك الوجه هو الطهر دون الحيض، وهذا مروي أيضاً عن ابن عباس[١]، وعكرمة[٢]، وقتادة[٣]، والسُّدي[٤]، والضحاك[٥]، ورجحه الطبري[٦].

٢- أنّ معنى ذلك: فأتوا النساء من قِبل النكاح، لا من قِبل الفُجور.

٣- أنّ المعنى من قبل حال الإباحة، لا صائمات ولا مُحْرِمات ولا غير ذلك .

الترجيح:

والذي يظهر في تفسير المكان الذي أباح الله إتيان النساء فيه بعد انقطاع حيضهن في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ هو الفرج؛ لأنه هو المنهي عنه في حال الحيض، ولأن الأصل في لفظة ﴿حَيْثُ﴾ الدلالة على المكان والموضع، ولا يدلّ على ذلك في غير هذا القول[٧].

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بالعموم، قال الجصاص – بعد حكاية الأقوال : « هذا كله مراد الله تعالى لأنه مما أمر الله به فانتظمت الآية جميع ذلك»[٨].

ولولا عدم مناسبة السياق للأقوال الأخرى لكان ذلك هو الراجح، لذا قال ابن العربي: « ولا يقال: إن هذا كله يخرج من هذه الآية، وإنها مرادة به، وإن كان محتملاً له؛ فليس كل محتمل في اللفظ مراداً به فيه[٩].

---

(١) كما أخرج ذلك الطبري عنه (٤/ ٣٩٠-٣٩١) من طريق العوفي

(٢) كما أخرج ذلك الطبري عنه (٤/ ٣٩١) من طريق عبيد الله العتكي.

(٣) كما أخرج ذلك الطبري عنه (٤/ ٣٩١) من طريق معمر.

(٤) كما أخرج ذلك الطبري عنه (٤/ ٣٩١-٣٩٢) من طريق أسباط.

(٥) كما أخرج ذلك الطبري عنه (٣٩٢/٤) من طرق.

(٦) انظر: جامع البيان (٣٩٢/٤-٣٩٤).

(٧) التفسير الكبير (٣/ ٣٠٣)، البحر المحيط (٢/ ٣٦٥).

(٨) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٣٩).

(٩)أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٢٩).

النتيجة:

صحة تفسير القرآن بالقرآن في الآيات المذكورة؛ إذ أبهم الله المكان الذي أباح إتيان النساء فيه في قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ وبيّن في قوله ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أنّ ذلك هو الفرج الذي هو محلّ الحرث والبذر، كما بيّنه في قوله: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ؛ لأنّ ابتغاء الولد بالجماع يكون في محل الولد وهو الفرج، فهو المكان المأمور بالإتيان فيه هنا. والعلم عند الله.

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٥

من فضل الله ورحمته على عباده أنه لا يعاقبهم ولا يلزمهم بما صدر منهم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد، وإنما المؤاخذة على ما قصدته قلوبهم[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد فُسِّرت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ﴾[٢] على وجهين:

الوجه الأول: تفسير المراد بـ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ بـ ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَۖ﴾

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «ومعنى الآية: لا يعاقبكم الله بالساقط من أيمانكم، ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم، أي: اقترفته بالقصد إليه، **وهي اليمين المعقودة**، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَۖ﴾»[٣].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾، لم يصرح هنا بالمراد بما كسبته قلوبهم ... ولكنه بين في سورة "المائدة"، أن المراد بما كسبت القلوب، **هو عقد اليمين بالنية والقصد**»[٤].

وقال العلامة العثيمين رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾، **يفسره قوله تعالى**: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَٰنَۖ﴾[٥].

وذكر آية المائدة عند هذا المقطع غير واحد من المفسرين[٦].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٠١)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٠١).

(٢) سورة المائدة: ٨٩.

(٣) فتح القدير (١/ ٣٠٨).

(٤) أضواء البيان (١/ ١٧٥).

(٥) تفسير القرآن للعثيمين (٣/٩٣).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/١٠٢)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٥٦).

الوجه الثاني: تفسير المؤاخذة في قوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بالكفارة المذكورة في آية المائدة:

قال الإمام الرازي رحمه الله: «... وأيضاً ذكر المؤاخذة هاهنا، و لم يبين أن تلك المؤاخذة ما هي، وبينها في آية المائدة بقوله: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ﴾ **فبين أن المؤاخذة هي الكفارة** »[1].

وقال العلامة ابن عاشور رحمه الله: « والمؤاخذة أجملت في هاته الآية، وبينت في آية المائدة بالكفارة »[2].

وقال الشيخ ثناء الله الهندي رحمه الله: والمؤاخذة مذكورة في قوله تعالى... وذكر الآية[3].

وهذا ما أشار إليه الشنقيطي بقوله: « و لم يذكر هنا ما يترتب على ذلك إذا حنث ... وبين (أي في آية المائدة) أن اللازم في ذلك إذا حنث كفارة، هي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوهم، أو تحرير رقبة ومن عجز عن واحد من الثلاثة فصوم ثلاثة أيام »[4].

فتبيّن من هذين الوجهين أنّ آية المائدة تفسر المراد بما كسبته القلوب، بعقد اليمين بالنية والقصد، كما تبيّن المؤاخذة عليها بالكفارة.

وعلى هذا[5] فلا يدخل في مدلول قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ اليمين الغموس إذ لا تجب فيه الكفارة على قول جمهور العلماء[6].

---

(١) التفسير الكبير (١/ ٩٠٨)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٩٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢/٣٦٤).

(٣) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ٥٦).

(٤) أضواء البيان (١/ ١٧٥).

(٥) أي على القول بتفسير الآية بآية المائدة من الوجهين المذكورين.

(٦) انظر: المبسوط (٣/١٦٨) للإمام: محمد بن الحسن الشيباني، ت: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم، كراتشي المغني (١١/١٧٣) لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار عالم الكتب، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ، تحقيق: عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢١/٢٤٩)، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري – وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧هـ – ت/ مجموعة من الباحثين.

وهذا قول جماعة من العلماء، فممن صرّح بعدم دلالة الآية على اليمين الغموس ابن العربي؛ حيث يقول: «...إن الآية وردت بقسمين: لغو، ومنعقدة خرجت على الغالب في أيمان الناس؛ فأما اليمين الغموس فلا يرضى بها ذو دين أو مروءة ... فإن قيل: اليمين الغموس منعقدة، والدليل عليه أنها مكتسبة بالقلب، معقودة بخبر، مقرونة باسم الله تعالى، قلنا: عقد القلب إنما يكون عقدا إذا تصور حله، واليمين الغموس مكر وخديعة »[(١)].

الأقوال الأخرى في تفسير الآية:

وقد ورد عن أهل التفسير في المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ونوع المؤاخذة فيها أقوال أخرى أهمها:

١- أنّ المراد بقوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ **حلف الحالف على كذب وباطل،** والمؤاخذة فيها في الآخرة، والكفارة إنما هي فيما يكون لغواً إذا كفّر[(٢)] وروي ذلك عن ابن عباس[(٣)]، وإبراهيم النخعي[(٤)]، وغيرهم[(٥)].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٥٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٢٦٧)، فتح القدير (٢/ ٣٥١)، أضواء البيان (١/ ٤٢٢).
وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ اليمين الغموس، وقالوا بوجوب الكفارة في اليمين الغموس تفسيراً للمؤاخذة في هذه الآية بالمؤاخذة بالكفارة في آية المائدة؛ لأنّ آية المائدة نصٌّ عامٌّ يعمُّ الحلف في الماضي والمستقبل، فتكون الآية موجبة الكفارة في اليمين الغموس، لكونها من الأيمان المنعقدة.
انظر: جامع البيان (٤/٤٥٣)، المحرر الوجيز (١/٢٩٠)، وقد روى الطبري هذا القول عن قتادة والربيع وعطاء والحكم.
وذهب الشافعي إلى هذا القول إلاّ أنه حمل قوله في آية المائدة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ على قوله في هذه الآية ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾؛ **فما عقدتم الأيمان هو ما كسبته القلوب؛ لأن ما﴿كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ مبين، فيحمل عليه مجمل ما ﴿عَقَّدتُّمُ﴾**؛ لأنّ عقد اليمين محتمل لأن يكون المراد منه عقد القلب به، ولأن يكون المراد به ربط الشيء بالشيء، فلما ذكر هاهنا قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ علمنا أن المراد من ذلك العقد هو عقد القلب.
انظر: التفسير الكبير (١/٩٠٨)، اللباب في علوم الكتاب (٤/٩٥) التحرير والتنوير (٢/٣٦٣)، روح المعاني (٢/١٢٧-١٢٨).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٩٠)
(٣) فيما أخرجه الطبري (٤/ ٤٥٠) من طريق علي بن أبي طلحة.
(٤) أخرج ذلك الطبري (٤/ ٤٥٠) عنه بأسانيده من طريق منصور، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/١٣١).
(٥) انظر: جامع البيان (٤/ ٤٥١).

ودلالة الآيتين عند هؤلاء واحدة، قالوا وآية سورة المائدة فيها تقديم وتأخير، والتقدير: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم – ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان، واحفظوا أيمانكم[(١)].

وهذا القول ظاهر البعد؛ فإن الله تعالى رفع المؤاخذة عن اللغو مطلقاً فلا إثم فيه ولا كفارة؛ فكيف يفسر اللغو بما فيه الكفارة وثبوت الكفارة يقتضي وجود المؤاخذة؟، وتخصيص المؤاخذة بأنها في الآخرة فقط تحكم، والقول بالتقديم والتأخير خلاف الأصل[(٢)].

٢- أنّ المراد ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الحلف على الباطل وهي الغموس، والمؤاخذة عليها في الآخرة، ولا كفارة فيها.

والآيتان – عند هؤلاء – مختلفتان في مدلولهما، فآية البقرة في اليمين الغموس ولا كفارة فيها، وآية المائدة في اليمين المعقودة التي يستأنف فيها الحِنث أو البرَّ، وفيها الكفارة[(٣)]. وروي هذا عن السدي[(٤)]، ورجحه الجصاص[(٥)]، وذكر مثله ابن عاشور حكاية عن أبي حنيفة، ومال إليه[(٦)].

٣- أنّ المراد ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: ما قصدته وعزمت عليه على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده، قالوا: ويدخل في ذلك اليمين الفاجرة الذي يحلفه صاحبه قاصداً للكذب، والحالف بذلك – إن كان من أهل الإيمان بالله وبرسوله – في مشيئة الله يوم القيامة، إن شاء واخذه به في الآخرة، وإن شاء عفا عنه بتفضله، ولا كفارة عليه فيها في العاجل، لأنها ليست من الأيمان التي يحنث فيها، **كما يدخل فيه** ما كان على وجه العزم على إيجاب عقد اليمين، فيؤاخذ به صاحبه – إذا حنِث فيه بعد حلفه- في العاجل بالكفارة التي ذكرها الله في آية المائدة[(٧)].

---

(١)جامع البيان (٤/ ٤٥١).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (١ / ٢٩٠)، نيل الأوطار (٩/ ١٠٨).
(٣) انظر: جامع البيان (٤/٤٥٣)، روح البيان (١/ ٢٨٧).
(٤) كما أخرج ذلك الطبري (٤/٤٥٣) عنه من طريق أسباط.
(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/١١٢-١١٣).
(٦) انظر: التحرير والتنوير (٢ / ٣٦٤)
(٧) جامع البيان (٤/٤٥٤-٤٥٥)،

وهذا الذي رجحه الطبري[(١)]، ومال إليه الزمخشري، وابن عطية، وابن جزي، وأبو حيان، والنسفي[(٢)].

فآية البقرة – على هذا – عامة تشمل بلفظها آية المائدة، وتكون آية المائدة على هذا مفسرة للمؤاخذة المذكورة في آية البقرة على المعنى الثاني فقط.

الراجح:

والذي يظهر رجحانه – والعلم عند الله – هو ما ذهب إليه الطبري وغيره، من أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ عامّ في كلّ يمين قصده القلب وعمده، فيدخل في ذلك اليمين الغموس واليمين المعقودة (التي أشارت إليها آية المائدة)، وتكون المؤاخذة في هذه الآية مفسّرة بعقوبة الآخرة في اليمين الغموس، وبعقوبة الدنيا في إلزام الكفارة في اليمين المعقودة؛ وذلك لعموم لفظ ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ نوعي اليمين.

وقول السدي الذي رجحه الجصاص قريب منه، بل مؤداهما واحد.

النتيجة:

وعلى هذا يصح تفسير المؤاخذة في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بالكفارة التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾، مع كون الآية المفسَّرة أشمل من الآية المفسِّرة في اللفظ؛ إذ يدخل في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ كلّ يمين قصده القلب وعمده، ومن ذلك اليمين الغموس، واليمين المعقودة كما تقدم والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: جامع البيان (٤/٤٥٤-٤٥٥).

(٢) انظر: الكشاف (١/١٩٨)، المحرر الوجيز (١/٢٥٣)، التسهيل لعلوم التتريل (١/١١٤)، البحر المحيط (٢/٣٩٠) مدارك التتريل وحقائق التأويل (١/ ١١٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ البقرة: ٢٢٨

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمطلقات المدخول بهن من ذوات الأقراء، بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء؛ ثم تتزوج إن شاءت بعد ذلك إن لم يراجعها زوجها، وحرم الله على المطلقة أن تكتم الحيض أو الحمل؛ استعجالاً لإتمام العدة، أو استبقاءً لتماديها، والزوجُ أحقُّ بإرجاع زوجته المطلقة ما دامت في عدَّتها إن كان الطلاق رجعيّاً وعلى شرط أن لا يريد بإرجاعها المضارة بها بل لا بد وان يريد برجعتها الإصلاح وطيب العشرة بينهم، كما أخبر تعالى أن للزوجة من الحقوق على زوجها مثل ما للزوج عليها من حقوق، إلا أنّ الرجل يزيد عليها المرأة درجات فضلا من الله[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وفي تفسير هذه الآية بآيات الذكر الحكيم ثلاث مطالب:

المطلب الأول: حمل عموم المطلقات على آيات أخرى:

فقد حمل جمهور المفسرين عموم المطلقات في هذه الآية بثلاث آيات من القرآن، وهي: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾[3].

وذلك في وجهين:

(١) انظر: جامع البيان (٤/٥٢٣-٥٢٧)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٠٦)، البحر المديد (١/١٨٦).

(٢) سورة الأحزاب: ٤٩.

(٣) سورة الطلاق: ٤.

الوجه الأول: تخصيص عموم المطلقات بهذه الآيات:

قال الإمام مكي بن أبي طالب رحمه الله: « والأحسن الأولى أن تكون آيتا الأحزاب والطلاق مخصصتين لآية البقرة مبينتين لها، فلا يكون في الآية نسخ وتكون آية البقرة مخصوصة في المدخول بهن من المطلقات ذوات الحيض من وقت الطلاق بين ذلك آية الأحزاب وآية الطلاق »[١].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: « ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ لفظ عموم، والمراد به الخصوص في المدخول بهن، وخرجت المطلقة قبل البناء بآية " الأحزاب " ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ على ما يأتي، وكذلك الحامل بقوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾... وجعل الله عدة الصغيرة التي لم تحض والكبيرة التي قد يئست الشهور على ما يأتي »[٢].

ونصّ على تخصيص هذه الآية بالآيات المذكورة أو بعضها جمع غفير من المفسّرين[٣].

ووجه البيان فيه واضح، ولا يحتاج إلى تقرير؛ لتقدم شبيهها مراراً.

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (صـ ١٤٨) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١١٢).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٥٥-٣٥٦)، المحرر الوجيز (١/ ٢٥٧)، التفسير الكبير (٣/ ٣١٨)، بحر العلوم (١٨٩/١)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١٧)، البحر المحيط (٢/ ٣٨٦)، تفسير الجلالين (صـ٢٣٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٨٤/١)، فتح القدير (٣٥٧/١)، محاسن التأويل (١٧٤/٢) أضواء البيان (١/ ١٧٥-١٧٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٤٠٤/١).

الوجه الثاني: البيان بالنسخ:

فقد روي عن بعض السلف القولُ بنسخ الآية بالآيات المخصِّصَةِ لعمومها، أو ببعضها، وروي ذلك عن ابن عباس[1]، وقتادة[2].

وقد ضعّف بعض المفسّرين هذا القول؛ لأنّ الآية نزلت فيمن تحيض خاصة، وهو عرف النساء وعليه معظمهن، وإطلاق العام ويراد به الخاص لا يحتاج إلى دليل لكثرته[3].

ويمكن القول بأنّهم أطلقوا النسخ وأرادوا به التخصيص، وذلك — كما تقدّم - كثير في كلامهم[4].

فالآية محكمة وعامة في المطلقات، والآيات الواردة في عِدَد الحوامل، والآيسة من الحيض، والصغيرة التي لم تحض، والمطلقة التي لم تُبنَ بها خصّت ذلك من العموم، وليس بنسخ[5].

---

(١) فقد روي عنه القول بنسخ قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾، رواه أبو داود في السنن (٢/٢٥٢) والنسائي في السنن(١٨٧/٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٤٢٤)، وحسّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٢/٧)، وحكى القول بالنسخ عن ابن عباس جمع من المفسرين، انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٢١١)، نواسخ القرآن (٨٦/١)، الدر المنثور (٢/ ٥٢).

(٢) كما في الناسخ والمنسوخ له (١/ ٣٤-٣٥)، من نسخ الآيات الثلاث بهذه الآية، وقد حكاه الجصاص في أحكام القرآن (٧١/٢)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ٨٦) عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة، وحكاه عنه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٥٢/٢) معزوا إياه إلى عبد بن حميد.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٥٧)، الجامع لأحكام القرآن (١١٢/٣)، البحر المحيط (٢/ ٣٨٦).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧١-٧٢).

(٥) انظر: زاد المسير (١/ ٢٢٦-٢٢٧)، المصفى من علم الناسخ والمنسوخ (٢٠/١).

أما إخراج خمسة أقسام من عموم المطلقات وبقاء قسم واحد، والعام إنما يحسن تخصيصه إذا كان الباقي بعد التخصيص أكثر من حيث أنه جرت العادة بإطلاق لفظ الكل على الغالب، فلا يقدح في ذلك؛ لما ذكر المفسرون من الأجوبة، انظر: التفسير الكبير (٣/ ٣١٨)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٥٤)، اللباب في علوم الكتاب (٣/ ٩٤)، وأحسنها ما قال الآلوسي من أنه مما لا شاهد له؛ فإنّ المذكور في «كتب الأصول» أن العام يجوز تخصيصه إلى أن يبقى تحته ما يستحق به معنى الجمع لئلا يلزم إبطال الصيغة. روح المعاني (٢/ ٢٣٥)

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾

فإنّ ظاهره أنّ الرجل أحق برجعة امرأته المطلقة في مدة العدة، ولو طلقها أكثر من ثلاث طلقات؛ لذا حمله المفسّرون على قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[1]، أو قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾[2].

وذلك على أحد وجهين:

الأول: بيان المجمل:

فقد ذهب جمع من أهل التفسير إلى أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ بيانٌ لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، أي بيان لعدد الطلاق الذي للزوج أن يرتجع منه دون تجديد مهر وولي، وحُكِيَ هذا عن عروة، وقتادة، وابن زيد[3]، وذكر مثله ومال إليه جمع من المفسّرين[4].

قال ابن الجوزي: «... ولهذا قال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ ثم بين الطلاق الذي يجوز منه الرجعة فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعني الثلاثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ »[5].

ويبيّن الرازي **وجه البيان في ذلك** « بأنه تعالى بيّنَ في الآية الأولى أن حقَّ المراجعة ثابتٌ للزوج، و لم يذكر أنّ ذلك الحقّ ثابتٌ دائماً أو إلى غاية معينة فكان ذلك **كالمجمل المفتقر إلى المبين أو كالعام المفتقر إلى المخصص** فبيّن في هذه الآية أن ذلك الطلاق الذي ثبت فيه للزوج حقُّ الرجعة هو أن يوجد طلقتان فقط وأما بعد الطلقتين فلا يثبت البتة حق الرجعة... فالألف واللام في قوله ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ للمعهود السابق يعني ذلك الطلاق الذي حكمنا فيه بثبوت الرجعة هو أن يوجد مرتين »[6].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٩

(٢) سورة البقرة: ٢٣٠

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/٢٩٥)، النكت والعيون (١/٢٩٣) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٢٦)، البحر المحيط (٢/٢٠٤).

(٤) انظر: الكشاف (١/٣٠١)، البحر المحيط (٢/٢٠٤-٢٠٥)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٢٢٧)، بحر العلوم (١/ ١٧٦)، روح المعاني (٢/ ١٣٥)، اللباب في علوم الكتاب (٤/١٣١)، التحرير والتنوير (٢/ ٤٠٦).

(٥) نواسخ القرآن (١/ ٨٧).

(٦) التفسير الكبير (٦/ ٨٣)، وانظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٥٩).

الثاني: البيان بالنسخ:

فقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنّ قوله تعالى في رجعة المطلقات ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

فقد رُوِي عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ إلى قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ الآية وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثاً، فَنُسخ ذلك فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾.

وأخرج الطبري مثله عن عكرمة والحسن البصري[2].

ونصّ على نسخ الآية بما ذكره ابن عباس غير واحد من العلماء[3].

قال ابن كثير — في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾: « هذه الآية الكريمة رافعة لِمَا كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته، وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله عز وجل إلى ثلاث طلقات، وأباح الرجعة في المرة والثنتين، وأبانها بالكلية في الثالثة، فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ »[4].

وذهب آخرون إلى نسخها بقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾، كما ذكره قتادة[5]، ومقاتل[6]، وابن الجوزي[7].

وحكى آخرون القولين[8].

---

(١) أخرجه عنه أبو داود في السنن (٢/٢٢٥)، والنسائي في سننه (٦/٢١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٣٣٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٦/ ٣٩٨).

(٢) جامع البيان (٤/٥٢٧-٥٢٨)، وذلك بسنده عنهما من طريق عن يزيد النحوي.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم (١/ ٢٩).

(٤)تفسير القرآن العظيم (١/٦١٠).

(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ لقتادة (١/ ٣٥).

(٦) تفسير مقاتل (١/ ١٢١).

(٧) في زاد المسير (١/ ٢٢٧)، ونواسخ القرآن (١/٨٧).

(٨) كالثعلبي في الكشف والبيان (٢/ ١٦٩)حكاه عن مقاتل بن حيان والكلبي، وابن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (صـ٥٣-٥٤).

ووجه النسخ: أنّ الله تعالى جعل الحقّ للرجل في رجعة زوجته المطلقة في مدة العدة، بقوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في زمن التربُّص، وكان سواء في ذلك الطلاق ثلاثاً، أو دون ذلك، ودلّت الآية الأخرى بأنّ الطلاق الذي يملك الرجل حقّ الرجعة فيه هو الأول والثاني أما بعد الثالثة فلا رجعة إليه إلاّ بعد نكاحها من زوج آخر، وذلك نسخ لرجعة المطلقة ثلاثاً.

الترجيح:

ولعل القول الأول هو الراجح؛ لإمكان الجمع بين الآيتين دون العدول إلى النسخ؛ لأنه خلاف الأصل، مع إمكان حمل ما روي عن السلف في القول بالنسخ على النسخ بمعناه العام كما سبق ذلك.

وعليه يصح تفسير قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ بقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾؛ إذ تبيّن أنّ حقَّ المراجعة الذي أثبته الأولى مقيد بما كان في المرتين. والله أعلم.

المطلب الثالث: تعيين الدرجة التي فضّل الله بها الرجال على النساء في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنّ للنساء من الحقوق مثل ما عليهن للرجال، إلا أن للرجال عليهن رتبة ومنزلة، ولم يبين هنا ما هذه الرتبة، ففسّرها بعض المفسّرين بما جاء في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[(1)].

قال الإمام الجصاص رحمه الله: « مما فضل به الرجل على المرأة ما ذكره الله من قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ فأخبر بأنه مفضّل عليها بأن جُعِل قيما عليها، وقال تعالى: ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، فهذا أيضا مما يستحق به التفضيل عليها »[(2)].

وقال الإمام ابن العربي رحمه الله – بعد ما ذكر أوجهاً من حقوق الرجل على زوجه في النكاح – في تفسير الآية- « وهذا مبين في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ إن شاء الله تعالى »[(3)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي: في الفضيلة في الخُلُق، والمنزلة، وطاعة الأمر، والإنفاق، والقيام بالمصالح، والفضل في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ... وذكر الآية »[(4)].

وذكر تفسير الدرجة بالآية المذكورة القاسمي، والهندي، والسعدي، والشنقيطي، والجزائري، وسيد طنطاوي وغيرهم[(5)].

---

(١) النساء: ٣٤.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٠).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/٣٦١-٣٦٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦١٠).

(٥) انظر: محاسن التأويل (٢/١٧٧)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص٥٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٠١)، أضواء البيان (١/١٨٦)، أيسر التفاسير للجزائري (١/١١١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٠٨)، تفسير آيات الأحكام (١/١٤١).

ووجه البيان: واضح؛ فإنّ ما أخبر الله تعالى به في آية النساء من قيومية الرجال على النساء بالإنفاق عليهم؛ لفضلهم عليهم، درجة يمكن حمل آية البقرة عليها وتفسيرها بها.

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسّرين في بيان المنزلة التي جعلها الله للرجال على النساء – غير ما ورد في آية النساء – أقوال كثيرة من أهمها[1].

١- أن ذلك تنبيه على فضل حظه على حظها في الجهاد والميراث وما أشبهه، قاله مجاهد[2].

٢- أن ذلك بالإمارة والطاعة، عليها أن تطيعه وليس عليه أن يطيعها، وهذا مروي عن زيد بن أسلم [3] وابنه[4].

٣- أن ذلك بالصداق، وجواز ملاعنتها إن قذفها، وحدّها إن قذفت، قاله الشعبي[5].

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٧٠)، الكشف والبيان (١/ ٢٧١)، النكت والعيون (١/ ١٦٦)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣٦١)، المحرر الوجيز (١/ ٢٥٩)، معالم التنزيل (١/ ٢٦٩)، زاد المسير (١/ ٢٢٦)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٢٥)، البحر المحيط (٢/ ٣٩٤)، فتح القدير (١/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (٤/ ٥٣٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٤٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦) بسندهم عنه من طريق ابن أبي نجيح، وأورده النحاس في معاني القرآن (١/ ١٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٦٦٢) إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٤٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ١٩٦) بسندهم عنه من طريق سفيان، وأورده النحاس في معاني القرآن (١/ ١٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥٦) إلى وكيع وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

وزيد بن أسلم: هو أبو أسامة، زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه مولى عمر، كان ثقة من علماء التابعين بالتفسير، وكان له حلقة في المسجد النبوي، توفي سنة (١٣٦هـ). انظر: الكاشف (١/ ٤١٤)، طبقات الحفاظ (صـ٦٠) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل- دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان- ١٤٠٣هـ ط/ الأولى.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٤) عنه من طريق ابن وهب.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٤) عن عبيدة عنه.

والشعبي هو: أبو عمرو. عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي، كان حافظاً عالماً فقيهاً، توفي سنة (١٠٥هـ) انظر: حلية الأولياء (٤/ ٣١٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (صـ٤٠).

٤- أن ذلك بملك العصمة وأنّ الطّلاق والرجعة بيده، قاله أبو مالك[١].

٥- أنّ ذلك إفضال الرجل عليها، وأداء حقها إليها، وصفحه عن الواجب لهُ عليها أو عن بعضه، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[٢]، وهو الذي رجحه الطبري[٣]، وقال عنه ابن عطية: « قول حسن بارع »[٤].

وعلى هذا فظاهرُه ظاهر الخبر ومعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل، ليكون لهم عليهن فضل درَجة.

٦- أنه جعل له أن يتزوج عليها ثلاثا سواها و لم يجعل لها أن تتزوج غيره ما دامت في حباله أو في عدة منه، وأن عليها أن تنتقل إلى حيث يريد الزوج وليس على الزوج اتباعها في التنقل والسكنى، وليس لها أن تصوم تطوعا إلا بإذن زوجها[٥].

وقد ذكر غير هذه الفضائل والدرجات[٦]، وهي في عمومها إما زيادة في فضل الرجل على المرأة، أو زيادة في حقوق الزوج على حقوق زوجته[٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢/١٤٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٤/١٩٦) بسنده عن السدي عن أبي مالك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٥٦) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

وأبو مالك هو: غزوان الغفاري الكوفي تابعي مشهور بكنيته، روى عن ابن عباس، وعمار بن ياسر، . انظر : الكنى والأسماء ، للإمام مسلم بن الحجاج (٢/ ٧٥٢) دراسة وتحقيق : عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، ط/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م. تهذيب الكمال (٢٣/١٠٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٤) من طريق عكرمة عنه.

(٣) انظر: جامع البيان (٤/٥٣٥- ٥٣٦).

(٤) المحرر الوجيز (١/٢٩٤)

(٥) ذكرها الجصاص في أحكام القرآن (٢/٧٠).

(٦) وأغربها ما أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٥٣٥) عن عبيد بن الصباح عن حميد، أنه اللحية، لذا قال ابن عطية: « وهذا إن صحّ عنه ضعيف لا يقتضيه لفظ الآية ولا معناها »، وقال ابن العربي – بعد ما حكاه-: « فطوبى لعبد أمسك عما لا يعلم، وخصوصا في كتاب الله العظيم ».!

(٧) التفسير الكبير (٣/٣٢٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢٨٤)، روح المعاني (٢/٢٤١).

الترجيح:

والراجح – والله أعلم – أنّ قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ شاملة لكلّ ما فضّل الله به الرجال على النساء، ولا تعارض بينها؛ فهي من اختلاف التنوع لا التضادّ، إلاّ أنّ أولاها ما صرّحت بها آيات القرآن الكريم كما في آية سورة النساء المذكورة، مع أن أكثر تلك الأقوال داخلة في الآية.

وقد ورد القول بالعموم في الأثر المشار إليه سابقاً عن مجاهد، حيث قال فيه: وكلّ ما فضل به عليها[1].

وقال ابن عطية: وإذا تأملت هذه الوجوه التي ذكر المفسرون فيجيء من مجموعها درجة تقتضي التفضيل[2].

النتيجة:

صحّة تفسير الدرجة والرُّتبة التي جعلها الله للرجال على النساء وأهمها في قوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بما صرّح به في قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، فيدخل في الدرجة التي للرجال على النساء قيومية الرجل على زوجه وإنفاقه عليها.

ولا يعارض ذلك كون الآية عامة في جميع ما امتاز به الرجل عن النساء، من زيادة في الحقوق أو زيادة في الفضل كما تقدّم تقرير ذلك آنفاً، والعلم عند الله.

---

(١) تقدم تخريج الأثر في (صـ: ٤٧٥).

(٢) المحرر الوجيز (١/٢٩٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢٩

في هذه الآية الكريمة يبيّن الله تعالى عدد الطلاق الذي يملك فيه الرجل حقّ مراجعة زوجته وهي في العدة وأنه مرتان، وفي الثالثة إما أن يمسكها ويعاشرها بالمعروف، وإما أن يفارقها بإحسان، ثم حرَّم الله تعالى على الأزواج أن يأخذوا من نسائهم - إذا أرادوا طلاقهن- شيئاً مما أعطوهن من الصَّداق والمهر، إلا عند خشية عدم إقامة حقوق الزوجية بنشوز الزوجة وبغضها لزوجها، فلا حرج على الزوجين فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وفي تفسير هذه الآية بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا ﴾

فقد فسّره بعض المفسرين بما جاء متصلاً به من قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾.

قال الإمام النحاس رحمه الله: « ... ويكون قوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ **يبين قوله:** ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا ﴾ »[2].

ووجه البيان فيه: أنّ قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ — كما هو واضح — استثناءٌ من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا ﴾؛ فاستثنى هذه الحالة من تحريم أخذ شي من المرأة عند الطلاق، والاستثناء — كما سبق — **من أوجه البيان المتصل.**

وقد رُوِيَ القولُ بالاستثناء عن ابن عباس في قوله: « ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا ﴾ قال: **ثم استثنى،** فقال: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ »[3].

---

(١) انظر: جامع البيان (٥٤٩/٤، ٥٥٢)، المنتخب (صـ٥٣)، التفسير الميسر (صـ ٢٤٢).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٢٠٥/١).

(٣) أخرجه عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (١/ ١٧٠).

وقد أورد أبو عبيد القاسم بن سلام[١] هذا الأثر عن ابن عباس في الناسخ والمنسوخ، فقال: « أما الطلاق فإنا لا نعلم فيه ناسخاً ولا منسوخاً إلا في موضعين: فدية الخلع، وعدة الوفاة، فأما الفدية ... وذكر الأثر »[٢].

وحُكي هذا عن السدي[٣]، وذكره ابن حزم[٤]، وابن سلامة[٥].

وهذا الذي ذكروه ليس من النسخ في شيء؛ لذا وصفه ابن الجوزي بأنه « من أرذل الأقوال، ولا يدلّ كلام من رووا عنهم على النسخ؛ فإنّ الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ وليس بنسخ »[٦]، وهو من البيان المتصل كما سبق.

المطلب الثاني: نسخ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ جواز افتداء المرأة نفسها عند النشوز بمال لزوجها منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٧].

فقد روى جماعة من المفسرين عن عقبة بن أبي الصهباء[٨]، قال: سألت بكر بن عبد الله[٩] عن رجل تريد امرأته منه الخلع، قال: لا يحل له أن يأخذ منها شيئاً، قلت: يقول الله

---

(١) هو: الإمام الحافظ المجتهد القاسم بن سلام الأنصاري، ذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، وكانت وفاته بمكة سنة (٢٢٤هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٤/٦٠)، معرفة القراء الكبار (١/١٧٠).

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن (١/ ١٧٠)، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد المديفر، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة الرشد – الرياض.

(٣) كما حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٢٠).

(٤) في الناسخ والمنسوخ له (١/٢٩).

(٥) في الناسخ والمنسوخ له (١/٥٤).

(٦) انظر: نواسخ القرآن (١/٢٢٠).

(٧) سورة النساء: ٢٠.

(٨) هو: عقبة بن أبي الصهباء، أبو خريم البصري، يروى عن سالم بن عبد الله بن عمر، وبكر بن عبد الله المزني والحسن البصري، ثقة، توفي سنة (١٦٧هـ)، انظر: التاريخ الكبير (٦/٤٤٢)، تاريخ بغداد (١٢/٢٦٤).

(٩) هو: أبو عبد الله بكر بن عبد الله المزني البصرى تابعي، ثقة ثبت جليل روى عن ابن عمر وأنس، توفي سنة (١٠٦هـ) انظر: الجرح والتعديل (٢/٣٨٨)، تقريب التهذيب (صـ ١٢٧).

تعالى ذكره في كتابه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ﴾؟ قال: هذه نسخت، قلت: فـإني حفظت؟ قال: حفظت في "سورة النساء" قول الله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[(١)].

ووجه النسخ: أنّ الله تعالى أحلّ في الآية الأولى للرجل أخذَ ما تفتدي به الزوجة نفسها، وحرّم عليهم في آية النساء أخذ شيء مما آتوا أزواجهن عند طلاقهنّ، فهي – على هذا – ناسخ للآية الأولى.

وقد ردّ جمع من المحققين هذا القول لأمرين:

أحدهما: مخالفته لإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم؛ حيث أجمعوا على جواز أخذ الفدية من المفتدية نفسها لزوجها.

والثاني: أنه ليس في الآيتين ما يوجب القول بالنسخ؛ إذ لا منافاة بينهما، فالآية التي في "سورة النساء" إنما حرم الله فيها على زوج المرأة أن يأخذ منها شيئا مما آتاها، إذا أراد الرجل استبدال زوج بزوج من غير أن يكون هنالك خوف من المسلمين عليهما أن لا يقيما حدود الله، ولا نشوز من المرأة على الرجل.

وأما الآية التي في "سورة البقرة" فإنها إنما دلت على إباحة الله تعالى ذكره له أخذ الفدية منها في حال الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله بنشوز المرأة، وطلبها فراق الرجل، ورغبته فيها.

فالآيتان مختلفتان في الحكم، ولم تردا في حالة واحدة، فهما من الناسخ والمنسوخ بمعزل[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤/ ٥٧٩-٥٨٠)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ٢١٨-٢١٩) مسنداً، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٢/٩٠)، والماوردي في النكت والعيون (١/ ٢٩٥)، وابن كثير في تفسيره (١/٦١٤) وحكاه عن ابن عبد البر وابن جرير.

(٢) جامع البيان (٤/٥٨١- ٥٨٢) (بتصرف واختصار)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ٩٠-٩١)، نواسخ القرآن (١/ ٢١٩)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٦١٤)، فتح القدير (١/٣٦٢)، التحرير والتنوير (٢/ ٤١٣).

وقد أورد غير واحد من المفسرين - عند تفسير الآية [1] — جمعاً للآية المتشابهة في الموضوع الواحد - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[4].

فإيراد هذه الآيات إنما هو من قبيل الجمع بين الآيات المتشابهة في المعنى الواحد، وجمع أطراف الموضوع الواحد.

فكما تقدّم فإنّ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ واردة في حالة أخرى غير التي وردت فيها آية البقرة هذه، وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ فهو مثلها وفي معناها، وأما قوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾، وقوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ فقد صرح فيهما أنه إذا وهبت المرأة شيئاً من مالها عن طيب نفس منها، أو عفت عن شيء من الصداق، فجائز للرجل أخذه.

فالآيات — كما هو واضح — واردة في موضوع واحد، هو أكل مال الزوجة تحريماً وتحليلاً؛ ولا تفسّر بعضها بعضاً، وهذا واضح من كلام المفسّرين الذين أوردوها في تفسير هذه الآية، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣٧٢/١)، تفسير القرآن العظيم (٦١٣/١) أضواء البيان (١٤١/١).

(٢) سورة النساء: ١٩.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٧

(٤) سورة النساء: ٤.

النتيجة:

* صحة تفسير قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ بقوله تعالى - متصلاً به -: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾؛ لأنه استثناء وإخراج لبعض ما شمله اللفظ قبله، وهو من البيان المتصل الذي لا يحتاج إلى تقرير؛ ولذا لم يذكره كثير من المفسّرين، وليس بنسخ كما سبق.

* لا يصحُّ حمل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ في جواز أخذ الزوج ما افتدت به زوجته نفسها عند الخلع على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ونسخها به؛ لما تقدّم، والله أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة: ٢٣٤

هذا أمر من الله تعالى للنساء اللاتي يُتوّفى عنهن أزواجهن أن يعتددن أربعة أشهر وعشر ليال فلا يخرجن من مترل الزوجية، ولا يتزيَّنَّ، ولا يمسّنّ طيباً، ولا يتعرضن للخُطّاب بحال حتى تنقضي عدهّن، فإذا انتهت المدة المذكورة فلا إثم عليكم يا أولياء النساء فيما يفعلن في أنفسهن من الخروج، والتزين، والزواج على الوجه المقرر شرعًا، والله سبحانه وتعالى خبير بأعمالكم ظاهرها وباطنها، وسيجازيكم عليها[١].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

حمل جماهير المفسرين من السلف والخلف هذه الآية على قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٢]، وذلك على أحد وجهين:

الوجه الأول: تخصيص عموم الآية الأولى بالآية الثانية:

قال ابن الجوزي رحمه الله: « والصحيح أنها[٣] عامة دخلها التخصيص؛ لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا سواء كانت حاملاً أو غير حامل، غير أن قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خصَّ أولات الحمل »[٤].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٣٥)، أيسر التفاسير للجزائري (١/ ٢٢٣) التفسير الميسر (صـ ٢٤٧).

(٢) سورة الطلاق: ٤.

(٣) أي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾..

(٤) زاد المسير (١/ ٢٧٥).

وقال ابن جـــزي رحمه الله: «﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآيةُ عمومٌ في كلّ متوفى عنها سواء توفي زوجها قبل الدخول أو بعده، إلا الحامل فعدتها وضع حملها سواء وضعته قبل الأربعة الأشهر والعشر أو بعدها»[(١)].

وقال الشوكاني رحمه الله: «وظاهر هذه الآية العموم وأن كل من مـــات عنـــها زوجها تكون عدتها هذه العدة، ولكنّه قد خَصَّصَ هذا العمومَ قولُه تعـــالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ وإلى هذا ذهب الجمهور»[(٢)].

ونصّ على تخصيص الآية الأولى بالثانية جمع غفير من أهل التفسير[(٣)].

ووجه البيان: واضحٌ؛ فإنّ ظاهر قوله تعـــالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ أنّ كل متوفى عنها تعتد بأربعة أشهر وعشر، ودلّت آية الطلاق على أنها إن كانت حاملاً كانت عدتها وضع حملها، فهو مخصص لعموم الأولى[(٤)].

الوجه الثاني: نسخ الآية الأولى بالآية الثانية:

فقد حكى بعض العلماء أنّ الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية.

فعن الضحاك رحمه الله وفيه: «ثم نسخ من الأربعة أشهر والعشـــر: ﴿وَأُوْلَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إذا وضعن فيما دون ذلك»[(٥)].

---

(١) التسهيل لعلوم التتريل (١/١٥٦-١٥٧)، وانظر منه (٣/١٩٠).

(٢) فتح القدير (١/ ٣٧٦).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (١/٣٠٤)، تفسير القرآن العظيم (١/٦٣٦)، نظم الدرر (٨/٣٢)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٥٢٨-٥٢٩)، محاسن التأويل (٢/١٩٧)، أضواء البيان (١/٢٥٦) تيســـير الكـــريم الـــرحمن (صـــ١٠٤)، صفوة التفاسير (١/٩٤)، نيل المرام شرح آيات الأحكام (١/ ٨٢)، تأليف: صديق حســـن خان القنوجي البخاري، تحقيق : محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

(٤) انظر: أضواء البيان (١/٢٥٦).

(٥) أخرجه عنه سعيد بن منصور في سننه (٣/٩٣٢) من طريق جويبر.

كما حكاه ابن عطية والقرطبي عن المهدوي عن بعض العلماء، انظر: المحرر الوجيز (١/٣٠٤)، الجامع لأحكـــام القرآن (٣/١٧٤).

واستدلّ بعض من قال به بقول ابن مسعود: « ومن شاء باهلته أن آية النساء القصرى نزلت بعد آية عدة الوفاة »[(١)]؛ فظاهره أنها ناسخة لها، قال البغوي – بعد ما حكى قول ابن مسعود -: « فحمله على النسخ »[(٢)]، وقال أبو السعود – في تفسير آية الطلاق -: « وقد نسخ به عموم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾؛ لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله عنه ... وذكر الأثر[(٣)].

وقال ابن أبي زمنين رحمه الله: « قوله: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه نسخت التي في البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ نسخ منها الحامل فجعل أجلها أن تضع حملها »[(٤)].

والأظهر هو القول بالتخصيص، وما نقل عن السلف من ذلك يحمل على التخصيص، وتقدّم أشباهه مراراً، لذا قال القرطبي – عن أثر ابن مسعود-: « وليس ذلك مراده، وإنما يعني أنها مخصصة لها، فإنها أخرجت منها بعض متناولاتها »[(٥)].

القول الآخر في الآية:

وقد ذهب قلّة من أهل العلم إلى الجمع بين الآيتين بما يحقق العمل بهما معا؛ فأوجبوا على الحامل المتوفى عنها زوجها الاعتداد بالأقصى من الأجلين من أجل الأربعة الأشهر والعشر وأجل وضع الحمل، قالوا ولا يجوز تخصيص عموم آية البقرة بما في آية الطلاق[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في عدة الحامل (رقم ٢٣٠٧)، وابن ماجه في كتاب الطلاق، باب الحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حلّت للأزواج (رقم ٢٠٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره () من طريق مسروق، به. وأخرجه ابن جرير ٢٨/١٤٢ من حديث سعيد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/٢٠٣) إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٢) معالم التنزيل (١/٢٨١).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٨/٢٦٢).

(٤) تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٥٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣/١٧٤).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٣٣).

وهذا قول علي بن أبي طالب[١]، وابن عباس[٢].

قال ابن كثير: « وهذا مأخذ جيد ومسلك قوي، لولا ما ثبتت به السنة في حديث سبيعة الأسلمية[٣]، المخرج في الصحيحين من غير وجه »[٤].

كما ذهب بعض العلماء إلى القول بعدم تخصيص عموم الآية بآية الطلاق، قالوا: وإنما خصصت بالسّنة[٥]، - وإن كان مآل الرأيين واحداً- وحكي ذلك عن الشافعي؛ وذلك لوجهين:

الأول: أنّ كلّ واحدة من هاتين الآيتين أعم من الأخرى من وجه وأخص منها من وجه؛ لأن الحامل قد يتوفى عنها زوجها وقد لا يتوفى، كما أنّ التي توفى عنها زوجها قد تكون حاملاً وقد لا تكون، ولما كان الأمر كذلك امتنع جعل إحدى الآيتين مخصصة للأخرى.

والثاني: أنّ قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إنما ورد عقيب ذكر المطلقات فيحتمل أن يقال: هي في المطلقة، لا في المتوفى عنها زوجها[٦].

والقول الأول أرجح؛ فهو قول جمهور العلماء.

فيصحّ بذلك تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ بقوله ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وتخصيص عموم الأولى بعموم الثانية، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈❋❋❋

---

(١) كما أخرج ذلك سعيد بن منصور في سننه، (٣٩٧/١) والطبري في جامع البيان (٤٥٤/٢٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٨/٤) عن الشعبي. وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١٤) معزوا إلى ابن المنذر.

(٢) في قصة خلافه مع أبي سلمة وأبي هريرة فبعثوا إلى أم سلمة، أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، برقم (٤٩٠٩). ومسلم في كتاب الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم: (١٤٨٥).

(٣) وهو الحديث المشار إليه في الحاشية السابقة، وهو عن أم سلمة رضي الله عنها أخبرت به لما بعث أبو هريرة وابن عباس وأبو سلمة إليها في الحكم.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦٣٦/١).

(٥) أي: حديث سبيعة الأسلمية المشار إليه آنفاً..

(٦) انظر: التفسير الكبير (١٠٩/٦)، البحر المحيط (١٦٢/٢)، وقد ذكر المفسرون وجوهاً عديدة للرد على ما ذكر، انظرها في: التحرير والتنوير (٢٣٣/١٥)، أضواء البيان (٢٥٧/١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٦.

أباح الله تبارك وتعالى بهذه الآية طلاق المرأة بعد العقد عليها وقبل الدخول بها، وقبل أن يسمّى لها مهراً، ورفع الحرج والإثم عنهم في ذلك، وإن كان في ذلك انكسار لقلبها؛ ولهذا أمر تعالى بإمتاعها، وهو تعويضها عما فاتها بشيء تعطاه من زوجها بحسب حاله، على الموسع قدره وعلى المقتر قدره[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى في هذه الآية ﴿مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

وذلك فيما أخرجه الطبري[٣] وغيره بسنده عن ابن زيد رحمه الله قال في قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فقال رجل: فإن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل! فأنزل الله: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

ووجه البيان: أن قوله في الآية الأولى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يفهم منه – على هذا القول – أنّ المتعة مندوبة غير واجبة؛ لأن الإحسان تطوع بما لا يلزم[٤]، فجاءت الآية الثانية بيانا للآية الأولى؛ **إذ عوض وصف المحسنين بوصف المتقين**[٥]، أي أن المتعة واجبة يعني على كل من كان متقياً عن الكفر والشرك[٦].

إلاّ أنّ الذي يظهر من كلام المفسّرين هو: عدم التفريق بين العبارتين، فقد استدل الذين ذهبوا إلى عدم وجوب المتعة بالآيتين معاً، ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾،

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٦٤١) (بتصرف يسير).

(٢) البقرة: ٢٤١

(٣) في تفسيره (٥/ ٢٦٤)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٦٦٠)، وعزاه السيوطي في الدر (١/٧٣٩) إلى الطبري.

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٥٩).

(٥) التحرير والتنوير (٢/ ٤٥٢).

(٦) انظر: الوجيز للواحدي (١/١٧٧)، التفسير الكبير (٦/ ١٣٧).

قالوا: ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين؛ فتعليقها بالإحسان، وليس بواجب، وبالتقوى وهو معنى خفي، دلّ على أنها للاستحباب[١].

قال الطبري رحمه الله – عند حكاية قول من ذهب إلى أن المتعة للمطلقة ندب –: «وكأن قائلي هذا القول ذهبوا في تركهم إيجاب المتعة فرضاً للمطلقات، إلى أنّ قول الله تعالى ذكره: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، دلالة على أنها لو كانت واجبة وجوب الحقوق اللازمة الأموالَ بكل حال، لم يخصص المتقون والمحسنون بأنها حق عليهم دون غيرهم، بل كان يكون ذلك معموماً به كلّ أحد من الناس[٢].

وكذلك أجاب الذين قالوا بالوجوب على ذلك بأنّه إنما ذكر المتقين والمحسنين تأكيداً لوجوبها، وليس تخصيصهم بالذكر نفياً على غيرهم[٣]، ولأنه إذا كان واجباً على المحسنين والمتقين فهو على غيرهم أوجب، وأيضاً فإن الناس جميعا مأمورون بأن يكونوا محسنين متقين[٤].

فتبيّن مما تقدّم أنّ أكثر العلماء لا يرون فرقاً بين التعبيرين في الآيتين في الدلالة، حتى تكون الثانية نازلة لبيان ما ورد في الأولى – كما ورد في أثر ابن زيد –؛ لأنهما في الاستدلال بهما على الندب وعدم الوجوب على حدّ سواء.

قال ابن عاشور رحمه الله: « والوجه أن اختلاف الوصفين في الآيتين لا يقتضي اختلاف جنس الحكم باختلاف أحوال المطلقات، وأن جميع المتعة من شأن المحسنين والمتقين، وأن دلالة صيغة الطلب في الآيتين سواء: إن كان استحباباً، أو كان إيجاباً »[٥].

فلا يصحّ – على هذا – تفسير قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، والعلم عند الله.

❖❖❖✵✵

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٣٨/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٤١٨/١)، التحرير والتنوير (٢/ ٤٤٠).

(٢) جامع البيان (٥/ ١٢٩-١٣٠).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (١٣٨/٢)، التحرير والتنوير (٢/ ٤٤٠).

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٢٥٧).

(٥) التحرير والتنوير (٢/ ٤٥٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ البقرة: ٢٣٧

بعد ما أوجب الله تعالى - في الآية السابقة – المتعة للمطلقة قبل المسيس، وقبل الفرض لها، ذكر في هذه الآية حكم المطلقة قبل البناء بها، وقد كانت مفروضاً لها، أنّ لها نصف الصداق المسمّى إلا إذا تنازلت عن حقها، أو تنازل وليّ أمرها.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد دلّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾[1] على وجوب المتعة للمطلقة قبل المسيس فرض لها أم لا.

فحكى بعض العلماء عن سعيد بن المسيب القول بنسخ الآية الأولى بالآية الثانية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله – عند حكاية قول من قال بوجوب المتعة للمطلقة إذا طلقت قبل المسيس، وإن كانت مفروضًا لها مستدلين بآية الأحزاب -: « قال شعبة[2] وغيره، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: **نسخت هذه الآية التي في الأحزاب الآية التي في البقرة** »[3].

وقال الشوكاني رحمه الله: « وقال سعيد بن المسيب: إنها تجب للمطلقة إذا طلقت قبل المسيس وإن كانت مفروضاً لها لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ **قال: هذه الآية التي في الأحزاب نسخت التي في البقرة** »[4].

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٩.

(٢) هو: الإمام الحافظ، شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبو بسطام الواسطي ثم البصري، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذبَّ عن السنة، توفي بالبصرة سنة (١٦٠هـ) عن ٧٨ سنة. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٩/٢٥٦)، طبقات المفسرين للداودي (١/٢٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٦٤٢).

(٤) فتح القدير (١/٣٨٢).

فلو صحّ القول بالنسخ هنا لصحّ القول بوجوب المتعة لكلّ مطلقة طلقت قبل المسيس، سواء فرض لها أو لم يفرض، ولحمل الآية هنا على آية الأحزاب.

إلا أن هذا الذي حكاه ابن كثير والشوكاني عن ابن المسيب مخالف لما رواه عنه أئمة التفسير المسندين في ذلك، فقد رووا عنه القول بنسخ آية الأحزاب بآية البقرة.

فقد أخرج الطبري، والنحاس بسندهما عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب- في الذي يطلق امرأته وقد فرض لها- أنه قال في المتاع: « **قد كان لها المتاع في الآية التي في"الأحزاب" فلما نزلت الآية التي في"البقرة"**، جعل لها النصف من صداقها إذا سمى، ولا متاع لها، وإذا لم يسم فلها المتاع »[1].

وعلى هذا تكون الآية التي نحن بصددها هي الناسخة والمفسِّرة – إذا صحّ القول بالنسخ – لآية الأحزاب، فتكون دراسة ذلك عند آية الأحزاب المفسَّرة.

ولعلّ ما أوهم الحافظ ابن كثير والشوكاني: ما أخرجه الطبري[2] بسنده عن شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: نسخت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ الآية التي في"البقرة".

فإنّ قوله: « نسخت هذه الآية الآية التي في البقرة » يحتمل أن تكون كلا الآيتين فاعلاً أو مفعولاً (ناسخاً أو منسوخاً)، فيزال ذلك الاحتمال بما صرّح به في الروايات المتقدمة، وهو الذي صرّح به غير واحد من المفسّرين[3].

فالنتيجة: عدم صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ على أنّ الأولى ناسخة للثانية؛ لعدم ثبوت ذلك عمن حُكِي عنه بل الثابت خلاف ذلك، والعلم عند الله تعالى.

❖❖❖✽✽✽

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/ ١٢٦)، وهذا من طريق ابن أبي عدي وعبد الأعلى عن سعيد، وأخرجه بلفظ آخر من طريق بشر بن معاذ عن يزيد عن سعيد به، وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/٢٥٥) بلفظ آخر بسنده إلى سعيد به، وعزاه السيوطي في الدر (١/٦٩٨)، إلى ابن جرير وابن المنذر والنحاس.

(٢) في جامع البيان (٥/ ١٢٧).

(٣) قال الثعلبي في الكشف والبيان (٢/١٩٢): وهذه الآية ناسخة الآية التي في سورة الأحزاب، وانظر: المحرر الوجيز (١/٣١١).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ البقرة: ٢٤٠

تبين هذه الآية الكريمة بعض الحقوق التي شرعها الله تعالى للمرأة التي توفي عنها زوجها؛ فجعل الله لها وصية على زوجها المتوفّى - وعلى ورثة الزوج المتوفى أن ينفذوها - بأن تمتع بعده بالنفقة والسكنى سنة كاملة، من غير إخراج من بيت زوجها، فإن خرجت باختيارها قبل انتهاء السنة، فلا إثم على الولي وغيره فيما فعلت من أمور لا ينكرها الشرع كالتزين والتطيب والتزوج بعد انتهاء العدة(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد ذهب جماهير المفسرين من الصّحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أنّ هذه الآية منسوخة بآيتين من القرآن الكريم هما:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٢).

آية الميراث: قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾(٣).

فعن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال: « قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ قد **نسختها الآية الأخرى**، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال: يا ابن أخي! لا أغير شيئاً منه من مكانه »(٤).

---

(١) انظر: أيسر التفاسير (٢٢٩/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٤٤١/١)، التفسير الوسيط للزحيلي (١٣٦/١).

(٢) سورة البقرة: ٢٣٤.

(٣) سورة النساء: ١٢

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية، برقم: (٤٥٣٠).

قال ابن حجر في فتح الباري (١٩٤/٨): « قوله: "فلم تكتبها أو تدعها" كذا في الأصول بصيغة الاستفهام الإنكاري، كأنه قال لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة، أو قال لم تدعها أي تتركها مكتوبة، وهو شك من =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: « نسخت بآية الميراث بما فرض الله لهن من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً »[1].

والقول بنسخ الحول بأربعة أشهر وعشراً، ونسخ النفقة والسكنى فيها بآيات المواريث مروي أيضا عن الربيع[2]، وقتادة[3] والضحاك[4]، وعطاء[5]، وابن زيد[6]، وهو قول جماهير المفسرين من المتقدمين[7] والمتأخرين[8].

=

الراوي أي اللفظين قال. ووقع في الرواية الآتية بعد بابين "فلم تكتبها؟ قال تدعها يا ابن أخي" وفي رواية الإسماعيلي: "لم تكتبها وقد نسخها الآية الأخرى" وهو يؤيد التقدير الذي ذكرته. وله من رواية أخرى "قلت لعثمان: هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ قال: نسختها الآية الأخرى. قلت: تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير منها شيئا عن مكانه" . وهذا السياق أولى من الذي قبله. وأو للتخيير لا للشك ».

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢/٢٥٧) برقم (٢٣٠٠) والنسائي في سننه (٦/٢٠٦) برقم (٣٥٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٤٢٧) (١٥٨٥٩)، قال ابن عبد البر: « هذا حديث ثابت صحيح عن ابن عباس وعليه جماعة الناس » الاستذكار (٦/٢٣٦) لابن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض.، وكذا حسنه الألباني في صحيح أبي داود (٧/٦٦).

وقد أخرج الطبري في تفسيره (٥/٢٥٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/١٩٩)،والنحاس في الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/ ٢٤١) مسنداً عنه من طريق علي ابن أبي طلحة نحوه.

(٢) فيما ما أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٤) من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه.

(٣) فيما أخرجه الطبري (٥/ ٢٥٤) بسنده عنه من طريق همام بن يحيى.

(٤) فيما أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٢٥٥) بإسناده من طريق عبيد الله بن سليمان، ومن طريق جويبر عن الضحاك.

(٥) كما أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٢٥٥) بإسناده من طريق حجاج عن ابن جريج.

(٦) فيما ما أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٢٥٥) بإسناده من طريق ابن وهب.

(٧) قال ابن أبي حاتم: « وروي عن أبي موسى الأشعري، وابن الزبير ومجاهد وإبراهيم وعطاء والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل بن حيان، وعطاء الخراساني والربيع بن أنس: أنها منسوخة» تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٥١).

(٨) فهو الذي رجحه الطبري في جامع البيان (٥/٢٥٩)، وابن العربي في الناسخ والمنسوخ (٢/٨٢)، ومال إليه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣/١٧٤)، والشوكاني في فتح القدير (١/٣٩٣)، واقتصر عليه السيوطي في الإتقان (٤/١٤٤٤).

واكتفى بعض العلماء بالقول بنسخها بالأربعة أشهر وعشراً دون الإشارة إلى نسخها بآية المواريث[١]، وحكى بعضهم الإجماع على ذلك[٢].

القول الآخر:

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ الآية محكمة لا نسخ فيها، وأن العدة المفروضة أربعة أشهر وعشر تعتدها عند أهل زوجها، وباقي الحول من باب الوصية بالزوجة إن شاءت بقيت، وإن شاءت خرجت. وهذا مروي عن مجاهد[٣].

وقد ردّ بعض العلماء هذا القول ونسبوه إلى الشذوذ[٤]، ومال إليه آخرون ورجحوه.

فممن قرر هذا القول وأثنى عليه الإمام الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره، فقد قال بعد أن ساق بعض الأدلة التي تثبت ضعف قول من قال بالنسخ : « فكان المصير إلى قول مجاهد أقوى من التزام النسخ من غير دليل »[٥].

---

(١) كالمصنفين في الناسخ والمنسوخ، كمكي بن أبي طالب في الإيضاح (صـ١٨٢)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/ ٢٢٤-٢٢٥)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ (١/٢٩-٣٠) وابن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (١/ ٥٥) الناسخ والمنسوخ للكرمي (١/ ٧٣).

واقتصر عليه الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب (صـ٤٩)، ورجحه الزرقاني في مناهل العرفان (٢/١٨٧).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١١٩)، الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٢٧)، فتح القدير (١/٣٩٣)، قال ابن عبد البر: « أما الحول فمنسوخ بالأربعة الأشهر والعشر لا خلاف في ذلك ». الاستذكار (٦/٢٣٦).

(٣) فيما رواه عنه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية، برقم: (٤٥٣١).

وقد ذهب القاضي ابن عطية إلى عدم ثبوت القول بالنسخ عن مجاهد، واستدرك على الطبري حكايته القول بالنسخ عنه قائلاً: « وألفاظ مجاهد رحمه الله التي حكى عنها الطبري لا يلزم منها أن الآية محكمة ولا نص مجاهد ذلك بل يمكن أنه أراد ثم نسخ ذلك بعد بالميراث ». المحرر الوجيز (١/٣١٩)، لكن الصحيح ما فهمه الطبري وغيره في ذلك، انظر تقرير ذلك في: استدراكات ابن عطية على الطبري (١/٢١٥-٢٢٢) .

(٤) قال ابن عبد البر: « فهو إجماع على ما رواه بن أبي نجيح عن مجاهد وانه منكر من القول لا يلتفت إليه ». الاستذكار (٦/٢٣٦)، وقال القرطبي: « إلا رواية شاذة مهجورة جاءت عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لم يتابع عليها، ولا قال بها فيما زاد على الاربعة الاشهر والعشر أحد من علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فيما علمت، وقد روى ابن جريج عن مجاهد مثل ما عليه الناس، فانعقد الاجماع وارتفع الخلاف ». الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٢٧).

(٥) التفسير الكبير (٦/١٣٥).

والحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال - بعد أن ساق قول مجاهد - وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له »[١].

ومن المتأخرين: السعدي، والدهلوي، ومصطفى زيد، والجزائري وغيرهم[٢].

واحتج القائلون بهذا القول بوجوه[٣]:

١- عدم وجود تعارض بين الآيتين؛ فالأولى في الأمر بالتربص أربعة أشهر وعشراً، وهي العدة التي يجب أن تمتنع فيها المرأة التي مات عنها زوجها عن التزين والتعرض للزواج.

والثانية في حقّ المرأة في البقاء في منزل الزوجية بعد وفاة زوجها، وأن ذلك وصية من الله ورحمة، حسب اختيارها ورغبتها ولا يوجد من ألفاظها أو معانيها ما يلزم المرأة بالتربص والامتناع عن الأزواج مدة الحول بل هو مستحب تكميلاً لحق الزوج، ومراعاة للزوجة.

٢- أن النسخ خلاف الأصل فوجب المصير إلى عدمه بقدر الإمكان.

الترجيح: والذي يظهر رجحانه – والعلم عند الله تعالى – هو القول بالنسخ؛ فهو قول الجمهور، بل حكى غير واحد عليه الإجماع كما سبق، وهو أبين في المعنى، كما تشهد له الأحاديث النبوية [٤].

وبذلك يصح تفسير الآية المنسوخة بالآيات الناسخة؛ إذ النسخ من أوجه بيان القرآن بالقرآن - كما سبق تقريره – والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٥٩).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٠٦)، وانظر منه الملحق بتفسير الآيات التي اختلفت فيها النسختان (صـ١١١٨)، الفوز الكبير (صـ٥٥)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٢٢٩)، النسخ في القرآن (٢/٧٨١).

(٣) انظر هذه الوجوه وغيرها في: التفسير الكبير (٦/١٣٥) اللباب في علوم الكتاب (٤/ ٢٤٣-٢٤٤)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٠٦)، (صـ١١١٨)،أيسر التفاسير للجزائري (١/٢٢٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٤٤٢- ٤٤٣). وانظر مناقشتها والرد عليها في ما كتبه فضيلة شيخنا الدكتور/ عبد الله الشنقيطي في كتابه: الآيات المنسوخة (ص١١٥-١١٩).

(٤) انظر: الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه (صـ١٨٣)، ومن أصرح الأحاديث على ذلك: قوله : إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة عند رأس الحول »؛ فبين أنّ الحول أمر كان في الجاهلية وأنّ العدة في الإسلام أربعة أشهر وعشر. نفس المصدر.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾ البقرة: ٢٤١

يحكم الله تعالى في هذه الآية للمطلقات على أزواجهنّ ما يتمتعن به من المال جبراً لخاطرهن، على الوجه المعروف المستحسن شرعًا، وهي حقٌّ على الذين يخافون الله ويتقونه في أمره ونهيه(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تخصيص أو نسخ الآية بآيات من القرآن.

فإنّ الظاهر في لفظ { المطلقات } أنه عام لكلّ مطلقة، سواء طلقت قبل المسيس، أو بعد الدخول بها، مفروضاً لها أم لا؛ لأن «أل» فيها اسم موصول؛ فيشمل كل المطلقات بدون استثناء(٢).

وقد اختلف المفسرون في ذلك؛ لما سبق في قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٣)، من التفريق بين المطلقات؛ فجعلت المتعة للمطلقة قبل المسيس والتي لم يفرض لها، دون التي فرض لها فإن لها نصف ما فرض.

فذهب جماعة منهم إلى حمل هذه الآية العامة على الآيات التي قبلها وتفسيرها بها.

إلاّ أنهم اختلفوا في ذلك على وجهين:

---

(١)انظر: المنتخب (صـ٥٧)، أيسر التفاسير للجزائري (١/١٢١).

(٢) انظر: تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ١٨٩).

(٣) البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧

الوجه الأوّل: تخصيص عموم المطلقات بالمطلقات اللاتي فُرِضَ لهن ولم ينِ بهنّ، أو تقييد المطلق في هذه الآية بالمقيد في الأخرى:

فقد ذهب جماعة من المفسّرين إلى أنّ عموم المطلقات في هذه الآية مخصوص بمفهوم الآية الثانية؛ فإنّها تدلّ على عدم المتعة للمطلقة قبل المسيس وقد فرض لها، فتُخَصِّص عمومَ المطلقات هنا، أو تقيد مطلقها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « ومن لم يوجبها مطلقاً **يخصص من هذا العموم** بمفهوم قوله: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ »[1].

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله « ويمكن أن يجيب عن هذا من خصص الوجوب بغير المدخولة التي لم يفرض لها صداق بأن الآيتين قد اشتملتا على قيدين لهما مفهوم معمول به فيقيد بهما هذه الآية العامة »[2].

وقال العلامة السعدي رحمه الله - في تفسير هذه الآية -: « وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس والفرض، سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجاً بعموم هذه الآية، **ولكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيّد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة** »[3].

فوجه البيان: واضح من كلام من سبق النقل عنهم؛ حيث أوجبت الآية الأولى المتعة لكل مطلقة، بينما فرقت الثانية بين المطلقات، فأوجبتها للمطلقة قبل المسيس والتي لم يفرض لها، دون التي فرض لها فإن لها نصف ما فرض؛ **فتكون الثانية مخصصة لعموم الأولى، أو مقيدة لمطلقها.**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٦٦٠).

(٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٢/٢٤١). محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط١، ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية- بيروت- تحقيق: محمود إبراهيم زايد.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٠٦).

وللقائلين بهذا مذهبان:

الأول: عدم المتعة لها مطلقاً: وهذا قول ابن عباس[١]، وابن عمر[٢]، وهو الذي أشار إليه الحافظ ابن كثير في كلامه المنقول نصه آنفاً.

الثاني: أن المتعة لها في هذه الآية للاستحباب: ولا تكون واجبة إلا لمطلقة واحدة وهي التي لم يسم لها مهراً وطلقها قبل الدخول، وهذا قول مقاتل[٣]، والسمرقندي[٤]، وهو الذي حكاه ابن عاشور[٥]، وذهب إليه السعدي كما في كلامه المنقول نصه.

الوجه الثاني: البيان بالنسخ:

فقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ منسوخ بقوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، فتجب المتعة فقط للمطلقات قبل المسيس اللاتي لم يفرض لهن.

فقد أخرج ابن أبي حاتم[٦] بسنده عن سعيد بن المسيب قال: نسخت هذه الآية التي بعدها ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ نسخت ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وحكي أيضاً عن زيد بن أسلم[٧].

---

(١) كما أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٢٠٢) مسنداً عنه من طريق علي ابن أبي طلحة.

(٢) فيما أخرجه مالك في الموطأ (٢/٥٧٣) رواية يحيى الليثي، والطبري في جامع البيان (٥/١٢٦)، والطحاوي في أحكام القرآن (٢/٣٦٧) والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١٠/٢٤٧) من طريق نافع عنه، السيوطي في الدر المنثور (٣/١١٤) معزواً إلى مالك وعبد الرزاق والشافعي وعبد بن حميد والنحاس في ناسخه وابن المنذر والبيهقي.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/ ١٤٧).

(٤) انظر: بحر العلوم (١/ ١٩٩).

(٥) في التحرير والتنوير (٢/٤٥٣).

(٦) في تفسيره (٢/١٨٦) من طريق شعبة عن قتادة عنه، وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/٧٣٩) وعزاه إليه.

(٧) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٢٩).

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسّرين أقوالٌ أخرى في الآية، أهمها ما يلي:

١- أنّ الآية باقية على عمومها، والمتعة واجبة لجميع المطلقات، قالوا: الآية الأولى من باب ذكر بعض أفراد العموم، ثم أثبت هنا المتعة للمطلقات جميعاً بعدما أوجبها لواحدة منهن، وإفراد بعض العام بالحكم لا يخصصه، ففي الآية الأولى بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة[1].

وروي هذا القول عن علي بن أبي طالب[2]، وسعيد بن جبير[3]، وأبو العالية[4]، والزهري[5]، وأبو ثور[6]، ورجحه الطبري[7] وابن حجر[8]، ومال إليه ابن كثير[9]، والشنقيطي[10].

٢- أن اللام في قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ للعهد، أي المطلقات المذكورات في الآية السابقة وهن غير الممسوسات وغير المفروض لهن، والتكرير للتأكيد والتصريح بما هو أظهر في الوجوب؛ فلا تعارض بين الآيتين، وإنما كرر لتأكيد الوجوب، ولا حاجة حينئذ إلى القول بأن تلك الآية مخصصة بمفهومها منطوق هذه الآية المعممة ولا إلى القول بنسخها، وحكى هذا البيضاوي، وأيده الآلوسي[11].

---

(١) الكشف والبيان (١/ ٢٩٦)، معالم التنزيل (١/ ٢٩١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٥٥).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٢٣) معزواً إلى ابن المنذر.

(٣) كما أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٦٣) من طريق أيوب.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٢٣) معزواً إلى عبد بن حميد.

(٥) فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٦٣) من طريق المبارك عن يونس.

(٦) حكاه عنه غير واحد من المفسرين، انظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٢٩).

وأبو ثور هو: الإمام، الحافظ، المجتهد، إبراهيم بن خالد الكلبي، أبو ثور ، مفتي العراق، كان ثقة صاحب علم وفضل وورع، توفي سنة (٢٤٠هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/٢٦)، طبقات المفسرين للداودي (١/٩)

(٧) انظر: جامع البيان (٥/ ٢٦٤).

(٨) فتح الباري (٩/٤٩٦).

(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٦٦٠).

(١٠) انظر: أضواء البيان (١/٢٥٨).

(١١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٧٤)، روح المعاني (٢/ ٢٧٨).

٣- أن المراد بالمتعة النفقة التي تكون للمطلقة في العدة، والنفقة قد تسمى متاعاً.

وهذا الذي مال إليه الرازي وقال: « وإذا حملنا هذا المتاع على النفقة اندفع التكرار فكان ذلك أولى »[١].

٤- أنّ المراد بالآية المطلقات المدخول بهنّ؛ فإنّ الآية السابقة وآية الأحزاب، كلها واردةٌ في حكم المتعة في غير المدخول بهنّ، فجاءت هذه الآية لبيان أمر المدخول بهنّ في ذلك[٢]، وهذا مرويٌّ عن مجاهد[٣]، وعطاء بن أبي رباح[٤].

الترجيح:

والراجح - والعلم عند الله - ما ذهب إليه الطبري ومال إليه ابن كثير، بقاء الآية على عمومها، وعدم تخصيصها بالآيات المذكورة؛ فتجب المتعة لكلّ مطلقة؛ لأنّ الأصل العموم، والتخصيص من غير دليل خلاف الأصل[٥].

وعلى هذا فلا يصح تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ بتقييده أو تخصيصه بما يفهم من قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ من التفريق بين حكم المطلقات، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) التفسير الكبير (٣/ ٣٩٣)، وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٢٤).

(٢) جامع البيان (٥/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٣) فيما أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٦٣) عنه من طريق ابن أبي نجيح.

(٤) فيما أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٦٣) من طريق عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح عنه، وانظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٢٩).

(٥) انظر: جامع البيان (٥/١٣٠).

المطلب الثاني: تفسير قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ متعلق بـ ﴿مَتِّعُوهُنَّ﴾؛ يعني: هذا المتاع مقيد بالمعروف - أي ما يعرفه الناس -؛ **وهذا قد يكون مفسَّراً** بقوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي المتاع على الموسر بقدر إيساره؛ وعلى المعسر بقدر إعساره »[1].

وجه البيان: أنّ قوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ مجمل؛ إذ يطلق في القرآن إطلاقات كثيرة؛ فيحمل هنا على ما فصله في الآية الأخرى من أنّ المتاع يجب على الرجل لزوجته المطلقة على حسب قدرته وطاقته.

ولم أجد من أشار إلى هذا غير الشيخ العثيمين رحمه الله، وهو معنىً جميل، وتفسير سديد - إن شاء الله - لا سيما وقد جاءت الآيتان في موضوع واحد، وفي الأمر بحكم واحد، والله أعلم.

---

(١) تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ١٩٠).

تفسير قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ البقرة: ٢٤٥

يُرَغِّبُ الله عباده المؤمنين في الإنفاق في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله في الجهاد، وسائر طرق الخير وأبواب البر، فيقول: من هذا الذي ينفق في سبيل الله، فيعين محتاجاً، أو يقوّي ذا فاقة أراد الجهاد في سبيل الله، ويعطي مقتِراً؟ وذلك هو القرض الحسن الذي يقرض العبد ربه[1]، فيرد الله إليه - بدل ما أعطى وبذل وأقرض - أمثالاً كثيرة لا يعلم مقدارها إلا الله أكرم الأكرمين[2].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ولم يبين الله في هذه الآية مقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ففسّرها جمع من المفسّرين بقوله تعالى — في السورة نفسها -: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

قال الفخر الرازي: « أما قوله تعالى ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ﴾ فمنهم من ذكر فيه قدراً معيناً، وأجود ما يقال فيه **إنه القدر المذكور في قوله تعالى:** ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ ؛ **فيقال: يحمل المجمل على المفسر**؛ لأن كلتا الآيتين وردتا في الإنفاق»[4].

وقال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ﴾ لم يبين هنا قدرَ هذه الأضعاف الكثيرة، ولكنه بين في موضع آخر أنها تبلغ سبعمائة ضعف وتزيد عن ذلك، وذلك في قوله تعالى:... » وذكر الآية [5].

---

(١) قال ابن عطية وغيره: واستدعاء القرض في هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه من شبه القرض بالعمل للثواب والله هو الغني الحميد لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن في الدنيا ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء، المحرر الوجيز (١/٣٢٢)،وانظر: البحر المحيط (٢/٢٦١).

(٢) انظر: جامع البيان (٥/٢٨٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٤٤٢-٤٤٣)، صفوة التفاسير (١/ ٩٧).

(٣) البقرة: ٢٦١.

(٤) التفسير الكبير (٦/ ١٤٣)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٤/٢٦٠).

(٥) أضواء البيان (١/١٥٣-١٥٤).

وقد أشار جمع من المفسّرين إلى هذا عند تفسير الآية الثانية، وأنها مردودة إلى الأولى والآياتُ التي بينهما اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترضَ به من القصص ...[1].

قال الزمخشري وغيره: « وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر »[2].

وحكى الرازي وغيره – في كيفية نظم الآية الثانية– « إنه تعالى لما أجمل في قولـه ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، فصل بعد ذلك في هذه الآية تلك الأضعاف ...»[3].

وقال ابن القيم – عند الآية الثانية -: « وهذه الآية **كالتفسير والبيان** لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثل سبحانه بهذا المثل إحضاراً لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غُيِّبَتْ في الأرض فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائـة حبة حتى كأنّ القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العـين إلى هـذه السنابل التي من الحبة الواحدة »[4].

وقال السعدي: « هذا بيان للمضاعفة التي ذكرها الله في قوله:﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ »[5].

ووجه البيان: واضح – كما سبق -؛ إذ إنّ الله لم يبين مقدار الأضـعاف الـتي يضاعفها للمنفق في سبيل الله، وبيّنه في الآية الثانية بأنه سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

القول الآخر في الأضعاف التي يضاعفه الله للمنفق:

وقد حكى بعض المفسّرين قولاً آخر في التضعيف الذي وعد الله به مقرضـه ومنفق ماله في سبيله بأنه لا يعلم أحد ما هو وكم هو، وإنما أبهم الله تعالى ذلك لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود[6].

---

(١) انظر: جامع البيان (٥/ ٥١٢).

(٢) تفسير الكشاف (١/٣٣٨)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ١٢٨).

(٣) التفسير الكبير (٧/ ٣٩)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٣٦).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/٥٣٩) للإمام ابن القيم الجوزية، دار ابن القيم – الدمام الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٤ ت: عمر بن محمود أبو عمر وانظر: التفسير القيم لابن القيم (١/ ٢٥٩)، جمعه محمـد أويس الندوي – حققه محمد حامد الفقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٣، ١٤٢٥هـ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن (صـ١١٢).

(٦) انظر: التفسير الكبير (٦/ ١٤٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢٥٢)، وقد حكى القول أيضاً: البغوي في تفسيره (١/٢٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (١/٢٩١)، والقرطبي في الجامع (٣/٢٤٢)، وغيرهم.

وروي ذلك عن السدي[1]، وحكي عن الحسن[2]، وصححه الرازي والخازن[3].

والأظهر أن لا منافاة بين القولين ولا تعارض؛ فَحَمْلُ الآية الأولى على الثانية تمثيلٌ للتضعيف الذي يحصل للمنفق، وليس مُقْتَصراً على ذلك، بل التضعيف راجع إلى مشيئة الله، كما صرّح بذلك في الآية الثانية بقوله ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ فالله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة أضعافاً كثيرة[4].

فتتحد القولان بأنّ الله يضاعف للمنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف، ويضاعف لمن يشاء فوق ذلك أضعافاً كثيرة لا يعلمها إلاّ الله.

ويؤيد هذا الحديث الصحيح عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: « إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » ...الحديث[5].

فالنتيجة: صحّة بيان المقدار الذي يضاعفه الله للمنفقين في سبيله بما ورد في الآية الأخرى من أنه يضاعفه لهم إلى سبعمائة ضعف، ويضاعف فوق ذلك لمن يشاء، فالحمد لله على كرمه وجوده.

---

(١) أخرجه عنه الطبري بسنده (٥/ ٢٨٦) من طريق أسباط.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٤٢)، البحر المحيط (٢/ ٢٦٢).

(٣) التفسير الكبير (٦ / ١٤٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١ / ٢٥٢).

(٤) كما رجّح ذلك جمع من المفسرين، انظر: جامع البيان (٥/ ٥١٥-٥١٦)، الجامع لأحكام القرآن (٣/٣٠٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٧٠).

(٥) أخرجه البخاري في: كتاب الرقاق، باب: من هم بحسنة أو بسيئة. برقم: (٦٤٩١)، ومسلم في كتاب: الإيمان باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم: (١٣١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١

هذه الآية تتمة لما قصّ الله علينا من قصة طالوت وجالوت، والتقاء الجيشين، فأخبر أنه نصر جيش طالوت (جيش الإيمان)، وهزم جيش جالوت (جيش الكفر)، وقتل داودُ - وهو أحد جنود طالوت - جالوتَ قائد الكفار، فمنّ الله عليه وأعطاه الله الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم النافع وعلمه مما يشاء[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد أبهم الله في هذه الآية ما علمه داود عليه السلام، ففسّره جماعة من المفسّرين بآيات من القرآن الكريم ورد فيها ذكر بعض ما علّمه الله لنبيه داود، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[4].

قال الإمام الطبري رحمه الله : « وقوله: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، يعني: علمه صنعة الدروع والتقدير في السرد، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ »[5].

وقال الرازي رحمه الله « أما قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ ففيه وجوه أحدها **أن المراد به ما ذكره في قوله:** ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ وقال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾، وثانيها أن المراد كلام الطير والنمل قال تعالى: حكاية عنه ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ »[6].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير (١/٢٣٩-٢٤٠)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٤٦٠).

(٢) سورة الأنبياء: ٨٠

(٣) سورة سبأ: ١١.

(٤) سورة النمل: ١٦.

(٥) جامع البيان (٥/٣٧٠).

(٦) التفسير الكبير (٦/١٦٠) وذكر مثله النيسابوري في: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٦٧٣).

وقال الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ لم يبين هنا شيئا مما علمه، وقد بين في مواضع أخر أن مما علمه صنعة الدروع كقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[(١)].

وذكر تفسير ما علمه بهذه الآيات أو أحدها غير واحد من المفسرين[(٢)].

ووجه البيان: واضح؛ إذ لما أبهم الله في الآية ما علّمه داود عليه السلام بين في الآيتين الأولين أنّ ممّا علّمه صنعة الدروع؛ فهو أول من صنعها وعلِمها وسرت صناعته إلى من بعده، فألان الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها ويصنع منه دروعاً تقي الناس عند الحرب من وقع السلاح[(٣)].

أما قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ فهو قولٌ لسليمان عليه السلام كما هو نصّ الآية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ فلا يصحّ البيان به هنا – كما أورده الرازي وغيره على أنه مما علّمه الله داود –، إلاّ على أنّه إخبارٌ من سليمان بنعمة الله عليه وعلى أبيه بذلك، وذلك قول بعض المفسّرين.

قال ابن عطية: « وقوله ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ إخبار بنعمة الله **عندهما** في أن **فهمهما** من أصوات الطير المعاني التي نفوسها »[(٤)].

وقال البقاعي: « ﴿عُلِّمْنَا﴾ أي أنا وأبي بأيسر أمر وأسهله »[(٥)].

كما ذكر جماعة من المفسّرين في تفسير قوله ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أنه صنعة الدروع **ومنطق الطيور** وغير ذلك[(٦)].

---

(١) أضواء البيان (١/ ٢٦١).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٢/ ٢٢٣)، اللباب في علوم الكتاب (٤/٢٩١).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٥٢٨).

(٤)المحرر الوجيز (٤/ ٣٠٢)، وانظر مثله في: الجواهر الحسان (٣/١٥٧).

(٥) نظم الدرر (٥/٦٨٠)، وذكر مثله الشربيني في السراج المنير (٣/٥٩).

(٦) انظر ذلك في: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٣٤)، بحر العلوم (١/١٩١)، تفسير الكشاف (١/٣٢٤)، معالم التنزيل (١/ ٣٠٧)، إعراب القرآن (١/٣٢٧)، زاد المسير (١/ ٣٠٠)، الوجيز للواحدي (١/١٨١)، التسهيل =

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ الضمير في قوله ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ لسليمان وحده دون أبيه؛ لأنه ظاهر القرآن[1]، بل صرّح بعضهم بأنّ هذا مما خصَّ الله به سليمان و لم يعطه أحداً من البشر.

قال القرطبي: « قال علماؤنا: ... ولا في الناس من يعلم منطق الطير إلا ما كان الله تعالى خصّ به سليمان عليه السلام من ذلك »[2].

وقال الحافظ ابن كثير: « أخبر سليمانُ بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سَخَّر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا، **وهذا شيء لم يُعطَه أحد من البشر – فيما علمناه – مما أخبر الله به ورسوله** »[3].

وذكر مثل هذا الشوكاني وابن عاشور[4].

والعجب أنّ القرطبي الذي سبق نقلُ كلامه في تخصيص سليمان بذلك يقول هنا: والذي علمه هو صنعة الدروع **ومنطق الطير** وغير ذلك من أنواع ما علمه عليه السلام[5].

=

لعلوم التتريل (١/١٦٤)، البحر المحيط (٢/ ١٩٩)، تفسير الجلالين (١/٥٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢٤٥)، روح المعاني (٢/ ١٧٣)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٢٣٩). التفسير الوسيط للزحيلي (١/١٤٢)

بل أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١١/٨٠) بسنده عن سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾: كان داود أعطي ثلاثا، سخرت له الجبال يسبحن معه، وألين له الحديد، وعلم منطق الطير، وأعطي سليمان منطق الطير، وسخرت له الجن وكان ذلك مما ورث عنه، و لم تسخر له الجبال، و لم يلن له الحديد، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٤٤) معزواً إليه.

(١) انظر: روح المعاني (١٩/ ١٧٢)، وموضوع: تنويه القرآن بعلم داود وسليمان عليهما السلام (١/٣٣) المنثور في مجلة جامعة أم القرى لـ د. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري (العدد/١٩- صـ٣٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٦٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٨٢).

(٤) انظر: فتح القدير (٥/ ٣٤٧)، التحرير والتنوير (١٩/ ٢٣٥).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٥٨).

الأقوال الأخرى في ذكر ما علّمه الله لداود:

وقد حكى المفسرون أقوالاً أخرى في تعيين ما علّمه الله لداود وأبهم هنا[1]:

١- أنه الزبور، وعلم الدين، قال تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[2]؛ وذلك لأنه كان حاكماً بين الناس فلا بد وأن يعلمه الله تعالى كيفية الحكم والقضاء.

٢- أنه الصوت الطيّب والألحان، فلم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته.

٣- أن المراد به ما يتعلق بمصالح الدنيا وضبط الملك.

الترجيح:

والذي يظهر – والعلم عند الله – أن يكون ذلك عاماً لكلّ ما علمه الله تعالى مما يشاء من فنون العلم، ومن أمور الدين والدنيا من ألوان العلوم المختلفة التي لا تحدها إلا مشيئة الله وإرادته[3].

فيكون ما ذكر في تفسير القرآن بالقرآن من ذكر بعض أفراد العام، ولا تنافي ما عداها.

فالنتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ بالآيتين: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ على أنّ ممّا علمه صنعة الدروع والتقدير في السرد، ولا ينفي ذلك تفسيره بما يصحّ من شيء علّمه الله لداود حملاً للآية على عمومها؛ وذلك هو الأصل.

أما قوله تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ فالذي يظهر أنه خاص بسليمان ؛ لأنّ ذلك ظاهر القرآن، وإنما خاطب بضمير الجمع على عادة الملوك[4].

(١) انظر: بحر العلوم (١/١٩١)، الكشف والبيان (٢/٢٢٣)، معالم التتريل (١/٣٠٧) التفسير الكبير (٦/١٦١)، البحر المحيط (٢/ ١٩٩) النكت والعيون (١/ ٣٢١) اللباب في علوم الكتاب (٤/٢٩١).

(٢) سورة النساء: ١٦٣.

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٤٦٠).

(٤) انظر: روح المعاني (١٩/١٧٢)، مجلة جامعة أم القرى (عدد ١٩/ صـ ٣٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾ البقرة: ٢٥٣

يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع العام، ثم ذكر بعض وجوه التفضيل ومظاهره، فمنهم من كلمه الله، ومنهم من رفعه درجات، وآتى الله عيسى المعجزات الباهرات الدالات على نبوته وأنه عبد الله ورسوله[(١)].

ثم أشارت الآية إلى اختلاف الذين جاءوا من بعد الرسل من الأجيال المتعاقبة وإلى اقتتالهم بسبب هذا الاختلاف، وأن الله قد قدر أن يقع بينهم القتال لدفع الكفر بالإيمان، ودفع الشر بالخير[(٢)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير الآية بآي القرآن ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تفصيل وجوه التفضيل بما جاء بعده:

فإنّ قوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مجملٌ لم يبيّن فيه وجوهَ التفضيل التي فضّل بها بعضَهم على بعض، وفسّره بعض المفسّرين بما جاء بعده متّصلاً من قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

قال السمرقندي رحمه الله: « ثم **بين** تفضيلهم فقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ »[(٣)].

وقال النسفي رحمه الله: « ثم **بين** ذلك بقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ »[(٤)].

وقال البقاعي رحمه الله: « **فقال مبيناً لما أجمل من ذلك التفضيل** ... »[(٥)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ١٠٩).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (١/٢٥٩)

(٣) بحر العلوم (١/ ١٩٢).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/١٢٢).

(٥) نظم الدرر (١/ ٤٨٥).

وقال أبو السعود رحمه الله: « ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً »[١].

وذكر هذا غير واحد من المفسّرين[٢].

ووجه البيان: واضح ظاهر؛ لأنه مما اتصل به بيانه وتفسيره، فقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مجمل لم يفصّل فيه وجوه التفضيل التي فضل الله بها بعض النبيين على بعض، وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ تفصيل لذلك المجمل؛ فيكون مما فضّل الله به بعض المرسلين على بعض: تكليمه لبعضهم دون بعض، وما جعل لبعضهم من درجة على بعضهم، وما آتاه لعيسى عليه السلام من المعجزات وأيده بجبريل عليه السلام.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/ ٢٤٦).

(٢) انظر: روح المعاني (٣/٢)، محاسن التأويل (٢ /٢٢٩)، زهرة التفاسير (١/٩١٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٦٤)

المطلب الثاني: تعيين المبهم في قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾

أبهم تعالى فيه النبي الذي كلّمه و لم يصرح به هنا، فحمله أكثر المفسّرين على أنه نبيّ الله موسى عليه السلام؛ للتصريح بتكليم الله له في آيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[(٣)].

قال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، لم يبين هنا هذا الذي كلّمه الله منهم، وقد بيّن أنّ منهم موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وقوله: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ »[(٤)].

وقال سيد طنطاوي: « ثم بين - سبحانه - بعض مظاهر التفضيل فقال: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي منهم من فضله الله بتكليمه إياه كموسى عليه السلام فقد وردت آيات صريحة في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ »[(٥)].

وقد تضافرت نصوص المفسرين هنا على أنّ المراد بالمكلم هنا هو موسى عليه السلام[(٦)].

وقد حمل بعض المفسرين الآية أيضاً على الآيات الواردة في خطاب الله لآدم عليه السلام ونداءه إياه، على أنه ممن كلّم الله، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[(٧)]، وقوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[(٨)].

---

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٤) أضواء البيان (١/ ٢٦٢)، وذكر الآية الأولى الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٦٤).

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٦٤).

(٦) انظر: تفسير الكشاف (١/٣٢٤)، المحرر الوجيز (١/٣٣٢)، البحر المحيط (٢/٢٨٢).

(٧) سورة البقرة: ٣٥.

(٨) سورة الأعراف: ٢٢.

قال الشنقيطي: « تكليم آدم الوارد في "صحيح ابن حبان" يبينه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، وأمثالها من الآيات فإنه ظاهر في أنه بغير واسطة الملك »(١).

فيرى الشنقيطي أنّ هذه الآيات دالة على تكليم الله تعالى لآدم، وقد جاء التَّصريح بذلك فيما أورده الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله؛ أريت آدم، أنبيًّا كان؟ قال: « نعم، نبياً رسولاً كلّمه الله قِبلاً، فقال: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ »(٢).

وقال أبو حيان - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ -: « والظاهر أنه تعالى كلمهما بلا واسطة ... »(٣).

وذكر الآية جمع من العلماء عند الكلام على إثبات صفة الكلام لله.

قال ابن تيمية: « هذا وقد أخبر ﷻ عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع، فقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾...»(٤).

ولِمَا تقدّم يمكن القول بأنّ هذا الآيات الواردة في نداء الله لآدم ومخاطبته له مبيّنة لقوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾؛ فيكون آدم من الأنبياء الذين فضلهم الله بتكليمه لهم.

وأما تكليم النبي محمد ﷺ فقد ذكر البيضاوي وغيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾أنّ الله كلّم محمداً ﷺ ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى(٥).

---

(١) أضواء البيان (١/ ٢٦٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٢٣٣)، وعزاه إلى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُوَيه، من حديث محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا سلمة بن الفضل، عن ميكائيل، عن ليث، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر.

والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٨/٥، ١٧٩، رقم ٢١٥٨٦ ، ٢١٥٩٢)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣٠٠/٤، رقم ٤٢٥٩) من طرق مختلفة، والحديث ضعيف؛ أورده ابن حبان فى الضعفاء (٣٣٧/١)، ترجمة ٤٢٥) كما ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٤/٨).

(٣) البحر المحيط (٢٨١/٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٤/١٢).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٤٩/١)، تفسير السراج المنير (١٣٩/١).

وكأنهم يريدون أنّ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[1]، يراد به الله ﷻ، فيكون قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[2]، أنه كلمه بالوحي بغير واسطة.

والصّحيح في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ أنه جبريل عليه السلام، أي: فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض؛ لإيصال الوحي إليه، حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي: بقدرهما إذا مُدّا[3].

وعلى هذا يكون قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ معناه: فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى[4]، أو: فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح[5].

ولذا فلا تصحّ هذه الآية مفسِّرةً لقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾، على كون النبي محمد ﷺ من الأنبياء الذين كلّمهم الله، وإن كان ذلك ثابتاً بالسّنة[6].

فالنتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ بالآيات الواردة في تكليم الله لآدم وموسى عليهما السلام، ولا يصحّ تفسيرها بآية سورة النجم المتقدمة؛ لما سلف، وإن كان النبي محمد ممن كلّم الله؛ لما ثبت في السنة، قال في البحر: « فلا يبعد أن يدخل تحت قوله: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ موسى وآدم ومحمد عليهم السلام؛ لأنه قد ثبت تكليم الله لهم »[7].

---

(١) سورة النجم: ٨ – ٩.

(٢) سورة النجم: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٤٦)، (بتصرف)، وهو الذي رجحه الطبري والسعدي والشنقيطي انظر: جامع البيان (٢٢/٥٠١)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٨١٨)، أضواء البيان (٣/١٠).

(٤) جامع البيان (٢٢/ ٥٠٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٤٨) (بتصرف).

(٦) قال د. عبد الفتاح إبراهيم سلامة في بحث منشور له في مجلة الجامعة الإسلامية (العدد ٤٥) بعنوان: " حول الوحي " « وقد كلم الله سبحانه رسوله ليلة الإسراء، وفرض عليه وعلى أمته الصلاة وهذا متفق على صحته، بل هو مما لا يعذر أحد بجهله، ونجتزئ هنا بالعبارة الأخيرة من الحديث الذي رواه مالك بن صعصعة عن النبي صلوات الله وسلامه عليه من أحاديث الإسراء وهي: "فنودي أني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي عن الحسنة عشرا". وهذا قطعة من حديث المعراج أخرجه البخاري في صحيحه، باب المعراج برقم: (٣٨٨٧).

(٧) البحر المحيط (٢/٢٨٢).

المطلب الثالث: تعيين المبهم في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾.

لم يعيّن الله فيه النّبيين الذين رفعهم على بعض النبيين درجات، كما لم يبيّن فيه تلك الدرجات التي رفعهم بها؛ فحمل بعض المفسّرين ذلك على آيات من القرآن صرّحت بدرجات لبعض النبيين خصهم الله بها وذكروا منهم[1]:

نبينا محمد ﷺ؛ رفعه الله بالمقام المحمود في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[2]، كما فضله ورفع درجته بأن أرسله كافة للناس، في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[3]، وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾[4]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[5].

خليل الله إبراهيم عليه السلام؛ رفع الله درجته بأن اتخذه خليلاً، وجعله للناس إماماً، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾[6]، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾[7]، إلى غير ذلك من الآيات.

نبيّ الله داود عليه السلام؛ أشار الله إلى تفضيله ورفع مقامه بقوله: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[8].

نبي الله إدريس عليه السلام الذي رفع الله مكانه؛ فأقامه.....، وهو قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[9][10].

---

(١) انظر: أضواء البيان (١/١٥٥- ١٥٦).

(٢) سورة الإسراء: ٧٩.

(٣) سورة سبأ: ٢٨.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٥) سورة الفرقان: ١.

(٦) سورة النساء: ١٢٥.

(٧) سورة البقرة: ١٢٤.

(٨) سورة الإسراء: ٥٥.

(٩) سورة مريم: ٥٦ — ٥٧.

(١٠) وحكى هذا جمع من المفسرين في تفسير الآية، واقتصر عليه بعضهم. انظر: بحر العلوم (١/١٩٢)، المحرر الوجيز (١/ ٣٣٢)، البحر المديد (١/٣٢١).

نبي الله عيسى ابن مريم، آتاه الله المعجزات الدالة على صدقه ونبوته، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[(١)].

وذكر الرازي وغيره جملة من مراتب الأنبياء من فضائلهم أو معجزاتهم التي خصهم الله بها، لكنه لم يستشهد بالآيات[(٢)].

ووجه بيان الآية بهذه الآيات المذكورة: ما سبق التنويه إليه من أنّ الله ذكر في الآية أنّه رفع بعض النّبيين وفضلهم فيما آتاهم على بعضهم، وذكرت الآيات الأخرى فضائل ودرجات للنبيين خصهم الله بها، **فتكون مفسّرة لما أبهم من النبيين ودرجاتهم.**

وعلى هذا فالمراد بالآية بيان أن مراتب الرسل متفاوتة، ويكون الكلام تأكيداً للأول، وهذا قول مقاتل[(٣)].

القول الآخر:

وقد ذهب جمع من المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾، عنى به النبيّ محمداً ﷺ؛ لأنه صاحب الدرجات الرفيعة، والمعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة، والرسالة العامة الناسخة لكل الرسالات قبلها، وهذا قول مجاهد[(٤)]، واقتصر عليه الطبري وأيّده[(٥)]، كما رجحه غير واحد من المفسرين[(٦)].

وعلى هذا القول فالآية لا تشير إلى فضائل بقية الأنبياء ودرجاتهم، وإنما هي مخبرة عن تفضيل محمد على جميع الأنبياء والمرسلين وما رفع الله به مقامه، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٧١/٦) اللباب في علوم الكتاب (٣٠٤/٤-٣٠٥).

(٣) انظر: تفسيره (١٣٥/١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣٧٨/٥) من طريق ابن أبي نجيح.

(٥) انظر: جامع البيان (٣٧٩/٥).

(٦) انظر: الكشاف (٣٢٥/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٦٤)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/ ٤٦٤)، وقد ذهب الشوكاني إلى التوقف في ذلك؛ فقال – بعد ما ذكر احتمال الآية للأمرين، وبعض أقوال المفسرين في ذلك –: «ولا يخفاك أن الله سبحانه أبهم هذا البعض المرفوع فلا يجوز لنا التعرض للبيان له إلا ببرهان من الله سبحانه أو من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام و لم يرد ما يرشد إلى ذلك فالتعرض لبيانه هو من تفسير القرآن الكريم بمحض الرأي ... » فتح القدير (٤٠٦/١)

تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٥

هذه آية الكرسي، أعظم آية في كتاب الله وأفضلها وأجلها؛ وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة؛ فقد اشتملت على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملك الله وسعة علمه وسلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكل شيء(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾ علمه أي وسع علمه السماوات والأرض، مستدلين بما جاء بعده متصلاً من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾(٢)، ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾(٣).

فقد روي عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ قال: « كرسيه: علمه، ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ »(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ١١٠) (بتصرف واختصار).

(٢) سورة طه: ٩٨.

(٣) سورة غافر: ٧.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٣٩٧-٣٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٢٦٠) والنحاس في معاني القرآن (١/٢٦٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٣٤، ١٣٥) بسندهم عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر (٢/١٦) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

وقد طعن جمع من أهل العلم في صحة هذه الرواية عن ابن عباس، قال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٣٤، ١٣٥): « وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد بالكرسي المشهور المذكور مع العرش »، وقال الأزهري بعد أن ذكر هذه الرواية: « ليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار »، تهذيب اللغة (١٠/٣٣) (كرس).

=

وروي نحوُه عن سعيد بن جبير، دون قوله: « ألا ترى ... »[1].

وقال الطبري – بعد ما حكى أقوال أهل التأويل في معنى الكرسي -: « وأما الذي يدلُّ على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير عنه أنه قال:"هو علمه"؛ وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ على أنّ ذلك كذلك؛ فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم، وأحاط به مما في السموات والأرض، وكما أخبر عن ملائكته أهم قالوا في دعائهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾؛ فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء، فكذلك قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ »[2].

ووجه البيان والارتباط بين الآية والآيات المذكورة – على هذا القول -: ما أشار إليه الإمام الطبري من أنّ الله لما أخبر عن كرسيه أنه وسع السماوات والأرض، وكان الكرسي يطلق في اللغة على العلم[3]، وأخبر بعد ذلك – في الآية نفسها – أنه لا يشق عليه ولا يُتْعبه حفظ السماوات والأرض، دلّ ذلك السّياق على أنّ المراد بكرسيه علمه؛ فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به مما في السموات والأرض.

كما أن الله تعالى أخبر في آية غافر المذكورة أنه وسع كلّ شيء رحمةً وعلماً، فيحمل قوله في هذه الآية ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ على ذلك المعنى.

=

وطعن في ثبوته الحافظ القصاب، في نكت القرآن الدالة على البيان (١/١٨٠-١٨٤)، كما ضعفه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى – كما سيأتي – وكذلك فعل الشيخ الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١٧٦)، والشيخ العثيمين في تفسير الآية في تفسيره لسورة البقرة (٣/ ٢٥٤).

وزيادة: « ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ من طريق هشيم عن مطرف عن جعفر به عند الطبري والنحاس.

(١) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (صـ٧١) عن جعفر بن أبي المغيرة، وذكره البخاري في صحيحه (٤/١٦٤٨) معلقاً، وصحح الحافظ إسناده في فتح الباري (٨/١٩٩)، وانظر: الروايات التفسيرية في فتح الباري (١/٢٥٦).

(٢) جامع البيان (٥/٤٠١-٤٠٢).

(٣) قال الطبري: « وأصل"الكرسي" العلم »، وجاء بالشواهد على ذلك، انظر: جامع البيان (٥/٤٠٢).

وجاء في المحيط في اللغة (٦/١٨٢): « والكرسي : معروف. وهو العلم أيضا، من قوله تعالى : 'وسع كرسيه السموات والأرض' . والكراسي: العلماء، ويقال : كرسي أيضا ».

وتفسير الكرسي هنا بالعلم هو اختيار الطبري كما هو واضح من كلامه هذا[١]، ورجحه بعض المفسرين[٢].

ولا يصحّ هذا التفسير حملاً على الآيات المذكورة؛ لما يأتي:

أما قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، فإنه – كما قال ابن تيمية -: يناسب القدرة لا العلم[٣]؛ فأخبر عن كرسيه أنه أوسع من السماوات والأرض؛ ولذا لا يثقله حفظهما.

أما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وقوله ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾، فقد أخبر الله أنّ علمه وسع كلّ شيء، ولم يخصصه بالسماوات والأرض، فاختصاص علم الله بهذه الآية بالسماوات والأرض غير مناسب[٤].

الأقوال الأخرى في المراد بكرسيه في الآية:

وقد ورد عن السّلف في المراد بالكرسي هنا أقوال أخر أهمها:

ما ذهب إليه جمهور المفسّرين من السّلف والخلف إلى أن المراد بالكرسي هنا: خلق عظيم من مخلوقات الله غير العرش، والعرش أكبر منه، وهو موضع قدمي الله تعالى.

---

(١) وهو الذي ذكره عنه جمع من أهل التفسير كالنحاس في معاني القرآن (١/٢٦٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/٣٣٦)، والقرطبي في تفسيره (٣/٢٧٦)، وقد رأى بعض الأفاضل أن الطبري رحمه الله لم يذهب في تفسيره إلى أن المراد بالكرسي في هذا الموضع العلم، وإنما أوهمت عبارته على غيره من العلماء؛ فإنه لما قال: « غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ » قاطع بأنه يذهب إلى أن الكرسي مخلوق، وليس هو العلم؛ إذ لا يتصور أن يذكر الحديث النبوي، ثم يعرض عن دلالته إلا أن يكون الحديث عنده غير صحيح، أما قوله: « وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عنه أنه قال:"هو علمه" »، فليس تراجعًا منه عن ترجيحه، بل بيان لاحتمال قول ابن عباس فحسب، على عادته في المواطن التي يقع فيها تنازع في الترجيح، فيبين اختياره مع بيانه لاحتمال القول الآخر.

(٢) كالماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٢٦)، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار، وأبو زهرة في زهرة التفاسير (١/٩٤١)، ومحمد سيد طنطاوي في الوسيط (١/٤٧١).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/٥٨٤).

(٤) انظر: المصدر السابق بنفس الصفحة.

وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً[1]، وأبي موسى الأشعري [2]، والسدي[3]، والضحاك[4].

واختار هذا الرأي جمع من المفسرين[5].

وقد ذكر المفسّرون غير هذين القولين، ومنها[6]:

١- أنه العرش، وروي عن الحسن البصري[7].

٢- أنّ المراد ملكه، أو قدرته وسلطانه.

٣- أن المقصود تصوير عظمة الله وكبريائه؛ فخاطب الخلق في تعريف ذاته، وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم.

---

(١) كما رواه عنه الطبراني في المعجم الكبير (٣٩/١٢) والحاكم في المستدرك (٣١٠/٢) مسنداً من طريق سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، قال: " الكرسي موضع القدمين ولايقدر قدر عرشه، قال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣٥٤/٦): « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

والحديث موقوف على ابن عباس ووهم من رفعه كما ذكر ذلك ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٢/١-٢٣)، وابن كثير في تفسيره (٦٨٠/١).

وقد أحسن العيني في قوله: « وليت شعري ما الفرق بين كونه موقوفا وبين كونه مرفوعا في هذا الموضع لأن هذا لا يعلم من جهة الوقف ». عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤٨٥/٢٦).

(٢) وذلك ما أخرجه عنه الطبري (٥/ ٣٩٨) بسنده من طريق عمارة بن عمير.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري (٥/ ٣٩٨) بسنده من طريق أسباط.

(٤) فيما أخرجه الطبري (٥/ ٣٩٨) بسنده من طريق جويبر عنه.

(٥)كابن عطية في المحرر الوجيز (٣٣٦/١)، والرازي في التفسير الكبير (١١/٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٦٨١/١)، وابن عجيبة في البحر المديد (١/ ٣٢٦)، والشوكاني في فتح القدير (٤١٠/١)، والسعدي في تفسيره (صـ ١١٠)، والصابوني في صفوة التفاسير (١/ ١٠٢).

(٦) انظر: الكشاف (٣٢٨/١)، النكت والعيون (١/ ٣٢٤-٣٢٦)، التفسير الكبير (١١/٧-١٢)، زاد المسير (٣٠٤/١)، ، التسهيل لعلوم التنزيل (١٦٥/١)، البحر المحيط (٢٩٠/٢).

(٧) كما أخرجه عنه الطبري (٥/ ٣٩٩) من طريق جويبر عن الضحاك، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٦٨١/١).

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه وتطمئنّ إليه النفس هو قول جمهور المفسّرين من السّلف والخلف بأنّ المراد بالكرسي في الآية موضع قدمي الرب ﷻ تحت العرش لما يأتي:

١- ما تقدّم من ضعف الرواية بالقول الأول عن ابن عباس، ومخالفتها للمشهور الصحيح عنه.

٢- أنّ إطلاق الكرسي بمعنى العلم لغةً إما لغة قليلة أو شاذة[1]، وحمل ألفاظ الكتاب على المتبادر من معانيها لغةً ما لم يدل الدليل على صرفه عن ظاهره أقوى.

النتيجة: عدم صحة حمل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ على ما جاء بعده من قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ على أنّ المراد بالكرسي هنا العلم؛ لما تقدّم، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✱✱✱

(١) قال الأزهري في تهذيب اللغة (٣٢/١٠) – في ردّ القول بتفسير الكرسي بالعلم -: « لأن الذي نعرفه من الكرسيّ في اللغة : الشيء الذي يُعتمد ويُجلسُ عليه »، وهذا الذي رجحه ابن منظور في لسان العرب (١٩٣/٦).

بل قال الشيخ العثيمين: « لا يعرف هذا المعنى لهذه الكلمة في اللغة العربية، ولا في الحقيقة الشرعية ». تفسير القرآن له (٢٥٥/٣).

وقال العلامة محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري – عند قول الطبري: « وأصل الكرسي العلم » -: وجعل أبي جعفر هذا أصلاً، عجب أي عجب! فمادة اللغة تشهد على خلافه ... ولكن أصل مادة اللغة يدل على أن أصل ذلك هو الشيء الثابت الذي يعتمد عليه، كالكرسي الذي يجلس عليه. انظر: كلام محقق جامع البيان (٤٠٢/٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٦

في هذه الآية الكريمة تهديد شديد للمرابين، وبشارةٌ عظيمةٌ للمتصدقين؛ حيث أخبر الله فيها أنه يُنْقِصُ الربا، ويُذْهِبُ بركته، وينمي مال المتصدقين ويكثرها، ويضاعف لهم الأجر والمثوبة[1].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد حمل بعض المفسّرين قوله تعالى: ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ على آيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[4].

قال الإمام الطبري رحمه الله: « فإن قال لنا قائل: وكيف إرباء الله الصدقات؟ قيل: **إضعافه** الأجرَ لربِّها، كما قال جل ثناؤه: ... وذكر الآيتين الأوليين »[5].

وقال الإمام الرازي رحمه الله: « ونظير قوله: ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ المثل الذي ضربه الله بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة »[6].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾ الآية، ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى يربي الصدقات، وبين في موضع آخر أن هذا الإرباء

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١١٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٥١٥).

(٢) سورة البقرة: ٢٦١.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٥.

(٤) سورة الروم:

(٥) جامع البيان (٦/١٦).

(٦) التفسير الكبير (٧/ ٨٤).

مضاعفة الأجر، وأنه يشترط في ذلك إخلاص النية لوجه الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ »[1].

ووجه البيان والارتباط بين الآية والآيات المذكورة:

أن الله أخبر في هذه الآية أنه يربي الصدقات أي: يكثرها وينميها، ويحتمل ذلك أن يكون زيادة في الأجر، أو زيادة في المال الذي تُخْرَج منه الصدقة، فلما أخبر في الآيات الثلاثة أنه يضاعف أجر المنفقين أموالهم في سبيله، حملت الزيادة في الأولى على تضعيف الأجرْ والثواب كما ورد في الآيات المذكورة.

أما الآيتان الأوليان فصريحتان في مضاعفة ثواب المنفقين، وقوله تعالى في الآية الثالثة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ معناه: هم ذو الأضعاف من الحسنات؛ يضاعف لهم الثواب والأجر فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فأكثر[2].

القول الآخر في الآية:

وقد ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يشمل أمرين[3]:

الأول: تنمية المال الذي خرجت منه الصدقة في الدنيا بالبركة والزيادة، ويدلّ على ذلك قوله ﷺ: « ما نقصت صدقة من مال »[4].

الثاني: مضاعفة ثواب الصدقة في الآخرة أضعافاً كثيرة، كما دلّت عليه الآيات السابقة.

---

(١) أضواء البيان (٣٠٦/١)، واستشهد بالآية هذه الشيخ ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص ـ٧٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١٣/٣)، جامع البيان (١٠٤/٢٠)، معالم التنزيل (٦/ ٢٧٣)، الوجيز للواحدي (٨٤٣/١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣٤٧/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٢١٠/٥)، تفسير ابن أبي زمنين (٣١/٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٦٢/٧).

(٣) انظر – على سبيل المثال لا الحصر -: الكشف والبيان (٢٨٣/٢)، تفسير الكشاف (٣٤٩/١)، معالم التنزيل (٣٤٤/١)،، التفسير الكبير (٨٣/٧)، الجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/٣)، البحر المحيط (٣٤٩/٢-٣٥٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٥/١)، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل (٥٧٥/١)، السراج المنير (٢١٢/١)، البحر المديد (٢٧٤/١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٦٧/١)، فتح القدير (٤٤٧/١).

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٠٠١/٤) كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة.

الترجيح:

الذي يظهر رجحانه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ حمل الزيادة على الأمرين جميعاً؛ لدلالة آيات القرآن الكريم على مضاعفة أجور المتصدقين، ودلالة الحديث الصحيح على أنّ الصدقة لا تنقص من المال؛ إذ تزيده بالحفظ والبركة، وهذا الذي ذهب إليه جمهور المفسرين، قال الشوكاني – بعد ما حكى الوجهين: «ولا مانع من حمل ذلك على الأمرين جميعاً »[1].

خصوصاً وأنّ من أهل التفسير من ذهب إلى أنّ قوله تعالى في آية الروم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ يحتمل الوجهين المذكورين؛ فتضاعف أموالهم بالزيادة فيها والبركة، وفي الآخرة بكثرة الثواب عند الله[2]؛ إذ معنى قوله ﴿ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ الذين يجدون التضعيف والزيادة[3]؛ فيشمل الزيادتين.

لذا قال الزمخشري عند آية الروم: « هذه الآية في معنى قوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ سواء بسواء »[4].

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ بالآيات الدالة على تضعيف الله الأجر للمنفقين، إلاّ أنها تشمل أيضاً ما وعد الله المتصدقين من تنمية أموالهم وزيادتها، كما دلّت السنّة الصحيحة على ذلك.

هذا وقد استشهد الحافظ ابن كثير[5] رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ

---

(١) فتح القدير (١/٤٤٧).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤/ ٣١٧) نظم الدرر (٥/٦٣٠)، السراج المنير (٣/١٥٣)، روح المعاني (٢١/٤٦).

(٣) انظر: غريب القرآن (صـ٣٤٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، زاد المسير (٦/٣٠٥)، تذكرة الأريب تفسير الغريب (صـ٢٩٢)، لابن الجوزي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، ت: طارق فتحي السيد.

(٤) الكشاف (٣/ ٤٨٧).

(٥) في تفسيره (١/٧١٣)، ونقله القاسمي في محاسن التأويل (٢/٢٧١)، والشنقيطي في أضواء البيان (١/٢٧٠).

(٦) سورة المائدة : ١٠٠.

ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ﴾(١)، وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾(٢).

وما ذلك إلاّ للمعنى الجامع بين الآيات في محق الأموال الخبيثة وغير المباحة، كالربا وغيره، وعدم الانتفاع بها، بل تكون سبباً في عذاب صاحبها وعقابه يوم القيامة، فإيرادها هنا على المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الأنفال : ٣٧.

(٢) سورة الروم: ٣٩ .

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠

يأمر تعالى – في هذه الآية الكريمة – بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء لدينه؛ فقال: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾، أي إن كان من غرمائكم ذو عسرة فعليكم أن تمهلوه إلى وقت اليسر، ثم ندب الله إلى الوضع عنه، بإسقاط الدين عنه، ووعد على ذلك بالخير والثواب الجزيل[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قال: « إنما أمر في الربا أن ينظر المعسر، **وليست النظرة في الأمانة، ولكن تؤدى الأمانات إلى أهلها** »[(٢)].

وعن ابن سيرين رحمه الله أنّ رجلاً خاصَم رجلا إلى شُرَيح، قال: فقضى عليه وأمرَ بحبسه، قال: فقال رجل عند شريح: إنه مُعسرٌ، والله يقول في كتابه: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ قال: فقال شريح: « إنما ذلك في الربا، **وإنّ الله قال في كتابه:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[(٣)]، **ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه** »[(٤)].

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٥/١-١٧٦)، صفوة التفاسير (١١٠/١).

(٢) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٣١/٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢) من طريق العوفي، وأخرجه السيوطي في الدر (١١٢/٢)، وعزاه إليهما.

وقد أخرجا بسندهما عن ابن عباس من طريق يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد في تفسير الآية، قال: نزلت في الربا".

(٣) سورة النساء: ٥٨.

(٤) أخرجه الإمام الطبري (٣٠/٦-٣١/٦) بسنده عن ابن سيرين من طريق هشام، وبسنده عن أيوب عنه، كما اخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسير القرآن (٣٦٤/١) عن معمر عن أيوب به، وأخرجه سعيد بن منصور (٦٧/١) بسنده هشيم، عن يونس، وهشام به، بألفاظ متقاربة، وعزاه السيوطي في الدر (١١٢/٢) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والنحاس في ناسخه وابن جرير.

ووجه البيان والارتباط بين الآيتين:

أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ محتمل – كما هو الظاهر – أن يكون شاملاً لسائر الديون، فلما أمر الله تعالى في الآية الأخرى بتأدية الأمانات إلى أهلها، وكان داخلاً في ذلك: الديون وسائر الأمانات، عُلِم أنّ الأمر بإنظار المعسر هنا خاص بالربا في الديون؛ لأنه سياق الآيات، فكأنّ القائلين بهذا القول يرون تخصيص عموم هذه الآية بما ذكر في الآية الثانية.

❖القول الآخر في تفسير الآية:

وقد ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ الآية عامة في كلّ معسر عليه حقٌّ من أيّ وجهة، من دين حلال أو ربا، يجب على صاحب الحق إنظاره إلى حال الميسرة.

فمنهم من رأى أنّ الآية نازلة في الدين عموماً؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ أي: وإن وقع ذو عسرة؛ ليكون الحكم عاماً في جميع المعسرين، ولو كان في الربا خاصة لكان النصب الوجه، بمعنى وإن كان الذي عليه الربا ذا عسرة، وذهب لهذا الجصاص، والنحاس والرازي، وغيرهم[١].

ومنهم من رأى أنّ الآية نازلة في المدين المعسر في الربا الذي كان فيهم في الجاهلية، ثم أمر الله بوضع ما بقي من الربا بعد الإسلام وبقبض رؤوس الأموال، ويدخل في حكمه كلّ معسر عن قضاء دين، وهذا الذي رجّحه الطبري[٢].

الترجيح:

وهذا القول هو الراجح؛ لعدم التعارض بين الآيتين حتى تحمل إحداهما على الأخرى، فأمره تعالى بأداء الأمانات إلى أهلها وإن دخل في ذلك الديون، لا يعارض ما أمرت به هذه الآية من إنظار المدين المعسر إلى حين يساره.

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/٣١٠-٣١١) والناسخ والمنسوخ له (١/٢٦٤-٢٦٥)، أحكام القرآن للجصاص (٢/١٩٤)، والتفسير الكبير (٧/٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (٣/٣٧٢)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (١/٣٠٢).

(٢) في جامع البيان (٦/ ٣٣-٣٤).

وبذلك فلا يصح تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ بتخصيص عموم الأولى في الأمر بإنظار المعسر، بالأمر الوارد في الثانية بأداء الأمانات إلى أهلها، والعلم عند الله العليم الحكيم.

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ البقرة: ٢٨٢

هذه الآية الكريمة أطول آية في القرآن العظيم، يقول عنها الإمام ابن العربي رحمه الله: «هي آية عظمى في الأحكام، مبيِّنةٌ جملاً من الحلال والحرام، وهي أصل في مسائل البيوع، وكثير من الفروع، جماعها على اختصار مع استيفاء الغرض دون الإكثار»(١).

ففيها تشريع محكم في أمر أحد المعاملات في المجتمع وهو الدَين؛ حيث يأمر سبحانه فيها بكتابته وتوثيقه، والإشهاد عليه بمن ترضى عدالتهم، ورخص تعالى - رحمة منه - في عدم كتابة التجارة الحاضرة التي يدفع فيها السلعة في المجلس ويقبض الثمن فيه، وأمر بالإشهاد على البيع، ونهى عن الإضرار بالكاتب أو الشهيدين، وحذر من كتمان الشهادة أو الحيف والجور في الكتابة، وختم الآية بالأمر بتقواه، بامتثال أمره ونهيه(٢).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وفي تفسير هذه الآية بآيات الذكر الحكيم ثلاث مطالب:

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/٤٧٥).

(٢) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (١/٢٧٥).

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

فإن ظاهر الأمر في قوله: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ وجوب كتابة الدين، وفي قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟﴾ وجوب الإشهاد على المبايعة، فحمل ذلك جمعٌ من المفسرين على قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[(١)]، وذلك على أحد وجهين:

الوجه الأول: البيان بالنسخ:

فذهب جمع من المفسرين إلى أنّ كتابة الدين، والإشهاد على البيع كانت واجبةً بالآية، ثمّ نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾.

وروي ذلك عن أبي سعيد الخدري[(٢)]، وعطاء[(٣)]، والحسن[(٤)]،وابن زيد[(٥)]، والشعبي[(٦)].

والذي عليه جمهور أهل العلم أنّ هذا ليس من الناسخ والمنسوخ في شيء؛ وذلك لأمرين:

الأول: أن الآيتين غير متنافيتين؛ فالأمر بكتابة الدين، والإشهاد على البيع في الأولى وارد في حال التوفر والاستطاعة، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ إنما هو عند عدم وجود الكاتب والشهود؛ لقوله تعالى قبله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾، ومثله في ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[(٧)]، بعد فرض الوضوء

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٢) أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦/٥٠)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٤٥) من طريق عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦/٥١) من طريق ابن جريج.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦/٥١) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٣٥) من طريق يونس.

(٥) فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٦/٥١) من طريق يونس عن ابن وهب.

(٦) فيما أخرجه الطبري عنه في تفسيره (٦/٥٠-٥١) بأسانيد عديدة.

(٧) سورة المائدة: ٦.

بالماء عند وجوده بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[1]، وقوله في كفارة الظهار: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ﴾[2]، بعد قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾[3] فليس ذلك نسخاً، وإنما هو تيسير من الله تعالى [4].

الثاني: أنّه لم يثبت تأخير نزول قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ عن الآية الأولى التي ورد فيها الأمر بالكتابة والإشهاد على البيع، بل وردتا معاً، ولا يجوز أن يرد الناسخ والمنسوخ معاً جميعاً في حالة واحدة، وقد روي عن ابن عباس أنه لما قيل له إن آية الدين منسوخة قال: لا والله إن آية الدين محكمة ليس فيها نسخ[5].

الوجه الثاني: حمل الأمر فيهما على الندب والإرشاد لدلالة قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾.

ووجه البيان: أنّ الله لما جعل الرهن بدلاً من الكتابة عند تعذرها، وكان الرهن لا يجب إجماعاً[6]، علم أنّ الكتابة لم تكن واجبة؛ إذ لو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجبا، وصرح بعدم الوجوب بقوله: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾[7].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: « دلّ ما بيَّنَ الله عز وجل في الدَّيْنِ على أنّ الله عز وجل إنَّما أَمَرَ به على النظر والاحتياط لا الحتم، قال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ ثُمَّ قال في سِيَاقِ الْآيَةِ: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾، فلما أمر - إذا لم يجدوا كاتباً بالرهن - ثم أباح ترك

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) سورة المجادلة: ٤.

(٣) سورة المجادلة: ٣.

(٤) انظر: جامع البيان (٦/٥٣-٥٥)، نواسخ القرآن (١/٢٣٥)، أضواء البيان (١/٣٠٩-٣١٠).

(٥) أضواء البيان (١/٣١٠).

(٦) قال ابن قدامة: « والرهن غير واجب، لا نعلم فيه مخالفاً ». المغني (٤/٤٩٨).

(٧) انظر: أضواء البيان (١/٣١٠).

الرهن وقال: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾؛ فدلّ على أنّ الأمر الأول دلالة على الحظ لا فرض منه يعصي من تركه »[1].

ولأنّ الله تعالى جعل لتوثيق الدين طرقاً منها الكتابة، ومنها الرهن، ومنها الإشهاد، ولا خلاف بين علماء الأمصار أن الرهن مشروع بطريق الندب لا بطريق الوجوب، فيعلم من ذلك مثله في الإشهاد[2].

الوجه الثالث: تخصيص عموم الأحوال والأزمنة بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾.

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ مخصِّص لعموم الأمر بالكتابة والإشهاد؛ حيث خصصت الثانية عموم أحوال وأزمنة الوجوب في الأولى، فالآية الثانية تفيد بأنّ الكتابة والإشهاد غير مطلوبة إذا توافرت الأمانة والثقة بين المتعاملين، فللدائن أن يثق بمدينه ويأتمنه من غير كتابة الدين عليه، كما له أن يبيع بدون إشهاد، فهي رخصة خاصة بحالة الائتمان بين المتعاقدين، قالوا: ويحمل على هذا ما روي في عبارات السلف من القول بالنسخ؛ وتسمية مثل ذلك نسخاً تسمية قديمة[3].

القول الآخر في الآية: القول بوجوب كتابة الدين والإشهاد على المبايعة:

وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى القول بوجوب كتابة الدين بيعاً كان أو قرضاً، ووجوب الإشهاد على البيوع إذا كان التبايع بدين في الثمن أو المثمن، تمسكاً بظاهر الأمر في قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾، وبظاهر الأمر في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

---

(١) الأم (٨٨/٣)، للإمام، محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، وانظر: أحكام القرآن له (ص ٤٧٠).

(٢) أضواء البيان (٣١٠/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٥٦٦/٢)، (٥٨٧/٢)، وممن قال بالتخصيص الشيخ العثيمين، انظر: تفسيره (٤٢٩/٣).

وبهذا قال أبو موسى الأشعري، وابن عمر، والضحاك، وسعيد بن المسيب، وجابر بن زيد، ومجاهد، وعطاء، وإبراهيم، وداود بن علي وابنه أبو بكر(١).

وهو الذي اختاره الطبري وانتصر له؛ إذ لا دلالة تدل على أنّ الأمر فيهما للندب(٢).

الترجيح:

والراجح هو القول بالندب؛ لما يلي:

١- ما ثبت في صريح السنة من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ في ترك الإشهاد على البيع والشراء(٣).

٢- ما تناقلته الأمة خلف عن سلف من عقود المداينات والأشرية والبياعات في أمصارهم من غير إشهاد مع علم فقهائهم بذلك من غير نكير منهم عليهم ولو كان الإشهاد واجبا لما تركوا النكير على تاركه مع علمهم به(٤).

٣- أنّ إيجاب الإشهاد والكتابة في البيع إذا كان بدين – وقد يتكرر في اليوم مرات – فيه حرج عظيم وضيق كبير، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٥) (٦).

---

(١) انظر: نواسخ القرآن (١/ ٢٣٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٦/ ٥٣).

(٣) من ذلك ما رواه الجماعة عن عمارة بن خزيمة أنّ عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابتاع فرسا من أعرابى فاستتبعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشى وأبطأ الأعرابى فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ابتاعه فنادى الأعرابى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته. فقام النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع نداء الأعرابى فقال: « أوليس قد ابتعته منك »؛ فقال الأعرابى لا والله ما بعتكه. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم « بلى قد ابتعته منك »، فطفق الأعرابى يقول هلم شهيداً، فقال خزيمة بن ثابت أنا أشهد أنك قد بايعته؛ فأقبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على خزيمة فقال: « بم تشهد »، فقال بتصديقك يا رسول الله؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠٥/٣٦) (٢١٨٨٣) وأبو داود في السنن (٣٤٠/٣) (٣٦٠٩) والنسائي في السنن (٣٠١/٧) (٤٦٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٦/٧)، والحاكم في المستدرك (١٧/٢- ١٨) وصححه، ووافقه الذهبي، كذلك صححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٢٧/٥).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٢٠٥/٢) (بتصرف).

(٥) سورة الحج: ٧٨.

(٦) انظر: الإيضاح في ناسخ القرآن ومنسوخه (صـ١٩٨-١٩٩).

وبهذا يصح حمل قوله تعالى في الآيـة: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ على قولـه تعـالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ لأنّ الله جعل الرهن بدلاً من الكتابة عند تعذرها، والرهن لا يجب إجماعاً، فدلّ على أنّ الكتابة لم تكن واجبة، كما أنّ قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ تخصيص لعموم الأمر بالكتابة والإشهاد؛ فأحلّ الله لهم تركهما في حال توفر الأمانة والثقة بين المتعاملين – كما هو ظاهر –، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

فسّر بقوله تعالى في ما قبله في الآية نفسها ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، وقوله في آية أخرى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[1].

فقد مثّل الإمام الزركشي وغيره بهذا عند كلامهم على ضابط المطلق والمقيد، قالوا: « وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾[2]، والعدالة شرط في الجميع »[3].

وقال العلامة الشنقيطي في ذلك مبيّنا **وجه البيان**: « لم يبين الله تعالى في هذه الآية أعني: قوله جل وعلا: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾، اشتراط العدالة في الشهود، ولكنه بينه في مواضع أخر كقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، وقوله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، وقد تقرر في الأصول **أن المطلق يحمل على المقيد** كما بيناه في غير هذا الموضع »[4].

أما قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فصريح في تقيد الشهود بذوي العدل، وأما قوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ فإنه لم يصرح بالتقييد بالعدل، وإنما بكونهم مرضياً شهادتهم، وهو كونهم عدولاً كما فسّره جمهور المفسرين[5].

---

(١) سورة الطلاق: ٢.

(٢) سورة النساء: ٦.

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه (١٥/٣)، البرهان في علوم القرآن (١٥/٢)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (١٠١/٣)، إرشاد الفحول (٩/٢).

(٤) أضواء البيان (١٨٧/١-١٨٨)، وانظر: تفسير القرآن بكلام الرحمن (ص٧٤)، التفسير المنير للزحيلي (١٠٩/٣).

(٥) قال ابن العربي: في أحكام القرآن (٤٩١/١) – عند تفسير قوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ -: « هذا دليل على أنه لا يكتفى بظاهر الإسلام في الشهادة حتى يقع البحث عن العدالة »، وقال ابن كثير في تفسيره (٧٢٤/١): « فيه دلالة على اشتراط العدالة في الشهود، وهذا مقيَّد، حَكَم به الشافعي على كل مطلق في القرآن، من الأمر بالإشهاد من غير اشتراط »، وانظر مثل ذلك في: أحكام القرآن للجصاص (٢٣٣/٢)، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام (ص٣٠٠)، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾:

فقد فسر بقوله تعالى – في الآية التالية –: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾[1].

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ **هذا تفسير لقوله تعالى:** ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ بكسر العين؛ نهيه الشاهد عن أن يضر بكتمان الشهادة ...»[2]. وذكر مثله القرطبي والشوكاني[3].

ووجه التفسير والبيان: ما ذكره جمهور المفسّرين[4] من أنّ الإدغام الواقع في ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ يحتمل أن يكون أصله لا يضارر بكسر الراء الأولى، فيكون (كاتب وشهيد) هما الفاعلان للضرار، فهو نهي لهما أن يضارا صاحبَ الحق أو الذي عليه الحق، كما يحتمل أن يكون أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى فيكون كاتب وشهيد مفعولين لما لم يسمّ فاعله، فهو نهي عن الإضرار بهما بإذايتهما بالقول أو بالفعل[5].

فلما نهى الله في الآية التالية عن كتمان الشهادة، وكان ذلك ضرراً من الشهود على صاحب الحق أو الذي عليه الحق، حمل الضرر في الأولى على ذلك وأزيل به الاحتمال، **فالآية الثانية مفسّر لضرار الشاهد**[6].

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٢) أحكام القرآن (١٠/٢). ويعني بقوله: بكسر العين: أنّ " يضار " أصله بضارِر بكسر الراء مبني للمعلوم، ثم أدغمت الراء في الراء.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤١٥/٣)، فتح القدير (٤٥٨/١).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)، معالم التنزيل (٣٥٢/١)، المحرر الوجيز (٣٨٣/١-٣٨٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤١٥/٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٩/١)، البحر المحيط (٣٧٠/٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٠٨/١) البحر المديد (٣٦٧/١)،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٧١/١)، اللباب في علوم الكتاب (٥٠٥/٤)، فتح القدير (٤٥٨/١)، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز (١٠٣٢/١).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤١٥/٣)، فتح القدير (٤٥٨/١).

(٦) وما ذكره المفسّرون – على هذا الاحتمال – من أنّ الضرار من الشاهد هو بتغيير الشهادة بالزيادة أو النقص، أو بالامتناع من أدائها داخل في معنى الكتمان.

ويكون الضرار من الكاتب بالزيادة أو النقصان، أو التحريف وكتابة ما لم يمل له.

وقال بهذا الاحتمال جمع من المفسرين، فقال بمعناه ابن عباس[١]، ومجاهد، وعطاء[٢]، وقتادة[٣]، وابن زيد[٤]، وطاووس[٥]، والحسن[٦].

واختاره جمع من أهل التفسير؛ لقوله تعالى بعد: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾، قالوا لأنّ اسم الفسق بمن يحرف الكتابة، وبمن يشهد بغير الحق، أو يمتنع عن الشّهادة؛ حتّى يبطل الحقّ بالكليّة أولى منه بمن أضرّ الكاتب والشّهيد، ولأنه تبارك وتعالى قال فيمن يمتنع عن أداء الشّهادة: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[٧]، والإثم والفسق متقاربان[٨].

الأقوال الأخرى:

وهو الاحتمال الثاني في قوله ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾ بأن يكون مبنيّاً للمفعول، فالمراد: نهى الدائن والمدين عن أن يترل أحدهما ضرراً بالكاتب أو الشاهد، ويَشُقُّ عليهما في ترك أشغالهما ويؤذيهما، بالقول أو الفعل[٩]، وقال بهذا المعنى ابن عباس أيضاً[١٠]، ومجاهد[١١]، والضحاك وعكرمة[١٢]، والسدي والربيع بن أنس وغيرهم.

---

(١) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٨٦) مسندا عنه من طريق مقسم.

(٢) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٨٧) مسندا عنه من طريق ابن جريج.

(٣) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٨٦) مسندا عنه من طرق.

(٤) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٨٦) مسندا من طريق ابن وهب.

(٥) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٨٥) مسندا من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه.

(٦) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٨٥) مسندا عنه من طريق يونس.

(٧) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/٤٠٥)، البحر المحيط (٢/٣٧٠)، اللباب في علوم الكتاب (٤/٥٠٥)، فتح القدير (١/٤٥٨).

(٩) وقيل بأن لا يعطي الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد، الكشاف (١/٣٥٤)، مدارك التتريل وحقائق التأويل (١/١٣٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٢٧١).

(١٠) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٨٨) مسندا عنه من طرق.

(١١) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٨٨) مسندا عنه من طريق يونس.

(١٢) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٨٨) مسندا عنه من طريق ابن أبي نجيح.

واقتصر على هذا الفراء وابن قتيبة(١)، واختاره الطبري؛ لأن الخطاب من أول الآيات إنما هو للمكتوب له، وللمشهود له، وليس للشاهد والكاتب خطاب تقدّم، إنما رده على أهل الكتابة والشهادة، فالنهي لهم أبين أن لا يضار الكاتب والشهيد فيشغلونهما عن شغلهما، وهم يجدون غيرهما(٢).

كما رجّحه بعضهم بأنه لو كان خطاباً للكاتب والشهيد لقيل: وإن تفعلا فإنه فسوق بكما، وإذا كان خطاباً للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن الضرار هم(٣).

الترجيح:

والراجح أن تكون الآية عامة للاحتمالين، وذلك لوجوه:

١- أنّ لفظ المضارة صيغة مفاعلة يكون من اثنين؛ فيقتضي الأمرين ويعمّ المعاني كلها(٤).

٢- أنّ جمعاً من الصَّحابة قرءوا بالإظهار والكسر، وبالإظهار والفتح(٥)؛ لكون الآية محتملة للوجهين عندهم؛ ففسروا وقرءوا بهذا المعنى تارةً وبالآخر تارة أخرى(٦).

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/١٧١)، غريب القرآن لابن قتيبة (صـ١٠٠).

وابن قتيبة: هو العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، الكاتب صاحب التصانيف، كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، له عدة مؤلفات توفي في بغداد سنة (٢٧٦هـ) انظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ٣٢٦)، بغية الوعاة (٢/٦٣).

(٢) انظر: جامع البيان (٦/٩٠).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٧/١٠٣-١٠٤)، البحر المحيط (٢/٣٧٠)، اللباب في علوم الكتاب (٤/٥٠٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١/٣٨٣-٣٨٤)، الجامع لأحكام القرآن (٣/٤٠٦)، فتح القدير (١/٤٥٢).

(٥) فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن ابن مسعود ومجاهد أنهم كانوا يقرؤون ولا يضارر بالفك وفتح الراء الأولى ... وذكر ذلك الطبري عنهم، وحكى أبو عمرو الداني – فيما ذكره غير واحد من المفسرين – عن عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد أن الراء الأولى مكسورة وحكى عنهم أيضا فتحها. انظر: الكشاف (١/٣٥٤)، المحرر الوجيز (١/٣٨٤)، البحر المحيط (٢/٣٧٠).

(٦) انظر: التفسير الكبير (٧/١٠٤)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/١٠٥٧)، اللباب في علوم الكتاب (٤/٥٠٥).

قال ابن عاشور رحمه الله : « ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود، لاحتمالها حكمين، ليكون الكلام موجهاً فيحمل على كلا معنييه لعدم تنافيهما، وهذا من وجه الإعجاز »[١].

وقال العثيمين رحمه الله: « وهذا من بلاغة القرآن تأتي الكلمة صالحة لوجهين لا ينافي أحدهما الآخر »[٢].

وذهب إلى هذا جمع من العلماء عند الكلام على صحة حمل اللفظ المشترك بين معنيين عليهما جميعاً[٣].

وبذلك يصح تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَۚ﴾ على حمل المضاراة من الكاتب والشاهد؛ لأنّ كتمانهما الشهادة مضرّ بأصحاب الحقوق.

❖❖❖✸✸✸

(١) التحرير والتنوير (٢/٥٨١).

(٢) تفسير القرآن للعثيمين (٣/ ٤٠٩).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٧-٢٠٨)، قواعد التفسير (٢/٨٢٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾ البقرة: ٢٨٤

يخبر تعالى في هذه الآية أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، وإليه تدبير جميعها، وبيده صرفها وتقليبها، وأنه المطلع على ما فيهن، لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر، وإن دقت وخفيت، وأخبر أنه سيُحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم؛ فيعاقب على ذلك لمن يشاء، أو يغفره لمن يشاء[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير محاسبة الله على ما يبديه العباد في أنفسهم بآيتين من القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى – في الآية التي بعدها-: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[(٢)].

فإنّ ظاهر هذه الآية – على مقتضى اللغة العربية – أن الله يحاسب العباد على ما أضمرته أنفسهم أو أظهرته من الأمور التي يحاسب عليها، ثم يعاقب على ذلك لمن يشاء، أو يغفره لمن يشاء[(٣)].

وقد حمل المفسّرون الآية على الآية التي بعدها، وفسّروها بها على أحد ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: البيان بالنسخ:

فقد ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى أنّ الله نسخ ذلك الحكم بما ذكر في الآية التي بعدها.

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/١٠١-١٠٢)، تفسير القرآن العظيم (١/٧٢٨).

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) فتح القدير (١/٤٦١) (بتصرف)، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٨١).

فقد أخرج الإمام مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بَرَكوا على الرُّكَب، فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها؛ قال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٢]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى وأنزل الله عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ ، قال: نعم، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴾ ، قال: نعم، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ ﴾ ، قال: نعم، ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (قال نعم) ».

وروي القول بالنسخ عن جمع غفير من الصحابة والتابعين[٣].

ورجحه جمع من العلماء[٤]؛ لصحة الأخبار الواردة فيه.

وأجابوا على اعتراض من اعترض على النسخ بأن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، بأنّ النَّسخ إنما وقع في المؤاخذة والمحاسبة وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه فلفظ الآية خبر ومعناها حكم[٥].

---

(١) في صحيحه (١١٥/١)، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق. رقم: (١٢٥).

(٢) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٣) قال ابن كثير: « وهكذا رُوي عن علي، وابن مسعود، وكعب الأحبار، والشعبي، والنخَعي، ومحمد بن كعب القُرَظي، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، وقتادة: أنها منسوخة بالتي بعدها ». تفسير القرآن العظيم (٧٣٠/١).

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٣٤/٢)، للنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي) (١٤٩/٢-١٥٠)، للإمام: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ط٢، ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي — بيروت، فتح القدير (٤٦١/١).

(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٨١/١)، فتح القدير (٤٦١/١).

الوجه الثاني: تخصيص عموم الآية الأولى بالثانية:

وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ عموم يصحّ أن يشتمل على ما يعتقده الإنسان ويعزم عليه مما هو في وسعه وتحت كسبه، وعلى ما لا يملك من حديث النفس والخوطر والوساوس التي لا يقدر على دفعه؛ فدلّت الآية الثانية على أنّ الله لا يكلّف نفساً إلاّ ما تطيقها، فيُخرِجُ ذلك ما لا يملكون من الخواطر، فتخصص الثانية بذلك عموم الأولى، ويكون المحاسَبُ عليه هو ما يتقرر في النفس ويعتقده، وفي وسعه دفعها، دون ما لا يملك من الخواطر ولا يسعه دفعها[1].

قالوا: ولا يصحّ القول بالنسخ؛ لأنه إنما يكون نسخاً إذا تعذر البناء ولم يمكن رد إحدى الآيتين إلى الأخرى[2].

قال أبو حيان رحمه الله: « وينبغي أن يجعل هذا تخصيصاً إذا قلنا: إن الوسوسة والهواجس مندرجة تحت ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ »[3].

وقال ابن حجر رحمه الله: « ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص؛ فإنّ المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيراً »[4].

وقال الزرقاني[5] رحمه الله: « والذي يظهر لنا أنّ الآية الثانية مخصصة للأولى، وليست ناسخةً؛ لأن إفادة الأولى لتكليف الله عباده بما يستطيعون مما أبدوا في أنفسهم أو أخفوا لا تزال هذه الإفادة باقية وهذا لا يعارض الآية الثانية حتى يكون ثمة نسخ »[6].

وذهب إلى مثل هذا غير واحد من المفسرين[7].

(١) المحرر الوجيز (٣٨٩/١) (بتصرف)، وانظر: الكشاف (٣٥٧/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٢٢/٣)، البحر المحيط (٣٧٦/٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٧٢/١).

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤٩/٢).

(٣) البحر المحيط (٣٧٦/٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤٠١/١٢)، وانظر: تحفة الأحوذي (٢٦٨/٨).

(٥) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧ هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٢١٠/٦).

(٦) مناهل العرفان (١٨٨/٢).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٣٨٩/١)، الفوز الكبير (صـ٥٦)، التحرير والتنوير (١٣٥/٣)، النسخ في القرآن الكريم (٦٠٧/٢-٦٠٩).

الوجه الثالث: بيان المشكل أو إزالة الاحتمال:

وقد ذهب جمع من المحققين إلى أنّ الآية محكمة غير منسوخة، ولم يدخل الخواطر والوساوس التي لا يملك الإنسان دفعها في الآية أصلاً، وإنما كان ذلك تأويلاً تأوله الصحابة[1]؛ إذ توهموا أنّ ما يقع في القلب من الخواطر التي لا يمكن دفعها داخل تحت التكليف والمحاسبة عليها؛ فالمراد بالنسخ في الآية – عند هؤلاء – نسخ ما وقع في نفوسهم من فهم معنى – وإن كانت الآية لم تدل عليه –، لكنه محتمل؛ لأنّ السلف كانوا يطلقون لفظ النسخ ويريدون به مطلق الرفع لشيءٍ من معنى الآية أو حكمها.[2]

قال ابن تيمية رحمه الله: « والمقصود هنا أن قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ حقٌّ، والنَّسخ فيها هو رَفْع فَهْم من فَهِم من الآية ما لم تدل عليه، فمن فهم أنّ الله يكلف نفساً ما لا تسعه فقد نُسِخَ فهمُه وظنُّه، ومن فهم منها أن المغفرة والعذاب بلا حكمة وعدل فقد نُسِخَ فهمُه وظنُّه، فقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ردٌّ للأول، وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ ردٌّ للثاني »[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: « وللنسخ معنى آخر هو النسخ من إفهام المخاطبين ما فهموه مما لم يرده ولا دل اللفظ عليه وإن أوهمه كما أطلق الصحابة النسخ على قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قالوا نسختها قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ الآية، فهذا نسخ من الفهم لا نسخ للحكم الثابت »[4].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (١/٣٩٠)

(٢) ولعل هذا أحسن من قول من جعل القول بالنسخ غلطاً من الراوي، كالجصاص الذي قال- في أحكام القرآن (٢/٢٧٦) -: « وإنما قول من روي عنه أنها منسوخة فإنه غلط من الراوي في اللفظ »، وذكر نحوه محمد رشد رضا في تفسير المنار (٣/١١٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٠٦).

(٤) شفاء العليل (١/١٩٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: « وقد سمّى ابن عباس وغيره ذلك نسخاً، ومرادهم أنّ هذه الآية أزالت الإبهام الواقع في النُّفوس من الآية الأولى وبيَّنَ أنّ المراد بالآية الأولى العزائم المصمم عليها ومثل هذا كان السلف يسمونه نسخاً »[١]..

ونصّ على مثل هذا جمع من المفسرين[٢].

فالآية الثانية – على هذا – ليست ناسخة للأولى – على المصطلح المعروف للنّسخ – وإنما هو فهمٌ من الصحابة غير مراد بالآية؛ فجاءت الآية الثانية لرفع هذا الفهم؛ فيمكن جعل ذلك من تفسير القرآن بالقرآن لكونه من قبيل إزالة الاحتمال والإيهام، أو من قبيل بيان المجمل، غير أنه مجملٌ وقع فيه فهم غير مراد فجاءت الآية الأخرى ببيان المراد، بخلاف المجمل الذي لا يبين المراد منه أولاً[٣].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٥٥)، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٢) كالجصاص في أحكام القرآن (٢/٢٧٦)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/٦٩،٢٧٦)، والألوسي في روح المعاني (٣/٦٥)، ومحمد رشيد في تفسير المنار (٣/١١٧)، والزحيلي في التفسير المنير (٣/١٢٩).

(٣) انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيار (صـ ٣٣٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾[(١)].

فقد حمل بعض المفسّرين الآية على قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾، فحكى الثعلبي وغيره عن مقاتل أنه قال: نزلت فيمن يتولّى الكافرين من المؤمنين، يعني: وإن تُعْلِنُوا ما في أَنفُسِكُم من ولاية الكُفَّار، أو تُسِرُّوه، يُحَاسِبكُم به الله، كما ذكر في سورة آل عمران ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)]، إلى أن قال: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ »[(٣)].

ووجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ الله لما أخبر في آية آل عمران – بعد النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين – أنه يعلم ما تخفيه الصدور وما تبديه، دلّ السِّياق – كما ذكره جمع من المفسّرين – أنّ المراد بما تخفيه صدورهم وما تبديه هو موالاة الكفار؛ فتحمل آية البقرة هذه على ذلك ويكون المراد به موالاة الكافرين.

وهذا – كما قال القرطبي – فيه بعد؛ لأن سياق الآية لا يقتضيه[(٤)]، مع الفارق بين لفظ الآيتين، فالأولى أخبرت بالمحاسبة على الظاهر والخفي مما في القلوب، بينما أخبرت الثانية عن علم الله بذلك واطلاعه عليه، فالآيتان مختلفتان.

فيبعد حمل الآية الأولى على الثانية والحالة هذه، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ٢٩.

(٣) انظر: الكشف والبيان (٢/٢٩٩)، معالم التنزيل (١/٣٥٣)، الجامع لأحكام القرآن (٣/٤٢٣)، اللباب في علوم الكتاب (٤/٥١٥-٥١٦)، والموجود في تفسير مقاتل (١/١٥٢) – عند تفسير آية البقرة – قوله: « يقول: إن تعلنوا بألسنتكم ما في قلوبكم من ولاية الكفار والنصيحة أو تسروه »، دون ذكر آية آل عمران.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/٤٢٣).

❖ الأقوال الأخرى في تفسير الآية:

وقد ورد عن السلف أقوال أخرى في تفسير الآية، أهمها:

١- أنّ الآية محكمة غيرُ منسوخة، والله ﷻ محاسِبٌ خلقَه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أسرّوه في أنفسهم وأرادُوه.

فقال بعضهم: إنّ الله يغفر ذلك للمؤمنين، ويؤاخذ به أهلَ الكفر والنفاق[١].

واختار هذا جمع من المفسّرين[٢].

واستدلّ بعضهم بحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصّحيحين وغيرهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنّ الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال سترها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم »[٣].

وقال آخرون: إنّ الله معاقبهم على ذلك، غيرَ أن عقوبته إياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه، ما يحدث لهم في الدنيا من المصائب والأمور التي يحزَنون عليها ويألمون منها[٤].

٢- أنّ لفظ الآية عام ومعناه الخصوص؛ لأنّ الله إنما عنى بها كتمَ الشّهادة وإبدائها، وأن الكاتم للشهادة يحاسب على كتمه سواء أظهر للناس أنه كاتم للشهادة أو لم يظهر[٥].

---

(١) قال بعضهم: لذلك عبّر تعالى بالمحاسبة؛ لأنها أعم من المؤاخذة، وليست بموجبة عقوبةً لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل تصدق على تقرير العبد بذنوبه دون المؤاخذة بها، انظر: جامع البيان (١١٨/٦)، شفاء العليل (١٩٢/١)، البحر المديد (٣٧٠/١)، تفسير القرآن للعثيمين (٤٣٣/٣).

(٢) كالطبري، والنحاس، والقرطبي وأبو حيان، وابن القيم، انظر: جامع البيان (١١٨/٦)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢٧٦/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٢٢/٣)، البحر المحيط (٣٧٦/٢)، شفاء العليل (١٩٢/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٦٢/٢)، كتاب المظالم باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ برقم (٢٣٠٩)، ومسلم في صحيحه (٢١٢٠/٤)، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله برقم: (٢٧٦٨).

(٤) جامع البيان (١١٣/٦-١١٦).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٠٢/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤٢١/٣)، الجواهر الحسان (٢٣٥/١)، فتح القدير (٤٦١/١).

قال الشوكاني: « وهو مردود بما في الآية من عموم اللفظ ولا يصلح ما تقدم قبل هذه الآية من النهي عن كتم الشهادة أن تكون مختصة به »[1].

الترجيح:

لعلّ الراجح – والله تعالى أعلم – في تفسير الآية هو الأوجه الثلاثة المـــذكورة في تفسير القرآن بالقرآن، ولا فرق بينها؛ فالآية الثانية – على كل منها – مبيّنة لما قبلـــها؛ إذ المراد بقول من حكى النسخ: النسخ بمصطلحه العام، فالآية نازلة لإزالة ما وقع في النفوس من الوهم، وهي بذلك تخصص عموم الآية، وأنّ ما لا يمكن دفعها من الخواطر لا تدخل في حكم الآية من المحاسبة عليها.

فالنتيجة: صحة قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ بقوله تعالى بعده: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ بالأوجه المذكورة، ولا تناقض بينها في ذلك كما تقـــدّم آنفـــاً، والعلم عند الله تعالى.

(١) فتح القدير (١/٤٦١).

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾ البقرة: ٢٨٦

هذه الآية الكريمة ختام سورة البقرة السورة الكبيرة التي حوت الكثير من أمور الشرع، وهي أصل عظيم في الدين، وركن من أركان شريعة المسلمين؛ إذ أخبر الله تعالى فيها أنه – لرحمته بعباده، وحكمته في تصرفه في خلقه – لا يكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته والقيام به.

ثم أرشد الله تعالى عباده إلى دعائه واسترحامه، والضراعة إليه، وعلمهم كيف يدعونه، بعدم المؤاخذة على الخطأ والنسيان، وعدم التشدد عليهم في التشريع، كما شدد على اليهود بسبب تعنتهم وظلمهم، وعدم التكليف بما لا قدرة لهم به، وبالعفو والغفران، والرحمة والنصر والتأييد على القوم الكافرين، وقد أجاب الله لهم؛ فعفا عنهم في النسيان والخطأ، وخفف عنهم في التشريع فما جعل عليهم في الدين من حرج، وعفا عنهم وغفر، ورحمهم ونصرهم على الكافرين بالحجة والبيان، وفي المعارك بالسيف والسنان، فله الحمد والمنة، وهو الكبير المتعال[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أخرج الأئمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قال: «هم المؤمنون، وسع الله عليهم أمر دينهم، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[4]»[5].

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/١١)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٢٨٠-٢٨١)، المنتخب (صـ٦٩).

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤) سورة التغابن: ١٦.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/١٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٨٩)، وابن المنذر في تفسيره (١/١٠١)، من طريق علي ابن أبي طلحة، وعزاه إليهم السيوطي في الدر المنثور (٢/١٣٣).

واستشهد بهذه الآيات أو ببعضها - عند تفسير الآية - جمع من المفسّرين[1].

ووجه الارتباط بين الآية والآيات المذكورة: أنّ الآيات كلّها واردةٌ في معنىً واحد، في الإخبار بسماحة الدين ويسره، وعدم تكليف العباد فيه ما لا يقدرون.

إلا أنّ بعض المفسّرين أوردوا الأثر عن ابن عباس في معرض حكايتهم لخلاف المفسرين في الآية، وأنّ منهم من قال بأنّ المراد بها: حديث النفس الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[2]، وذهب ابن عباس إلى أنّ المراد بها المؤمنون خاصة[3]؛ **فيكون وجه استشهاده بالآيات الأخرى:** تأييدها للمعنى الذي ذهب إليه في الآية.

إلاّ أنّ هذا لا يلزم من الأثر – كما هو واضح –، ولا خلاف بين أقوال المفسّرين في الآية إلا اختلاف تنوع، لذا لم يذكر جمهور المفسّرين خلافاً في الآية مع إيرادهم للقولين[4]، والآية والآيات المتشابهة لها دالّة على القولين، والعلم عند الله.

واستشهد الإمام الجصاص رحمه الله بالآيات المذكورة – عند تفسير قوله تعالى في الآية نفسها –: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: «والمعنى في قوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ يريد به عهداً، وهو الأمر الذي يثقل... وهو في معنى قوله تعالى ... وذكر الآيات»[5].

وفسّر العلامة الشنقيطي رحمه الله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ ببعض الآيات المتقدّمة وبآيات أخرى، فقال: « قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، لم يبين هنا هل أجاب دعاءهم هذا أو

---

(١) انظر ذلك في: تفسير الكشاف (٣٥٩/١)، المحرر الوجيز (٣٩٢/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٨٦/١)، الجواهر الحسان (٢٣٧/١)، فتح القدير (٤٦٤/١).

(٢) وهو قول السدي، قال: « وكان حديث النفس مما لم يطيقوا » كما اخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١٣٠/٦).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٣٠٦/٢)، معالم التنزيل (٣٥٧/١)، اللباب في علوم الكتاب (٥٣٣/٤).

(٤) كالطبري في جامع البيان (١٣٠/٦).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٢٧٩/٢).

لا؟ ولم يبين الإصر الذي كان محمولاً على من قبلنا، وبين أنه أجاب دعاءهم هذا في مواضع أخر كقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، إلى غير ذلك من الآيات »[2].

وقد أوضح الشيخ وجه بيان الآيات للآية، وأنّ ذلك لبيانها أنّ الله تعالى أجاب لهذه الأمة دعوتها في هذه الآية بأن يُلْقِيَ عنهم تكاليفَ وأعباء شديدة، يثقل عليهم حملها ويعجزون عن أدائها، كما حملها على الأمم من قبلها؛ إذ أخبر الله في الآيات عن سماحة الإسلام ويسره، وعدم تكليف الله عباده فيه بما لا يستطيعون.

ومثل هذا قول الرازي رحمه الله: « فالمؤمنون سألوا ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه التغليظات وهو بفضله ورحمته قد أزال ذلك عنهم قال الله تعالى في صفة هذه الأمة ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ... وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3]»[4].

وهذه الآيات كلها واردة في موضوع واحد، وكلّ آية منها تورد طرفاً من الموضوع تكمِّلُ بعضُها بعضاً، فإيرادها هنا على المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) أضواء البيان (١/١٨٨).

(٣) سورة الأنفال: ٣٣.

(٤) التفسير الكبير (٧/١٢٧).

الفصل الثالث

دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن

من

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

وفيه دراسة:

٢٠ آية

تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) ﴾ آل عمران: ٧

يقول الحقّ جلّ جلاله: إن الذي انفرد بالوحدانية والقيومية، ولا يخفى عليه شيء في العالم العلوي والسفلي، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، لا اشتباه فيها ولا إجمال، هن أصل الكتاب الذي عليه عمادُك وعماد أمتك في الدّين، وإليها يردّ غيرها، وآيات أخر، هنّ متشابهاتٌ في التلاوة، مختلفات في المعاني، لا يتضح مقصودها؛ لإجماله أو مخالفة ظاهر؛ إلا بالفحص وجودة الفكر، ليظهر فضل العلماء النُّقاد، ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تَدبُرها[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن ثلاث مطالب:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾

أخرج الأئمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾، قال: هي الثلاث الآيات من هاهنا: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[(٢)]، إلى ثلاث آيات، والتي في "بني إسرائيل": ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[(٣)]، إلى آخر الآيات »[(٤)].

وفي رواية عنه قال: الثلاث آيات من آخر سورة الأنعام محكمات، ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ والآيات بعدها »[(٥)].

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/١٧٤)، البحر المديد (١/٣٨٠)

(٢) سورة الأنعام: ١٥١- ١٥٢.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣- ٣٩.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/١٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤١١) بسند عن العوّام بن حوشب، عمن حدثه عن ابن عباس، وهذا لفظ الطبري، ولفظ ابن أبي حاتم قريب منه، وقال في الأخير: « ومن هاهنا ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلى ثلاث آيات بعدها »، وعزاه في الدر المنثور (٣/٤٤٧) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) وهذه الرواية أخرجها سعيد بن منصور في سننه (١/٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤١١) مسنداً من طريق عبد الله بن قيس عن ابن عباس. وعزاه السيوطي في الدر (٣/٤٤٧) إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والحاكم، قال: « وصححه وابن مردويه ».

وذكر مثل الرواية الأخيرة مقاتل بن سليمان رحمه الله، فقال في تفسير الآية: «وهنّ الآيات التي في الأنعام قوله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى ثلاث آيات آخرهن: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»[1].

واقتصر على ذلك أيضاً السَّمرقندي، والواحدي[2].

ووجه الارتباط بين الآية وهذه الآيات:

أنّ الآيات المذكورة آيات معمول بهنّ و لم تنسخ، بل هي مما لا تختلف فيه الشرائع[3]، فمثّل بها من مثّل بها على أنّها من المحكمات التي ذكرها الله في هذه الآية. فالآيات ليست مفسّرة للآية، وإنما هي مثال أعطاه في المحكمات، ولا يقصد أنها مقتصرة عليها[4].

ومثل هذا ما روي عن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، قال: « ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك فهو"متشابه"، يصدّق بعضُه بعضًا، وهو مثل قوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[5]، ومثل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6]، ومثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[7] »[8]؛ فمثّل للمتشابهات بهذه الآيات الكريمة.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٥٧).

(٢) انظر: بحر العلوم (١/٢١٩)، الوجيز للواحدي (١/١٩٩).

(٣) انظر: التفسير الكبير (٧/١٤٧)، البحر المحيط (٢/٣٩٧)، التحرير والتنوير (٣/١٥).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١/٤٠٠)، ولعلّ هذا يجيب على قول الإمام الشوكاني رحمه الله:« رحم الله ابن عباس! ما أقل جدوى هذا الكلام المنقول عنه فإن تعيين ثلاث آيات أو عشر أو مائة من جميع آيات القرآن ووصفها بأنها محكمة ليس تحته من الفائدة شيء؛ فالمحكمات هي أكثر القرآن على جميع الأقوال حتى على قوله المنقول عنه قريباً من أن المحكمات ناسخه وحلاله إلخ فما معنى تعيين تلك الآيات من آخر سورة الأنعام » فتح القدير (١/٤٨٠).

(٥) سورة البقرة: ٢٦.

(٦) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٧) سورة محمد: ١٧

(٨) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٦/١٧٧) من طريق ابن أبي نجيح، وأورده السيوطي في الدر (٣/٤٤٧) معزواً إلى عبد بن حميد والفريابي.

وقد اختلف العلماء في تفسير المحكمات والمتشابهات في هذه الآية على أقوال كثيرة[1]، إلاّ أنها - كما يرى العلامة الشّوكاني رحمه الله - متقاربة؛ لأنّ أهل كلّ قولٍ عرّفوا المحكم ببعض صفاته وعرفوا المتشابه بما يقابلها[2].

فالذي يظهر أنّ الأقوال الواردة عن السلف في تعريف المحكم والمتشابه يمكن إدخال بعضها في بعض؛ فترجع إلى قول واحد جامع؛ ذُكِرَتْ على أنها تفسيرٌ له بالمثال،كما صرّح بذلك عدد من المفسّرين.

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: « وقد اختلف علماء الإسلام في تعيين المقصود من المحكمات والمتشابهات على أقوال؛ مرجعها إلى تعيين مقدار الوضوح والخفاء »[3].

(١) انظر: جامع البيان (١٧٤/٦-١٨٢)، الكشف والبيان (١٠/٣)، المحرر الوجيز (٤٠١/١)، التفسير الكبير (١٤٧/٧)، الجامع لأحكام القرآن (٩/٤-١١)، البحر المحيط (٣٩٦/٢)، النكت والعيون (٣٦٩/١).

(٢) انظر: فتح القدير (٤٧٣/١).

(٣) التحرير والتنوير (١٥٥/٣)، وانظر أيضاً في توجيه الأقوال والجمع بينها : أحكام القرآن للجصاص (٣/٢)، المحرر الوجيز (١٦/٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧٤/١٣)، مناهل العرفان (٢٩١/٢- ٢٩٧).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾

قال العلامة الشنقيطي ﵀: « قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، يحتمل أن المراد بالتأويل في هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى، ويحتمل أن المراد به حقيقة أمره التي يؤول إليها وقد قدمنا في مقدمة هذا الكتاب أن من أنواع البيان التي ذكرنا أن كون أحد الاحتمالين هو الغالب في القرآن، يبين أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد؛ لأن الحمل على الأغلب أولى من الحمل على غيره، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقوله: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾[1]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾[2]، وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[3]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[4]، إلى غير ذلك من الآيات»[5].

وجه الارتباط بين الآية وهذه الآيات المذكورة:

بيّن الشيخ ﵀ وجه إيراد هذه الآية هنا ووجه الاستشهاد بها على المعنى الذي ذهب إليه في تفسير الآية، وهو كون هذا المعنى هو الغالب التي جاء عليه لفظ التأويل في القرآن – كما في الآيات المذكورة –؛ فيحمل في هذه الآية التي يحتمل فيها المعنيين على هذا المعنى؛ لكونه الغالب في استعمال القرآن.

وقد تقدّم أنّ هذا الوجه من أوجه المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، وهو قاعدة من قواعد الترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير؛ فكون أغلب الآيات دالة على معنى معيّن في القرآن، لا تفسر بالضرورة الآية الأخرى إذا لم تتحد مواردها ووجدت القرائن الدالة على ذلك، والعلم عند الله.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٠.

(٢) سورة الأعراف: ٥٣.

(٣) سورة يونس: ٣٩.

(٤) سورة النساء: ٥٩، سورة الإسراء: ٣٥.

(٥) أضواء البيان (١/٣١٣).

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾

فإنّ الواو في قوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ – كما ذكره جمهور المفسّرين – محتملة للاستئناف، فيكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وحده، والوقف على هذا تام على لفظة الجلالة، ومحتملة لأن تكون عاطفة، فيكون قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، معطوفاً على لفظ الجلالة، فيكون الراسخون في العلم يعلمون تأويل المتشابه أيضاً.

وقد رجّح بعض المفسّرين الاحتمال الأول؛ تفسيراً للآية ببعض القرائن في الآية نفسها تدلّ على الاحتمال الأول، ولآياتٍ أخرى من القرآن الكريم:

فمن القرائن في الآية نفسها(١):

١- قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾؛ لأنه لو أراد عطف الراسخين لقال: ويقولون آمنا به بالواو.

ولأن قولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ يدل على نوع تفويض وتسليم لشيء لم يقفوا على معناه.

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾؛ فقد ذمّ مبتغي التأويل، ولو كان ذلك للراسخين معلوماً لكان مبتغيه ممدوحاً لا مذموماً.

وأما الآيات الأخرى:

فهو ما ذكره الشنقيطي من دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئاً وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾(٢)، وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾(٣)، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٤)، فالمطابق لذلك أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، معناه: أنه لا يعلمه إلا هو وحده(٥).

---

(١) ذكر هذه القرائن ابن قدامة رحمه الله في روضة الناظر (٦٨/١)، ونقلها عنه الشنقطي بنصه عند تفسير هذه الآية، في: أضواء البيان (٣١٧/١).

(٢) سورة النمل: ٦٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٧.

(٤) سورة القصص: ٨٨.

(٥) أضواء البيان (٣١٧/١-٣١٨)، وانظر: فتح القدير (٤٧٣/١).

وهذا من باب الاستدلال؛ فما ذكر في الآية نفسها من القرائن، وما دلت عليه الآيات الأخرى من المعنى مرجحات لهذا القول، وليست مبيِّنات لها، وإلاّ لما وقع الخلاف المشهور في ذلك؛ لأنّ الخلاف في الاستدلال على الشيء أكثر منه في البيان خصوصاً إذا كان متصلاً.

والقول بأن الوقف تام على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأنّ قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ ، ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء من السلف والخلف.

فقد روي عن جماعة من الصَّحابة كعمر بن الخطاب، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس(١)، وعائشة(٢) ﷺ، ومن التابعين: عروة بن الزبير(٣)، وعمر بن عبد العزيز(٤)، وهو قول مالك بن أنس(٥)، رحمهم الله، وغيرهم، واختاره الطبري وغيره(٦).

واحتجّ القائلون بهذا القول أيضاً بقراءة: { وما يعلم تأويله إلا الله وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }(٧)، وبقراءة: { إِنْ تَأْوِيلُهُ إلا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ }(٨).

---

(١) كما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٠٢/٦) بسنده من طريق طاووس، أن ابن عباس كان يقول: (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠٢/٦) بسنده عنها من طريق ابن أبي مليكة.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠٢/٦) بسنده من طريق ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه.

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٠٣/٦) بسنده من طريق عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب.

(٥) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٠٣/٦) من طريق أشهب.

(٦) انظر: جامع البيان (٢٠٤/٦)، التفسير الكبير (١٥٣/٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (١٨٦/١)، فتح القدير (٤٧٣/١).

(٧) رويت هذه القراءة عن أبي بن كعب ﷺ كما في جامع البيان (٢٠٤/٦) ومعالم التنزيل (١٠/٢)، وعن ابن عباس ﷺ فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٠٢/٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (١١٦/١)، والحاكم في مستدركه (٢٨٩/٢) كتاب التفسير، سورة آل عمران، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن حجر والحافظ السيوطي: « فهذا يدل على أن الواو للاستئناف لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة لكن أقل درجاتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه ». فتح الباري (٤٠٣/١٢)، الإتقان في علوم القرآن (٧/٣).

(٨) وهي قراءة عبد الله بن مسعود كما في جامع البيان (٢٠٤/٦)، والمحرر الوجيز (٤٠٦/١).

القول الآخر في الآية:

وذهب إلى الاحتمال الثاني في الواو وأنه للعطف جمع من أهل العلم، فهو مرويٌّ عن ابن عباس أيضاً[1]، وبه قال مجاهد[2]، والضحاك[3]، والربيع بن أنس[4]، واختاره الزمخشري[5]، والنووي[6]، وغيرهم.

واحتجوا بأدلة منها[7]:

١ - أن الخطاب بما لا يعلم معناه بعيد، ولأن الله لم يترل في كتابه شيئا إلا وقد جعل للعلماء طريقاً إلى معرفته.

وأجيب عنه: بأن الله تعالى يجوز أن يكلفهم الإيمان بما لا يطلعون على تأويله، ليختبر طاعتهم، وقد أنزل الله تعالى أشياء وليس إلى معرفتها سبيل كمعرفة كنه صفاته سبحانه وكيفيات أفعاله وغير ذلك.

٢- أنه لو لم يكن الراسخون يعلمون تأويله لم يكن لهم فضيلة على غيرهم، لأن الجميع يقولون آمنا به.

و أجيب عنه: بأن المزية ثابتة لهم بمعرفة غيره من الأحكام فهم راسخون في العلم لمعرفتهم معاني المحكم، وعملهم بما علموا، و تورعهم عن القول فيما لا يعلمون، وبأن

---

(١) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠٣/٦)، وابن المنذر في تفسيره (١٣٢/١) بسنده من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عنه أنه قال: « أنا ممن يعلم تأويله ». وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٢/٣) إليهما وإلى ابن الأنباري.

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٠٣/٦) بأسانيده من طريق ابن أبي نجيح.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٠٣/٦) بأسانيد من طريق ابن أبي نجيح، قال: والراسخون في العلم" يعلمون تأويله، ويقولون: "آمنا به ».

(٤) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٠٣/٦) بسنده من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه عن الربيع، ولفظه مثل أثر مجاهد في الحاشية السابقة.

(٥) انظر: الكشاف (٣٦٦/١).

(٦) في شرحه لصحيح مسلم (٢١٨/١٦).

(٧) انظر هذه الحجج وغيرها والجواب عليه في: الكشف والبيان (١٤/٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٦/٤-١٨)، البرهان في علوم القرآن (٧٢/٢)، التحرير والتنوير (١٦٦/٣)، أضواء البيان (٣١٨/١-٣١٩).

رسوخهم في العلم هو السبب الذي جعلهم ينتهون حيث انتهى علمهم، بخلاف غير الراسخين فإنهم يتبعون ما تشابه ويخوضون فيه.

الترجيح:

ولعلّ الراجح في المسألة هو ما ذهب إليه جمع من المحققين: أنّ كلّ قول من القولين حقٌّ باعتبار، ولا منافاة بينهما، وذلك بالرجوع إلى معنى "التأويل؛ فإن أريد بلفظ التأويل التفسير ومعرفة المعاني، فالراسخون في العلم يعلمون تفسير القرآن، وإن أريد بالتأويل الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكنهها وكيفية أسمائه وصفاته وحقيقة المعاد لا يعلمها إلا الله(١).

❖❖❖✹✹✹

(١) انظر هذا المسلك في: المحرر الوجيز (٤٠٤/١)، الجواب الصحيح (٧٢/٤)، دقائق التفسير (٣٢٩/١-٣٣٠)، تفسير القرآن العظيم (١١/٢)، مباحث في علوم القرآن للقطان (صـ ٢٢٣-٢٢٤).

تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣

بعد ما أمر الله نبيه محمداً بأن يقول للذين كفروا بأنهم مغلوبون في الدنيا ومحشورون يوم القيامة إلى دار البوار، ذكّرهم بمثلٍ مشاهَدٍ يدلُّ على نصر الله تعالى لأوليائه وخذلانه لأعدائه، وهو ما حدث بين الفئة المسلمة والفئة الكافرة في وقعة بدر؛ حيث نصر الله الفئة المسلمة – مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الأئمة رحمهم الله عن ابن مسعود ﷺ – في تفسير هذه الآية – قال: «هذا يوم بدر، قد نظرنا إلى المشركين، فرأيناهم يُضْعِفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدًا، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[(٢)] »[(٣)].

وجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ ظاهر الآيتين يوهم التعارض والاختلاف، فقوله تعالى: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ يدلّ على أنّ إحدى الفئتين استكثر الفئة الثانية ورأها مثليها، وقد بيّنت الآية الثانية أنّ الفئتان تساوتا في استقلال إحداهما للأخرى[(٤)].

وبأثر ابن مسعود هذا يعرف الجمع بين الآيتين؛ فهما في حالتين مختلفتين:

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٥٥٦/١)

(٢) سورة الأنفال: ٤٤. وأورد الآية هنا الشيخ ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٧٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٣٤/٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٠٦/٢)، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (١٨/٢) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٥/٣) إلى ابن جرير فقط.

(٤) أورد هذا التساؤل جمع من المفسرين، وأجابوا عليه بمثل ما دلّ عليه قول ابن مسعود، وبالتفصيل المذكور في الاحتمالين انظر: الكشاف (٢١٤/٢)، زاد المسير (٣٥٧/١).

- ففي بداية القتال كان المسلمون يرون المشركين – على ما هم عليه- مثليهم، وهو ما دلت عليه آية آل عمران، وهو قول: ابن مسعود: « فرأيناهم يُضْعِفون علينا ».

- ثم قلل الله المشركين في أعينهم – كما في آية الأنفال – حتى اجترأوا عليهم فنصرهم الله بذلك، وهذا قول ابن مسعود: « ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدًا »، وفي رواية أخرى: « لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مئة فأسرنا منهم رجلا فقلت كم كنتم قال ألفا ».

وهذا على أنّ الفئة الرائية في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ هم **المسلمون.**

وعلى احتمال كون الفئة الرائية **المشركون:**

- فإنهم استقلوا المسلمين في حال فاجترؤوا عليهم، وهذا ما دلّت عليه آية سورة الأنفال.

- واستكثروهم في حال: لما التقوا، لتفجأهم الكثرة، فتقل شوكتهم ويروا ما لم يكن في الحسبان – وهو ما دلت عليه آية آل عمران – فكان ذلك سبب خذلانهم، وقد نقل أن المشركين لما أسروا يومئذ قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر قالوا ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا.

وعلى الاحتمالين: يكون المسلمون قللوا في أعين المشركين في البداية في حين كانوا يرون المشركين على ما هم عليه، فلما التقوا قلل المشركون في أعين المسلمين في حين كان المشركون يروهم مثليهم.

وهناك تأويل آخر – على الاحتمالين – وهو: أنه عندما عاين كلٌّ الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم؛ ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم. ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع، ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلل الله هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء، ليقدم كل منهما على الآخر[1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٧/٢) (بتصرف)، وانظر: البداية والنهاية (٢٦٩/٣).

ويرى بعض المفسّرين أنّ الآيتين متوافقتان في المعنى وليستا في حالتين مختلفتين: وذلك بأنّ الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ - لأن الكفار كانوا قريبا من ألف والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر -، ثم إنّ الله تعالى قلّل عدد الكفار في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين؛ ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1] وهذا المعنى موافق لقوله تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ »[2].

وقال الطاهر ابن عاشور بعد ما حكى هذا: « وتكون هذه الإراءة هي الإراءة المذكورة في سورة الأنفال ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ »[3].

وعلى كلّ حال، فإيراد آية الأنفال هنا للجمع بينهما، اتفاقاً أو اختلافاً، ولا يظهر لي في أحدهما بيان للآخر، والله أعلم.

وقد أورد الشيخ العلامة الشنقيطي – عند تفسير هذه الآية – آيات عديدة شبيهة بالآية – فيما يظهر لي – في معناها، وهو الذي يظهر من إيراد الشيخ لها.

فقال: « قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ الآية، ذكر في هذه الآية الكريمة أنّ وقعة بدر آية أي: علامة على صحة دين الإسلام؛ إذ لو كان غير حق لما غلبت الفئة القليلة الضعيفة المتمسكة به، الفئة الكثيرة القوية التي لم تتمسك به، وصرح في موضع آخر أنّ وقعة بدر بينة أي: لا لبس في الحق معها وذلك في قوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾[4]، وصرح أيضاً بأنّ وقعة بدر فرقان فارق بين الحق والباطل، وهو قوله: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[5]»[6].

فالآيات المذكورة لم تفسر الآية، بل كلها واردة في الإشادة بيوم الفرقان يوم بدر الذي أعز الله فيه أهل الإسلام، وقهر فيه أهلَ الشرك والكفر، والعلم عند الله.

---

(١) سورة الأنفال: ٦٦.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٨٧-١٨٨)

(٣) التحرير والتنوير (٣/٣٦).

(٤) سورة الأنفال: ٤٢.

(٥) سورة الأنفال: ٤١.

(٦) أضواء البيان (١/١٩٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤

يخبر الله تعالى – في هذه الآية الكريمة – عمَّا زُيِّنَ للناس كافة في هذه الدنيا من أنواع الملاذ والمشتهيات التي أهمها: حب النساء والأبناء، و النهم الشديد لتكديس الأموال، وجمع الخيول التي ترعى في المروج[1] والمراعي، واقتناء الأنعام والمواشي، وزرع الحبوب وإعداد البساتين، والحقول المخصبة[2].

ونبّه تعالى إلى أنّ هذه المشتهيات كلّها متاع الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة، أما الآخرة فلا ينفع فيها شيء من ذلك، بل لا ينفع فيها إلاّ من أتى الله بقلب سليم[3].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وفي تفسير هذه الآية بالقرآن ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تفسير الشهوات بما جاء بعده متصلا:

فقد ذهب جمعٌ من أهل التفسير إلى أنّ قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾

قال الزمخشري رحمه الله: « ... وقال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾، ثم جاء **التفسير**؛ ليقرر أولاً في النفوس أن المزيَّنَ لهم حبُّه ما هو إلاّ شهوات لا غير ثم **يُفسِّره** بهذه الأجناس »[4].

---

(١) المروج: جمع مَرْج: أَرْضٌ ذاتُ نَبات وكلإٍ ترعى فيه الدواب، مقاييس اللغة (٢٥٣/٥)، تاج العروس (٢٠٧/٦)، لسان العرب (٣٦٤/٢) (مادة مرج).

(٢) الخصب، بالكسر: – نقيض الجدب – وهو: كثرة العشب والكلأ، يقال: أخصبت الأرض، ومكان مخصب وخصيب. انظر: الصحاح (١٣٦/٢)، القاموس المحيط (١٠٢/١)، المعجم الوسيط (١ / ٢٣٧). (مادة خصب).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٢٣)، أيسر التفاسير (٢٩٢/١-٢٩٣)، في ظلال القرآن (٣٤٤/١)، التفسير الوسيط للزحيلي (١٧٨/١).

(٤) الكشاف (٣٧١/١).

وقال أبو حيان رحمه الله: « وأتى بذكر الشّهوات أولاً مجموعة على سبيل **الإجمال**، ثم أخذ في **تفسيرها** شهوة شهوة ليدلَّ على أنَّ المزيَّنَ ما هو إلاّ شهوة دنيوية لا غير، فيكون في ذلك تنفير عنها، وذم لطالبها وللذي يختارها على ما عند الله، وبدأ في تفصيلها بالأهم فالأهم »[1].

وقال البيضاوي رحمه الله: « ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ بيان للشهوات »[2].

ووجه البيان: أنّ قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وما عطف عليه في محل النصب على أنه حال من الشهوات[3]، والتقدير: حالَ كونِ الشهواتِ من كذا وكذا، فهي مفسرة لها في المعنى، وتكون " من " بيانية[4]، لبيان الجنس[5]، وهو الذي عناه الزمخشري بقوله: « ثم يُفَسِّره بهذه الأجناس ».

وذكر تفسير الشهوات بما جاء بعده غير واحد من المفسرين[6]، وهو من قبيل ما اتصل به بيانه، بيّن الله فيه أهم أصول الشهوات البشرية، وأهم المشتهيات التي يحبها الناس، وتهفوا إليها قلوبهم، وترغب فيها نفوسهم، والتي لا تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار[7].

---

(١) البحر المحيط (٢/٤١٤).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢ / ١٥).

(٣) قال المفسرون: الشهوةُ: مصدرٌ يُراد به اسمُ المفعولِ أي: المُشْتَهَيَات فهو من باب: رجلٌ عَدْلٍ، وعبر عن المشتهيات: بالشهوات، مبالغة، إذ جعلها نفس الأعيان تنبيهاً على خستها.انظر: الكشاف (١/٣٧٠-٣٧١)، البحر المحيط (٢/٤١٣)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/١١٣٠).

(٤) وهذا الذي اقتصر عليه أكثر المصنفين في إعراب القرآن الكريم، انظر: التبيان في إعراب القرآن (١/٢٤٤)، الجدول في إعراب القرآن (٣/١٢٣)، تأليف: محمود بن عبد الرحيم الصافي، ط٤، ١٤١٨هـ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق. إعراب القرآن الكريم (١/١٢٦)، تأليف: قاسم حميدان دعاس، دار المنير ـ دار الفارابي – دمشق. إعراب القرآن وبيانه (١/٤٦٩) لمحيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير (ط: ٤) ١٤١٥هـ.

(٥) انظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/١١٣٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/١٤)، اللباب في علوم الكتاب (٥/٧٣)، روح المعاني (٣/٩٩).

(٦) كما تقدمت الإحالة إلى بعضها في الحاشية السابقة.

(٧) انظر: التحرير والتنوير (٣/٣٩)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٥٦٠).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾

فقد فسّر حبر الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ بالراعية، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾(١)(٢).

وقال السّمرقندي: « ثم قال تعالى: ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ يعني الراعية، كما قال في آية أخرى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي ترعون »(٣).

واستشهد بالآية الثانية على هذا المعنى جمع من المفسّرين(٤).

وجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ لفظ ﴿ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾،﴿تُسِيمُونَ﴾ في الآيتين مشتقان من أصل واحد، وهو السوم(٥)، أي الرعي، فالمسومة: المرعية، وتسيمون: ترعون.

فالأول من سوّم الماشية أي رعاها، فهي مسوّمة، عُدِي الفعل فيه بالتضعيف.

والثاني من أسام الماشية أي رعاها، فهي مسامة، فالفعل معدّى بالهمزة.

فالفعل عُدِّي تارةً بالهمزة وتارةً بالتضعيف، كما يقال أقمت الشيء وقومته وأجدته وجودته وأنمته ونومته(٦).

---

(١) سورة النحل: ١٠.

(٢) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤٣٧) مسنداً من طريق خصيف، عن عكرمة، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢/١٦٣) منسوباً إلى ابن أبي حاتم.

(٣) بحر العلوم (١/٢٢٤).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٣/٢٥)، المحرر الوجيز (١/٤١٣)، التفسير الكبير (٧/١٧١)، الجامع لأحكام القرآن (٤/٣٤)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/٧٠٧)، اللباب في علوم الكتاب (٥/٧٧)، تفسير المنار (٣/٢٠١).

(٥) أصل مادة السوم: طلب الشيء وابتغاؤه، قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٣/٩١): « السين والواو والميم أصلٌ يدل على طلب الشيء». وقال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن (١/٥١٧): « هو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء ». وانظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/٢٣٨).

(٦) انظر: الكشاف (٢/٥٥٨)، تفسير القرطبي (٤/٣٣)، التفسير الكبير (٧/١٧١)، البحر المحيط (٢/٤١٥)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/١١٣٢)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/٢٣٩)، التحرير والتنوير (٣/٤٠).

وقد ردّ الطبري الوجه الأول أي أن تكون قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ من قولهم: سوّمت الماشية، بمعنى أرعيتها؛ لأنّ ذلك غير مستفيض من كلام العرب، وإنما يقال إذا أريد ذلك:"أسمتها". انظر: جامع البيان (٦/٢٥٥-٢٥٦).

والمذكور أولاً هو قول جمهور المفسّرين – كما تقدّمت الإحالة إلى مصادرهم –، بل قال الطبري نفسه في تفسير آية النحل: «يقال منه: أسام فلان إبله يسيمها إسامة، إذا أرعاها، وسومها أيضا يسومها، وسامت هي: إذ رعت، فهي تسوم، وهي إبل سائمة ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي، سائمة ». جامع البيان (١٧/١٧٧).

فإيراد الآية الثانية هنا من باب جمع النظائر، وموارد اللفظة القرآنية ومشتقاتها؛ للاستشهاد بها على التفسير، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع.

وتفسير المسومة بالراعية هو قول جماعة من السلف والخلف[١].

وقد حكى المفسّرون في تفسير المسومة أقوالاً أخرى أهمها:

١- أنها المطهمة[٢] الحسان، روي عن بعض السلف[٣]، واختاره النحاس[٤].

٢- أنها المعلمة، وهو من السومة، وهي العلامة[٥]، روي عن بعض السلف أيضاً[٦]، وهو الذي اختاره الطبري[٧].

٣- أنها المعدة للجهاد، حكي عن ابن زيد[٨]، وقال ابن عطية عن هذا القول: «ليس من تفسير اللفظة »[٩]، وقال في المنار: « هو قول لا يفيده اللفظ ولا يرضاه السياق »[١٠].

وذُكِرَ أقوالٌ غير هذه[١١]، ولا مانع من حمل اللفظ على جميع ما يصلح في ذلك، كما ذهب إلى ذلك القرطبي، حيث قال – بعد حكايته للأقوال -: « كلّ ما ذكر يحتمله اللفظ، فتكون راعية معدة حساناً معلمة لتعرف من غيرها»[١٢].

---

(١) انظر: جامع البيان (٦/٢٥١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠)، المحرر الوجيز (١/ ٤١٣).

(٢) المطهم من الناس والخيل: الحسن، الجميل، التامّ الخَلْق، كلٌّ شيء منه على حدته فهو بارِعُ الجمالِ. انظر: مقاييس اللغة (٣/٤٢٩)، لسان العرب (١٢/٣٧٢)، تاج العروس (٣٣/٢٩)، فيكون ذكره مع الحسان من باب الترادف.

(٣) انظر: جامع البيان (٦/٢٥١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦١٠).

(٤) معاني القرآن (١/ ٣٦٧).

(٥) واختلف القائلون بذلك في تلك العلامات، فقيل: الأوضاح والغرر التي تكون في الخيل وهي أن تكون الأفراس غراً محجلة، وقيل الشية، وقيل الكي. واختار الرازي الأول؛ لأن الإشارة في الآية إلى شرائف الأموال وذلك هو أن يكون الفرس أغر محجلا وأما سائر الوجوه التي ذكروها فإنها لا تفيد شرفاً في الفرس. التفسير الكبير (٧/١٧١)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/٧٧).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/٣٤).

(٧) انظر: جامع البيان (٦/٢٥٧)

(٨) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٤١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٤).

(٩) المحرر الوجيز (١/ ٤١٣).

(١٠) تفسير المنار (٣/ ٢٠١)

(١١) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤١٥)

(١٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٣٤).

المطلب الثالث: بيان ما يدخل تحت لفظ الأنعام:

الأنعام: جمع نعم، والنعم لفظ مفرد، دل على الجمع، لا واحد له من لفظه، والأنعام يطلق على الإبل والبقر والغنم اتفاقاً، أما النعم فقد يطلق على الثلاثة، إلاّ أن الأكثر إطلاقها على الإبل خاصة، بل ذهب بعضهم إلى أنّ النعم لا يطلق إلا على الإبل خاصة[(١)].

وقد فَسَّرت الأنعامَ وبَيَّنت ما يدخل في مسماه قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾[(٢)]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[(٣)].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾، لم يبين هنا كم يدخل تحت لفظ الأنعام من الأصناف، ولكنه قد بين في مواضع أخر أنها ثمانية أصناف هي الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعتر كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[(٤)]، ثم بين الأنعام بقوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، يعني الكبش والنعجة: ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، يعني: التيس والعتر إلى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني: الجمل والناقة، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾، يعني: الثور والبقرة ...»[(٥)].

وقد فسّر الأنعام بالمذكورة في هذه الآية جمع من المفسّرين، وإن لم يذكروا ذلك في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها.

قال الثعلبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[(٦)]: « هي الأنعام كلها وهي اسم للبقر والغنم والإبل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ثم بيّن ما هي، فقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ »[(٧)].

---

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢٧١/١)، المصباح المنير (٣١٦/١)، لسان العرب (٥٧٩/١٢).

(٢) سورة الأنعام: ١٤٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٤.

(٤) سورة الأنعام: ١٤٢.

(٥) أضواء البيان (٣٢٦/١)، وقد أشار الشيخ إلى تفسير الأنعام بهذه الآية في مواضع أخرى من الأضواء، انظر: (٣٥٤/٦) عند قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾الزمر: ٦ ، و(٥٧/٧) عند قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾الشورى: ١١.

(٦) سورة المائدة: ١.

(٧) الكشف والبيان (٧/٤)، وذكر ذلك أيضا السمرقندي في بحر العلوم (٣٨٩/١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[1] -: «يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، كما فصلها في سورة الأنعام إلى ثمانية أزواج»[2].

وذكر مثل هذا أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[3].

وتفسير الأنعام بهذه الأصناف هو قول المفسرين من السّلف والخلف لهذه الآية، وللمعروف من كلام العرب كما تقدم.

وجه البيان: واضح، وقد فصّله الشنقيطي أحسن بيان في كلامه المنقول نصه آنفاً، وذلك أنّ قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بدل من قوله تعالى قبله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾[4]، وتقدير الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج، ثم فصّل الثمانية بقوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾[5].

ففصّل الأنعام أولاً إلى حمولة وفرش[6]، ثم فصّلها إلى ثمانية أزواج حاصلة من تفصيل الأولى إلى الإبل والبقر، وتفصيل الثاني إلى الضأن والمعز، ثم تفصيل كل من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى»[7].

---

(١) سورة النحل: ٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٥٧)

(٣) سورة الحج: ٢٨، انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/٤١٦).

(٤) وهذا قول جمهور المفسرين، انظر: الكشاف (٢/٧٠)، المحرر الوجيز (٢/٤١٧)، أحكام القرآن للجصاص (٤/١٨٤)، معاني القرآن (٢/٥٠٤)، معالم التنزيل (٣/١٩٦)، زاد المسير (٣/١٣٧)، نظم الدرر (٢/٧٢٩)، البحر المحيط (٤/٢٤١). وقد ذكر غير ذلك من الأوجه.

(٥) انظر: جامع البيان (١٢/١٨٣)، الكشاف (٢/٧٠)، النكت والعيون (٢/١٨٠)، اللباب في علوم الكتاب (٨/٤٧٧).

(٦) الراجح من أقوال المفسرين – والعلم عند الله – في تفسير الحمولة والفرش: أنّ: الحمولة: ما تحمل الأثقال من الإبل والبقر عند من عادته أن يحمل عليها، والفرش ما لا يحمل ثقلاً كالغنم وصغار البقر والإبل. هذا قول جمهور المفسرين من السلف والخلف، انظر: الكشاف (٢/٦٩)، المحرر الوجيز (٢ / ٤١٦)، التفسير الكبير (١٣/١٧٧)، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٥٠)، تفسير الجلالين (صـ ١٨٧).

(٧) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣/١٩٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ آل عمران: ٢٤

بعدما أورد الله التعجب من صنيع أهل الكتاب حين يعرض بعضهم عن الاحتكام إلى كتاب الله في أمور الاعتقاد وأمور الحياة، مع دعواهم الإيمان وأنهم أهل كتاب، ذكر في هذه الآية السبب في ذلك الإعراض ... إنه عدم الاعتقاد بجدية الحساب يوم القيامة، وجدية القسط الإلهي الذي لا يحابي ولا يميل، ويتجلى هذا في قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ كذباً وافتراءً، وقد خدعهم هذا الاعتقاد الباطل وغرهم، فاستمروا في غيهم وضلالهم، وأقاموا على ارتكاب المعاصي والذنوب[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أبهم الله فيه الذي كانوا يفترونه ويختلقونه، وغرهم في دينهم، ففسّره جمع غفير من أهل العلم بآيتين من القرآن الكريم ورد فيهما بعض ما كانت اليهود يختلقونه ويزعمونه، وهما:

قوله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(٢)].

فعن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قال: « غرّهم قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ »[(٣)].

وقال الواحدي رحمه الله: « ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ افتراؤهم وهو قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ »[(٤)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (١/٣٥٢-٣٥٣)، أيسر التفاسير لأسعد حومد (صـ٣١٨).

(٢) يصلح أن تكون هذه الآية (٨٠) من سورة البقرة، ويحتمل أن تكون المذكورة في بداية الآية نفسها، ولم يصرح المفسرون بذلك إلاّ الشوكاني حيث يقول: «﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الأكاذيب التي من جملتها هذا القول» فتح القدير (١/٤٩٥)، وانظر: تفسير الجلالين (صـ٦٦).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٢٩٣) من طريق ابن جريج عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٢٣) من طريق ابن جريج عن خالد بن الحارث عن مجاهد، وعزاه السيوطي في الدر (٣/٤٩٥) إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٤) الوجيز للواحدي (١/٢٠٤).

وقال ابن عاشور رحمه الله: « وقوله ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي ما تقولوه على الدين وأدخلوه فيه ... ومن جملة ما كانوا يفترونه قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ »[(1)].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[(2)].

أخرج الطبري وابن أبي حاتم أيضاً بسندهما عن الربيع بن أنس ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾، قال: حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[(3)].

وأخرج الطبري وابن المنذر بسندهما عن قتادة ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾، أي قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[(4)].

وقال مقاتل بن سليمان[(5)] « ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يعني الذين كذبوا لقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ».

وقال السّمرقندي: « ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون على الله وهو قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، فذلك قولهم الذي غرّهم »[(6)].

وحكى تفسير الآية بهاتين الآيتين جمع من المفسرين[(7)].

ووجه البيان: ما سبقت الإشارة إليه من أنّ الله تعالى لم يبيّن في قوله – إخباراً عن اليهود – ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ – ما كان اليهود يفترونه في دينهم فغرهم، وما ذُكر في الآيتين زعمان لليهود كانوا يفترونهما، وهما مما اغترّوا به في دينهم.

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٦٦).

(٢) سورة المائدة: ١٨.

(٣) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٦/٢٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٢٣) من طريق أبي جعفر الرازي.

(٤) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٦/٢٩٣) وابن المنذر في تفسيره (١/١٥٧) من طريق سعيد، وقال ابن أبي حاتم – بعد ما أورد أثر الربيع –: « وروى عن قتادة نحو ذلك »، وعزاه السيوطي في الدر (٣/٤٩٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) في تفسيره (١/١٦٣).

(٦) بحر العلوم (١/٢٢٨)

(٧) انظر ذلك في: زاد المسير (١/٣٦٨)، التفسير الكبير (٧/١٩٠)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/١٣٢)، النكت والعيون (١/٣٨٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٣٣٣)، البحر المحيط (٢/٤٣٥).

الأقوال الأخرى في تعيين ما غرت اليهود مما كانوا يفترونه:

وقد حكى بعض المفسّرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أقوالاً أخرى في بيان ما كانت اليهود يفترونه ويختلقونه فغرهم في دينهم منها[1]:

١- ما كانوا يزعمون من أن آباءهم هم الأنبياء يشفعون لهم.

٢- أنّ الله وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم.

٣- أنه قولهم: نحن على الحق وأنت على الباطل.

٤- أنه قولهم: نحن أولى بالنبوة من قريش.

الترجيح:

والراجح – والعلم عند الله - أن يكون ما غرّ اليهود في دينهم مما كانوا يختلقونه ويفترونه كلّ ما ورد عنهم – من طريق ثابت - من الأكاذيب والأباطيل التي كانوا يفترونها، ويدخل في ذلك ما ورد الإخبار عنهم في الآيتين المذكورتين[2].

النتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ بالآيتين المذكورتين في بيان ما غرّ اليهود مما كانوا يختلقونه ويفترونه كذباً وبهتاناً.

(١) انظر: جامع البيان (٦/٢٩٢)الكشاف (١/٣٧٧)، التفسير الكبير (٧/١٩٠)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/٣٣٣)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/١٣٢)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (٢/٢٢)، السراج المنير (١/١٦٩)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/٢١).

(٢) وممن ذهب إلى عموم ذلك لجميع الأقوال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/٥١)، وحكى ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٢/٤٣٥) بقوله: « وقيل: مجموع هذه الأقوال ».

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ آل عمران: ٣٣

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: « لله تعالى من عباده أصفياء، يصطفيهم ويختارهم، ويمنُّ عليهم بالفضائل العالية، والنعوت السَّامية، والعلوم النَّافعة، والأعمال الصالحة، والخصائص المتنوعة، فذكر هذه البيوت الكبار، وما احتوت عليه من كمال الرجال، الذين حازوا أوصاف الكمال، وأن الفضل والخير تسلسل في ذراريهم وشمل ذكورهم ونساءهم، وهذا من أجل مننه وأفضل مواقع جوده وكرمه »[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ المؤمنين منهم، وحمل ابن عباس رضي الله عنهما الآية في ذلك على قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

فقد أخرج الأئمة – رحمهم الله – عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال: « هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[(٣)]، وهم المؤمنون»[(٤)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ٩٦٥-٩٦٦).

(٢) سورة آل عمران: ٦٨.

(٣) سورة آل عمران: ٦٨

(٤) أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٣٢٦/٦) وابن المنذر في تفسيره (١٧١/١) بسندهما عن علي بن أبي طلحة، وأخرجه البخاري معلّقاً في صحيحه (١٢٦٣/٣) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ، وانظر: تغليق التعليق على صحيح البخاري (٣٤/٤) لابن حجر، تحقيق ودراسة: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان – الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٣٥/٢) بدون الاستشهاد بالآية الثانية، وكذلك أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٥١٢/٣) معزواً إلى الأئمة الثلاثة.

وجه البيان:

أن لفظ الآل في القرآن واللغة له إطلاقات مختلفة[1]، فيطلق في الأصل على ذوي قرابة الرجل وأهل بيته، كما يطلق على أصحابه وأتباع دينه، بل يطلق ويراد به الرجل نفسه.

ولكنّ الآل هنا متعين للحمل على الإطلاق الأول[2]، والظاهر فيه أن يعم جميع آل إبراهيم؛ فحمله ابن عباس رضي الله عنهما على المؤمنين منهم فقط؛ لدلالة الآية الثانية على أنّ أحقّ الناس بإبراهيم ونصرته وولايته، وأخصهم به وأقربهم منه[3]، الذين سلكوا طريقَه ومنهاجه، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به[4]، فيكون الذين اتبعوه من آله هم الذين أخبر الله تعالى عنهم أنه اصطفاهم، والذين لم يتبعوه منهم لا يعدون من آله الذين اصطفاهم الله.

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ عام أريد به الخصوص[5].

وهذا – وإن كان صالحاً لتخصيص العام – إلاّ أنّ قوله تعالى في الآية: ﴿اصْطَفَىٰٓ﴾ كاف للدلالة على عدم دخول غير المؤمنين من آل إبراهيم في عموم الآل؛ فالله لا يصطفي من عباده إلاّ الصالحين المتبعين لشرعه ودينه، الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ

---

(١) انظر: المخصص لابن سيده (٣١٩/١) أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار إحياء التراث العربي – بيروت –، ت: خليل إبراهم جفال، المصباح المنير (٢٠/١)، غريب الحديث (٣١٨/١) تأليف الإمام: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ط: جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ، ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، لسان العرب (٣٢/١١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٣١/٣).

(٣) انظر: جامع البيان (٤٩٧/٦) الكشاف (٣٩٩/١)، الجامع لأحكام القرآن (١٠٩/٤)، البحر المحيط (٥١٢/٢).

(٤) جامع البيان (٤٩٧/٦) (باختصار).

(٥) انظر: فتح الباري (٤٦٩/٦)، عمدة القاري (٤٠٢/٢٣).

﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]، وهم الذين أخبر رسول الله ﷺ أنّ الله صلّى عليهم في قوله: «كما صليت على آل إبراهيم»[2].

وهذا القول - تفسير آل إبراهيم بالمؤمنين منهم - هو الذي مال إليه الطبري[3].

الأقوال الأخرى:

أما أكثر المفسرين فقد فسروا آل إبراهيم هنا بعشيرته وذوي قرباه (إسماعيل وإسحاق وأولادهما)، دون الإشارة إلى تخصيص ذلك بالمؤمنين[4].

كما ذهب بعضهم إلى أنّ المراد بآل إبراهيم هو إبراهيم نفسه كقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾[5][6].

والصحيح تخصيصهم بالمؤمنين - كما سبق - فالله لم يصطف جميع آل إبراهيم، بل اصطفى منهم المؤمنين ومن اتبع سبيله، أما الظالمين فإنهم لا يدخلون في ذلك، ولا ينالهم عهد الله بالإمامة والاصطفاء ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[7].

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (٢٠٧/١).

(٣) انظر: جامع البيان (٣٢٦/٦).

(٤) كالزمخشري في الكشاف (٣٨٣/١)، والسمعاني في تفسيره (٣١١/١)، والواحدي في الوجيز (٢٠٧/١)، والبيضاوي في تفسيره (٢٩/١)، وانظر: روح البيان (٢٤/٢)، صفوة التفاسير (١٢٦/١).

(٥) سورة البقرة: ٢٤٨.

(٦) انظر: تفسير الجلالين (صـ ٦٧).

(٧) سورة البقرة: ١٢٤.

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ٤٥

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام، بأن سيوجد منها ولد عظيم، له شأن كبير، هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، الذي يكون وجوده بكلمة من الله، جعل الله له الوجاهة العظيمة في الدنيا، فجعله أحد أولي العزم من المرسلين، ونشر له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب، كما له الوجاهة في الآخرة؛ إذ يظهر فضله على أكثر العالمين، ويشفع عند ربه أسوة بإخوانه من المرسلين؛ ولهذا كان من المقربين إلى الله[1].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: تخصيص عموم الملائكة بجبريل.

فإنّ لفظ الملائكة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ ﴾ عام يشمل كلّ الملائكة، وخصها بعض المفسرين بجبريل عليه السلام؛ لآية من كتاب الله.

قال الإمام الرازي رحمه الله: « المسألة الثانية قالوا المراد بالملائكة هاهنا جبريل وحده ... وهذا وإن كان عدولاً عن الظاهر إلاّ أنه يجب المصير إليه؛ لأنّ سورة مريم دلّت على أنّ المتكلمَ مع مريم ه هو جبريل عليه السلام وهو قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2] »[3].

وذكر مثل هذا الكلام بنصه ابن عادل رحمه الله[4].

وقال صاحب المنار رحمه الله: « والمراد بالملائكة هنا الروح جبريل لقوله تعالى -في سورة مريم -: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[5] إلى آخر الآيات »[6].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٤٣)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٣٠)..

(٢) سورة مريم: ١٧.

(٣) التفسير الكبير (٨/٣٨).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/٢١٤).

(٥) سورة مريم: ١٧.

(٦) تفسير المنار (٣/٢٥٠).

وذكر مثل هذا غير واحد من المفسرين(١)، ونص على أنّ المراد بالملائكة جبريل وحده جمهور المفسرين، وإن لم يشيروا إلى تخصيص اللفظ بالآية المذكورة(٢).

وجه البيان: واضح؛ فالله أسند القول ببشارة مريم إلى الملائكة، وذلك عام لهم كلهم، وأخبر في الآيات الأخرى أنه أرسل إليها الروح الأمين جبريل، فبشرها؛ **فيخصّ عموم الأولى بخصوص الثانية، ويكون المبشر في الآيتين هو جبريل؛ لاتحاد القصتين؛** وإنما ذكر بلفظ الجمع هنا لأنه رئيس الملائكة(٣)، ولأنه يجوز في كلام العرب أن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع، كما يقال: " ركب فلان السفن"، وإنما ركب سفينة واحدة. وكما يقال: "ممن سمعت هذا الخبر"؟ فيقال: "من الناس"، وإنما سمعه من رجل واحد(٤).

ولم أطلع على خلاف بين المفسرين في هذا(٥)، ولم يتعرض بعضهم إليه أصلاً، كالطبري وابن كثير، وإن كان الطبري رجح في قوله تعالى – قبل هذه الآية في قصة زكريا عليه السلام -: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾(٦) بقاء اللفظ على ظاهره بأنها جماعة الملائكة دون الواحد؛ لأنّ ذلك هو الظاهر، ولا يجوز حمل تفسير القرآن إلا على الأظهر الأكثر من كلام العرب، ولعدم وجود ضرورة وحاجة إلى صرفه إلى أنه بمعنى الواحد(٧).

فيمكن القول هنا بأنّ ذلك يجوز لوجود القرينة اللازمة، وهو ما جاء في الآية الأخرى، التي فسّرت هذه الآية بتخصيص عموم لفظ " الملائكة " بجبريل الذي تمثل لمريم بشراً وبشرها بعيسى عليه السلام، ودار بينهما من الحوار ما ذكر في الموضعين سواء بسواء، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر: روح البيان (٢/٢٦)، تفسير المراغي (٣/١٥٤)، التفسير المنير للزحيلي (٣/٢٣٠).

(٢) كمقاتل بن سليمان في تفسيره (١/١٦٩)، والسمرقندي في بحر العلوم (١/٢٣٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٣٦)، والشربيني في السراج المنير (١/١٧٦)، والخازن في تفسيره (١/٣٤٦)، والجلال في تفسير الجلالين (١/٦٩)، والجزائري في أيسر التفاسير (١/٣١٨) ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٨٧) إلى جماعة المفسرين .

(٣) روح البيان (٢/٢٦)، تفسير المراغي (٣/١٥٤)، التفسير المنير للزحيلي (٣/٢٣٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٦/٣٦٤).

(٥) إلاّ ما حكاه أبو حيان في البحر المحيط (٢/٤٧٦) بقوله: « وظاهر قوله الملائكة أنه جمع من الملائكة، وقيل: المراد جبريل ومن معه من الملائكة ، لأنه نقل أنه لا ينزل لأمر إلاّ ومعه جماعة من الملائكة وقيل: جبريل وحده ».

(٦) سورة آل عمران: ٣٩.

(٧) انظر: جامع البيان (٦/٣٦٥).

المطلب الثاني: المراد بالكلمة التي بشرت بها مريم:

وصف الله ما بُشِّرت به مريمُ بأنه كلمة منه، ولم يبيّن ما هذه الكلمة، ففسّرها جمع من أهل العلم بآيات من القرآن الكريم، هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – بعدما أورد هذه الآيات الثلاثة-: « فهذه ثلاث آيات في القرآن تبين أنه قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ **وهذا تفسير كونه كلمة منه** »[4].

وقال الشيخ المراغي[5] رحمه الله: « وقوله: بكلمة من اللّه أي بكلمة التكوين المعبر عنها بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[6] »[7].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ الآية، لم يبين هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى؛ لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه، ولكنه بين في موضع آخر أما أنها لفظة كن، وذلك في قوله: ... »[8] وذكر الآية الأولى.

وفسّر هذه الكلمة بقولة: " كن فيكون " جمع غفير من أهل العلم، وإن لم يشر بعضهم إلى الآيات المذكورة[9].

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ٤٧.

(٣) سورة مريم: ٣٤ – ٣٥

(٤) الجواب الصحيح (٦٤/٤)، دقائق التفسير (٣٢٤/١-٣٢٥).

(٥) المراغي هو: أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، توفي سنة (١٣٧١هـ)، انظر: الأعلام (٢٥٨/١)، معجم المفسرين (٦٣٩/٢) لعادل نويهض، ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

(٦) سورة يس: ٨٢.

(٧) تفسير المراغي (١٥٤/٣)، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٣٩٠هـ.

(٨) أضواء البيان (٣٢٨/٤-٣٢٩).

(٩) انظر: التفسير الكبير (٩٢/١١)، البحر المحيط (٤٨٠/٢)، تفسير القرآن العظيم (٤٣/٢)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤٠١/٢٣)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (٧٧٧/١)، اللباب في علوم الكتاب (٢٢١/٥)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ٨٥)، التفسير المنير للزحيلي (٢٣٠/٣).

بل روي ذلك عن قتادة كما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٤١١/٦) من طريق معمر.

وجه البيان: واضح من كلام الشيخ الأمين الشنقيطي؛ فالله لم يبيّن الكلمة التي أطلقت على عيسى عندما بشّرت به أمه، وبيّنت الآيات الأخرى تلك الكلمة بأنها كلمة الله عند خلق عيسى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ **فتفسّر الكلمة المجملة هنا بذلك،** وسمي عيسى كلمة الله لأنه كان عن كلمته هذه التي هي السبب في وجوده، إطلاقاً للسبب وإرادة مسببه[1].

الأقوال الأخرى في المراد بالكلمة التي بَشَّر الله بها مريم:

١- أنّ معنى الكلمة: رسالة من الله وخبر من عنده، من قول القائل:"ألقى فلان إلي كلمة سرني بها"، بمعنى: أخبرني خبرا فرحت به، والمراد بذلك الخبر: بشارة الملائكة مريم بعيسى، وهذا قول أبي عبيدة[2]، واختاره الطبري[3].

٢- أن الكلمة اسم لعيسى سماه الله بها، كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء، وهذا قول ابن عباس[4].

٣- فسر بعض المفسرين الكلمة بالولد والابن[5].

الترجيح:

الذي يظهر رجحانه من هذه الأقوال هو القول الأول: تفسير الكلمة بقول الله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، كما صرّحت بذلك الآيات الأخرى، وهو قول جمهور المفسرين، والله تعالى أعلم.

وبه يصحّ تفسير الكلمة التي أطلقت على عيسى عليه السلام لأنها السبب في وجوده بكلمة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، لتصريح الآيات القرآنية بأنه عليه السلام خُلِقَ بتلك الكلمة.

◈◈◈✽✽✽

---

(١) كما ذكره الشنقيطي في كلامه، ونصّ عليه غير واحد، انظر: البحر المحيط (٢/٤٨٠)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/٧٧٧)، اللباب في علوم الكتاب (٥/٢٢١).

وخُصَّ عيسى عليه السلام بهذا الاسم دون غيره - مع كون كل مخلوق وجد حدوثه بواسطة الكلمة لقوله تعالى:﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢ -؛ لكون حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة أخرى. انظر: لباب التأويل في معاني التتريل (١/٣٤٧-٣٤٨).

(٢) في مجاز القرآن (١/٩٣).

(٣) في جامع البيان (٦/٤١٢).

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٦/٤١١)، وابن أبي حاتم (٢/٦٥١) في تفسيره، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٠٠) من طريق سماك بن حرب عن عكرمة.

(٥) كما اقتصر عليه الشربيني في السراج المنير (١/١٧٦)، والجلال في تفسير الجلالين (صـ ٦٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ آل عمران: ٤٦

هذه من الصفات التي وصف الله بها عيسى عليه السلام عندما بشّر به أمه مريم، فذكر أنه عليه السلام يكلم الناس صبياً وهو في المهد آية من الله وبراءة لوالدته مما رميت به، كما يكلمهم بعد كبره بما فيه صلاحهم وفلاحهم برسالة الله إلى خلقه، كما أنه من عباد الله الذين منّ الله عليهم بالصلاح[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أخبر الله في هذه الآية أنّ عيسى سيكلم الناس في المهد، ولم يبيّن هنا ما الكلام الذي تكلم به في المهد، ففسّره جماعة من المفسرين بما جاء في سورة مريم من قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[2].

قال الإمام الرازي رحمه الله: « أما كلام عيسى في المهد فهو قوله ...»[3]، وذكر الآية.

وقال الخازن رحمه الله: « والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله: ...»، وذكر الآية[4].

وذكر هذا جمع من المفسرين[5].

ووجه البيان: واضح وبيّن؛ فما ذكر – على لسان عيسى – في آيات سورة مريم حينما أتت به أمه قومها تحمله، هو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ مجملاً؛ **فيحمل المجمل على المبيّن**، فيكون ما كلّم الناس به في المهد: نبوتُه وما أمره الله به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة البر بوالدته، والإشارة إلى براءتها من الزنا. والله أعلم.

◈◈◈✽✽✽

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٣١).

(٢) سورة مريم: ٣٠ – ٣٣.

(٣) التفسير الكبير (١٠٤/١٢).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٤٨/١).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٣١٩/١)، معالم التنزيل (٣٨/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٢٣١/٥)، السراج المنير (١٧٧/١)، اللباب في علوم الكتاب (٢٣١/٥)، أضواء البيان (٣٢٩/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠٨/٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ آل عمران: ٥٤

هذا خبر من الله عن عمّن أحسّ عيسى منهم الكفر من بني إسرائيل، أنهم مكروا بإرادة قتله، فمكر الله بهم جزاء وفاقاً، وردّ كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان[٢]: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، ومذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح[٣].

ولم يبيّن هنا ما مكر اليهود بعيسى ولا مكر الله باليهود، ففسّره العلامة الشنقيطي[٤] بآيات من القرآن الكريم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[٥].

فمكر اليهود بعيسى: محاولتهم قتله كما هو مبيّن في قوله تعالى عنهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

ومكر الله باليهود: إلقاؤه الشبه على غير عيسى وإنجاؤه عيسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٣٢).

(٢) وبهذا التقسيم لا يكون هناك حاجة إلى ما ذهب إليه جمع من المفسرين من أنّ مكر الله ليس على حقيقته، وإنما هو مجاز عن العقوبة؛ لأنه سبب لها، أو أنه من مجاز المقابلة.

فالصحيح أنّ ذلك حقيقة على بابه، وصرفه عن حقيقته إلى المجاز لا دليل عليه، فإن المكر: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح وهو إيصال ذلك عمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له، فالأول مذموم والثاني ممدوح، والرب إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة. انظر: مجموع الفتاوى (١١١/٧)، إعلام الموقعين (٢١٨/٣)، (٣٦٨/٣).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (٣٨١/٢). وأصل المكر: الخديعة والاحتيال، وقيل الاحتيال في خفية. مقاييس اللغة (٣٤٥/٥)، تاج العروس (١٤٧/١٤).

(٤) في أضواء البيان (٣٣٠/١).

(٥) سورة النساء: ١٥٧ - ١٥٨.

ووجه البيان: واضح – كما سبق – فقد أجمل الله هنا مكر اليهود بعيسى ومكره بهم، وما ورد في الآية المذكورة من اليهود من محاولة قتله، والقيام على ذلك مكر منهم، فمكر الله بهم بما فعل بهم من إلقاء شبه عيسى على غيره وإنجائه.

ومضمون ما جاء في هذه الآية المفسِّرة هو ما فسّر به جمهور العلماء مكر اليهود ومكر الله هنا.

قال الطبري رحمه الله: « وكان مكرهم الذي وصفهم الله به، مواطأة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى وقتله، وأما مكر الله بهم: فإنه – فيما ذكر السدي – إلقاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك »[1].

◈◈◈✹✹✹

(١) جامع البيان (٦/٤٥٣-٤٥٤)، وانظر مثله في: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٧٢) تفسير السمعاني (١/٣٢٣) الكشاف (١/٣٩٣)، معالم التنزيل (٢/٤٤) الجامع لأحكام القرآن (٤/٩٨)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٣٥٥)، الجواهر الحسان (١/٢٧١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

في هذه الآية الكريمة يكذّب الله أهل الكتاب الذين يعظمون عيسى والعزير تعظيم عبادة، فأخبر ﷻ أنه لا يصح لبشر امتن الله عليه بإنزال الكتاب، والهداية إلى الحكمة والصواب، وإيتائه النبوة والرسالة، ثم يطلب من الناس أن يعبدوه وحده، أو يعبدوه مع الله، فهذا هو الشرك بعينه، ولكن يقول: كونوا أيها الناس ربانيين[١]، أي يدعوهم إلى العلم بالله، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه، وأئمةً في طاعته وعبادته، بكونهم معلّمي الناس الكتاب، وبكونهم دارِسيه[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج ابن جرير الطبري[٣] رحمه الله عن عبد الرحمن ابن زيد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾، قال: « الربانيون: الذين يربُّون الناس، ولاة هذا الأمر، يربُّونهم: يلونهم، وقرأ: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾[٤]، قال: الربانيون: الولاة، والأحبار العلماء».

---

(١) انظر: التفسير الوسيط (٢٠٧/١)، التفسير المنير (٢٧٥/٣) للزحيلي.

(٢) جامع البيان (٥٣٨/٦) (بتصرف).

(٣) في جامع البيان (٥٤٣/٦)، وأخرجه السيوطي في الدر (٦٤٤/٣) معزواً إليه.

(٤) سورة المائدة: ٦٣.

وجه الارتباط والشبه بين الآيتين:

يمكن أن يكون وجه استشهاد ابن زيد بهذه الآية[1] على ما ذهب إليه في تفسير الربانيين بالولاة، أنّ آية المائدة عُطِفَ فيها الأحبار إلى الربانيين، والأحبار جمع حبر، وهو العالم، فيكون الربانيون غيرهم[2]، وهم الولاة؛ إذ العطف يقتضي المغايرة[3].

وهذا من باب الاستشهاد على التفسير الذي اختاره المفسّر، ومن باب جمع موارد اللفظة القرآنية والاستشهاد ببعضها على تفسير الأخرى لنكتة أو سياق في الأولى كما هنا.

وقد ورد عن المفسرون – في تفسير الربانيين – أقوال متنوعة[4]:

فقيل إنهم الفقهاء العلماء، وقيل: الحكماء العلماء، وقيل: الحكماء الأتقياء، وقيل غير ذلك، وكلها أقوال متقاربة، تدخل في معنى الرباني؛ الذي يَربُّ الناسَ ويُصْلح أمورهم[5].

---

(١) هذا الذي ظهر لي من وجه الارتباط بين الآيتين من تفسير ابن زيد واستشهاده بالآية عليه، وإن لم يكن هذا فليس – والله أعلم – إلا من قبيل الجمع بين الآيات المتشابهات أو جمع موارد اللفظة القرآنية.

(٢) وهذا – التفريق بين الأحبار والربانيين – مذهب جماعة من المفسرين، وإن اختلفوا في تفسير الربانيين، قال مجاهد: الربانيون: الفقهاء العلماء، وهم فوق الأحبار، وقال السدي: الربانيون العلماء والأحبار القراء، ويرى ابن زيد أنهم الولاة، وقريب منه ما ذهب إليه الطبري والنحاس وابن كثير إلا أنهم يرون أنّ الربانيين هم الجامعُون إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم. جامع البيان (٥٤٤/٦)، معاني القرآن للنحاس (٤٢٩/١)، تفسير القرآن العظيم (١٤٤/٣).

وذهب أكثر المفسّرين – كما ذكر ذلك ابن الجوزي وغيره – إلى أنّ الأحبار والربانيين واحد، ولا فرق بينهما، وهو قول ابن قتيبة كما في غريب القرآن له (١٤٣/١) ، والزجاج. انظر: زاد المسير (٣٦٤/٢)، البحر المحيط (٥٠٣/٣)

(٣) ذكر هذه القاعدة وأقرها جمع من أهل العلم، انظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/٧)، تاج العروس من جواهر القاموس (٤٥٦/٤٠ –٤٥٩)، فتح الباري (٢٤٣/٥)، الفصول المفيدة في الواو المزيدة (صـ١٤٢)، لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي الشافعي، دار البشير – عمان، ط١، ١٩٩٠م، ت: د. حسن موسى الشاعر.

(٤) انظر: الكشف والبيان (١٠٢/٣)، زاد المسير (٤١٣/١)، معاني القرآن (٤٢٨/١-٤٢٩)، تفسير القرطبي (١٢٢/٤)، التفسير الكبير (٩٨/٨)، البحر المحيط (٥٢٩/٢-٥٣٠)، النكت والعيون (٤٠٥/١).

(٥) انظر: جامع البيان (٥٤٣/٦)، المحرر الوجيز (٤٧٩/١)، البحر المحيط (٥٣٠/٢)، روح المعاني (٢٠٨/٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ آل عمران: ٨٣

الطوع: الانقياد والاتباع بسهولة، والكره: ما كان بمشقة وإباءٍ من النفس[١].

وقوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدران في موضع الحال، أي طائعين ومكرهين[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخبر الله في هذه الآية أنه استسلم له جميع من في السماوات والأرض[٣] فبعضهم أسلم طوعاً، وبعضهم كرهاً[٤].

أما إسلام من في السموات فطوع صرف؛ إذ هم خالون من الشهوات الداعية إلى المخالفة[٥].

وأما إسلام المؤمنين في الأرض لله طائعين أو كارهين فلا خلاف في ذلك[٦].

وأما إسلام الكفار فلا يكون إلا كرهاً، وهو الذي اختلف فيه المفسّرون، وحملوه على آيات من القرآن الكريم على النحو التالي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٧].

---

(١) الكشف والبيان (١٠٦/٣)، معالم التنزيل (٦٣/٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٢٧/٤-١٢٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن(١٢٨/٤)، البحر المحيط (٥٣٨/٢)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١٣٥٥/١)، التبيان في إعراب القرآن (٢٧٧/١)، مشكل إعراب القرآن لمكي أبي طالب (١٦٧/١).

(٣) قال ابن عطية: « و " أسلم " في هذه الآية بمعنى استسلم عند جمهور المفسرين » المحرر الوجيز (٤٨٤/١).

(٤) قال ابن عطية: « والمعنى في هذه الآية يفهم كل ناظر أن هذا القسم الذي هو الكره إنما هو في أهل الأرض خاصة » المصدر السابق.

(٥) البحر المحيط (٥٣٨/٢).

(٦) قال أبو حيان في البحر: « وإسلام من في الأرض، من كان منهم معصوماً كان طوعاً، ومن كان غير معصوم كان كرهاً، بمعنى أنه في مشقة، لأن التكاليف جاءت على مخالفة الشهوات النفسانية ».

(٧) سورة الرعد: ١٥.

فقد أخرج أئمة التفسير بسندهم عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي ابن أبي طلحة في قوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، قال: عبادهم لي أجمعين طوعًا وكرهًا، وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[(1)].

وجه الارتباط بين الآيتين: أنّ ابن عباس فسّر الإسلام هنا بمعناه الشّرعي، وهو عبادة الخلق لله تعالى، كما أخبر الله في الآية الأخرى عن سجود الجميع له، وهو السُّجود الشَّرعي لا اللُّغوي، فوجه الارتباط بين الآيتين إذاً التَّشابه بينهما في إرادة العبادة من الإسلام والسُّجود دون معناهما اللُّغوي العام.

الآية الثانية: قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾[(2)].

قال الثعلبي – بعدما حكى عن مجاهد قوله: طوعاً: ظل المؤمن وكرهاً: ظل الكافر[(3)]- « يدلّ عليه قوله: ... وذكر الآيتين »[(4)].

واستشهد بالآيتين أيضاً الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية[(5)].

ووجه البيان: أنّ القائلين بهذا القول حملوا إسلام الكافر كرهاً على ما صرّحت به الآيتان من سجود ظل الكفار لله وهم كارهون.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(6)].

فعن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، قال: « هو كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ »[(7)].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٥٦٨)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٧٦)، وقد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٩٦) دون ذكر الآية الثانية. وقد عزاه إليهم السيوطي في الدر المنثور (٣/٦٥٠).

(٢) سورة النحل: ٤٨.

(٣) وقد أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/٥٦٦) عن مجاهد من طرق متعددة.

(٤) الكشف والبيان (٣/١٠٦)، وذكر مثله ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٥/٣٦٧).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٦٩).

(٦) سورة لقمان: ٢٥، سورة الزمر: ٣٨.

(٧) أخرجه سفيان الثوري في تفسيره (١/٧٨) عن مجاهد من طريق ابن جريج، وأخرجه الطبري في جامع البيان (٦/٥٦٥) من طريق منصور عنه، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣/٦٥١) معزواً إلى عبد بن حميد وابن جرير. وزاد في آخره – بعد الاستشهاد بالآية الثانية -: « فذلك إسلامهم ».

ومثله ما حكى الثعلبي وغيره عن عكرمة قال: " طوعا " من أسلم من غير محاجة " وكرها " من اضطرته الحجة إلى التوحيد. ثم قال: يدل عليه قوله تعالى: ... وذكر الآيتين »[1].

ووجه الارتباط بين الآيتين: أنّ الله أخبر في الآية الثانية أنّ المشركين والكافرين يقرون بربوبيّة الله وأنّه خالق الكون وحده، وإن أشركوا معه في العبادة غيرَه، فذهب مجاهد إلى أنّ ذلك هو المراد بإسلام من أسلم لله كرهاً وهم الكفار، فإقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرهاً[2].

وروي هذا المعنى عن أبي العالية قال: « كل آدميّ قد أقرّ على نفسه بأن الله ربّي وأنا عبده، فمن أشرَكَ في عبادته فهذا الذي أسلم كَرْهًا، ومن أخلص له العبودة، فهو الذي أسلم طوعًا »[3]، وهو معنى قول مقاتل[4]، والشعبي[5].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[6].

قال الثعلبي – بعد ما حكى عن الشعبي أنّ إسلام الكفار لله كرهاً هو استعاذتهم به عند اضطرارهم –: « يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ »[7].

(١) الكشف والبيان (١٠٧/٣)، تفسير القرطبي (١٢٨/٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٥٦٥/٦)، المحرر الوجيز (٤٨٤/١).

(٣) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٥٦٥/٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٩٧/٢) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، وأورده السيوطي في الدر (٦٥١/٣) معزوا إليهما.

(٤) انظر: تفسيره (١٧٩/١).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٤٨٤/١).

(٦) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٧) الكشف والبيان (١٠٦/٣)، وذكر مثله البغوي في معالم التنزيل (٦٣/٢)، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٣٦٨/٥)

ووجه البيان: أنّ الآية الثانية – ومثيلاتها – أخبرت عن المشركين أنهم يخلصون الدين لله ويدعونه وحده عند الشدائد ونزول البلاء، فيكون ذلك هو المراد بإسلام من أسلم لله كرهاً في الآية الأولى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « والكافر إنما يخضع له عند رغبة ورهبة، فإذا زال عنه ذلك أعرض عن ربه، كما قال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾[1]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾[2] »[3].

وقال ابن رجب[4]: « وأما الكافر فإنه يضطر إلى الاستسلام عند الشدائد ونزول البلاء به كرهاً ثم يعود إلى شركه عند زوال ذلك كله كما أخبر الله عنهم بذلك في مواضع كثيرة من القرآن »[5].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[6].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾، قال: حين أخذ الميثاق[7].

---

(١) سورة يونس : ١٢.

(٢) سورة الإسراء : ٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/٣٠-٣٢).

(٤) هو: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي، عالم محدث فقيه، شيخ الحنابلة في عصره، له مصنفات عديدة، توفي سنة (٧٩٥هـ)، انظر ترجمته في: شذرات الذهب (٦/٣٣٩)، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٢/٤٧٤) لمحمد بن عبد الله بن حميد النجدي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ-ت: د.بكر أبو زيد و د.عبد الرحمن العثيمين.

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١/١٢٣)، للإمام: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي – الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ، ت: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

(٦) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٧) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٦/٥٦٥) من طريق الأعمش عن مجاهد.

وعن السدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾، قال: « وذلك حين يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ »[1].

ووجه الارتباط بين الآيتين على هذا القول: أنّ القائلين بهذا القول حملوا إسلام جميع الخلق لله على ما أخبر الله به في الآية الثانية من إقرار بني آدم بالربوبية له لما أخذ عليهم الميثاق، فالمؤمن – على هذا – أقرّ طوعاً، والكافر أقرّ كرهاً.

وقد ردّ جمعٌ من المحققين هذا القول؛ « لأنّ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ إنما هو في الإسلام الموجود منهم بعد خلقهم، و لم يقل الله أنهم حين العهد الأول أسلموا طوعاً وكرهاً، ويدلُّ على ذلك أنّ ذلك الإقرار الأول جعله الله عليهم حجة على من ينسه ولو كان فيهم كاره لقال لم أقر طوعا بل كرها فلا يقوم به عليه حجة[2].

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسرين في بيان وجه الإسلام كرهاً أقوال أخرى[3]:

١- أن المراد: إسلام من أسلم من الناس كرْهًا، حَذَر السيف على نفسه، وهذا قول الحسن[4]، ومطر الوراق[5]، وقول الكلبي[6] بمعناه[7].

---

(١) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٤٢/١٣)، وحكاه عنه غير واحد من العلماء.

(٢) شفاء العليل (صـ ٢٩٤)، أحكام أهل الذمة (٩٧/٥)، وانظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٣٠٣/٤) في الرد على أثر السدي.

(٣) انظر: جامع البيان (٥٦٧/٦)، المحرر الوجيز (٤٨٤/١)، زاد المسير (٤١٧/١)، النكت والعيون (٤٠٧/١).

(٤) فيما أخرجه الطبري (٥٦٧/٦) من طريق عباد بن منصور عنه.

(٥) فيما أخرجه الطبري (٥٦٧/٦) من طريق روح بن عطاء عنه.

ومطر الوراق هو: الإمام الزاهد الصادق، مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء الخراساني، نزيل البصرة ، السلمي مولاهم، سكن البصرة، كان من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك، وثقه كثيرون، وأخرج له مسلم والأربعة، توفي سنة (١٢٩هـ)، انظر: حلية الأولياء (٧٥/٣)، سير أعلام النبلاء (٤٥٢/٥).

(٦) هو: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرفض، توفي سنة (١٤٦هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣١٨/٦)، طبقات المفسرين للداودي (١٤٩/٢).

(٧) قال: « طوعاً: الذين ولدوا في الإسلام، وكرهاً: الذين أجبروا على الإسلام » الكشف والبيان (١٠٧/٣)، معالم التنزيل (٦٣/٢).

والآية – على هذا – ظاهرها العموم ومعناها الخصوص؛ إذ من أهـــل الأرض من لم يسلم طوعاً ولا كرهاً على هذا الحد[1].

٢- أن المراد: إسلام الكافر كرهاً عند الموت والمعاينة حيث لا ينفعه إسلام. وهذا قول قتادة[2].

قال ابن عطية: « ويلزم على هذا أنّ كلّ كافر يفعل ذلك، وهذا غير موجود إلا في أفراد »[3].

٣- أن المراد بالآية أن المسلمين ينقادون لله طوعاً فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرهاً فيما يخالف طباعهم من المرض والفقر والموت وأشباه ذلك، وأما الكافرون فهم ينقادون لله تعالى على كل حال كرهاً لأنهم لا ينقادون فيما يتعلق بالـــدين وفي غير ذلك مستسلمون له سبحانه كرهاً لأنه لا يمكنهم دفع قضائه وقدره[4].

الترجيح:

والراجح في تفسير إسلام الكفار لله كرهاً – والعلم عند الله – حمله على كلّ خضوع واستسلام منهم لله، ويدخل في ذلك ما أخبرت به الآيات المتقدمـــة مـــن استسلامهم لله عند الشدائد، ودعاؤهم إياه عند الاضطرار، وسجود ظلهم له، كما يدخل فيه: علمهم بحاجتهم وضرورتهم إلى الله، وخضوعهم واستسلامهم لما يجرى عليهم من أقداره ومشيئته[5].

النتيجة: صحة تفسير إسلام الكفار كرهاً بما تقدم في الآيات المتقدمة – إلاّ ما ضعف القول به –، مع أنّ بعض الآيات في ذلك أصرح وأبين من غيرها، والله أعلم.

◈◈◈✹✹✹

(١) المحرر الوجيز (٤٨٤/١).

(٢) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٥٦٧/٦) من طريق سعيد، ومن طريق معمر.

(٣) المحرر الوجيز (٤٨٤/١).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠٧/٨-١٠٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٤٤-٤٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ آل عمران: ٩٠

يقول تعالى متوعدًا ومتهدِّدًا لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفراً، واستمر عليه إلى الممات، بأنه لا يقبل لهم توبة عند مماتهم، وأولئك الذين ضلوا عن سواء السبيل(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد استُشْكِلَ قولُه تعالى: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؛ لأنّ مما قررت الشَّريعة ونصّت عليها الأدلّة القاطعة(٢) أنّ توبة كلّ كافر تقبل سواء كفر بعد إيمان وازداد كفراً أو كان كافراً من أوّل أمره(٣).

فحمله جمع من المفسّرين على آيات من القرآن الكريم:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٤).

قال الثعلبي رحمه الله: « قال الحسن وقتادة وعطاء: لن يقبل توبتهم لأنهم لا يؤمنون إلاّ عند حضور الموت، **قال الله تعالى:** ... وذكر الآية »(٥).

وقال البغوي رحمه الله « فإن قيل: قد وعد الله قبول توبة من تاب، فما معنى قوله: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ قيل: لن تُقبل توبتُهم إذا رجعوا في حال المعاينة كما قال: ... وذكر الآية »(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٧١).

(٢) كقوله في الآية التي قبل هذه الآية: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران: ٨٩، وقوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ الأنفال: ٣٨، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الشورى: ٢٥. وانظر غير هذه الآيات في دفع إيهام الاضطراب: (صــ٦٤).

(٣) المحرر الوجيز (١/٤٨٧) (بتصرف).

(٤) سورة النساء: ١٨.

(٥) الكشف والبيان (٣/١٠٩).

(٦) معالم التنزيل (٢/٦٥)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وقال الأكثرون كالحسن وقتادة وعطاء الخراساني والسّدي: لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت **فيكون هذا كقوله**: ... وذكر الآية »[1].

وذكر هذا جمع غفير من المفسّرين[2].

قال العلاّمة الشنقيطي – **مبيّناً في ذلك وجه البيان** -: « قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ قال بعض العلماء: يعني إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت فتابوا حينئذ، **وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى**: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾، **وقد تقرر في الأصول حمل المطلق على المقيد، ولا سيما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا** »[3].

فوجه البيان إذاً أنّ الآية الأولى أطلقت عدم قبول توبة الذين ارتدوا عن الإيمان وازدادوا كفراً، ولم تقيده بوقت ولا زمن، وأفادت الآية الثانية أنّ التّوبة لا تقبل من المسيئين عند معاينة الموت، « فالإطلاق الذي في الآية الأولى يقيّد بقيد تأخير التوبة إلى حضور الموت لوجوب حمل المطلق على المقيد »[4].

الآية الثانية: قوله تعالى: – في الآية التي بعدها -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[5].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/١٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١١٤/٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٤)، تفسير القرآن العظيم (٧١/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٧٧/١)، البحر المحيط (٥٤٢/٢)، اللباب في علوم الكتاب (٣٨٠/٥)، فتح القدير (٥٤١/١)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ٩٤)، ومثل به الدكتور مساعد الطيار في مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (صـ١٣٣) على الآية المقيدة لآية مطلقة.

(٣) أضواء البيان (٣٣٠/١-٣٣١).

(٤) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ٦٤).

(٥) سورة آل عمران: ٩١.

وفسّرها بها الإمام الشّوكاني رحمه الله حيث يقول: « والأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب فكأنّه عبَّر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة **وتكون الآية المذكورة بعد هذه الآية وهي قوله:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ **في حكم البيان لها** »[1].

وهذا – والعلم عند الله – مرجوح؛ لاختلاف دلالة الآيتين، فالأولى فيمن تاب وهو حيّ؛ لقوله تعالى: ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ ، والثانية في حكم من مات كافراً ولم يتب؛ لقوله: ﴿ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ والتوبة لا تكون من العبد إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة، فالآيتان في أمرين مختلفين، فكيف تكون الثانية في حكم البيان للأولى والحالة هذه ؟!.

ويدلّ على اختلاف الحكمين قوله تعالى في آية النساء المتقدّمة: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾؛ إذ جمعت بين الأمرين، ولأنْ تفيد كلٌّ من الآيتين معنىً جديداً أولى من اتحادهما في معنىً واحد؛ إذ التأسيس أولى من التأكيد[2].

والقول بأنّ المراد بالآية: لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر، مرويٌّ عن مجاهد، وهو قول الزمخشري[3].

الآية الثالثة: قوله تعالى – في آخر الآية نفسها –: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾

فقد أخرج الإمام الطبري[4] بسنده عن داود قال: سألت أبا العالية عن هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ، قال: « هم اليهود والنصارى والمجوس، أصابوا ذنوبًا في كفرهم، فأرادوا أن يتوبوا منها، ولن يتوبوا من الكفر، **ألا ترى أنه يقول:** ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ؟».

---

(١) فتح القدير (١/٥٤١-٥٤٢).

(٢) انظر: الكشاف (١/٤٠٩).

(٣) انظر: الكشاف (١/٤٠٩).

(٤) في جامع البيان (٦/٥٨٠).

وأخرج ابن المنذر[1] عن أبي العالية نحوه، وفيه: « فقال الله جل وعز: ﴿ لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ قال: « لو كانوا على هدى قبل توبتهم، ولكنهم على ضلالة ».

وقال النحاس: « فالمعنى أنهم أظهروا التوبة أيضاً وأضمروا خلاف ذلك، والدليل على ذلك قوله ﷻ ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ولو حققوا التوبة لما قيل لهم ضالون »[2].

وقال الشنقيطي – بعد حكاية هذا القول -: « ويدل على هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾؛ لأنه يدلُّ على أنَّ توبتَهم مع بقائهم على ارتكاب الضلال وعدم قبولها حينئذ ظاهر »[3].

ووجه الدلالة: أنّ قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ يدلّ على أنهم باقون مقيمون على ضلالهم، فيعلم أنهم لم يتوبوا عن ذلك الضلال، فيكون الذنب الذي تابوا منها وأخبر الله تعالى أنه لا تقبل منهم توبتهم عنه غير ذلك الضلال، وهي الذنوب التي ازدادوا بها كفراً، فهم تابوا من الذّنوب و لم يتوبوا من الشرك والضلال ولا يقبل الله من مشرك عملاً ما أقام على شركه وضلاله[4]، أو أنهم أظهروا التوبة وأضمروا خلافه[5].

وهذا من باب الاستدلال على قول يختاره المفسّر، وهو باب واسع.

وهذا القول هو الذي رجحه الطبري ونصره؛ لأنّ سياق الآيات في اليهود[6].

ولا أدري ماذا يكون محل جملة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[7] على هذا المعنى غير الحالية، وهو ما ضعفه أبو حيان، واستغربه السمين، فقال أبو حيان – بعد ما حكى

---

(١) في تفسيره (١/٢٨٢).

(٢) معاني القرآن (١/٤٣٦).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ٦٤)..

(٤) وهو قول أبي العالية، وما رجحه الطبري، انظر: جامع البيان (٦/٥٨٢).

(٥) وهو رأي النحاس.

(٦) انظر: جامع البيان (٦/٥٨١-٥٨٢).

(٧) فقد ذكر المعربون في هذه الجملة ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكونَ في محلِّ رفع عطفاً على خبر إنَّ، أي: إنّ الذي كفروا لن تُقْل توبتُهم وإنهم أولئك هم الضالون، الثاني: أن تُجْعَلَ معطوفة على الجملة المؤكدة بإن، وحينئذ فلا محلَّ لها من الإعرابِ لعطفِها على ما لا محلَّ له. الثالث: أن تكونَ الواو للحال، فالجملة بعدها نصب على الحَال. الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/١٣٦٤) اللباب في علوم الكتاب (٥/٣٨٠-٣٨١)

عن الراغب قولاً: أنّ الواو في: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، واو الحال، والمعنى: لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون، فالتوبة والضلال متنافيان لا يجتمعان -- « وينبو عن هذا المعنى هذا التركيب؛ إذ لو أريد هذا المعنى لم يؤت باسم الإشارة »[1].

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسرين أقوال أخرى في علة امتناع قبول توبتهم أهمها[2]:

١- أنه لن تقبل توبتهم لأنها توبة غير خالصة؛ إذ هم مرتدون، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم وفي ضمائرهم الكفر. حكي هذا عن ابن عباس.

٢- أنّ الآية نزلت في قوم بأعيانهم، ختم الله عليهم بالكفر جزاءً لجريمتهم ونكايتهم في الدين، والمعنى: لا توبة لهم، ولا يوفقوا للتوبة النّصوح حتى تقبل، فنفى القبول والمراد نفي التوبة كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾[3] أي لا شفاعة لها فتقبل، وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[4] أي لا شفاعة لهم أصلاً حتى تنفعهم[5]، ومال إلى هذا ابن عطية[6]، واقتصر عليه السعدي[7].

واستشهد له الشنقيطي[8] بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾[9]، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾

(١) البحر المحيط (٢/ ٥٤٣).

(٢) انظر: الكشف والبيان (١٠٩/٣)، النكت والعيون (٤٠٨/١)، المحرر الوجيز (٤٨٧/١)، التفسير الكبير (١١٤/٨-١١٥)، زاد المسير (٤١٩/١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/١٦)، البحر المحيط (٥٤٢/٢).

(٣) سورة البقرة: ٤٨.

(٤) سورة المدثر: ٤٨.

(٥) انظر: بحر العلوم (٢٥٤/١)، البحر المديد (٤٦٢/١)، دفع إيهام الاضطراب (١٨/١).

(٦) في المحرر الوجيز (٤٨٨/١) قال: « ولذلك بين حكم الذين يموتون كفارا بعقب الآية فبانت منزلة هؤلاء فكأنه أخبر عن هؤلاء المعينين أنهم يموتون كفارا ثم أخبر الناس عن حكم من يموت كافرا ».

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٣٧).

(٨) في أضواء البيان (٣٣١/١)، ودفع إيهام الاضطراب (صـ٦٦).

(٩) سورة النساء: ١٣٧.

يدل على أن عدم غفرانه لهم لعدم توفيقهم للتوبة والهدى ومثله: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾[1]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

٤- أنّ الآية نازلة فيمن تكررت منهم الردة من الإيمان إلى الكفر، فلا تقبل توبتهم؛ لفساد قلوبهم، وانطماس بصيرتهم واستيلاء الأهواء والمطامع على نفوسهم[3]، وهذا الذي اختاره القاسمي وسيد طنطاوي[4].

وهذا القول ضعيف، ولا تدلّ الآية عليه؛ إذ المراد به الثبات على الكفر حتى الموت، كما يدلّ لذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾.

والخلاف بين الفقهاء في قبول توبة من تكررت ردته أو قبول توبة الزنديق إنما هو في الحكم الظاهر، أما قبول الله تعالى لها في الباطن وغفرانه لمن تاب توبةً نصوحاً فلا خلاف فيه بين العلماء[5].

٥- أنّ الآية فيمن كفر مرةً أخْرَى بعد التوبة الأولى، فإن تلك التوبة الأولى التي تابوها قبل أن يكفروا لن تقبل منهم، وتصير كأن لم تكن، وحكى الرازي هذا القول عن القاضي والقفال وابنُ الأنباري، ومال إليه؛ لكونه جواباً مطرداً، سواء حُمِل اللفظُ على المعهود السابق أو على الاستغراق، أما غيرها من الوجوه فلا تتمشى إلا على حمله على المعهود السابق لا على الاستغراق[6].

---

(١) سورة النساء: ١٦٨.

(٢) سورة يونس: ٣٣..

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٦٦٩/١) (بتصرف).

(٤) انظر: المصدر السابق، ومحاسن التأويل (٣٩٩/٢).

(٥) انظر: المغني (٧٢/١٠)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٠/١٦)، دفع إيهام الاضطراب (صـ٧٢)، مجموع فتاوى ابن باز (٣٢٠/١٠-٣٢١).

(٦) انظر: التفسير الكبير (١١٥/٨).

وضعّف هذا القول الطبري[1]، وقال عنه الشنقيطي: « لا يخفى ضعف هذا القول وبعده عن ظاهر القرآن »[2].

الترجيح: الذي يظهر رجحانه من الأقوال في توجيه قوله تعالى: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ حمله على آية النساء المذكورة وتفسيره بها[3]؛ لصحة تفسير القرآن بالقرآن فيه؛ فهما من المطلق والمقيد، وقد اتحد السبب والحكم فيهما.

ولا يصح حمله على الآية التي بعدها لاختلاف دلالتهما؛ إذ هي تؤسس حكماً آخر في الذين ماتوا على الكفر، ولم ترد بياناً لسبب عدم قبول توبة التائبين،

أمّا قوله تعالى – في آخر الآية-: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ فإنه كلام مستأنف لبيان شدة ضلال هؤلاء الذين جاءهم النذير؛ فلم يتوبوا حتى حضرهم الموت، وليس لبيان سبب عدم قبول توبتهم وأنّهم تابوا وهم على الكفر والضلال؛ إذ يأباه سياق الكلام ورونق المعنى، كما تقدم، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈❋❋❋

(١) انظر: جامع البيان (٥٨٢/٦)

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب (صـ٦٦).

(٣) فيكون المراد لن تقبل توبتهم عند حضور الموت ومعاينته، وقد أنكر الإمام الطبري رحمه الله هذا القول وردّ عليه قائلاً: « فإن قال قائل: وما تُنكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال: "فلن تقبل توبته من كفره عند حضور أجله ...؟ قيل: أنكرنا ذلك، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة، وقد وعد الله عز وجل عبادَه قَبول التوبة منهم ما دامت أرواحُهم في أجسادهم، ولا خلاف بين جميع الحجة في أنّ كافرًا لو أسلم قبل خُرُوج نفسه بطرْفة عين، أنّ حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه، والموارثة، وسائر الأحكام غيرهما؛ فكان معلومًا بذلك أنّ توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام، ولا منزلةَ بين الموت والحياة، يجوزُ أن يقال:"لا يقبل الله فيها توبةَ الكافر". فإذْ صحّ أنها في حال حياته مقبولة، ولا سبيلَ بعد الممات إليها، بطل قولُ الذي زعم أنها غير مقبولة عند حُضُور الأجل »، جامع البيان (٥٨٢/٦-٥٨٣)، ولم أجد من علّق على قوله هذا، مع تصريح قوله تعالى في الآية المفسِّرة بذلك ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾.

والطبري هو القائل في تفسير الآية المفسِّرة: « يعني بذلك جل ثناؤه: وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصي الله، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾، يقول: إذا حشرج أحدهم بنفسه، وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه، قال – وقد غُلب على نفسه، وحيل بينه وبين فهمه، بشغله بكرب حشرجته وغرغرته – ﴿إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾، يقول: فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة، **لأنه قال ما قال في غير حال توبة**» جامع البيان (٩٨/٨)، فالله أعلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران: ١٠٢

قال العلاّمة السعدي رحمه الله: « هذا أمر من الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال صحته ونشاطه وإمكانه مداوماً لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة »[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد حمل جمع غفير من المفسّرين هذه الآية على قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(٢)] على أحد أوجه ثلاث:

الوجه الأول: نسخها بها:

فقد ذهب جماعة من السلف والخلف[(٣)] إلى أنّ الآية الثانية ناسخة للأولى، روي ذلك عن ابن مسعود[(٤)]، وسعيد بن جبير[(٥)]، وقتادة[(٦)]، والربيع بن أنس[(٧)]، والسدي[(٨)]، وعبد الرحمن بن زيد[(٩)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٤١).

(٢) سورة التغابن: ١٦.

(٣) قال الشنقيطي في أضواء البيان (١/٢٠٥): « أكثر العلماء على أنها منسوخة بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ».

(٤) أخرجه السيوطي عنه في الدر المنثور (٣/٧٠٦) معزواً إلى ابن مردويه.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٧٢٢)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٦٠) بسندهما عنه من طريق عطاء بن دينار، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٣/٧٠٦) معزوّاً إلى ابن أبي حاتم.

(٦) كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٦٨) عنه بأسانيد من طريق سعيد، ومن طريق همام، وبه أخرج ابن المنذر في تفسيره (١/٣١٧)، وأخرج عبد الرزاق الصنعاني نحوه في تفسيره (١/١٢٨) و(٣/٢٩٥) عن معمر عنه، وبه أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٥٩).

(٧) كما أخرج الطبري ذلك في جامع البيان (٧/٦٩) بسنده عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس.

(٨) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٧/٦٩) من طريق أسباط.

(٩) أخرج ذلك عنه الطبري في جامع البيان (٧/٦٩) من طريق ابن وهب.

قال ابن أبي حاتم: « وروي عن أبي العالية، وقتادة، ومقاتل بن حيان، والربيع بن أنس، والسدي إنها نسختها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ »[١].

وذهب إلى القول بالنسخ جمهور من المفسرين[٢]، ومن المؤلفين في الناسخ والمنسوخ[٣].

ووجه النسخ: أنّ آية آل عمران ورد فيها الأمر بغاية التقوى حتى لا يقع إخلال بشيء من الأشياء[٤]، ثم نسخ الله ذلك – تخفيفاً على عباده –بالأمر بتقواه قدر الاستطاعة والمقدرة.

الوجه الثاني: أنّ الآية الثانية مبيِّنة للأولى غير ناسخة لها:

فقد ذهب جمع غفير من العلماء إلى أنّ الآية الثانية ليست ناسخة للأولى، وإنما هي مفسّرة لها.

قال النحاس رحمه الله: « وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ **مبين لقوله:** ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ »[٥].

وقال ابن عطية رحمه الله: « وذهبت فرقة منهم أبو جعفر النحاس إلى أنه لا نسخ في الآيتين وأن قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ **مقصده** ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ولا يعقل أن يطيع أحد فوق طاقته واستطاعته **فهذه على هذا التأويل مبينة لتلك** »[٦].

وقال الإمام النووي[٧] رحمه الله: « والثاني وهو الصحيح أو الصواب وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة بل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ **مفسرة لها ومبينة للمراد بها** »[٨].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧٢٢/٣)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٨٧/٢).

(٢) كالثعلبي في الكشف والبيان (١٦١/٣)، (٣٣٠/٩)، والبغوي في معالم التنزيل (٧٧/٢)، (١٤٤/٨)، والواحدي في الوجيز (٢٢٥/١)، (١١٠٤/١)، وابن أبي زمنين في تفسيره (٤٤٩/١)، والجلالان في تفسيرهما (صـ٧٨)، (صـ٧٤٧).

(٣) كهبة الله المقري في الناسخ والمنسوخ (صـ٦٢)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ (صـ٣١)، والكرمي في الناسخ والمنسوخ (صـ٨١ ، ٢١٠).

(٤) انظر: انظر: المحرر الوجيز (٥٠٤/١)، البحر المحيط (٢٠/٣).

(٥) معاني القرآن (٤٥٢/١).

(٦) المحرر الوجيز (٢٩٥/٥).

(٧) هو: الإمام يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، محي الدين، أبو زكريا، صنّف التصانيف النافعة في الحديث والفقه وغيرها، كان إماماً، حافظاً، متقناً، بارعاً، توفي سنة (٦٧٦هـ).انظر: تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤)، الطبقات الكبرى للشافعية للسبكي (٣٩٥/٨).

(٨). شرح النووي على مسلم (١٠٢/٩).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: « ... والمعتقد إحكامها يرى أنّ حق تقاته أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته **فكان قوله تعالى:** ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ **مفسِّراً لـ** ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ **لا ناسخاً ولا مخصِّصاً** »(١).

وقال أبو إسحاق الشاطبي(٢) رحمه الله: « ... فصار معنى قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فيما استطعتم، وهو معنى قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾؛ فإنما أرادوا بالنسخ أن **إطلاق سورة آل عمران مقيدة بسورة التغابن** »(٣).

وقال القرطبي رحمه الله: « وقيل: إن قوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لهذه الآية؛ والمعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، وهذا أصوب؛ لأن النّسخ إنما يكون عند عدم الجمع والجمع ممكن فهو أولى »(٤).

وذكر هذا بالتصريح بالبيان أو التلويح به جمع غفير من العلماء(٥).

---

(١) زاد المسير (٤٣٢/١).

(٢) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد، أبو إسحاق اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية، كان إماماً محققاً أصولياً مفسراً فقيهاً، كان له القدم الراسخ في سائر الفنون، توفي في شعبان سنة (٧٩٠هـ).
انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ص٢٣١)، لمحمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ، معجم المؤلفين (٧٧/١).

(٣) الموافقات (٣٥٨/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥٧/٤)، ونقله عنه الشوكاني في فتح القدير (٥٥٤/١).

(٥) انظر: الكشاف (٤٢٢/١)، التفسير الكبير (١٤١/٨)، البحر المحيط (٢٠/٣)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠١/١٤) (٢٨٤/٢٨)، ومنهاج السنة النبوية (٢٩٠/٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٥٣/٤)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٩١/١)، فتح الباري لابن حجر (٣٣٩/٢٠)، روح المعاني (١٨/٤)، تفسير المنار (١٦/٤)، مناهل العرفان (١٨٨/٢)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٤٢٣١/١)، التفسير المنير للزحيلي (٢٧/٤)،
وقد حكاه الشنقيطي في أضواء البيان (٢٠٥/١)، ودفع إيهام الاضطراب (٢٠/١) قولاً لبعضهم، ولم يرجحه، بل كأنه لم يطمئنّ إليه.

ووجه البيان: ظاهر من النصوص المنقولة آنفاً عن العلماء، وأوضحها كلام الشاطبي، أنه من باب المطلق والمقيّد؛ إذ أطلق سبحانه الأمر بتقواه في الآية الأولى، وقيّد ذلك في الآية الثانية بقدر الاستطاعة، فيحمل المطلق على المقيّد.

الوجه الثالث: البيان بالتخصيص:

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنّ آية التغابن مخصِّصة لآية آل عمران، و لم أجد من ذكر ذلك غير الشَّيخ أبي بكر الجزائري – حفظه الله - حيث قال – عند تفسير الآية الأولى -: « وخصصتها آية التغابن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾؛ إذ لا تكليف مع العجز عن القيام به »[1].

وقال – عند تفسير الآية الثانية -: « هل هذه الآية مخصصة لآية آل عمران: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؟ هذا هو الظاهر؛ إذ من غير الممكن أن يتقى الله حق تقاته أي: تقواه الحقة »[2].

ووجه البيان - على هذا -: أنّ الشيخ يرى أنّ قوله تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ لفظ عمم الله فيه الأمر بالتقوى في جميع أحوال المرء، وخصص ذلك في الآية الثانية بحال استطاعته دون غيره.

ولعلّ القول بالتقييد أظهر كما سبق تقريره[3].

الترجيح:

والراجح – والعلم عند الله – هو الوجه الثاني (حمل ما أطلق في الآية الأولى على المقيّد في الآية الثانية)؛ فيكون المراد بتقوى الله حقّ تقاته: تقواه قدر الاستطاعة، وليست الثانية ناسخةً للأولى ولا مخصصةً لها.

ويمكن حمل ما ورد عن السّلف من القول بالنَّسخ على ذلك؛ إذ كانوا يستعملون لفظ النسخ – كما تقدّم – على كلّ ما فيه نوع رفع لحكم، من تخصيص

(١) نهر الخير حاشية للشيخ نفسه على تفسيره أيسر التفاسير (١/٣٥٤).

(٢) المصدر السابق (٥/٣٧٠)، وانظر نحوه أيضاً في (٣/٥٠٢).

(٣) وقد نفى بعض العلماء التخصيص، كما تقدم في كلام ابن الجوزي (صـ٥٩٦)، ومثله في لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٣٩١).

أو تقييد، أو بيان، أو غير ذلك[١]، أو يكون المراد بالنسخ: نسخ ما يفهمه بعض الناس من قوله ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ الأمر بما لا يستطيعه العبد[٢].

ولا يخالف هذا القول الراجح ما أخرجه الأئمة مسنداً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً[٣]: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، قال: أن يطاع فلا يُعصي، ويُذكر فلا يُنسى، ويشكر فلا يُكفر[٤].

وما أخرجوه مسنداً عن ابن عباس قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ، قال: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومةُ لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم[٥].

لأنّ كلّ ذلك بحسب الاستطاعة[٦]، ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/١٠١)، ومنهاج السنة النبوية (٥/٢٩٠).

(٢) انظر: المصادر السابقة بنفس الصفحات، و المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (١/٢٣).

(٣) وهو إسناد صحيح، ولا يصحّ مرفوعاً، انظر الكلام حول الرواية المرفوعة في: تفسير القرآن العظيم (٢/٨٧)، وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (١/٢١٠)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (١٤/٩٥٦).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٦٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٧٢٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/١٠٦)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/٢٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٣) (٣١٥٩) (دون قوله: وأن يشكر فلا يكفر) ثم قال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي.

قال أبو محمد ابن أبي حاتم: « وروى عن مرة الهمداني، والربيع بن خيثم، وعمرو بن ميمون، والحسن، وطاووس، وقتادة، وإبراهيم النخعي، وأبي سنان والسدي نحو ذلك ».

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٧٢٢) والنحاس في الناسخ والمنسوخ (١/٢٨٣)، وابن المنذر في تفسيره (١/٣١٨)، والقاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (١/٤١٣)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٦٢) وابن كثير في تفسيره (٢/٨٧) وعزاه السيوطي في الدر (٣/ ٧٠٧) إلى الأربع الأول.

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد ما حكى قول ابن مسعود -: « أي بحسب استطاعتكم ». مجموع الفتاوى (١١/٢٠٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١١٨

في هذه الآية الكريمة تحذير من الله لعباده المؤمنين عن ولاية الكفار واتخاذهم أخلاء وأصفياء باطلاعهم على شؤون المسلمين وأسرارهم، ثم ذكر ﷻ جملة من أوصاف هؤلاء الكفار التي توجب التنفير منهم؛ فهم لا يقصرون في مضرة المسلمين، ويتمنون الضرر عليهم في الدين والدنيا[١]، قد لاح على صَفَحات وجوههم، وفلتات[٢] ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل[٣].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد فسّرت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٤].

قال الإمام الرازي رحمه الله: « فإن قيل هذه الآية تقتضي المنع من مصاحبة الكفار على الإطلاق، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ ﴾ فكيف الجمع بينهما؟ قلنا لا شكَّ أن الخاص يقدم على العام »[٥].

وقال الشيخ الزحيلي: « وهذا النهي المطلق الذي له أمثال كثيرة في القرآن الكريم، **يوضحه ويقيده آيتا الممتحنة** ... وذكر الآيتين »[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان (١٣٨/٧)، البحر المديد (٤٩١/١-٤٩٢)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٧١٨/١).

(٢) الفلتات: الهفوات والزلات، وأصل الفلتة: الأمر يحدث من غير روية وإحكام. انظر: تاج العروس (٣٣/٥)، المعجم الوسيط (٦٩٩/٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٠٨/٢)

(٤) سورة الممتحنة ٨-٩.

(٥) التفسير الكبير (١٧٣/٨)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٤٨٨/٥)

(٦) التفسير المنير للزحيلي (٥٦/٤)، وانظر: تفسير المنار (٦٩/٤)، تفسير المراغى (٤٤/٤).

ووجه البيان: أنّ الله تعالى عمّ الحكم في النهي عن مصاحبة الكفار، ولم يخصّ منهم أحداً، وخصّ في آية سورة الممتحنة من الكفار الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم فهم لا حرج في برهم والإقساط إليهم.

فالآية مخصِّصة لعموم الأولى، أو مقيّدة لما أطلق فيها.

وقد ذكر بعض العلماء التخصيص في هذا المعنى لكن في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1].

قال العلامة جمال الدين القاسمي – في تفسير آيتي الممتحنة –: « هذا ترخيص من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، فهو في المعنى تخصيص لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ »[2].

وقال ابن عاشور: « ... وأياما كان فهذه الجملة قد أخرجت من حكم النهي القوم الذين لم يقاتلوا في الدين ولم يخرجوا المسلمين من ديارهم »[3].

وقد استشهد المفسرون – رحمهم الله تعالى – عند تفسير هذه الآية – بآيات عديدة أوردوها على سبيل الاستدلال والاحتجاج لأحد القولين في المراد بالذين نهى الله المؤمنين عن مخالطتهم واتخاذهم بطانة، وليس من باب تفسير القرآن بالقرآن.

١- فقد ذهب بعضهم إلى **أنّهم اليهود**، مستدلّين على ذلك بقوله تعالى – بعد الآية –: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾[4]، أي: تؤمنون بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، وهذا مناسب لليهود دون غيرهم،

---

(١) سورة الممتحنة: ١.

(٢) محاسن التأويل (٥٧٦٨/١٦)، طبعة: دار إحياء الكتب العربية، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٣٧٧هـ.

(٣) التحرير والتنوير (١٣٥/٢٨-١٣٦)، وانظر: كلام الشنقيطي في الجمع بين قوله تعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ – الدالة على أنّ الكافر إذا لم يقاتل المؤمن في الدين ولم يخرجه من داره لا يحرم بره والإقساط إليه –، والآيات الدالة على منع موالاة الكفار وموادهم مطلقا في دفع إيهام الاضطراب (صـ٣١٥).

(٤) سورة آل عمران: ١١٩.

كما قال تعالى عنـــهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

٢- كما ذهب بعضهم إلى أنهم **المنافقون**: فربما كان يغتر بعض المؤمنين بظـاهر أقوال المنافقين ويظنون أنهم صادقون فيفشون إليهم الأسرار، ويطلعونهم على الأحـوال الخفية(٢)، واستدلّوا على ذلك بقوله تعالى -في الآية بعدها-: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٣)؛ فهذا شـأن المنـافقين وصفتهم؛ في إظهار الإيمان والمودّة، وإبطان خلافه(٤)، كقوله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾(٥).

وردّ أصحاب القول الأول بأن ذلك صادر من اليهود أيضاً(٦)، كما في قولـه تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾(٧) ، ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٨).

وقد ذهب جمع من المفسّرين(٩) إلى القول بعموم الآية جميع أصناف الكفـار، واستدلّوا على ذلك بقوله تعالى – في الآية-: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

---

(١) سورة البقرة: ٩١.

(٢) التفسير الكبير (١٧٢/٨)، محاسن التأويل (٤٤٤/٢).

(٣) سورة آل عمران: ١١٩.

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤٦٦/١)، التفسير الكبير (١٧٢/٨)، تفسير القرآن العظيم (١٠٨/٢)، لباب التأويل في معاني التتريل (٤٠٩/١)، اللباب في علوم الكتاب (٤٩٢/٥)، محاسن التأويل (٤٤٤/٢)، التحرير والتنوير (١٩٩/٣)، زهـرة التفاسير (١٣٨٣/١).

(٥) سورة البقرة : ١٤.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١٨٩/١)، البحر المحيط (٤٣/٣)..

(٧) سورة المائدة: ٦١.

(٨) سورة آل عمران: ٧٢.

(٩) فرجحه الرازي في التفسير الكبير (١٧٢/٨)، وأبو السعود في تفسيره (٧٦/٢)، والآلوسي في روح المعـاني (٣٧/٤)، وهو معنى قول الفراء كما نقله عنه الشوكاني في فتح القدير (٥٦٦/١)، وقول الجلال المحلي في تفسير الجلالين (صـ٨٠)، وأبو زهرة في زهرة التفاسير (١٣٨٣/١).

بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك بالقول بشموله: أهل الأهواء أيضاً من الروافض والخوارج وغيرهـم، انظـر: التفسير المظهري (٥٧٧/١)

وأمّا ما ذكر من أوصاف خاصة بالمنافقين أو باليهود، فيمكن الإجابة على ذلك بما ذكره الرازي من « أنه ثبت في أصول الفقه: أنّ أول الآية إذا كان عامّاً وآخرها إذا كان خاصاً لم يكن خصوص آخر الآية مانعاً من عموم أولها »[1].

أو بما أجاب الشيخ محمد أبو زهرة من: أنّ النّهى عام، وقد ذكر التعليل خاصاً بالمنافقين، لأنهم الأقرب لئلا يعهد إليهم بخواص الأمور؛ إذ هم يعلنون الإسلام، ويبطنون غيره، فهم مظنة أن يخدع الحاكم فيهم، لا سيما إذا كان ممن لا يحسنون الحكم ولا معرفة المصلحة[2].

ويسهل الأمر إذا كان المراد المنافقون من اليهود، وهو الذي فهمه شيخ المفسرين ابن جرير من آثار السّلف فحكاها كلّها وكأنها قول واحد، فقال: «وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم »[3].

وعلى أية حال فإيراد هذه الآيات هنا – كما تقدم – من باب الاستدلال والاستشهاد، وهو أوسع من بيان القرآن بالقرآن.

وتفسير الآية بآية سورة الممتحنة صحيح؛ لأنها تخصص عموم الكفار الذين نهي عن موالاتهم بالذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم؛ فهم جائز موالاتهم والإحسان إليهم، فالحمد لله على تيسيره وسماحة دينه. والله تعالى أعلم.

❖❖❖✱✱

(١) التفسير الكبير (١٧٢/٨).

(٢) زهرة التفاسير (١٣٨٣/١) (بتصرف يسير).

(٣) جامع البيان (١٤٠/٧)، وقال ابن عاشور: « وهؤلاء هم المنافقون ... و وأكثرهم من اليهود ». التحرير والتنوير (١٩٩/٣)

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣

بعد ما نهى الله عباده المؤمنين عن أكل الربا، وحذّرهم من النّار التي أعدت للكافرين، ودعاهم إلى طاعته وطاعة رسوله؛ كي يُرْحَموا في دنياهم وأخراهم، أمرهم في هذه الآية بالمسارعة إلى شيئين:

أولهما: مغفرة ذنوبهم وذلك بالتوبة النصوح.

والثاني: دخول الجنة التي أحضرت وهيئت للمتقين، وذلك بالمسارعة إلى موجبات دخولها، وهي الإيمان والعمل الصالح[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، بقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢].

فقد وصف الله تعالى الجنة في الأولى بأن عرضها السموات والأرض، ومن البيّن أنّ نفس السموات والأرض لا تكون عرضاً للجنة[٣]؛ فحمله جمع من المفسّرين على التشبيه؛ لتصريح الآية الثانية بذلك.

قال الإمام الثعلبي رحمه الله: « ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي عرضها كعرض السماوات والأرض... **ودليل هذا التأويل قوله في سورة الحديد:** ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ »[٤].

وقال الإمام الزمخشري رحمه الله: « ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي عرضها كعرض السموات والأرض، كقوله: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ »[٥].

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (١/٣٧٨-٣٧٩) (بتصرف)، وانظر: في ظلال القرآن (١/٤٤٦).

(٢) سورة الحديد ٢١.

(٣) انظر: التفسير الكبير (٩/٥)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٢٥٨).

(٤) الكشف والبيان (٣/١٤٨)

(٥) الكشاف (١/٤٤٢)

وقال النيسابوري رحمه الله: « ومن البيّن أن نفس السموات لا تكون عرضاً للجنة؛ فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع آخر ﴿ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ »(1).

وذكر هذا جمع من المفسرين(2).

ووجه البيان: ما سبقت الإشارة إليه: أنّ الله وصف الجنّة في الآية المفسَّرة بأنّ عرضها السماوات والأرض، وصرّحت الآية المفسِّرة بالكاف التي للتشبيه، فشبهت عرض الجنة بعرض السماوات والأرض، فتحمل الأولى على ذلك التشبيه.

ولا خلاف بين المفسرين في هذا لظهوره ووضوحه، والعلم عند الله تعالى.

---

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٢٥٨).

(2) انظر: معالم التنزيل (٢/١٠٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٠٣-٢٠٤)، تفسير القرآن العظيم (٢/١١٧)، اللباب في علوم الكتاب (٥/٥٣٧)، فتح القدير (١/٥٧٤)، محاسن التأويل (٢/٤٦١)، التحرير والتنوير (٣/٢٢٠)، أضواء البيان (١/٣٣٧)، صفوة التفاسير (١/١٤٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٧٣٩).
وقد ذكره جمع من المفسرين – أيضاً – وإن لم يشيروا إلى آية سورة الحديد، انظر: جامع البيان (٧/٢٠٧)، المحرر الوجيز (١/٥٣٤)، البحر المحيط (٣/٦٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٩٢).

المطلب الثاني: بيان صفات المتقين الذين أعدّ الله لهم الجنة:

فقد بيّن الله المتقين الذين أعدّ لهم الجنّة بذكر أهم صفاهم في الآيتين اللتين بعدها بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[(١)].

قال الإمام ابن عطية رحمه الله: « ثم وصف تعالى المتقين الذين أعدت لهم الجنة بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ الآية »[(٢)].

وقال مكي بن أبي طالب رحمه الله: « هذه صفة المتقين الذين أعدت لهم الجنة ينفقون أموالهم ... »[(٣)].

فوصفهم الله بكثرة الإنفاق حال اليسر والعسر، والغنى والفقر، كما وصفهم بالحلم وكظم الغيظ، والعفو والصفح عمن ظلم، ثمّ وصفهم بملازمة ذكر الله، وعدم الغفلة، وبالمبادرة إلى التوبة والاستغفار عند صدور الذنوب منهم، وعدم الإصرار والمواظبة عليها.

وهذا ممّا اتصل به بيانه وتفسيره، ووجهه ظاهر جدّاً، ومثله لا يحتاج إلى تقرير.

وهذه الصفات وإن كانت ليست جماع التقوى، إلاّ أنّ اجتماعها في محل واحد مؤذن بأن المحل الموصوف بها قد استكمل ما به التقوى، وذلك هو مقاومة الشح المطاع، والهوى المتبع[(٤)].

وقد استشهد ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير هذه الآية (الآية المفسّرة) بآيات عديدة.

فقد أخرج الأئمة — رحمهم الله – عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ إلى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، فـ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[(٥)]، يغضبون في الأمر لو وقعوا به كان حرامًا، فيغفرون ويعفون، يلتمسون

(١) سورة آل عمران: ١٣٤ – ١٣٥، وانظر: ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم (صـ٥٤).

(٢) المحرر الوجيز (٥٣٦/١).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١٢٧/٢)، وانظر: بحر العلوم (٢٧٢/١)، تفسير القرآن العظيم (١١٩/٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢١/٣) (بتصرف يسير).

(٥) سورة الشورى: ٣٧.

بذلك وجه الله ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ كقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[(1)]، يقول: لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئًا واعفوا واصفحوا »[(2)].

وهذا – كما هو واضح – من جمع الآيات المتشابهة التي تكون في المعنى الواحد والموضوع الواحد، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈✸✸✸

(١) سورة النور: ٢٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٢١٦-٢١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٩) إليهما.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٥

في هذه الآية يخبر الله تعالى أنه لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي حددها الله له، فلا يتقدم عنه ولا يتأخر، وفي ذلك تشجيع للجبناء، وترغيب لهم في القتال؛ فإنّ الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، فكيف يسوغ الجبن والضعف ما دام العمر بيد الله، وانقضاؤه بمشيئة الله؟

ثم بيّن الله تعالى غاية البشر: وهي إما إرادة الدّنيا، وإما إرادة الآخرة.

فمن قصد بعمله التوصل للدّنيا فقط، ناله منها ما قدره الله له، ولم يكن له في الآخرة من نصيب، ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله من ثوابها وما قسم له من الدّنيا، والله يجزي الشاكرين الذين يعرفون نعم الله عليهم، ويستعملونها في الأعمال الصالحة[1].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أطلق الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ونظيرها[2]،أنه يؤتي من أراد ثواب الدنيا، ولم يقيّد ذلك بمشيئته، وقد جاءت آية من القرآن تفيد بأنّ الله يؤتي من أراد بعمله الدنيا ما أراده إذا شاء لمن شاء؛ فحمل جمع من المفسّرين هذه الآيات المطلقة على تلك الآية المقيّدة بشرط المشيئة، وفسّروها بها، ليكون من بيان القرآن بالقرآن.

قال الإمام الثعلبي رحمه الله: « وقال أهل المعاني: الآية مجملة ومعناها: نؤته من نشاء ما قدرناه له، دليله قوله عزّ وجلّ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[3] »[4].

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (١١٢/٤) (بتصرف واختصار)، وانظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد (٤٣٨/١).

(٢) سورة الإسراء: ١٨.

(٣) وهما آيتان: قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ هود: ١٥، وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى: ٢٠ ولهذا الشبه بينهما ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية (١٣٠/٢)، وذكر ثناء الله الهندي آية الشورى لذلك، انظر: تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٠٣).

(٤) الكشف والبيان (١٧٩/٣).

وقال الإمام ابن عطية رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ مشروط بالمشيئة أي نؤت من شئنا منها ما قدر له بين ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾»[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله – مبيّناً تقييدَ الآية المفسِّرة لما أطلق في الآية المفسَّرة ونظيراتها –: « ذهب أكثر العلماء إلى أنّ هذه الآية[2] مطلقة، وكذلك الآية التي في " الشورى " ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[3]، وكذلك: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ قيدها وفسّرها التي في (سبحان) ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ إلى قوله: ﴿مَحْظُورًا﴾[4]؛ فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد »[5].

وقال ابن جزي رحمه الله: « ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيد بالمشيئة بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ »[6].

وذكره جمع من المفسرين بين مصرّح بالبيان والتقييد وغير مصرّح بذلك[7].

وجه البيان: واضح وجليٌّ؛ وهو ما سبق التنويه له أنّ الله أطلق في هذه الآية ونظيراتها أنه يؤتي من أراد بعمله الدنيا، وقيَّد ذلك في الآية الأخرى بتقييدين[8]:

أحدهما: تقييد المعجل بمشيئته تعالى في قوله: ﴿مَا نَشَاءُ﴾.

---

(١) المحرر الوجيز (١/٥٤٦)

(٢) أي آية سورة هود.

(٣) سورة الشورى: ٢٠.

(٤) سورة الإسراء: ٢٠

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٩/١٤-١٥).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢١٦).

(٧) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (١/٩٩)، معالم التنزيل (٢/١١٥)، البحر المحيط (٣/٧٦)، تفسير القرآن العظيم (٢/١٣٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/٩٤)، الجواهر الحسان (١/٣١٧)، السراج المنير (١/٢٠٥)، روح المعاني (٤/٧٨)، تفسير المنار (٤/١٣٨)، التفسير الصحيح (١/٤٦٧).

(٨) انظر: الكشاف (٢/٦١٣)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٣٣٤)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٤٣٧)، البحر المديد (٤/١١٦)، التفسير الصحيح (٣/٤٥).

والثاني: تقييد المعجل له بإرادته في قوله: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾.

وتقييد الآيات المطلقة الواردة بهذا المعنى بآية الإسراء هذه بهذين التقييدين هو قول جمهور المفسّرين، ولا أعلم في ذلك خلافاً بينهم[1].

وما روي عن بعض السلف[2]، وذكره بعض المصنفين في الناسخ والمنسوخ[3] من أنّ آية آل عمران هذه أو إحدى نظيرتيها منسوخة بآية الإسراء المذكورة، فلا يصحّ؛ لكون الآيات من الأخبار وهي لا تدخلها النّسخ كما هو معروف[4]، إلا أن يكون المراد بالنّسخ معناه العام عند السلف -.

قال أبو جعفر النحاس: « محال أن يكون هاهنا نسخ؛ لأنه خبر، والنّسخ في الأخبار محال، لو جاز النّسخ فيها ما عرف حق من باطل، ولا صدق من كذب، ولبطلت المعاني، ولجاز لرجل أن يقول لقيت فلاناً ثم يقول نسخته ما لقيته »[5].

---

(١) فممن ذكر التقييد عند آية هود أو آية الشورى، أو آية الإسراء المقيِّدة ابن العربي في أحكام القرآن (١٤/٥)، (٢٦٢/٥)، وابن كثير في تفسيره (٥/ ٦٣)، (١٩٨/٧)، والشنقيطي في أضواء البيان (١٧٤/٢)، (٨٣/٣)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (١٩٠/٢)، الجواهر الحسان (٢٠٠/٢)، فتح القدير (٣١٠/٣)، التفسير المنير للزحيلي (٥٥/٢٥).

(٢) كالذي أخرجه النحاس في ناسخه (٥٣١/١) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنّ آية سورة هود نسخها آية الإسراء وانظر: الدر المنثور (٢٣/٨)، قال السيوطي « وأخرج أبو الشيخ عن السدي مثله ».

(٣) فذكر نسخ آية آل عمران بآية الإسراء هبة الله بن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (٦٣/١)، وحكاه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٢٦٤/١) عن السدي وردّه.

وذكر نسخ آية هود بها مقاتل بن سليمان في تفسيره (١١٢/٢)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ (٤١/١).

كما ذكر نسخ آية الشورى مقاتل بن سليمان في تفسيره (١٧٦/٣)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ (٥٤/١)، وابن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (١٥٥/١).

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٣١/١)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٣٣٦١/٥)، (٦٥٨١/١٠-٦٥٨٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/٩)، (١٩/١٦)، روح المعاني (٢٤/١٢)، بيان المعاني (١٠٤/٣).

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٥٣١/١)، وقد ردّ ابن الجوزي القول بنسخ هذه الآيات أو إحداها بالآية المذكورة في مواضع متفرقة من كتبه، انظر: زاد المسير (٤٧٠/١)، (٤/ ٨٤) نواسخ القرآن (٢٦٤/١)، (٤١٤/١)، المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ (٤٠/١)، (٥١/١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦

هذا تسلية للمؤمنين عما وقع بهم يوم أحد، وأنّه ابتلاء من الله جرت سنته به في عباده الصالحين، فكثير من النبيين قاتل معه جماعات كثيرون من أتباعهم، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك؛ فما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت عزائمهم ولا استسلموا للأعداء، ولا خضعوا للدنيا ومتاعها، ولا ولّوا الأدبار، بعد قتل نبيهم وكثير معه، بل ثبتوا وصبروا، وهذا حث للمؤمنين على الاقتداء بهم والفعل كفعلهم[(١)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في قوله تعالى: ﴿قَٰتَلَ﴾ قراءتان متواترتان[(٢)]:

فقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب " قُتِل " بضم القاف وكسر التاء بلا ألف (مبنياً للمفعول).

وقرأ الباقون " قاتل " بفتح القاف والتاء وألف بينهما بوزن فاعل (مبنيّاً للفاعل).

وعلى كلٍّ مِن القراءتين يصلح أن يسند الفعل إلى الضّمير (ضمير النبي)، فيكون صاحب الضمير هو الذي قُتِل، أو قاتل[(٣)].

كما يصلح أن يسند الفعل إلى ﴿رِبِّيُّونَ﴾ فلا يكون فيه ضمير، ويكون الربيون هم الذين قُتِلُوا أو قاتلوا[(٤)].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٥١)، التفسير المنير للزحيلي (١١٣/٤).

(٢) انظر: التيسير في القراءات السبع (صـ٧٠)، النشر في القراءات العشر (٢٤٢/٢)، حجة القراءات (صـ١٧٥)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (صـ٣٢٣).

(٣) ويكون قوله: معه ربيون محتملاً أن تكون جملة في موضع الحال، فيرتفع ربيون بالابتداء، والظرف قبله خبره، ولم يحتج إلى الواو لأجل الضمير في معه العائد على ذي الحال، ومحتملاً أن يرتفع ربيون على الفاعلية بالظرف، ويكون الظرف هو الواقع حالاً التقدير : كائناً معه ربيون ، وهذا هو الأحسن؛ لأن وقوع الحال مفرداً أحسن من وقوعه جملة. البحر المحيط (٧٨/٣).

(٤) البحر المحيط (٧٨/٣) (بتصرف واختصار)، وانظر: الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١٤٧٥/١)

فأما على قراءة ﴿قَٰتَلَ﴾ (المبني للفاعل) فلا إشكال؛ إذ المعنى واحد في الاحتمالين، فسواء قلنا: قاتل النبي ومعه ربيون، أو قاتل الربيون مع النبي فالمعنى واحد.

أما على قراءة " قُتِل " (المبني للمفعول) فيحتمل نائب الفاعل فيها أن يكون لفظة ربيون، كما يحتمل أن يكون ضميراً عائداً إلى النبي[1]، وبهذين الاحتمالين في نائب الفاعل المذكور يظهر أنّ في الآية إجمالاً[2].

فحمله بعض المفسّرين في كلّ احتمال من الاحتمالين على آيات من القرآن الكريم:

١- فعلى الاحتمال الأوّل حملت الآية على الآيات القرآنية الدالة على أنّ النبي المقاتل غير مغلوب بل هو غالب، كما صرح تعالى بذلك في قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3]، وبيّن تعالى أن المقتول ليس بغالب بل هو قسم مقابل للغالب بقوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]، فاتضح من هذه الآيات أن القتل ليس واقعاً على النبي المقاتل؛ لأن الله كتب وقضى له في أزله أنه غالب، وصرح بأنّ المقتول غير غالب[5].

وجه البيان: وقد بيّن العلامة الشنقيطي وجه بيان هذه الآيات لكون القتل واقعاً على الربيين دون النبي أجمل بيان، وملخصه:

---

(١) وحكى الثعلبي وغيره ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون القتل واقعاً على النبي وحده، وحينئذ يكون تمام الكلام عند قراءة (قتل) فيكون في الآية إضمار معناه ومعه ربّيون كثير } كما يقال : قتل الأمير معه جيش عظيم ، أي ومعه ، ويقول : خرجت معي تجارة ، أي ومعي .

الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومعه من الربيين، ويكون وجه الكلام: قتل بعض من كان معه، تقول العرب: قتلنا بني تميم وبني فلان، وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله:) فما وهنوا (راجعاً إلى الباقين الذين لم يقتلوا .

الثالث: أن يكون القتل للربيين لا غير. الكشف والبيان (١٨١/٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٣١/١)

ولا خلاف في ذلك مع ما ذكر أعلاه؛ إذ المراد هناك بيان من وقع عليه القتل، وهو احتمالان لا ثالث لهما.

(٢) أضواء البيان (٣٤٢) (بتصرف واختصار).

(٣) سورة المجادلة: ٢١.

(٤) سورة النساء: ٧٤.

(٥) أضواء البيان (٣٤٢) (بتصرف واختصار).

أنّ الله بيّن في الآية الأولى أن غلبة أنبيائه ورسله مكتوبة، وذلك من كلمات الله ولا مبدل لكلماته، وأكثر معاني الغلبة في القرآن هو الغلبة بالسيف[1]؛ فينافي ذلك القول بقتل الأنبياء؛ لأنّ الله جعل المقتول قسماً مقابلاً للغالب في الآية الثانية.

والقول بأن القتل واقع على الربيين هو قول: جماعة من المفسّرين.

فروي عن سعيد ابن جبير أنه كان يقول: « ما سمعنا قط أن نبيًا قتل في القتال »[2].

وحكي عن الحسن قوله: « ما قتل نبي في حرب قط »[3].

وهو قول ابن جني[4]، والزمخشري[5]، والبيضاوي[6]، ومال إليه الألوسي[7]، وأيّدوا ذلك بقراءة " قتل " بالتشديد[8]؛ وذلك لما في التّضعيف من الدلالة على التكثير، وهو ينافي إسناده إلى الواحد؛ فيقتضي أنّ القتل واقع على الربيين[9].

٢- أما على الاحتمال الثاني فحملت الآية على الآيات القرآنية المصرّحة بقتل بعض الرسل كقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[10]، وقوله: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[11]، [12].

---

(١) وقد ذكر الشيخ هنا آيات كثيرة في ذلك انظرها في المصدر السابق.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٧٧/١) من طريق خصيف عنه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٤/٤) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) انظر: النكت والعيون (٤٢٨/١)، المحرر الوجيز (٥٤٨/١)، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/٤).

(٤) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١٧٢/١) لأبي الفتح عثمان بن جني — ت: جماعة، طبع: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة — ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

وابن جني هو: عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب واللغة، استوطن بغداد ودرس بها العلم إلى أن مات سنة (٣٧٢ هـ). انظر: معجم الأدباء (٤٦١/٣)، تاريخ العلماء النحويين (صـ٢٤).

(٥) في: الكشاف (٤٥١/١).

(٦) في: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٠٠/٢).

(٧) في: روح المعاني (٨٣/٤).

(٨) وهي قراءة شاذة، نسبه ابن جني في المحتسب (١٧٢/١) إلى قتادة.

(٩) انظر: المصادر السابقة.

(١٠) سورة البقرة: ٨٧.

(١١) سورة آل عمران: ١٨٣.

(١٢) انظر: أضواء البيان ، وحكاه عن الفريق الآخر، و لم أجد من استشهد بها على هذا القول، فلعل الشيخ أوردها نزولاً على رأي الخصم بإيراد أدلته وحججه ثم الرد عليها.

ووجه البيان – على هذا -: أنّ قوله تعالى: { وكأين من نبي قُتِل معه ربيون} لما احتمل القتل فيه أن يكون واقعاً على النبيّ، أو على الربيين، ودلّت هذه الآيات على أنّ بني إسرائيل قتلت فريقاً من أنبيائها، حمل القتل هنا على الأنبياء لتصريح هذه الآيات بذلك.

واختار القول بوقوع القتل على النبي من المفسرين الإمام الطبري(١)، وقال ابن عطية « وترجيح الطبري حسن»(٢)، وكذا نقل الحافظ ابن كثير ترجيح الطبري و لم يعقب(٣)، كما رجّح هذا القول القرطبي(٤)، وغيره.

واستدلّوا(٥) بأنّ القصة سببها غزوة أحد، وتخاذل بعض المؤمنين حين سمعوا الصائح يصيح: قتل محمد ﷺ؛ فعاتبهم الله تعالى بهذه الآيات والتي قبلها، وعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال، ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾(٦).

كما استدلّ بعضهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا﴾؛ إذ يدل على أن الربيين لم يقتلوا؛ لأنهم لو قتلوا لما قال ذلك عنهم.

وقد أجاب العلامة الشنقيطي على هذه الحجج وإيراد الآيات السابقة لتأييد هذا القول بأجوبة وافية(٧).

وعلى أية حال، فليست الآيات المذكورة في كل من القولين مفسّرة للآية، وإنما أوردها من أوردها استدلالاً واحتجاجاً بها في تقوية ما ذهب إليه، وتضعيف القول الآخر، ولو كانت مبيّنة للآية لما وقع الخلاف الشديد فيها، والخلاف في وجه الاستدلال ودلالته، أكثر منه في وجه البيان والتفسير، والله تعالى أعلم.

---

(١) في جامع البيان (٢٦٤/٧).

(٢) المحرر الوجيز (٥٤٩/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٣٠/٢).

(٤) في الجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/٤) واختار: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين، أي بعضهم كما تقدّم.

(٥) انظر: جامع البيان (٢٦٤/٧-٢٦٥)، المحرر الوجيز (٥٤٩/١)، البحر المحيط (٧٨/٣-٧٩)، تفسير القرآن العظيم (١٣٠/٢)، حجة القراءات (١٧٥/١).

(٦) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٧) انظرها في: أضواء البيان (٣٤٦/١-٣٤٨)، وفي: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ٢٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٣

بعد ما أخبر الله تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط لربه، بين أن هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب أعمالهم[1].

فلمن اتبع رضوان الله، الكرامةُ والثواب الجزيل، ولمن باء بسخط من الله، المهانةُ والعقاب الأليم[2].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ على قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال: ٤.

فقد رُوِيَ عن مجاهد من طريق صحيح في قوله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾، قال: «هي **كقوله**: { لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ }[3] »[4].

وروي عن السُّدي قوله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يقول: لهم درجات عند الله[5].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٥٥).

(٢) جامع البيان (٣٦٧/٧).

(٣) هكذا ورد في تفسير مجاهد، وفي جامع البيان، والدر المنثور، ولفظ آية سورة الأنفال: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ مع أنهم جعلوا النص في جامع البيان بين قوسين، دون إحالة إلى اسم السورة ورقم الآية (في طبعة مكتبة ابن تيمية، بتحقيق وتعليق محمود شاكر، وتخريج ومراجعة أحمد شاكر)، أما في طبعة مركز هجر، بتحقيق التركي، وطبعة دار إحياء التراث فلم يجعل النص بين قوسين، وكذلك في تفسير مجاهد.

أما في الدر المنثور – في طبعة مركز هجر، بتحقيق التركي – فلم يجعل بين قوسين، بينما جعل بين قوسين في طبعة دار إحياء التراث وأحيل إلى اسم السورة ورقم الآية.

وعلى أيّ حال فمراد مجاهد – والله أعلم – تشبيه هذه الآية بآية الأنفال، كما يدلّ لذلك لفظ الأثر، ويشهد له لفظ رواية ابن المنذر، وما أورده الشيخ حكمت في التفسير الصحيح – الآتي في الحاشية التالية – ، ولا أدري إن كان الخطأ في لفظ الآية من مجاهد أو ممن بعده.

(٤) تفسير مجاهد (١٣٨/١-١٣٩)، وأخرجه الطبري في جامع البيان (٣٦٧/٧) من طريق ابن أبي نجيح، وابن المنذر في تفسيره (٤٧٦/٢) من طريق ابن جريج، ولفظه: « هي مثل قوله: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ »، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٤/٤) معزواً إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وذكره الشيخ حكمت بشير في التفسير الصحيح (٤٧٨/١).

(٥) كما أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (٣٦٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٠٧/٣) من طريق أسباط، =

وذكر مثله أبو عبيدة[١]، والإمام البخاري[٢].

قال أحد شراح الصحيح: « قوله: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ لهم درجات؛ **فسّر قوله** ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ **بقوله:** ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ أي لهم منازل »[٣].

ووجه البيان والارتباط بين الآيتين:

أنّ قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾: متبدأٌ وخبرٌ، وفي الإخبار بالدرجات عن (هم) إشكال؛ لأنّ الإنسان غير الدرجة[٤]؛ فحمله هؤلاء المفسّرون على الآية الأخرى المصرِّحة بأنّ الدرجات لهم، فحذف لام الجر.

ولدراسة هذا مسألتان، يتبيّن من خلالهما صحة حمل الآيتين بعضهما على بعض أو علم صحته:

المسألة الأولى: هل يلزم من حمل الآية على الآية المذكورة القول بتقدير اللام.

فإنّ المتبادر إلى الذهن من تشبيه هذه الآية بالآية المذكورة أنّ حرف الجر (اللام المقدّر) محذوف، وهذا الذي فهمه جماعة من العلماء، كالزجاج؛ قال: «وقدره البخاري لهم درجات، **على نزع الخافض** »[٥].

وقال الرازي: « تقدير الكلام: لهم درجات عند الله، إلا أنه **حسن هذا الحذف**؛ لأنّ اختلاف أعمالهم قد صيرهم بمترلة الأشياء المختلفة في ذواتها »[٦].

وقد خطّأ بعض العلماء الرازي على هذا القول وردّوا عليه ردّاً عنيفاً.

=

وأخرجه السيوطي في الدر (١٠٤/٤) دون قوله: « عند الله » وعزاه إليهما.

ولا يفهم منه أنه يريد تشبيه الآيتين بعضهما ببعض ولذا لم يجعل النص بين قوسين، ولم يحل إلى اسم سورة ولا رقم آية، بل جاء – كما سبق – عند السيوطي قوله: « لهم درجات » دون قوله: « عند الله ».

(١) في مجاز القرآن (١٠٧/١)، قال: « معناها: لهم درجات عند الله، كقولك : هم طبقات »، وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٤٧٦/٢) عن أبي عبيدة من طريق الأثرم، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٣٧٦/٨).

(٢) في صحيحه (١٠٢٧/٣)، قال: { هم درجات } لهم درجات.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨٠/٢١).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٣٠/٦)، تلخيص البيان في مجازات القرآن (١٢٦/٢)

(٥) إعراب القرآن للزجاج (١٤/١).

(٦) التفسير الكبير (٦١/٩-٦٢).

قال أبو حيان: « وقال الرازي: تقديره لهم درجات، قال بعض المصنفين راداً عليه: اتبع الرّازي في ذلك أكثر المفسرين بجهله وجهلهم بلسان العرب؛ لأن حذف لام الجر هنا لا مساغ له، لأنه إنما تحذف لام الجر في مواضع الضرورة، أو لكثرة الاستعمال، وهذا ليس من تلك المواضع، على أن المعنى دون حذفها حسن متمكن جداً، لأنه لما قال: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[1]، وكأنه منتظر للجواب قيل له في الجواب: لا، ليسوا سواء، بل هم درجات عندَ اللَّهِ على حسب أعمالهم، وهذا معنى صحيح لا يحتاج معه إلى تقدير حذف اللام، لو كان سائغاً كيف وهو غير سائغ، ويحمل تفسير ابن عباس والحسن أن المعنى: لكل درجات من الجنة والنار **على تفسير المعنى، لا تفسير اللفظ الإعرابي** »[2].

وقال السمين: - بعد ما حكى مثل ما قال شيخه -: « ولعَمْري إنّ ادِّعاء حذفِ اللامِ خطأٌ، والمخطئ معذورٌ، ولكن قد نُقِل عن المفسرين هذا، ونُقل عن ابن عباس والحسن: "لكلٍّ درجاتٌ من الجنةِ والنار"، **فإنْ كان هذا القائل أَخَذَ من هذا الكلامِ أنّ اللامَ محذوفةٌ فهو مخطئ؛ لأنَّ هؤلاء — رضي الله عنهم — يُفَسِّرون المعنى لا الإعرابَ اللفظي** »[3].

ومذهب الجمهور في قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ أنه بمعنى: ذوو درجات -أي: أصحاب منازلَ ورتبٍ في الثوابِ العقاب-، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[4].

قال بعضهم: جُعِلوا نفسَ الدرجاتِ مبالغةً، والمعنى: أنَّهم متفاوتون في الجزاءِ على كَسْبهم، كما أنَّ الدرجاتِ متفاوتةٌ[5].

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٢.

(٢) البحر المحيط (١٠٨/٣)، وانظر: الدر المصون (١٥١٤/١)، اللباب في علوم الكتاب (٣١/٦).

(٣) الدر المصون (١٥١٤/١)، وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٣١/٦).

(٤) انظر: إعراب القرآن للزجاج (١٤/١)، معاني القرآن للنحاس (٥٠٦/١)، الكشف والبيان (١٩٩/٣)، المحرر الوجيز (٥٦٩/١)، زاد المسير (٤٩٣/١)، معالم التتريل (١٢٩/٢)، إملاء ما من به الرحمن (١٥٦/١)، التبيان في إعراب القرآن (٣٠٧/١)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١٥١٤/١)، التفسير المنير للزحيلي (١٤٥/٤).

(٥) انظر: الكشاف (٤٦٢/١-٤٦٣)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١١٠/٢)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١٥١٣/١) اللباب في علوم الكتاب (٣٠/٦)، إعراب القرآن وبيانه (٩٤/٢)، الجدول في إعراب القرآن (٣٦٠/٤).

المسألة الثانية: هل يلزم منه عود الضمير (هم) على من اتبع رضوان الله، فقط، دون من باء بسخط من الله.

وهذا هو المتبادر – بل الصريح – من قول بعض من ذهب إلى أنّ قوله ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ معناه: لهم درجات، أو حكاه.

قال مقاتل بن سليمان: « ثم ذكر سبحانه من لا يغل، فقال: ﴿هُمْ﴾ ، يعني: لهم ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، يعني لهم فضائل »[1].

وقال ابن عطية: « وقال مجاهد والسدي ما ظاهره إن المراد بقوله ﴿هُمْ﴾ إنما هو لمتبعي الرضوان، أي لهم درجات كريمة عند ربهم »[2].

وقال مكي بن أبي طالب: « وقيل المعنى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: يعني من اتبع رضوانه خاصة قاله مجاهد والسدي »[3].

والذي ذهب إليه جمهور المفسّرين أنّ قوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ عائد على الجميع، فهم متفاوتون في الثواب والعقاب، والمراد: أنّ من اتبع رضوان الله ومن باء بسخَط من الله، مختلفو المنازل عند الله، فلمن اتبع رضوان الله، الكرامةُ والثواب الجزيل، ولمن باء بسخط من الله، المهانةُ والعقاب الأليم[4]، ومعنى قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ – على هذا -: في حكم الله[5].

وإطلاق الدرجات على الفريقين -؛ إذ الغالب في العرف استعمال الدرجات في أهل الثواب، والدركات في أهل العقاب – من باب التغليب للأخيار على

(١) تفسير مقاتل (١/٢٠١).

ومال إلى أنّ الضمير في قوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ عائدٌ إلى من اتبع رضوانه خاصة الرازي، وأيّده بأربعة وجوه، انظرها في: التفسير الكبير (٩/٦٢)، وهو قول ابن عاشور في التحرير والتنوير (٣/٢٧٦).

(٢) المحرر الوجيز (١/٥٦٩)، وانظر: البحر المحيط (٣/١٠٨)، الجواهر الحسان (١/٣٢٩).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١١٦٥)

(٤) انظر: جامع البيان (٧/٣٦٧)، معاني القرآن للنحاس (١/٥٠٦)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١١٦٥)، الكشاف (١/٤٦٢-٤٦٣)، معالم التنزيل (٢/١٢٩)، تفسير القرطبي (٤/٢٦٣)، تفسير ابن أبي زمنين (١/١٠٤)، تفسير القرآن العظيم (٢/١٥٨)، البحر المحيط (٣/١٠٨) تفسير الجلالين (صـ٨٩)، فتح القدير (١/٥٩٤).

(٥) انظر: البحر المحيط (٣/١٠٨).

الأشرار، وهو تغليب له مغزاه؛ إذ هو تغليب الخير على الشر، وتغليب رضا الله على سخطه، وتغليب الأبرار على الفجار[1].

وبنتيجة دراسة هاتين المسألتين يظهر لي عدم صحة حمل قوله تعالى هنا ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ على قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ على تقدير حذف اللام في الأولى؛ وذلك لما سبق من أنّ التقدير – مع إمكان حمله على عدم التقدير – غير سائغ، كما أنّ تفسير الآية على ذلك مخالف – كما سبق - لما عليه جمهور المفسرين في معنى الآية، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✸✸✸

(١) زهرة التفاسير (١/١٤٨٨) (بتصرف)، وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٧٨٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٠

في هذه الآية الكريمة تهديدٌ ووعيد للذين يبخلون بما تفضّل الله به عليهم – فهو ليس بمال أصيل لهم، ولم يحصلوا عليه بجهد من أنفسهم، وإنما هو محض فضل من الله تعالى – فقال تعالى عنهم: ولا يظننّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من المال أنّ بخلهم به خيرٌ لأنفسهم، بل هو شرٌّ لهم؛ لاستجلابه العذاب إليهم؛ فإنّ الله تعالى سيعذبهم به بحيث يجعله طوقاً من نار في أعناقهم، والمال الذي بخلوا به هو لله، وسيرجع لله، فهو الذي له ميراث السماوات والأرض[1].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الأئمة – رحمهم الله – بسندهم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، قال: ألم تسمع أنه قال: ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾[2]، يعني أهل الكتاب: يقول: يكتمون، ويأمرون الناس بالكتمان »[3].

وجه الارتباط بين الآيتين:

قد يكون وجه استدلال ابن عباس رضي الله عنهما بالآية على ما ذهب إليه في أنّ المراد بالذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله – في الآية الأولى –اليهود الذين كتموا صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته:

أنّ الآية الثانية واردة – كما هو لفظها – في الذين جمعوا بين البخل وأمر الناس به، وكتمان ما أنزل الله، والذين جمعوا بين هاته الخصال هم اليهود، بل لم تُعْلم أمةٌ من الأمم – كما يرى الطبري - أنها كانت تأمرُ الناس بالبخل، فالمراد ببخلهم البخل بالعلم

---

(١) انظر: البحر المديد (١/٥٤٨)، في ظلال القرآن (٢/٢٠)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٤١٦).

(٢) سورة النساء: ٣٧، سورة الحديد: ٢٤

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٥٢)، من طريق العوفي وذكره السيوطي في الدر (٤/١٥٤-١٥٥) معزوّاً إليهما.

الذي كان الله آتاهموه فبخلوا بتبيينه للناس وكتموه، دون البخل بالأموال(١)؛ فتحمل الآية الثانية – أيضاً – عليهم، ويكون المراد بالذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله أحبار اليهود الذين كتموا صفة النبي محمد ونبوّته.

وهذا – كما هو واضح – ليس من تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنّه من قبيل الاستدلال على تفسير يذهب إليه المفسِّر في الآية، أضف إليه أنّ هذا القول مرجوح؛ فالآيتان – على قول الجمهور في البخل بالمال والإنفاق في سبيل الله وأداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك(٢).

أمّا الآية الأولى فلتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه تأوّل قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالذي لا يؤدي زكاة ماله، وأنه يمثّل له ثعبانًا يطوقه يوم القيامة(٣)، ولأنّ ذلك هو المتبادر من معنى الآية، والمتفق مع سياق الكلام، لأن الله

(١) انظر: جامع البيان (٨/٣٥٤-٣٥٥).

وقد عجب صاحب المنار من قول ابن جرير هذا وتعليله إياه بأنه لا يوجد في الناس أمة تأمر الناس بالبخل على أنه دين، فتعين أن يكون المراد بالبخل البخل بغير المال، قال: وكأن ابن جرير لم يخبر الناس، فإن من طبيعة البخيل الأمر بالبخل بحاله ومقاله ليسهل على نفسه خلقه الذميم ويجد له فيه أقرانا وأمثالا، ثم ذكر أمثلة وقعت من ذلك لأستاذه، ولنفسه. تفسير المنار (٥/٨٠)

(٢) انظر: الكشف والبيان (٣/٢٢١)، المحرر الوجيز (١/٥٨٢-٥٨٣)، معاني القرآن (١/٥١٥)، زاد المسير (١/٥١٢).

(٣) وهو الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم (١٤٠٣).

وما أخرجه ابن ماجه وغيره عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع حتى يطوق به في عنقه » ثم قرأ علينا النبي ﷺ **مصداقه من كتاب الله تعالى:** ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية. سنن ابن ماجه (١/٥٦٨) باب ما جاء في منع الزكاة (١٧٨٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٤/٨١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٨٥).

سبحانه وتعالى ذكر بعد بيان بخلهم أن الله سبحانه وتعالى له ميراث السموات والأرض، والتعبير بكلمة ميراث يومئ إلى أن موضوع البخل هو المال[١].

وكذلك فإنّ الظاهر من الآية الثانية – أيضاً – أنّها في البخل بالمال؛ إذ سياق الكلام في الإنفاق، فأمر بالإحسان إلى الأقارب والضعفاء في قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٢]، ومعلوم أن الإحسان إلى هؤلاء إنما يكون بالمال، ثم ذم المعرضين عن هذا الإحسان فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ثم وصفهم بأنهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ فوجب أن يكون هذا البخل بخلاً متعلقاً بما قبله وما ذاك إلا البخل بالمال[٣].

وكذا الآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[٤]؛ «فذَكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين المرائين الذي يقصدون بإعطائهم السُّمعة وأن يُمدَحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله »[٥].

وعلى هذا فالآية في البخل بالمال، ولا مانع من دخول البخل بالعلم فيها، ويكون الوعيد حاصلاً عليهما معاً[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان (٤٣٢/٧)، اللباب في علوم الكتاب (٨٥/٦)، زهرة التفاسير (١٥٢٤/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٨١١/١)، التفسير الحديث (٢٧٨/٧).

(٢) سورة النساء ٣٦.

(٣) التفسير الكبير (٨٠/١٠) (بتصرف).

(٤) سورة النساء ٣٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣٠٣/٢).

(٦) كما هو قول جماعة من المفسرين، انظر: التفسير الكبير (٩٤/٩)، التحرير والتنوير (١٢٦/٤)، قال ابن تيمية: – عن الآية – « قد تؤولت في البخل بالمال والمنع والبخل بالعلم ونحوه وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علم ومال وغير ذلك» مجموع الفتاوى (٢١٢/١٤).

كما نصر القول بالعموم صاحب تفسير المنار (٢١١/٤-٢١٢)، قائلاً: والأولى أن تبقى على عمومها، فإن المال من فضل الله، وكذلك العلم، والجاه، والناس مطالبون بشكر ذلك، والبخل على الناس به كفر لا شكر ... ويؤيد العموم في قوله: بما آتاهم الله العموم في الجزاء على ذلك البخل في قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ولم يقل: سيطوقون زكاتهم، أو للمال الذي منعوه.

المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ بما جاء متصلاً به من قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾:

فقد ذهب جماعة من المفسّرين إلى أنّ قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ مبيَّنٌ بما جاء متصلاً به من قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: « ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ **تفسير** لقوله: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ »(١).

وقال البيضاوي رحمه الله: « ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي البخل ﴿شَرٌّ لَّهُمْ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ **بيان لذلك** »(٢).

وقال أبو السُّعود رحمه الله: « ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ **بيان** لكيفية شريته لهم »(٣).

وقال الشّوكاني رحمه الله: « وهذه الجملة مبيِّنة لمعنى قوله ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ »(٤).

وذكر تفسير الآية بما بعده جمع من المفسّرين(٥).

وجه البيان: بيّن واضحٌ؛ إذ لّما أخبر تعالى عن كون البخل شرّاً لأهله بيّن ذلك الشَّرِّيَّة بما أعده لهم يوم القيامة من العذاب جزاء بخلهم بما آتاهم الله من فضله.

وهذا تفسير واضح وصريح، وهو مما اتصل به بيانه وتفسيره من القرآن الكريم.

ولا ينافي ذلك وجود شرّ آخر يلحق البخيلَ – غير هذا – سواء في الدنيا أو في الآخرة إذا ثبت بذلك نصّ صحيح من كتاب أو سنّة، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) الكشاف (٤٧٤/١)، وذكر مثله أبو حيان في البحر المحيط (١٣٤/٣)، والنسفي في تفسيره (١٩٤/١)، والعيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤٦/٢٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٢/٢)، وذكر مثله إسماعيل حقي في روح البيان (٣٥٦/٢)، وابن عجيبة في البحر المديد (٥٤٨/١).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٢٠/٢)، وذكر مثله الآلوسي في روح المعاني (١٣٩/٤)، والقاسمي في محاسن التأويل (٥١٧/٢).

(٤) في فتح القدير (٦٠٨/١).

(٥) انظر: إعراب القرآن وبيانه (١١٨/٢-١١٩).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ آل عمران: ١٨٧

أي: واذكر أيها المخاطب وقت أن أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يبينوا للناس جميع ما في الكتاب من أخبار وبشارات بالنبي ﷺ وألا يكتموا شيئا من ذلك، فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه، وكتموا أمر النبي، وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم[١].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الأئمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾، قال: « كان أمرهم أن يتبعوا النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته، وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢] فلما بعث الله محمدًا ﷺ قال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٣] عاهدهم على ذلك، فقال حين بعث محمدًا: صدِّقوه، وتلقون الذي أحببتم عندي »[٤].

وجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ الله أخبر في الآية الأولى أنّه أخذ على أهل الكتاب عهداً وميثاقاً ببيان ما أنزله في كتابهم للناس من صفة النبي محمد ﷺ، والإيمان به، وعدم كتمانه، وأمرهم

---

(١) انظر: جامع البيان - (٧ / ٤٥٨-٤٥٩) تفسير القرآن العظيم (٢/١٨٠-١٨١).

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٣) سورة البقرة: ٤٠.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/٤٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٣٥)، وعزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (٤/١٦٨).

في الآية الثانية بالوفاء بعهده ووعدهم بالوفاء بعهده لهم بالجنة؛ فيكون المراد بالعهد المذكور في الآية الثانية هو ما ذكر في الآية الأولى من البيان وعدم الكتمان(١).

وبذلك تكون الآية الأولى (آية آل عمران هذه) هي المفسِّرة للآية الثانية (آية البقرة)؛ إذ أجمل الله هناك عهده الذي أمرهم بالوفاء به، وبيّنه هنا.

وهذا الذي ذكره الشنقيطي عند تفسير آية البقرة بقوله: « قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ لم يبين هنا ما عهده وما عهدهم، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله ... وأشار إلى عهدهم أيضاً بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾؛ إلى غير ذلك من الآيات »(٢).

وقد تقدمت دراسة ذلك هناك، والله الموفق(٣).

وعلى قول ابن عباس هذا فالآية نازلة في أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وهو الظاهر من الآية، إلاّ أنه لا يبعد حملها على العموم لتشمل كلّ من علّمه الله علماً؛ فيدخل فيها علماء هذه الأمة؛ لأنهم أهل كتاب وهو القرآن أشرف الكتب(٤).

ويدل على ذلك قول أبي هريرة ﷺ: « لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء » ثم تلا هذه الآية(٥).

◈◈◈✹✹✹

(١) وهذا مفهوم من قول ابن عباس في الأثر: « **عاهدهم على ذلك**، فقال حين بعث محمدًا: صدِّقوه ...».

(٢) أضواء البيان (١/٣٤-٣٥).

(٣) انظر: (صـ ٢٣٧) من هذا البحث.

(٤) انظر: الكشاف (١/٤٧٨)، التفسير الكبير (٩/١٠٦)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/٤٦٤)، البحر المحيط (٣/١٤٢)، فتح القدير (١/٦١٤)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٦٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/١٩٠)، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لا أعلم له علة و لم يخرجاه »، ووافقه الذهبي.

تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) ﴾ آل عمران: ١٨٨

في هذه الآية الكريمة وعيد شديد لكل آت لفعل السوء معجب بـه، ولكـل مفتخر بما لم يعمل، ليُثنيَ عليه الناس ويحمدوه؛ فأخبر الله نبيَّه ﷺ أنّ هؤلاء ليسوا ناجين من عذاب الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب موجع[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف[(٢)] أنّ مروان[(٣)] قال: اذهب يا رافع! (لبوّابـه) إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منّا فرح بما أُتي، وأحبّ أن يُحمد بما لم يفعل معـذّباً، لنُعذّبن أجمعون، قال ابن عباس: « ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ هذه الآية، وتلا ابن عباس: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾، وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إيّاه، وأخبروه بغيره؛ فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أُتوا، من كِتمانهم إياه، ما سألهم عنه »[(٤)].

---

(١) انظر: التفسير الميسر (صـ ٤٨٧).

(٢) هو: حميد بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، أمه: أم كلثوم بنت عقبة بن معيط، فعثمان بن عفان رضي الله عنه خاله؛ لأنه أخو أم كلثوم من الأم، ولد في أيام عمر، كان فقيهاً، نبيلاً، شريفاً، كثير الحديث، توفي بالمدينة سنة (٩٥هـ). انظر: تهذيب الكمال (٣٨١/٧)، سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٤).

(٣) مروان هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، ويكنى أبا القاسم، وأبا الحكم، من كبار التابعين، قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، كتب لعثمان رضي الله عنه، وولي إمارة المدينة أيام معاوية رضي الله عنه، وبويع بالخلافة له بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، آخر سنة أربع وستين، توفي في رمضان سنة (٦٥هـ). انظر: الطبقات الكبرى (٣٥/٥)، التاريخ الكبير (٣٦٨/٧).

(٤) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح كتاب: التفسير، باب: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾ برقم (٤٥٦٨)، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، برقم (٢٧٧٨). وهذا لفظ مسلم.

وجه الارتباط بين الآيتين:

لا يظهر لي بين هاتين الآيتين وجه بيان سوى الاستدلال بسياق الآيات؛ لأنّ الآية الأولى جاءت إخباراً من الله تعالى عن أهل الكتاب أنه أخذ ميثاقهم، ليبينوا للنّاس أمر محمد ﷺ، ولا يكتمونه، وجاءت هذه الآية في ذلك السياق[١]؛ فتحمل – وإن كان لفظها عاماً – عليهم، ويكونون هم المعنيين بذلك دون غيرهم.

فمروان ﷺ أفرد الآية عما قبلها، فظنّ العموم؛ فبين له الحبر في جوابه ما يَتَنَزَّلُ عليه هذا العموم، بمساعدة سياق الآية والقصة التي نزلت فيها[٢].

وكون الآية في أهل الكتاب هو الذي اختاره الطبري والزركشي، والآلوسي[٣].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ المراد بالآية المنافقين، وذلك لما في الصحيح أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلّفوا عنه وفرِحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسولُ الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبُّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية »[٤].

والصحيح أن لا منافاة بين الروايتين؛ إذ يمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في السببين؛ لاجتماعهما في زمن واحد، فكانت جواباً للفريقين معاً[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان (٤٧١/٧)، وانظر: روح المعاني (١٥٠/٤).

(٢) الموافقات للشاطبي (٣٩/٨) من كلام المحقق: مشهور حسن .

(٣) انظر: المصدرين السابقين، و البرهان في علوم القرآن (٢٨/١).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب: التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ برقم: (٤٥٦٧) ومسلم في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم برقم: (٢٧٧٧).

(٥) انظر: شرح مشكل الآثار (٩٠/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٦/٤-٣٠٧)، فتح الباري (٢٣٣/٨)، لباب النقول (صـ٦٣)، محاسن التأويل (٥٢٨/٢-٥٢٩)، الصحيح المسند من أسباب الترول للوادعي (صـ٦٩) ومال هذا الأخير إلى ترجيح رواية أبي سعيد.

وقد ذكر غير هذين القولين، قال ابن حجر: « ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة وعمومها يتناول كلَّ من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم »[1].

(١) فتح الباري (٢٣٣/٨)، وانظر: لباب النقول (٦٣/١)، وممن ذهب إلى القول بالعموم: الرازي في تفسيره (١٠٨/٩)، وأبو السعود في تفسيره (١٢٦/٢).

الفصل الرابع

دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن

من

سُورَةُ النِّسَاءِ

وفيه دراسة:

٣٦ آية

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ النساء: ١

في مستهلّ هذه السورة الكريمة ينادي الرب تبارك وتعالى عباده بلفظ عام يشمل مؤمنهم وكافرهم، ويأمرهم بتقواه ﷻ وهو اتقاء عذابه في الدنيا والآخرة بالإسلام التام إليه ظاهراً وباطناً، مذكراً إياهم بأنّ أصلهم واحد ما يوجب وحدة الاعتقاد والتوجه.

ثم كرر الأمر بتقواه ونهى عن قطيعة الأرحام؛ إذ في قطعها فساد كبير وخلل عظيم، متوعّداً إياهم بمراقبته لأعمالهم واطلاعه على ما يظهرون من الأعمال وما تخفي الصدور[١].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أخرج الإمام الطبري[٢] بسنده الصحيح عن عبد الرحمن بن زيد في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾، قال: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[٣].

وجه الارتباط بين الآيتين: لم يظهر لي وجه لقراءة ابن زيد لهذه الآية على هذا التفسير إلا الجمع بين الآيات التي يجمعها موضوع واحد عند تفسير إحداها؛ فالآية الأولى في النّهي عن قطع الأرحام، والثّانية في مدح الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وهو الرحم.

فلا يبدوا لي في الآية الثانية بيان وتفسير للأولى، بل الأولى أصلح لتكون مفسّرة لمبهم الثانية؛ إذ أبهم فيها الذي أمر الله به أن يوصل.

ومثل هذا صنيع الإمام الرازي الذي أورد عند تفسير الآية[٤] جملة من الآيات الدالة على تعظيم حقّ الرحم والنهي عن قطعها كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن

---

(١) انظر: أيسر التفاسير للجزائري (٤٣٣/١).

(٢) في جامع البيان (٥٢٢/٧).

(٣) سورة الرعد: ٢١

(٤) في التفسير الكبير (١٣٥/٩).

تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[1] وقولـــــــــه: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾[2] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [3] وقوله: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [4].

وكذا إيراد ابن كثير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[5] عند تفسير قوله تعـــالى في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[6]، وإيراد ثناء الله الهندي قوله: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[7].

كلّها من أمثلة تفسير القرآن بالقرآن على مصطلحه الموسع، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈✹✹✹

---

(١) سورة محمد ٢٢.

(٢) سورة التوبة: ١٠.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

(٤) سورة النساء ٣٦، وأورد – كذلك – الشيخ ثناء الله الهندي هذه الآية عند تفسير الآية. انظر: تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـــ١١٥).

(٥) سورة المجادلة: ٦ ، سورة البروج: ٩ .

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٢٠٦).

(٧) سورة غافر: ١٩ ، انظر: تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـــ١١٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ النساء: ٢

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى أوصياء اليتامى أن يعطوا اليتامى أموالهم، ناهياً إياهم عن استبدال أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة، وعن أكلها وضمِّها إلى أموالهم.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: تقييد الأمر بإيتاء اليتامى أموالهم بشرطي البلوغ والرشد.

فقد أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإعطاء اليتامى أموالهم، ولم يقيّد ذلك بوقت ولا شرط، وقد حمل ذلك جمهور من المفسرين على قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1]

قال الإمام الثعلبي رحمه الله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ أي من كانوا يتامى، إذا بلغوا وآنستم منهم رشداً، نظيره: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ الآية »[2].

وقال الإمام الرازي رحمه الله – عند تفسير الآية الثانية –: « واعلم أنه تعالى لما أمر من قبل بدفع مال اليتيم إليه بقوله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ بين بهذه الآية متى يؤتيهم أموالهم؛ فذكر هذه الآية وشرط في دفع أموالهم إليهم شرطين: أحدهما: بلوغ النكاح والثاني: إيناس الرشد، ولا بد من ثبوتهما حتى يجوز دفع مالهم إليهم »[3].

---

(١) سورة النساء: ٦.

(٢) الكشف والبيان (٣/٢٤٣).

(٣) التفسير الكبير (٩/١٥٢).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: « وهذه الآية مقيدة بالآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾؛ فلا يكون مجرد ارتفاع اليتم بالبلوغ مُسَوِّغاً لدفع أموالهم إليهم حتى يؤنس منهم الرشد »[(١)].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله – في تفسير الآية-: « أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم، ولم يشترط هنا في ذلك شرطاً، ولكنه بين أنّ هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين: الأول: بلوغ اليتامى، والثاني: إيناس الرشد منهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ »[(٢)].

وذكر تقييد الآية الأولى بالآية الثانية جمع من المفسّرين بين مصرح بالآية[(٣)]، وغير مصرح بها[(٤)].

ووجه البيان: واضح وبيّن؛ إذ لما أطلق الله في الأولى الأمر بإيتاء أموال اليتامى إليهم، وقيّد ذلك بشرطين في الآية الثاني؛ فحملت الأولى على الثانية وفسّرت به؛ **حملاً للمطلق على المقيَّد.**

قال القرطبي – بعد ما ضعّف قول من قال باستعمال الآيتين – فإن هذا من **باب المطلق والمقيد، والمطلق يرد إلى المقيد باتفاق أهل الأصول**[(٥)].

❖ الأقوال الأخرى في الآية:

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى التفريق بين الآيتين وعدم حمل الأولى على الثانية، ولهم في ذلك تأويلان:

---

(١) فتح القدير (٦٣٠/١).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٥٧/١).

(٣) كالبيضاوي في تفسيره (١٤١/٢)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٣/٤)، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار (٣١٦/٤).

(٤) كالطبري في جامع البيان (٥٢٤/٧)، والبغوي في معالم التنزيل (١٥٩/٢)، والسمرقندي في بحر العلوم (٣٠٤/١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢٠٧/٢)، وابن عجيبة في البحر المديد (٥/٢)، والجلالين (صـ٩٧)، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ١٦٣)، الجزائري أيسر التفاسير (٤٣٥/١).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٣٨/٥).

الأول: أنّ المراد باليتامى – في الأولى – الصغار، وبإيتائهم الأموال حفظهـا، وقطع أطماعهم عنها وكف أيديهم عنها حتى تأتي اليتامى وتصل إليهم سالمة، وليس المراد تسليمها إليهم، والآية الثانية هي التي أمرت بذلك بعد بلوغهم(1).

وحكى هذا القول جمع من المفسّرين، ورجحه آخرون (2).

الثاني: أنّ المراد بإيتاء اليتامى أموالهم في الآية الأولى إعطاؤهم ما يحتاجونه مِنْ نفقتهم وكسوتهم، وبه في الآية الثانية إعطاؤهم إياها بالكلية(3).

الترجيح:

ولعل الراجح – والله أعلم – ما ذهب إليه بعض العلماء من تفسير إيتاء اليتامى أموالهم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بأنه في حالتين: إجراء الطعام والكسوة في حالة اليتم، ورفع اليد عنها بالكلية ودفعها إليهم في حالة البلوغ والرشد(4)؛ ففيه جمع بين الأقوال، وتكون الآية الثانية مقيدة للأولى في الحالة الثانية.

فالنتيجة:

صحة تفسير القرآن بالقرآن هنا بحمل قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ على قوله: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ بتقييد الأمر بإيتاء الأموال في الأولى بشرطي البلوغ والرشد في الثانية، ولا يمنع ذلك أن تكون الآية الأولى دالة على إيتاء اليتامى أموالهم بما يحتاجونه من نفقة وكسوة؛ لأنّ لفظ الآية يصدق على المعنيين كما سبق، والله أعلم.

---

(1) انظر: الكشاف (1/ 494- 495)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (2/ 139-140)

(2) كأبي السُّعود في تفسيره (2/139-140)، والآلوسي في روح المعاني (4/186-187)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (4/13)، وسيد طنطاوي في الوسيط (1/842-843).

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التتريل (1/474)، اللباب في علوم الكتاب (6/152).

(4) انظر ترجيح هذا القول في: أحكام القرآن لابن العربي (2/96)، الجامع لأحكام القرآن (5/8)، اللباب في علوم الكتاب (6/152)، تفسير المنار (4/281).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

الحوب: الإثم[1]، وقد وصف الله هذا الإثم بأنه كبير، و لم يبين الله مبلغه؛ ففسّره العلاّمة الشنقيطي بالوعيد الشديد الذي جاء في الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2].

قال رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، ذكر في هذه الآية الكريمة أن أكل أموال اليتامى حوب كبير، أي: إثم عظيم، و لم يبين مبلغ هذا الحوب من العظم، ولكنه بينه في موضع آخر وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[3] ».

وجه البيان: بيِّنٌ من كلام الشنقيطي المنقول نصه آنفاً، فالله أوعد آكلي أموال اليتامى في الآية المفسَّرة بالإثم العظيم **مجملاً**، وفي الآية المفسِّرة بأنهم يأكلون النار في بطونهم وسيصلون سعيراً، فيحمل الإثم العظيم المجمل في الأولى على الوعيد الشديد **المبيَّن** قدره في الآية الثانية.

وهذا على أنّ الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ عائد على الأكل المفهوم من قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ﴾، وهو أولى؛ لأنه أقرب مذكور[4].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١/٢٧٠).

(٢) أضواء البيان (١/٣٥٧-٣٥٨).

(٣) سورة النساء: ١٠.

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/١٦٩)، اللباب في علوم الكتاب (٦/١٥٥)، وقيل إنه عائد على التبدُّلِ المفهوم من قوله: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾، وقيل عليهما.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٥﴾ النساء: ٥

السفهاء هم الذين لا يحسنون التَّصرُّفَ في الأموال؛ لضعف رأيهم ونقصان عقلهم، وقلّة معرفتهم بمواضع المنافع والمضارّ التي تصرف إليها الأموال[١].

فنهى الله تعالى عباده عن تَمْكين هؤلاء التصرّف في الأموال التي جعلها الله قياماً لهم في مصالح دينهم ودنياهم، وأمرهم أن يرزقوهم منها ويكسوهم، ويبذل منها ما يتعلق بضروراتهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، وأن يقولوا لهم – إذا منعوهم من التّصرّف فيها – قولاً حسناً ليّناً – كأن يَعِدُوهُم بدفعها إليهم حين رشدهم، ونحو ذلك – جبرًا لخواطرهم[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ذهب جماعة من المفسرين إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أموال السفهاء، لا أموال المخاطبين، وإنما أضافها إليهم لكونها في أيديهم، أو لأنها من جنس أموالهم، واستشهد بعض من ذهب إلى هذا القول بآيات من القرآن الكريم.

أخرج الأئمة عن سعيد بن جبير رحمه الله مسنداً في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قال: أموالهم قال: هو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[٣] »[٤].

وقال الإمام الثعلبي رحمه الله: « فإن قيل على هذا القول: كيف أضاف المال إلى الأولياء فقال: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ وهي أموال السفهاء ؟ قيل: إنما أضاف إليهم لأنها الجنس الذي

(١) انظر: جامع البيان (٢٩٣/١)، مفردات ألفاظ القرآن (٤٨٢/١) (مادة سفه).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢١٤/٢)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٦٤).

(٣) سورة النساء: ٢٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٣/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٥٦٣/٢) عنه من طريق سالم، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٣٢/٤) معزواً إليهما، ولفظ ابن المنذر: « ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ قال: هم اليتامى قال: أموالكم فأموالهم بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ »، هكذا ورد في تفسير ابن المنذر، والعبارة مقلقة، وعبارة السيوطي في الدر أوضح: « ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قال: هم اليتامى، ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ قال: أموالهم، بمنزلة قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ ».

جعله الله أموالاً للناس كقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1]، وقوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[2]، ردّها إلى الجنس، أي الجنس الذي هو جنسكم »[3].

وقال الإمام الزمخشريّ رحمه الله: « والخطاب للأولياء وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[4] »[5].

وقال القرطبي رحمه الله: « واختلفوا في وجه إضافة المال إلى المخاطبين على هذا، وهي للسفهاء، فقيل: أضافها إليهم لأنها بأيديهم وهم الناظرون فيها فنسبت إليهم اتساعا، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾[6]، وقوله ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ »[7].

واستشهد بالآيات المذكورة أو بعضها – على هذا القول – جمع من المفسّرين[8].

ووجه الارتباط بين الآية والآيات المذكورة:

يظهر جلياً أنّ الأمر الرابط بين هذه الآيات المذكورة، والذي به أوردها المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ هو ما بينها من التشابه في الإضافة؛ ففي كل آية منها أضيفت شيء إلى غير صاحبه الحقيقي إجراءً للوحدة بالنوع مجرى الوحدة بالشخص.

ففي قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾،﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أضاف القتل إلى أنفسهم والمراد قتل بعضهم بعضاً؛ وفي قوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ أمر بالسلام على أنفسهم والمراد السلام على غيرهم؛ لأنّ الكل من نوع واحد، فكذالك هاهنا المال شيء

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٥٤.

(٣) الكشف والبيان (٣/٢٥٢).

(٤) سورة النساء: ٢٥.

(٥) الكشاف (١/٥٠٢).

(٦) سورة النور: ٦١.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٩).

(٨) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/١٤٤) روح المعاني (٤/٢٠١)، محاسن التأويل (٣/٢٨).

ينتفع به نوع الإنسان ويحتاج إليه فلأجل هذه الوحدة النوعية حسنت إضافة أموال السفهاء إلى أوليائهم[(١)].

وهذا – كما هو واضح – من جمع الآيات المتماثلة في أسلوبها؛ إذ لا تبيّن الآيات بعضها بعضاً، فهو من المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن.

كما استدل بعض من قال بأن المراد بالأموال أموال السفهاء بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾.

قال الزمخشري رحمه الله: « والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ »[(٢)].

وقال ابن عاشور: والمراد بالأموال أموال المحاجير المملوكة لهم، ألا ترى إلى قوله ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾[(٣)]، وذكر ذلك جمع من المفسّرين[(٤)].

وهذا أيضاً من باب الاستشهاد والاستدلال على معنىً يختاره المفسّر في الآية، وذلك باب واسعٌ.

---

(١) انظر: التفسير الكبير (١٥٠/٩)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٥٠/٢)، تذكرة الأريب تفسير الغريب (صـ١١٠)، تفسير اللباب (١٣٧٣/١) تفسير المنار (٣١١/٤).

(٢) وقد اعترض بعضهم على هذا التشبيه بين هذه الآية والآيات المذكورة، بأنه صرف للفظ عن ظاهره بغير دلالة؛ فقوله تعالى هنا ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ يشتمل على فريقين من الناس كل واحد منهما مميز في اللفظ من الآخر وأحد الفريقين هم المخاطبون بقوله ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ والفريق الآخر: السفهاء المذكورون معهم؛ فلما قال تعالى ﴿أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ وجب أن ينصرف ذلك إلى أموال المخاطبين دون السفهاء وغير جائز أن يكون المراد السفهاء لأنّ السفهاء لم يتوجه الخطاب إليهم بشيء وإنما توجه إلى العقلاء المخاطبين، وليس ذلك كالآيات المذكورة فإن القاتلين والمقتولين قد انتظمهم خطاب واحد لم يتميز أحد الفريقين من الآخر في حكم المخاطبة؛ فلذلك جاز أن يكون المراد فليقتل بعضكم بعضاً. أحكام القرآن للجصاص (٢١٣/٢-٢١٤) (باختصار).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/٤).

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٣٦/١)، التفسير الكبير (١٥٠/٩)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٥٠/٢-٣٥١).

القول الآخر في الآية:

وقد ذهب جماعة من السّلف إلى أنّ المراد أموال المخاطبين حقيقة، والسفهاء النساء والصبيان، صغار ولد الرجل وامرأته، نهى الرجل أو المكلف أن يؤتي ماله أولاده ونساءه؛ فيضيعونه ويرجعون عيالا عليه(١).

وهذا مرويّ عن أبي موسى الأشعري(٢)، وابن عباس(٣)، والحسن(٤)، وغيرهم.

ولعل الراجح في الآية ما ذهب إليه جماعة من أهل العلم من أنّ الآية عامة تشمل نهي المخاطبين عن إيتاء أموالهم للسفهاء من أولادهم ونسائهم، كما تشمل نهيهم عن إيتاء اليتامى قبل الرشد أموالهم(٥).

ورجحوا هذا القول، لعموم قوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ (٦)، كما أنّ لفظ السفهاء عام لم يخصص سفيهًا دون سفيه(٧).

❖❖❖✹✹✹

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١١٦/٢)، المحرر الوجيز (١١/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٩/٥) البحر المحيط (٣/ ١٧٧).

(٢) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٥٦٤/٧) من طريق الشعبي، عن أبي بردة.

(٣) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان(٥٦٣/٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٢/٣) من طريق علي بن أبي طلحة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٣٠/٤) إليهما وإلى ابن المنذر، وانظر: التفسير الصحيح (٨/٢).

(٤) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٣/٣) مسنداً من طريق يونس.

(٥) رجح هذا القول الطبري، والنحاس، والرازي، وابن تيمية، وغيرهم، انظر: جامع البيان (٥٦٨/٧)، أحكام القرآن لابن العربي (١١٧/٢)،التفسير الكبير (١٥٠/٩)، مجموع الفتاوى (٣١ / ٣٣).

(٦) انظر: جامع البيان (٥٦٨/٧)، أحكام القرآن لابن العربي (١١٧/٢).

(٧) انظر: جامع البيان (٥٦٥/٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ النساء: ٦

أمر الله تعالى – في هذه الآية الكريمة – أولياء اليتامى باختبار اليتامى لمعرفة قدرتهم على حسن التصرف في أموالهم، وأمرهم بإعطاء أموالهم لهم إذا وصلوا سن البلوغ وكانوا راشدين في دينهم وحفظ أموالهم، ونهاهم عن أكلها والاعتداء عليها إسرافًا ومبادرة قبل أن يكبروا ويأخذوها.

وأمر الله الولي إذا كان غنياً بالتعفف عن مال اليتيم وأن لا يأكل منه شيئاً، وإذا كان فقيراً جاز له أن يأكل منه بالمعروف، كما أمرهم بتسليم أموالهم لهم بعد بلوغهم الحلم والإشهاد على ذلك[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

ظاهر هذه الآية الكريمة جواز الأكل لوصي اليتيم من مال موصيه بالمعروف، والمعروف: اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه[2].

وقد اختلف فيه المفسرون هنا وحملوه على آيات كثيرة أُجملها في أربعة مطالب:

المطلب الأول: تفسير الأكل بالمعروف بالقرض لقوله تعالى – في آخر الآية –: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾.

فقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنّ الأكل بالمعروف: أن يأخذه قرضاً، يقضي إذا أيسر، ولا يستلف أكثر من حاجته، واستشهد بعض من ذهب لهذا القول بقوله تعالى – في آخر الآية –: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾.

---

(١) انظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد (٤٩٩/١).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٨٧/٢)، وانظر نحوه في: القواعد الحسان في تفسير القرآن (صـ١٣)، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، دار ابن رجب- القاهرة.

وقيل: « كلّ ما تكرر من لفظ المعروف في القرآن فالمراد ما يتعارفه الناس من مثل ذلك الأمر ». شرح الكوكب المنير (٤٤٩/٤)، التحبير شرح التحرير (٣٨٥٣/٨)، وانظر وجوه المعروف في القرآن في: نزهة الأعين النواظر (٥٧٤/١).

فعن أبي العالية: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال: القرض، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[1].

ووجه الدلالة: أنّ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ – على رأي القائلين به – دليل على وجوب القضاء على من أكل من مال اليتيم؛ إذ المعنى: فإذا رددتم ما أكلتم فأشهدوا إذا غرمتم[2].

فالأمر بالإشهاد – على هذا – إنما هو على دفع الوصي في يسره ما استقرضه من مال يتيمه حالة فقره[3].

وقال بهذا القول جمع من السلف والخلف، فقد روي عن عمر[4]، وابن عباس[5]، ومجاهد[6]، وهو الذي اختاره الطبري[7].

والاستشهاد بآخر الآية على هذا القول غير دقيق؛ فظاهر النظم القرآني مشروعية الإشهاد على ما دفع إليهم من أموالهم وهو يعم الإنفاق قبل الرشد والدفع للجميع إليهم بعد الرشد[8].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٨٩/٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٩١/٤)من طريق الربيع بن أنس عنه، ولفظ ابن أبي شيبة: « ما أكلت من مال اليتيم فهو دين عليك ألا ترى إلى قوله: ... وذكر الآية ».

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١٢٨/٢) (بتصرف).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤٥/٥).

(٤) فيما أخرج الطبري في جامع البيان والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٩٣) مسنداً عنه من طريق حارثة بن مُضَرِّب وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٦) عنه من طريق البراء.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٥٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٨/٤) مسندٌ من طريق علي ابن أبي طلحة، وأخرجه الطبري من طريق آخر عن حماد، عن سعيد بن جبير، عنه، ومن طريق العوفي عنه، ومنه أخرج ابن الجوزي أيضاً في نواسخ القرآن (٢٦٥/١).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧/ ٥٨٥) مسنداً من طريق حجاج، عن مجاهد، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٢٦٦/١) من طريق ابن أبي نجيح.

(٧) انظر: جامع البيان (٥٩٣/٧-٥٩٤).

(٨) فتح القدير (٦٤١/١)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٥/٥).

المطلب الثاني: تفسير الأكل بالمعروف بالتي هي أحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالتي هي أحسن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أي: لا تقربوه إلا مصلحين له، وإن احتجتم إليه أكلتم منه بالمعروف»[2].

وجه البيان: أنّ الأكل بالمعروف محتمل لمعان كثيرة، فلما جاء النهي في الآية الثانية عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هذا أحسن؛ حمل الأكل بالمعروف على ذلك.

وتفسير الأكل بالمعروف بالتي هي أحسن غير مستقيم لأمرين:

١- إجمال الآية المفسّرة أيضاً؛ فقوله ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ مجمل يحتاج إلى البيان، فَحَمْلُ الأَكْلِ بالمعروف عليه – مع ذلك – من أصعب المطالب.

بل فسّر بعض المفسرين " التي هي أحسن " بأنّه الأكل بالمعروف الوارد في الآية المفسَّرة.

أخرج الطبري بسنده عن ابن زيد رحمه الله في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال: « " التي هي أحسن": أن يأكل بالمعروف إن افتقر، وإن استغنى فلا يأكل، قال الله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ »[3].

وقال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله: « وقد بَيَّنَ تعالى " التي هي أحسن " بقوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ »[4].

٢- أنّ ما فسّر به جمهور المفسرين " التي هي أحسن " لا يطابق القول بالأكل منه.

فقد ذهب جمهور المفسرين من السلف والخلف إلى أنّ المراد بالتي هي أحسن: التصرف في مال اليتيم بالحال التي تصلح بها أموالهم، وينتفعون بها، لا على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة[5]، وعبروا عن ذلك: بالتثمير والإصلاح[6]، والتجارة فيه[7]، وحفظه وحيطته[8].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٢، سورة الإسراء: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٢١٨).

(٣) جامع البيان (١٢/٢٢٢).

(٤) أضواء البيان (٨/٥٦٤).

(٥) تيسير الكريم الرحمن (صـ٢٨٠)، وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/١٥٧٠).

(٦) جامع البيان (١٧/٤٤٤)، الكشف والبيان (١/٨٥٧)، معالم التنزيل (٣/٢٠٣)، قال القرطبي: « وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه، وهذا أحسن الأقوال في هذا فإنه جامع ». تفسير القرطبي (٧/١٢٠).

(٧) حكي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، انظر: زاد المسير (٣/١٤٩).

(٨) حكاه الماوردي وابن الجوزي عن الكلبي، انظر: النكت والعيون (٢/١٨٧).

المطلب الثالث: حمل الأكل بالمعروف على الآيات الواردة في تحريم أكل مال اليتيم.

فقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تحذر من أكل أموال اليتامى، وتوعد من ارتكب ذلك أشد العذاب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾[2]، ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾[4].

فذهب بعض أهل العلم إلى أنّ إباحة أكل مال اليتيم لوصيه المحتاج متشابه ومحتمل لوجوه عديدة[5]؛ فيحمل ذلك على هذه الآيات المحكمات الحاظرة لمال اليتيم على وليه في حال الغنى والفقر.

قال الإمام الجصاص رحمه الله – بعد ما أورد الآيات السابقة -: « وهذه الآي محكمة حاظرة لمال اليتيم على وليه في حال الغنى والفقر وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ **متشابه محتمل للوجوه التي ذكرنا؛ فأولى الأشياء بها حملها على موافقة الآي المحكمة** ... لأن الله تعالى قد أمرنا برد المتشابه إلى المحكم ونهانا عن اتباع المتشابه من غير رد له إلى المحكم »[6].

وقال الكيا الهراسي[7] رحمه الله: « فقد وجدنا آيات محكمات بمنع أكل مال الغير بغير رضاه، سيما في حق اليتيم، ووجدنا هذه الآية محتملة للمعاني، فحملها على موجب الآيات المحكمات متعين »[8].

---

(١) سورة النساء: ١٠.

(٢) سورة: النساء: ٢٩.

(٣) سورة النساء: ٢.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٥) كما سيتضح ذلك عند ذكر أقوال السلف في المراد بالأكل بالمعروف.

(٦) أحكام القرآن للجصاص (٢/٣٦١)، ونقله عنه بمعناه الفخر الرازي في تفسيره (٩/١٥٦).

(٧) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي، كان فصيح العبارة حلو الكلام، وكان محدثاً، ولد سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي ببغداد سنة (٥٠٤هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/٢٥١) طبقات الشافعية (١/٢٨٨).

(٨) أحكام القرآن (٢/٣٢٩)، ونقله عنه بلفظه الإمام القرطبي في الجامع (٥/٤٤).

ووجه البيان – على هذا القول – واضح من كلام صاحبي النقلين السابقين؛ فهما يريان قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ متشابهاً ومحتملاً لمعاني عديدة؛ فيحمل على الآيات المحكمات التي توضح – على رأيهم- أنّ المراد بها **أن يأكل الوصي من مال نفسه بالمعروف لئلا يحتاج إلى مال اليتيم** الذي لا يجوز له الأكل منه مطلقاً فقيراً كان أو غنياً، قالوا: فالأمر بالأكل ليس متعلقاً بمال اليتيم، وإنما المعنى: أنّ الغني يستعفف بغناه، وأما الفقير فيأكل بالمعروف من مال نفسه، ويقوم على نفسه بماله حتى لا يحتاج إلى مال يتيمه. وروي هذا المعنى عن ابن عباس، واختاره النحاس(١).

وقد رُدَّ هذا القول بأمرين(٢):

الأول: أن الآيات المذكورة في الحظر من مال اليتيم عامة، والمبيحة لأكل الفقير منه خاصة، والخاص مقدم على العام.

قال ابن عاشور – عند تفسير قوله:﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ - « وهو تخصيص لعموم النهي عن أكل أموال اليتامى في الآيتين السابقتين للترخيص في ضرب من ضروب الكل، وهو أن يأكل الوصي الفقير من مال محجوره بالمعروف »(٣).

الثاني: عدم التسليم بأنّ أدلة جواز الأكل من مال اليتيم من المتشابه، بل هي من المحكم البين كما ورد في تفسير الآية عن الصحابة ﷺ.

---

(١) في الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٣٠٠).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٩/١٥٦).

(٣) التحرير والتنوير (٤/٣٤).

المطلب الرابع: ادعاء نسخ الآية بهذه الآيات أو بعضها:

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ جواز الأكل من مال اليتيم لوليه الفقير منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، روي ذلك عن ابن عباس[1]، وزيد بن أسلم[2]، والضحاك[3].

كما حكي عن مجاهد القول بنسخها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[4].

وقد استبعد جمع من المحققين دعوى النسخ؛ لأنّ دعوى النسخ لا يصار إليه إلا مع التعارض بين الدليلين وعدم إمكان الجمع، وذلك غير متوفر هنا؛ فالآية الأولى إنما أجازت الأكل من مال اليتيم بالمعروف، والآيتان نهت عن أكل أموال اليتامى بالظلم والباطل، فالأول مغاير لهما؛ وكان النسخ يصح لو ثبت أن أكل الوصي من مال الصبي بالمعروف ظلم أو هو أكل بالباطل، ولم يقل بذلك أحد[5].

---

(١) فيما أخرجه عنه ابن المنذر في تفسيره (٥٧٢/٢) والقاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (٣٧٢/١) والنحاس الناسخ والمنسوخ (٢٩٥/١-٢٩٦) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٢٦٩/١) مسنداً من طريق عطاء الخراساني قال: نسخ من ذلك الظلم والاعتداء فنسخها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾، وذكره الجصاص في أحكام القرآن (٣٦١/٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٤٠/٤) معزوا إلى أبي داود والنحاس.

وأخرج ابن الجوزي القول بالنسخ عن ابن عباس في نواسخ القرآن (٢٧٠/١) من طريق الضحاك أيضاً.

(٢) أورده عنه الجصاص في أحكام القرآن (٣٦١/٢)، بسنده من طريق عبيد الله بن عمر بن مسلم، وحكى القول بالنسخ عن الضحاك ابن العربي في أحكام القرآن (١٢٦/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٢/٥).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٠/٤) إلى أبي داود في ناسخه.

(٤) حكاه عنه القرطبي في: الجامع لأحكام القرآن (٤٢/٥)، وحكى النحاس في الناسخ والمنسوخ (٢٩٥/١) مثله عن أبي يوسف.

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٢٧/٢)، التفسير الكبير (١٥٦/٩).

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسّرين من السلف والخلف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أقوال كثيرة أهمها[1]:

١- أن الأكل بالمعروف أن يأكل من غير إسراف، قالوا: يأخذ منه ما يسد الجوع ويواري العورة ولا يقضي إذا وجد.

وهذا مروي عن جمع من السلف، ونسبه الشوكاني ونسبه للجمهور[2].

واحتج القائلون بهذا بأنّ ظاهر الآية تقسيم لحال الوصي على اليتيم، فأمره الله تعالى بالاستعفاف إن كان غنياً، واقتناعه بما رزقه الله تعالى من الغنى، وأباح له الأكل بالمعروف من مال اليتيم إن كان فقيراً، بحيث يأخذ قوتاً محتاطاً في تقديره.

وظاهر هذه الإباحة أنه لا تبعة عليه، ولا يترتب في ذمته ما أخذ، ولا يقضي إذا أيسر، وهو القول هو الذي رجحه الإمام ابن العربي[3].

ويؤيد هذا القول ما روي عن عمرو بن شعيب[4]، عن أبيه[5]، عن جده[6]، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتيم، قال: فقال: « كلْ مِن مال يتيمك غير مسرف، ولا مبادر، ولا متأثل »[7].

---

(١) انظر هذه الأقوال في: أحكام القرآن لابن العربي (٢/١٢٦-١٢٧)، أحكام القرآن للجصاص (٢/٣٥٩-٣٦١)، نواسخ القرآن (١/٢٦٥-٢٦٨)، البحر المحيط (٣/ ١٨٠-١٨١).

(٢) انظر: فتح القدير (١/٦٤١).

(٣) انظر: أحكام القرآن (٢/١٢٨).

(٤) عمرو بن شعيب هو: أبو إبراهيم عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، من رجال الحديث، كان يسكن مكة، وتوفي بالطائف سنة (١١٨هـ) . انظر: الجرح والتعديل (٦/٢٣٨)، تهذيب التهذيب (٨/٤٨).

(٥) أبوه هو: شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، يروي عن جده وابن عمر وابن عباس، انظر: التاريخ الكبير (٢/٥٨٦)، تهذيب الكمال (٣/٤٠٠).

(٦) جده: المراد به جد: شعيب لا عمرو، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وقد ثبت أن شعيبا رأى عبد الله، وإن كان بعض العلماء أنكر ذلك، فالضمير في جده: في قولهم: " عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده " عائد إلى شعيب لا إلى عمرو، ومحمد والد شعيب مات في حياة أبيه عبد الله بن عمرو وشعيب صغير فكلفه جده وسمع منه كثيراً ، انظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٢/٢٢٧)، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (صـ١٤٨) ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين أبي زرعة العراقي، ط١، ١٩٩٩م، مكتبة الرشد – الرياض، ت: عبد الله نوارة.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه (٣/١١٥) والنسائي في سننه (٦/٢٥٦)، قال ابن حجر: إسناده قوي. فتح الباري (٨/٩٠).

٢- أنّ الأكل بالمعروف أن يأكل عند الضرورة إن كان مضطراً بحال من يجوز له أكل الميتة أكل بقدر حاجته فإذا أيسر قضاه وإذا لم يوسر فهو في حل، وهذا مرويّ عن ابن عباس أيضاً، وهو قول الشعبي.

قال النحاس: وهذا لا معنى له لأنه إذا اضطر هذا الاضطرار كان له أخذ ما يقيمه من مال يتيمه أو غيره من قريب أو بعيد.

الترجيح:

والراجح – والعلم عند الله – جواز أكل الفقير من مال وصيه، بالمعروف، وعدم إلزامه بقضائه، كما هو ظاهر الآية، والحديث الصحيح.

النتيجة:

وبذلك فلا يصح تفسير القرآن بالقرآن هنا بحمل إباحة الأكل من مال اليتيم لوصيه الفقير على الآيات الحاظرة لأكل مال اليتيم بالنسخ أو بالبيان؛ لعدم التعارض بينها؛ إذ أباحت هذه الآية الأكل من مال اليتيم في حالة خاصة وبالمعروف، وحرمت الآيات المذكورة ذلك بالظلم، أو بالباطل وليس الأكل بالمعروف ظلماً ولا بالباطل. والله تعالى أعلم.

وكذلك لا يظهر لي تفسير الأكل بالمعروف بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ لما سبق من إجمال " التي هي أحسن " وحاجته للبيان، بل بيّنه جماعة بالأكل بالمعروف.

تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ النساء: ٧.

كان العرب في الجاهلية لا يورثون الضعفاء كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم - بزعمهم- أهل الحرب والقتال والنهب والسلب، فشرع الرب الرحيم الحكيم لعباده شرعًا، جعل الرجال والنساء والأطفال سواء في الميراث، وجعل ذلك حقاً معيناً مقطوعاً ليس لأحد أن ينقص منه شيئاً(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في هذه الآية لم يبين الله قدر النصيب الذي هو للرجال والنساء مما ترك الوالدان والأقربون، فحمله جمع من المفسّرين على آيات المواريث التي فصّلت أنصباء الورثة من الذكور والإناث، وهي:

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾(٢)

وقوله - في آخر السورة- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٣).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٦٥)، أيسر التفاسير لأسعد حومد (١/ ٥٠٠).

(٢) سورة النساء: ١١-١٢.

(٣) سورة النساء: ١٧٦.

قال الإمام ابن العربي رحمه الله: « إجمال النصيب المفروض فبين الله تعالى في آية المواريث خصوص القرابة ومقدار النصيب، وكان نزول هذه الآية توطئة للحكم وإبطالاً لذلك الرأي الفاسد، حتى وقع البيان الشافي بعد ذلك »(١).

وقال الإمام أبو حيان رحمه الله: « وقد أبهم في لفظ الأقربون كما أبهم في النصيب، وعيَّنَ الوارثَ والمقدارَ في الآيات بعدها »(٢).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: « وقد أجمل الله سبحانه في هذه المواضع قدر النصيب المفروض ثم أنزل قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ فتبين ميراث كل فرد »(٣).

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله - في تفسير الآية -: « لم يبين هنا قدر هذا النصيب الذي هو للرجال والنساء مما ترك الوالدان والأقربون، ولكنه بينه في آيات المواريث كقوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ الآيتين، وقوله في خاتمة هذه السورة الكريمة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ الآية »(٤).

وذكر تفصيل هذه الآية بآيات المواريث جمع من المفسّرين(٥).

وجه البيان: واضحٌ وجليٌّ؛ إذ اقتضت الآية الأولى وجوب الحظ والنصيب للصغير والكبير قليلاً كان أو كثيراً، رداً على أهل الجاهلية، ولم تتعرض لبيان المقربين الوارثين، ولقدر النصيب، فأبرزت الآيات الأخرى ذلك المجمل وعينت ذلك المبهم.

ومما يدلّ على صحة بيان النصيب المجمل هنا بما ذكرته آيات المواريث ما ذكره الثعلبيّ وغيره في سبب نزول الآية ما معناه: أنّه لما توفي أوس بن ثابت الأنصاري وترك امرأة وثلاث بنات له منها؛ فقام ابنا عمّه فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً؛ فجاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ شاكية له ابني عم أوس، فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلأً ولا ينكأ عدواً، فقال رسول الله: ﷺ « انصرفوا حتى أنظر ماذا يحدث الله لي فيهن»

(١)أحكام القرآن لابن العربي (٢/١٣٢-١٣٣)، وقد نقل القرطبي في الجامع (٥/٤٦) هذا الكلام بنحو لفظه.

(٢) البحر المحيط (٣/١٨٣).

(٣) فتح القدير (١/٦٤٤).

(٤) أضواء البيان (١/٢٢٤).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٦/١٩٤)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١١٦)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٦٥)، أيسر التفاسير للجزائري (١/٤٤٠).

فانصرفوا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، فأثبت لهم في الميراث حقاً، **ولم يبيّن كم هو**؛ فأرسل رسول الله ﷺ إلى ابني عمّ أوس: « لا تفرّقا من مال أوس بن ثابت شيئاً، فإن الله تعالى جعل لبناته نصيباً ممّا ترك **ولم يبين كم هو**، حتى ننظر ما يترل الله ﷻ فيهن »؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فلما نزلت أرسل رسول الله إليهما: «أن ادفعا إلى أم كحة الثمن ممّا ترك وإلى بناته الثلثين، ولكما باقي المال »[1].

وهذا – كما ذكر جمع من المفسّرين – دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب[2]، ولا يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ لترول ما بيّنها عقيبه[3].

وقد ردّ الإمام ابن الجوزي بشدّة على من حكى نسخ هذه الآية بآية المواريث[4] قائلاً: « قد زعم بعض من قلَّ علمُه، وعزُبَ فهمُه من المتكلمين في الناسخ والمنسوخ، أنّ هذه الآية نزلت في إثبات نصيب النساء مطلقاً من غير تحديد، لأنهم كانوا لا يُورِّثُون النساء ثم نسخ ذلك بآية المواريث، وهذا قول مردود في الغاية، وإنما أثبتت هذه الآية ميراث النساء في الجملة، وأثبتت آية المواريث مقداره ولا وجه للنسخ بحال »[5].

وأغرب من حكاية النسخ قول ابن أبي زمنين – عند تفسير الآية –: « هذا حين بيَّنَ الله فرائض المواريث، نزلت آية المواريث قبل هذه الآية، وهي بعدها في التأليف »[6].

❖❖❖✹✹✹

(١) مختصر من الكشف والبيان (٣/٢٦٠-٢٦١)، ومعالم التتريل (٢/١٦٩) الجامع لأحكام القرآن (٥/٤٧)، العجاب في بيان الأسباب (٢/٨٣٤-٨٣٥)، التفسير المظهرى (١/٦٧٤).

(٢) أنوار التتريل وأسرار التأويل (٢/١٥١)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/١٤٧)، روح المعاني (٤/٢١٠)، السراج المنير (١/٢٢٨).

(٣) انظر: التفسير المظهري (١/٦٧٤).

(٤) قال محقق نواسخ القرآن « لم يذكر هذه الدعوى الواهية في أمهات كتب النسخ إلا عند هبة الله بن سلامة فقد ذكرها بدون عزوها إلى أحد، وبدون ذكر دليل لها » نواسخ القرآن (١/٢٧١) حاشية (٤)، وهو كما ذكر، انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقري (١/٦٥) إلاّ إن أراد بالنسخ البيان، وهو المفهوم من قوله: « ثم نسخت بقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ وبين معناها وحد القسم كما هو».

(٥) نواسخ القرآن (١/٢٧١)، وانظر: الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢/١٤٦).

(٦) تفسير ابن أبي زمنين (١/١١٣)

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ النساء: ١٥-١٦

هاتان الآيتان في عقوبة الزنا في بداية الإسلام؛ حيث حكم الله تعالى في الآية الأولى بحبس النساء في البيوت - إذا ثبت زناهن بشهادة أربعة رجال عدول على ذلك – حتى الموت، أو يجعل الله لهن مخرجاً مما أتين به.

كما حكم في الآية الثانية بأذية الرجل والمرأة اللذين يأتيان الزنا بالشتم والتعيير باللسان والضرب بالنعال حتى يتوبا فإن تابا وأصلحا عملهما وغيّرا أحوالهما، ترك عقابُهما؛ لأنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان وما يزال كثير القبول لتوبة عباده، رحيماً بهم[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد حمل جمهور المفسّرين هاتين الآيتين على قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٢)]، وذلك بأحد وجهين:

الوجه الأول: نسخ الحبس والأذى بالحد المذكور في آية النور:

فقد ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ الحبس المذكور في حق الزواني في الآية الأولى، والأذى المذكور في حق الزناة منسوخان بالحد النازل في آية النور.

أخرج الأئمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بالسند الحسن من طريق علي ابن أبي طلحة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾، قال: كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، وفي قوله ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ

(١) انظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢٩٦/١)، والتفسير المنير له (٢٨٩/٤).

(٢) سورة النور: ٢.

﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ قال: كان الرجل إذا زنى أوذي بالتعزير، وضرب بالنعال فنزلت: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ وإن كانا محصنين رجما بسنة رسول الله ﷺ[1].

وروي نسخ الآيتين أو أحدهما بآية النور عن مجاهد[2]، وقتادة[3]، وعكرمة والحسن البصري[4]، وغيرهم.

قال ابن كثير: « وكذا رُوي عن عِكْرِمة، وسَعيد بن جُبَيْر، والحسن، وعَطاء الخُراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك: أنها منسوخة، وهو أمر متفق عليه »[5].

ووجه النسخ: أنّ الآية الأولى دلّت على أن حدّ الزانية الحبسُ إلى أن تموت أو يجعل الله لها سبيلاً، وهو عام في البكر والثيب، واقتضت الآية الثانية أنّ حدّ الزانيين الأذى، وهو عام لكل من زنى من الرجال[6]، ثم نسخ ذلك كله بالجلد المذكور في آية النور.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٦٠٠، ٦٠٣)، والنحاس في ناسخه (١/٣١٠)، والقاسم بن سلام في ناسخه (١/٢٠٥)، والبيهقي في سننه وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٨٤)، ونسبه إليهم في الدر المنثور (٤/٢٧٤).

كما أخرج عنه ابن المنذر في تفسيره (٢/٦٠٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٤) بلفظ آخر من طريق مجاهد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٧٣) إليهما وإلى الفريابي والنحاس في ناسخه والبزار والطبراني.

كما أخرج عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٣)، والقاسم بن سلام في ناسخه (١/٢٠٤) من طريق عطاء الخراساني، ونسبه السيوطي في إلى أبي داود في ناسخه وابن أبي حاتم.

(٢) فقد أخرج الطبري في جامع البيان (٨/٨٦) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (١/٢٨٤) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ومن طريق ابن جريج. والأثر في نسخ الآية الثانية بآية النور.

وأخرج عنه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٢١٠) من طريق ابن أبي نجيح، ونسبه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٧٤-٢٧٥)، وهو في نسخ الآية الأولى.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٨٧) من طريق معمر، عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٧٥) إلى عبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر.

الدر المنثور (٤/٢٧٥) وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والنحاس عن قتادة في الآية قال : نسختها الحدود.

(٤) أخرجه عنهما الطبري في جامع البيان (٨/٨٦) من طريق يزيد النحوي. وهو في نسخ الآية الثانية.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٣).

(٦) هذا هو الظاهر في ترتيب الآيتين: أنّ الآية الأولى واردة في حق النساء مطلقاً، والثانية في حق الرجال مطلقاً، وعليه فعقوبة النساء واحدة على الزنا هي الحبس في البيوت، وعقوبة الرجال الأذى، ورجح هذا جمع من العلماء، انظر: أحكام =

الوجه الثاني: بيان السبيل الذي جعله الله للزواني:

فقوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ لم يبين هل جعل لهن سبيلا أو لا، وما هو، ثمّ بيّن أنّ ذلك السبيل هو الحدّ المذكور في الآية الناسخة[1].

قال الشنقيطي: « قوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ لم يبين هنا هل جعل لهن سبيلا أو لا ؟ ولكنه بين في مواضع أخر أنه جعل لهن السبيل بالحد كقوله في البكر: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ الآية، وقوله في الثيب: { الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم }؛ لأن هذه الآية باقية الحكم كما صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - وإن كانت منسوخة التلاوة »[2].

وكلام الشيخ ثناء الله الهندي بهذا المعنى[3].

=

القرآن للجصاص (٤٤/٣)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٠٧/١-٣٠٨)، المحرر الوجيز (٢٦/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٨٦/٥)، البحر المحيط (٢٠٤/٣)، التحرير والتنوير (٢٧٢/٤).

وهناك أقوال أخرى في ذلك أهمها:

١- أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ كان حكماً في البكرين خاصة، والأولى في الثيبات دون الأبكار، وهذا الذي إليه اختاره الطبري.

إلا أن هذا القول يوجب تخصيص اللفظ بغير دلالة، وذلك غير سائغ لأحد مع إمكان استعمال اللفظين على حقيقة مقتضاهما، كما تكون الآيتان على هذا القول لم تذكر فيهما حكم الرجال المحصنين.

٢- أنّ حدّ المرأة كان الحبس والأذى جميعا لما في الآيتين، فالحبس ورد خاصاً في النساء، والأذى ورد عاما في الرجل والمرأة، وإنما خص النساء في الآية الأولى بالذكر، لأنهن ينفردن بالحبس دون الرجال، وجمع بينهما في الآية الثانية، لأنهما يشتركان في الأذى، وهذا رأي ابن الجوزي نواسخ القرآن (٢٨٣/١)، واقتصر عليه السعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧١).

وذكر قولان آخران تركتهما لبعدهما.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٣٣/٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٢٩/١).

(٣) انظر: تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١١٩).

الأقوال الأخرى:

١- نسخ الآية بالحديث:

ذهب بعض العلماء إلى أنّ الآية ليست منسوخة بآية النور، وإنما هي منسوخة بحديث عبادة بن الصامت، وهذا الذي ذكره هبة الله بن سلامة في ناسخه[١]، ورجحه الجصاص قائلاً: « وقال آخرون: نسخ بحديث عبادة بن الصامت ... وهذا هو الصحيح؛ وذلك لأنّ قوله: خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً يوجب أن يكون بياناً للسبيل المذكور في الآية، ومعلوم أنه لم يكن بين قول النبي ﷺ وبين الحبس والأذى واسطة حكم وأن آية الجلد التي في سورة النور لم تكن نزلت حينئذ لأنها لو كانت نزلت كان السبيل متقدماً لقوله: خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، ولما صح أن يقول ذلك؛ فثبت بذلك أن الموجب لنسخ الحبس والأذى قول النبي ﷺ في حديث عبادة بن الصامت وأن آية الجلد نزلت بعده، وفي ذلك دليل على نسخ القرآن بالسنة إذ نسخ بقوله خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ما أوجب الله من الحبس والأذى بنص التتريل »[٢].

وأجيب بأنّ الحديث المذكور من أخبار الآحاد، ومن المتفق عليه عدم نسخ القرآن بأخبار الآحاد[٣].

وبأنّ الحديث مبين للحكم الموعود بيانه في الآية، فكأنه قال عقوبتهن الحبس إلى أن يجعل الله لهن سبيلاً؛ فوقع الأمر بحبسهن إلى غاية، فلما انتهت مدة الحبس وحان وقت مجيء السبيل، قال رسول الله ﷺ خذوا عني تفسير السبيل وبيانه، ولم يكن ذلك ابتداء حكم منه، فتزلت الآية؛ فكان نسخ الكتاب بالكتاب لا بالسنة[٤].

---

(١) الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقري (صـ٦٨).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/٤٤).

(٣) انظر: نواسخ القرآن (١/٢٨٥).

(٤) انظر: معالم السنن (٢/٣٦٠) (شرح سنن أبي داود)، تأليف الإمام: حمد بن محمد الخطابي، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ت: عبد السلام عبد الشافي.

٢- أنّ السبيل قرآن منسوخ.

وذهب بعض العلماء إلى أن السبيل قرآن نزل ثم رفع رسمه وبقي حكمه، قالوا: وظاهر حديث عبادة يدل على ذلك؛ لأنه قال: قد جعل الله لهن سبيلا فأخبر أن الله تعالى جعل لهن السبيل والظاهر أنه بوحي لم تستقر تلاوته[١].

الترجيح:

والراجح - والعلم عند الله - أنّ الآيتان منسوختان بآية الجلد في آية النور[٢]، كما هو قول جمهور السلف، ولا يناقض ذلك حديث عبادة بن الصّامت، كما سبق توجيهه.

النتيجة: صحّة تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ بآية الحدود في سورة النور؛ لكونها ناسخة لما ورد فيهما من الحبس والعذاب، ولكونها مفسّرة للسبيل الذي جعله الله للزواني بعدما أمر بحبسهنّ حتى الموت، ولا تناقض بين الوجهين كما هو واضح، والعلم عند الله تعالى[٣].

---

(١) حكى هذا القول ابن الجوزي في: نواسخ القرآن (١/٢٨٦).

(٢) أما الرجم في حق الزاني الثيب، فيفهم من كلام الشنقيطي أنه ثابت بقوله تعالى - في المنسوخ تلاوته الباقي حكمه -: والشيخ والشيخة فارجموهما البتة، وهو وآية النور ناسختان لآية النساء هذه، وقيل: إنّها ناسخة لآية النور، كما في مناهل العرفان (٢/١٨٨).

وقيل: إنّ رجم الثيب ثابت بالسنة، وهذا رأي ابن عباس كما في الأثر المروي عنه في بداية الكلام.

وقال بعضهم: هو ثابت بالإجماع، وهو قول ابن عاشور في التحرير والتنوير (٤/٦١).

(٣) ويفهم ذلك من قول ابن عباس في الأثر الذي أخرجه القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (١/٢٠٤): « فالسبيل الذي جعله الله عز وجل لهن الجلد والرجم ».

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ النساء: ١٧

يبيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة شرط قبول التوبة الذي أوجبه الله على نفسه تفضلاً منه ورحمة، وهو عمل السوء بجهالة ثم التوبة منه عن قريب.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ لم يبيّن فيه الزمن القريب الذي تقبل فيه توبة الذين يعملون السوء بجهالة؛ فحمل بعض أهل التفسير ذلك على قوله تعالى في الآية التي بعدها ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(١)].

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: « والزمان القريب ما قبل حضرة الموت، ألا ترى إلى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ، فبين أنّ وقت الاحتضار وهو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب »[(٢)].

وقال الإمام أبو حيان رحمه الله: « وقد بَيَّنَ غاية منع قبول التوبة في الآية بعدها بحضور الموت ... »[(٣)].

وقال العلاّمة ابن عاشور رحمه الله: « وتأول بعضهم معنى ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ بأن القريب هو ما قبل الاحتضار، وجعلوا قوله بعده ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يُبيِّنُ المرادَ من معنى قريب »[(٤)].

وذكر مثل هذا جمع من المفسرين[(٥)].

---

(١) سورة النساء: ١٨.

(٢) الكشاف (١/٥٢٠)

(٣) البحر المحيط (٣/٢٠٨).

(٤) التحرير والتنوير (٤/٦٤).

(٥) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٣٧٤)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٢١٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٦٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/١٥٦) البحر المديد (٢/٣٠)، روح المعاني (٤/٢٣٨)، محاسن التأويل (٣/٥٢).

وجه البيان: أنّ الله تعالى وعد الذين يعملون السوء بجهالة بقبول توبتهم إذا تابوا من قريب، ولم يبيّن غاية هذا الوقت القريب، وبيّن في الآية التالية أنّ التّوبةَ لا تُقْبلُ ممن حضره الموت؛ فيكون ذلك هو غاية الوقت القريب الذي يقبل الله فيه توبة التائبين[١].

والقول بأنّ المراد من هذا القرب هو معاينة أهوال الموت، هو قول جمهور المفسّرين، بل حكى بعضهم[٢] الإجماع عليه، للآية والأحاديث الواردة في ذلك[٣].

ولا شكّ أن أحسن أوقات التوبة هو ما كان قبل المرض والمبادرة إليها في حال الصّحة، وعليه يحمل قول من فسّر الزمان القريب في الآية بما قبل المرض، أو قرب العهد من ارتكاب الذنب[٤].

وقد أورد المفسّرون – عند تفسير هذه الآية – آيات عديدة، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [٥]، وقوله – على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن

---

(١) قال المفسرون وسمّى هذه المدة قريبة لوجوه:

١- أنّ الأجل آت وكل ما هو آت قريب.

٢- أنّ الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب.

التفسير الكبير (٥/١٠)، البحر المحيط (٢٠٨/٣).

(٢) كالإمام الرازي في تفسيره (٥/١٠)، والإمام ابن عبد البر في التمهيد (١٢/١٥).

(٣) كحديث: « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » الذي أخرجه الإمام في المسند (٣٠٠/١٠) برقم (٦١٦٠)، والترمذي في السنن (٥٤٧/٥) (٣٥٣٧)، وابن ماجه في السنن (١٤٢٠/٢) (٤٢٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٣٩٤/٢)، والحاكم في المستدرك (٢٨٦/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٢٩/٢)، محاسن التأويل (٥٢/٣)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٨٩٢/١).

(٥) سورة يوسف: ٨٩.

(٦) سورة يوسف: ٣٣.

تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [2].

فقد أخرج الإمام الطبري[3] بسنده عن عبد الرحمن بن زيد رحمه الله في قول الله: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾، قال: « "الجهالة"، كل امرئ عمل شيئًا من معاصي الله فهو جاهل أبدًا حتى يترع عنها، وقرأ: ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ ، وقرأ: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾. قال: من عصى الله فهو جاهل حتى يترع عن معصيته ».

واستشهد بآيتي يوسف هاتين وبالآيتين الأخيرتين الإمام الفخر الرازي ومن تبعه[4].

وذلك لما يجمع هذه الآيات ويربطها من الموضوع الواحد؛ إذ أطلق فيها لفظ الجهالة والمراد بها عصيان الله؛ لأنّ كل من عصى الله فهو جاهلٌ[5].

وعلى هذا فلا يظهر لي من إيراد هذه الآيات هنا وجه بيان وتفسير للآية، سوى جمع الآيات المتشابهة في المعنى، أو التي يربطها موضوع واحد، وذلك من أوجه **تفسير القرآن بالقرآن** على المصطلح الموسع، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈✹✹✹

---

(١) سورة هود ٤٦.

(٢) سورة البقرة ٦٧.

(٣) في جامع البيان (٨/٩٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠/٥)، اللباب في علوم الكتاب (٦/٢٤٩). التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٨٩١).

(٥) وهو القول الراجح في المراد بالجهالة في الآية، قال قتادةُ: « أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أنّ ما عُصِيَ الله به فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكلّ من عصى الله فهو جاهل ».

قال ابن عاشور: وذكر هذا القيد هنا لمجرد تشويه عمل السوء، فالباء للملابسة، إذ لا يكون عمل السوء إلا كذلك. التحرير والتنوير (٤/٦٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٨

بعد ما بين الله تعالى – في الآية السابقة – عباده الذين ضمّن قبول توبتهم، بيّن في هذه الآية من ليس لهم توبة مقبولة عنده، وهما صنفان:

١- أهل الإصرار – من المسلمين – على الذنوب والمعاصي ولا يتوبون إلاّ إذا حضرهم الموت، وعاينوا ملائكة ربهم، وأيقنوا من الموت، وحيل بينهم وبين فهم التوبة، بشغلهم بكرب الموت وحشرجته وغرغرته.

٢- غير أهل الإسلام الذي يوافون على شركهم وكفرهم[1].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: نسخ الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2]

فذهب بعض المفسرين إلى أنّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

أخرج الأئمة بالسّند الحسن عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾، قال: فأنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾؛ فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته، فلم يؤيسهم من المغفرة »[3].

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/ ٩٨-٩٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٢٦٠).

(٢) سورة النساء: ٤٨، ١١٦

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/١٠١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣ / ٩٧٠، ٩٠١)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٦٠٧)، والقاسم بن سلام في ناسخه (١/٤١٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٨٥) إلى الثلاثة الأول وأبي داود في ناسخه. وانظر: التفسير الصحيح (٢/٦٤).

وجه النسخ: أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾، نازلة في حقّ المسلمين الذي عملوا سيئات دون الكفر، و لم يتوبوا منها إلاّ عند حضور الموت - كما يدلّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ -، فحكم الله فيهم بعدم مغفرته لهم، وأخبر في الآية الثانية بأنه لا يغفر لمن أشرك به، أما غيره فتحْتَ مشيئته سبحانه إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، وذلك متعارض – على هذا القول – مع حكم الآية الأولى، فلزم النسخ[1].

وقد طعن بعض العلماء في القول بالنسخ هنا بأنّ الآية خبر والأخبار لا تنسخ.

وأجيب: بأنّ الآية وإن كان لفظها الخبر فإنّها تضمّنت تقرير حكم شرعي؛ فيجوز نسخ ذلك الحكم[2].

وإنما ضعف القول بالنّسخ لعدم وجود تعارض بين الآيتين؛ فقوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ لم تنف الغفران عن من لا توبة له مقبولة من المؤمنين، فيلزم أن يُنسخ بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3]، وإنما نفت أن يكون تائباً من لم يتب إلا مع حضور الموت[4].

قال ابن عطية: « فالعقيدة عندي في هذه الآيات أن من تاب من قريب فله حكم التائب فيغلب الظن عليه أنه ينعم ولا يعذب ... ومن لم يتب حتى حضره الموت فليس في حكم التائبين فإن كان كافراً فهو يخلد، وإن كان مؤمناً فهو عاص في المشيئة لكن يغلب الخوف عليه ويقوي الظن في تعذيبه ويقطع من جهة السمع أن من هذه الصّنف من يغفر الله له تعالى تفضلاً منه ولا يعذبه »[5].

وعلى هذا القول فالمراد بالذين يعملون السيئات عصاة المسلمين، وليس المراد بهم المنافقون أو المشركون كما سيأتي؛ لظاهر قوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾. الذين يراد بهم المشركون.

---

(١) جامع البيان (٥٣٨/٦) (بتصرف).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣٠/٢)، البحر المحيط (٢١٠/٣).

(٣) إذ قد يغفر الله له تفضلاً منه ورحمة وبشفاعة الشافعين.

(٤) المصدران السابقان.

(٥) المحرر الوجيز (٣٠/٢).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

سبق في المطلب الأول أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ أصحاب المعاصي من المسلمين، كما يدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الذي يراد به المشركون؛ فلا تعارض بينه وبين الآية التي ادُّعِيَ نسخُها بها، ويشكل على هذا القول قوله تعالى - في آخر الآية -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ فإنّ ظاهر قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أنه إشارة إلى الصنفين: عصاة المؤمنين الذين عملوا السيئات ولم يتوبوا إلاّ بعد فوات الأوان، والكفار الذين ماتوا على الكفر ، ويكونان قد شركا في إعداد العذاب لهما.

لذا حمل بعض المفسّرين الآية - في ذلك - على الآية المتقدّمة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

قال ابن جزي رحمه الله في ذلك: « فإن كانوا كفاراً فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم **فقوله** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ **ثابت في حق الكفار ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين** بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ **فعذابهم مقيد بالمشيئة** »(١).

وقال أبو حيّان رحمه الله: « وعلى تقدير أن يكون الوعيد للفاسق الذي لا توبة له، فلا يلزم وقوع ما دل عليه؛ إذ يجوز العقاب ويجوز العفو ... وكل وعيد للفساق الذين ماتوا على الإسلام **فهو مقيّد** بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهذه هي الآية المحكمة التي يرجع إليها »(٢).

ووجه البيان هنا: واضح من الكلام السابق؛ إذ أطلق الله العذاب على الكفار وأهل المعاصي الذين لا يتوبون في أوان التوبة، وذكر في الآية المفسِّرة أنه يغفر لغير أهل الشرك إذا شاء، فالعذاب المذكور في الأولى مقيّد – إذاً – بمن لم يغفر الله له من أهل المعاصي وعذبه، أما من غفر له بمشيئته فإنه غير معذَّب.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٤٠-٢٤١).

(٢) البحر المحيط (٣/٢١١).

ولعلّ القول بالنسخ الذي ذكره ابن جزي الكلبي مقصود به التقييد، كما صرّح به في نهاية كلامه.

ورجّح بعض أهل العلم أنّ الإشارة راجعة إلى الصنف الأخير فقط ﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ؛ إذ هو أقرب مذكور، واسم الإشارة يجري مجرى الضمير، فيشار به إلى أقرب مذكور، كما يعود الضمير على أقرب مذكور، ويكون إعداد العذاب مرتباً على الموافاة على الكفر؛ إذ الكفر هو مقطع الرجاء من عفو الله تعالى، والكافر أقبح فعلاً وأخس درجة عند الله من الفاسق فلا بد وأن يخصه بمزيد عقوبة وإهانة وإذلال بسبب كفرهم وشركهم[١].

وعلى هذا لا يبقى في الآية إشكال؛ إذ لم يدخل العصاة في الوعيد بالعذاب الأليم.

الأقوال الأخرى في الآية:

وقد ورد عن السّلف أقوال أخرى في المراد بالذين يعملون السيئات؛ للاحتراز عن التعارض بين الآيتين، في الوجهين المذكورين[٢]:

١- أنّ المراد بالسيئات الكفر؛ فالمراد بالذين يعملون السيئات أهل الكفر والشرك، ويكون المعنى: وليست التوبة للكفار الذين يتوبون عند الموت، ولا للذين يموتون وهم كفار، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[٣]، وسفيان الثوري[٤]، وعليه اقتصر بعض المفسرين[٥].

---

(١) التفسير الكبير (٩/١٠)، البحر المحيط (٢١١/٣)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٩٣/٥).

(٢) أي معارضة نفيه قبول توبتهم، لغفرانه لمن شاء منهم، ودخول عصاة المؤمنين في الوعيد بالعذاب الأليم وفيهم من يغفر الله له ولا يعذبه.

(٣) أخرجه ابن جرير من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/٤) معزواً إلى ابن جرير.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٠/٣) بسنده عن إسماعيل بن محمد بن جحادة قال: سألت سفيان الثوري عن قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال: الشرك.

وقد روي عنه أنهم المسلمون، قال: ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ، وهذا أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠١/٨)، وابن المبارك في الزهد (٥٣٣/١).

(٥) كابن أبي زمنين في تفسيره (١١٦/١).

٢- أنّ المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون، وهذا مرويٌّ عن أبي العالية[١]، والربيع[٢]، وحكي عن سعيد بن جبير[٣]، قالوا نزل أول الآية الأولى في المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، والوسطى ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ في المنافقين، والأخرى ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ في الكفار.

٣- وقيل: إنما التوبة على الله في الصغائر، وليست التوبة للذين يعملون السيئات في الكبائر، ولا الذين يموتون وهم كفار في الكفر.

وعلى هذه الأقوال لا يبقى في الآية إشكال وتعارض مع الآية الأخرى.

الترجيح:

إلاّ أنّ الراجح – كما سبق والعلم عند الله – أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ في عصاة المؤمنين الذين يتوبون حال اليأس من الحياة؛ لأنّه عطف الذين يعملون السيئات على الذين يموتون وهم كفار، وأصل العطف للمغايرة؛ فثبت أن الطائفة الأولى ليسوا من الكفار، ولأنّ المنافقين مندرجون في قوله: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فهم قسم من الكفار لا قسيم لهم[٤].

فالنتيجة: أنه لا يصح القول بنسخ قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ لعدم التعارض بينهما – كما سبق –، لكن الآية الثانية مقيِّدةٌ لما جاء في آخر الآية الأولى من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ على احتمال عود الإشارة إلى الصنفين، كما سبق تفصيله، والله أعلم.

---

(١) أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٠٠) بسنده عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع.

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٨/١٠٠) من طريق ابن أبي جعفر، عن أبيه.

(٣) انظر: زاد المسير (٢/٣٨) لباب التأويل في معاني التتريل (١/٤٩٨).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٠/٨) البحر المحيط (٣/٢١٠، ٢١١).

وقد أورد بعض المفسّرين عند تفسير هذه الآية جمعاً من الآيات الدّالّة على عدم قبول توبة من تاب عند حضور الموت، ومعاينة الهلاك[1]، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [2]، وقوله تعالى - إخباراً عن فرعون -: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [5].

وهذه الآيات كلّها في موضوع واحد، وتؤكد معنىً واحداً، ولا يظهر لي فيها بيان وتفسير للآية، فهو من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع[6]، والله تعالى أعلم.

❖❖❖❖❖❖

---

(١) أورد هذه الآيات كلها الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير(١٠/٦-٧)، ومن نقل عنه كـابن عـادل في اللباب في علوم الكتاب (٦/٢٥٣)، وذكر بعضها أبو حيان في البحر المحيط (٣/٢٠٩)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/٢٣٨). مع أنّ بعض هذه الآيات لا تفيد المعنى المذكور إلاّ بطول تأمّل كما لا يخفى.

(٢) سورة غافر: ٨٥.

(٣) سورة يونس: ٩٠-٩١.

(٤) سورة المؤمنون ٩٩ -١٠٠.

(٥) سورة المنافقون: ١١

(٦) مع أنّ بعض هذه الآيات لا تفيد المعنى المذكور إلاّ بطول تأمّل كما لا يخفى.

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩﴾ النساء: ١٩

هذا حكم لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من جعل زوج الميت موروثةً عنه، كما يورث ماله؛ فكانت إحداهن إذا مات زوجها، كان ابنه أو قريبُه أولى بها من غيره، ومنها بنفسها، إن شاء نكحها على غير صداق، وإن شاء عضلها فمنعها من غيره و لم يزوّجها حتى تموت.

وكان منهم أيضاً من يضايق زوجته التي هي في حباله ويضارها – إذا كرهها –؛ فيمنعها من حقوقها، ومن التوسعة لها لتفتدي منه، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، إلاّ أن ترتكب الزوجة فاحشة الزنا أو تترفع عن الزوج وتتمرد عليه وتبخسه حقه في الطاعة والمعاشرة بالمعروف، فللزوج عند ذلك أن يضايقها حتى تفتدي منه بمهرها أو بأكثر حتى يطلقها، وأمر تعالى عباده المؤمنين بمعاشرة الزوجات بالمعروف وهو العدل والإحسان[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بآي القرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير العضل في الآية بالعضل في سورة البقرة:

أخرج الإمام الطبري[(٢)] بسنده من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، قال: كالعَضْل في سورة البقرة".

ويريد بذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

(١) انظر: جامع البيان (٨/١٠٤-١٠٩)، التحرير والتنوير (٤/٦٧).

(٢) في جامع البيان (٨/١١٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٩٠) إليه وإلى عبد بن حميد.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٢.

وجه الارتباط بين الآيتين:

أنّ الله تعالى نهى في آية البقرة أولياءَ أمور النّساء عن عضل[1] مولياتهم ومنعهنّ نكاحَ أزواجهنّ الذين طلقوهنّ، إذا أرادا النكاح - بعد انقضاء مدة العدة - عن تراض، فجعل مجاهد النّهي عن عضل النّساء في قوله في الآية – هنا -: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ مثل ذلك، فيكون الخطاب في الآيتين لأولياء النساء.

وهذا قول مرجوحٌ؛ فالآيتان في أمرين مختلفين، ولا يُسيغ ورودُ النهي عن العضل فيهما حملَ أحدهما على الآخر؛ إذ لا وجه لذلك، بل هو مخالف لسياق الآية في قوله: ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ فالوليُّ ليس ممن أتاها شيئًا فيقال: - إنْ عضلها عن النكاح - عَضَلها ليذهب ببعض ما آتاها.

فآية البقرة في نهي أولياء النساء عن منع مولياتهم عن نكاح مطلقيهن بعد انقضاء العدة، كما يدلّ لذلك سبب نزولها[2].

أما النهي عن العضل في هذه الآية: فهو إما أن يكون معطوفاً على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ أو يكون مستأنفاً.

فعلى الأول يكون المخاطبين بالنهي أولياء الرجل؛ لأنّ الخطاب الأول فيهم، فنهاهم الله عن منع زوجات أقاربهنّ عن أن يتزوجن غيرهم ليأخذوا ميراثهن إذا متن، أو ليدفعن إليهم صداقهن إذا أذنوا لهن بالنكاح.

وقوله تعالى: ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ – على هذا الاحتمال - أي: ما آتاهن من ترثونه، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ جاز لكم حبسهن عن الأزواج، ولا

(١) العضل في اللغة: الحبس، والتضييق، ويطلق في كل منع شديد. انظر: الكشاف (٥٢٢/١)، المحرر الوجيز (٣٢/٢)، مفردات ألفاظ القرآن (١٠٠/٢).

(٢) وهو ما صحّ أنها نزلت في أخت معقل بن يسار، طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها فخطبها، فأبى معقل، كما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ برقم (٤٥٢٩).

يخفى ما في هذا من التعسف، مع عدم جواز حبس من أتت بفاحشة عن أن تتزوج وتستعف من الزنا.

وعلى الاحتمال الثاني: فالمخاطبون بالنهي الأزواج، إذا حبسوهن مع سوء العشرة طمعا في إرثهن أو يفتدين ببعض مهورهن، وهذا هو الراجح؛ لما تقدم من دلالة قوله: ﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على غير الأولياء لكونهم لم يُؤْتوا النساء شيئاً، ولا سبيل لأحد إلى عضل امرأة إلا لزوجها أو وليها فتعين أنّ الآية في عضل الأزواج، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ لأنها إذا أتت بفاحشة فليس للولي حبسها حتى يذهب بمالها إجماعاً من الأمة وإنما ذلك للزوج[1].

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/١١٣-١١٤)، المحرر الوجيز (٢/٣٢)، فتح القدير (١/٦٦٣).

المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ بما جاء بعده: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

فإنه تعالى بعد ما نهى الأزواج عن عضل النساء والتضييق عليهنّ، استثنى من ذلك حالة وهي: إذا جاءت المرأة بفاحشة مبينة كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها لزوجها وغير ذلك[1]، فإنه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها عقوبة لها على فعلها لتفتدي منه بما آتاه أو أكثر؛ لأنّ الاستثناء من النهي إباحة، وحكم المستثنى يخالف حكم المستثنى منه[2].

وقد نصّ على أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ استثناء من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، وأنه يجوز للأزواج عضل زوجاتهم وإضرارهنّ — إذا أتين بفاحشة مبينة – ليفتدين منهم، جمهور علماء الأمة، وهو الظاهر من سياق الآية[3].

ووجه بيانه لما قبله: أنّه استثناء منه، « وهو استثناء من أعم الأحوال، أو أعم الأوقات، أو أعم العلل، أي: ولا يحل لكم عضلهن في حال من الأحوال، أو في وقت من الأوقات، أو لعلة من العلل، إلاّ في حال إتيانهنّ بفاحشة، أو إلاّ في وقت إتيانهنّ، أو إلاّ لإتيانهن بها »[4]، ولا يختلف في ذلك ما إذا كان الاستثناء متصلاً أو منقطعاً[5]، إذ المعنى —

---

(١) فإنّ الظاهر شمول الآية لكلّ ما يدخل في مسمّى الفاحشة، وعدم تعيينها وتخصيصها بشيء من ذلك، كما اختاره ابن جرير في جامع البيان، قال ابن كثير: « إنه جيد، فإذا زنت أو أساءت بلسانها، أو نشزت جازت مضاجرتها؛ لتفتدي منه بما أعطاها على ما ذكرنا من عموم الآية »، تفسير القرآن العظيم، وانظر: تفسير المنار (٣٧٣/٤)، وأضواء البيان (١٤٩/١).

(٢) انظر: المغني (١٨٠/٨)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٥٠/٣) تأليف: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، بيروت.

(٣) انظر: جامع البيان (١١٥/٨)، تفسير مقاتل بن سليمان (٢٢١/١)، الكشف والبيان (٢٧٦/٣)، المحرر الوجيز (٣٣/٢)، الوجيز للواحدي (٢٥٧/١)، زاد المسير (٤٢/٢)، بدائع الصنائع (١٥٠/٣)، المغني (١٧٤/٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٤٢/١)، نظم الدرر (٢٣٠/٢)، تفسير الجلالين (صــ١٠٢)، البحر المديد (٣٤/٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٥٨/٢).

(٥) قال أبو حيان: « ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ هذا استثناء متصل، ولا حاجة إلى دعوى الانقطاع فيه كما ذهب إليه بعضهم ». البحر المحيط (٢١٢/٣).

على فرض الانقطاع -: ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن لكن إتيانهن بفاحشة يحل لكم أن تذهبوا ببعض ما آتيتموهن[١].

ففيه بيانٌ لما قبله؛ **إذ الاستثناء نوع تخصيص وتقييد لحكم ما قبله، فهو من البيان المتصل**، ولعلّ هذا هو مراد من قال بالنّسخ فيه[٢]؛ إذ لا يتصوّر وقوع نسخ في هذا.

والآية – على هذا المعنى – كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[٣]، فقد نهى الله فيها الرجال عن أخذ شيء مما آتوا أزواجهم عند الطلاق، ثم استثنى حالة خوفهما من إقامة حدود الله، فيجوز حينئذ الأخذ.

فاستثنى بقوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ حالة خوفهما من إقامة حدود الله للافتداء، وبقوله: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ حالة إتيان الزوجة بالفاحشة ونشوزها على زوجها.

وقد تقدّم تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾[٤]، وحمله الشنقيطي هناك على ما قيدت به هذه الآية[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٤/٧٠)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٨٩٦).

(٢) كابن حزم في الناسخ والمنسوخ (صـ٣٣)، والكرمي في الناسخ والمنسوخ (صـ٨٨).

(٣) البقرة: ٢٢٩ولهذا أورها ابن كثير عند تفسير هذه الآية في تفسيره (٢/٢٤١) على عادته في الجمع بين الآيات الموحّدة في المعنى أو في الموضوع، وأوردها كذلك غيره، انظر: تفسير المنار (٤/٣٧٣)، زهرة التفاسير (١/١٦٢٠-١٦٢١).

(٤) سورة البقرة: ٢٣١.

(٥) انظر: أضواء البيان (١/١٤٩).

القول الآخر:

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنّه لا يحلّ للرجل إذا كره امرأته أن يمسكها ويضيق عليها حتى تفتدي منه، وإن أتت بفاحشة من زنا أو نشوز أو بذاء.

حكى الزمخشريّ وغيره عن قتادة: « لا يحل له أن يحبسها ضراراً حتى تفتدي منه يعني وإن زنت »(١).

وهذا مذهب مالك وجميع أصحابه(٢)، ورواية عن الإمام الشافعي(٣)، واحتجوا بأدلة منها:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٤).

- قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾(٥)؛ لأنه إذا ضيق عليها حتى تفتدي منه، فقد أخذ مالها بغير طيب نفس منها، ولم يبح الله ذلك إلا عن طبيب نفس منها.

قالوا: إن الإذن في العضل إذا أتت بفاحشة منسوخ بهذه النصوص.

وأجاب الجمهور عن ذلك بمنع النسخ؛ لإمكان الجمع بحمل الإذن في العضل والمضارة على ما إذا أتت بفاحشة، وحمل النهي عن المضارة وأخذ العوض على ما إذا لم تأت بفاحشة(٦).

ومثل هذا يقال في ادعاء نسخ قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بحد الزنا في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ

---

(١) الكشاف (١/٥٢٢)، البحر المحيط (٣/٢١٢).

(٢) البيان والتحصيل (٥/٢٣٣).

(٣) انظر: المجموع (١٧/٣)،المهذب (٢/٧١)، وعنه قول آخر بالجواز كقول الجمهور.

(٤) سورة النساء: ٢٠.

(٥) سورة النساء: ٤.

(٦) للمزيد في هذا الموضوع يراجع بحث: حكم النشوز والخلع في أبحاث هيئة كبار العلماء (١/٥٦٥- ٦٥٤) والمنشور أيضاً في مجلة البحوث الإسلامية - العدد الثالث، (صـ ١٧٥-٢٢٦)، لعام ١٣٩٧هـ

تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]؛ لعدم التنافي بين الآيتين، فالحدود حقٌّ لله تعالى على من أتى بالفاحشة التي هي زنا، وأما العَضْل والتضييق على المرأة - إذا زنت أو نشزت - لتفتدي من زوجها بما آتاها أو ببعضه، فحق لزوجها، وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر[2].

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ بما جاء بعده: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾، لأنه مستثنىً منه، وهو **تخصيص وتقييد لحكم ما قبله**، وهو مما اتصل به بيانه وتفسيره، ولم يصح تفسير العضل في هذه الآية بالعضل في آية البقرة، لاختلاف مورد الآيتين؛ فآية البقرة في نهي الأولياء عن عضل مولياتهم، وآية النساء في نهي الأزواج عن عضل أزواجهم، كما سبق بيانه، والله تعالى أعلم.

---

(١) النور: ٢.

(٢) جامع البيان (٨/١٢٠) (بتصرف)، وانظر: المحرر الوجيز (٢/٣٣)، زاد المسير (٢/٤١).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ النساء: ٢٠ - ٢١

كان من ظلم الرجال للنساء في الجاهلية أنّ الرجل إذا أراد طلاق امرأته استردّ ما دفعه من مهر، وربما توسل إلى ذلك برميها بالفاحشة أو تهديدها بذلك؛ فنهى الله عن ذلك في هاتين الآيتين وجعله بهتاناً وإثماً مبيناً وأنكر عليهم أخذه ووبخهم على ذلك بعد أن اختلط بعضهم ببعض، وصار كل واحد منهم لباساً لصاحبه، وأخذت النساء منهم عهداً وثيقاً مؤكداً، تأكيداً لا يحل لكم أن تنقضوه أو تخالفوه[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هاتين الآيتين بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: نسخ النهي عن أخذ شيء من مال الزوجة:

ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ النهي عن أخذ شيء من الزوجة عند الطلاق منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾[2].

أخرج الطبري[3] بسنده عن ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾، قال: ثم رخص بعدُ فقال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، قال: فنسخت هذه تلك.

---

(١) انظر: نيل المرام شرح آيات الأحكام (١/١٣٣)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٨٩٩).

(٢) سورة البقرة: ٢٢٩

(٣) في جامع البيان (٨/١٣١)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤/٢٩٨) وعزاه إليه.

وقد ذهب بعضهم إلى العكس من ذلك فقالوا أنّ آية البقرة هي المنسوخة بهاتين الآيتين[1].

والصحيح أنّ الآيتان محكمتان و لم تنسخ منهما شيء؛ إذ ليس في حكم إحداهما نفي لحكم الأخرى؛ لأن الذي حرَّم الله على الرجل بقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، أخذُ ما آتاها منها إذا كان هو المريدَ طلاقَها، وأما الذي أباح له أخذَه منها بقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، فهو إذا كانت هي المريدةَ طلاقَه وهو له كاره[2].

المطلب الثاني: المراد بالميثاق الغليظ:

في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ لم يبيِّن الله ما هذا الميثاق الغليظ الذي أخذته النساء من أزواجهنّ، فحمله جمع من المفسّرين على ما أخذ الله تعالى للمرأة على زوجها من عهد وميثاق عند عقد النكاح أن يمسكها بمعروف أو يسرحها بإحسان، في قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[3].

أخرج الأئمة – رحمهم الله- عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال: هو قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[4].

---

(١) حكى ذلك الجصاص في أحكام القرآن (٤٩/٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٣٦٩/٢٣-٣٧٠).

(٢) جامع البيان (١٣٢/٨)، بتصرف، وانظر تضعيف القول أيضاً في: أحكام القرآن للجصاص (٤٩/٣)، المحرر الوجيز (٣٥/٢)، المغني (١٧٤/٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٠١/٥-١٠٢)، التحرير والتنوير (٧٤/٤)، تفسير المنار (٣٧٨/٤).

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٤٩/٤) من طريق عطاء الخراساني، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٩/٣) بسنده عن حبيب بن أبي ثابت.

وفي رواية: الميثاق الغليظ: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وهو ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٦/٤) عنه، معزواً إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

وعن قتادة قال:"الميثاق الغليظ" الذي أخذه الله للنساء: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وكان في عُقْدة المسلمين عند نكاحهن:"أيْمُ الله عليك، لتمسكن بمعروف ولتسرحَنّ بإحسان"(١).

وروي مثل ذلك عن الضحاك(٢)، والسدي(٣)، والحسن، وابن سيرين(٤)، وغيرهم. وهو قول جماعة من المفسّرين(٥).

ووجه البيان: أنّ الله تعالى أجمل الميثاق الغليظ الذي أخذته النساء من الرجال، وفي الآية الثانية أوصى الله الرجال في نسائهم بأن يمسكوهن بمعروف أو يسرحوهن بإحسان، فيكون ذلك هو الميثاق الذي أُخِذَ للمرأة على زوجها؛ لأنّ ذلك عهد وإقرار من الرجال للنساء(٦)، ومعلوم أنه إذا ألجأها إلى أن بذلت المهر فما سرحها بالإحسان بل سرحها بالإساءة (٧).

الأقوال الأخرى في تفسير الميثاق الغليظ الذي أخذته النساء من الرجال:

وقد ورد عن السّلف في تفسير الميثاق الغليظ والمراد به أقوال أخرى أهمها(٨):

١- أنّ الميثاق الغليظ هو قول النبي ﷺ: « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله »(٩).

---

(١) أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١٢٧/٨) من طريق سعيد، وأخرج وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٤٠/٢) من طريق معمر، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٦/٤) إليهما وإلى عبد بن حميد.

(٢) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١٢٨/٨) بأسانيده من طريق جويبر، وأورده السيوطي في الدر (٢٩٧/٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٣) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (١٢٨/٨) بسنده من طريق أسباط.

(٤) فيما أخرجه الطبري عنهما في جامع البيان (١٢٨/٨) بسنده من طريق أبي بكر الهذيلي.

(٥) فقد اقتصر عليه الفراء في معاني القرآن (٢٣٨/١)، ومقاتل في تفسيره (٢٢٢/١)، والسمرقندي في بحر العلوم (٣١٧/١)، ورجحه الطبري وغيره.

(٦) انظر: جامع البيان (١٣٠/٨).

(٧) التفسير الكبير (١٥/١٠).

(٨) انظر هذه الأقوال والقائلين بها في: جامع البيان (١٢٨/٨-١٣٠)المحرر الوجيز (٣٥/٢)، التفسير الكبير (١٥/١٠)، معالم التنزيل (١٨٧/٢)، زاد المسير (٤٣/٢)، تفسير القرطبي (١٠٣/٥)، البحر المحيط (٢١٦/٣).

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر الطويل في حجة النبي ﷺ، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨).

روي ذلك عن عكرمة[1]، والربيع[2]، وهو معنى قول: مجاهد[3]، وابن زيد[4].

٣- أنّ الميثاق الغليظ هو: الولد؛ إذ به تتأكد أسباب الحرمة وتقوى دواعي الألفة.

٤- أنّه: ما شرط في العقد من أنّ على كل واحد منهما تقوى الله، وحسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف، وما جرى مجرى ذلك.

٥- أنّه: حق الصحبة والمضاجعة، قاله الزمخشري[5].

الترجيح: ولعلّ الراجح - والعلم عند الله - في تعيين هذا الميثاق الغليظ، ما أوصى الله به الرجال في نسائهم بإمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان، كما ورد ذلك في الآية[6]؛ فقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ معناه: فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بإحسان؛ فهو - إذاً - أمر من الله للرجال أن يقوموا بذلك للنساء، والله تعالى أعلم.

فالنتيجة: صحة تفسير الميثاق الغليظ الذي أخذته النساء للرجال بما أمر به الله الرجال في أزواجهم من إمساكهن بالمعروف أو تسريحهن بإحسان، والله تعالى أعلم.

---

(١) كما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١٢٩/٨) مسنداً من طريق إسرائيل.

(٢) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (١٢٩/٨-١٣٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٩/٣) مسنداً من طريق ابن أبي جعفر عن أبيه.

(٣) فيما أخرجه عنه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٢٨/٨-١٢٩) بأسانيده من طرق، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٩/٣) من طريق ابن أبي نجيح، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٩٨/٤) معزواً إليهما وإلى عبد بن حميد، وأخرج نحوه عنه (٢٩٧/٤) معزواً إلى ابن أبي شيبة.

(٤) كما أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (١٢٩/٨) مسنداً من طريق ابن وهب.

(٥) في الكشاف (٥٢٣/١).

(٦) انظر: جامع البيان (١١٣٠/٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾ النساء: ٢٤

بعد ما ذكر الله تعالى المحرمات من النساء في النكاح، أباح في هذه الآية الكريمة – لطفًا منه ورحمة وتيسيرًا لعباده – جواز نكاح من سواهن؛ فأحل للرجال أن يطلبوا الزواج والعفة بأموالهم التي يدفعونها مهوراً للزوجات، حالة كونهم أعفاء غير زناة.

وفرض على الرجال إعطاء النساء مهورهن كاملاً إذا استمتعوا بهنّ بعد عقد زواج مشروع، ولا إثم على الزوجين فيما تمَّ التراضي به بينهما، من زيادة أو نقصان في المهر عن طيب نفس[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

ذهب جمهور المفسرين من السّلف والخلف إلى أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ إيتاء مهر وصداق المرأة، فالآية نازلة في النكاح ومعناها: فإذا استمتعتم بالمنكوحات وتلذذتم للجماع منهنّ فقد وجب إعطاؤهنّ الأجر وهو المهر والصّداق[(٢)].

وحمل بعض المفسّرين الآية – بهذا المعنى – على الآيات الواردة من القرآن الكريم في الأمر بإيتاء النساء مهورهنّ والنهي عن أخذه والذهاب به.

كقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[(٤)]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾[(٥)].

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٣/٢٨٦) المحرر الوجيز (٢/٤٣)، بحر العلوم (١/٣١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٤٦-٢٤٧)، البحر المديد (٢/٤٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٧٤).

(٣) سورة النساء: ٤.

(٤) سورة النساء: ٢٠-٢١.

(٥) سورة البقرة: ٢٢٩.

فقد أخرج الأئمة – رحمهم الله – عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق علي ابن أبي طلحة في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، يقول: « إذا تزوج الرجل منكم المرأة، ثم نكحها مرة واحدة، فقد وجب صَداقها كلُّه، والاستمتاع هو النكاح، وهو قوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ »[1].

وقال الإمام الجصاص رحمه الله: « ثم قال ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ﴾ يعني دخلتم بهن ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ كاملة وهو كقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، والاستمتاع هو الانتفاع »[2].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :« وقوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك، كقوله: : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [3]، وكقوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وكقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ »[4].

وذكر العلاّمة الشنقيطي مثل كلام ابن كثير هذا وأورد هذه الآيات[5].

ووجه البيان والارتباط بين الآيات:

أنّ الله أمر بإيتاء النساء مهورهنّ في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، كما نهى – في الآيتين – عن أخذ شيء من مهورهنّ، فيحمل قوله - هنا – ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ على ذلك، فيفسر الأجور بالصدقات والمهور التي تؤتى للنساء[6]، **تفسيراً للفظ بأشهر وأكثر منه استعمالاً**، وقد بيّن الله في قوله:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٧٥/٨)، وابن المنذر في تفسيره (٦٤٢/٢-٦٤٣)، و النحاس في ناسخه (٣٢٩/١)، وأورده ابن عبد البر في التمهيد (١٢٠/١٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٢٨/٤) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس.

(٢) أحكام القرآن (٩٤/٣).

(٣) سورة النساء:

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٥٨/٢).

(٥) انظر: أضواء البيان (٢٣٦/١).

(٦) قال بعض المفسرين: سُمّيَ المهر أجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع؛ فصار له شبه قوي بأثمان المنافع. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢٩/٥)، البحر المحيط (٢٢٨/٣)، التحرير والتنوير (٨٧/٤).

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ سبب استحقاقهن الصداق كاملاً بأنه إفضاء بعضهم إلى بعض، وذلك هو الاستمتاع المذكور هنا في قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[1].

القول الآخر في المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾:

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى أنّ المراد بأجورهنّ ما اشترطوا لهنّ من المال مقابل الاستمتاع؛ فتكون الآية نازلة في نكاح المتعة، والمعنى: فمن جامعتموهنّ ممن نكحتموهن نكاح المتعة فآتوهن أجورهنّ.

واحتجوا بالتعبير بلفظ الاستمتاع، وردّ بأنّ أصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع، والنكاح استمتاعٌ؛ لأنه منفعة دنيوية، وجميع منافع الدنيا متاع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[2][3].

كما استدلوا بالتعبير بلفظ الأجور الذي يدلّ على أنّ المقصود الأجرة في نكاح المتعة؛ لأن الصداق لا يسمى أجراً، ورُدّ هذا أيضاً بأنّ القرآن سمّى الصّداق أجراً في مواضع لا نزاع فيه، كما في قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]، أي: مهورهن بلا نزاع، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[5][6].

---

(١) انظر: أضواء البيان (١/٢٣٦).

(٢) سورة الرعد:٢٦.

(٣) انظر: التفسير الكبير (١٠/٤٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٥٠٦)، التحرير والتنوير (٤/٨٨)، وينظر إطلاقات كلمة المتاع والاستمتاع في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في: دقائق التفسير (٣/١٢٦)، وينظر أيضاً: بصائر ذوى التمييز (١/١٣٩٩).

(٤) سورة النساء: ٢٥. ولهذا الشبه بينهما أوردها الهندي في تفسير الآية؛ في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٢١)، فهما مشتركان في ورود الأجور فيهما مراداً بها مهر النساء وصداقهن.

(٥) سورة المائدة: ٥.

(٦) انظر: أضواء البيان (١/٢٣٦).

واستدلّوا – أيضاً – بقراءة جمع من الصحابة والتابعين: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمى }[1]، وهذا يدلّ على أنّ الآية في نكاح المتعة الذي يؤجلّ بأجل مسمّى.

والجواب عن هذه القراءة من وجهين[2]:

الأول: أن قولهم إلى أجل مسمى لم يثبت قرآناً؛ لإجماع الصحابة على عدم كتبه في المصاحف العثمانية، وأكثر الأصوليين على أن ما قرأه الصحابي على أنه قرآن، ولم يثبت كونه قرآنا لا يستدل به على شيء؛ لأنه باطل من أصله.

الثاني: أنا لو مشينا على أنه يحتج به، كالاحتجاج بخبر الآحاد كما قال به قوم، أو على أنه تفسير منهم للآية بذلك، فهو معارض بأقوى منه؛ لأن جمهور العلماء على خلافه؛ ولأن الأحاديث الصحيحة الصريحة قاطعة بكثرة بتحريم نكاح المتعة.

الترجيح:

فالآية – إذاً – نازلة في النكاح الصحيح، ولا مانع من حمله عليه، ولا ضرورة لحملها على نكاح المتعة، وسياق الآية يدلّ دلالة واضحة على ذلك؛ لأنه تعالى ذكر المحرمات التي لا يجوز نكاحها، ثم بيّن أنّ غير تلك المحرمات حلال بالنكاح، ثم بين أن من نكحتم منهن واستمتعتم بها يلزمكم أن تعطوها مهرها، مرتبا لذلك بالفاء على النكاح بقوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[3]، كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ يدلّ على أن المراد النكاح الصحيح؛ لأنه من المعلوم أن النكاح الذي يحقق الإحصان والذي لا يكون الزوج به مسافحا هو النكاح الصحيح الدائم المستوفى شرائطه، لا نكاح المتعة الذي لا يقصد به إلا سفح الماء وقضاء الشهوة[4].

---

(١) حُكيت هذه القراءة عن أبي بن كعب، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي، انظر: جامع البيان (١٧٧/٨)، تفسير ابن المنذر (٦٤١/٢)، الكشف والبيان (٢٨٦/٣).

(٢) أضواء البيان (٢٣٧/١-٢٣٨).

(٣) أضواء البيان (٢٣٨/١) (بتصرف واختصار).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٩١٤/١) (بتصرف واختصار).

ولو سلمنا جدلاً أنّ الآية دالّة على إباحة نكاح المتعة فإن ذلك منسوخ بالأحاديث الصّحيحة المتفق عليها عن رسول الله ﷺ[(١)].

وقد ذهب بعض العلماء إلى نسخ إباحة المتعة بآيات من القرآن الكريم، وهو:

المطلب الثاني، واختلفوا في الآية الناسخة لها على ثلاثة أقوال:

١- أن الآية النّاسخة لها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾[(٢)]، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[(٣)].

٢- أنّها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[(٤)]، وهذا مرويٌّ عن عائشة[(٥)]، وحكي عن الشافعي[(٦)].

---

(١) وهو ما ثبت في الصحيحين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخراً. برقم (٥١١٥). صحيح مسلم في كتاب: النكاح باب: نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ برقم (١٤٠٧).

وفي صحيح مسلم عن سبرة بن معبد الجهني، أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فقال: «يأيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حَرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن» صحيح مسلم كتاب النكاح، باب: نكاح المتعة رقم (١٤٠٦).

(٢) سورة الطلاق: ١.

(٣) فيما أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٦٤٤/٢) والنحاس في ناسخه (٣٢٦/١)، وأبو عبيد في ناسخه أيضاً (١٢٤/١)، والجصاص في أحكام القرآن (٩٥/٣)، وابن عبد البر في التمهيد (١٢٠/١٠) مسنداً من طريق عطاء الخراساني.

وأخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٢٩٢/١) من طريق عطاء أيضاً إلاّ أنّه ذكر آيتين أخريين مع الآية الناسخة وهما: قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ البقرة: ٢٢٨ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ الطلاق: ٤ ، وهو الذي أخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣٣١/٤) وعزاه إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر والنحاس.

(٤) سورة المؤمنون: ٥ - ٧، وذكر جمع من المفسّرين هذه الآية كدليل على تحريم المتعة للوجه الذي يأتي دون حكاية لنسخها للمتعة، انظر: أحكام القرآن للجصاص (٩٨/٣) التفسير الكبير (٤١/١٠).

(٥) فيما أخرجه عنها أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١١٦/١) من طريق القاسم بن محمد، وحكاه عنها جمع من أهل التفسير، كالنحاس في معاني القرآن (٦٠/٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤٣/٢)، ومكي في الهداية (١٢٨٤/٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٥).

(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم (٣٣/١)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٥٠٦/١).

٣- أنّها آية الميراث يعني: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾[١] الآية، وهذا مرويّ عن سعيد ابن المسيب[٢]، وهو قول ابن حزم[٣].

ووجه نسخ الآية بهذه الآيات: أنّ الآية نازلة في إباحة نكاح المتعة - على رأي من قال بذلك - فدلّت كلّ من هذه الآيات على ما يناقض ذلك؛ إذ دلّت الأولى على إيجاب العدّة على المطلقة، والمتعة لا عدّة بها، وقصّرت الآية الثانية إباحة الوطء على النكاح وملك اليمين وحظر ما عداهما بقوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، وليست المتعة نكاحاً ولا ملك يمين، فهي إذا محرمة، كما دلّت الآية الثالثة على وجوب الميراث للزوجة، والمتعة لا ميراث بها، فهي رافعة لحكمها[٤].

لذا روي عن بعض السلف أنّ المتعة منسوخة بالطلاق، والعدة، والميراث[٥].

والصحيح هو القول الأوّل، وهو أنّ الآية نازلة في النكاح، ولا علاقة لها بالمتعة لا من قريب ولا من بعيد وإنما هي في سياق الكلام على أحكام الزوجات، وإذا ثبت ذلك بطل كلّ قول بنسخ الآية بالآيات أو الأحاديث، وأما المتعة فقد أجازها النبي ﷺ ثم نهى عنها وحرّمها فكان قوله منسوخاً بقوله[٦].

---

(١) سورة النساء: ١٢.

(٢) ذكره عنه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٢٦/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٤٣/٢)، ومكي أبي طالب في الهداية (١٢٨٤/٢)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٣٣١/٤-٣٣٢) معزوا إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر والنحاس والبيهقي.

(٣) في الناسخ والمنسوخ له (٣٣/١).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٩٨/٣)، معاني القرآن للنحاس (٦٠/٢)، الهداية إلى بلوغ النهاية (١٢٨٤/٢)، نواسخ القرآن (٢٩١/١).

(٥) وهو مروي عن علي بن أبي طالب كما عند البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧/٧)، وعن عبد الله بن مسعود كما أخرجه عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في ناسخه (١١٨/١)، وأخرجه البيهقي أيضاً في السنن الكبرى (٢٠٧/٧)، وقال مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢٢٤/١): نسختها آية الطلاق وآية المواريث.

(٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٩٧/٣)، زاد المسير (٥٣/٢-٥٤)، نواسخ القرآن (٢٩٣/١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٥٠٧/١) نيل المرام شرح آيات الأحكام (١٥٣/١)،التفسير القرآني للقرآن (٧٤٣/٣، ٧٤٨).

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ بالآيات المذكورة التي وردت فيها الأمر بإيتاء النساء مهورهنّ، أو النهي عن أخذها؛ إذ فيها بيان للفظ الأجور بألفاظ أشهر وأكثر منه استعمالاً كالصداق.

ولا يصح القول بنسخ الآية بآيات أخرى لأنها لم تدل على نكاح المتعة أصلاً حتى تنسخ بالآيات المذكورة – كما سبق-.

وقد نظّر جمع من المفسرين قوله تعالى في الآية المفسَّرة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ بقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[1]، وزاد بعضهم قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2][3].

وذلك لاتحاد هاتين الآيتين مع الآية – على القول الراجح – في المعنى الذي هو: عفو المرأة عن شيء من مهرها لزوجها والسماح له بالأكل منه، فيكون معنى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾: إذا فرضت لها صداقًا فأبرأتك منه، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك[4]، فإيرادها من قبيل جمع الآيات المتماثلة في موضوعها، الواردة لتقرير معنىً واحد، وهو مثال لتفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✹✹✹

(١) كابن أبي زمنين في تفسيره (١٢٠/١)، وأبي حيان في البحر المحيط (٢٢٨/٣)، وابن كثير في تفسيره (٢٥٩/٢).

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) كأبي السعود في تفسيره (١٦٥/٢)، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٣١٥/٦)، والهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ١٢١).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٥٩/٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾ النساء: ٢٥

أباح الله بهذه الآية الكريمة لمن قصرت يده عن التزوج من الحرائر، وخشي على نفسه الوقوع في الزنا، أن يتزوج من الإماء المؤمنات، حيث مهرهن قليل، ونفقتهن يسيرة بالنسبة للحرّة، وذلك بعد إذن أهلهنّ ومالكي رقابهنّ[(١)]، ويجب المهر لهنّ كما يجب للحرة، ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن عفيفات عن الزنا غير زانيات في السرّ والعلانية، وبيّن الله في ثنايا ذلك حكم الأمة إذا أحصنت بالزواج ثم ثبت عليها الزّنا، بأنّ عليها نصف حدّ المحصنة الحرّة، ومع جواز نكاحهنّ لمن لم يقدر على نكاح الحرائر فإنّ الصبر – إن أمكن – عن نكاحهن أفضل؛ لما فيه من تعريض الأولاد للرق، وما فيه من الدناءة والعيب[(٢)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

جعل الله في هذه الآية حدّ الأمة المحصنة نصف حدّ الحرّة، ولم يبيّن هنا حدّ الحرائر الذي نصفه على الأمة، فحمله جمهور جمع من أهل العلم على الآية الواردة في حقّ الزواني، وهي قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: – في تفسير الآية –« لم يبين هنا هذا العذاب الذي على المحصنات وهن الحرائر الذي نصفه على الإماء، ولكنه بين في موضع آخر أنه جلد مائة بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾، فيعلم منه أنّ على الأمة الزانية خمسين جلدة »[(٤)].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٣/٧٥٧) (بتصرف).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٤).

(٣) سورة النور: ٢.

(٤) أضواء البيان (١/٢٣٩).

وقال صاحب المنار رَحِمَهُ اللهُ- في تفسير الآية -: « أي: فإذا فعلن الفعلة الفاحشة وهي الزنا بعد إحصانهن بالزواج فعليهن من العقاب نصف ما على المحصنات الكاملات، وهن الحرائر إذا زنين، **وهو ما بينه تعالى بقوله:** ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾، فالأمة المتزوجة تجلد إذا زنت خمسين جلدة، وأما الحرة فتجلد مائة جلدة »[1].

ووجه البيان: واضح وظاهر؛ فهذه الآية جعلت حدّ المملوكة المحصنة إذا زنت نصف حدّ الحرائر، ولم يذكر حدّ الحرائر ولا بدّ من معرفته حتى يعرف نصفه، وهو ما أخبرت به آية النور، أنه مائة جلدة، فنصفه الذي على المملوكة خمسون جلدة.

إلاّ أنّ هذا يشكل عليه أنّ حدّ الحرائر في الزّنا حدّان: مائة جلدة ونفي عام للبكر، والرجم للثيب، فكيف يحمل نصف ما على المحصنات على ما جاء في حقّ الأبكار دون الثيبات؟.

والجواب: أنّ المراد بالمحصنات في الآية هنا الأبكار الحرائر[2]، لأنّ الثيب عليها الرجم، والرجم لا يتبعض، فيكون على الأمة نصفه؛ فثبت بذلك أنّ المراد به ما يقبل التبعيض وهو مائة جلدة الواردة في حق الأبكار[3].

وقد أورد بعض المفسرين[4] عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[5]؛ وذلك لورود لفظ العذاب فيها مراداً بها الحدّ الشرعي الواجب في حق مرتكبي الزنا، فهو إذاً من جمع الآيات المتماثلة، أو جمع موارد اللفظة القرآنية ووجوهها ونظائرها[6]، وهو أوسع من بيان القرآن بالقرآن كما سبق.

---

(١) تفسير المنار (٥/٢٠-٢١).

(٢) وأراد بالإحصان: الإحصان من جهة الحرية لا الإحصان الموجب للرجم، أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٢٤).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٦٦)، التفسير الكبير (١٠/٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٤٥)، البحر المديد (٢/٤٦)، فتح القدير (١/٦٧٨). وإنما قيل للبكر محصنة وإن لم تكن متزوجة، لأنّ الإحصان يكون بها، كما يقال: أضحية قبل أن يضحي بها. وكما قيل للإبل هَدْيٌ وإنْ لم تُهْدَ لأنّ الهدْي يكون منها. غريب الحديث لابن قتيبة (١/٢١٤)، تأويل مشكل القرآن له (صـ٢٧٥).

(٤) انظر: الكشاف (١/٥٣٢)، البحر المحيط (٣/٢٣٣)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٧٤)، وذكرها الشنقيطي لكن عند تفسير آية النور في أضواء البيان (٥/٤٦٤).

(٥) سورة النور: ٨.

(٦) لذا ذكرها ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر (١/٤٤٩)، وأن العذاب في القرآن على عشرة أوجه.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ النساء: ٢٧

مضت سنة القرآن الحكيم بأن يعلل الأحكام الشرعية ويبين حكمها بعد بيانها، وفي هذه الآية والتي قبلها تعليل لما تقدم من أحكام النكاح[١]، فأخبر تعالى في هذه الآية أنّه يريد بتلك الأحكام أن يجعل المؤمنين بالعمل بها تائبين مما سلف في زمن الجاهلية وأول الإسلام، ليعفوَ لهم عما سلف من آثامهم، ويتجاوز لهم عما كان منهم في جاهليتهم، من استحلالهم ما هو حرامٌ عليكم من نكاح حلائل آبائهم وأبنائهم وغير ذلك مما كانوا يستحلونه ويأتونه.

ثم أخبر عن الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها أنهم يريدون أن يميل المؤمنون عن أمر الله تبارك وتعالى، ويجوروا عنه بإتيانهم ما حرّم عليهم جورًا شديدًا[٢].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

وقد اختلف أهل التأويل في الذين وصفهم الله بأنهم يتبعون الشهوات، ويريدون أن يميل المؤمنون وينحرفوا عن سبيل الله، ففسّرهم بعض العلماء بأهل الكتاب؛ لأنّ الله تعالى وصفهم بمثل هذا الوصف في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾[٣].

قال ابن الوزير[٤] رحمه الله – في معرض تمثيله على تفسير القرآن بالقرآن –: « ومنه – أي تفسير القرآن بالقرآن – تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بأهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ ويقويه أن عصاة المسلمين لا يريدون فجور صالحيهم، والآية وردت بضمير الغائب في المريدين وضمير الخطاب في المائلين فقوى ذلك »[٥].

---

(١) انظر: تفسير المنار (٥/٢٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/٢١٢).

(٣) سورة النساء: ٤٤.

(٤) هو: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضي الصنعاني، المعروف بابن الوزير، محدث، فقيه، زاهد، له تصانيف، توفي في صنعاء عام (٨٤٠هـ)، انظر البدر الطالع (٢/٨١)، معجم المؤلفين (٨/٢١٠).

(٥) إيثار الحق على الخلق (ص١٥١).

وقال الطاهر ابن عاشور رحمه الله - عند تفسير الآية - « ونظيره قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ »[1].

ووجه البيان: أنّ الله أخبر في الآية الثانية عن أهل الكتب أنهم يتمنّون ضلال المؤمنين عن السبيل القويم، وهو مثل ما أخبر به عن الذين يتبعون الشهوات أنهم يريدون انحراف المؤمنين وعدولهم عن الصراط المستقيم، فيكون أهل الكتاب هم المرادون بالآيتين **حملاً لما أبهم في الأولى على ما صرّح به في الثانية.**

وقد روي عن بعض السّلف أنّ المراد بالآية الزناة[2]، والصّحيح أنّ الآية عامة لجميع أهل الباطل ومبتغي الشهوات والمحرمات؛ وذلك لأنّ الله عز وجل عمّ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ جميعَ من اتبع شهوته وهوى نفسه و لم يخصص أحداً من ذلك فيبقى الخبر على عمومه شاملاً[3].

أما ما روي عن مجاهد رحمه الله[4] من تشبيه الآية بقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[5]، فهو لما يجمعهما من المعنى من أنّ أعداءَ الله يودون ويرغبون في ضلال المؤمنين، ليكونوا مثلهم[6].

❖❖❖

(١) التحرير والتنوير (٩٨/٤)، ولا يرى أنّ الآية خاص بأهل الكتاب بل يرى شموليتها.

(٢) انظر: جامع البيان (٢١٢/٨-٢١٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٩٢٥/٣-٩٢٦)، تفسير ابن المنذر (٦٥٧/٢-٦٥٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٢١٥/٨)، وهذا قول جماهير المفسرين، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٤٩/١-٢٥٠).

(٤) وهو ما أخرجه الإمام الطبري بسنده عنه من طريق ابن جريج في قوله: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ ، قال: الزنا، ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ، قال: يزني أهلُ الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

(٥) سورة القلم: ٩.

(٦) وقد اختلف عبارات المفسرين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ وكلها - كما يرى القرطبي - صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى، وكلّها تفيد المعنى المشار إليه من أنّ المشركين وأعداء الله يودّون لو يلين لهم النبي ﷺ في دينه بإجابتهم إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون له، وإنّما أرادوا بذلك المداهنة التدرج به ﷺ معهم إلى ما بعدها من تعطيل الدعوة. انظر: جامع البيان (٥٣٤/٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/١٨-٢٣١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) ﴾ النساء: ٢٩

ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموالهم أو أموال غيرهم بالباطل، ويشمل ذلك أكل الإنسان ماله على وجه البطر والإسراف، كما يشمل أكل أموال الغير بأنواع المكاسب التي لم تشرع، كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل، ثم أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب الخالية من الموانع، المشتملة على الشّروط من التّراضي وغيره.

ونهى عن قتل الإنسان نفسه. وأن يقتل بعضهم بعضًا، إنّ الله رحيم بعباده، ومن رحمته أن صان نفوسهم وأموالهم، ونهاهم عن إضاعتها وإتلافها[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

وقد حمل بعض المفسّرين هذه الآية على قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(٢)] على أنه منسوخ بها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ قال: « فكان الرجل يُحرّجُ أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية فنسخ ذلك الآية التي في النور قال (ليس عليكم جناح)[(٣)] ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾»[(٤)].

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٥).

(٢) سورة النور: ٦١.

(٣) هذه العبارة ليست من نص الآية، لذا قال البيهقي: « كذا قال يريد قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾ وذكر الآية كلها ».

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣/٣٩٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٢٧٤) مسنداً من طريق يزيد النحوي عن عكرمة عنه. وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/٣٥).

=

وروي نحو هذا عن عكرمة والحسن البصري[1]، وقتادة[2]، وحكاه جمع من أصحاب الناسخ والمنسوخ[3].

وجه النسخ – على القول به -: أنّ الآية - عندهم- دليل على تحريم ما عدا ربح التجارة من أموال الناس ــ أي كالهدية والهبة وقرى الضيف ــ ثم نسخ ذلك بآية النور المبيحة للإنسان أن يأكل من بيوت أقاربه وأصدقائه[4].

والصحيح – والعلم عند الله تعالى - أنّ الآية محكمة غير منسوخة؛ لعدم التنافي بين الآيتين، فآية النساء في النهي عن أكل مال الغير من غير طيب نفسه، فهو من أكل المال بالباطل، وذلك غير منسوخ وجوازه لا يحسن ولا يحل، والآية -في النور- في جواز أكل مال الغير عن طيب نفسه وذلك جائز؛ فالآيتان في حكمين مختلفين لا تنسخ إحداهما الأخرى، ولا مدخل لذكرهما في باب الناسخ والمنسوخ[5].

ويمكن القول أنّ مراد من قال بالنسخ: أن الناس تحرجوا بعد نزول الآية أن يأكلوا عند أحد، وفهموا ذلك، لا على أن الآية أوجبت ذلك[6]؛ ثمّ لمّا نزلت الآية الثانية فهموا منها جواز ما كانوا تحرّجوا منه، فتكون الآية نسخت وأزالت ذلك الفهم والتحرّج، وقد تقدّم أشباه ذلك مراراً[7].

❖❖❖✱✱

=

وقد أخرج الطبري في جامع البيان (١٩/٢١٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٢٧) والنحاس في معاني القرآن (٤/٥٥٨) وفي الناسخ والمنسوخ (١/٥٩٨) عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة نحواً من هذا إلا أنّه لم يصرح فيه بالنسخ، وهو إسناد حسن، انظر: التفسير الصحيح (٢/٣٦)، (٣/٤٨٢).

(١) فيما أخرجه الطبري عنهما في جامع البيان (٨/٢١٨) من طريق الحسن بن واقد، عن يزيد النحوي، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٣٤٨) معزوا إلى الطبري.

(٢) فيما أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٢٧) قال ابن كثير : « وكذا قال قتادة بن دعامة ».

(٣) ذكره هبة الله في ناسخه (صـ ٧٢-٧٣، وابن حزم في ناسخه (صـ٣٣-٣٤)، والكرمي في ناسخه (صـ٩٠).

(٤) انظر: تفسير المنار (٥/٣٥).

(٥) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (صـ١٩٠) (بتصرف)، وانظر: جامع البيان (٨/٢١٩)، نواسخ القرآن (١/٢٩٥).

(٦) ولعلّ الآثار الواردة عن ابن عباس يفهم منها ذلك، كقوله في الأثر الأول: فكان الرجل يحرج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية ، وقال في الأثر الآخر: فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحلّ لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكفّ الناس عن ذلك.

(٧) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/١٢٧- ١٢٨).

تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ النساء: ٣١

هذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين؛ وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات وأدخلهم مدخلا كريما كثير الخير وهو الجنة المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

دلّت هذه الآية على أنّ الذّنوب كبائر وصغائر، وهو قول جمهور العلماء من السّلف والخلف، ودلّ عليه القرآن والسّنة وإجماع الصحابة والتابعين(٢).

وقد اختلف العلماء في عدد الذنوب الكبائر وفي تعيينها على أقوال كثيرة، وحملها بعضهم على آيات من القرآن الكريم.

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

فقد رُوي عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما أخذ على النساء من الكبائر(٤).

قال ابن أبي حاتم رحمه الله: يعني قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية.

وما رُوي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: الكبائر، من أول "سورة النساء" إلى ثلاثين منها(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥٨/٥)، الزواجر عن اقتراف الكبائر (صـ٨)، لأحمد بن حجر الهيتمي، ط: دار الفكر. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (٨٧/١)، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) سورة الممتحنة: ١٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٣٤/٣) عنها من طريق مسروق، وعزاه السيوطي في الدر (٣٦٩/٤) إليه وإلى ابن مردويه.

(٥) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٣٣/٨) بأسانيده من طرق كثيرة، وأخرجه عنه الطبراني في المعجم الكبير (٩٢/٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٨/٧).

وما رُوي عن عبيد بن عمير رحمه الله قال: الكبائر سبع، ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله ... ثمّ ذكرها مع الآيات الدالة عليها[1].

وهذا من باب التمثيل على الكبائر بما ورد في الآيات المذكورة؛ وليس من تفسير القرآن بالقرآن؛ إذ ليس في الآيات المذكورة تصريح بأنّ المنهيات الواردة فيها ذنوبٌ كبائر، حتى تفسّر بها الكبائر وتحمل عليها، والعلم عند الله تعالى.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٢٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٣٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ النساء: ٣٣

أي: لكل واحد من الناس جعلنا ورثة أو عصبة يرثون مما تركه الوالدان والأقربون من المال، والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم قبل الإسلام، فآتوهم نصيبهم، كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك العهود والمعاقدات[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

المطلب الأول: تفسير "الموالي" بما جاء بعده قوله تعالى: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أنّ " موالي " في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ مفسر بقوله تعالى: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

قال الإمام الثعلبي رحمه الله: « ثم فسّر الموالي فقال: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، أي هم الوالدان والأقربون »[٢].

وذكر مثل هذا بلفظه أو نحوه البغوي، والزمخشري، والخازن، والبيضاوي، وغيرهم[٣]، بين مقتصر عليه ومُحْكٍ له كوجه من الوجوه.

وجه البيان:

أنّ القائلين بهذا القول ذهبوا إلى أنّ تقدير الآية: ولكل من الرجال والنساء جعلنا موالي أي ورثة يرثون مما ترك، وتمّ الكلام، وقوله: الوالدان والأقربين استئناف مفسر، كأنه قيل: ومن الوارث؟ فقيل: هم الوالدان والأقربون.

وعلى هذا فالوالدان والأقربون هم الوارثون.

---

(١) التفسير المنير (٤٨/٥)، وانظر: التفسير الميسر (صـ ٣٣)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٩٢٩/١).

(٢) الكشف والبيان (٣٠٠/٣).

(٣) انظر: الكشاف (٥٣٦/١)، معالم التنزيل (٢٠٥/٢)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٥١٧/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٨٢/١)، تفسير السراج المنير (٢٤١/١)، البحر المديد (٥٦/٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١٧٣/٢)، تفسير المنار (٥٣/٥).

ولو صحّ هذا الوجه لكان من تفسير القرآن بالقرآن البيان المتصل، لكنّه لم يترجح لي صحته للوجوه الأخرى في الآية.

الأقوال الأخرى:

وقد ذكر المعربون – كما سبق – في إعراب هذه الآية وتقدير معناه وجوهاً كثيرة، أوصلها بعضهم إلى ستة أوجه، أشهرها[١]:

- أنّ الوالدان والأقربون في محل رفع فاعل ترك ولكل جعلنا ورثة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له، واقتصر على هذا الطبري وابن كثير وغيرهما[٢].

ولم يتبيّن لي ترجيح أيٍّ وجه – من هذين الوجهين أو غيرهما من الوجوه المذكورة – على غيره؛ فهو كما قال محي الدين الدرويش – عن هذه الآية –: «وقد تكلّم المعربون والمفسرون كثيراً عن هذه الآية، وأطالوا في القول، وقلبوا الكلام على شتّى وجوهه فلم يصل أحد منهم إلى طائل يشفي الغليل، فهي من الكلام المعجز »[٣].

---

(١) انظرها في: البحر المحيط (٣/٢٤٧)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/١١٠٨).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/٢٧١-٢٧٢)، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٨٨)،تفسير الجلالين (صـ١٠٥).

(٣) إعراب القرآن وبيانه (٢/٢٠٦). وقد اختار وجهاً رآها الأقرب ثم قال عنه: « وهذا أجود الأوجه من جهة المعنى، ولكنه كما رأيت يحتاج إلى تقديرات كثيرة ».!!

المطلب الثاني: نسخ التوريث بالمعاقدة:

وقد حمل المفسّرون هذه الآية على آيات من القرآن على أنها منسوخة بها في قولين:

الأوّل: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)]، وقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[(٢)].

فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أنّ الآية نازلة في الحلفاء الذين كانوا يرثون من محاليفهم في الجاهلية وفي صدر الإسلام، ثم نسخ ذلك بهاتين الآيتين.

وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[(٣)]، وعكرمة والحسن البصري[(٤)]، وقتادة[(٥)]، وهو قول الجمهور[(٦)]، وذكره جمع من المؤلفين في الناسخ والمنسوخ[(٧)].

الثاني: أنّ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ منسوخ بقوله تعالى قبله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

وذهب القائلون بهذا القول إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ نزلت في الذين آخى رسول الله ﷺ بينهم من المهاجرين والأنصار، فكان بعضهم يرث بعضًا بتلك المؤاخاة، ثم نسخ الله ذلك بقوله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، وهذه رواية عن ابن عباس[(٨)].

---

(١) سورة الأنفال: ٧٥

(٢) سورة الأحزاب: ٦

(٣) روي ذلك عنه من طرق عديدة، وبألفاظ متقاربة، انظر: سنن أبي داود، ك: الفرائض، باب نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، رقم٢٩٢١، والمستدرك (٣٤٦/٤- ك الفرائض)، جامع البيان (٢٧٥/٨-٢٧٧) تفسير ابن أبي حاتم (٩٣٧/٣) تفسير ابن المنذر (٦٨٣/٢) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام (٣٥٤/١)، نواسخ القرآن (٢٩٦/١) الدر المنثور (٣٧٩/٤-٣٨٠).

(٤) فيما أخرجه عنهما الطبري في جامع البيان (٢٧٣/٨) من طريق يزيد النحوي.

(٥) فيما أخرجه عنه الإمام الطبري في جامع البيان (٢٧٥/٨) من طريق سعيد.

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٧٦/٢)، نواسخ القرآن (٢٩٩/١)، تفسير القرطبي (١٦٦/٥).

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم (٣٤/١)، الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة المقري (صـ٧٣)، الناسخ والمنسوخ للكرمي (٩١/١).

(٨) وذلك فيما أخرجه عنه البخاري في كتاب التفسير، باب﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ رقم (٤٥٨٠) من رواية سعيد بن جبير عنه، وأخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٢٧٧/٨).

وقد وقع في جميع نسخ البخاري – كما قال ابن بطال وغيره -: فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ نسختها: =

وقد حاول الحافظ ابن حجر الجمع بين هذين القولين باحتمال أن يكون النسخ وقع مرتين: الأولى حيث كان المعاقد يرث وحده دون العصبة فنزلت: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾؛ فصاروا جميعا يرثون، وعلى هذا يتنزل حديث ابن عباس، ثم نسخ ذلك آية الأحزاب وخص الميراث بالعصبة وبقي للمعاقد النصر والأرفاد ونحوهما، وعلى هذا يتنزل بقية الآثار[1].

الأقوال الأخرى في الآية[2]:

وللمفسرين في الآية أقوال أخرى، أهمها:

١- أنّ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ محكم وليس بمنسوخ، وإنما أمر الله المؤمنين أن يعطوا الحلفاء أنصباءهم من النصرة والنصيحة وما أشبه ذلك، وهذا قول مجاهد[3]، واختاره الطبري والنحاس، قالوا: إنما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصرة لا غير، والإسلام لم يغير ذلك[4].

٢- أنّ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أثبتت الميراث للحلفاء، و لم ينسخ ذلك، غير أنه جعل ذوي الأرحام أولى من موالي المعاقدة، فإذا فقد ذوي الأرحام ورثوا، وكانوا أحق به من بيت المال، وهذا مذهب أبي حنيفة[5].

=

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

قال ابن بطال: « والصواب أن المنسوخة: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وقد بين ذلك الطبري في روايته، ولفظه فلما نزلت هذه الآية ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ نسخت ». شرح صحيح البخارى لابن بطال (٨/ ٣٦٢).

قال ابن حجر: « وقد تقدم في الكفالة التفسير من رواية الصلت بن محمد عن أبي أسامة مثل ما عزاه للطبري فكان عزوه إلى ما في البخاري أولى ». فتح الباري (٨/٢٤٨).

(١) فتح الباري (٨/٢٤٩).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٣/٣٠١)، زاد المسير (٢/٧١-٧٢)، النكت والعيون (١/٤٧٩-٤٨٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٥١٧) اللباب في علوم الكتاب (٦/٣٥٧-٣٥٨).

(٣) فيما أخرجه الإمام الطبري في جامع البيان (٨/٢٧٨-٢٧٩) مسنداً عنه من طرق متعددة.

(٤) انظر: جامع البيان (٨/٢٨٨)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٣٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٦٦).

(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٤)، نواسخ القرآن (١/٢٩٩).

٣- أنّ الآية نازلة في الذين كانوا يتبنون أبناءَ غيرهم في الجاهلية، فأمروا في الإسلام أنْ يوصوا لهم عند الموت وصيةً، وهذا مرويّ عن سعيد بن المسيب[(١)].

٤- أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر حين أبى الإسلام فحلف أبوبكر رضي الله عنه ألاّ يورّثه، فلما أسلم أمره الله تعالى أن يورّثه نصيبه[(٢)].

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه – والله أعلم – هو قول الجمهور بنسخ الآية؛ فإنّ من الحلف ما كان على المناصرة والمعاونة، ومنه ما كان على الإرث، كما حكاه غير واحد من السلف[(٣)]، ونسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ واضح ولا مفرّ منه، ولا تناقض بين القولين السابقين في النسخ – كما سبق الجمع بينهما في كلام ابن حجر.

النتيجة: صحة تفسير القرآن بالقرآن هنا؛ بنسخ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ بقوله قبله: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾، ثم نسخ ذلك كله بقوله: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾. والله تعالى أعلم.

وقد أورد بعض المفسرين[(٤)] عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ قوله تعالى: - حكاية عن زكريا عليه السلام ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[(٥)].

---

(١) فيما أخرجه عنه الإمام الطبري في جامع البيان (٨/٢٨٠) والواحدي في أسباب النزول (صـ١٠٠)، والقاسم بن سلام في ناسخه (١/٣٥٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٦٣) مسنداً من طريق ابن شهاب الزهري.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣/٨٩)، ك: الفرائض، باب: نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٠٤) مسندا من طريق محمد ابن إسحاق، عن داود ابن حصين، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢/٤٠٤)؛ لعنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٢).

(٤) كالذي أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٢٧١) بسنده عن عبد الرحمن بن زيد.
وشبه بين الآيتين الماوردي في النكت والعيون (١/٤٧٩)، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار (٥/٥٤).

(٥) سورة مريم: ٥.

وما ذلك إلاّ للاستشهاد بها على تفسير الموالي في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ بالورثة[1]، فهو من قبيل جمع الآيات التي وردت فيها مفردة قرآنية، للاستشهاد ببعضها على تفسير يختاره المفسّر، وهو من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والعلم عند الله تعالى.

(١) قال أبو حيان: « والمولى: لفظ مشترك بين معان كثيرة، منها: الوارث وهو الذي يحسن أن يفسر به هنا؛ لأنه يصلح لتقدير إنسان وتقدير مال ». البحر المحيط (٣/٢٤٧).

قال الحافظ ابن حجر – عن تفسير موالي في الآية بالورثة –:« هذا متفق عليه بين أهل التفسير من السلف ». فتح الباري (٨/٢٤٨). وانظر إطلاقات المولى في لغة العرب في: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (١/١٢٤) ونقلها عنه البخاري في صحيحه.

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧﴾ النساء: ٣٧

في هذه الآية الكريمة ذمٌّ للذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به، ويمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة، ولا يكتفون بذلك بل يأمرون غيرهم بأن يكونوا بخلاء مثلهم، وأن يسلكوا مسلكهم الذميم، ويخفون نعم الله التي أعطاها لهم سواء أكانت هذه النعم نعما مالية أم علمية أم غير ذلك من نعم الله عليهم، ثم بيّن الله مصير هؤلاء الكفار وما هيأه لهم من العذاب المهين(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أخرج الإمام الطبري(٢) بسنده عن عبد الرحمن ابن زيد رحمه الله في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾، قال: « هؤلاء يهود، وقرأ: ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾، قال: يبخلون بما آتاهم الله من الرزق، ويكتمون ما آتاهم الله من الكتب، إذا سئلوا عن الشيء وما أنزل الله كتموه، وقرأ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾(٣)، من بخلهم ».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله - عند تفسير قوله: ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ -: « فالبخيل جَحُود لنعمة الله عليه لا تظهر عليه ولا تبين، لا في أكله ولا في ملبسه، ولا في إعطائه وبذله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ﴾(٤) أي: بحاله وشمائله، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾(٥) وقال هاهنا: ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ »(٦).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٢)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١/٩٤٢).

(٢) في جامع البيان (٨/٣٥٣) من طريق عبد الله بن وهب.

(٣) سورة النساء: ٥٣.

(٤) سورة العاديات: ٦، ٧.

(٥) سورة العاديات: ٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٣).

وجه الارتباط بين الآية وهذه الآيات المذكورة:

الذي يظهر من وجه الارتباط بين الآية والآيات المذكورة – والعلم عند الله تعالى – هو التشابه بينها في الموضوع.

فابن زيد ﷺ فسر الذين يبخلون ويأمرون بالبخل باليهود الذين بخلوا بالإعلام بصفة محمد ﷺ، وبما عندهم من العلم في ذلك، وأمروا الناس بالبخل بأن قالوا لأتباعهم وعوامهم اجحدوا أمر محمد وابخلوا به، وبأن قالوا للأنصار لم تنفقون أموالكم على هؤلاء المهاجرين فتفتخرون عليهم[1].

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ الدالة على أنّ اليهود أصحاب أثرة شديدة وشح مطاع يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم، فهم لشدة بخلهم لو آل الملك لهم لما أعطوا أحداً أحقر الأشياء وأتفهها ولو مقدار نواة[2].

فالآيتان – على هذا واردتان في الحديث عن وصف اليهود بالبخل، ولا يظهر لي في إحداهما بيان وتفسير للآخر.

وكذلك القول في كلام الحافظ ابن كثير فقد أورد هذه الآيات الدالة على حب الإنسان للمال وحرصه عليه وبخله به، وهو من طبيعة النفس البشري.

فالآيتان – أيضاً – متحدتان في المعنى والموضوع، فأورد الحافظ الآية الثانية عند تفسير الآية الأولى للجمع بين الآيات المتماثلة؛ لما في ذلك من إلمام القارئ بأطراف الموضوع وجوانبه المتعددة.

والقول بأنّ المراد بالذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اليهود رأي غير واحد من السّلف والخلف، فقد روي عن ابن عباس، ومجاهد[3]، وقتادة[4]، والسدي[5]،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٦٣/٢) البحر المحيط (٢٥٦/٣).

(٢) انظر: تفسير المنار (١٢٩/٥) أيسر التفاسير للجزائري (٤٩٣/١).

(٣) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان(٣٥٢/٨) عنه بأسانيده من طريق ابن أبي نجيح.

(٤) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان(٣٥٢/٨) عنه بإسناده من طريق سعيد.

(٥) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان(٣٥٢/٨) عنه مسنداً من طريق أسباط.

واختاره جمع من المفسرين[1]؛ لكون اليهود جمعوا بين الاختيال والفخر والبخل بالمال وكتمان ما أنزل الله من التوراة من نعت محمد ﷺ[2].

وذهب بعضهم إلى أنّ الآية في البخل بالمال - وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك بطريق الأولى - ؛ لأنّ سياق الكلام في الإنفاق على الأقارب والضعفاء[3].

(١) انظر: جامع البيان (٨/٣٥٥)، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٩٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٥/١٩٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ النساء: ٤٢

هذا إخبار من الله تعالى عمّا يلاقيه الكفار والعصاة يوم القيامة — يوم سشهد كل نبي على أمته – من الأهوال العظيمة والأفزاع الجسيمة ما يتمنون لو كانوا سواءً هم والأرض، ولا يكتمون الله يومئذ حديثاً، بل تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون.

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

في تفسير هذه الآية بالقرآن مطلبان:

المطلب الأول: قوله تعالى: المراد بتمني الكفار تسوية الأرض بهم:

فقد فسّر جمهور المفسرين قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بأنهم: يودون لو صاروا تراباً فكانوا سواء هم والأرض.

وفسّروا الآية – على ذلك – بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[(1)].

نقل الثعلبي وغيره عن الكلبي – في تفسير الآية –: « يقول الله عز وجل للبهائم والوحش والطير والسباع: كنّ تراباً فتسوّى بها الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافرون لو كانوا تراباً يمشي عليهم أهل الجمع، **بيانه قوله** عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ »[(2)].

وقال الراغب الأصفهاني: « ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ ، وذلك إشارة إلى ما قال عن الكفار: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ »[(3)].

ونصّ على تفسير الآية بهذه الآية – أو استشهد بها عند تفسيرها – جمع غفير من أهل التفسير[(4)].

---

(١) سورة النبأ: ٤٠.

(٢) الكشف والبيان (٣/٣١١)، معالم التنزيل (٢/٢١٨)، وذكر مثله السمعاني في تفسيره (١/٤٢٩) لكنه لم يعزه للكلبي.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٢٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٨/٣٧٢)، معاني القرآن للنحاس (٢/٩٠-٩١)، تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٧)، تفسير الجلالين (صـ١٠٧)، عون المعبود (١٠/٧٤)، محاسن التأويل (٣/١٢٠) تفسير المنار (٥/٩٠)، تفسير المراغي (٥/٤٤)، أضواء البيان (١/٣٨٨)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٩)، التفسير المنير (٥/٧٥).

وجه البيان: واضح وبيّن؛ إذ هو من بيان المعاني بعضها ببعض، فالله أخبر عن الكفار في الآية المفسَّرة أنهم يودون لو يكونون هم والأرض سواء، وهذا المعنى ليس واضحاً، وقد يحتمل وجوهاً أخرى – كما سيأتي –؛ فلما أخبر في الآية المفسِّرة أنّ الكافر يتمنى يوم القيامة أن يكون تراباً، حُمِل المعنى الأول على ذلك وفُسِّر به.

ولا فرق في تفسير الآية بالآية المذكورة بين القراءات الثلاث المتواترة في قوله: ﴿تُسَوَّىٰ﴾[1]، غاية ما هناك أنه نسب الفعل في قراءة { تَسَّوَّى، و تَسَوَّى } إلى الأرض ظاهراً، والمعنى: يودون لو صاروا ترابا فكانوا سواء هم والأرض، ونسب الفعل في قراءة ﴿تُسَوَّىٰ﴾ إلى ما لم يسمّ فاعله، والمعنى: لو سواهم الله الأرض فصاروا تراباً مثلها[2].

وإن كانت قراءة التسمية للفاعل هي الموافقة – في اللفظ- لقولهم كنت تراباً و لم يقولوا كُوِّنْتُ[3]، أما المعنى فواحد؛ لأن من تمنى منهم أن يكون يومئذ تراباً، إنما يتمنى أن يكون كذلك بتكوين الله إياه كذلك، وكذلك من تمنى أن يكون الله جعله كذلك، فقد تمنى أن يكون تراباً[4].

---

(١) فقد قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر { تَسَّوَّى} بفتح التاء وتشديد السين والواو، أصله: تتسوى فأدْغِمت إحدى التاءين في السين. وقرأ حمزة والكسائي وخلف { تَسَوَّى} بفتح التاء وتخفيف التاء. والباقون بضم التاء وتخفيف السين. انظر: السبعة في القراءات (صـ ٢٣٤) لابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد)، ت: د. شوقي ضيف، ط٢،١٤٠٠هـ، دار المعارف – القاهرة. التبصرة في القراءات السبع (صـ١٩٢) لمكي بن أبي طالب، الدار السلفية- بومباي- الهند، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. والتيسير لأبي عمرو الداني (ص ٩٦)، تحبير التيسير في القراءات العشر (١/٣٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٩٠-٩١)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها (١/٣٩٠) لمكي بن أبي طالب، ط٤،١٤٠٧هـ، ت: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة- بيروت. حجة القراءات (١/٢٠٣) تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، ط٢، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: سعيد الأفغاني، الدر المصون (١/١١٢١).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٢/٩٠-٩١).

(٤) جامع البيان (٨/٣٧٢)

الأقوال الأخرى في الآية:

وقد وردت عن المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ — غير هذا القول — أقوال أخرى، أهمها[1]:

١- أنّ المعنى: يودون أن يدفنوا في الأرض كما كانوا قبل البعث، وعبّر المفسرون عن هذا القول بعبارات متقاربة، فهو معنى قول قتادة: «ودوا لو انخرقت الأرض فساخوا[2] فيها»[3]، وقول ابن جريج: «فتنشق لهم فيدخلون فيها، فتسوى عليهم»[4]، وقول أبي عبيدة: «لو يدخلون فيها حتى تعلوهم»[5]، وقول ابن كثير: «لو انشقت وبلعتهم»[6].

٢- أنّ المعنى: يودّون أنّهم لم يبعثوا وبَقُوا مستوين مع الأرض في بطنها.

٣- أنّ المعنى يودون أنهم بقوا تراباً على أصلهم من غير خلق، وتمنوا أنهم كانوا هم والأرض سواء.

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه — والعلم عند الله تعالى — هو القول الأول؛ لموافقته دلالة القرآن الكريم، وهو قول جمهور المفسرين — كما تقدم — .

مع أنه يمكن القول بعدم التناقض بينه وبين أن يكون المراد: يودون أن يدفنوا في الأرض كما كانوا قبل البعث؛ إذ يكون المعنى — عند الجمع بينهما — أنهم يودون أن يكونوا تراباً تحت الأرض، ولذلك أورد الحافظ ابن كثير والسعدي آية سورة النبأ المفسِّرة بعد تفسيرهما ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بما تقدم.

كما أنّ المعنى متقارب مع القولين الآخرين عند التأمل، والله أعلم.

---

(١) انظر هذه الأقوال في: الكشف والبيان (٣/٣١٠)، الكشاف (١/٥٤٤)، النكت والعيون (١/٤٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (٥/١٩٨)، زاد المسير (٢/٨٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/٢٦٤).

(٢) ساختْ بهم الأرض تَسُوخُ سَوْخاً وسُؤوخاً إذا انخسفت، وكذلك الأقدام تسوخُ في الأرض: تَدْخُل فيها وتغيب. انظر: لسان العرب (٤/٢١٤١) (سوخ)، القاموس المحيط (صـ٢٣٠) (س و خ).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٥٧)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٧١٣) من طريق سعيد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٤٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه عنه ابن المنذر في تفسيره (٢/٧١٣) من طريق ابن ثور، وإليه عزاه السيوطي في الدر (٤/٤٤٥).

(٥) مجاز القرآن (١/١٢٨).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٧)، ويقاربه تفسير السعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٩).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.

فقد فسِّر هذا المقطع من الآية بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، بيَّن في موضع آخر أنّ عدم الكتم المذكور هنا، إنّما هو باعتبار إخبار أيديهم وأرجلهم بكل ما عملوا عند الختم على أفواههم إذا أنكروا شركهم ومعاصيهم وهو قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ »[2].

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري – حفظه الله -: « وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ إخبار عن عجزهم عن كتمان شيء عن الله تعالى؛ لأنّ جوارحهم تشهد عليهم بعد أن يختم على أفواههم، كما قال تعالى من سورة يس ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ »[3].

وجه البيان:

يظهر وجه بيان آية سورة يس المذكورة للآية عند معرفة ما يوهم التعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ الدّالة على أنّ الكفار لا يكتمون من خبرهم شيئاً يوم القيامة، وبين الآيات الأخرى الدالة على خلاف ذلك[4]، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[7].

---

(١) سورة يس: ٦٥.

(٢) أضواء البيان (١/٣٨٨).

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١/٤٨١).

(٤) انظر: دفع إيهام الاضطراب (صـ٩٠-٩١).

(٥) سورة الأنعام: ٢٣.

(٦) سورة النحل: ٢٨.

(٧) سورة غافر: ٧٣ – ٧٤.

فالآيات دالة على أنهم كتموا ما كانوا يعملون، فلا بدّ من حمل عدم الكتم في الآية على ما يتوافق مع تلك النصوص، فلما أخبر الله تعالى في آية يس أنّ الكفار تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم حمل عدم الكتم على ذلك، ويحمل ما بدا عنهم من الكتمان على ما نطقت بها أفواههم قبل الختم عليها، فكتم الحق باعتبار اللسان، وعدمه باعتبار الجوارح(١).

وبهذا جمع ابن عباس رضي الله عنهما بين قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، لما سُئل عن ذلك(٢).

وتفسير عدم كتمانهم شيئاً بأنّ ذلك بجوارحهم هو قول جمهور المفسرين(٣).

قال الإمام الطبري رحمه الله: « وأما قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، فإنّ أهلَ التَّأويل تأولوه بمعنى: ولا تكتم الله جوارحهم حديثاً، وإن جحدت ذلك أفواههم »(٤).

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسرين أجوبة أخرى في الجمع بين الآيات المذكورة، لا يلزم فيها حمل الآية على آية سورة يس، ومنها:

١- الجمع بتعدد الأماكن والمواطن والطوائف يوم القيامة؛ فيكتم قومٌ ويُقر آخرون، ويكتمون في موطن ويُقرون في موطن آخر. وهذا محكيّ عن الحسن البصري، وذكره جمع من المفسرين(٥).

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب (صـ٩١).

(٢) كما في صحيح البخاري كتاب التفسير، سورة حم السجدة، من أثر طويل قال فيه: « وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم وقال المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً وعنده ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٣٠/١).

(٤) جامع البيان (٣٧٣/٨).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٤٣٠/١)، معاني القرآن للنحاس (٩٢/٢)، البرهان في علوم القرآن (٥٦/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٩١/١)، تفسير الجلالين (صـ١٠٧)، البحر المديد (٣٤٢/٢)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٩):

٢- أنّ الكلام كله متصل، فقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ داخل في التمني، والمعنى: أنهم يتمنون لو تسوى بهم الأرض، ويتمنون ألا يكتموا الله حديثاً، وذلك ندم على كذبهم حين قالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[1].

٣- أن المعنى: لا يقدرون على أن يكتموا لأنّ ما عملوه ظاهر عند الله لا يقدرون على كتمانه[2].

ويمكن القول أنّ هذه الأقوال – وإن حكاها بعض المفسرين كأقوال مختلفة – ليست متناقضة، وكلها صحيحة، ولا مانع من حمل الآية عليها، والعلم عند الله تعالى.

وإن كان أولاها ما دلّت عليه آيات القرآن، وصحّ عن حبر الأمة وترجمان القرآن، وهو قول جمهور المفسرين.

وبذلك يصح تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ بأنّ المراد بعدم كتمهم: شهادة أيديهم وأرجلهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، وبذلك لا يتنافى مع الآيات الأخرى الدالة على أنّ الكفار يكتمون؛ فذلك بأفواههم قبل الختم.

◈◈◈✸✸✸

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/٩٢)، المحرر الوجيز (٢/٦٨) الجواهر الحسان (١/٣٧٦).

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٠/٨٦)، فتح القدير (١/٧٠٤).

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء: ٤٣

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن الصلاة في حال السُّكْرِ، الذي لا يدري معه المصلي ما يقول، وعن قربان محلها - وهي المساجد- للجُنُب، إلا أن يكون مجتازا من باب إلى باب من غير مُكْث[١].

ولما كان الاغتسال من الجنابة يتعسر في بعض الأحوال، ويتعذر في بعضها ومثله الوضوء، كحالات: المرض، والسفر، وعدم وجود الماء، وكانت الصلاة عبادة محتومة وفريضة موقوتة لا هوادة[٢] فيها ولا مندوحة[٣] عنها، بين لنا سبحانه – في هذه الآية – الرخصة في ترك استعمال الماء، والاستعاضة عنه بالتيمم[٤].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بآية القرآن ثلاث مطالب:

المطلب الأول: القول بنسخ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ **بآيات من القرآن:**

فقد ذهب جمع من أهل العلم إلى أنّ الآية منسوخة، واختلفوا في الآية الناسخة لها على قولين:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٨).

(٢) الهوادة: اللين والرفق، انظر: لسان العرب (٣/٤٣٩)، تاج العروس (٩/٣٥٤).

(٣) المندوحة: السعة يقال نَدَحْت الشيء إذا وَسَّعته، ومعنى: لا مندوحة عنه: أي لا دفع عنه ولا منع، انظر: المخصص لابن سيده (٤/١٦٩)، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/٢٤٧).

(٤) انظر: تفسير المنار (٥/٩٦).

الأول: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(١)].

فقد روي القول بنسخ الآية بآية المائدة هذه عن ابن عباس[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، وقتادة[(٤)]، وعكرمة[(٥)]، وغيرهم[(٦)]، وذكره جمع من أهل التفسير[(٧)]، وممن صنفوا في الناسخ والمنسوخ[(٨)].

وجه النسخ:

أنّ هذه الآية وردت فيها النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر التي تنجم عن شرب الخمر، ويقتضي ذلك النهي عن شرب الخمر في أوقات الصلاة، وجوازه فيما عدا ذلك[(٩)]، حتى نزلت آية المائدة وحرمت الخمر مطلقاً، فكانت ناسخةً لبعض مدلولات هذه الآية[(١٠)].

الثاني: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

---

(١) سورة المائدة : ٩٠.

(٢) فيما أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في ناسخه (٣٨٧/١) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٠٣/١) مسنداً عنه من طريق علي بن أبي طلحة، كما أخرجه عنه ابن الجوزي أيضاً بسنده من طريق عكرمة وغيره في نواسخ القرآن (٣٠٣/١-٣٠٤).

(٣) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان(٣٧٧/٨) عنه بأسانيده من طريق ابن أبي نجيح.

(٤) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان(٣٧٧/٨) والنحاس في ناسخه (٣٣٧/١) عنه مسنداً من طريق معمر.

(٥) فيما أخرجه عنه ابن المنذر (٧٢٠/٢)، من طريق علي بن بذيمة، وعزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٤٥١/٤).

(٦) قال ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٥٩/٣): « وروي عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، والضحاك، وقتادة، وعطاء الخراساني، وزيد بن اسلم أنهم قالوا: منسوخة ».

(٧) كابن الجوزي في زاد المسير (٨٩/٢)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٣٠٨/٢)، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ١٧٩).

(٨) كالنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٣٧/١) وابن سلامة المقري في الناسخ والمنسوخ (صـ٧٤)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٠٣/١-٣٠٤).

(٩) وهو الذي فهمه الصّحابة من الآية؛ إذ لم يفهموا من الآية التحريم المطلق، فكانوا لا يشربون في أوقات الصلات، فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلاّ وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون، إلى أن نزلت آية المائدة فقالوا: انتهينا يا رب. غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١٩/٢).

(١٠) انظر: التفسير الكبير (٨٩/١٠)، المصفى بأكف أهل الرسوخ (صـ٢٤)، البحر المحيط (٢٦٥/٣)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤١٩/٢).

طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

وهذا مرويّ عن ابن عباس أيضاً[2].

ووجه النسخ – على هذا القول –: أنهم أُمِروا – في الآية الأولى – بألاّ يصلوا إذا سكروا، وأبيح لهم تأخير الصلاة حتى يزول السُّكر، ثم نسخ ذلك بالآية الثانية؛ إذ أُمِرُوا فيها بالصلاة على كل حال[3].

وهذا القول بعيد؛ لإمكان التقدير فيه: إذا قمتم إلى الصلاة غير سكارى، فلا يكون فيه نسخ[4].

الأقوال الأخرى:

وذهب بعض العلماء إلى أنّ الآية محكمة غير منسوخة، ولكن من أحد وجهين:

الوجه الأول: أنّ الآية غير دالة على إباحة الخمر حتى تنسخ بتحريمها[5].

الوجه الثاني: أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ سكر النوم، وهذا مرويّ عن الضحاك[6]، وقال عبيدة السلماني[7]: يعني إذا كنت حاقناً[8].

قال القرطبي: « وقول الضحاك وعبيدة صحيح المعنى؛ فإن المطلوب من المصلي الإقبال على الله تعالى بقلبه وترك الالتفات إلى غيره، والخلو عن كل ما يشوش عليه من نوم وحقنة وجوع، وكل ما يشغل البال ويغير الحال »[9].

---

(١) سورة المائدة : ٦.

(٢) أخرج هذا النحاس في ناسخه (٣٣٦٧/١) مسنداً عنه من طريق عكرمة، وحكاه عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/٥)، ونسبه أبو حيان في البحر المحيط (٢٦٥/٣) إلى عكرمة وتعجب منه.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٣٧/١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/٥)، البحر المحيط (٢٦٥/٣).

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٧٠/١).

(٥) انظر: البحر المحيط (٢٦٥/٣).

(٦) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٣٧٧/٨)، وابن المنذر في تفسيره (٧٢١/٢) من طريق سلمة بن نبيط، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥١/٤) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) **عبيدة السلماني** المرادي الكوفي الفقيه المفتي، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه، وتفقه بعلي وابن مسعود رضي الله عنهما. توفي سنة ٧٢هـ، انظر: العبر في خبر من غبر (٧٩/١)، الوافي بالوفيات (٣٢٦/٦).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢٠١/٥).

(٩) المصدر السابق.

الترجيح:

والراجح – والله أعلم – أنّ الآية محكمة غير منسوخة؛ فهي ليست دالة على إباحة الخمر حتى تنسخ بتحريمها، بل هي نازلة في التدرج في تحريم الخمر، حيث حرمت على المسلمين حضور الصلاة حالة السكر من شرب الخمر ما يجعلهم يمتنعون عن الشرب في أوقات كثيرة.

وبذلك لا يصح تفسير القرآن بالقرآن فيه. والعلم عند الله تعالى.

أما ما حكي عن الضحاك وغيره فهو وإن كان صحيح المعنى لكنه بعيد في التفسير، ولا يناسبه سبب النزول[1].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٣٣٨)، تفسير آيات الأحكام (١/٢٢١).

المطلب الثاني: حمل قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ على قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[(١)].

فإنّ الله تعالى لم يحد المقدار الذي يمسح من اليد[(٢)] في التيمم، كما حدّه في الوضوء؛ فذهب فريق من أهل العلم إلى تحديد الممسوح من اليد في التيمم إلى المرفقين حملاً لآية التيمم على آية الوضوء.

قال الإمام النووي رحمه الله: « والظاهر **أن اليد المطلقة هنا هي المقيدة في الوضوء في أول الآية** فلا يترك هذا الظاهر إلا بصريح »[(٣)].

وقد ذكر مثل قوله هذا العيني[(٤)] في شرحه لصحيح البخاري ولسنن أبي داود[(٥)].

وقال ابن جزي الكلبي: « وأما اليدان فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين، أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية **محتمل**؛ لأنه لم يحد، وقد احتج من قال إلى المرفقين **بأن هذا مطلق، فيحمل على المقيّد**، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين »[(٦)].

وقال الخازن – نقلاً عن الزّجاج –: « ... ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المرفقين قال: إن التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم؛ **فيحمل المطلق الذي** في قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ **على المقيد** الذي في قوله تعالى: – في آية الوضوء – ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ »[(٧)].

---

(١) سورة المائدة: ٦.

(٢) لأنّ اليد يطلق في الأصل على ما يبلغ المنكبين.

(٣) شرح النووي على مسلم (٦١/٤)

(٤) هو: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الحنفي، المعروف بالعيني، برع في الفقه والحديث والتاريخ وغيرها، ولي قضاء القضاة بالديار المصرية، توفي سنة (٨٥٥هـ). انظر: بغية الوعاة (٢٧٥/٢)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٣١/١٠)، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت.

(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦١/٦)، شرح أبي داود للعيني (١٢٦/٢)، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، مكتبة الرشد – الرياض، ت: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري.

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٦٧/١).

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل (٥٣٩/١)، و لم أجد الكلام في معاني القرآن للزجاج، فالله أعلم.

وقال ابن كثير: - بعدما حكى هذا القول -: « ... قالوا: **وحمل ما أطلق هاهنا على ما قيد في آية الوضوء أولى لجامع الطهورية** »[1].

فوجه البيان على هذا القول: واضح من أقوال من سبق النقل عنهم؛ إذ لمّا أطلق الله اليدين في آية التيمم، ولم يحدد مقدار الممسوح منهما، وقيّد في آية الوضوء مقدار المغسول منهما إلى المرفقين، حُمِلَ المطلق على المقيد؛ لما يجمعهما من الطهورية، ولأنّ التيمم بدل عن الوضوء، فتقييده بهما في الوضوء يغني عن ذكر هذا التقييد في التيمم[2].

وقد ردّ من خالفهم في ذلك بأنّ المطلق إنما يحمل على المقيد في قضية واحدة، والوضوء والتيمم طهارتان مختلفتان، فلا يصح حمل مطلق أحدهما على مقيد الآخر.

قالوا: ويدل على ذلك: أن أصحاب النبي ﷺ عند نزول أية التيمم لم يفهموا حمل المطلق على المقيد فيها، بل تيمموا إلى المناكب والآباط، وهم أعلم الناس بلغة العرب، ثم بين النبي أن التيمم للوجه والكفين، وهو - أيضا - ينافي حمل المطلق على المقيد فيها[3].

وهذا مما اتحد سببهما واختلف حكمهما؛ إذ سببهما التطهر لإقامة الصلاة أو نحوها، وحكم المطلق المسح، وحكم المقيد الغسل، والمسح خلاف الغسل.

وقد نقل غير واحد من المحققين اتفاق العلماء على عدم حمل المطلق على المقيد في هذه الحالة[4].

والقول بمسح اليدين إلى المرفقين مرويٌّ عن ابن عمر[5]، والحسن[6]، وهو مذهب أبي حنيفة، والشافعي، وأصحابهما والثوري والليث[7].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٣١٩).

(٢) انظر: جامع البيان (٨/٤١٦)، التفسير الكبير (١/١٦٢٥).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٢/٥٨-٥٩) (بتصرف يسير).

(٤) انظر: المطلق والمقيد وأثرهما في اختلاف الفقهاء (صـ ٤٢٠) فقد حكى ذلك عن جمع من المحققين.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٤١٤-٤١٥) عنه بأسانيد كثيرة من طريق نافع.

(٦) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٨/٤١٥) من طريق ابن عون.

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٣٩).

واستدل القائلون بهذا القول إضافةً إلى ما سبق بأحاديث رُوِيَ عن النبي ﷺ في التيمم إلى المرفقين(١).

القول الآخر: أن المسح في التيمم يكون إلى الكوعين:

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنّ المسح في التيمم يكون إلى الكوعين، واحتجوا بحديث عمار بن ياسر المتفق عليه في الصحيحين(٢).

كما استدل بعض من قال بذلك بآية الوضوء ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾، وآية السرقة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

واستدلّ بهذا الدليل ابن عباس(٤)، ومكحول(٥)، وغيرهما(٦).

ومضمون هذا الاستدلال: أن اليد إذا أطلقت انصرفت إلى الرسغ، وإن قُيِّدت بموضع تقيدت به، فلما قيدت بالمرفقين في الوضوء وجب غسل الذراعين إلى المرفقين، ولما أطلقت في التيمم وجب إيصال التراب إلى الرسغ، كما تقطع يد السارق(٧).

---

(١) روي التيمم إلى المرفقين مرفوعاً، عن جابر بن عبد الله، وابن عمر، وأبي أمامة، وعائشة وعمار، والأسلع. وكلها أحاديث ضعيفة. انظر: السنن الكبرى (١/٢٠٧)، سنن الدارقطني (١/١٨٠)، المستدرك (١/١٧٨)، البدر المنير (٢/٦٣٨)، مجمع الزوائد (١/٥٩١). نصب الراية لأحاديث الهداية (١/١٥٠)، تفسير القرآن العظيم (٢/٣١٩). أضواء البيان (٢/٥٤-٥٨).

(٢) وهو الحديث المتفق عليه أخرجه البخاري ومسلم بألفاظ مختلفة، انظر: صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب: المتيمم هل ينفخ فيهما، برقم (٣٣٨)، وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، برقم: (٣٦٨).

(٣) سورة المائدة: ٣٨.

(٤) فيما أخرجه الترمذي في سننه (١/٢٧٢)، باب ما جاء في التيمم، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد ضعفه الشيخ الألباني صحيح وضعيف سنن الترمذي - (١ / ١٤٥).

(٥) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٨/٤١١-٤١٢)، من طريق سعيد وابن جابر، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٦٢) معزواً إلى ابن جرير، وقد ذكره القرطبي عن مكحول بلفظ مقارب، انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٤٠).

(٦) فقد حكاه ابن رجب في فتح الباري (٢/٦٠) عن عكرمة والإمام أحمد، كما حكى هذا الاستدلال الثعلبي في الكشف والبيان (٣/٣٢١)، والطحاوي في أحكام القرآن (١/١٠٤). واستشهد بآية السرقة فقط الشيخ ثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٢٦).

(٧) انظر: تحفة الأحوذي (١/٣٨٤).

وذكر غير هذين القولين في مسألة مسح اليدين في التيمم، تركتها لضعفها.

الترجيح: والذي يظهر رجحانه في مسح اليدين في التيمم هو أن الواجب في مسحهما إلى الكوعين؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، وعلى فرض صحة الأحاديث الواردة في المسح إلى المرفقين فإنها تحمل على الكمال والفضل والاستحباب لا على سبيل الفرض والإيجاب جمعاً بينه وبين ما هو أصح منه وأثبت[1].

النتيجة: وعلى هذا الترجيح **فلا يصح حمل مطلق اليدين في مسحهما في التيمم على ما قيدا به في الوضوء**؛ لاختلاف الحكمين كما تقدم والله أعلم.

---

(١) قال الشنقيطي في أضواء البيان (٢/ ٥٨-٥٩): « وهذه الروايات الواردة بذكر اليدين إلى المرفقين تدل على السنية، وإن كانت لا يخلو شيء منها من مقال، فإن بعضها يشد بعضاً، لما تقرر في علوم الحديث من أن الطرق الضعيفة المعتبر بها يقوي بعضها بعضاً حتى يصلح مجموعها للاحتجاج... وتعتضد أيضاً بالموقوفات المذكورة، والأصل إعمال الدليلين، كما تقرر في الأصول ».

المطلب الثالث: حمل قوله تعالى في هذه الآية ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ على قوله تعالى في آية المائدة: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾.

فقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أنه لا بدّ في التيمم من تراب يلتصق بيده، وحملوا هذه الآية على الآية الثانية؛ لأنّ " من " فيها للتبعيض.

قال الإمام الرازي – عند كلامه على حجة الشافعي على ذلك -: « وأما الشافعي فإنه احتج بوجهين الأول: أن هذه الآية هاهنا مطلقة، ولكنها في سورة المائدة مقيدة، وهي قوله سبحانه: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾[1].

وقال أبو حيان: «لم يذكر في هذه السورة منه، وذكر ذلك في المائدة، فدلت على مذهب الشافعي في نقل شيء من الممسوح به إلى الوجه والكفين، **وحمل هذا المطلق على ذلك المقيد** »[2].

ومثل به الزركشي في الكلام على حمل المطلق على المقيد[3].

وجه البيان – على هذا القول -: أنّ الله أمر في الآية الأولى – عند التيمم – بقصد الصعيد الطيب ومسح الوجه واليدين، ولم يقيد ذلك بكون المسح منه، وقيّد ذلك في الآية الثانية بكون المسح ببعض الصعيد؛ فيشترط في التيمم التصاق بعض الصعيد على اليدين، – ولا يكون ذلك إلا من التراب – **حملاً للمطلق على المقيد.**

وهذا مذهب الشافعي وأحمد وأصحابهما، وهو مبنيّ على أنّ " من " في الآية الثانية للتبعيض، وهو قول جماعة من أهل اللغة[4].

واحتجوا بما ثبت عن رسول الله ﷺ: « فُضِّلْنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء »[5].

---

(١) سورة المائدة : ٦.

(٢) البحر المحيط (٣/٢٧١).

(٣) في البحر المحيط في أصول الفقه (٣/٧)، والبرهان في علوم القرآن (٢/١٦).

(٤) كابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (صـ١١٢)، والزمخشري في الكشاف (١/٥٤٧)، وأبو حيان في البحر المحيط (٣/٢٧١)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٤/٢١٦).

(٥) أخرجه مسلم، في الصحيح، من حديث حذيفة، كتاب المساجد ومواضع السجود، برقم (٥٢٢).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: « فهذا مبين لمعنى الصعيد المذكور في الآية أو مخصص لعمومه أو مقيد لإطلاقه »[1].

وقد أجاب الشنقيطي على الاحتجاج بهذا الحديث بثلاثة أوجه[2].

القول الآخر:

وذهب بعض العلماء إلى أنه لا يشترط في التيمم التصاق اليد بشيء من الصعيد بل يكفي وضع اليدين عليه، وقالوا بأنّ من في آية المائدة ليس للتبعيض وإنما لابتداء الغاية[3]، أي ليكون مبدأ ذلك المسح كائن من الصعيد الطيب.

وهذا قول مالك، وأبو حنيفة، واختاره الطبري والشنقيطي.

واحتجوا بما أخرجه الشيخان في صحيحيهما[4] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل »، وفي لفظ: « فعنده مسجده وطهوره »... الحديث.

فهذا نص صحيح صريح في أن من أدركته الصلاة في محل ليس فيه إلا الجبال أو الرمال أن ذلك الصعيد الطيب الذي هو الحجارة، أو الرمل طهور له ومسجد.

كما استدلوا بقوله تعالى في آية المائدة: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ﴾[5]، فقوله: ﴿مِّنۡ حَرَجٍ﴾ نكرة في سياق النفي زيدت قبلها {مِنْ}، فهي نص في العموم،

---

(١) فتح القدير (١/٧٠٥).

(٢) انظرها: في أضواء البيان (٦/٤٢).

(٣) ذهب لهذا جمع من المفسرين: كالطبري في جامع البيان (٩/٨٤)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/٥٦)، وابن العربي في أحكام القرآن (٢/٦٠)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/١٦٦)، (٦/٥٧)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٣/١١)، والشوكاني في فتح القدير (٢/١٨)، والألوسي في روح المعاني (٦/٨١)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٥/٦٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة ، باب " قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً "برقم (٤٣٨)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب (المساجد ومواضع الصلاة) رقم (١١٦٣).

(٥) سورة المائدة: ٦.

فالآية تدل على عموم النفي في كل أنواع الحرج، والمناسب لذلك كون {مِنْ} لابتداء الغاية، لأن كثيراً من البلاد ليس فيه إلا الرمال أو الجبال، فالتكليف بخصوص ما فيه غبار يعلق باليد، لا يخلو من حرج في الجملة[1].

الترجيح:

والراجح هو القول بعدم اشتراط إلصاق الصعيد باليدين، بل يكفي في التيمم وضع اليدين على الصعيد ومسح ما يمسح بهما؛ لأنّ من في الآية الثانية ليس للتبعيض حتى تحمل الآية الأولى على ذلك، ولقوّة أدلة القائلين به، وإجابتهم على حجج أصحاب القول الآخر، ولأنّ الصعيد في اللغة وجه الأرض، كان عليه تراب أو لم يكن[2].

وبذلك لا يصح تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ هنا على قوله تعالى في آية المائدة: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾على وجوب إلصاق اليدين بالتربة عند التيمم لما تقدم، والعلم عند الله تعالى.

(١) أضواء البيان (٢/٤٥) (باختصار)، وانظر: تفسير المنار (٥/١٠٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/٧) وما بعدها، والصحاح (٢/ ٩٢)، ولسان العرب (٤/٢٤٤٦) (صعد). قال الزجاج: « لا أعلم فيه خلافاً بين أهل اللغة ». معاني القرآن وإعرابه (٢/٥٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ النساء: ٤٨

يخبر الله تعالى أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، ثم علل لعدم غفران الشرك بأنّ الشرك بالله اختلاق ذنب عظيم، وصاحبه قال زورًا وإفكًا بجحوده وحدانية الله، وإقراره بأن لله شريكًا من خلقه(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

أطلق الله في هذه الآية الكريمة أنه تعالى لا يغفر الإشراك به، وقد قيّد ذلك جمهور العلماء بعدم التوبة من الشرك، أما من تاب منه فإنّ الله يعفو عنه ويغفر، لآيات من القرآن الكريم.

كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾(٢)، وقوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٣)، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٤).

قال العلامة الشنقيطي: رحمه الله - عند تفسير الآية - « ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى لا يغفر الإشراك به ... وذكر في مواضع أخر: أنّ محل كونه لا يغفر الإشراك به إذا لم يتب المشرك من ذلك، فإن تاب غفر له كقوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ

(١) انظر: جامع البيان (٨/٤٥١)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٨١).

(٢) سورة الفرقان: ٦٨ - ٧٠.

(٣) سورة الأنفال: ٣٨.

(٤) سورة الزمر: ٥٣.

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾؛ فإن الاستثناء راجع لقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وما عطف عليه، وقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[(١)].

وقال العلامة السعدي: رحمه الله- عند تفسير الآية -: « وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي لمن تاب إليه وأناب »[(٢)].

وفسّر الآية بآية الفرقان الشيخ ثناء الله الهندي[(٣)].

ووجه البيان:

واضح، وجليّ؛ فالله أخبر في الآية المفسَّرة أنه لا يغفر الإشراك به، وذلك شامل لما تاب منه صاحبه وما لم يتب، فخصّ الله في الآيات المذكورة ما إذا تاب المشرك من شركه فإنّ الله يتوب عليه.

أما الآيتان اللتان ذكرهما الشيخ الشنقيطي فدلالتهما على ذلك واضح؛ فإنّ الاستثناء في الأولى – كما أشار الشيخ – راجع إلى الذين يدعون مع الله إلهاً آخر وما عطف عليه، والآية الثانية متجهة إلى الكفار والمشركين وعدهم الله فيها بغفران ما سلف من ذنوبهم - إن ينتهوا -، وذلك شامل للشرك وغيره.

أما الآية الثالثة فإنها أخبرت أنّ الله يغفر جميع الذنوب، وذلك شامل للشرك وغيره، وإن كان ذلك مشروطاً بالتوبة، حتى لا تتنافى مع هذه الآية التي حكم فيها بأنه لا يغفر الشرك بدون توبة[(٤)].

---

(١) أضواء البيان (١/٣٩٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (صـ١٨١).

(٣) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ ١٢٨).

(٤) انظر كلام الحافظ ابن كثير في هذا في: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٣١)، وقد أشار له السعدي في كلامه المنقول نصه، وعلى هذا فلا تعارض بين الآيتين.

وذهب البعض إلى أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مخصِّصٌ لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ انظر: جامع البيان (٢١/٣١١)، مجموع الفتاوى (٢/٣٥٨)، دفع إيهام الاضطراب (صـ٧١).

ومضمون ما سبق من أنّ الله يغفر الشرك لمن تاب وأناب، هو: قول جمهور العلماء من السلف والخلف، ولا أعلم في ذلك خلافاً.

فالمراد بعدم الغفران لمن أشرك بالله في الآية هو: إذا مات على شركه ولم يتب منه[1]، أما إذا تاب فإنّ الله غافر الذنب قابل التوب، والذنب وإن عظم والكفر وإن غلظ وجسم فإن التوبة تمحو ذلك كله والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما آيتا النساء قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فلا يجوز أن تكون في حق التائبين كما يقوله من يقوله من المعتزلة؛ **فإن التائب من الشرك يغفر له الشرك أيضاً بنصوص القرآن واتفاق المسلمين** »[3].

(١) نص على ذلك غير واحد، قال الطبري: « فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قيل: نعم إذا تاب منه المشرك »، جامع البيان (٣١٠/٢١)، وانظر على سبيل التمثيل: المحرر الوجيز (٧٨/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٦٢/١)، تفسير القرآن العظيم (٣٢٥/٢) معارج القبول (١٠٤١/٣)، مجموع فتاوى ابن باز (٤١٦/٢٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٨/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/١٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾ النساء: ٤٩

هذا تعجيب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى، ومن نحا نحوهم من كلّ من زكى نفسه بأمر ليس فيه، فردّ الله دعواهم بأنه ليس الناس هم الذين يزكون أنفسهم، إنما الله هو الذي يزكي من يشاء؛ فإن التزكية تكون بالعمل الصالح، والله هو الذي يوفق من يشاء للعمل الصالح، ويهديه للإيمان والآداب الفاضلة(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ذهب أكثر المفسرين إلى أنّ الآية نازلة في اليهود والنصارى(٢)، واختلفوا في المعنى الذي كانوا يزكون به أنفسهم، وحمل ذلك فريق منهم على آيات من الذكر الحكيم ورد فيها تزكيات ومدائح من اليهود والنصارى لأنفسهم.

كقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ﴾(٣)، وقوله: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٤).

أخرج أئمة التفسير عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ﴾ قال: « هم أعداء الله اليهود زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه، فقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ﴾، وقالوا: لا ذنوب لنا »(٥).

كما رووا عن ابن زيد رحمه الله في تفسير الآية قال: « قال أهل الكتاب: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ﴾ ، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ﴾، وقالوا: " نحن على

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ١٨٢)، في ظلال القرآن (٢/١٥١).

(٢) قال ابن عطية: « هذا لفظ عام في ظاهره ولم يختلف أحد من المتأولين في أن المراد اليهود ». المحرر الوجيز (٢/٧٩)

(٣) سورة المائدة : ١٨.

(٤) سورة البقرة : ١١١.

(٥) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (١/١٦٤)، والطبري في جامع البيان (٨/٤٥٢) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٧٢)، وابن المنذر في تفسيره (٢/٧٤٠) مسنداً عنه من طريق سعيد، وعزاه السيوطي في الدر (٤/٤٧٦) إلى الثلاثة الأول.

الذي يحب الله "؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾، حين زعموا أنهم يدخلون الجنة، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأهل طاعته »[1].

وعن الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ قال: «هم اليهود والنصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ »[2].

وذكر تفسير الآية بالآيتين أو أحدهما جمع من أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين[3].

وجه البيان: أنّ الله تعالى أخبر عن من حكى عنهم أنهم يزكون أنفسهم، ولم يبيّن المعنى الذي كانوا يزكون به أنفسهم ولا كيفية ذلك، وما حكى الله في الآيات السابقة مدائح وتزكيات من أهل الكتاب لأنفسهم؛ فيحمل ما أنهم في الآية الأولى مما يزكون بها أنفسهم، على تلك التزكيات والمدائح.

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن السلف أقوال أخرى في تفسير المعنى الذي كانت اليهود والنصارى يُزَكّون به أنفسهم منها[4]:

١- أنّ ذلك تقديمهم أطفالهم لإمامتهم في صلاتهم، زعمًا منهم أنهم لا ذنوب لهم. وهذا مرويّ بألفاظ متقاربة عن ابن عباس[5]، ومجاهد[6].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٥٣/٨) مسنداً عنه من طريق ابن وهب.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٥٢/٨) مسنداً عنه من طريق معمر.

(٣) كالزمخشري في الكشاف (٥٥٢/١)، والنحاس في معاني القرآن (١٠٩/٢)، والفخر الرازي في تفسيره (١٤٦٥/١)، وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٢/١)، والهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٢٨)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (٨٤/٥)، والشنقيطي في أضواء البيان (٤٧/٥)، والسعدي في تيسير الكريم الرحمن (صـ١٨٢)، وسيد طنطاوي في الوسيط (٩٦٧/١)، والزحيلي في التفسير الوسيط (٣٣١/١) وعبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن (٨١٣/٣). وغيرهم.

(٤) انظر: جامع البيان (٤٥٢/٨-٤٥٤) زاد المسير (١٠٤/٢)، النكت والعيون (٤٩٥/١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٢/٣) مسنداً عنه من طريق عكرمة، وأخرجه السيوطي في الدر (٤٧٦/٤) معزواً إليه.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٥٣/٨) وابن المنذر في تفسيره (٧٤٠/٢) مسنداً من طريق ابن أبي نجيح، وأخرجه الطبري أيضاً من طريق الأعرج، كما ذكره ابن حجر في العجاب (٨٨٣/٢) وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد، ونسبه السيوطي في الدر (٤٧٥/٤) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

٢- أنّ ذلك قولهم: إن أبناءنا توفوا وهم لنا قربة، وسيشفعون لنا ويزكوننا، روي هذا عن ابن عباس أيضاً من طريق العوفي[١].

٣- أنّ ذلك ثناء بعضهم على بعض، حُكي ذلك عن ابن مسعود[٢]، قال القرطبي: « وهذا أحسن ما قيل فإنه ظاهر من معنى الآية »[٣].

٤- أنّ ذلك قولهم: "ليست لنا ذنوب إلا كذنوب أولادنا يوم يولدون، فإن كانت لهم ذنوب فإنّ لنا ذنوبًا، فإنما نحن مثلهم، روي هذا عن الضحاك[٤]، وروي مثله عن السدي[٥].

الترجيح:

والراجح – والعلم عند الله – تفسير ما كانت اليهود والنصارى يزكون به أنفسهم بما كانوا يمدحون ويزكون بها أنفسهم بأنهم لله أبناء وأحباء، وأنه لا يدخل الجنة غيرهم، كما حكى القرآن عنهم ذلك؛ لأنّ خير ما يفسِّر القرآنَ القرآنُ، وهو قول جمهور أهل التفسير كما تقدّم.

ولا ينافي ذلك دخول غير ذلك من المعاني التي كانت اليهود والنصارى يزكون بها أنفسهم إذا جاء ذلك من طريق ثابت يوجب العلم.

كما يدخل في الآية كلُّ من زكّى نفسه بحق أو بباطل من اليهود والنصارى وغيرهم[٦]؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والله تعالى أعلم.

---

(١) كما أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٥٤/٨) مسنداً عنه من طريق العوفي، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤٧٥/٤) معزوّاً إليه.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٧٩/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٣٦/٥).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٥٢/٨) مسنداً عنه من طريق عبيد ابن سليمان، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٢/٣) من طريق علي بن الحكم.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٥٣/٨) مسنداً عنه من طريق أسباط، ولفظه: " قالوا:"إنا نعلم أبناءنا التوراة صغارًا، فلا تكون لهم ذنوب، وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا، ما عملنا بالنهار كُفِّر عنا بالليل ".

(٦) انظر: الكشاف (٥٥٢/١)، فتح القدير (٧٢٠/١).

النتيجة:

صحة تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ ، لأنّ ذلك مما كانت اليهود والنصارى يزكون بها أنفسهم، وحمل الآية على ذلك أولى من حملها على غيره مما لا يدرك تأويله من طريق يوجب العلم.

تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩

في هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله بامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، وبطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين؛ فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، وعليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

اختلف أهل التفسير في المراد بأولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في هذه الآية، وحمل ذلك بعضهم على آيات من القرآن العزيز.

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

٢- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾[3].

٣- قوله تعالى: ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[4].

٤- قوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٨٣) (بتصرف يسير).

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) سورة الطلاق: ٥.

(٤) سورة المائدة: ٦٣.

(٥) سورة النحل: ٤٣.

احتج بهذه الآيات من فسر أولي الأمر بالعلماء.

عن أبي العالية رحمه الله في قوله: ﴿وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ »[1].

وقال الإمام البيضاوي[2]: « وقيل علماء الشرع؛ لقوله تعالى: ... وذكر الآية.

كما استدل بالآية على هذا القول جمع من المفسرين[3].

قال مكي بن أبي طالب رحمه الله: « ودلّ على أن الأمر: القرآن قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ »[4].

واستشهد بآية المائدة والنحل الأخيرتين الحافظ ابن كثير وتبعه القاسمي[5].

وجه الارتباط بين الآية المفسَّرة والآيات المذكورة:

استشهد أبو العالية رحمه الله وغيره بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ على أنّ المراد بأولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أهل العلم؛ لأنّ الله تعالى أمر — في الآية المستشهد بها — المؤمنين أن يردوا ما ينتابهم من الأمور الشديدة من أمن أو خوف إلى الرسول ﷺ وإلى أهل الرأي والعلم والعقل منهم، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، ويعلمون ما ينبغي أن يكتم من الأمور وما ينبغي أن يذاع منها[6].

ومن المعلوم أنّه لم يكن مع رسول الله ﷺ ملوك ولا أمراء يُرَدُّ إليه وإليهم الأمر في الشئون العامة للأمة من الأمن والخوف وغيرهما، فالمراد بهم الذين كان ﷺ

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨/٥٠١) من طريق الربيع بن أنس، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤١٨)، دون الاستشهاد بالآية، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/٥٠٥) معزواً إليهما.

(٢) في تفسيره (١/٢٠٥).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/١٩٣)، السراج المنير (١/٢٥٠)، تفسير المنار (١١/٢١٧).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٣٧٠).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٤٥)، محاسن التأويل (٣/١٩٣).

(٦) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٥٦٤)، تيسير الكريم الرحمن (صـ١٩٠)

يستشيرهم في الأمور الدقيقة والسرية المهمة، وهم: أهل الرأي والمكانة في الأمة العلماء بمصالحها وطرق حفظها[1].

كما يؤيّد ذلك ما رُوي في سبب نزول الآية في شأن عمر رضي الله عنه[2]، فكان عمر من أولي الأمر مع أنه لم يكن أميراً على عهد رسول الله ﷺ.

فإذا كان المراد بأولي الأمر في الآية المستشهد بها أهل العلم، كانوا هم المراد بهم في الآية المفسَّرة أيضاً، حملاً لأحدهما على الآخر.

ووجه استشهاد مكي بهذه الآية هو: أنّ الله سمى القرآن الذي أنزله للناس أمراً؛ فيكون أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم هم أهل القرآن وأهل العلم به؛ لأنّ الأمر: هو القرآن.

ووجه استشهاد ابن كثير وما تابعه بالآيتين هو: أنّ الله أمر بسؤال أهل العلم، كما حث الربانيين والأحبار من اليهود بالنهي عن المنكر، وذلك دليل على وجوب طاعتهم، فيكونون هم من أمر الله بطاعته هنا.

٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ النساء: ٥٨

٦- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

احتج بهما من فسر أولي الأمر بالأمراء والسلاطين.

فأخرج ابن جرير الطبري مسنداً عن مكحول[4] في قوله: ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ قال: هم أهل الآية التي قبلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى آخر الآية.

---

(١) انظر: تفسير المنار (٤/١٦٧)، (٥/١٥٦)، (١١/٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم١٤٧٩ – كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن – في حديث طويل، ومفاده: أنه ﷺ لما هجر نساءه وشاع أنه طلقهن، فجاءه عمر رضي الله عنه فقال: أطلقت نساءك؟ قال: "لا"، فقام على باب المسجد فنادى: لم يطلق نساءه فنزلت هذه الآية.

(٣) سورة آل عمران: ٢٦

(٤) هو: أبو عبد الله، مكحول بن أبي مسلم الشامي الفقيه الدمشقي مفتي أهل الشام وعالمها، أصله من الفرس، توفي سنة (١١٢هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء (٥/١٥٥)، شذرات الذهب (٢/٦٦).

أخرج ابن جرير الطبري(١) بسنده عن عبد الرحمن بن زيد رحمه الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: قال أبي: هم السلاطين، وقرأ ابن زيد: ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾.

وجه الارتباط بين الآية المفسَّرة والآيتين:

احتج مكحول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ على هذا القول لأنّ الله أمر فيها الولاة بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل، ثمّ تقدم إلى الرعية فأمر بطاعته عَجَلّ أولاً، ثم بطاعة رسوله ثانياً، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً(٢)، فأوصى الرّاعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة(٣)، ولهذا قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: « حقّ على الإمام أن يحكم بالعدل ويودّي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحقّ على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا »(٤).

أما أثر ابن زيد رحمه الله فلم يتبين لي – بعد تأمل وطول نظر- وجه استشهاد ابن زيد بها على تفسيره، إلا ما بينهما من الحديث عن الملك والسلطان(٥)؛ إذ أَمَرَ الله في الأولى بطاعة الملوك، وأخبر في الثانية أن الملك والسلطان هبة منه يهبه من يشاء وينزعه عمن يشاء.

والذي يظهر – والعلم عند الله – أنّ إيراد هؤلاء المفسرين لهذه الآيات على تفسير الآية إنما هو من باب الاستدلال بها على القول الذي اختاره كل منهم، وليس لأنها تبين الآية وتوضحها؛ وباب الاستدلال أوسع من بيان القرآن بالقرآن.

والقول بأنّ المراد بأولي الأمر في الآية: الأمراء والسلاطين، هو قول الجمهور ومنهم ابن عباس وأبو هريرة(٦)، واختاره الشافعي وقرره تقريراً حسناً(٧)، ورجحه

---

(١) في جامع البيان (٤٩١/٨)، وعزاه إليه ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (٨٩٤/٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٠٣/٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٥٩/٥).

(٣) جامع البيان (٤٩٢/٨).

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٤٤١/٦)، التحرير والتنوير (٩٦/٥).

(٥) على تفسير أولي الأمر بالسلاطين.

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٨٥/٢).

(٧) انظر: العجاب في بيان الأسباب (٨٩٨/٢).

الطبري؛ لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة ولم يرد نص بوجوب طاعة لأحد غير الله ورسوله أو إمام عادل[1].

ولعل الراجح: أن تكون الآية متناولة للصنفين، وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم، وبه قال ابن العربي[2]، والجصاص[3]، والقرطبي[4]، وأبو حيان[5]، وابن تيمية، وابن القيم[6]، وابن كثير[7]، وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وأولو الأمر أصحابه وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء ، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس ... ».

وقال ابن القيم رحمه الله : « والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية، والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً، فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله، فإن العلماء ولاته حفظاً وبياناً وذباً عنه ورداً على من ألحد فيه وزاغ عنه، ... والأمراء ولاتهم قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به وأخذهم على يد من خرج عنه »[8].

النتيجة: الآيات المذكورة التي أوردها المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ جاءت على سبيل الاستدلال بها على الأقوال التي اختارها أصحابها، ولم يوردوها على أنها مبينة للآية ومفسرة لها، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: جامع البيان (٨/٥٠٢-٥٠٣).

(٢) في أحكام القرآن له (٢/٣٥٥).

(٣) في أحكام القرآن له (٣/١٨٢-١٨٣).

(٤) في الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٦٠).

(٥) في البحر المحيط (٣/٢٩٠).

(٦) كما سيأتي النقل عنهما.

(٧) في تفسيره (٢/٣٤٥).

(٨) مجموع الفتاوى (٢٨/١٧٠)، الاستقامة (٢/٢٩٥) لأبي العباس ابن تيمية، ط١، ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ النساء: ٧٩

يخبر الله في هذه الآية الكريمة أنّ ما يصيب الإنسان من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل اللّه عليه، يتفضل به إحساناً منه إليه، وما يصيبه من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسه بسبب تقصير أو ذنب ارتكبه[1].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

استشهد المفسرون عند تفسير هذه الآية بآيات عديدة:

أخرج الإمام الطبري[2] بسنده الصحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ ، بذنبك، كما قال لأهل أحـد: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾[3]، بذنوبكم ».

واستشهد بهذه الآية غير واحد من المفسرين[4].

كما استشهد البغوي وابن كثير وغيرهما[5] – عند تفسير الآية – بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[6].

وجه الارتباط بين الآية وهاتين الآيتين:

لم يظهر لي وجه بيان في الآيتين للآية إلاّ ما بينها من التشابه في المعنى؛ فكلها تقرر معنىً واحداً، وهو: أنّ ما يصيب الإنسان من المصائب والمتاعب هي بسبب ذنوبه وما كسبته يداه. والله أعلم.

(١) انظر: تفسير المنار (٢١٨/٥)، المنتخب (صـ١٢٢).

(٢) في جامع البيان (٥٥٩/٨) من طريق ابن وهب.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٥

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٨٦/٥).

(٥) معالم التنزيل (٢٥٢/٢)، تفسير القرآن العظيم (٣٦٣/٢)، صفوة التفاسير (١٨٩/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٠٠٩/١).

(٦) سورة الشورى: ٣٠.

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾ النساء: ٨٨ - ٨٩

هذه الآيات الكريمة نزلت في فرقة من المنافقين، خرجوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد، ثم رجعوا عنه، وارتدوا عن الهجرة؛ فوقع بين الصحابة - رضوان الله عليهم - فيهم اشتباه(١)، فبعضهم تحرّج عن قتالهم؛ لما أظهروه من الإيمان، وللنّهي عن قتال المنافقين، وبعضهم نظر إلى ما قاموا به من خذلان رسول الله وارتدادهم عنه بعد خروجهم معه؛ فأنزل الله فيهم هذه الآيات وحكم فيها بضلالهم وأمر بقلتهم؛ فصاروا بذلك حرباً لله ولرسوله وللمؤمنين حيثما وجدوا(٢).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

فسّرت هذه الآيات بما جاء بعده مستثنىً في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

ووجه البيان: أنّ الله استثنى بهذه الآية المفسِّرة فرقتين من المنافقين الذين أمر بقتلهم وأسرهم في الآية الأولى، أمر بتركهما وعدم التعرض لهما بقتل أو أسر.

إحداهما: من يصل إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال.

والثانية: قوم من المنافقين جاءوا إلى المسلمين مسالمين لا يقاتلونهم ولا يقاتلون قومهم معهم، بل يكونون على الحياد، فهؤلاء أيضاً لا يقتلون؛ لأنّ الله كفّ شرهم عن المسلمين(٣).

(١) كما أخرج الشيخان ذلك من حديث زيد بن ثابت، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾، (٤٥٨٩)، صحيح مسلم (٢١٤٢/٤) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، (٢٧٧٦).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار (١٧٣/١٣-١٧٤).

(٣) انظر: البحر المديد (١١٦/٢)، تفسير المراغي (١١٦/٥)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٩١).

ونصّ على هذا الاستثناء جمهور المفسرين، وأنه استثناء من قوله تعالى: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(١) ولا يرجع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة التي هي أقرب الجمل المذكورة إليه أي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ لأنه لا يجوز اتخاذ ولي ولا نصير من الكفار أبداً، ولو وصلوا إلى قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق(٢).

القول الآخر في الاستثناء:

ما تقدّم في الاستثناء هو قول جمهور المفسرين، والاستثناء فيه متصل، والمستثنون قوم كفار، وشذّ بعضهم(٣) فذهبوا إلى أنّ الاستثناء منقطع، والمستثنين قوم مؤمنون، قالوا: لما أوجب الله الهجرة على كل من أسلم، استثنى بالآية من كان له عذر، وهم قوم قصدوا الهجرة إلى الرسول ﷺ ونصرته، وكان بينهم وبينه في الطريق كفار يخافونهم، فعهدوا إلى كفار كان بينهم وبين المسلمين عهد، فأقاموا عندهم إلى أن يمكنهم الخلاص.

فهؤلاء المستثنين لم يدخلوا تحت قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾؛ فالاستثناء منقطع(٤).

والصحيح القول الأول؛ لموافقته لسياق الآية، وسبب نزول الآيات الصحيح – كما سبق – ولأنّ الأصل في الاستثناء الاتصال لا الانقطاع، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) انظر – على سبيل المثال لا الحصر-: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٩٢/١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٥٧١/١)، تفسير القرآن العظيم (٣٧٢/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٣١/١).

(٢) أضواء البيان (٨٣٨/٥) (١٠١/٦) (بتصرف).

(٣) نسب هذا القول إلى أبي مسلم الأصفهاني والراغب، كما في الدر المصون في (١٧٩٢/١)، واللباب في علوم الكتاب (٥٥٠/٦)

(٤) المصدرين السابقين.

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾﴾ النساء: ٩٠

سبق في دراسة الآية السابقة أنّ هذه الآية الكريمة استثناء مما قبلها، استثنى الله بها صنفاً من المنافقين نهى عن قتلهم وأسرهم.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

ذهب جمهور أهل التفسير إلى أنّ هاتين الآيتين منسوختان بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[2]، وقتادة[3]، وعكرمة والحسن البصري[4]، وذكره جمع غفير من المفسرين[5]، ومن المصنفين في الناسخ والمنسوخ[6].

وجه النسخ:

أنّ الله تعالى نهى في هذه الآية عن قتال من استثناهم من المشركين؛ وذلك لمعاهدتهم وموادعتهم للمسلمين، ثم أمر الله — في الآية الثانية - بقتال المشركين كافة

(١) سورة التوبة: ٥.

(٢) فيما أخرجه عنه أبو عبيد في ناسخه (٣١٨/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢٧/٣)، وابن المنذر في تفسيره (٨٢٢/٢-٨٢٣)، والنحاس في ناسخه (٣٤٠/١)، والجصاص في أحكام القرآن (١٨٨/٣)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣١٢/١) مسنداً من طريق عطاء الخراساني.

(٣) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٥/٨-٢٦) مسنداً عنه من طريق معمر، ومن طريق همام بن يحيى، كما أخرجه عنه النحاس في ناسخه (٣٤٠/١)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣١٣/١) بسندهما من طريق سعيد.

(٤) فيما أخرجه عنهما الطبري في جامع البيان (٢٥/٨) بسنده عنهما من طريق يزيد النحوي.

(٥) انظر — على سبيل المثال -: تفسير ابن أبي زمنين (صـ ٣٥٤-٣٥٥)، أحكام القرآن لكيا هراسي (٤٧٥/٢)، زاد المسير (١٥٩/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢٩٢/١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٩٦/٢).
بل حكى بعضهم الإجماع عليه كالطبري في جامع البيان (٢٠/٨)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٣٤٠/١، ٣٤١)، وغيرهما.

(٦) كقتادة (ص٤٠)، وهبة الله المقري (ص٧٦)، وابن حزم (ص٣٤)، وابن الجوزي في المصفى بأكف أهل الرسوخ (صـ٢٥)، والكرمي (ص٩٣).

حيثما وجدوا؛ فذلك نسخ للحكم الأول، نُسخ به الهدنةُ والصلحُ وإقرارُ الكفار على الكفر؛ لأن الله أعز الإسلام وأهله[1].

قال أبو عبيد: « فكانت براءة هي الناسخة للهدنة والقاطعة للعهود والمشخصة[2] الناس للجهاد، بذلك وصفتها العلماء »[3].

القول الآخر في الآية:

وقد ذهب قلة من أهل العلم إلى أنّ الآية الأولى محكمة غير منسوخة، وحملوا الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ﴾ على الكافرين المعاهدين، ولم يجز قتلهم ولم ينسخ[4].

وحكى بعضهم عن جماعة أن هذه الآية محكمة؛ لأنها إنما نزلت في قوم مخصوصين، عاقدوا حلفاء المسلمين فنهى عن قتلهم، ونزلت آية السيف بعد إسلامهم[5].

والراجح: القول الأول؛ لأنه قول جمهور المفسرين من السلف والخلف.

وبذلك يصح تفسير القرآن بالقرآن هنا؛ لأنّ الآية الناسخة رافعة للحكم الوارد في المنسوخة، مبيّنة نسخها وعدم العمل بها، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (١٨٩/٣)، (بتصرف)، وانظر: زاد المسير (١٥٩/٢).

(٢) شخص الشيء: عينه وميزه مما سواه، ومنه: شخص الداء وشخص المشكلة، المعجم الوسيط (٤٧٥/١).

(٣) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣١٨/١).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١٧٩/١٠)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٥٧١/١-٥٧٢).

(٥) نواسخ القرآن (٣١٣/١) ونقله المحقق عن عبد القاهر البغدادي من كتابه.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ النساء: ٩٣

لما بين الله تعالى حكم القتل الخطأ، شرع في هذه الآية في بيان حكم القتل العمد، وفيها تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم؛ إذ حكم الله عليه بعذاب جهنّم وبغضبه ولعنه وطرده من رحمته[١].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

فقد أطلق الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّ جزاء قاتل النفس عمداً جهنم خالداً فيها، و لم يقيد ذلك و لم يخصصه بعدم التوبة منها، وقد وردت آيات عديدة من القرآن الكريم تدلّ على أنّ الله تعالى يغفر جميع الذنوب – حتى الشرك بالله – إذا تاب منها صاحبها، فحمل جمع من أهل العلم الآية الواردة في حق القاتل عمداً على تلك الآيات، فتكون توبة القاتل عمداً مقبولة.

قال القاضي عياض[٢] رحمه الله – في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ -: « وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٣]، تفسير مجملها والآية الثانية التي في الفرقان بقوله﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾[٤] »[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٣٧٦).

(٢) القاضي عياض هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي الأندلسي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيهاً أصولياً، ولد عام (٤٧٦هـ) وتوفي عام (٥٤٤هـ) انظر: وفيات الأعيان (٣/٤٨٣)، الديباج المذهب (١/ ١٦٨).

(٣) سورة النساء :٤٨، ١١٦.

(٤) سورة الفرقان :٧٠.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/٢٦٩)، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ، تحقيق: د. يحيى بن إسماعيل..

وقال في موضع آخر: « والآية العامة تقضي على هذه وتفسرها، وهي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[1] »[2].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله« ثم إن الجمع بين آية "الفرقان "وهذه الآية ممكن فلا نسخ ولا تعارض، وذلك **أن يحمل مطلق آية "النساء "على مقيد آية "الفرقان "**؛ فيكون معناه فجزاؤه كذا إلاّ من تاب؛ لا سيما **وقد اتّحد الموجِبُ وهو القتل والموجَبُ وهو التواعد بالعقاب** »[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله – عند تفسير آية الفرقان -: « وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾؛ فإن هذه – وإن كانت مدنية – **إلا أنها مطلقة، فتحمل على من لم يتب، لأن هذه مقيدة بالتوبة**، ثم قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ »[4].

وقال ابن عاشور رحمه الله: « والحقّ أنّ محلّ التأويل ليس هو تقدّمَ الترول أو تأخُّره، ولكنّه **في حمل مطلق الآية على الأدلّة التي قيّدت جميع أدلّة العقوبات الأخروية بحالة عدم التوبة** »[5].

وجه البيان: واضح من النقولات السابقة؛ فالآية الواردة في حكم قاتل النفس عمداً أطلقت عقوبته، ولم يقيده بالتوبة، ودلّت الآيات الأخرى على أنّ الله يغفر جميع الذنوب لمن تاب، فيحمل ذنب القتل على ذلك.

---

(١) سورة الزمر :٥٣.

(٢) إكمال المعلم (٨/٥٨٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٣٤)، وانظر مثله في: لباب التأويل في معاني التتريل (١/٥٧٧)، فتح القدير (١/٧٥٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٦/١٢٦-١٢٧).

(٥) التحرير والتنوير (٥ / ١٦٥).

وأصرح الآيات في ذلك: آية الفرقان؛ **لاتحاد السبب فيهما وهو القتل، والموجَب وهو التوعد بالعقاب؛** فلا بدّ **من حمل المطلق منهما على الآخر**، ولا يعدل إلى القول بالنسخ أو غيره لإمكان الجمع[1].

وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم من سلف الأمة وخلفها، قال الإمام النووي رحمه الله: « هذا مذهب أهل العلم وإجماعهم و لم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس رضي الله عنهما »[2].

القول الآخر في قبول توبة قاتل العمد:

ذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى حمل الآية على عمومها وإطلاقها؛ فكان يرى أنه لا توبة للقاتل عمداً[3]، وروي ذلك عن غيره من السلف[4].

واستدل القائلون بهذا القول بأن آية الفرقان نزلت في أهل الشرك خاصة[5]، أو أنّها منسوخة بآية النساء[6].

وقد ضعف جمهور العلماء هذا القول، وحملوا ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره مما ظاهره خلاف القول بقبول توبة القاتل عمداً على التغليظ والتشديد في الزجر عن القتل[7]، وذلك لأمور:

---

(١) انظر: فتح القدير (٧٥٢/١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٨٢/١٧).

(٣) أخرجه عنه البخاري في كتاب التفسير، "سورة الفرقان "، باب: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الآية، حديث رقم: (٤٧٦٤).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٣٧٨/٢): « وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف: زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد بن عمر، والحسن، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم »، وانظر: فتح القدير (٧٥٢/١).

(٥) كما أخرج البخاري ذلك عن ابن عباس في كتاب التفسير، " سورة الفرقان " ، بـاب ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ حديث رقم: (٤٧٦٠)، ومسلم في كتاب التفسير برقم: (٣٠٢٣).

(٦) كما أخرج مسلم ذلك عن ابن عباس في كتاب التفسير، برقم: (٣٠٢٣).

(٧) لا سيما أنه قد رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما القول بقبول توبة القاتل؛ حيث جاءه رجل فقال: ألمن قتل مؤمناً متعمداً توبة؟ قال: لا. إلا النار؛ فلما ذهب قال له جلساؤه: ما هكذا كنت تفتينا؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة، قال إني لأحسبه رجلاً مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً، قال فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك. الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣٤٩/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٣/٥).

١- الآيات والأخبار الصريحة في أنّ الله يتوب على من تاب، وهي آيات ناهضة مجمع عليها متظاهرة ظواهرها، حتّى بلغت حدّ النصّ المقطوع به، فيحمل عليها آيات وعيد الذنوب كلّها حتّى الكفر[١].

٢- أنّ القول بنسخ آية الفرقان غير وجيه؛ لأنه خبر محض، ولا يجوز نسخه[٢].

٣- أنّ حمل آية الفرقان على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر[٣].

وبعد بيان تقييد إطلاقها بالآيات المذكورة وترجيح قوة قول من قال بقبول توبة القاتل عمداً ينبغي الإشارة هنا إلى أهم **أقوال المفسرين** في تأويل الآية[٤]:

١- أن معنى الآية: فجزاؤه جهنم إن جوزي عليه، مع إمكان ألا يجازى إذا تاب أو كان له عمل صالح يرجح بعمله السيئ، وهذا قول جمع من السلف، وهو الذي اختاره الطبري ومال ابن كثير[٥].

٢- أنّ معنى الآية: فجزاؤه جهنم إذا كان مستحلاً لقتل المؤمن عمداً لأن مستحل ذلك كافر، وهذا مروي عن عكرمة[٦]،واختاره الشنقيطي والذي قبله[٧].

٣- أن الآية للتغليظ في الزجر، عزاه الألوسي لبعض المحققين[٨].

وهذه كلها أوجه قال بكل منها أهل العلم، و لم تسلم بعضها من تضعيف، لكنها لا تخالف حمل الآية على الآيات المذكورة وتفسيرها بها؛ لتقيد ما أطلق فيها من العقوبة بقيد عدم التوبة، أما من تاب وأناب فإنّ الله يتوب عليه، والله هو التواب الرحيم.

◈◈◈✱✱✱

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤/١٧٢)، مدارج السالكين (١/٣٩٢)، التحرير والتنوير (٥/١٦٦).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٣٤٩)، تفسير القرآن العظيم (٢/٣٨٠)، بل نقل بعضهم نسخ آية النساء بآية الفرقان، أو غيرها والمراد به النسخ على المعنى العام. انظر: المحرر الوجيز (٢/١١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٣٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٨٠).

(٤) انظر: جامع البيان (٩/٦٠-٦٩)، الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٣٥١)، دفع إيهام الاضطراب (صـ ٩٧-٩٨).

(٥) انظر: جامع البيان (٩/٦٩)، تفسير القرآن العظيم (٢/٣٨٠).

(٦) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٦١) من طريق ابن جريج.

(٧) في دفع إيهام الاضطراب (صـ ٩٨).

(٨) انظر: روح المعاني (٥/١١٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)﴾ النساء: ٩٥

يبين الله تعالى للناس ما للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم من عظيم الأجر والمغفرة والدرجات الكريمة عند ربهم، فبيّن تعالى أنّ القاعدين عن الجهاد - إذا كانوا غير ذوي عذر وضرر - لا يستوون مع المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وإن الله فضل المجاهدين على القاعدين، وخصهم بدرجات عظيمة، وأجر كبير، وإن كان تعالى قد وعد كلا الفريقين الجنة لإيمانهم وإخلاصهم، فإنه فضل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بآيات القرآن الكريم ثلاث مطالب:

المطلب الأول: استثناء ذوي الضرر من عموم القاعدين عن الجهاد:

فقد حكم الله في الآية بعدم مساواة القاعدين عن الجهاد والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ثم استثنى بقوله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ ذوي الأضرار من عموم القاعدين عن الجهاد.

ونصّ على ذلك جمهور المفسرين من السلف والخلف[(١)].

ووجه البيان فيه واضح وظاهر؛ لأنّ الحكم في عدم مساواة القاعدين بالمجاهدين كان مطلقاً فلما نزل - بوحي سريع[(٢)] -: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ صار ذلك مُخرِجاً لذوي الأعذار المبيحة لترك الجهاد - من العَمَى والعَرَج والمرض- عن عدم مساواتهم للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم[(٣)].

---

(١) انظر: جامع البيان (٨٦/٩) معاني القرآن للفراء (٢٨٣/١) معاني القرآن للأخفش (٢١٠/١)

(٢) دليل ذلك ما في الصحيحين عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته؛ فأنزل الله ﷻ ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ الآية، برقم: (٢٨٣١). صحيح مسلم، كتاب: الجهاد، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، برقم: (١٨٩٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٨٥/٢) (بتصرف يسير)، وانظر: محاسن التأويل (٢٩٢/٣)، التفسير المنير (٢٢٢/٥).

وقد قُرِئ (غير) في قوله تعالى: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ بالرفع، والنصب تـواتراً[(١)]، وبالجر شذوذاً[(٢)].

فعلى قراءة الرفع صفةٌ لقوله: ﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، وهو قول سيبويه، والمعنى: لا يـستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر أي: لا يستوي القاعدون الأصحاء[(٣)]، وقيل هو بدل منه وهو الذي رجحه أبو حيان وغيره؛ لأن الكلام نفي، والبدل معه أرجح[(٤)].

وعلى قراءة النصب هو على الاستثناء من ﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، والمعنى لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر، وقيل: هو على الحال، والمعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون.

أما على قراءة الجر فهو صفة للمؤمنين أو بدل منه[(٥)].

وعلى جميع الأقوال فهو مُفْهِمٌ معنى الاستثناء، وأن نفيَ التَّسوية غيرُ مُسَلَّطٍ على ما أضيف إليه غير[(٦)]، وفي جميع الحالات أُخْرِجَتْ أولي الضَّرر من تلك المفضولية[(٧)].

---

(١) فالنصب قراءة نافع، وأبو جعفر، و ابن عامر، والكسائي، وخلف، والرفع قراءة الباقين، انظـر: التيـسير في القراءات السبع (صــ٧٣)، النشر في القراءات العشر (٢/٢٨٤).

(٢) وهي قراءة الأعمش، وأبو حيوة كما في البحر المحيط (٣/٣٤٤)، والدر المصون (١/١١٩٣).

(٣) قالوا وجاز نعت المعرفة بغير لأن القاعدين لما لم يكونوا ناسا بأعيانهم، بل أريد بهم الجنس، فأشبهوا النكـرة فوصفوا كما توصف.

(٤) انظر: البحر المحيط (٣/٣٤٤).

(٥) انظر توجيه القراءات في: معاني القرآن للنحاس (٢/١٧٠-١٧١)، الحجة في القراءات السبع (صــ١٢٦)، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه، ط٤، ١٤٠١هــ، دار الشروق – بيروت، ت: د. عبـد العـال سـالم مكـرم، التفسير الكبير (١١/١٩٢)، البحر المحيط (٣/٣٤٤) اللباب في علوم الكتـاب (٦/٥٨١-٥٨٢)، أنـوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٣٨).

(٦) طريق الهجرتين (١/٥٢٩)، التفسير القيم لابن القيم (صــ٣٥٣).

(٧) أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٢٧)، التفسير الكبير (١١/١٩٢).

مسألة: هل في الآية دلالة على مساواة أولي الضرر للمجاهدين في سبيل الله من أجل معنى الاستثناء فيها؟

اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

١- أنه لا دلالة فيها على التساوي؛ لأن الاستثناء ورد من حيث كان مخرج الآية تحريضاً على الجهاد وحثاً عليه؛ فاستثنى أولي الضرر إذ ليسوا مأمورين بالجهاد[١]، فأولي الضرر – على هذا القول – لا يساوون المجاهدين وغايتهم أن خرجوا من التوبيخ والمذمة التي لزمت القاعدين من غير عذر، فالاستثناء لرفع العقاب، لا لنيل الثواب[٢]، واحتجوا بتكرار التفضيل في الآية بدرجة وبدرجات، قالوا: فضل المجاهدون درجة واحدة على القاعدين ذوي الأعذار، وفضلوا درجات على القاعدين من غير أولي الضرر والعذر[٣].

٢- وذهب جمع من أهل العلم إلى أنّ الآية دالّة على أنّ الذين قعدوا بعذر متساوون في الأجر مع المجاهدين، وقيّد ذلك أكثرهم بحسن نية القاعدين.

وفسّر هؤلاء تكرار التفضيل بدرجة وبدرجات على أنّ الذين فضل الله عليهم المجاهدين بدرجة وبدرجات هم صنف واحد[٤]، وهم الذين قعدوا عن الجهاد بدون عذر؛

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٢٧).

(٢) المحرر الوجيز (٢/١١٥)

(٣) روي ذلك عن ابن جريج كما في جامع البيان (٩/٩٦-٩٧)، وهو قول مقاتل في تفسيره (١/٢٥١)، وذهب إليه الطبري والنحاس في معاني القرآن (٢/١٧١-١٧٢)، والسمعاني في تفسيره (١/٤٦٨) وغيرهم.
وحكاه غير واحد من المفسرين جواباً من الأجوبة على الحكمة في أن الله تعالى ذكر في أول الكلام درجة وفي آخره درجات، كالفخر الرازي في تفسيره (١/١٥٣٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٤٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢/١٧٦).

(٤) قالوا: وكرر التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن النظام إما لتتريل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات مترله الاختلاف الذاتي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/٢٢١) روح المعاني (٥/١٢٣).
أو باعتبار ما في الجملة الثانية من زيادة: { أجراً عظيماً } فبذلك غايرت الجملةُ المعطوفة الجملةَ المعطوفَ عليها مغايرة سوّغت العطف، مع ما في إعادة معظم ألفاظها من توكيد لها. التحرير والتنوير (٥/١٧٢).

لأنّ اللام في القاعدين للعهد، والمعهود: هم القاعدون غير أولي الضرر، فهم المفضل عليهم، لأنهم هم الذين نفى التسوية بينهم، أما القاعدون الذين هم أولو الضرر، فإنهم لم يذكر حكمهم في الآية، بل استثناهم، وبين أن التفضيل على غيرهم[1].

وذهب إلى هذا القول القرطبي، وابن تيمية، وابن القيم، ابن كثير، والقاسمي، وابن عاشور، والشنقيطي، والسعدي[2].

واحتجوا على ذلك بما يأتي:

١- الأحاديث المؤيدة لذلك المعنى كالذي روي عن أنس ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: « إن بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم من مَسِير، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه» قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال: « نعم حبسهم العذر »[3].

وما روي عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً »[4].

٢- أن الله نفى المساواة بين المجاهد والقاعد الذي ليس بذي ضرر، ولم ينفها بين المجاهد وبين القاعد ذي الضرر، فدليل الخطاب يقتضي مساواته إياه[5].

٣- أن الله استثنى أولي الضرر من نفي المساواة، والاستثناء من النفي إثبات؛ وذلك يقتضي أن أولي الضرر قد يساوون القاعدين وإن لم يساووهم في الجميع[6].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٣/٣٤٥)، طريق الهجرتين (١/٥٣١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٤٢)، مجموع الفتاوى (١٠/٧٣١) طريق الهجرتين (١/٥٣١)تفسير القرآن العظيم (٢/٣٨٧) محاسن التأويل (٣/٢٩٣) التحرير والتنوير (٥/١٧٢)، روح البيان (٢/٢٦٣)، التفسير المنير (٥/٢٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد ، باب: من حبسه العذر عن الغزو). برقم: (٤٤٢٣).

وأخرج الإمام مسلم نحوه عن جابر ولفظه: « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض »، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، برقم (١٩١١).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، ك: الجهاد، باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، برقم: (٢٩٩٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/٧٣١) الزهد والورع والعبادة (صـ١٦٠-١٦١) لابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ، مكتبة المنار – الأردن، ت: حماد سلامة ،محمد عويضة، وانظر: أضواء البيان (١/٢٤٧).

(٦) المصادر السابقة.

٤- أنه إذا كان المجاهدون أفضل من القاعدين مطلقاً لم يبق في تقييد القاعدين بكونهم من غير أولي الضرر فائدة؛ فإنه لا يستوي المجاهدون والقاعدون من أولي الضرر أيضاً[١].

ولعلّ الراجح – والعلم عند الله – أن يقال: الآية دلّت على أنّ القاعدين من غير أولي الضرر عن الجهاد لا يستوون هم والمجاهدون، وسكتت عن حكم القاعدين أولي الضرر بطريق منطوقها، ولا يدلّ مفهومها على مساواتهم للمجاهدين، بل هذا النوع منقسم إلى قسمين:

– **القسم الأول:** معذورين من أهل الجهاد، غلبه عذره وأقعده عنه، ونيته جازمة على الجهاد، فهذا الذي تقتضي أدلة الشرع أنّ له مثل أجر المجاهد، وهذا القسم لا يتناوله الحكم بنفي التسوية.

– **القسم الثاني:** معذور ليس من نيته الجهاد ولا هو عازم عليه عزماً تاماً فهذا لا يستوي هو والمجاهد في سبيل الله بل قد فضل الله المجاهدين عليه وإن كان معذوراً لأنه لا نية له تلحقه بالفاعل التام كنية أصحاب القسم الأول[٢].

---

(١) طريق الهجرتين (٥٣١/١).

(٢) المصدر السابق، (بتصرف) وانظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ١٩٥).

المطلب الثاني: تفسير ما أجمل من نفي الاستواء في قولـــه: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ **بما جاء بعده.**

ففي قوله تعــالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ نفى عدم المساواة بين الفريقين، ولم يبين وجه ذلك التفاضل، ثم بين ذلك بما جاء بعده من قوله: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾.

قال الإمام الزمخــشري رحمه الله: «﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ جملة **موضحة** لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين»[(١)].

وقال الإمام الرازي رحمه الله: «واعلم أنه تعالى لما بيّن أن المجاهدين والقاعدين لا يستويان، ثم أن عدم الاستواء **يحتمل الزيادة ويحتمل النقصان**، لا جرم **كشف** تعالى عنه فقال: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقوله: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ هو مبين لمعنى نفي المساواة»[(٣)].

وذكره جمع من أهل التفسير[(٤)].

ووجه البيان: واضح من النقولات السابقة؛ فإنّ ظاهر نفـــي المـــساواة بـــين الطائفتين وإن كان يستلزم التفضيل[(٥)] إلاّ أنه لم يكتف بما فهم ضمناً[(٦)] بل صرح به

---

(١) الكشاف (٥٨٦/١).

(٢) التفسير الكبير (١١/ ١٩٢).

(٣) طريق الهجرتين (٥٢٩/١).

(٤) انظر: البحر المحيط (٣٤٥/٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٧٥/٢١)، أنوار التتريـــل وأســـرار التأويل (٢٣٨/١)، التفسير المظهرى (٨٧٩/١)، تفسير المراغي (١٢٩/٥)، التحرير والتنـــوير (١٧١/٥) تفسير المنار (٢٨٦/٥)، إعراب القرآن وبيانه (٣٠١/٢).

(٥) لأن قول العرب (لا يستوي وليس سواءً) بمعنى أنّ أحد المذكورين أفضل من الآخر . ويعتمدون في ذلـــك على القرينة الدالّة على تعيين المفضّل التي من شأنه أن يكون أفضل. التحرير والتنوير (١٦٩/٥-١٧٠)

(٦) لم يقتصر على التفضيل عن نفي المساواة مع كونه مغنية عنه؛ لأنّ في قوله: { لا يستوي } إبهام على السامع وهو أبلغ من تحديد المترلة التي بين المجاهد والقاعد، ولأن نفى المساواة يتضمن التفضيل إجمالاً ودلالة وفى التفصيل بعد الإجمال والتصريح بعد الدلالة مزيد التأكيد والتمكن. المحرر الوجيز (١١٥/٢) التفسير المظهرى (٨٧٩/١).

اعتناءاً به وليتمكن أشد تمكن[1]، وكأنّه قيل: ما لهم لا يستوون ؟ فقيل: فـضل الله المجاهدين[2].

وفائدة نفي الاستواء – مع العلم أنّ القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان، بل عدم مساواة من عمل بأيّ طاعة كان ومن لم يعملها بديهي غير مخفي -: التعريض بالمفضول لتفريطه وزهده في الخير، وحضه على الاقتداء بمن هو أفضل منه[3].

---

(١) روح المعاني (١٢٢/٥) محاسن التأويل (٢٩٣/٣).

(٢) البحر المحيط (٣٤٥/٣)، عمدة القاري (٢٧٥/٢١).

(٣) انظر: الكشاف ... التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٢٧٠/٣).

قال بعضهم: « والأولى أن يقال أنه قد يتأتى في حالة القعود عن الجهاد من الطاعات بفراغ القلب وأداء حقوق الله تعالى وحقوق الناس ما لا يتأتى في حالة الجهاد فيوهم ذلك فضل القاعد على المجاهد ففائدة هذه الآية دفع ذلك التوهم ». التفسير المظهري (٨٧٩/١).

المطلب الثالث: تفسير الأجر العظيم في قولـه: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ بما جاء بعده من قوله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

ففي الأول أجمل الله الأجر العظيم الذي فضل به المجاهدين على القاعدين عن الجهاد بدون عذر، ثم بيّن ذلك بما جاء بعده بأنه درجات من الله ومغفرته ورحمته.

قال الإمام الطبري رحمه الله:« لأن قوله تعالى ذكره: ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ **ترجمة وبيان عن** قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ »(٢).

وقال الإمام الزجاج رحمه الله: « ﴿دَرَجَاتٍ﴾ في موضع نصب بدلاً من قوله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ **وهو مفسر للأجر** »(٣).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: « و: ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بدل من ﴿أَجْرًا﴾ **وتفسير** له »(٤).

وذكر هذا جمهور غفير من المفسرين(٥).

ووجه البيان فيه واضحٌ وبيّنٌ؛ لأنه من البيان المتصل(٦)؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بدل من ﴿أَجْرًا﴾، و﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ عطف على﴿دَرَجَاتٍ﴾(٧)؛ فذكر التفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر(٨).

---

(١) سورة النساء: ٩٦.

(٢) جامع البيان (٩/٩٨).

(٣) معاني القرآن (٢/٩٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٤٤).

(٥) انظر – على سبيل المثال –: بحر العلوم (١/٣٥٦)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/٥٨١)، البحر المديد (٢/٨٧)، التفسير المظهرى (١/٨٨٠)، محاسن التأويل (٣/٢٩٣)، تفسير المنار (٥/٢٨٦)، تفسير المراغى (٥/١٣٠)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٩٥)، التفسير الوسيط (٣/٢٧٢).

(٦) انظر: ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم (صـ٦٣).

(٧) انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٤٨٤)، مشكل إعراب القرآن لمكي أبي طالب القيسي (١/٢٠٦)، الجدول في إعراب القرآن (٥/١٤٢)، إعراب القرآن وبيانه (٢/٣٠٢).

(٨) تيسير الكريم الرحمن (صـ ١٩٥).

وقد أورد العلامة الشنقيطي رحمه الله قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1] عند تفسير الآية؛ لأنها تبين فضل بعض المجاهدين على بعض، وذلك ما لم تتعرض له هذه الآية[2].

كما نظر العلامة السعدي[3] بين الآية وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4].

وهذا والذي قبله – كما هو ظاهر – من جمع النظائر القرآنية، وجمع أطراف الموضوع الواحد، وذلك من أوجه المصطلح الموسع لتفسير القرآن بالقرآن، والعلم عند الله تعالى.

◈◈◈✹✹✹

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) انظر: أضواء البيان (١٠/٢٤٧).

(٣) في تفسير الكريم الرحمن (صـ ١٩٥).

(٤) سورة الصف: ١٠ – ١٢.

تفسير قوله تعالى: ﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾.

هذا ما وعد الله به المجاهدين في سبيله لإعلاء كلمته، وفضلهم بها على من قعد عن الجهاد كسلاً وتهاوناً، فقد وعدهم ربهم بالأجر العظيم الذي فسره هنا بالدرجات الرفيعة ومغفرة الذنوب ورحمة الرحمن الرحيم.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أخرج الإمام الطبري[1] بسنده عن ابن وهب قال، سألت ابن زيد عن قول الله تعالى: : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ ﴾، قال: « الدرجات: هي السبع التي ذكرها في"سورة براءة": ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ ﴾؛ فقرأ حتى بلغ: ﴿ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]، قال: هذه السبع الدرجات، قال: وكان أول شيء فكانت **درجة الجهاد مُجْملة**، فكان الذي جاهد بماله له اسمٌ في هذه، فلما جاءت **هذه الدرجات بالتفصيل** أخرج منها، فلم يكن له منها إلا النفقة[3] ...».

وجه البيان: أنّ ابن زيد رحمه الله فسّر الدرجات التي فضّل الله بها المجاهدين على القاعدين بالأعمال الشاقة السبعة المذكورة في آية التوبة والتي يتعرض لها المجاهد فتزيده أجراً[4]، وهي: الظمأ – النصب – المخمصة – وطئ موضع يغيظ الكفار – النيل من العدو – النفقة – قطع الأودية.

---

(١) في جامع البيان (٩/٩٧-٩٨)، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور (٤/٦٣٢) معزوا إلى ابن جرير.

(٢) سورة التوبة: ١٢٠-١٢١

(٣) يريد أنّ من جاهد بماله فإنّ له درجة النفقة فقط دون الدرجات الست الأخرى في الآية؛ لأنه لم يقم بها.

(٤) انظر: تفسير المنار (٥/٢٨٧).

الأقوال الأخرى في تفسير الدرجات:

ورد عن السلف أقوال أخرى في تفسير الدرجات هي:

١- أنّ المراد بها درجات الجنة، وهذا الذي رجحه الطبري؛ لأن قوله﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ ﴾ تفسير وبيان – كما تقدم آنفاً – لقوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ومعلوم أنّ الأجر إنما هو الثواب والجزاء(١).

٢- أن معنى الدرجات الفضائل، قال قتادة: كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة(٢).

الترجيح:

ولعل الراجح في تفسير الدرجات هو القول الذي رجحه الطبري؛ لأن الدرجات بيان للأجر، والأجر هو الثواب والجزاء وليس فضائل الأعمال(٣).

وعلى هذا فلا يصح حمل الدرجات على ما ذكر في آية التوبة المذكورة على أنها تفسرها، والله تعالى أعلم.

◈◈◈✹✹✹

(١) انظر: جامع البيان (٩/٩٨)، تفسير المنار (٥/٢٨٧).

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٩٧) من طريق سعيد.

(٣) ومع ذلك؛ تعتبر الأقوال التي تفسر الدرجات بالأعمال مُحتَملة، ويمكن قبولها على أنها من باب تفسير الشيء بسببه الموصل إليه؛ فمن المعلوم أنّ الجنة بدرجاتها ومنازلها المتفاوتة تكون لمن بذل الأسباب الموصلة إليها، فيكون هذا جمعاً بين الأقوال الواردة في معنى الدرجات، وهو الذي مال إليه الإمام ابن عطية رحمه الله انظر: المحرر الوجيز (٢/١١٦).

تفسير قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ النساء: ١١٤

في هذه الآية بيان على سبيل التحذير والعظة بأنه لا خير في كثير مما يدور في الاجتماعات السرية التي يجتمع فيها الناس بعيدين عن الأعين، ثم استثنى الله من ذلك ما إذا كان الهدف من التناجي: الأمر بصدقة من مال أو علم أو أي نفع كان، أو بمعروف وإحسان وطاعة، أو إصلاح بين متنازعين متخاصمين؛ لأنّ تحقيق هذه الأمور ومنفعتها إنما يكون في حال السر.

وأخبر الله تعالى أنّ الذين يستهدفون مثل هذه الأهداف في اجتماعاتهم وتناجيهم ابتغاء وجه الله ورضاه لهم الأجر العظيم عند الله(١).

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أورد المفسرون – رحمهم الله – عند تفسير هذه الآية آيات عديدة، لا يظهر لي فيها وجه بيان للآية إلا في تفسيرها بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٣).

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، **لم يبين هنا هل المراد بالناس المسلمون دون الكفار أو لا؟**، ولكنه أشار في مواضع أخر أن المراد بالناس المرغب في الإصلاح بينهم هنا **المسلمون خاصة** كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ٢٠٢)، التفسير الحديث (٢٣٥/٨)، التفسير الوسيط للزحيلي (٣٧٩/١).

(٢) سورة الحجرات: ٩ – ١٠.

(٣) سورة الأنفال: ١.

ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾؛ فتخصيصه المؤمنين بالذكر يدل على أن غيرهم ليس كذلك كما هو ظاهر، وكقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ »[١].

وجه البيان: واضح من كلام الشيخ؛ **فهو من حمل العام على الخاص**، فإنّ الله عمّ هنا الترغيب في الإصلاح بين الناس، ولم يخصص منهم أحداً، وخصّ ذلك في الآيات المذكورة بالإصلاح بين المؤمنين، وإصلاح ما بينهم من الأحوال[٢]؛ فيحمل العام على الخاص، ويكون المراد بالناس في الآية المسلمون دون غيرهم.

ولم أجد خلافاً بين العلماء في هذا، بل لم أجد في كلام المفسرين إشارة إليه لا بتأييد ولا بغيره[٣]، إلاّ قول القرطبي رحمه الله: « قوله تعالى: ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه **بين المسلمين** »[٤]؛ فقيده بما بين المسلمين.

---

(١) أضواء البيان (٤٨٧/١).

(٢) لأنّ معنى ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾: أصلحوا أحوال بينكم، أي: ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، الكشاف (١٨٥/٢)، مفردات ألفاظ القرآن (١٣٣/١).

وقد ذكر أهل اللغة لهذا التعبير معنيين:

١- أنّ معناه: الحالة التي بينكم، وهو موافق لما تقدم، واختاره الطبري في جامع البيان (٣٨٤/١٣).

٢- أنّ معناه: حقيقة وصلكم، وهذا قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤٠٠/٢).

انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (صـ٢٩٤) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، ط١، ١٣٩٩هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ت: د. محمد جبر الألفي، المحكم والمحيط الأعظم (٩٢/١٠)، المزهر في علوم اللغة (٤١٢/١) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت، ت: فؤاد علي منصور. الكليات لأبي البقاء الكفوي (صـ٤٥٥).

والمعنيان صحيحان، انظر: استدراكات ابن عطية على الطبري (٦٨٨/٢-٦٩٣).

(٣) قال الطبري – في جامع البيان (٢٠١/٩- ٢٠٢) -: « ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين، بما أباح الله الإصلاح بينهما، ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة، على ما أذن الله وأمر به ».

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٤/٥).

الآيات الأخرى:

وقد سبقت الإشارة إلى أنّ المفسرين أوردوا عند تفسير الآية آيات عديدة، لم يظهر لي منها بيان للآية إلاّ ما بينها وبين الآية من المعنى، وهي على النحو التالي:

١- قال الإمام الجصاص رحمه الله: « قوله عز وجل: ﴿ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ هو نظير قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ وقوله: ﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[١]، وقال: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾[٣] »[٤].

وهذه الآيات نظير الآية في الأمر بالصلح، والندب إليه، سواء بين الطائفتين في الدماء، أو بين الزوجين في الحقوق[٥].

٢- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦].

أوردها الشيخ الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان – عند تفسير الآية –، قائلاً: « ذكر في هذه الآية الكريمة أن كثيراً من مناجاة الناس فيما بينهم لا خير فيه، ونهى في موضع آخر عن التناجي بما لا خير فيه، وبين أنه من الشيطان ليحزن به المؤمنين، وهو قوله تعالى ...»[٧].

وأوردها هنا غيره من المفسرين[٨].

---

(١) وقد سبق في كلام الشنقيطي أنّ هذه والتي قبلها يفسران الآية ويخصصان عمومها، لكن لم أذكر كلام الجصاص هناك، لما فهمت أنه لم يقصد من إيرادهما والآيات الأخرى إلاّ التنظير والشبه بينها في المعنى، والله أعلم.

(٢) سورة النساء: ١٢٨.

(٣) سورة النساء: ٣٥.

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٢٦٧/٣).

(٥) لذا ذكرها – وغيرها – ابن القيم في كلامه الجميل عن الصلح في إعلام الموقعين (١٠٧/١).

(٦) سورة المجادلة: ٩ – ١٠.

(٧) أضواء البيان (٤٨٧/١).

(٨) كالمراغي في تفسيره (١٥٣/٥)، وثناء الله الهندي في تفسير القرآن بكلام الرحمن (صــ١٤٢)، واختصرا على الآية الأولى.

والذي يظهر أنه من جمع الآيات التي تكون في الموضوع الواحد.

٣- قال الشنقيطي رحمه الله - في تفسير الآية-: « وقال بعض العلماء: إن الأمر بالمعروف المذكور في هذه الآية في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، يبينه قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[(١)]، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾[(٢)]، والآية الأخيرة فيها أنها في الآخرة، والأمر بالمعروف المذكور إنما هو في الدنيا، والعلم عند الله تعالى »[(٣)].

وكأنّ قائل هذا يرى أنّ الأمر بالمعروف في الآية يفسره التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وقول الصواب، وعقب الشيخ على الأخير بأنه في الآخرة والأمر بالمعروف في الآية في الدنيا، وهو كما قال[(٤)].

لكنّ الشيخ رحمه الله لم ينصّ على قائل هذا القول، وأغلب الظّن أنّه سفيان الثوري رحمه الله فيما رواه الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية معزواً لابن مردويه.

ما ملخصه: أنّ سعيد بن حسان المخزومي كان عند سفيان الثوري فحدّث عن أم صالح، عن صَفية بنت شَيْبة، عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله: « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله عز وجل »؛ فقال أحد الجلساء: ما أشد هذا الحديث! فقال سفيان الثوري: وما شدة هذا الحديث؟ إنّما جاءت به امرأة عن امرأة! هذا في كتاب الله الذي أرسل به نبيكم ﷺ أو ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ

---

(١) سورة العصر: ١ - ٣.

(٢) سورة النبأ: ٣٨.

(٣) أضواء البيان (٤٨٧/١).

(٤) لأنّ آية النبأ هو: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

صَوَابًا﴾ فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، فهو هذا بعينه »[1].

فإن كان هذا ما أراده الشيخ، فالظاهر من الأثر عدم تفسيره لآية النساء بالآيات المذكورة، بل ذكرها للمعنى الجامع بينها وبين الحديث المذكور، والله أعلم.

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ⑨ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ لأنها تخصص عموم الناس فيها بالمؤمنين والمسلمين – كما سبق تقريره – والعلم عند الله تعالى.

❁✱✱◈◈◈

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤١١/٢)، والحديث أخرجه بنحو هذا: البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥/٤-٢٤٦)، والحاكم في المستدرك (٥١٣/٢، رقم: ٣٨٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٣/٢٣، رقم ٤٨٤)، ولم يذكر فيه سورة العصر، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٥-٦)، إلى الترمذي وابن ماجه وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي الدنيا في الصمت وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، وفي ذلك نظر؛ فأصل الحديث أخرجه الترمذي (٦٠٨/٤، رقم ٢٤١٢)، وابن ماجه (١٣١٥/٢، رقم ٣٩٧٤)، ولم يذكرا أقوال الثوري إلى آخرها، – كما أشار له الحافظ ابن كثير –، والحديث قال عنه الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن خُنَيس، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع حديث رقم: (٤٢٨٣).

(٢) سورة الحجرات: ٩ – ١٠.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ النساء: ١١٩

هذه أربعة أمور أقسم عليها إبليس اللعين، وبيّن فيها كيف يتخذ نصيبه المفروض من بني آدم، وهي:

أولاً: إضلالهم عن الحق وصرفهم عن طريق الهداية وأسبابها.

ثانياً: تمنيته لهم بالأمنيات الكاذبة، ووعدهم بالأماني الباطلة.

ثالثاً: أمره إياهم بتقطيع وتشقيق آذان الأنعام؛ ليحرِّموا ويحللوا له، ويشرعوا غيرَ ما شرعه لهم.

رابعاً: أمره إياهم بتغيير خلق الله وفطرته التي فطر الناس عليها(١).

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

ذهب جمع من أهل التفسير إلى أنّ المراد بتغيير خلق الله: تغيير دينه، وحملوا الآية في ذلك على قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

أخرج الأئمة عن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ قال: دين الله، ثم قرأ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(٣).

وأخرج الطبري عن الضحاك رحمه الله(٤) في قوله: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، قال: دين الله، وهو قول الله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾، يقول: لدين الله.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن (٢/٢٤٢)، التفسير الوسيط للزحيلي (١/٣٨٢).

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) في جامع البيان (٩/٢١٩) من طريق ليث، وأخرجه عنه من طريقي ابن أبي نجيح وابن جريج دون قراءة الآية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٦) إلى عبد الرزاق وآدم وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(٤) في جامع البيان (٩/٢٢٠)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٦) معزواً إلى ابن جرير.

كما أخرج عن ابن زيد رحمه الله[1] في قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، قال: دين الله. وقرأ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾، قال: لدين الله.

قال الإمام الطبري رحمه الله: « وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قولُ من قال: معناه: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، قال: دين الله، **وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه**، وهي قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ »[2].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: « قال بعض العلماء: معنى هذه الآية أن الشيطان يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها، وهذا القول **يبينه ويشهد له** قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، إذ المعنى على التحقيق لا تبدلوا فطرة الله التي خلقكم عليها بالكفر »[3].

وذكر تفسير الآية بالآية المذكورة جمع من المفسرين[4].

وجه البيان: أنّ الله تعالى لم يبين المراد من تغيير خلق الله الذي يأمر به الشيطان أولياءه، وبين في آية الروم أنه فطر الخلق على الإسلام، ونهى عن تغيير تلك الفطرة بالكفر والشرك[5]، ووصفها بأنها الدين القيم، فيحمل تغيير خلق الله الذي يأمر به الشيطان أولياءه على ذلك.

وهذا تفسير صحيح؛ لأنّ الكفر مغير للفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو أكبر ما يأمر به الشيطان أتباعه ليكونوا من أصحاب السعير.

---

(١) في المصدر السابق.

(٢) جامع البيان (٩/٢٢٢).

(٣) أضواء البيان (٥/١٧٣-١٧٤)

(٤) انظر: معالم التنزيل (٢/٢٨٩)، أحكام القرآن للجصاص (٣/٢٦٨)، أحكام القرآن لكيا هراسي (٢/٤٩٩) تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٥)، تفسير النسفي (١/٢٤٠)، محاسن التأويل (٣/٣٤٩).

(٥) لأنّ قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ خبر، ومعناه: النهي، كما أشار له الشنقيطي في كلامه، وانظر: البحر المحيط (٣/٣٦٩)، تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٥).

ولمح الإمام النحاس إلى عدم إمكان حمل الآية المفسَّرة هنا على الآية المفسِّرة؛ لأن التبديل (الوارد في الآية المفسِّرة) مخالف للتغيير (الوارد في الآية المفسَّرة)؛ لأنّ التبديل بطلان عين الشيء[1].

وقد أجاب على ذلك ابن عطية وغيره بأن التبديل يقع موضعه التغـــيير، وإن كان التغيير أعم منه[2].

وتفسير تغيير خلق الله بتغيير دين الله مروي عن ابن عباس[3]، وســـعيد بـــن جبير[4]، وقتادة[5]، والسدي[6]، وإبراهيم النخعي[7]، وغيرهم[8].

(١) معاني القرآن للنحاس (١٩٦/٢).

(٢) المحرر الوجيز (١٣٤/٢)، البحر المحيط (٣٦٩/٣).

(٣) أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٢١٨/٩)، من طريق علي بن أبي طلحة، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٦٩/٤) من طريق مطرف عن رجل عنه، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦/٥) معزواً إلى.

(٤) وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦/٥) معزواً إلى سعيد بن منصور وابن المنذر

(٥) أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٢١٩/٩)، من طريقي معمر وسعيد عنه، وأخرجه عنـــه الـــصنعاني في تفسيره (١٧٣/١) من طريق معمر.

(٦) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٢٢٠/٩) من طريق أسباط بن نصر.

(٧) كما أخرج ذلك الطبري عنه من طرق في جامع البيان (٢١٨/٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٢٦/٥) معزواً إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(٨) تفسير ابن أبي حاتم (١٠٦٩/٤)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٤١٥/٢).

الأقوال الأخرى:

وقد ورد عن المفسرين أقوال أخرى في المراد بتغيير خلق الله، منها:

١- إخصاء الدواب، روي ذلك عن أنس بن مالك[١]، وابن عباس أيضاً[٢]، الربيع بن أنس[٣]، وعكرمة في رواية[٤]، وغيرهم[٥].

٢- الوشم: وذلك مرويٌّ عن الحسن البصري[٦].

٣- عبادة الشمس والقمر والحجارة، وتحريم ما حرموا من الأنعام، وإنما خلق ذلك للانتفاع به[٧]. وهو الذي اختاره الزجاج[٨].

٤- وقيل يحتمل أن يكون المراد به تغير الأنساب؛ وذلك أن ينتقل من نسب إلى نسب، وأن يكون المراد به: الخضاب بالسواد[٩].

---

(١) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٢١٥، ٢١٧) بأسانيد من طريق الربيع بن أنس، وأورده السيوطي في الدر (٥/٢٣) معزواً إلى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢١٥، ٢١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٦٩) عنه من طرق، وأورده السيوطي في الدر (٥/٢٣) معزواً إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢١٦) وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (١/١٧٣) من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

(٤) أخرج ذلك الطبري عنه في جامع البيان (٩/٢١٦، ٢١٧) من طرق، وأورده السيوطي في الدر (٥/٢٤) معزواً إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/١٠٦٩)، تفسير القرآن العظيم (٢/٤١٥).

(٦) فيما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٩/ ٢٢٠-٢٢١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٧٠) من طرق، وأورده السيوطي في الدر (٥/٢٦) معزواً إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) زاد المسير - (٢ / ٢٠٦).

(٨) في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١١٠).

(٩) ذكرها السمعاني في تفسيره (١/٤٨١).

الترجيح:

والراجح – والعلم عند الله تعالى – حمل الآية على العموم لتشمل كل تغيير ضار في الخلقة الظاهرة أو الباطنة[1].

قال القاسمي: « ولا يخفى أن عموم الآية يصدق على جميع المعاني، إذ كلها من تغيير خلق الله، فلا مانع من حمل الآية عليها »[2].

ويرى الإمام الطبري أنّ الآية – على تفسيرها بتغيير دين الله- يدخل فيها فعل كل ما نهى الله عنه: من خِصَاءِ ما لا يجوز خصاؤه، ووشم ما نهى عن وشمه وَوشْرِه، وترك كل ما أمر الله به؛ لأن الشيطان لا شكّ أنه يدعو إلى جميع معاصي الله وينهى عن جميع طاعته، وذلك معنى أمره بتغيير ما خلق الله من دينه[3].

النتيجة:

صحة تفسير قوله تعالى – حكاية عن الشيطان المريد -: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ على أنّ ما يأمر به الشيطان بتغييره هو دين الله القيم الذي نهى الله تعالى عن تبديله وتغييره بالكفر والشرك.

ولا يمنع ذلك كون الآية شاملة لكل ما فيه تغيير لخلق الله معنوياً أو حسياً، سواء كان ذلك بعموم لفظ " تغيير خلق الله "، أو لأنّ تغيير دين الله شامل – كما يرى الطبري- لارتكاب كل منهي عنه، وترك كل مأمور به.

❖❖❖✸✸✸

(١) وذهب لهذا جمع من أهل التفسير، انظر: المحرر الوجيز (٢/١٣٤)، معاني القرآن (٢/١٩٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٥٥)، شفاء العليل (١/٢٨٧)، الجواهر الحسان (١/٤١٥)، روح البيان (٢/٢٨٥)، فتح القدير (١/٧٧٩)، تفسير المنار (٥/٣٥٠)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٢٠٣).

(٢) محاسن التأويل (٣/ ٣٥١).

(٣) جامع البيان (٩/٢٢٢) (بتصرف).

تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ النساء: ١٢٣

في هذه الآية الكريمة يردّ الله تعالى على المتفاخرين بدينهم وخصائصهم من المسلمين والمشركين وأهل الكتاب[1] قائلاً لهم: ليس الثواب[2] بما يتمناه كل فريق، بل يحكم الله بين عباده، ويجازي كل عامل جزاءَ عمله؛ فمَن يعمل سوءًا يجز به، ومن يعمل صالحاً وهو مؤمن فجزاؤه الجنة.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآية بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير أماني أهل الكتاب ومشركي العرب بما ورد في بعض الآيات من أمانيهم الكاذبة.

لم يبين الله شيئا من أمانيهم، ولا من أماني أهل الكتاب، ففسر جمع من المفسرين أماني أهل الكتاب بآيات من القرآن، كقوله تعالى – إخباراً عنهم-: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن

---

(١) اختلف المفسرون في المخاطبين بقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾:
فذهب ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح، ومسروق، وقتادة، والسدي، وغيرهم إلى أن الخطاب للمسلمين، وسببه: أنه وقع تحاج بين المسلمين وأهل الكتاب: اليهود والنصارى، كل فريق يقول للآخرين: نحن خير منكم، ويحتج لذلك، ومال إليه ابن كثير إذ لم يورد غيره.
وقال مجاهد وابن زيد: الخطاب لكفار قريش، وذلك أنهم جعلوا الأصنام شفعاءهم عند الله، وقالوا: لن نبعث ولن نعذب، وإنما هي حياتنا لنا فيها النعيم، وهذا الذي اختاره الطبري في جامع البيان (٩/٢٣٤)، وانظر: البحر المحيط (٣/٣٧١)، التحرير والتنوير (٤/٢٦٠-٢٦١)

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في تقدير اسم " ليس" المضمر، أنه الثواب الذي وعد الله به؛ وذلك لدلالة قوله تعالى عليه: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار}، انظر: الكشف والبيان (٣/٣٩٠)، الكشاف (١/٦٠٠)، معاني القرآن للنحاس (٢/١٧)، التفسير الكبير (١١/٤١)، بحر العلوم (١/٣٦٦)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١ / ١٨٢٦).

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[(١)]، ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[(٣)].

أخرج الأئمة عن مجاهد مسنداً في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: « قالت العرب: لن نعذب ولن نبعث، وقالت اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[(٤)].

وقال الزمخشري رحمه الله: « وكان أهل الكتاب يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ، ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ »[(٥)].

وقال الرازي رحمه الله: « وأما أماني أهل الكتاب فهو قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فلا يعذبنا، وقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ »[(٦)].

وقال الشوكاني رحمه الله: « ومن أماني أهل الكتاب قولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ، وقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[(٧)].

وفسّر أماني أهل الكتاب بما ورد في هذه الآيات أو ببعضها جمع من المفسرين[(٨)].

---

(١) سورة البقرة : ١١١

(٢) سورة البقرة : ٨٠

(٣) سورة المائدة : ١٨

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٩/٢٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٧٠)، وسعيد بن منصور في سننه (١/١٠٤) من طريق ابن أبي نجيح، وعزاه السيوطي في الدر (٢/٦٩٣) إلى الثلاثة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) الكشاف (١/٦٠١).

(٦) التفسير الكبير (١/١٥٦١).

(٧) فتح القدير (١/٧٨٢).

(٨) انظر: زاد المسير (٢/٢٠٩)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/٣٦٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٥٧)، البحر المديد (٢/١٠٣)، محاسن التأويل (٣/٣٥٢)، أضواء البيان (٥/١٧٩)، تيسير الكريم الرحمن (صـ ٢٠٥).

كما فسر بعضهم أماني مشركي العرب بآيات من القرآن [1]:

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: « ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم... ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [2]، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [3] » [4].

وقال الشنقيطي رحمه الله — عند تفسير الآية - : « لم يبين هنا شيئا من أمانيهم، ولا من أماني أهل الكتاب، ولكنه أشار إلى بعض ذلك في مواضع أخر كقوله في أماني العرب الكاذبة: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [5]، وقوله عنهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [6] » [7].

ووجه البيان: واضح وظاهر؛ فإنّ الله نفى في الآية هنا أنّ الثواب ليس بأماني الكفار وأهل الكتاب، ولم يبين شيئاً من تلك الأماني، وما ذكر في الآيات المذكورة أماني كان يتمناها أهل الكتاب غروراً بدينهم، أو كفار العرب ظناً أنهم لا يعذبون، ولا يبعثون، فيحمل ما أبهم هنا على ما صرح به هناك.

---

(١) وهذا على أنّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ للمشركين، وهو قول الطبري كما سبق.

(٢) سورة مريم ٧٧.

(٣) سورة فصلت ٥٠.

(٤) الكشاف (٦٠١/١).

(٥) سورة سبأ: ٣٥.

(٦) سورة المؤمنون: ٣٧.

(٧) أضواء البيان (١٧٩/٥).

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾

أطلق الله فيه الحكم بجزاء كلّ من يعمل سوءاً من السيئات بما عمل.

فذهب بعض العلماء إلى تقييد ذلك أو تخصيصه بآيات من القرآن الكريم.

١- تخصيص عموم الآية أو تقييدها بآيات أخرى.

- **بقوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(1).

قال ابن الوزير اليماني رحمه الله - في معرض كلامه عن تفسير القرآن بالقرآن -: « ومنه - أي تفسير القرآن بالقرآن - تفسير ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾؛ فقوله فيها ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ مخصص لعموم ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ **ومقيد لإطلاقها،** كأنه قال إلا أن يعفو بدليل هذه الآية »(2).

وقال الذهبي في التفسير والمفسرون(3) - في معرض كلامه على بعض أوجه تفسير القرآن بالقرآن في التمثيل على حمل العام على الخاص -: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ ... **فإن ما فيها من عموم خصِّص** بمثل قوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ».

- **بآيات التوبة والمغفرة للمذنبين إذا تابوا:**

قال الرازي رحمه الله: « ... هب أن النص يعم المؤمن والكافر، ولكن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(4) **أخص منه والخاص مقدم على العام** »(5).

وقال ابن الوزير رحمه الله: « ... مثل ما أنها **مخصصة** بآيات التوبة؛ فإنّه مقدر فيها إلاّ أن يتوبوا بالإجماع وبالنصوص في التائبين »(6).

---

(١) سورة الشورى: ٣٠.

(٢) إيثار الحق على الخلق (صـ١٥١).

(٣) (٣٢/١).

(٤) سورة النساء : ٤٨.

(٥) التفسير الكبير (١٥٦٢/١).

(٦) إيثار الحق على الخلق (صـ١٥١).

وقال الآلوسي رحمه الله: « ولا مستند في الآية لمن منع العفو عن العاصي؛ **إذ العموم فيها مخصص بالتائب إجماعاً**، وبعد فتح باب التخصيص لا مانع من أن نخصصه أيضاً بمن يتفضل الله تعالى بالعفو عنه على ما دلت عليه الأدلة الأخر »[1].

وقال السعدي رحمه الله: « وهذا الجزاء على عمل السوء العام **مخصوص في غير التائبين**؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما دلت على ذلك النصوص »[2].

ووجه البيان: واضح من النقولات السابقة؛ فقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ أطلق الله فيه الحكم بجزاء كل عامل لسيء بما عمل، ودلت المذكورة أو المشار إليها على أنّ الله يغفر الذنوب ويعفوا عن السيئات ويقبل توبة المسيئين إذا تابوا وأنابوا، فهي مخصصة لتعميم الآية المفسَّرة الجزاء على الأعمال السيئة، أو مقيدة لما أطلق.

٢- تخصيص لفظ "من" في الآية بالكفار دون غيرهم، استدلالاً بآيات أخر.

كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [3]، وقوله تعالى —في الآية التي بعدها-: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[4].

فعن الحسن البصري رحمه الله في قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، قال: الكافر، ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾، قال: من الكفار [5].

وقال الرازي: - بعدما ذكر أن الآية نزلت في الكفار-: « والذي يدل على ما ذكرناه أنه تعالى قال بعد هذه الآية ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ »[6]، وذكر مثل ذلك النسفي أيضاً[7].

---

(١) روح المعاني (١٥٣/٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٠٥).

(٣) سورة سبأ: ١٧.

(٤) سورة النساء: ١٢٤.

(٥) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٢٣٧/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٢/٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إليهما (٥٤/٥).

(٦) التفسير الكبير (١٥٦٢/١).

(٧) في تفسيره (٣٦٨/١).

وروي تخصيص الآية بالكفار عن ابن زيد[١]، والضحاك[٢].

قال ابن عطية: « فهذا تخصيص للفظ الآية، ورأى هؤلاء أنّ الكافر يجزى على كل سوء يعمله، وأن المؤمن قد وعده الله تكفير سيئاته »[٣].

وقريب من هذا القول الأخير قول من حُكِي عنه تفسير السوء بالشرك، كابن عباس[٤]، وابن جبير[٥]، فهو تخصيص لعموم اللفظ من جهة أخرى، أولئك خصصوا لفظ " من " وهؤلاء خصصوا لفظ السوء[٦].

القول الآخر في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.

وذهب جمهور العلماء إلى أنّ الآية عامة في الكافر والمؤمن، وشاملة لجميع السيئات، وهذا الذي اختاره الطبري قائلاً: « وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية: لعموم الآية كلّ عامل سوء، من غير أن يُخَصَّ أو يستثني منهم أحد، فهي على عمومها، إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول ﷺ »[٧].

ويؤكد عمومها ما ورد في الصحيح من أنّ الآية لما نزلت بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً فقال النبي ﷺ: « قاربوا وسددوا، ففي كلّ ما يُصاب به المسلمُ كفارة، حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها »[٨].

---

(١)أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٢٣٨)، من طريق ابن وهب.

(٢) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٢٣٨)، من طريق جويبر.

(٣) المحرر الوجيز (٢/١٣٦)، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٤٧٦).

(٤) فيما أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/ ٢٣٩) من طريق علي بن أبي طلحة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٤) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٥) كما أخرجه الطبري عنه في جامع البيان (٩/٢٣٩) من طريق المنهال بن عمرو.

(٦) المحرر الوجيز (٢/١٣٦) (بتصرف).

(٧)جامع البيان (٩/٢٣٩)، واختار هذا القول أيضاً: النحاس والقرطبي، وابن كثير، والشوكاني. انظر: معاني القرآن (٢/٢٠٠)، الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٩٦)، تفسير القرآن العظيم (٢/٤٢١)، فتح القدير (١/٧٨٢).

(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، برقم (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة.

وهذا جواب كاف لما أشكل في هذه الآية؛ لأنه وارد عمن جعل الله إليه بيان القرآن، أضف لذلك ورود الحديث في محل النزاع، فلا قول لأحد بعد قوله ﷺ[1].

لذا فلا يصح تخصيص الآية ولا تقييدها، بل يبقى على عمومها، ولو كانت الآيات المذكورة مقيدة لها أو مخصصة لبين النبي ﷺ ذلك[2]، لاسيما وقد سئل عنه فلم ينف عمومها وإنما أرشد إلى كثرة طرق الكفارة للذنوب. والعلم عند الله.

❖❖❖✹✹✹

(١) الكشف والبيان (٣/٣٩١).

(٢) كما بيّن تخصيص الظلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) ﴾النساء: ١٢٧

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺ في أحكام النساء، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه؛ فالله يفتيهم فيهن ويبين لهم ما أشكل من أمرهن، وكذلك يوضح لهم هذا ما أنزله اللّه من الآيات السابقة في أول السورة التي تتلى عليهم[(١)]، كأحكام معاملة النساء اليتامى في النكاح والمواريث، وأحكام المستضعفين من الأولاد وحقوقهم في الميراث، وأحكام اليتامى والعدل في أموالهم.

ثم حثّ الله على الإحسان وفعل الخير عموماً لليتامى ولغيرهم؛ فإنّه عليم بجميع الأعمال وسيجازي عليها أحسن الجزاء[(٢)].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

لما كثر سؤال المؤمنين عن أحكام النساء ذكر الله في هذه الآية أنّ ما كان من هذه الأحكام غير مبين الحكم فإنه يفتيهم فيها، وما بين حكمه فيما سلف أحال بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وأن تلك الآيات تفتيهم فيها[(٣)].

وقد كاد أهل التفسير أن يجمعوا على أن هذه الآية إشارة إلى ما تقدم من الآيات في أمر النساء واليتامى والمستضعفين من الأولاد الصغار، واختلفوا في تعيين تلك الآيات، ملخصها في ثلاث مطالب:

---

(١) قال العلامة الطاهر بن عاشور: « ولا شكّ أنّ ما يتلى في الكتاب هو من إفتاء الله، إلاّ أنّه لمّا تقدّم على وقت الاستفتاء كان مغايراً للمقصود من قوله: ﴿اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ ، فلذلك صحّ عطفه عليه عطف السبب على المسبّب ». التحرير والتنوير (٥/٢١٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (صـ ٢٠٦)، التفسير الواضح (١/٤٣٦).

(٣) انظر: التفسير الكبير (١/١٥٦٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/٢٣٧).

المطلب الأول: الآيات التي تتلى في يتامى النساء المشار إليها بقوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾.

اختلف المفسرون في تعيين هذا الذي يتلى في الكتاب في يتامى النساء على ثلاثة أقوال:

- **الأول**: ذهب جماعة من المفسرين إلى أن الآية التي تشير إليها هذا المقطع من الآية هو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[1].

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: « ثم إنّ الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية[2] فيهن فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ قالت: **والذي ذكر الله أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال الله:** ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ ...الحديث[3].

وهذا قول جماعة من المفسرين كالنحاس، ابن عطية، والرازي، والقرطبي، وابن جزي، والشّوكاني، والهندي، وابن عاشور، والشنقيطي[4].

قال الشنقيطي: « ومضمون ما أفتى به هذا الذي يتلى علينا في الكتاب هو تحريم هضم حقوق اليتيمات فمن خاف أن لا يقسط في اليتيمة التي في حجره فيتركها ولينكح ما طاب له سواها »[5].

فالمراد بما كتب لهن: - على هذا - الصداق؛ إذ كانوا لا يقسطون في اليتامى اللاتي في حجورهم.

---

(١) سورة النساء: ٣.

(٢) أي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾.

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشركة، باب شركة اليتيم وأهل الميراث، رقم: (٢٤٩٤)، وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: التفسير، رقم: (٣٠١٨).

(٤) في المحرر الوجيز (١٣٨/٢)، معاني القرآن للنحاس (٢٠٢/٢)، التفسير الكبير (١٣٩/٩)، الجامع لأحكام القرآن (٤٠٢/٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣٠٩/١)، فتح القدير (٧٨٤/١)، تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٤٤)، التحرير والتنوير (٢١٣/٥)، أضواء البيان (٤٩٦/١)،. التفسير المنير (٢٣٧/٤).

(٥) أضواء البيان (٤٩٦/١-٤٩٧).

- **الثاني**: وذهب بعض المفسرين إلى تعيين ما يتلى في الكتاب في يتامى النساء بآيات الفرائض الواردة في أول السورة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾، قال: « كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المولود حتى يكبر، ولا يورِّثون المرأة، فلما كان الإسلام، قال: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ في أول السورة في الفرائض »[(١)].

وروي ذلك عن سعيد بن جبير[(٢)]، واختاره الطبري[(٣)].

قال الشنقيطي – بعد ما حكى هذا القول عن بعض العلماء -: « وعلى هذا القول، فالمبين لقوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، هو قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾[(٤)]، وقوله في آخر السورة: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾[(٥)]»[(٦)].

فالمراد بما كتب لهن: – على هذا – حقوقهن من الميراث؛ إذ كانوا لا يورّثوهنّ.

- **الثالث**: كما ذهب بعض المفسرين أيضاً إلى تعيين ما يتلى في الكتاب في يتامى النساء بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[(٧)]، وهذا قول الثعلبي والبغوي وابن الجوزي[(٨)].

فالمراد بما كتب لهن: حقوقهن من الميراث؛ إذ كانوا يمنعوهنّ الميراث، فأُمِرُوا بإيتاء اليتامى أموالهم، وألاّ يتعرضوا لها بالأكل.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٣٧)، من طريق عطاء، عن سعيد بن جبير عنه، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٦٠) وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر والحاكم.

(٢) فيما أخرجه الطبري في جامع البيان (٩/٢٥٤) عنه من طريق عطاء، ولفظه نحو ما رواه عن ابن عباس، وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٢٢) نحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٦٢) معزواً إليه.

(٣) في جامع البيان (٩/ ٢٦٠-٢٦١).

(٤) سورة النساء: ١١.

(٥) سورة النساء: ١٧٦.

(٦) أضواء البيان (١/٤٩٩).

(٧) سورة النساء: ٢.

(٨) انظر: الكشف والبيان (٣/٣٩٤) معالم التنزيل (٢/٢٩٣)، تذكرة الأريب تفسير الغريب (صـ١٢٧) زاد المسير (٢/٢١٥).

المطلب الثاني: الآيات التي تتلى في المستضعفين من الولدان المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾.

فقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، أي: وما يتلى عليكم في حق المستضعفين من الولدان[1].

وقد اختلف المفسرون فيما يتلى في الكتاب في حقهم – أيضاً – على ثلاثة أقوال:

الأول: فسّره جمع من أهل التفسير[2] بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[3]؛ لأنّهم كانوا في الجاهلية لا يورثون الصبية ولا الصبي الصغير، كما كانوا لا يورثون النساء، وإنما يورثون الرجال القوامين بالأمور.

الثاني: ذهب بعضهم إلى تعيين ذلك بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

قال البغوي: «﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ يريد: ويُفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار، أن تعطوهم حقوقهم، لأنهم كانوا لا يُورِّثون الصغار، يريد ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ »[4]، وذهب لهذا ابن عاشور، وزاد قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[5][6].

الثالث: قال ثناء الله الهندي: هو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[7][8].

---

(١) ولعلّ بعض المفسرين لم يروا عطف هذا وما بعده من قوله: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾، على قوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾؛ فلذلك لم يتعرضوا لتفسيرها بآيات سبقت ذكرها في السورة، وصنيع الشنقيطي يدلّ على هذا كما سيأتي.

(٢) كابن عطية في المحرر الوجيز (٢/١٣٩)، وابن جزي في التسهيل لعلوم التتريل (١/٣٠٩)، وأبو السعود في تفسيره (٢/٢٣٨)، والشوكاني في فتح القدير (١/٧٨٤)، والزحيلي في التفسير المنير (٥/٢٩٤).

(٣) سورة النساء: ١١

(٤) معالم التتريل (٢/٢٩٣).

(٥) سورة النساء: ٥.

(٦) التحرير والتنوير (٥/٢١٣).

(٧) سورة النساء: ١٠.

(٨) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٤٥).

المطلب الثالث: الآيات التي تتلى في القيام لليتامى بالقسط المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾:

فإنه معطوف أيضاً على ما قبله، والمعنى: والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط.

قال بعض المفسرين[1]: ما تُلي عليهم في ذلك هو قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[2]، وزاد بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[3].

وقال ابن عاشور: « وأشار بقوله: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ إلى قوله هنالك: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[4]»[5].

وذهب أبو السعود إلى الجمع بين ذلك كله بقوله: « وما يتلى في حقهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر »[6].

أمّا الشيخ الشنقيطي فقد فسّر ذلك بآيات أخرى غير ما ورد في السورة، فقال: «وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية، القسط: العدل، و لم يبين هنا هذا القسط الذي أمر به لليتامى، ولكنه أشار له في مواضع أخر كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[7]، وقوله: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ

(١) كالنحاس في معاني القرآن (٢/٢٠٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/١٣٩)، وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل (١/٣٠٩)، وأبو السعود في تفسيره (٢/٢٣٨).

(٢) سورة النساء: ٢.

(٣) سورة النساء: ١٠.

(٤) سورة النساء: ٦.

(٥) التحرير والتنوير (٥/٢١٣).

(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/٢٣٨).

(٧) سورة الأنعام: ١٥٢.

ٱلْمُصْلِحِ ﴾[١]، وقولـه: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[٢]، وقولـه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾[٣] الآية، ونحو ذلك من الآيات، فكل ذلك فيه القيام بالقسط لليتامى »[٤].

الترجيح:

والذي يظهر – والعلم عند الله تعالى – أنّ كلّ ما ذُكِرَتْ من الآيات داخلة فيما يتلى في الكتاب إما في أحكام النساء أو المستضعفين من الولدان أو القيام لليتامى بالقسط، فالأقوال السابقة ليست متضادةً، وإنما هي متنوعة، وذكر كلّ مفسّرٍ ما ذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، كما يشير لذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي في حقهن على الإطلاق، كما أنّ قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾، شامل لما فرض لهنّ من الميراث أو الصّداق أو النّكاح وما يعم ذلك كله وغيره[٥].

لذا قال أبو حيان: « واتفق من وقفنا على كلامه في التفسير على أنّ هذه الآية إشارة إلى ما مضى في صدر هذه السورة ...»[٦] وذكر الآيات السابقة.

فالنتيجة: صحة تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بما ذُكر في بداية السورة في حق النساء والمستضعفين من الولدان والعدل في الأيتام في الميراث، أو الصداق، أو حفظ أموال اليتامى وعدم أكلها.

◈◈◈✸✸✸

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٠.

(٢) سورة الضحى: ٩.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) أضواء البيان: (١/٥٠١).

(٥) أضواء البيان (١/٥٠١).

(٦) البحر المحيط (٣/٣٧٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ النساء: ١٤٠

في هذه الآية الكريمة ينهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن مخالطة الكافرين بآيات الله والمستهزئين بها، إلاّ إذا أخذوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بآيات الله، موعداً إياهم أنهم إذا جالسوهم وهم على ما هم عليه فإنهم مثلهم؛ لأنهم رضوا بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، وذكّرهم بما كانوا نُهوا عنه من مخالطة هؤلاء في آيات نزلت قبلُ في كتاب الله المحكم.

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في هذه الآية إشارة وإحالة على آية نزلت في القرآن الكريم في معناها ومرادها، وقد ذهب جماهير المفسرين إلى تفسير هذه الآية بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

أخرج ابن أبي حاتم رحمه الله في تفسيره(٢) بسنده عن مقاتل بن حيان في قوله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ قال: في سورة الأنعام بمكة.

وذكر مثله مقاتل بن سليمان في تفسيره(٣).

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: « هذا إشارة إلى ما أنزل في سورة الأنعام ... وذكرا الآية »(٤).

---

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٢) (١٠٩٢/٤).

(٣) (٢٦٤/١).

(٤) تفسير السمعاني (٤٩٢/١).

وقال الزمخشري رحمه الله : « والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: ... وذكر الآية »[١].

وقال ابن كثير رحمه الله: « والذي أحيل عليه في هذه الآية من النهي في ذلك، هو قوله تعالى في سورة الأنعام - وهي مكية -... »[٢].

وذكر هذا – بعبارات متقاربة – جمع غفير من المفسرين [٣].

كما أشار له بعضهم أيضاً عند تفسير الآية المفسِّرة (آية الأنعام)[٤].

ووجه البيان: واضح جدّاً ولا يحتاج إلى برهان؛ فهو من أمثلة ما أحيل في آية على شيء ذُكر في آية أخرى، وهو – كما سبق- من أصرح أوجه تفسير القرآن بالقرآن، ويمكن إدخاله في وجه توضيح المبهم؛ إذ أبهم المنزل في الكتاب المشار إليه، ووضحه في الآية الأخرى.

وقد يشكل – عند البعض- حمل الآيتين بعضهما على بعض، مع ورود الآية المفسَّرة بصيغة الخطاب للجمع، والآية المفسِّرة بصيغة الخطاب للمفرد.

والجواب على ذلك واضح؛ فالخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته؛ إذ هو إمامهم وقدوتهم، فالحظر الذي احتوته الآية الأولى ليس خاصاً بالنبي ﷺ وإنما هو عام لجميع المسلمين[٥].

---

(١) الكشاف (٦١١/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤٣٥/٢).

(٣) انظر –على سبيل التمثيل لا الحصر- تفسير ابن أبي زمنين (١٤٤/١)، معالم التنزيل (٣٠١/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤١٧/٥)، بحر العلوم (٣٧٤/١)، التسهيل لعلوم التنزيل (٣١٥/١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٦١١/١)، البحر المحيط (٣٨٩/٣)، تفسير النسفي (٢٤٥/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٦٨/١)، الجواهر الحسان (٤٢٤/١)، البحر المديد (١٦٥/٢)، فتح القدير (٧٩٤/١)، تفسير المراغي (١٨٣/٥)، في ظلال القرآن (٢٦٤/٢)، أضواء البيان (١٩٠/٥)، التفسير القرآني للقرآن (٩٣٧/٣).

(٤) انظر: البحر المحيط (١٥٧/٤)، تفسير القرآن العظيم (٢٧٨/٣).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢٤٤/٢)، تفسير المنار (٣٧٧/٥)، التفسير الحديث (١١٠/٤) التفسير القرآني للقرآن (٩٣٨/٣).

القول الآخر في الآية:

وقد خالف العلامة محمد الطاهر بن عاشور جماهير المفسرين فيما سبق، حيث يقول – بعد ما حكى قول المفسرين -: « والظاهر أنّ الذي أحال الله عليه هو ما تكرّر في القرآن من قبل نزول هذه السورة نحو قوله في البقرة: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾(1) مما حصل من مجموعه تقرر هذا المعنى »(2).

ولا يخفى أنّ الذي ذكره الجمهور هو الأظهر في تعيين الآية التي نزلت من قبل؛ لما بين الآيتين من التشابه في المعنى والأسلوب لا يوجد ذلك فيما سواهما.

فالنتيجة: صحة تفسير القرآن بالقرآن بين الآيتين على الوجه الذي سبق بيانه، والله تعالى أعلم.

❖❖❖✹✹✹

(1) سورة البقرة: ١٤.

(2) التحرير والتنوير (٥/٢٣٤-٢٣٥).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ النساء: ١٥٦

ما زال السياق في الحديث عن اليهود وبيان الجرائم التي كانت سبباً في لعنهم وذلهم، وغضب الله تعالى عليهم، فذكر في هذه الآية من ذلك كفرهم بالمسيح عيسى ابن مريم وبمحمد عليهما السلام، وتكذيبهم لهما، وافتراؤهم الكذب العظيم على مريم، برميهم لها بالفاحشة وهي منها بريئة[١].

❖ تفسير القرآن بالقرآن:

البهتان: هو الكذب الذي يتحير من عظمه، ويتعجب منه[٢]، ولم يبين الله هنا هذا الكذب العظيم[٣] الذي قالوه على مريم؛ ففسره الشيخ ثناء الله الهندي والعلامة الشنقيطي بقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٤] على أنّ المراد بهذا البهتان رميها بالزنا[٥].

ووجه البيان: جلي وبيّن، فالبهتان مجمل؛ إذ يطلق على الزنا وعلى غيره، فيفسَّر بما ذكر الله في الآية الثانية من اتهامهم إياها بإتيان الزنا، لما جاءتهم بعيسى تحمله، لأنهم يعنون بقولهم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ الزنا؛ لأن ولد الزنا كالشيء المفتري المختلق، لأن الزانية تدعى إلحاقه بمن ليس أباه[٦]، ويدلّ على أنّ مرادهم هذا،

---

(١) انظر: أيسر التفاسير (٥٧٠/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣٧٧/٣).

(٢) وهو من البهت، بمعنى التحير، انظر: مقاييس اللغة (٢٨٦/١)، (بهت) لسان العرب (١٢/٢)، تاج العروس (٤٥٢/٤)، وانظر أيضاً: معاني القرآن للنحاس (١٨٨/٢)، فتح القدير (٨٠٦/١).

(٣) قال المفسرون: ووصف البهتان بالعظيم لأنهم رموها به وتمادوا عليه بعد ظهور الآية وقيام المعجزة بالبراءة في كلام عيسى في المهد، وإلا فلولا الآية لكانوا في قولهم جارين على حكم البشر في إنكار حمل من غير ذكر. انظر: المحرر الوجيز (١٥٥/٢)، البحر المحيط (٤٠٥/٣)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٦١٧/١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٢٦/٢).

(٤) سورة مريم: ٢٧ - ٢٨.

(٥) تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٥٠-١٥١)، أضواء البيان (٥٠٨/١).

(٦) أضواء البيان (٣٣٩/٤) (بتصرف يسير).

قولهم بعد ذلك: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾، أي: ما كان أبوك رجلاً زانياً يأتي الفواحش، وما كانت أمك زانية[1].

وتفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ بأنه رميها بالزنا، هو قول جماهير المفسرين من السلف[2] والخلف[3]، ولا أعلم في ذلك خلافاً، والله تعالى أعلم.

◈◈◈✹✹✹

(١) انظر: جامع البيان (١٨/١٨٨)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٩/٣٣).

(٢) فقد روي عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة، كما في جامع البيان (٩/٣٦٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/١١٠٩)، والسدي وجويبر، كما عند الطبري، وهو قول مقاتل بن سليمان في تفسيره (١/٢٦٩)،

(٣) انظر – على سبيل المثال لا الحصر-: جامع البيان (٩/٣٦٦)، الكشف والبيان (٣/٤٠٩)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٥١٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٧٦)، الجواب الصحيح (٤/٣٣)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/٢٥١).

تفسير قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ النساء: ١٦٠

هذه الآية الكريمة تعليل لبعض العقوبات التي نزلت باليهود بسبب ظلمهم وبغيهم، وصدهم الناس عن سبيل الله، فأخبر الله أنه حرّم عليهم بسبب ذلك طيبات كان أحلها لهم[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

في تفسير هذه الآيات بآيات القرآن مطلبان:

المطلب الأول: تفسير الظلم الذي بسببه حرم الله عليهم الطيبات:

فقد أجمل الله في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ الظلم الذي ارتكبه اليهود، وبه حرّم عليهم طيبات كان أحلّها لهم، وحمل ذلك جمع من أهل التفسير على الآيات الواردة قبله وبعده.

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: « يعني بذلك جل ثناؤه: فحرَّمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءهم، وقالوا البهتان على مريم، وفعلوا ما وصفهم الله في كتابه طيباتٍ من المآكل وغيرها، كانت لهم حلالاً عقوبة لهم بظلمهم »[(٢)].

وقال الإمام مكي بن أبي طالب القيسي رحمه الله: « والظلم هنا هو نقضهم الميثاق ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[(٣)]، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[(٤)] وعلى عيسى، فهذا هو الظلم »[(٥)].

وقال البغوي رحمه الله- في تفسير الآية -: « وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وبُهتانهم على مريم، وقولهم: إنّا قتلنا المسيح »[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٤٦٧)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/٣٨٥).

(٢) جامع البيان (٩/٣٩٠-٣٩١).

(٣) سورة النساء: ١٥٥.

(٤) سورة النساء: ١٥٦.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/١٥٢٧).

(٦) معالم التنزيل (٢/٣٠٨).

وذكر تفسير الظلم بما قبلها أو بعدها أو بهما جمع من المفسرين[1].

وجه البيان: واضح؛ فهو من **حمل المجمل على المبيّن**؛ فما أُجْمِل في قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ من الظلم الذي ارتكبه اليهود، وبه حرّم عليهم طيبات كان أحلّها لهم، يحمل على ما صُرِّحَ بها في الآيات قبلها وبعدها من المظالم والجرائم.

ولعلّه أجمله استغناءً بذكرها فيما سبق، ثم فصل بعضها؛ ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في الموعظة[2]، وإشعاراً بأنّ تحريم هذه الطيبات التي أحلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غير ظلمهم ومعاصيهم، وردّاً عليهم فيما كانوا يزعمون أنّهم ليسوا بأول من حرمت عليهم، وإنما حرمت على من قبلهم[3]، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٧٠/١)، الكشاف (٦٢٣/١)، زاد المسير (٢٥٠/٢)، البحر المحيط (٤١١/٣)، اللباب في علوم الكتاب (١٦٦٥/١)، محاسن التأويل (٤٤٦/٣)، تفسير المراغي (١٧/٦)، التفسير الواضح (٤٥٩/١)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣٨٥/٣)، التفسير الوسيط للزحيلي (٤١١/١).

(٢) تفسير المراغي (١٧/٦).

(٣) انظر: روح المعاني (١٣/٦).

المطلب الثاني: المراد بالطيبات التي حرمت عليهم بعد أن كانت حلالا لهم:

أجمل الله في هذه الآية الطيبات التي حرّمه على اليهود بسبب ظلمهم، وفسّرها جمهور المفسرين على قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[(١)].

قال الإمام أبو جعفر النحاس رحمه الله – في تفسير الآية -: « **يبين هذا قوله** عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ إلى آخر الآية »[(٢)].

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله: « هو ما ذكر في سورة الأنعام ... » وذكر الآية[(٣)].

وذكر تفسير الطيبات التي حرمت عليهم بهذه الآية جمع غفير من المفسرين بألفاظ متقاربة[(٤)].

وجه البيان:

بيّن وظاهر، فهو من **حمل المجمل على المبيّن**، فقد أجمل الطيبات هنا؛ لأنّ الغرض من السياق العبرة بكونها عقوبة، لا بيانها في نفسها[(٥)]، استغناءً ببيانها في سورة الأنعام المكية.

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٦.

(٢) معاني القرآن للنحاس (٢/٢٣٨).

(٣) تفسير السمعاني (١/٥٠٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/٢٧٠)، الكشف والبيان (٣/٤١٤)، معالم التتريل (٢/٣٠٨-٣٠٩)، زاد المسير (٢/٢٥٠)، الجامع لأحكام القرآن (٦/١٢)، البحر المحيط (٣/٤١١)، مدارك التتريل وحقائق التأويل (١/٢٥٠)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/٦٢١)، تفسير القرآن العظيم (٢/٤٦٧)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٢٧٩)، السراج المنير (١/٢٧٦)، تفسير الجلالين (صـ ١٣٠)، اللباب في علوم الكتاب (٧/١٢٠)، التفسير المظهري (١/٩٥٠)، فتح القدير (١/٨٠٩)، محاسن التأويل (٣/٤٤٦)، التحرير والتنوير (٦/٢٦)،تفسير القرآن بكلام الرحمن (صـ١٥١)، أضواء البيان (١/٥٠٩)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٤٥١)، التفسير القرآني للقرآن (٣/١٠٠٣-١٠٠٤)، التفسير المنير (٦/٢٦)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/٣٨٥)، بيان المعاني (٥/٦٢٥).

(٥) انظر: تفسير المراغي (٦/١٧)، تفسير المنار (٦/٦٠).

وهذا قول الجمهور – كما سبق – ولا أعلم في ذلك بينهم خلافاً، إلاّ ما انفرد به صاحب المنار رحمه الله؛ إذ لا يرى تفسير الطيبات هنا بالآية المذكورة، بل يرى إبقاءها على نكارتها وإبهامها، فقال – بعد ما حكى قول المفسرين في بيان الآية بآية الأنعام -: « هكذا ذهب بعض المفسرين، وتوقف بعضهم فلم يجزم بتعيين ما حرم عليهم، و لم يُعَرِّف ما نَكِرَه الكتاب »[1]، وأوضح موقفه جليّاً عند تفسير آية الأنعام بقوله: « قد بيَّنا في تفسير هذه الآية من سورة النساء أن التّحقيق فيها إبقاء قوله تعالى: (بظلم) وقوله (طيبات) على نكارتهما، وإبهامهما »[2].

والأول أولى، وعدم ذكر بعض المفسرين له ليس – والله أعلم – من باب التوقف، بل لظهوره ووضوحه.

❁❁❁◈◈◈

---

(١) تفسير المنار (٦/٦٠).

(٢) المصدر السابق (٨/١٧١)

تفسير قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥

من كمال عدل الله تعالى وحكمته، وفضله وإحسانه، أن أرسل إلى خلقه الرسل، يبشرون من أطاع الله واتبع أمره بالثواب الجزيل والسعادة الدنيوية والأخروية، وينذرون من عصاه وخالف أمره بعقابه وشقاوة الدارين؛ وقطع بذلك حجة كل مبطل مخالف لأمره، فلا عذر لأحد بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب، بل لله الحجة البالغة على خلقه، فسبحانه من حكيم خبير[(١)].

❖ **تفسير القرآن بالقرآن:**

أجمل الله في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل، وفسّرها جمهور المفسرين بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٣)].

قال الإمام الطبري رحمه الله – في تفسير الآية-: « يقول: أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين، لئلا يحتج من كفر بي وعبد الأنداد من دوني، أو ضل عن سبيلي بأن يقول إن أردت عقابه: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ »[(٤)].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: « وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه؛ لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: ... »[(٥)] وذكر الآيتين.

(١) انظر: جامع البيان (٩/٤٠٧-٤٠٨)، تيسير الكريم الرحمن (صـ٢١٤).

(٢) سورة طه: ١٣٤.

(٣) سورة القصص: ٤٧.

(٤) جامع البيان (٩/٤٠٧-٤٠٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٧٥).

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: - في تفسير الآية- «لم يبين هنا ما هذه الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل، ولكنه بينها في سورة "طه" بقوله: ...، وأشار لها في سورة "القصص" بقوله: ...»[1] وذكر الآيتين.

وذكر تفسير الآية بالآيتين أو أحدهما جمع من المفسرين[2]، وهو مضمون قول أكثر المفسرين الذين لم يستشهدوا بالآية[3].

وجه البيان:

واضح وجلي؛ فهو من **حمل المجمل على المبيَّن**؛ فقد ذكر الله هنا أنه لو لم يرسل الرسل لكان للناس عليه حجة إذا عذبهم، و لم يبيّن ما هذه الحجة[4]، وأخبر في الآيتين أنه لو أخذ عباده بعذاب أو هلاك من قبل إرسال الرسول لكانوا يقولون: هلا أرسلت لنا رسولاً فنؤمن بك ونتبع آياتك؛ فذلك المقال هو حجتهم المجملة هنا.

وهذا قول جميع المفسرين، و لم أجد بينهم خلافاً في ذلك.

---

(١) أضواء البيان (١/٥٠٩).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (١/٥٠٣)، الجامع لأحكام القرآن (٦/١٨)، فتح القدير (١/٨١٣)، محاسن التأويل (٣/٤٦٩)، تفسير المنار (٦/٥٩-٦٠)، تفسير المراغي (٦/٢٣)، التحرير والتنوير (٦/٣٩)، التفسير الواضح (١/٤٦٢)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/٣٩٣)، واكتفى أكثرهم بآية طه.

(٣) كالذي روي عن السدي في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ « فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسلاً ». أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (٩/٤٠٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١٢٠)، من طريق أسباط، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/١٤٠) إلى ابن جرير.

وانظر مثل ذلك في: الكشف والبيان (٣/٤١٦)، معالم التريل (٢/٣١٢) بحر العلوم (١/٣٨٣)، التسهيل لعلوم التتريل (١/٣٢٤)، لباب التأويل في معاني التتريل (١/٦٢٤)، أنوار التتريل وأسرار التأويل (١/٢٨١).

(٤) قال بعض المفسرين: والمراد بالحجة: المعذرة التي يعتذرون بها، وإنما سميت حجة، مع استحالة أن يكون لأحد عليه ﷻحجة في فعل من أفعاله، - بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء - للتنبيه على أن المعذرة مقبولة عنده تعالى، بمقتضى كرمه ورحمته لعباده، كمترلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها. انظر: فتح القدير (١/٨١٣).

وقد استشهد جمع من أهل التفسير[1]– عند تفسير الآية – بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2].

و لم يتبيّن لي وجه بيان بها للآية إلاّ ما يجمعهما من المعنى؛ في دلالتهما على أنّ الله لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسول، – وقد صرّح بذلك بعض من أوردها –، وإن كانت آية الإسراء أصرح بذلك من الآية الواردة هنا، فهو من تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح الموسع، والله تعالى أعلم.

(١) كالثعلبي في الكشف والبيان (٣/٤١٦)، والسمعاني في تفسيره (١/٥٠٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٣١٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦/١٨)، وغيرهم.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

الخاتمة

- أهم نتائج البحث.

- أهم الاقتراحات والتوصيات

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ورحمته تترل الخيرات والبركات، وبعونه وتوفيقه تتحقق عظائم المهمات، وعليه وحده الاتكال في جميع الملمات.

والصلاة والسلام على سيد البريات، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والمكرمات، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ ما دامت الأرض والسماوات.

وبعد: فمن خلال معايشتي لموضوع: تفسير كلام الله بكلامه سبحانه، ودراسة بعض ما قيل أنه من ذلك، ظهر لي بعض النتائج، أقدمها في خاتمة هذه الدراسة، مضمنةً بعض التوصيات والاقتراحات:

النتائج:

أولاً: ما يتعلق بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن واعتناء المفسرين به:

١- أنّ مصطلح تفسير القرآن بالقرآن ينقسم إلى قسمين:

- مصطلح مطابق لمعنى التفسير الذي هو البيان، فيراد بتفسير القرآن بالقرآن على هذا المصطلح: تفسير آية لمثلها المفتقرة لذلك،

- ومصطلح موسّع، يراد به زيادة البيان والتوضيح، ويدخل فيه جمع النظائر في المعنى والموضوع والأسلوب، وجمع موارد اللفظة القرآنية، وغيرها.

٢- أنّ تفسير القرآن بالقرآن – باعتبار طريق الوصول إليه – قسمان:

ما طريق الوصول إليه الأثر، وهو التفسير بالمأثور، وما طريق الوصول إليه الاجتهاد، وهو التفسير بالرأي، وهو الأكثر؛ لذا لا يصح إطلاق كون تفسير القرآن بالقرآن من قبيل التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي، وينبني على هذا حجيته وقبوله أو ردّه، فالأول يقبل مطلقاً، والثاني يحتاج إلى نظر وتمحيص.

٣- أنّ أكثر المفسرين اهتموا بتفسير القرآن بالقرآن منذ عصر الصحابة ﷺ – بعد ما أصّله لهم رسول الهدى ﷺ- إلى يومنا هذا، وهم في ذلك بين مقل ومكثر، وقلّ أن يوجد تفسير إلاّ وفيه شيء من تفسير القرآن بالقرآن.

٤- لم يحظ تفسير القرآن بالقرآن – حسب ما وصلنا - بالإفراد بالتأليف إلا في العصور المتأخرة، وبعض ما ألف فيه ليس لها منه إلا اسمه، بل تفسير القرآن بالقرآن منه براء.

٥- قد يوجد تفسير القرآن بالقرآن في غير مظانه، ككتب علوم القرآن وأصول الفقه عند تمثيل أصحابها على تفسير القرآن بالقرآن، أو بعض أوجهها، وكتب شروح الحديث عند تناولهم تفسير الآيات التي يوردها المصنفون في الحديث في بداية الأبواب أو في أبواب التفسير.

٦- لم يضع أكثر المفسرين للتعبير عن تفسير القرآن بالقرآن ألفاظاً معيّنة، بل يقتصر أكثرهم على إيراد الآية المفسِّرة عند تفسير الآية المفسَّرة بقراءتها، أو بقولهم: "كما قال تعالى " أو " لقوله تعالى " أو " هو قوله تعالى " وما أشبه ذلك، ودون الإشارة إلى وجه البيان في ذلك، مما يلزم من يريد جمع تفسير القرآن بالقرآن النظر في أية آية يوردها المفسرون استدلالاً بها على تفسير آية؛ ليعرف إن كان من تفسير القرآن بالقرآن أو لا.

٧- أكثر المفسرين إيراداً للآيات في المعنى الواحد – حسبما مر عليّ – الأمير الصنعاني؛ فإنه يحاول التقصي، ثم الحافظ ابن كثير، وأكثرهم اهتماماً بإيراد الآيات والاستشهاد بها على تفسير كل مقطع من الآية أو قضية فيها الشيخ ثناء الله الهندي.

٨- أحسن ما ألف في تفسير القرآن بالقرآن – حسبما تبيّن لي – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن –؛ لامتيازه عن الكتب الأخرى بأمور أهمها:

١) المقدمة النفيسة التي قدّم بها المؤلف كتابه؛ لبيان أوجه بيان القرآن بالقرآن، والكلام على الإجمال والبيان وأنواعهما.

٢) إلتزام مؤلفه بالإشارة إلى وجه البيان بين الآيتين، ولا يقتصر على مجرد إيراد الآية، كباقي المفسرين.

٣) اختيار العبارات والألفاظ المناسبة للتعبير عن تفسير القرآن بالقرآن؛ فإذا كان من البيان قال: يبينه، يوضحه ...، وإن كان من غيره قال: جاء هذا في موضع أخرى، أشارت إلى هذا آيات أخر ... ، وهكذا.

ثانياً: ما يتعلق بالآيات المدروسة في هذا البحث:

اشتمل هذا البحث على دراسة الآيات التي قيل أنها من تفسير القرآن بالقرآن من السور الأربع الأولى من القرآن الكريم، وتمت دراسة ١٥١ آية[١]، تم جمعها من كتب تفسير القرآن بالقرآن، وكتب التفسير عموماً، وكتب علوم القرآن، وشروح الحديث وغيرها، وكانت النتائج التي توصلت إليها بعد دراسة هذه الآيات كالتالي:

- بلغ عدد الآيات التي تبيّن لي فيها صحّة تفسير القرآن بالقرآن = ١٣٦ آية.
- وبلغ عدد الآيات التي لم يصح فيها تفسير القرآن بالقرآن ١٨ آية[٢].
- توقفت في صحة تفسير القرآن بالقرآن في آيتين.

الاقتراحات والتوصيات:

أدعو إلى الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن في جميع مجالات التعليم والتوجيه والتربية؛ لإنشاء الأجيال على فهم كتاب الله بكتاب الله، ومن أبرز تلك المجالات:

❖ مجال التأصيل العلمي، وذلك بـ:

١- وضع مفردات الدراسة التأصيلية لتفسير القرآن بالقرآن في المقررات الدراسية في المراحل المختلفة، ليعرف الطلاب حقيقة تفسير القرآن بالقرآن، دون الاقتصار على الإشارة أنه من أحسن طرق التفسير.

٢- إقامة الدورات العلمية خاصة بدراسة تأصيل تفسير القرآن بالقرآن، مع تكثيف الأمثلة عليه.

٣- أن تتبنّى الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه إقامة مؤتمر أو ملتقى علمي لتفسير القرآن بالقرآن، يناقش فيه المتخصصون في علم التفسير الجانب التأصيلي له، شاملاً المحاور التالية:

---

(١) لكنها بمثابة ١٨٤ آية، فإنّ كثيراً من الآيات تشتمل على أكثر من دراسة، كما هو واضح.

(٢) وهذه التي يكون إيرادها من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على المصطلح المطابق للبيان، لكنّ هناك قول آخر في تفسير الآية أرجح منه. أما ما هي من المصطلح الموسع فليس داخلاً في هذا العدد.

١) تحرير المصطلح، وما يدخل فيه وما لا يدخل.

٢) مناهج المفسرين المعتنين بتفسير القرآن بالقرآن.

٣) الدراسات العلمية السابقة والمطروحة والمقترحة في تفسير القرآن بالقرآن.

❖ **مجال التطبيق العملي: وذلك بتطبيق تفسير القرآن بالقرآن في:**

١) دروس التفسير في المناهج الدراسية في المراحل الدنيا والعليا.

٢) المحاضرات والدروس العامة في المساجد والجوامع.

٣) وسائل الأعلام المسموعة والمرئية؛ بتخصيص برامج للحديث عن تفسير آيات القرآن بعضها ببعض ووجه بيان ذلك بصورة مبسطة ومرغّبة.

❖ **مجال التأليف والبحوث العلمية:**

١-أن تتبنّى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف مشروعاً علمياً بالآيات القرآنية المفسَّرة بآيات أخرى من القرآن الكريم، بتكوين لجنة علمية من المشايخ المتخصصين في التفسير، لوضع كتاب مستقل في تفسير القرآن بالقرآن – على المصطلح المطابق – (الآية المفسَّرة والآية المفسِّرة مع وجه البيان)، مع جعله في برنامج إلكتروني، يكون في متناول أيدي الجميع؛ للاستفادة من كلام الله في تدبر ومعرفة كلام الله.

٢- يزال موضوع تفسير القرآن بالقرآن بحاجة إلى البحوث والدراسات العلمية؛ لتكتمل أطرافه ويقوى على سوقه، وأقترح هنا بعض العناوين:

١) جمع مرويات السلف في تفسير القرآن بالقرآن، سواء بإفراد مرويات كل منهم في بحوث صغيرة، أو جمع مرويات كل طبقة أو جيل في ذلك.

٢) دراسة مناهج المعتنين بتفسير القرآن بالقرآن والمقارنة بينها، ويمكن طرح موضوع علمي في ذلك بعنوان: **تفسير القرآن بالقرآن بين العلامة الشنقيطي والمفسرين؛ لبيان ما امتاز به من القواعد والأساليب في ذلك، وما انفرد به من الآيات، وما وافقه أو سبقه به العلماء.**

٣) طرح موضوع علمي بعنوان: **الإجماع في تفسير القرآن بالقرآن**؛ لجمع الآيات التي أجمع المفسرون – أو كادوا يجمعون – على تفسيرها بالقرآن.

٤) دراسة موضوع بعنوان: **الانفراد في تفسير القرآن بالقرآن**، بجمع الآيات التي تفرد بتفسيرها بالقرآن واحد من المفسرين.

٥) جمع ما يتعلق بكل وجه من أوجه تفسير القرآن بالقرآن على حدة، ودراستها، فمثلاً: الآيات المقيَّدة بآيات أخرى في القرآن، الآيات المخصَّصة بآيات من القرآن، الآيات المبهمة التي ورد إيضاحها في مكان آخر... وهكذا دواليك؛ ليظهر بذلك الوجه الذي يكثر إيراده في تفسير القرآن بالقرآن والسر لذلك.

ويمكن تقسيم ذلك على طلاب منهجية الماجستير في التفسير كبحوث صغيرة.

وختاماً: فإنّ الكمال لله وحده، والعصمة لمن عصمه الله، فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، له المنة وله الفضل، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله.

وأصلّي وأسلّم على سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين نبينا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

وهي

١- فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة لها على ترتيب المصحف.

٢- فهرس الآيات المستشهد بها.

٣- فهرس الأحاديث المرفوعة.

٤- فهرس الآثار.

٥- فهرس الكلمات الغريبة.

٦- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

٨- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
		سُورَةُ الفَاتِحَةِ	
١.	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	❖﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾، ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. ❖﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.	١١٠
٢.	﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	❖﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾. ❖﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.	١١٨
٣.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.	١٢٣
٤.	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	١٢٦
٥.	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾	❖﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ❖﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. ❖﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾	١٢٩

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
		سورة البقرة	
٦.	﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾	١٤١
٧.	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	❖﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾، ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾، ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. ❖﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	١٤٤
٨.	﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	❖﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾. ❖﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾	١٥٣
٩.	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾	١٦٠
١٠.	﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾.	١٦٤
١١.	﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾	١٧١

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٢.	﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾	﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾	١٧٥
١٣.	﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾.	١٨٠
١٤.	﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	❖ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾، ❖ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾.	١٨٥
١٥.	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾.	١٩١
١٦.	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	❖ ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ❖ ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾، ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾	١٩٦
١٧.	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾	١٩٩

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٨.	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٠٣
١٩.	﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)﴾	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾	٢٠٩
٢٠.	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾	﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	٢١٤

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٢١.	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	٢١٧
٢٢.	﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾	﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.	٢٢١
٢٣.	﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾	٢٢٤
٢٤.	﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾	﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.	٢٢٨
٢٥.	﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾	﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾، ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾	٢٣١

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
		﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون (٨٣)﴾ ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾	
٢٦.	﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون (٤٦)﴾	﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا﴾	٢٤٠
٢٧.	﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾	﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾	٢٤٣
٢٨.	﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾	❖ ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾، ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى﴾ ❖ ﴿فأتبعوهم مشرقين (٦٠) فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (٦١) قال كلا إن معي ربي سيهدين (٦٢) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٣) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٤) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٥) ثم أغرقنا الآخرين (٦٦)﴾ ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ ﴿واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون﴾	٢٤٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٢٩.	﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾	٢٤٩
٣٠.	﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾	٢٥١
٣١.	﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾	﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾	٢٥٨
٣٢.	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	❖ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ❖ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٦٣
٣٣.	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)﴾	❖ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾ ❖ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ❖ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	٢٦٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٣٤.	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾	﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾	٢٧٦
٣٥.	﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) ﴾	﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	٢٧٩
٣٦.	﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) ﴾	﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٢٨٢
٣٧.	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) ﴾	❖ ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾. ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ❖ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٢٨٤
٣٨.	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾	﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾	٢٩٢

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٣٩.	﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٩٢)﴾	﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾، ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾، ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾	٢٩٦
٤٠.	﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين (٩٤)﴾	﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾، ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾	٣٠١
٤١.	﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين (٩٧)﴾	﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩)﴾ ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما﴾	٣٠٥
٤٢.	﴿نبذه فريق منهم﴾ ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله﴾	﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾	٣٠٨
٤٣.	﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (١٠٦)﴾	﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾	٣١١
٤٤.	﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل (١٠٨)﴾	﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾، ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾	٣١٤

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٤٥.	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾. ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾	٣١٧
٤٦.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾	﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾	٣٢٢
٤٧.	﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾	﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	٣٢٧
٤٨.	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾	٣٣١
٤٩.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)﴾	﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾	٣٣٣

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٥٠.	﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾	﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٣٣٦
٥١.	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾	﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٣٤٥
٥٢.	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٤٨
٥٣.	﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)﴾	﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٥٣
٥٤.	﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾	﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٥٥
٥٥.	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾	﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧)﴾	٨
٥٦.	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	١

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٥٧.	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	❖ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ❖ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	٣٦٢
٥٨.	﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾	﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	٣٦٨
٥٩.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	٣٦٩
٦٠.	﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٣٧٣
٦١.	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦)﴾	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾	٣٧٦

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٦٢.	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾	❖ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ ❖ ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ ❖ ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٣٨٢
٦٣.	﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾	❖ ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ❖ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ❖ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٣٨٩
٦٤.	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾	٩٦
٦٥.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾	٠٢
٦٦.	﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾	١٠

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٦٧.	﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾	﴿من الفجر﴾.	٤١٦
٦٨.	﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾	٤١٩
٦٩.	﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴿١٩٠﴾﴾	❖ ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ ❖ ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾. ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾	٤٢١
٧٠.	﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل﴾	❖ ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ ❖ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ ، ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾	٤٢٦
٧١.	﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾	﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾	٤٣١
٧٢.	﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾	﴿فإذا أفضتم من عرفات﴾	٤٣٤
٧٣.	﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾	﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾	٤٣٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٧٤.	﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾	٤٣٩
٧٥.	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا﴾ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾	٤٤١
٧٦.	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾	﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾	٤٨
٧٧.	﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾	﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	٥٢
٧٨.	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٥٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٧٩.	﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾	﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾	٤٦٣
٨٠.	﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم (٢٢٨)﴾	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾	٤٦٨
٨١.	﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾	﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾ ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾	٤٧٨
٨٢.	﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾	﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾	٤٨٣
٨٣.	﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين (٢٣٦)﴾	﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾	٤٨٧
٨٤.	﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير (٢٣٧)﴾	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾	٤٨٩

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٨٥.	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾	٤٩١
٨٦.	﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)﴾	﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤٩٥
٨٧.	﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾	﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٥٠١
٨٨.	﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾	﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ﴾ ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾	٥٠٤
٨٩.	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾. ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾	٥٠٨

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٩٠.	﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾	٥١٥
٩١.	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾	٥٢٠
٩٢.	﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾	٥٢٤
٩٣.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾	❖ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ ❖ ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ❖ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾	٥٢٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٩٤.	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾	❖ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ﴾ ❖ ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ﴾	٥٣٨
٩٥.	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾	❖ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ❖ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	٥٤٦
	سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ		
٩٦.	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾	❖ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ❖ ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ﴾، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ❖ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ﴾، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ﴾	٥٤٩
٩٧.	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)﴾	﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾	٥٥٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
٩٨.	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾	❖﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ ❖﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ❖﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾	٥٦٠
٩٩.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾	﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾	٥٦٦
١٠٠.	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)﴾	﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٦٩
١٠١.	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)﴾	❖﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ❖﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٥٧٢
١٠٢.	﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)﴾	﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾	٥٧٦
١٠٣.	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)﴾	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾	٥٧٧
١٠٤.	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾	﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾	٥٧٩

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٠٥.	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾	٥٨١
١٠٦.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾﴾	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾	٥٨٧
١٠٧.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	٥٩٤
١٠٨.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾	﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٥٩٩
١٠٩.	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٦٠٣
١١٠.	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾	٦٠٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١١١.	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)﴾	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٦١٠
٢	﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾	﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	٦١٤
١١٣.	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)﴾	❖﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ ❖﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.	٦١٩
١١٤.	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)﴾	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.	٦٢٣
١١٥.	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾	٦٢٥
	سورة النساء		
١١٦.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا □ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾	﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾	٦٢٨
١١٧.	﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)﴾	❖﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ❖﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾	٦٣٠

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسرة	الآيات المفسرة	الصفحة
١١٨.	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾	٦٣٤
١١٩.	﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾	﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾	٦٣٨
١٢٠.	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ... ...الآيات ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ...الآية	٦٤٦
١٢١.	﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾﴾	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٤٩
١٢٢.	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٦٥٤

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٢٣	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾	٦٥٧
١٢٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾	❖ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ❖ ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾	٦٦٣
١٢٥	﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾	❖ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ ❖ ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾	٦٧٠
١٢٦	﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾	﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾	٦٧٤
١٢٧	﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۚ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)﴾	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٨١
١٢٨	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾	٦٨٣
١٢٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)﴾	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾	٦٨٥

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٣٠.	﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)﴾	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٦٨٧
١٣١.	﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)﴾	◆ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ◆ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾	٦٨٩
١٣٢.	﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧)﴾	﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾	٦٩٥
١٣٣.	﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)﴾	◆ ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾. ◆ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	٦٩٨
١٣٤.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٧٠٤

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٣٥.	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٧١٥
١٣٦.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٧١٨
١٣٧.	﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾	﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٧٢٢
١٣٨.	﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾	﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾	٧٢٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٣٩.	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾	٧٢٨
١٤٠.	﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)﴾	﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٧٣٠
١٤١.	﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾.	٧٣٢
١٤٢.	﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)﴾	﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ﴾ ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٧٣٦
١٤٣.	﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾	٧٤٥

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٤٤.	﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾	﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٧٤٧
١٤٥.	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩)﴾	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٧٥٢
١٤٦.	﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾	﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.	٧٥٧

فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة

م	الآية المفسَّرة	الآيات المفسِّرة	الصفحة
١٤٧.	﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧) ﴾	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ❖ ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ❖ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾	٧٦٤
١٤٨.	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	٧٧٠
١٤٩.	﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) ﴾	﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾	٧٧٣
١٥٠.	﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) ﴾	❖ ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ ❖ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾	٧٧٥
١٥١.	﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾	﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾. ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٧٧٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
سُورَةُ الفَاتِحَةِ		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢	٩٧، ١٠٠
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٧	٨١
سُورَةُ البَقَرَةِ		
﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٧	٧٨
﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾	١٠	٦٥، ١٠٥
﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾	١٥	١٥٦
﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾	٢٢	٩٥
﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾	٢٥	١٠٦
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٣٤	٩٩
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾	٣٧	٦٤، ٨٠
﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾	٤٠	٦٣
﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾	٤٨	٥٩١
﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾	٥٠	٩٩
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾	٦٥	١٠٢
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾	٩٨	٤٥٥
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	١٠٥	٤٥٤
﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾	١٢١	١٠٥
﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾	١٢٦	٣٤٠
﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾	١٣١	٣٥٧
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٦	١٠١
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾	١٥٨	٩٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾	١٧٧	١٠٨
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾	١٨٠	٨٤
﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	١٨٤	٩٠
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾	١٨٧	٧٧
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	١٨٧	١، ٥٣،
﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾	١٩٤	١٦٧
﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾	١٩٦	٨٤، ٩٠
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	٢١٠	٥٨
﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٠٩	٤٤٤
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾	٢١٧	١٠٢
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾	٢١٩	٨١
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾	٢٢٨	٨٤
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾	٢٣٤	٩٤
﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾	٢٤٠	٩٤
﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾	٢٤٨	٦٠٦
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٢٨٥	١٠١
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾	٧	٥٧
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	٥٤	١٦٧
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾	٩٦	٧٧
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	٩٧	٨٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾	١٠٢	١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	١٠٦	١٠٠

سُورَةُ النِّسَاءِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾		
﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾	١٢	٨٤
﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾	٢٣	٨٣
﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾	٢٥	٨٣، ٦٧٦
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾	٢٤	٨٣
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	٤١	٦٢
﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾	٤٢	٩٥
﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾	٤٣	٨٨
﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾	٥٧	١٠٠
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾	٦٩	٨١
﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٤	١٠٠
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	٩٢	٨٨
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾	٩٣	١٣٦
﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١١٦	١٣٧
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١٣٦	١٣٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾	١٣٧	٥٩١
﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا	١٤٠	٩٧
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾	١٤٢	٦٤
﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾	١٥٤	١٠٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾	١٦٧	١٣٧، ١٣٨،
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾	١٦٨	٥٩٢
﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾	١٧١	٢٨٩
سورة المائدة		
﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾	١	٧٧
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾	٣	٧٧، ٨٥، ٨٧، ١٠٢
﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾	٥	٦٧٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾	٦	٨٤، ٨٧، ٨٨، ٥٢٨، ٥٢٩، ٧١٥
﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	١٢	٦٣
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	١٠٧
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾	٣١	١٠٧
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾	٣٨	٨٧، ٧١٠
﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ	٨٩	٨٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾		
﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾	٩٦	٨٥
﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾	١١٠	٢٩٠

سُورَةُ الأَنْعَامِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾	١	٧٨
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾	٨	١٠٢
﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	٢٣	٧٠١
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾	٥٩	٥٧، ٦١،
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٦٨	٩٧
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾	٨٢	٦١، ٨٢
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾	٩٠	١١٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٩٧	١٠١
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾	١٠٣	٥٧
﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾	١١٠	١٠٥
﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾	١٤٥	٨٧
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾	١٤٦	٥٦
﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٤٧	١٠٤
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾	١٤٨	٩٩
﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾	١٥٤	٤٣٥
﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٦٥	١٠٤

سُورَةُ الأَعْرَافِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ	٢٣	٦٤، ٨٠،

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾	١٠٧-١٠٨	٢٩٧
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	١٣٠	٢٩٧
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾	١٣٣	٢٩٧
﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾	١٣٧	٨٠
﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾	١٥٤	٩١، ٣١٢

سورة الأنفال

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾	١٦	١٣٦
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١٤٠
﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾	٣٠	١٥٦
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾	٦٥	١٠٠

سورة التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣١	٤٥٥
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾	١٢٥	١٠٥
﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾	٧٩	١٥٦
﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠٦	٧٩
﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾	١١٢	٣٣٩
﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾	١١٨	٨٠
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾	١٢٥	٦٥

سورة يونس

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٣٣	٥٩٢
﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾	٤٦	٤٣٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	٥٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾	٦٣	٥٦

سُورَةُ هُودٍ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾	٩٧	١٠٠
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾	٩٨	١٠٠، ١٠٣
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾	١٠٣	٦٢، ١٠٠

سُورَةُ يُوسُفَ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾	٨٢	٤٤٤
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٤	١١٧

سُورَةُ الرَّعْدِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾	٦	١٠٤
﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾	٢١	١٠٨
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾	٢٦	٦٧٦
﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾	٣٥	١٠١

سُورَةُ الحِجْرِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾	٤٩-٥٠	١٠٤
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٨-٢٩	٩٩

سُورَةُ النَّحْلِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	١	٥٨
﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٨	٧٠١
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾	٣٥	٩٩
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ولَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٠٦	١٣٦، ١٣٨
﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾	١١٨	٥٦
سورة الإسراء		
﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾	٩٨	١٩٤
سورة الكهف		
﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾	٢٩	١٠٨
سورة مريم		
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾	٧١	١٠٣
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾	٧٦	١٠٥
﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾	٨٦	١٠٣
سورة طه		
﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾	٨١	١٣٦
سورة الأنبياء		
﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾	٣٠	٩٥
﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾	٣٢	٩٥
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾	٧٣	٥٧١
﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾	٩١	٢٨٩
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾	٩٨	١٠٣
﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	٩٩	١٠٣
سورة الحج		
﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	٣٦	٩٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾	٢٩	٧٧
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾	٣٢	٩٨
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٥٢	٩١، ٢٨١، ٣١٢
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٥٣١
سُورَةُ المُؤْمِنُونَ		
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾	١٠١	١٠٦
سُورَةُ الفُرْقَانِ		
﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾	٧	١٠٢
﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾	٣٢	٣٠٦
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ		
﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾	٢٣-٢٤	٩٧
﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	٥٩	٨٠، ٢٦٢
﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾	٦٣	٩٩
﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩٧-٩٨	٧٨
سُورَةُ القَصَصِ		
﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾	٣٨	
﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾	٧٠	١٠٠، ١١٠
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾	٨٨	٨٣
سُورَةُ لُقْمَانَ		
﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾	٣٤	٥٧، ٦١
سُورَةُ الأَحْزَابِ		

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾	٣٥	٣٣٩
﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾	٣٦	١٣٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾	٤٩	٨٥
﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾	٥٣	١٠٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾	٧٠-٧١	١
سُورَةُ الصَّافَّاتِ		
﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾	٢٢	٦٢
﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾	٢٧	١٠٦
﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾	٤٨	١٠٦
سُورَةُ الزُّمَرِ		
﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾	٦٠	١٠٠
﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٧١	٨٠
سُورَةُ غَافِرٍ		
﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾	٣	١٠٤
﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾	٧٣-٧٤	٧٠١
سُورَةُ فُصِّلَتْ		
﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾	١٢	١٠١
سُورَةُ الشُّورَىٰ		
﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾	١٦	١٣٧
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	٤٠	١٦٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	٢٨٩
سُورَةُ الدُّخَانِ		
﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨)﴾	٢٥-٢٨	٢٦٢
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾	٤٩	١٦٨
سُورَةُ الجَاثِيَةِ		
﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	٩١، ٣١٢
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٢٣	٧٨
سُورَةُ الأَحْقَافِ		
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾	١٦	١٠٨
سُورَةُ مُحَمَّدٍ		
﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾	٢٢	٤٤٠
سُورَةُ الفَتْحِ		
﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾	٦	١٣٦
سُورَةُ قٓ		
﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾	٤٥	
سُورَةُ النَّجْمِ		
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾	٣-٤	٥٩
سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ		
﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾	٥٨	١٠٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
سُورَةُ الوَاقِعَةِ		
﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾	٧-١٠	
﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾	١٧-١٨	١٥١-١٥٢
﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾	٢٠-٢١	١٥٢
﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾	٢٢-٢٣	١٠٦، ١٥٢
﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾	٣٠	١٠١
سُورَةُ الحَدِيدِ		
﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾	١٣	٦٤
سُورَةُ المُجَادِلَةِ		
﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾	٣	٨٨، ٥٢٩
﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾	٤	٨٩، ٥٢٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٤	١٣٦
سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾	١٣	١٣٨
سُورَةُ الصَّفِّ		
﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٥	١٠٥
سُورَةُ المُنَافِقُونَ		
﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾	١٠	٨١
سُورَةُ الطَّلَاقِ		
﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ	٤	٨٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾		
سُورَةُ المُلْك		
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾	٥	١٠١
سُورَةُ القَلَم		
﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	٥٢	١١٧
﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾	٤٨	٥٩١
سُورَةُ القِيَامَة		
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾	١٧-١٨	٤٦
﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾	١٩	١، ٥٣،
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٢١-٢٢	٥٧
سُورَةُ المُرْسَلَات		
﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴾	٢٥-٢٦	٢٢٧
سُورَةُ النَّبَإ		
﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾	٣٣	١٠٦
﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾	٤٠	٩٥
سُورَةُ النَّازِعَات		
﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	٦٣
﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾	٢٥	٦٣
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٦	١٠٠
سُورَةُ التَّكْوِير		
﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾	٧	٦٢
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	٢٧	١١٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة المطففين		
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾	١	٥٦
﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾	٢-٣	٥٦
سورة الانشقاق		
﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾	٨	١٠٨
سورة البروج		
﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾	٣	٦٢
﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾	١٢-١٤	١٠٤
سورة الطارق		
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾	١١-١٢	٩٥
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾	١٥-١٦	١٦٧، ١٦٩
سورة الغاشية		
﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾	٢٢	٩٦
سورة البلد		
﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ	١٧	٤٣٥
سورة الشمس		
﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾	٢	١٠٥
سورة البينة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	٦	٤٥٤
سورة العاديات		
﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾	٧	٨١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾	٦	٨١
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	٨	٨١
سُورَةُ القَارِعَةِ		
﴿ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾	١-٤	٥٦
﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾	٩-١١	٥٦
سُورَةُ المَاعُونِ		
﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	٤-٥	١٠٨

٣- فهرس الأحاديث المرفوعة.

م	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
١.	﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: الضرباء،	النعمان بن بشير	٦٢
٢.	« أُحِلَتْ لنا مَيْتَتَانِ ودَمَانِ... »	ابن عمر	٣٨٣
٣.	« إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً »	أبو موسى الأشعري	٧٣٩
٤.	« أفضل الصدقة أن تَصَدَّقَ وأنت صحيح شحيح...»	أبو هريرة	٣٩٣
٥.	« اللّهم أيده بروح القدس »	أبو هريرة	٢٩٠
٦.	« إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ...»	ابن عباس	٥٠٣
٧.	« إنّ الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا .... »	ابن عمر	٥٢١
٨.	« إن بالمدينة أقوامًا ما سِرتُم من مَسِير، ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه ...»	أنس بن مالك	٧٣٩
٩.	« أنّ رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه المغفر فقيل إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه ».	أنس بن مالك	٤٢٨
١٠.	« إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام.... »	ابن عباس	٤٢٩
١١.	« ثم إنّ الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله	عائشة	٧٦٦
١٢.	« فضلنا الناس بثلاث: .... »	حذيفة بن اليمان	٧١٢
١٣.	« قاربوا وسددوا، ففي كل ما يُصاب به المسلم كفارة...»	أبو هريرة	٧٦٢
١٤.	« كلْ مِن مال يتيمك غير مسرف، ولا مبادر، ولا متأثل »	عمرو بن شعيب	٦٤٤
١٥.	« ما نقصت صدقة من مال »	أبو هريرة	٥٢١
١٦.	« هُوَ الطَّهورُ ماؤهُ الحلُ ميتته »	أبو هريرة	٣٨٤
١٧.	«أهجهم – أو: هاجهم- وجبريل معك »	أبو هريرة	٢٩٠
١٨.	«ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	ابن مسعود	٦١
١٩.	أنزلت ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ولم يُنزلْ ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾	سهل بن سعد	٤١٦
٢٠.	لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ.......	أبو هريرة	٥٣٩
٢١.	نعم، نبياً رسولاً كلّمه الله قِبَلاً	أبو ذر الغفاري	٥١١
٢٢.	« فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله »	جابر بن عبد الله	٦٧٢

٤- فهرس الآثار.

م	الأثر	القائل	الصفحة
١.	« ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تـلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ».	ابن عباس	٦٦٣
٢.	« كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المولود حتى يكبر، ولا يورِّثـون المرأة، فلما كان الإسلام ».	ابن عباس	
٣.	« ويقول المنافق للذين آمنوا ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ »	أبو أمامة	١٥٤
٤.	« يُلقَى على كل مؤمن ومنافق نورٌ يمشونَ به، حتى إذا انتهوا إلى الصراط طَفِئ نورُ المنافقين، ومضى المؤمنون بنورهم، فينادوهم: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: فذلك خديعة الله إياهم »	الحسن البصري	١٥٤
٥.	في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾.	أبو العالية	٢٢٤
٦.	في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قال: هو قولـه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾	الربيع بن أنس	٢٢٤
٧.	في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ قال: لأنهم لم يعاينوا، فكان ظنهم يقينا، وليس ظنّاً في شكٍّ، وقرأ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾	ا بن زيد	٢٤٣
٨.	في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ علموا أنهم ملاقو ربهم، هي كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ يقول: علمت	ابن جريج	٢٤٣
٩.	لما نزلت هذه الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها	سلمة بن الأكوع	٤١٠
١٠.	قال: فهم أهل "أيلة"، وهي القرية التي كانت حاضرة البحر، فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت...	السدي	٦٧٦
١١.	﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: أي الآيات التي وضع على يديه: من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير،	ابن عباس	٢٨٥
١٢.	يقول: قلبي في غلاف فلا يخلص إليه مما تقول شيء، وقرأ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾	ابن زيد	٢٩٢
١٣.	« يتبعونه حق اتباعه، ثم قرأ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، يقول: اتَّبعها	ابن عباس	٣٣٣
١٤.	«يتبعونه حق اتباعه، ألم تر إلى قوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، يعني الشمس إذا تَبعها القمر	قيس بن سعد	٣٣٣
١٥.	« فمنهن: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، ومنهن: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾، ...»	ابن عباس	٣٣٦
١٦.	أن يطاع فلا يُعصي، ويُذكر فلا يُنسي، ويشكر فلا يُكفر	ابن مسعود	٥٩٨
١٧.	أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومةُ لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم ...	ابن عباس	٥٨٩
١٨.	ثم إنّ الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله	عائشة	٧٦٥

١٩.	« كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المولود حتى يكبر، ولا يورِّثون المرأة، فلما كان الإسلام، قال: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ﴾، الآية.	ابن عباس	٧٦٦
٢٠.	« هم اليهود والنصارى والمجوس، أصابوا ذنوبًا في كفرهم، فأرادوا أن يتوبوا منها، ولن يتوبوا من الكفر، **ألا ترى أنه يقول:** ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾	أبو العالية	٥٨٩
٢١.	« لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء »	أبو هريرة	٦٢٤
٢٢.	« كان أمرهم أن يتبعوا النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته، وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾	ابن عباس	٦٢٣
٢٣.	هم أهل الآية التي قبلها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	مكحول	٧٢٤
٢٤.	« حقّ على الإمام أن يحكم بالعدل ويؤدّي الأمانة، فإذا فعل ذلك...»	علي بن أبي طالب	٧٢٥
٢٥.	« إنما أمر في الربا أن ينظر المعسر، وليست النظرة في الأمانة، ولكن...»	ابن عباس	٥٢٤
٢٦.	« إنما ذلك في الربا، **وإنّ الله قال في كتابه:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾	شريح	٥٢٤
٢٧.	من غير أن يبتغي حرامًا ويتعداه، ألا ترى أنه يقول: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾	الربيع بن أنس	٣٨٧
٢٨.	الخير في القرآن كله: المال، ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	مجاهد	٤٠١
٢٩.	فعهد الله الذي عهد إلى عباده دينه، يقول لا ينال دينه الظالمين ألا ترى أنه قال: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾	الربيع بن أنس	٣٤٢
٣٠.	﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، قال: القرض، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾	أبو العالية	٦٣٩
٣١.	« لا يحل له أن يحبسها ضراراً حتى تفتدي منه يعني وإن زنت »	قتادة	٦٦٨
٣٢.	«هذا يوم بدر، قد نظرنا إلى المشركين، فرأيناهم يُضْعِفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدًا، وذلك قول الله عز وجل	ابن مسعود	٥٥٧
٣٣.	الكبائر سبع، ليس منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله ...	عبيد بن عمير	٦٨٨
٣٤.	في قوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ قال، المال، ألا ترى أنه يقول: قال شعيب لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾	الضحاك	٤٠١
٣٥.	كون أجدل منه وأعرف بالحجة، فيخاصمه في ماله بالباطل ليأكل ماله بالباطل، وقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	ابن زيد	٤١٩
٣٦.	﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، قال: دين الله، وهو قول الله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾	الضحاك	٧٥٢
٣٧.	« غرّهم قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾	مجاهد	٥٦٦
٣٨.	« هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾، وهم المؤمنون»	ابن عباس	٥٦٩
٣٩.	واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾	ابن زيد	٦٢٨
٤٠.	في قوله: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ قال: هو قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾	ابن عباس	٦٧١
٤١.	:"الميثاق الغليظ" الذي أخذه الله للنساء: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وكان في عُقْدة المسلمين عند نكاحهن:"أيْمُ الله عليك، لتمسكن..."	قتادة	٦٧٢

٥- فهرس الكلمات الغريبة.

م	الكلمة الغريبة	الصفحة
١.	الشصوص	٢٧٦
٢.	البرك	٢٧٦
٣.	نشبت	٢٧٦
٤.	الخراطيم	٢٧٧
٥.	الوقود	١٩١
٦.	المروج	٥٦٠
٧.	الخصب	٥٦٠
٨.	المطهمة	٥٦٣
٩.	فساخو	٧٠٠
١٠.	المشخصة	٧٣١

٦- فهرس الأعلام المترجم لهم.

م	العلم	الصفحة
١.	إبراهيم النخعي	٣٩٧
٢.	إبراهيم بن خالد الكلبي(أبو ثور)	٤٩٨
٣.	إبراهيم بن عمر البقاعي	٣٧٠
٤.	إبراهيم بن محمد بن اسماعيل الصنعاني	٦٩
٥.	إبراهيم بن محمد بن السرى الزجاج	١١٣
٦.	إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي	٥٩٦
٧.	أبوبكر محمد بن عبد الله بن العربي	٣٢٥
٨.	أبوبكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري	٣٩٧
٩.	أحمد بن علي الرازي الجصاص	٣٨٢
١٠.	أحمد بن فارس الرازي	٤٣
١١.	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي	١١٢
١٢.	أحمد بن محمد بن إسماعيل (النحاس)	١١٦
١٣.	أحمد بن منحمد بن المهدي ابن عجيبة	٢٢٩
١٤.	أحمد بن مصطفى المراغي	٥٧٤
١٥.	أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (السمين الحلبي)	٢٤٤
١٦.	أسباط بن نصر الهمداني	٢٧٦
١٧.	إسماعيل بن حماد الجوهري	٢٧٢
١٨.	إسماعيل بن خالد البجلي	٢٨٨
١٩.	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي	٢٣٠
٢٠.	بكر بن عبد الله المزني	٤٧٩
٢١.	ثناء الله ابن الشيخ محمد خضر الهندي الأمرتسري	٧٠

٢٢.	الحسن البصري	٦٤
٢٣.	الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري	١٤٩
٢٤.	الحسين بن الفضل	١١٥
٢٥.	الحسين بن مسعود البغوي	١١٤
٢٦.	حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري	٦٢٥
٢٧.	خالد بن معدان الحمصي	٢٢٩
٢٨.	الربيع بن أنس	١٣١
٢٩.	رفيع بن مهران الرياحي (أبو العالية)	١٣١
٣٠.	زيد بن أسلم العدوي	٤٧٥
٣١.	سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي	٣٩٦
٣٢.	سليمان بن مهران الأسدي (الأعمش)	٢٦١
٣٣.	شريح بن الحارث الكندي القاضي	٣٩٧
٣٤.	شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي	٤٨٩
٣٥.	شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو	٦٤٤
٣٦.	شهر بن حوشب	١٣٢
٣٧.	الصاحب بن عباد	٢٧٣
٣٨.	الضحاك بن مزاحم الهلالي	٢٦١
٣٩.	طاوس بن كيسان اليماني	٣٩٧
٤٠.	طاوس بن كيسان اليماني	٣٩٧
٤١.	عامر بن شراحيل الشعبي	٤٧٥
٤٢.	عباد بن منصور الناجي	٢٧٥
٤٣.	عبد الحق بن غالب الأندلسي(ابن عطية)	١٢٢
٤٤.	عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي	١٣٣

٤٥.	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي	٥٨٤
٤٦.	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٦٥
٤٧.	عبد الرحمن بن محمد الثعالبي	١٩٢
٤٨.	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي	١٠٥
٤٩.	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي	٢٤٤
٥٠.	عبد الله بن عمر الشيرازي(البيضاوي)	١٤٩
٥١.	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	٥٣٦
٥٢.	عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي	١٥٨
٥٣.	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	١٤٧
٥٤.	عبيد بن عمير الليثي	٢٣٠
٥٥.	عبيدة السلماني الكوفي	٧٠٦
٥٦.	عثمان بن جني	٦١٢
٥٧.	عطية بن سعد العوفي	٢٨٨
٥٨.	عقبة بن الصهباء	٤٧٩
٥٩.	علاء الدين علي بن محمد البغدادي(الخازن)	٢٣٤
٦٠.	علي بن أحمد الواحدي	٣٢٤
٦١.	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الظاهري	٣١٨
٦٢.	علي بن محمد الطبري(الكيا الهراسي)	٦٤١
٦٣.	عمر بن علي بن عادل الحنبلي	٢٤٤
٦٤.	عمرو بن شعيب	٦٤٤
٦٥.	عياض بن موسى بن عمرون الأندلسي(القاضي)	٧٣٢
٦٦.	غزوان الغفاري (أبو مالك)	٤٧٦
٦٧.	القاسم بن سلام الأنصاري	٤٧٩

٦٨.	قتادة بن دعامة السدوسي	٦٤
٦٩.	قيس بن سعد المكى	٣٣٣
٧٠.	مجاهد بن جبر	٦٣
٧١.	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	٧١
٧٢.	محمد بن إبراهيم الصنعاني(ابن الوزير)	٦٨٣
٧٣.	محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة	٤٤٣
٧٤.	محمد بن أحمد أبو زهرة	٢٦٨
٧٥.	محمد بن أحمد الكلبي (ابن جزي)	١٤٩
٧٦.	محمد بن أحمد بن أبي فرح القرطبي	١١٤
٧٧.	محمد بن أحمد بن الأزهر(الأزهري)	٢٧٢
٧٨.	محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني	٦٨
٧٩.	محمد بن الحسين بن محمد القاضي أبو يعلى	٤٤٢
٨٠.	محمد بن السائب الكلبي	٥٨٥
٨١.	محمد بن المستنير(قطرب)	٢٥٤
٨٢.	محمد بن سليمان الرومي (الكافيجي)	٤٤
٨٣.	محمد بن سيرين الأنصاري البصري	٣٩٦
٨٤.	محمد بن عبد العظيم الزرقاني	٥٤٠
٨٥.	محمد بن عبد الله المري(ابن أبي زمنين)	٢٤٩
٨٦.	محمد بن علي الشوكاني	١٣٣
٨٧.	محمد بن كعب القرظي	٢٢٩
٨٨.	محمد بن محمد الحسيني(الزبيدي)	٢٧٢
٨٩.	محمد بن محمد الخطيب الشربيني	١٩٤
٩٠.	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي(أبو السعود)	١١٦

٩١.	محمد بن مكرم بن منظور	٢٧٢
٩٢.	محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي	١٢٢
٩٣.	محمد جمال الدين بن محمد القاسمي	٣٧٠
٩٤.	محمود بن أحمد بن موسى العينتابي(العيني)	٧٠٨
٩٥.	مرعي بن يوسف الكرمي	٣٢٧
٩٦.	مروان بن الحكم الأموي	٦٢٥
٩٧.	مطر بن طهمان الوراق	٥٨٥
٩٨.	معمر بن المثنى التيمي البصري	٢٦٠
٩٩.	مقاتل بن حيان البلخي	٣٩٧
١٠٠.	مقاتل بن سليمان الأزدي	١١٤
١٠١.	مكحول بن أبي مسلم الشامي	٧٢٤
١٠٢.	مكي بن أبي طالب القيسي	٢٨٢
١٠٣.	نصر بن محمد السمرقندي	٢٤٣
١٠٤.	هبة الله بن سلامة بن نصر المقري	٣١٨
١٠٥.	يحي بن شرف النووي	٥٩٥

٧- فهرس المصادر والمراجع:

١. إبراز المعاني من حرز الأماني، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، ط، دار الكتب العلمية، ت: إبراهيم عطوه عوض.

٢. ابن جزي ومنهجه في التفسير، للدكتور: علي محمد الزبيري، دار القلم، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣. إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية - لبنان، ت: أنس مهرة.

٤. الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، ت: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد ١٤٢٦هـ.

٥. الأحرف السبعة، للإمام أبي عمرو الداني، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٧م. دار المنارة - جدة. ت: د. عبد المهيمن طحان.

٦. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للإمام: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، ت: مصطفى شيخ مصطفى، ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧. أحكام القرآن للطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي)، ت: الدكتور سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨. أحكام القرآن للكيا الهراسى، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية — بيروت، ت: عدد من العلماء.

٩. أحكام القرآن، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

١٠. أحكام القرآن، للإمام: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله، جمعه: الإمام أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، تقديم وتحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار إحياء العلوم — بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩١م.

١١. أحكام أهل الذمة، تأليف الإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزي، رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام — بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ت: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري.

١٢. الإحكام في أصول الأحكام، تأليف الإمام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٣. الإحكام في أصول الاحكام، للإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، علق عليه العلامة/ عبد الرزاق عفيفي،ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م. دار الصميعي – الرياض.

١٤. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

١٥. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف الإمام: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦. إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ت: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، ط٣، دار الفضيلة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م.

١٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٨. أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان- دار الإصلاح- الدمام. ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٩. استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان، عرضاً ودراسةً تأليف: أ.د. شايع بن عبده بن شايع الأسمري، ط١، ١٤٢٧هـ، عمادة البحث العلمي –بالجامعة الإسلامية.

٢٠. الاستذكار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض.

٢١. الاستقامة، لأبي العباس ابن تيمية، ط١، ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، تحقيق : د. محمد رشاد سالم.

٢٢. الإستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ت: عادل مرشد.

٢٣. الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، تأليف: الشيخ الدكتور محمد أبو شهبة، مكتبة السنة – القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٢٤. أسرار التكرار في القرآن، تأليف: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دار الاعتصام – القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

٢٥. الأسماء والصفات، للبيهقي أحمد بن الحسين، ت: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ٢، ١٤١٣هـ .

٢٦. إصلاح الوجوه والنظائر، تأليف: الحسين بن محمد الدامغاني، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٥م، ت: عبد العزيز سيد الأهل.

٢٧. أصول في التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن تيمية – القاهرة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٨. أضواء البيان، تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ، طبع: مجمع الفقه الإسلامي، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

٢٩. الأطعمة وأحكام الصيد والذبائح، تأليف الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٠. إعراب القرآن الكريم، تأليف: قاسم حميدان دعاس، دار المنير ـ دار الفارابي – دمشق.

٣١. إعراب القرآن، للإمام: أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ط: دار عالم الكتب، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، تحقيق د.زهير غازي زاهد.

٣٢. إعراب القرآن، لمحيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير ط٤، ١٤١٥هـ.

٣٣.إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، قرأه وقدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد. ط١، دار ابن الجوزي، رجب ١٤٢٣هـ.

٣٤. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥، مايو ٢٠٠٢ م. دار العلم للملايين.

٣٥. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ، تحقيق: د. يحيى بن إسماعيل..

٣٦. الأم، للإمام: محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط٢.

٣٧. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، ط١، ١٤٢٣هـ، المكتبة العصرية-بيروت.

٣٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (تفسير البيضاوي) تأليف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٣٩. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، ١٩٨٧هـ.

٤٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، تأليف الشيخ: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط٤٢٤١،٥هـ/٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٤١. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لابن جماعة. ط١، ١٤١٠هـ، دار السلام، ت: وهبي سليمان غاوجي الألباني.

٤٢. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: إسماعيل بن محمد البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة سنة ١٣١٦هـ.

٤٣. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب (صـ ١٠٧) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: د/ أحمد حسن فرحات، ط١، دار المنارة، جدة ، ١٤٠٦هـ.

٤٤. بحر العلوم، للإمام: أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الفكر – بيروت، ت: د.محمود مطرجي.

٤٥. البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ت: محمد محمد تامر.

٤٦. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت – ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي، ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

٤٧. البحر المديد تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية ـ بيروت،

٤٨. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، للأستاذ الدكتور: فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط٨، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٩. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٣/١٥٠) تأليف: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م، بيروت.

٥٠. بدائع الفوائد، للإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، ت: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج.

٥١. بداية المجتهد و نهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٤، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٥٢. البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ.

٥٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١٢٧/٢)، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٥٤. البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ت: مصطفى أبو الغيط، وعبدالله بن سليمان، وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض-السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٥٥. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبي والدرة، للشيخ: عبدالفتاح القاضي، دار الكتاب العربي — بيروت ط، ١٤٠١هـ.
٥٦. البرهان في علوم القرآن، للإمام: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٥٧. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية.
٥٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م
٥٩. البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ط١، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت — ١٤٠٧هـ، ت: محمد المصري.
٦٠. بيان المعاني، تأليف: ملا حويش آل غازى عبد القادر — مطبعة الترقي بدمشق ١٣٨٢هـ.
٦١. البيان لمواضع الآيات المفسرة في أضواء البيان (صـ٤) إعداد وترتيب: أبي أسامة حسن بن علي العواجي، دار الإيمان — اسكندرية.
٦٢. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت — لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٦٣. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، طبعة حكومة الكويت ، ت: مجموعة من المحققين.
٦٤. تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، مصر، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٦٥. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، للقاضي أبي المحاسن التنوخي المعرّي، ط ١، إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو .

٦٦. التاريخ الكبير، الحافظ النقاد شيخ الاسلام جبل الحفظ وإمام الدنيا أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري المتوفي، ط: دار الكتب العلمية، ت: محمد – ازهر.

٦٧. تاريخ مدينة السلام (بغداد) وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، للإمام: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي، ت: د. بشار عواد معروف،

٦٨. تأويل مشكل القرآن،للإمام: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٣ه، دار الكتب العلمية - بيروت.

٦٩. التبصرة في القراءات السبع- أبو محمد مكي بن أبي طالب- الدار السلفية- بومباي- الهند، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧٠. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، إحياء الكتب العربية، تحقيق : علي محمد البجاوى.

٧١. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء العكبري، دار إحياء الكتب العربية، ت: علي محمد البجاوى.

٧٢. التبيان في أقسام القرآن، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر.

٧٣. التبيان في تفسير غريب القرآن (صـ ٦٩) تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ط١، ١٩٩٢م، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ت: د.فتحي أنور الدابولي.

٧٤. التبيان في تفسير غريب القرآن، للإمام: عبد الرحمن بن علي الجوزي، ط: ١، ١٤٠٧هـ تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف ـ الرياض.

٧٥. تحبير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، دار الفرقان – الأردن / عمان – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ط١، ت: د.أحمد محمد مفلح القضاة.

٧٦. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، ت: د. عبد الرحمن الجبرين، مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٧٧. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤م.

٧٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٩. تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين أبي زرعة العراقي، ط١، ١٩٩٩م، مكتبة الرشد – الرياض، ت: عبد الله نوارة.

٨٠. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تأليف: جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، دار ابن خزيمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد.

٨١. تذكرة الأريب تفسير الغريب، لابن الجوزي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، ت: طارق فتحي السيد.

٨٢. تذكرة الحفاظ، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات.

٨٣. ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة، الخبر المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

٨٤. التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ت: عبد الرزاق المهدي.

٨٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

٨٦. تغليق التعليق على صحيح البخاري، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان – الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

٨٧. تفسير ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعي، للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.

٨٨. تفسير ابن المنذر، أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور : سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

٨٩. تفسير الإمام ابن أبي العز جمعا ودراسة، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (العدد ١٢٠/ ص) سنة ١٤٢٣هـ، للدكتور: شايع بن عبده الأسمري.

٩٠. تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة، تأليف الدكتور/ محمد بن عبد الله بن علي الخضيري، دار الوطن.

٩١. تفسير الجلالين: لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١.

٩٢. التفسير الحديث (ترتيب السور حسب النزول)، تأليف: محمد عزّة دروزة، ط٢، ١٤١٢هـ، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٩٣. التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للعلامة: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية.

٩٤. تفسير الفاتحة، تأليف: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق: أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٩٥. تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار، للشيخ/ محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٩٦. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة – القاهرة، ت: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز.

٩٧. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: سامي سلامة.

٩٨. تفسير القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة) للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ العثيمين الخيرية ، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٩٩. تفسير القرآن الكريم أصوله وضوابطه، د. علي بن سليمان العبيد، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، مكتبة التوبة – الرياض.

١٠٠. تفسير القرآن بالقرآن والسنة والآثار وبالأسلوب الحديث، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن القاسم، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٠١. تفسير القرآن بالقرآن: دراسة تأصيلية، للدكتور: أحمد بن محمد البريدي، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي العدد الثاني.

١٠٢. تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، أ.د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار الفضيلة – الرياض، دار الهدي النبوي بمصر المنصورة.

١٠٣. تفسير القرآن بكلام الرحمن، تفسير مختصر جامع من تفسير القرآن بالقرآن، تأليف: الشيخ/ أبي الوفاء ثناء الله الهندي الأمرتسري، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض، تقديم ومراجعة الشيخ: صفي الرحمن المباركفوري، وخرج أحاديثه: الشيخ: عبدالقادر الأرناؤوط.

١٠٤. تفسير القرآن، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ط: دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ت: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم.

١٠٥. تفسير القرآن، للإمام سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (اختصار النكت للماوردي)، ت: د. عبد الله بن إبراهيم الوهيبي، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٠٦. تفسير القرآن، للإمام: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، مكتبة الرشد – الرياض.
١٠٧. التفسير القرآني للقرآن، للدكتور / عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.
١٠٨. التفسير القيم لابن القيم – جمعه محمد أويس الندوي – حققه محمد حامد الفقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط٣، ١٤٢٥هـ .
١٠٩. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.
١١٠. التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط١، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي – الدمام.
١١١. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٣٩٠هـ.
١١٢. التفسير المظهري، تأليف: محمد ثناء الله العثماني المظهري، دار إحياء التراث العربي، بيرو ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
١١٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١/١١٢)، د. وهبة الزحيلي، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م دار الفكر –.
١١٤. التفسير الواضح، للدكتور/ محمد محمود حجازى، دار الجيل الجديد.
١١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوى، – ط – السعادة – القاهرة – ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م.
١١٦. تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السايس، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
١١٧. تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي، تحقيق: عبد الرحمن بن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.
١١٨. تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ط١٤٢٤،١هـ – ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت. تحقيق: أحمد فريد.
١١٩. التفسير والمفسرون، تأليف الدكتور/ محمد حسين الذهبي،·مكتبة وهبة – القاهرة، ط٧، ٢٠٠٠م.
١٢٠. تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط٣، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، دار الرشيد سوريا – حلب، ت: محمد عوامة.
١٢١. التقرير والتحرير في علم الأصول، ابن أمير الحاج، دار الفكر – بيروت ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٢٢. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.

١٢٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري - وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧هـ- ت: مجموعة من الباحثين.

١٢٤. تهذيب التهذيب، تصنيف الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، باعتناء إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

١٢٥. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة - بيروت، ت: د. بشار عواد معروف.

١٢٦. التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ، ت: د. محمد رضوان الداية.

١٢٧. تيسير التفسير، للشيخ إبراهيم القطان، قاضي القضاة، عمان، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ م، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

١٢٩. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ

١٣٠. التيسير فى القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٣١. التيسير في قواعد علم التفسير لمحمد بن سليمان الكافيجي ت: ناصر محمد المطرودي، ط١، دار القلم، دمشق ، ١٤١٠هـ.

١٣٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٣٣. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م. مؤسسة الرسالة، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر.

١٣٤. الجامع الصحيح سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٣٥. الجامع الصحيح، للإمام: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ت: د. مصطفى ديب البغا.

١٣٦. جامع العلوم والحكم، للإمام: أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م. ت: هشام سمير البخاري.

١٣٨. الجدول في إعراب القرآن، تأليف: محمود بن عبد الرحيم الصافي، ط٤، ١٤١٨هـ، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق.

١٣٩. الجرح والتعديل، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد دكن، ط ١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م

١٤٠. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تأليف الإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزي، دار العروبة – الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ت: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.

١٤١. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د. عبد العزيز صالح الطويان مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٤٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ت: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د.حمدان محمد.

١٤٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٤٥. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تأليف: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ت: د. عبد الفتاح محمد الحلو.

١٤٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لأبي الوفاء عبد القادر القرشي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو.

١٤٧. حاشية ابن التمجيد على تفسير الإمام البيضاوي، لمصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، مطبوع مع حاشية القونوي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: عبد الله محمود محمد عمر.
١٤٨. حاشية السندى (محمد بن عبد الهادي السندي المدني) على صحيح البخارى، دار الفكر.
١٤٩. حاشية الشهاب على البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ت: عبد الرزاق المهدي.
١٥٠. حاشية القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير البيضاوي، مطبوع مع حاشية ابن التمجيد، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: عبد الله محمود محمد عمر.
١٥١. حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي: لمحمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، ت: محمد عبد القادر شاهين ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط١- ١٤١٩هـ.
١٥٢. حجة القراءات، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: سعيد الأفغاني.
١٥٣. الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه، ط٤، ١٤٠١هـ، دار الشروق – بيروت، ت: د. عبد العال سالم مكرم،
١٥٤. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تأليف الإمام: أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٥٥. حكم النشوز والخلع بحث منشور في أبحاث هيئة كبار العلماء، والمنشور أيضاً في مجلة البحوث الإسلامية - العدد الثالث، (صـ ١٧٥-٢٢٦)، لعام ١٣٩٧هـ
١٥٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت
١٥٧. الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبيّ، دار القلم-دمشق، ت: د. أحمد محمد الخراط.
١٥٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية- القاهرة-مصر-١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ط١، ت: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.
١٥٩. درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم.

١٦٠. دراسات في علوم القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور: فهد الرومي، ط١٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٦١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، ط٢. مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، الهند ، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م.

١٦٢. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ١٤١) تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ، طبع: مجمع الفقه الإسلامي، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

١٦٣. دفع شبه التشبيه بأكف التتريه، للإمام: عبد الرحمن ابن الجوزي، ت: حسن السقاف، دار الإمام النووي – عمان. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٦٤. دفع شبه من شبه وتمرد، ونسب ذلك إلى السيد الجليل، الإمام أحمد، تأليف: أبي بكر الحصني الدمشقي، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

١٦٥. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي ت: د. حمد الأحمدي أبو النور- دار التراث.

١٦٦. ذخيرة الحفاظ،ل محمد بن طاهر المقدسي، ت: د.عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف – الرياض، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.

١٦٧. الروايات التفسيرية في فتح الباري، تأليف: د. عبد المجيد الشيخ عبد الباري، وقف السلام الخيري، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

١٦٨. روح البيان، لإسماعيل حقي البروسوي، ط٧، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي.

١٦٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: محمود الألوسي أبو الفضل، ط٤، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٧٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: محمود شكري الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٧١. الروض المعطار في خبر الأقطار. محمد عبد المنعم الحميري، ط٢، ١٩٨٠م، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ت: إحسان عباس.

١٧٢. روضة الناظر وجنة المناظر، للإمام: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، ط٢، ١٣٩٩هـ، تحقيق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.

١٧٣. زاد المسير في علم التفسير، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٧٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٧٥. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، ط١، ١٣٩٩هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ت: د. محمد جبر الألفي.

١٧٦. الزهد والورع والعبادة، لابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ، مكتبة المنار - الأردن، ت: حماد سلامة ،محمد عويضة.

١٧٧. زهرة التفاسير، الإمام الجليل / محمد أبو زهرة، -دار الفكر العربي.

١٧٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر، لأحمد بن حجر الهيتمي، ط: دار الفكر.

١٧٩. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، للإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية، مركز بحوث الكتاب والسنة - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٨٠. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة- محمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان- ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ط/ الأولى، تحقيق: د.بكر أبو زيد و د.عبد الرحمن العثيمين.

١٨١. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني: ط٢؛ بيروت: دار المعرفة.

١٨٢. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

١٨٣. السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٨٤. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر - بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٨٥. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٨٦. سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

١٨٧. السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت: محمد عبدالقادر عطا، ط١،١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٨٨. سنن سعيد بن منصور، ت: د. سعد آل حميد، ط١، ١٤١٤هـ، دار الصميعي - الرياض.

١٨٩. سير أعلام النبلاء للامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة بيروت، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه :شعيب الأرنؤوط.

١٩٠. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط١، ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية- بيروت- تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
١٩١. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ
١٩٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار بن كثير -دمشق. ت: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.
١٩٣. شرح أبي داود للعيني، ط١،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، مكتبة الرشد - الرياض، ت: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري.
١٩٤. شرح الشنقيطي لأبيات السيوطي في الآيات المنسوخة مطبوع مع محاضراته في سلسلة آثاره.
١٩٥. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد خليل هراس، ط١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٩٦. شرح الكوكب المنير، المسمى بمختصر التحرير، للعلامة: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، ت: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٩٧. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م مؤسسة الرسالة، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
١٩٨. شرح مشكل الآثار، للإمام: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ ، ١٤٩٤م.
١٩٩. شرح مقدّمة في أصول التفسير لابن تيمية، للدكتور/ مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٨هـ.
٢٠٠. شعب الإيمان، للإمام: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٢٠١. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف الإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.
٢٠٢. الصاحبي في فقه اللغة العربية، تأليف: الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠٣. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢٠٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ت: شعيب الأرنؤوط.
٢٠٥. صحيح الترغيب والترهيب، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض.
٢٠٦. صحيح الجامع الصغير وزياداته. لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط.الثالثة، سنة ١٤٠٨هـ.
٢٠٧. الصحيح المسند من أسباب الترول، تأليف: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادى الوادعى، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، مزيدة ومنقحة.
٢٠٨. صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
٢٠٩. صحيح وضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢١٠. صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩١م- إشراف /زهير الشاويش.
٢١١. صفوة التفاسير، تفسير للقرآن الكريم، تأليف: الشيخ محمد علي الصابوني، ط٩، دار الصابوني – القاهرة.
٢١٢. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.
٢١٣. الضعفاء والمتروكين، للإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢١٤. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت.
٢١٥. طبعة أخرى: دار إحياء الكتب العربية، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٣٧٧هـ.
٢١٦. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل- دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان- ١٤٠٣هـ ط/ الأولى.
٢١٧. طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، ط ٢، ١٤١٣هـ، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢١٨. طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة، ط ١، ١٤٠٧هـ، دار عالم الكتب- بيروت، ت: الدكتور الحافظ عبد العليم ».

٢١٩. طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط١، ١٩٧٠م. حققه وقدم له: د. إحسان عباس.

٢٢٠. طبقات المحدثين بأصبهان، لعبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.

٢٢١. طبقات المفسرين للسيوطي، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١٣٩٦،١هـ – مكتبة وهبة – القاهرة .ت: علي محمد عمر

٢٢٢. طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، ط١٩٩٧،١م، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ت: سليمان بن صالح الخزي.

٢٢٣. طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مكتبة وهبة – القاهرة، ت: علي محمد عمر.

٢٢٤. طبقات خليفة، أبي عمرو خليفة بن خياط، ت: سهيل زكار، دار الفكر.

٢٢٥. طبقات علماء الحديث، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبدالهادي الدمشقي، ط١، ١٤٠٩هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق.

٢٢٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام ابن القيم الجوزية، دار ابن القيم – الدمام الطبعة الثانية ، ١٤١٤ – ١٩٩٤ ت: عمر بن محمود أبو عمر.

٢٢٧. العبر في خبر من غبر، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢٨. العجاب في بيان الأسباب، للإمام: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، ط١، ١٩٩٧م، دار إبن الجوزي – الدمام، ت: عبدالحكيم محمد الأنيس.

٢٢٩. علل الحديث، للحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيت: فريق من الباحثين، بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد، د. جالد الجريسي. ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٣٠. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، تحقيق : خليل الميس.

٢٣١. علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسام، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٨هـ.

٢٣٢. علوم القرآن بين البرهان والاتقان دراسة موازنة، د. حازم سعيد حيدر، مكتبة دار الزمان – المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٣٣. علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، للدكتور/ محمد صفا شيخ إبراهيم حقي، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.
٢٣٤. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم للعلامة المحقق أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، أعده: أنور الباز.
٢٣٥. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ط/ الأولى، تحقيق: محمد باسل عيون السود.
٢٣٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: الإمام: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٣٧. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد ابن الجزري، ت: ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٣٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان –ت: الشيخ زكريا عميران.
٢٣٩. غريب الحديث، تأليف الإمام: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ط: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ، ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي.
٢٤٠. غريب الحديث، للإمام: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، مطبعة العاني – بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري.
٢٤١. غريب القرآن، للإمام: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٤٢. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، ت:محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا.
٢٤٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تعليق: الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت – لبنان.
٢٤٤. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي – الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ، ت: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

٢٤٥. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني ت: سيّد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة - ط١، ١٤١٣هـ.
٢٤٦. الفصول المفيدة في الواو المزيدة، لصلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبدالله العلائي الدمشقي الشافعي، دار البشير - عمان، ط١، ١٩٩٠م، ت: د. حسن موسى الشاعر.
٢٤٧. فصول في أصول التفسير، للدكتور: مساعد بن سليمان الطيار، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار ابن الجوزي - الدمام.
٢٤٨. الفصول في الأصول، للإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص، ت: د. عجيل جاسم النشمي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٢٤٩. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٥١٣/١). تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م. ت: إحسان عباس.
٢٥٠. الفوز الكبير في أصول التفسير، للإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، نقله من الأصل الفارسي إلى العربية: سلمان الحسيني الندوي
٢٥١. في ظلال القرآن، بقلم سيد قطب، ط٣٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. دار الشروق - القاهرة.
٢٥٢. القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ.
٢٥٣. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، تأليف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، دار القرآن الكريم - الكويت، ١٤٠٠هـ، ت: سامي عطا حسن.
٢٥٤. قواطع الأدلة في الأصول، تأليف: أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، ت: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٥٥. قواعد الترجيح عند المفسّرين للدكتور/ حسين بن علي الحربي، تقديم الشيخ/ مناع بن خليل القطان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار القاسم - الرياض.
٢٥٦. قواعد التفسير جمعاً ودراسة، للدكتور/ خالد بن عثمان السبت، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن عفان - القاهرة.
٢٥٧. القواعد الحسان في تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، دار ابن رجب- القاهرة.
٢٥٨. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ط١، ١٤١٣هـ تقديم وتعليق: محمد عوّامة، تخريج: أحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن.

٢٥٩. كتاب إسفار الفصيح، صنعة أبي سهل محمد بن علي الهروي، ت: د. أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٦٠. كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي)، ت: د. شوقي ضيف، ط٢،١٤٠٠هـ، دار المعارف - القاهرة.
٢٦١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي.
٢٦٢. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، تأليف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م دار الكتب العلمية —بيروت، ت: عبد الله محمود محمد عمر.
٢٦٣. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، لمكي بن أبي طالب، ط٤،١٤٠٧هـ، ت: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة- ببيروت.
٢٦٤. الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت — لبنان. ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. ت: أبي محمد بن عاشور.
٢٦٥. كليات الألفاظ في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية، بريك بن سعيد القرني، طبع: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم و علومه - الطبعة: الأولى - ١٤٢٦هـ.
٢٦٦. الكليات للكفوي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري.
٢٦٧. الكنى والأسماء ، للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة وتحقيق : عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، ط/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٦٨. لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م. دار الفكر - بيروت / لبنان.
٢٦٩. اللباب اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ -١٩٩٨م. ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
٢٧٠. لباب النقول في أسباب النزول، للإمام الحافظ: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م. مؤسسة الكتب الثقافية — بيروت — لبنان.
٢٧١. لسان العرب تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١ دار صادر — بيروت.

٢٧٢. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، اعتنى به الشيخ: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

٢٧٣. ما اتصل به بيانه من القرآن الكريم للدكتور: ملفي الصاعدي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد ١٣١، سنة ١٤٢٦هـ

٢٧٤. مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين – بيروت، ط٨، ١٩٧٤م.

٢٧٥. مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، مكتبة المعارف – الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٧٦. المبسوط، للإمام: محمد بن الحسن الشيباني، ت: أبو الوفا الأفغاني، إدارة القرآن والعلوم، كراتشي.

٢٧٧. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة.

٢٧٨. المجتبى من السنن، للإمام: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ت: عبدالفتاح أبو غدة.

٢٧٩. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف: الإمام الحافظ محمد بن حبان البستي، ت: محمود ابراهيم زايدن دار المعرفة – بيروت، ١٤٢١هـ-١٩٩٢م.

٢٨٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ت: عبد الله محمد الدرويش.

٢٨١. مجموع الفتاوى لـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية . جميع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٨٢. محاسن التأويل (تفسير القاسمي) لجمال الدين القاسمي، ت: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٨٣. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني - تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبدالحليم النجار، د. عبدالفتاح شلبي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة – ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٨٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٢٨٥. المحصول في علم الأصول، تأليف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ، تحقيق: طه جابر فياض العلواني.

٢٨٦. المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، ت: عبد الحميد هنداوي.

٢٨٧. المحيط في اللغة، تأليف: الصاحب إسماعيل بن عباد، ت: محمد حسن آل ياسين، ط١،١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار عالم الكتب.

٢٨٨. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. تحقيق: محمود خاطر.

٢٨٩. مختصر الصواعق المرسلة - اختصار محمد بن الموصلي — ت: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي - مكتبة أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ .

٢٩٠. المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. تأليف: علي بن محمد بن علي البعلي أبو الحسن، جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة، تحقيق: د. محمد مظهربقا.

٢٩١. المخصص لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ط١،١٤١٧هـ ١٩٩٦م، دار إحياء التراث العربي - بيروت -، ت: خليل إبراهم جفال.

٢٩٢. مدارج السالكين ين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. للإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي — بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، ت: محمد حامد الفقي.

٢٩٣. مدارك التتريل وحقائق التأويل . تأليف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس — بيروت، ت: مروان محمد الشعار، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٩٤. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن بدران الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م ، ت: محمد أمين ضناوي.

٢٩٥. المدخل لدراسة القرآن الكريم، للشيخ الدكتور محمد أبو شهبة، دار اللواء — الرياض، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٩٦. مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، للشيخ/ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٩٧. المزهر في علوم اللغة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية — بيروت، ت: فؤاد علي منصور.

٢٩٨. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢٩٩. المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي.

٣٠٠. مشكل إعراب القرآن، للإمام: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ط٢، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: د. حاتم صالح الضامن،

٣٠١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ بتصحيح مصطفى السقا، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، في سنة ١٣٦٩هـ.

٣٠٢. المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق: د. صالح الضامن.

٣٠٣. مُصنف ابن أبي شيبة، (أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي)، تحقيق: محمد عوامة، ط١، ١٤٢٧هـ، دار القبلة – جدة، مؤسسة علوم القرآن – دمشق.

٣٠٤. المطلق والمقيد وأثرهما في اختلاف الفقهاء، تأليف: د.حمد بن حمدي الصاعدي، ط٢، ١٤٢٨هـ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

٣٠٥. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف الشيخ: حافظ بن أحمد حكمي، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار ابن القيم – الدمام، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

٣٠٦. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني، دار ابن الجوزي، ط٥، ١٤٢٧هـ.

٣٠٧. معالم التنزيل، للإمام محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٠٨. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، لعاتق بن غيث بلادي، ط١، ١٤٠٢هـ، دارمكة.

٣٠٩. معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، تأليف الإمام: حمد بن محمد الخطابي، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ت: عبد السلام عبد الشافي.

٣١٠. معاني القرآن الكريم، للإمام أبي جعفر النحاس، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، تحقيق الشيخ: محمد علي الصابوني.

٣١١. معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣١٢. معاني القرآن، للأخفش سعيد بن مسعدة المجاشعي، جمع وتحقيق: الدكتور عبد الأمير محمد الورد ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م دار عالم الكتب، بيروت- لبنان.

٣١٣. معاني القرآن، للإمام: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، الدارالمصرية للتأليف والترجمة، ت: أحمد يوسف نجاتى / محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى.

٣١٤. معجم الأدباء، لياقوت الحموي الرومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، تحقيق: د. إحسان عباس.

٣١٥. المعجم الأوسط أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٣١٦. معجم البلدان، تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر — بيروت.

٣١٧. المعجم الكبير، للإمام: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٣١٨. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية- عمر رضا كحالة-مكتبة المثنى- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

٣١٩. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، تأليف: عادل نويهض، ط ٣. مؤسسة نويهض الثقافية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٣٢٠. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية.

٣٢١. معجم تهذيب اللغة، للأزهري، ط١، ١٤٢٢هـ تحقيق: د/ رياض قاسم، دار المعرفة ـ بيروت.

٣٢٢. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الوطن للنشر — الرياض، ت: عادل بن يوسف العزازي.

٣٢٣. معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الوطن للنشر — الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ت: عادل بن يوسف العزازي.

٣٢٤. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، ط١، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة — بيروت، ت: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

٣٢٥. المغني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار عالم الكتب، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ، تحقيق: عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو.

٣٢٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف الإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية — بيروت.

٣٢٧. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م، مؤسسة علوم القرآن — دمشق، ت: د. مصطفى ديب البغا.

٣٢٨. مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم – دمشق- سوريا-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ط:٣، ت: صفوان عادل داوودي.

٣٢٩. المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، تأليف د. محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

٣٣٠. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط١، ١٤٢٥هـ، دار المحدث.

٣٣١. مقاييس اللغة تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون - دار الجبيل - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٣٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

٣٣٣. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة القرآن والسنة، القاهرة ١٣٨٧هـ-١٩٦٨.

٣٣٤. منزلة السنة في الإسلام لمحمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية - عمان الأردنّ - ١٣٩٧هـ .

٣٣٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريّة، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٣٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي)، للإمام: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ط٢، ١٣٩٢هـ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣٧. منهج ابن كثير في التفسير، د . سليمان اللاحم، دار المسلم – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٣٨. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تأليف: يوسف بن تغرى بردى الأتباكي، جمال الدين أبو المحاسن، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م- ت: د. محمد محمد أمين.

٣٣٩. الموافقات، تصنيف: العلامة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

٣٤٠. الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لجماعة من الباحثين - من إصدارات مجلة الحكمة - الأولى ١٤٢٤هـ..

٣٤١. الموطأ، لإمام دار الهجرة، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، رواية يحي بن يحي الليثي، ت: د. بشار عواد معروف. ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الغرب الإسلامي.

٣٤٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة،

٣٤٣. الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد المديفر، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مكتبة الرشد - الرياض.
٣٤٤. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لابن حزم، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الباز - مكة المكرمة ت: د. عبدالغفار البنداري.
٣٤٥. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، للقاضي: أبي بكر بن العربي المعافري، ت: د. عبد الكبير العلوي المدغري، طبع: وزارة الأوقاف المغربية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٤٦. الناسخ والمنسوخ في كتاب الله واختلاف العلماء في ذلك، لأبي جعفر النحاس، دراسة وتحقيق: د. سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط١، ١٤١٢هـ.
٣٤٧. الناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ت: د. حاتم صالح الضامن.
٣٤٨. الناسخ والمنسوخ من كتاب الله عز وجل لهبة الله بن سلامة المقري ط١، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ت: زهير الشاويش ومحمد كنعان
٣٤٩. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط١، مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.
٣٥٠. النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته فضيلة الشيخ: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية.
٣٥١. نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ت: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت -لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٣٥٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ت: عبد الرزاق المهدي.
٣٥٣. نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام- محمد بن علي الكرجي القصاب- دار ابن القيم- الدمام- السعودية- دار ابن عفان-القاهرة- مصر- ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ط/ ١، تحقيق: د.علي بن غازي التويجري.
٣٥٤. النكت والعيون، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

٣٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزي، ابن الأثير، ت: محمود محمد الظناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٣٥٦. نهر الخير حاشية على أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشيخ: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط١٤٢٤،٥هـ/٢٠٠٣م، بمكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٣٥٧. نواسخ القرآن، لابن الجوزي، ت: د. محمد أشرف علي الملباري، ط / الجامعة الإسلامية – الطبعة الثانية – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٣٥٨. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للشوكاني، تخريج: خليل شيحا، دار المعرفة – بيروت، ط١، ١٤١٩١هـ.

٣٥٩. نيل السائرين في طبقات المفسرين، للعلامة / محمد طاهر، مكتبة اليمان – دار القرآن – باكستان، ط٤، رجب ١٤٢٧هـ.

٣٦٠. نيل المرام شرح آيات الأحكام، تأليف: صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق : محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

٣٦١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني القرطبي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٦٢. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين –إسماعيل باشا البغدادي– طبع بعناية وكالة المعارف – استنبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥١م.

٣٦٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: صفوان داوودي، دار القلم والدار الشامية، ط١، سنة ١٤١٥هـ.

٣٦٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر – بيروت، ت: إحسان عباس.

٣٦٥. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تأليف: أبي منصور عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي، ط ١. سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ت: د. مفيد محمد قمحية.

الموضوع | الصفحة

٨- فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٣
خطة البحث	٤
منهج الكتابة في البحث	٣٨
شكر وتقدير	٤١
التمهيد: دراسة تأصيلية لتفسير القرآن بالقرآن	٤٣
المبحث الأول: المراد بتفسير القرآن بالقرآن	٤٣
المطلب الأوّل: تعريف كلمتي (تفسير، قرآن) لغة واصطلاحاً	٤٣
المطلب الثاني: تعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن	٤٧
المبحث الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن	٥٢
المبحث الثالث: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن، وحجيته	٥٥
المطلب الأول: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن	٥٥
المطلب الثاني: حجية تفسير القرآن بالقرآن	٥٩
المبحث الرابع: مصادره وأهم الكتب المؤلفة فيه	٦١
المبحث الخامس: أوجه تفسير القرآن بالقرآن	٧٤
أولاً: الأوجه الداخلة في المصطلح المطابق لتعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن	٧٦
ثانياً: الأوجه الداخلة في المصطلح الموسع	٩٩
الفصل الأول: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة الفاتحة	
قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والآيات المذكورة في تفسيرها	١١٠
المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	١١٠
المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١١٢
قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ والآيات المذكورة في تفسيرها	١١٨
قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والآيات المذكورة في تفسيرها المتشابهة لها في معناها	١٢٣

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ وتفسيره بما جاء بعده	١٢٦
قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾	١٢٩
المطلب الأول: قوله تعالى: تعيين الذين أنعم الله عليهم........	١٢٩
المطلب الثاني: الآيات المذكورة في تفسير المغضوب عليهم والضالين........	١٣٣

الفصل الثاني: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة البقرة

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ تفسير البعض الذي ينبغي إنفاقه بآيات من القرآن........	١٤١
قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	١٤٤
المطلب الأول: بيان سبب الختم على قلوبهم بآيات أخر.	١٤٤
المطلب الثاني: بيان الإجمال في الواو في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾	١٤٧
قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	١٥٣
المطلب الأول: تفسير خداع الله للمنافقين بآيات من القرآن........	١٥٣
المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ تفسير عدم شعورهم بآية أخرى........	١٥٨
قوله تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ تفسير المرض بالرجس لآية أخرى........	١٦٠
قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ تفسير استهزاء الله بالمنافقين بآيات أخر	١٦٤
قوله تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ حمل المراد بنفي هذه الحوس على آيات أخر........	١٧١
قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ تفسير أجزاء المثل بآيات من القرآن الكريم	١٧٥
قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ تفسير تطبيق هذا المثل على أحوال المنافقين بآيات	١٨٠
قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾........	١٨٥
المطلب الأول: تعيين اسم هذا العبد الكريم بما ورد في آية أخرى........	١٨٥
المطلب الثاني: تعيين مرجع الضمير في قوله: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ لتعيينه في آيات أخرى........	١٨٦
قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ تفسير المراد بالحجارة بما ورد في آية أخرى........	١٩١
قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾........	١٩٦
المطلب الأوّل: تفسير الأنهار في هذه الآية بآية من القرآن:	١٩٦

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذكر بعض الآيات الواردة في صفات هذه الأزواج...........	١٩٨
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ تفسيرها بآية من القرآن	١٩٩
قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ذكر بعض الآيات الواردة في معناها	٢٠٣
قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾	٢٠٩
المطلب الأول: تفسير المراد بعهد الله الذي ينقضونه بآيات أخرى	٢٠٩
المطلب الثاني: تعيين ما أمر الله به أن يوصل بما جاء الأمر بوصله في آيات أخر.	٢١٣
قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ تفسير الخلق في الآية بالتقدير لآية أخرى.	٢١٤
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ تعيين الخليفة التي أراد الله جعلها في الأرض ببني آدم لآيات أخر...........	٢١٧
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ تعيين المعروض عليهم بأنه المسميات لقوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾	٢٢١
قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ تفسير المستقر الذي جعله لهم في الأرض بآيات من القرآن الكريم	٢٢٤
قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ تعيين الكلمات بما ورد عنهما في آية أخرى...........	٢٢٨
قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾...........	٢٣١
المطلب الأوّل: تعيين المراد بنعمة الله التي أنعم بها على بني إسرائيل بما ورد في آي أخر.	٢٣١
المطلب الثاني: تفسير عهد الله لهم وعهدهم له بما ورد في آيات أخرى...........	
قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾	٢٤٠
المطلب الأول: تفسير الظنّ باليقين لآيات أخرى.	٢٤٠
المطلب الثاني: تفسير يظنون بيعلمون لقراءته بذلك في الآية...........	٢٤٢
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ تفسير العذاب بما جاء متّصلاً به.	٢٤٣
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾	٢٤٧
المطلب الأول: تفسير كيفية فرق البحر بآيات من القرآن...........	٢٤٧
المطلب الثاني: تفسير كيفية إغراقهم بآيات أخرى...........	٢٤٨
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾	٢٤٩
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تفسير المراد بالفرقان بآيات أخرى	٢٥١

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ تعيين المصر الذي أمروا بالهبوط فيهبالأرض المقدسة لآية من القرآن..........	٢٥٨
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾	٢٦٣
المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ بما جاء بعده مبدلاً منه	٢٦٣
المطلب الثاني: تخصيص الآية بآية أخرى................	٢٦٥
قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	٢٦٧
المطلب الأول: المراد بالميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل وحمله على آي أخرى	٢٦٧
المطلب الثاني: تفسير الطور بالجبل لآية أخرى	٢٧١
المطلب الثالث: تعيين المؤتى المبهم في قوله ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ بآية أخرى............	٢٧٤
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ تفصيل ما أجمل في الآية بآية أخرى من القرآن الكريم	٢٧٦
قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ تفسير الأماني بما جاءت به آيات أخر من أمانيهم	٢٧٩
﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ﴾ تفسير السيئة بالشرك استشهاداً بآية أخرى	٢٨٢
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾	٢٨٤
المطلب الأول: المراد بالبينات وتعيينها بما جاء في آيات أخرى	٢٨٤
المطلب الثاني: تفسير المراد بروح القدس بآيات من القرآن	٢٨٧
قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ تفسير المراد بالغلف بآية من القرآن	٢٩٢
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ تعيين المراد بالبينات بما ورد في آيات أخرى	٢٩٦
قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾ بيان السبب الذي من اجله دعاهم إلى تمني الموت بآيات من القرآن	٣٠١
قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بيان أنّ المراد بتريل القرآن على قلبه قراءته عليه	٣٠٥
قوله تعالى: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ﴾، ﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ حمل الفريق على الكثير دون القليل لآيات من القرآن.	٣٠٨

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ الاستشهاد بآيات دالة على وقوع النسخ	٣١١
قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ تعيين ما سئله موسى بآيات أخر....	٣١٤
قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا۟ وَاصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٣١٧
الوجه الأول: البيان بنسخ الآية بآيات من القرآن	٣١٧
الوجه الثاني: تفسير الأمر المبهم في الآية بما صرح به في آيات أخرى........................	٣١٩
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ المعنيين بالوعيد والمسجد الذي منعوا الناس عنه، وحمل ذلك على آيات من القرآن	٣٢٢
قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ القول بنسخ ذلك بآية التوجه للقبلة	٣٢٧
قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ تعيين الولد المزعوم لله بما ذكر في الآيات الأخر	٣٣١
قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ تشبيهه بآية أخرى في كون التلاوة بمعنى الاتباع	٣٣٣
قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾	٣٣٦
المطلب الأول: تعيين الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم بالايات المذكورة بعدها	٣٣٦
المطلب الثاني: تفسير العهد بالدين حملا له على آيات أخرى	٣٤٣
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ تخصيص عموم أهله بما جاء بعده مبدلاً منه.......	٣٤٥
قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ تعيين الأمة هذه المسلمة بأمة محمد لما جاء في الآية التي بعدها ولآية أخرى من القرآن	٣٤٨
قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ تفسير ملة إبراهيم بالحنفية السمحة لآية أخرى	٣٥٣
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ تفسير الدين بأنه الإسلام لما جاء بعده في ختام الآية ولآيات أخرى ...	٣٥٥
قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾	٣٥٨
تعيين ما أنزل إلى إبراهيم وما أوتي موسى وعيسى بما جاء بيانه في آيات القرآن........................	٣٥٨
قوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تفسير الصراط المستقيم بصراط الذين أنعم الله عليهم	٣٦١
قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	٣٦٢

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: تفسير الوسط بالخيار لآيات أخرى	٣٦٢
المطلب الثاني: تفسير شهادة الرسول على أمته بآية أخرى	٣٦٦
قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تفسير القبلة بما جاء متصلاً به من أنه المسجد الحرام	٣٦٨
قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ تعيين اللاعنين بما جاء في آية أخرى	٣٦٩
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تفسير الظلم بالشرك لسياق الآية ولآيات أخرى	٣٧٣
قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ تفسير الأسباب التي تتقطع بالكفار يوم القيامة بما ورد في آيات أخرى	٣٧٦
قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣)﴾	٣٨٢
المطلب الأول: تخصيص عموم الميتة بآية أخرى	٣٨٢
المطلب الثاني: تقييد مطلق الدم بآية أخرى	٣٨٤
المطلب الثالث: تفسير المراد بالباغي والعادي	٣٨٨
قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾	٣٨٩
المطلب الأول: تعيين مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾	٣٨٩
المطلب الثاني: تفسير ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ بالمرض والاستشهاد عليه من القرآن	٣٩٤
المطلب الثالث: تفسير ﴿الْبَأْسِ﴾ بالقتال والاستشهاد عليه من القرآن	٣٩٥
قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	٣٩٦
حمل هذه الآية على آية المواريث على ثلاثة أوجه	
الوجه الأول: البيان بنسخ الآية بآيات المواريث	٣٩٦
الوجه الثاني: تخصيص الآية بآية المواريث	٣٩٧
الوجه الثالث: تفسير مجمل الوصية بما جاء مفصلاً في آية المواريث	٣٩٩
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ تفسير الصيام بالأيام المعدودات الذي ذكر بعده	٤٠٢
تفسير الأيام المعدودات بشهر رمضان	٤٠٢
القول بنسخ صيام هذه الأيام المعدودات بفرض صوم شهر رمضان	٤٠٣

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: نسخ الآية بجواز الجماع في ليالي شهر رمضان	٤٠٦
قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾	٤١٠
المطلب الأول: نسخ التخيير بين الصيام والفدية بفرضية صيام شهر رمضان	٤١٠
المطلب الثاني: تفسير الفدية بطعام مسكين	٤١٥
قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾ بيان المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود بما جاء متصلاً به	٤١٦
قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ تشبيهها بآية من القرآن	٤١٩
قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ تفسيرها بآية أخرى على أنّ المراد سائر الكفار	٤٢١
الوجه الثاني: القول بنسخ الآية بآيات أخرى	٤٢٢
قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ ﴾	٤٢٦
المطلب الأول: تخصيص عموم الآية بما جاء بعده	٤٢٦
المطلب الثاني: البيان بنسخ الآية بآيات أخرى	٤٢٨
قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾ تفسير ابتغاء الفضل بالتجارة استشهاداً بآيات أخرى	٤٣١
قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ تعيين المكان المأمور بالإفاضة منه بعرفة لآية من القرآن	٤٣٤
قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾	٤٣٧
قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ (٢٠٥) ﴾	٤٣٩
قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾	٤٤١
حمل إتيان الله على إتيان أمره وبأسه لآيات من القرآن	٤٤١
تفسير إتيان الله بإتيان جزائه وثوابه لآيات من القرآن	٤٤٥
قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ ﴾ تفسيره بالجواب الذي بعده	٤٤٨
المطلب الثاني: تفصيل الإثم المجمل بما جاء في آية أخرى	٤٤٩
الوجه الثاني: القول بنسخ الآية بآية المائدة	٤٥١
قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ ﴾ تخصيص عموم المشركات بمشركات أهل الكتاب..........	٤٥٢
الوجه الثاني: القول بنسخ الآية بالآية المذكورة	٤٥٣

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٤٥٧
قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	٤٦٣
قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٤٦٨
المطلب الأول: تخصيص عموم المطلقات بآيات أخرى	٤٦٨
المطلب الثاني: بيان المجمل في قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾	٤٧١
المطلب الثالث: تعيين الدرجة التي فضل الله بها الرجال على النساء	٤٧٤
قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٤٧٨
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	٤٨٣
قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)﴾	٤٨٧
قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)﴾	٤٨٩
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾	٤٩١
قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)﴾	٤٩٥
قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾	٥٠١
قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾	٥٠٤
قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾	٥٠٨
قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٥١٥
قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾	٥٢٠
قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾	٥٢٤
قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾	٥٢٧

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾	٥٣٨
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾	٥٤٦
الفصل الثالث: دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة آل عمران	
قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾	٥٤٩
قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾	٥٥٧
قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾	٥٦٠
قوله تعالى: ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾	٥٦٦
قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾	٥٦٩
قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾	٥٧٢
قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	٥٧٦
قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾	٥٧٧
قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾	٥٧٩
قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾	٥٨١
قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾	٥٨٧
قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾	٥٩٤
قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾	٥٩٩
قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٦٠٣
قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾	٦٠٧
قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾	٦١٠
قوله تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ ﴾	٦١٤
قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	٦١٩
قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾	٦٢٣
قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾	٦٢٥

الموضوع — الصفحة

الفصل الرابع : دراسة الآيات في تفسير القرآن بالقرآن من سورة النساء

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ ٦٢٨

قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ ٦٣٠

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ ٦٣٤

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ ٦٣٨

قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧) ﴾ ٦٤٦

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦) ﴾ ٦٤٩

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ ﴾ ٦٥٤

قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ ٦٥٧

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ ٦٦٣

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) ﴾ ٦٧٠

قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ٦٧٤

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ ٦٨١

قوله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ ٦٨٣

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ ٦٨٥

قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ ٦٨٧

قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣) ﴾ ٦٨٩

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ٦٩٥

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ٦٩٨

الموضوع	الصفحة
قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾	٧٠٤
قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾	٧١٥
قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾	٧١٨
قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾	٧٢٢
قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾	٧٢٧
قوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	٧٢٨
قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾	٧٣٠
قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾	٧٣٢
قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	٧٣٦
قوله تعالى: ﴿ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾.	٧٤٥
قوله تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾	٧٤٧
قوله تعالى: ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾	٧٥٢
قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	٧٥٧
قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾	٧٦٤
قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾	٧٧٠
قوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾	٧٧٣
قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾	٧٧٥
قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾	٧٧٩

الموضوع	الصفحة
الخاتمة	٧٨٢
فهرس الآيات المفسَّرة والمفسِّرة لها	٧٨٧
فهرس الآيات المستشهد بها	٨١٦
فهرس الأحاديث المرفوعة	٨٣١
فهرس الآثار	٨٣٢
فهرس الكلمات الغريبة	٨٣٤
فهرس الأعلام المترجم لهم	٨٣٥
فهرس المصادر والمراجع	٨٤٠
فهرس الموضوعات	٦٧